

رواية

لعلى تُروك

شمس علاء

رواية

لعلي أراك..

شمس علاء



تصميم: دنيا محمد



مالك لجين أمجد جود مروان صبا

لعالي اراك

شمس علاء

سليم مليكة



يونس تمارا صبا سليم إياد مروج

لعلي أراك



لعلي أراك

شمس علاء

شمس علاء



تصميم الغلاف الأول :

آية محمود

الغلاف الثاني :

دنيا محمد

الغلاف الثالث :

نور فكري

تصميم داخلي :

شمس علاء

تدقيق :

شمس علاء

تعبئة وتنسيق ورابط إلكتروني:

شمس علاء

شكر خاص

إلى

دنيا محمد شكرًا لكل حرفٍ قالتَه ليّ لحظة حزن،
إحباط، وفقدان أمل..

شكرًا لكِ يا "قلب أختك"

وشكرًا لأختيارك عنوان الرواية

إلى

سلمى فريد، صديقة الطفولة ونور عيني، شكرًا
لوجودك جنبي

إلى

نبع الحنان "أمي" أول مشجع ليّ وأهم شخص في
حياتي..

أدامك الله ليّ يا أمي

"لا تنظر إلى الخلف، ألقِ ماضيك
خلف ظهرك، مزق ورقة سردت بها
مخاوفك، وابدأ من جديد!!"



الفصل الأول



صعدت درجات السلم المؤدي إلى غرفة مكتبه
بخوف كبير ودموعها تتساقط رُغْمًا عنها،
تشعر بأن حياتها الوردية أُطخت بالسواد،
سواد سيكون رمز حياتها القادمة دون منازع
وبفعل شخصٍ لا يعرف شيئاً يسمى الرحمة..
أبعدت أفكارها قسرًا عندما وجدت نفسها واقفة
أمام غرفة مكتبه، رفعت كفها كي تطرق باب
الغرفة لكنها ترددت قليلاً والخوف يعاود
مداهمته من جديد ليجبرها على الإلتفات كي
تهرب من جبروت ذاك الجالس داخل الغرفة
لكن دفعتها كل ذرة تعقل تمتلكها بأن تُكمل أمر
سالم حتى النهاية وإلا ستكون عقوبة سليم



الأمير شديدة القسوة وهي لن تتحملها أبدا

لذلك حسمت أمرها وطرقت باب الغرفة

بهدوء...

انتظرت قليلا حتى سمعت صوته يسمح لها

بالدخول فوضعت كفها على مقبض الباب

وهمت بالدخول لكن دموعها أبت أن تتركها؛

فسقطت كالمطر تغرق وجهها في طوفانٍ لا

يعرف الرحمة..

ابتلعت غصتها مرغمة، ثم مسحت دموعها

بأناملها..

تسحب نفساً عميقاً علَّها تخمد النار المشتعلة

داخلها، تفتح باب الغرفة واصابعها ترتعش..

واحد..

اثنان...



و..

تسمرت مكانها فجأة عندما نظرت إلى ذاك
الجالس وراء مكتبه بهيمنة جعلت الهلع يعرف
طريقه إلى قلبها!

ظل مطرق الرأس، وظلت هي واقفة مكانها
وخوفها يزداد أكثر كلما مرة دقيقة دون أن
يكلف "سليم" نفسه من محو تلك الهالة التي
تحيط به، هالة من الهيمنة والوحشية!

- أهلا بك، أنتِ العروس؟! !!!

قالها سليم فجأة على حين غرة منها؛ فشهقت
بفزعٍ ووضعت كفها على صدرها في حركة
طبيعية، فيما كان هو يتأملها من مقدمة رأسها
حتى أخمص قدميها يتمهل جعل وجنتيها
تتخضبان بحمرة قانية جذبت نظره لها جبرياً..



أردف بصوت صلب :

-يا آنسة ردي عليّ هل أنتِ العروس التي

أخبرني بها سالم الأمير!؟

عقدت حاجبيها باستغراب وهي تسمع بأذنيها

اسم كبير قريتهم -والذي هو من المفترض

جدها- يخرج من فم حفيده دون أي لقبٍ

حميمي..

وهل يحتاج هذا لألقابٍ يا معتوهة!

هكذا حدثت نفسها قبل أن ترتد خطوة إلى

الخلف عندما وجدته أمامها بلامحه الصلبة

التي بثت الهلع بقلبها المسكين....

-هل أنتِ تعانين من شيء، لماذا لم أسمع صوتاً

لكِ منذ



دخولك الغرفة!!!، هل أنت مريضة أم أنا الذي

لا يسمع أم أنك تنتظرين الترجمة!!!

رُغم فظاظة عبارته، لكنها ابتسمت ابتسامة

صغيرة سرعان ما اختفت عندما سمعته يقول

بنبرة أشبه بالتهديد :

-يا آنسة ردى علىّ ولا تجعليني أغضب

وأخرج الوحش الكائن بداخلي وهذا لن يعجبك

أبدا....

ارتعد جسدها برعبٍ حقيقي، فانفرجت شفاتها

وهتفت بتلعثم :

-نعم...نعم يا سيدي أنا العروس!

أبتسم سليم بقسوة مغلقة بحسرةٍ غريبة، أو

رُبما شيء من خجل !



أغمضت عينيها والخوف اللعين يتمكن منها

شيئاً فشيئاً كمرضٍ خبيثٍ يتشعب بداخلها

بوحشية شرسة !

نظر لها مرة أخرى ثم تعمد أن يصمت قليلاً كي

يثير الرعب في قلبها وهذا الذي بدا عليها

عندما شعر بها على وشك البكاء ، فهتف بنبرة

أكثر خشونة، والسؤال يعرف إجابته حق

المعرفة:

- ما اسمك؟! -

- مليكة... -

أبتسم بإعجابٍ لكن سرعان ما تلاشت ابتسامته

ليحل محلها قسوة غير مبررة بالمرّة يبدو أنه

تربى وكبر عليها لذلك لا يستطيع الاستغناء

عنها والتفسير ساذج بطريقةٍ مثيرة للشفقة !

أما هو فكان شاردًا وعينيه الفضيتين تحكي

الكثير!!

شعرت بالصمت يزداد بينهما؛ فتجرات ورفعت

عينيها تراقبه خلسة لكنه باغتها بهتافه الذي

جعل قلبها يترنح بين ضلوعها وكأنه ضرب

بغته :

-وافقتُ على الزواج منك والآن اذهبي إلى

الغرفة المجاورة وارتي الملابس الموجودة

هناك وسيأتي أحدٌ من الخدم يخبرك بأن موعد

الزواج قد حان، هيا لا أريد أن أراك الآن...

رفعت رأسها بسرعة ثم نظرت له بعينيها

اللتين التمتعنا ببريقٍ من التمرد الذي جعل

الإعجاب يظهر في عينيها للحظاتٍ تلوها

توارت اللمعة خلف سائر الصلابة، فيما كانت



هي تحاول بشتى الطرق أن تتحكم في غضبها
لكن كرامتها أبت أن تنصاع لها؛ فهتفت بحدة
مناقضة لجسدها الذي كان يرتعد بشكل

ملحوظ:

-ماذا تقصد!!! ولماذا تعاملني هكذا!! أنا لستُ
بجارية كي تحدثني بتلك الطريقة ليس معنى
أنني أهأبُ منك ومن سلطتك أنني سأتركك
تعاملني بتلك الطريقة الفظة أنا لن أسمح...
كان يستمع لها وابتسامته الباردة تتسع شيئاً
فشيء حتى كادت تصل إلى أذنيه ابتسامته
التي تلاشت تماماً عندما توقفت عن الحديث
لتجد فكها مقيد بكفه الذي كاد يعتصر فكها
فتألمت بقوة وبدأت دموعها في الهطول مرة
أخرى!!

نظرت إلى عينيه اللتين اشتعلتا بغضبٍ أسود

تكاد تقسم أنها لم تره مثله من قبل...

أقترب منها بوجهه ثم هتف من بين أسنانه

بملاح شديدة القسوة :

-من أنتِ كي يرتفع صوتك على سليم الأمير

هل أُصبتِ بالجنون...

صمت يراقب ملامحها الشاحبة ودموعها التي

كانت تغرق وجهها بقوة وجسدها يعاود

ارتجافه وارتعاده ، ليردف بصوتٍ كالسوط :

-أظن أنني لن أحتاج أن أعيد كلامي هذا ثانيةً،

والآن هيا أخرجي ولا تريني وجهك، ولن يتم

أي زواج بيني وبينك أنا لا أريدك...والآن

أخرجي من الغرفة بل من القصر بأكمله..



ابتعدت عنه في حركةٍ عنيفة، ثم نظرت له
بامتعاض وهتفت بقوة غريبة تمامًا عن حالتها
التي دخلت بها إلى الغرفة منذ دقائق:
-أنا لن أخرج من هذا القصر ليّ فيه
مثلك...وأنا أصلاً لم أعلم أنني العروس
المنتظرة، أنا ألبى أمر سالم الأمير في موافقتي
على أي شيء.ستقوله حتى لو كان الزواج!!
رفع سليم حاجبه بتوجس ، ثم وضع كفيه في
جيب بنطاله وقد راقته ثورتها ، لتردف هي
بحدة ملوحةً بسبابتها :

-أنا مليكة ابنة عمك الوحيدة وأتيت إلى هنا
بأمر من جدي سالم كي تراني وأنا للراحة
كنت أكره قبل أن أراك من الأساس منذ
سنوات كثيرة وأنا لم أرك ولا أعرف عنك

شيئاً، ولا كنتُ أريد أن أعرف أصلاً، لكن الآن
الخطأ خطأ أُمي عندما أمرتني أن آتِ إلى هنا
بالقوة وجعلت الخوف يعرف طريقة إليّ
وممن...منك أنت...

-بل خوفك كان من سالم الأمير يا
صغيرة...وليس مني...أنتِ تعلمين جيداً أنني
على النقيض من سالم!

قالها سليم ببرودٍ يناقض تماماً غضبه الداخلي
الذي يشعر به الآن من تلك الفتاة الفظة التي
دخلت إلى مكتبة خائفة وسرعان ما تحولت من
فتاة خائفة إلى أخرى شرسة تدافع عن كرامتها
دون أي اعتبار إلى سالم، فيما كانت هي
تراقبه مبهوتةً يكاد فكها يعانق الأرض؛ فأبتسم



هو بابتسامة صغيرة سبقت قوله بنبرة تحمل

من المرارة الكثير:

-أنا أعلم أنك مليكة ابنة عمتي...وأنا من طلبت

من "سالم" أن يأتي بك لي... هو فقط كان يلبي

أوامري !!

=====

وقفت أمام مرآتها تتأمل وجهها بشرود

وأناملها تتلمس ندبتها البشعة في رقبتها!!

ندبة تشبه ندبتها في تلك الحياة!!

حياتها البائسة التي تركتها مرغمة كي تنتقل

إلى حياة أكثر بؤساً من ذي قبل!!

ندبتها التي تركت أثراً كبيراً بروحها قبل

جسدها!!



روحها المحطمة من الداخل منذ أكثر من أربع

سنوات!!

أربع سنوات ذاقت بهم الذل بكل نكهاته حتى

زهده!

ابتسمت ابتسامة تحمل من المرارة الكثير، ثم

استدارت على عقبيها خارجة من الغرفة بعد

أن لفت حجابها بإحكام حول رأسها وبعدها

ارتدت سترتها..

أغلقت باب غرفتها خلفها برفق، ثم دخلت إلى

المطبخ لتعد لها قرح من القهوة كي تشربه قبل

أن تخرج من البيت مُتجهه إلى عملها!!

شعرت بحركة خلفها فابتسمت برقة وصارت

ابتسامتها تتسع وتتسع.. هزت رأسها بقلّة

حيله ثم هتفت بصوتها المبحوح بطبيعته :

-كفي عن العبث يا تمارا واخرجي من خلف
الثلاجة أنا أعلم أنك تريدين أفزاعي، اخرجي
لن تكبري أبداً...

انطلقت ضحكة رنانة من تلك التي خرجت
لتوها من خلف الثلاجة بملامح شديدة
البراءة!!

تقدمت تمارا نحوها ولفت ذراعيها حول عنق
جود وقبلت وجنتها بسرعة هاتفة بتذمر :
-ألن تتوقفي عن عادتك تلك؟!!!

قطبت جود جبينها بشدة ثم هزت كتفيها
باستتكار وهتفت قبل أن ترتشف رشفة صغيرة
من قذح القهوة :
-ماذا تقصدين؟؟



-أقصد تلك التي ترتشفين منها الآن وأنتِ لم
تتناولي شيئاً، ألا تتذكرين نصيحة الطبيب أن
تكفي عن هذا حتى لا تمرضي مرة أخرى!!
قالتها تمارا بتذمر قبل أن تسحب منها قرح
القهوة وتضعه جانباً!!!

فنظرت جود لها بابتسامة صغيرة، ثم لم تلبث
أن هتفت عاقدة ساعديها أمام صدرها :
-أنتِ تعلمين جيداً أنني لا أحب أن أتناول أي
طعام في الصباح واكتفي بقرح القهوة الذي
جذبتيه من بين يدي دون أي احترام لفرق
السن بيننا!!!

قالت جملتها الأخير بمرحٍ، فلفت تمارا ذراعيها
حول عنقها مرة أخرى ، ثم همست بابتسامتها
الجميلة :



-جود... أنا أخاف عليك... أرجوك لا تفعلها
مرة أخرى... حتى لا تصابي بالإغماء في عملك
كالمرة السابقة، كما أن معدتك تأدت بسبب
عادتك تلك !

ابتسم جود بحنان ثم ربت على ذراعيها
الملتفين حول عنقها بحنو ، فقبلتها تمارا
كطفلة صغيرة تحتضن أمها!!!
ابتعدت جود عنها ثم ربت على وجنتها قائلة
بحنان :

-سأغادر أنا يا تمارا حتى لا أتأخر على
موعدي.. واذهي أنت أيضا إلى غرفتك وارتي
ملابسك محاضرتك ستبدأ بعد ساعة وأنا لا
أحب الإهمال يا هانم..



أومات تمارا برأسها ثم خطفت قبلة سريعة من

وجنتها ودلفت إلى غرفتها وهي تفكر!!

ماذا كان سيحدث لها لو لم تقابل تلك الفتاة منذ

أربع سنوات!!

من كان سيعاملها بهذا الحنان سوى جود!!

جود التي سقطت عليها من السماء كهدية من

ربها كي يعوضها عن الوحدة التي تعيش بها

منذ تركها شقيقها وسافر!!

عند خاطرها الأخير شعرت بدموعها تلسع

وجنتيها بشعورٍ قاتل كلما تذكرت شقيقها

وتركه لها وحيدة!!

والسبب لا تعلمه!!!

=====

-لن تكفوا عن هذه التصرفات أبدا؟!-

قالها أمجد بحزمٍ مخاطباً شقيقه رائف ، فنظر

رائف له لوهلة ثم هتف باحترام :

-أنا لم أفعل شيئاً هي التي تتعمد دائماً أن تثير

غضبي فأضطر أن أرفع يدي عليها كي

تصمت.. شقيقتك تمتلك موهبة كبيرة في

استفزاز الأشخاص وخصوصاً أنا...

رفع أمجد حاجبه بتوجس ، ثم أقترب من رائف

بخطفى بطيئة زرعت بقلب رائف الخوف الذي

ظهر على ملامحه!!!!

وفجأة وقف أمجد على بعد خطوتين منه!!

فنظر رائف إليه باستغراب سبق صدمته عندما

جذبه أمجد من ياقة قميصه هاتفاً أمام وجهه

بابتسامة متشفية:

-أعترفت يا رائف وخانك لسانك والاعتراف
سيد الأدلة، عندما أتت مروج إلى غرفتي تبكي
وتقول إنك قمت بضربها؛ كذبتُها وقلت أنك
رجل والرجل لا يرفع يده على امرأة حتى لو
كانت شقيقته....

أرتبك رائف بشكلٍ ملحوظ ، فرجع بصره يطالع
أمجد خلصة لتلتقط عيناه نظرته العاتبة قبل أن
يردف أمجد بحزم :

-لن أحذرك مجدداً يا رائف يدك تلك لو رُفعت
على إحدى شقيقاتك سيتم قطعها، لا تكن قاسياً
معهن هن رقيقات لا يستحقن تلك المعاملة
الفضة، وأنا لن أسمح لك أبداً يا رائف... أبداً..
قال جملته الأخيرة بتهديد يقطر من بين كلماته



، فاطرق رائف رأسه ليردف أمجد بحزم مبتعدا
عنه :

-والآن أذهب لها وأعتذر....

هنا رفع رائف رأسه بسرعة ونظر له وشعاع
التمرد يلمع بعينه وهتف :

-لا لن أذهب لها، ولن أعتذر يا أمجد....

نظر أمجد له شزراً ثم وضع سبابته تحت أذنه
رافعاً حاجبيه بعصبية، وهتف :

-عفوًا!! عيد عليّ ما قولته لتوك، أنت تعرف

أنني وقعتُ يوماً ما

على أذني وأصبت بِضُغْف في السمع..

حاول رائف كظم ضحكته لكنه لم يستطع،

فضحك بصوتٍ عالٍ ومال بجذعه إلى الأمام

ممسكاً بطنه ، فنظر أمجد له مراقباً ابتسامته



بنظرة حنون وقلب يدفعه لاحتواء كل رد فعل

يصدر منه...

توبيخ، تمرد، عصبية، نفض افكاره قسراً

ليهدف بابتسامة حنون مُربّياً على وجنته :

-رائف أرجوك لا تجعل شقيقاتك يكرهونك، أنا

لا أريد هذا أرجوك...أعتذر لها وأذهب إلى

ناديك موعد تمرينك قد حان وأنا لا أريدك أن

تتأخر حتى لا يظن مدربك أنك مهمل!!

نظر رائف له باحترام ثم أوماً برأسه في طاعة

وغادر من أمامه تاركاً أمجد خلفه ينظر إلى

ظهره بشروء!!

لا يعلم لماذا يشعر دائماً أن رائف يريد أن

يتمرد!!!



كلما نظر إلى عينيه شعر بشعاعٍ من التمرد
يريد التحرر كي يصيب كل أمرٍ هو غير راضٍ
عنه من وجهة نظره هو!!!

نفض أمجد أفكاره ثم ارتشف رشفة صغيرة من
كوب الشاي خاصته وخرج من البيت متجهًا
إلى ورشته الصغيرة، شخص واحد فقط يداهم
ذكرياته بقوة فيجعل قلبه يترنح بين ضلوعه

مشتاقًا !!

=====

وقفت أمام البحر تنظر له بتوهان ودموعها
تهبط على وجنتيها دون توقف.....

فقدت كل شيء تمتلكه كل شيء بل لم يتبق لها

شيء!!

رفعت أناملها أمام وجهها ثم نظرت إلى خاتمها

نظرةً تحمل من القسوة الكثير!!

ذاك الخاتم الذي أحتل بنصرها من ثلاث

سنوات مضوا!!

ثلاث سنوات ذاقت مع صاحبها كل نكهات

السعادة والفرحة بعد أن ذاقت المر!!

لكن الحياة لم تتركها بل انتشلت من فمها

ملعقة السعادة كي تعود إلى بوئسها مرة

أخرى....

قبضت أناملها بقوة ثم أغمضت عينيها

الحمراوين من فرط البكاء على ما يبدو!!

تحركت تاركة قدميها تقودها إلى البحر في

محاولة بائسة للانتحار..

كل هذا أمام عينيه المصعوقيتين عندما وجد
نصف جسدها قد اختفى تحت المياه؛ فاقترب
أكثر ليجدها تقفز وتهبط وكأنها تغرق!!!
ظل يطالع الموقف مبهوتًا إلى أن أنتبه لما
يحدث فاندفع متجهًا إلى البحر....
خلع سترته ثم ألقاها جانبًا قبل أن يلقي نفسه
في المياه متجهًا نحوها بأقصى قوة يمتلكها!!!
فيما كانت هي تشعر بتحسّر جرح الهواء في
صدرها في بداية الأمر وبعدها شعرت بالهواء
يُسحب من رئتيها؛ فاستسلمت بصدر رحب إلى
الماء كي يسحبها لأسفل لكن كل هذا لم يحدث
بل شعرت بذراع قوي طوق خصرها بإحكام ثم
سبح بها عائداً إلى الشاطئ!!



خرج بها الشاب إلى الشاطئ ثم وضعها على
الرمال قبل أن يلطم وجنتيها مغمغماً :

-يا آنسة، هل تسمعينني؟!!

لم ترد عليه بل سعلت بقوة فخرج الماء من
فمها ، ليرفع هو كفيه ووضعها فوق بعضهما
ثم وضعها على صدرها وصار يضغط بقوة
إلى أن خرج الماء من فمها تزامناً مع سعلها!!
وبعدها انتفضت صارخة مرة واحدة، فأبتعد
عنها وهو يلهث بعنف!!!!!!.

-علاء!!

عقد حاجبيه بتوجس مراقباً حالتها الهستيرية
تلك فهمس لنفسه :

-يبدو أنك قد وقعت بفتاة مختلةً عقلية يا

مروان!!



ابتسم لخاطره الأخير في موقف لا يحتاج حتى
إلى شبح أبتسامه ، لذلك رفع ذراعيه ثم طوق
خصرها مرة أخرى كي يتحكم في انفعالاتها،
فرفعت عينيها له ثم صرخت بقوة اجفلاته :
-أتركني يا جلف أترك خصري لماذا تطوقه
هكذا...

هل أنت متحرش!!

جحظت عينا مروان بصدمة من عبارتها
الأخيرة وهو يراها تهاجمه كمهرة جامحة تريد
صب غضبها في أي شخصٍ يقابلها !!
لذلك أبتعد عنها في عنف، ثم استقام واقفاً
ولوح بكفيه في وجهها :
-من هذا الذي تتهمينه بالتحرش؟!!!، أنا؟،
هل أنتِ معتوهة يا فتاة؟!!!!...



نظرت له الفتاة بغضبٍ ثم أشاحت بوجهها
بعيداً عنه تبكى في صمت بعد أن هدأت حالتها
نوعاً إلا من صدرها الذي كان يهبط و يعلو
وكأنها غير قادرة على التنفس!!

لعلقت شفثيها بتوتر ، ثم همست دون أن تنظر
إلى مروان الذي كان يطالعها إليها مصدوماً:
-لماذا أنقذتني، كنتُ كنتُ أريد أن أموت

لماذا...

نظر مروان لها بسخط ثم وضع يديه في جيبه
وهتف :

-أسف على إزعاج سمو "الكافرة المعتوهة"

التي كانت تريد أن تنتحر وتقابل ربها

كافرة!...أسف!!

كانت نبرته شديدة السخرية التي جعلتها تلتفت

له بحدة مناقضة دموعها المنسدلة على

خديها:

-ماذا تقول يا جلف...

زمجر مروان بخشونة ، وهتف ملوحًا بسبابته

في وجهها :

-من حسن حظك أنني أشفق على حالتك رغم

أنك محطمة كلياً على ما يبدو ولكنك تردين

على بجرأة ولسانك السليط هذا سيجعلني

اصفحك صفة تعيد لك عقلك الأجدب هذا!!!،

والآن لماذا كنتِ تريدين أن تتتحري، ولا

تقولي أنك كنتِ تسبحين وخرقتي!!، أنا أتابعك

منذ وطأت قدميك هذا المكان بفضول لييتي

كنتِ كظمته كي لا أرى فتاة فظة مثلك..



- أنت مستفز... -

قالتها وسط دموعها بنبرة متهدجة، فرفع

حاجبيه ببرودٍ وقال:

- أعرف وهل يراك أحدٌ ويظل على ثباته!!!.

ثم صمت مراقباً حالتها الغريبة!!!

هي عبارة عن فتاة فظة بلامح محطمةً وقلب

يبدو أنه زهد الحياة فأراد الإرتياح!!

انقطعت أفكاره عندما شعر بها تحاول الوقوف

فمد كفه لها كي تمسك بها لكنها ترددت قليلا

فهتف ساخراً :

- لا تقلقي لن أتحرش بكِ أنا لا أفضل هذا

النوع؟!!

قطبت جبينها بقوة ، وهتفت :

- أي نوع.



- النوع الذي يمتزج ما بين العتة و الكُفر..
قالها بمرحٍ فظ ، فاغمضت عينيها بنفاذ صبر
قبل أن تهتف بصوت متهدج :
يا الله...كنتُ أريد أن أموت...فبعثت لي
شخصاً سيجعلني أركض كي ألقى نفسي في
المياه مرة أخرى...آه...
صرخت بقوة عندما جذبها بعنف كي تقف

قابله ، فنظرت له بغیظ وقد تحولت ملامحها
من التعب إلى الشراسة ، فيما كان هو يراقب
تغيرات وجهها!!!...
-لماذا كنتِ تريدين أن تنتحري؟؟!!...ومن عابد
هذا...
قالها مروان بجدية وقد تعلق عينيها

الخضراوين بعينيها العسلية جبرياً، فأشاحت



الفتاة بوجهها بعيداً وهتفت بنبرة عاد إليها

الإرهاق :

-عابد زوجي، توفاه الله وتركني وحدي كي

أعيش في عالم لا يرحم أحد...

=====

وقفت أمام المرأة تنظر إلى نفسها بعينين

ذابلتين كوردة سقطت وريققتها في الخريف!!

كيف قبلت كل هذا من الأساس!!

سمحت لنفسها بانتهاك حرمتها!!

هي تعشق التمرد فلماذا قبلت صاغرة بكل

هذا!!

تشعر بنارٍ يزداد سعيرها كل ثانية، حتى كادت

تحرق قلبها الذي كان يترنح ذبيحاً بين

ضلوعها مطالباً بالرحمة!!!



تهدت بحرارة ثم مالت بجذعها إلى الأمام

بملاح تئن وشفتين مرتجفتين!!!

يا الله كم هو قاتل شعور الانتهاك؟؟!!!

قاتل كنصل حاد اخترق ظهرك بغدرٍ لم يكن في

الحسبان!!

هزت رأسها بهستيرية ودموعها تتساقط دون

توقف وصوت شهقتها يعلو شيئاً فشيئاً، حتى

شعرت بارتخاء قدميها بسرعة فسقطت أرضاً

أمام المرأة!!

هنا لم تتحمل أكثر فأجهشت في بكاء عنيف

استنزف طاقتها بل استنزفتها هي كلياً!!!

اهربي، تمردي، اخذعي، اقبلي، تلاعبي،

تماسكي..



أصوات تتداخل صادرة من قلبها وعقلها فكادت

تصيبها بالصمم!!

لا تعرف أي منهم هو الحل المناسب!!!

لكنها تعرف أنها وضعت نفسها أمام الأمر

الواقع فلا هي قادرة على الهرب أو

التماسك!!!

ظلت في صراع بين أفكارها حتى التقطت

أذنيها صوت طرقات رغم هدوئها لكنها

انتفضت شاهقة بوجل قبل أن تتمالك نفسها

بأعجوبة، ثم زمت شفثيها بقوة حتى لا يسمعها

أحد....

-سيدتي؟!...سيد سليم يقول لك اهبطي إلى

الدور الثاني...وارتدي ملابسك كاملة حتى

الحجاب؟!!!



قالتها الخادمة بنبرة هادئة، منتظرةً رد مليكة
التي كانت تهز رأسها بقوة تزمناً مع دموعها
المنسدلة دون توقف؟!...!!

رفعت عينيها إلى السماء تدعي بحرارة، ثم
بسطت كفيها على صدرها في محاولة بائسة
لترويده... لكنه صار يعلو ويهبط دون
توقف... لكن الخادمة اردفت بجملة جعلت مليكة
تنتفض من مكانها كالمحمومة :

- والسيدة داليا أتت... رغم أن السيد سليم
منعها من الحضور خوفاً عليها لكنها

رفضت!!!

بحظت عينا مليكة مبهوتةً، ثم لظمت خدها في
حركة غريبة:

- أمي بالأسفل؟!...! استرها يا رب؟!...!!

ثم انتفضت من مكانها فجأة، وارتدت فستانها
بسرعة غريبة... كل هذا خلال دقائق

معدودة.....!!!

وبعدها وقفت أمام المرآة تنظر إلى هيئتها
بحسرة، ثم اقتربت من المرآة تحديق بنفسها
كالمعتوهة... لكنها وللعجب كانت تراقب ليل
عينيها... تراقب بريقهما الذي وُاد دون
رحمة... فنضبت يناييعه وراحت نجومه أدرج

الرياح!!

أبتسمت بسخرية ثم مسحت دمعته
بأناملها... واستدارت على عقبيها خارجة من
الغرفة بروح حلقت مع راحتها بعيدا وها هي
تلوح لها بابتسامة حسرة!!!

=====



-ماذا تفعلين هنا يا داليا... من سمح لكِ بدخول

بيتي...-

قالها سالم الأمير بصوت قاسٍ بث الرعب بقلبِ

ملیكة وأمها داليا التي ازدردت ريقها بتوتر

ونظرت إلى سليم تطلب منه المساعدة ، فأوماً

سليم بفهمٍ وجذب ملیكة من مرفقها وأجلسها

بجوار والدتها ، ليلتفت إلى سالم هاتفاً

ببساطة:

-أنا من سمحتُ لها هل هناك اعتراض بعيد

الشر !!

نظر سالم له باستنكار ، فأشاح سليم وجهه

بعيداً عنه ، مردفاً بحزم :

-من اليوم يا سالم ستمكث عمتي معنا

بالقصر!!...هل يوجد أي اعتراض...-



قال جملته الأخيرة ضاغظاً على حروفها بتأكيد

، فگز سالم على أسنانه بغيظ ، وهتف :

-حاضر يا سليم!!! كلامك يُنفذ...

أبتسم سليم بسخرية خفية، ثم نظر إلى مليكة

قائلاً بنبرة خرجت خشنة رغماً عنه :

-من سيكون وكيلك!!

تشبثت مليكة بكف امها تطلب منها الدعم ،

فربتت داليا ببطء على كفها هامسة بصوتٍ لم

يسمعه سوى مليكة :

-لا تخافي يا ابنتي...سليم لن يضرك

أبدًا...اختاري جدك!!

ظهر الرفض على ملامحها جلياً فزجرتها داليا

بقوة محذرة !!

كل هذا كان يراقبه سليم بعينه الثاقبتين حتى

رفعت مليكة عينيها له هامسة بتحشرج :

-وكيلي هو جدي...-

أبتسم سليم بسخرية ، ثم أشار إلى المأذون كي

يبدأ...

بدأ المأذون في مراسم الزواج بين نظرات

مختلصة تبادلها سليم ومليكة لكن كل نظرة لها

معنى آخر....

نظرة مليكة كانت تحمل من الخوف أطناناً!!

الخوف الذي كان يعتلي ملامحها حتى كاد

يطمسها؟!!

فيما كانت نظرة سليم تعبر عن الأمل الذي

جعلها تشعر بالاستغراب نحو هذا الرجل الذي

يثير كل ذرة الفضول بها؟!!!



انقطع سيل أفكارهما صوت المأذون وهو يقول

جملته الشهيرة :

-بارك الله لهما وبارك عليهما وجمع بينهما في

خير..

أبتسم سليم بسخرية ثم سحب كفه من كف

سالم بنفور ، واستقام واقفاً ينظر بطرف عينيه

إلى مليكة التي تحاول بشتى الطرق أن تتحكم

بدموعها.... لكنها لم تتحكم في توترها وهي

تفرك أصابعها بقوة كادت تكسرهم وجهها

شديد الشحوب!!!

سحب سليم نفساً عميقاً ثم نظر إلى سالم ببرود

هاتفاً :

-عمتي داليا على رأس الكل هنا يا سالم...لن

يضايقها أحد حتى في غيابي!!!!!!...



ضرب سالم الأرض بعصاه الابنوسية هاتفاً

بصوته الجهوري :

-لا تجبرني على شيء أنا لا أريده....

من عصاني يوماً لا يستحق سوى

الموت؟!!!!...لَيْتَهَا تموت كزوجها كي أرتاح

منها....

أطرقت داليتها برأسها تهزها بقلة حيلة

ودموعها تتساقط رغماً عنها ،فيما اندفعت

مليكة نحوه بقوة لا تعلم كيف ومتى

اكتسبتها!!!...همت بالحديث لكن صوت سليم

منعها :

-اخرجي من الغرفة يا مليكة...واتركي عمتي

هنا...أنا أريدها...



التفتت له ونظرت له برفضٍ ظهر جلياً على
ملامح وجهها ، فانفرجت شفتاها باعتراض
لكنه رفع كفه في وجهها مقاطعاً حديثها ثم
زجرها بقوة فنظرت إلى أمها بطرف عينيها،
لتجدها تهز رأسها بقبولٍ!!!!

خرجت من الغرفة بأكملها تحت نظرات سليم
لها

وبعدها عاد سليم ببصره نحو جده ، ثم مال
برأسه إلى

نحوه وهتف بصوت مميت :

-لماذا تتعمد دائماً أن تثير غضبي!!

=====



الفصل الثاني



وقفت في شرفة غرفتها تتأمل المارة بابتسامة
زينت ثغرها الجميل، تحتضن كتفيها بدفءٍ
لذيذ..

كم تعشق هذا المشهد من هنا، حيث أطفالٌ
تلعب هنا وهناك، صراعاتهم اللذيذة على أبسط
الأشياء، تلك الأصوات المنطلقة من تسجيل
صبي صغير يرقص عليها بحركات شعبية
جداً..

ابتسمت عندما لمحته يعتلي دراجة بسيطة
يسير بها في الشارع بابتسامته الآسرة، يلقي
التحيات هنا وهناك دون أن يمل!!

تهللت أساريرها بابتسامة مشرقة ثم اعتدلت

في وقفها تتأمله بابتسامة حالمة!!

تشعر بجنون دقتها يزداد أكثر فأصاب جسدها

تيار منعش دفع الدماء في وجهها المخملي

بحمرةٍ لذيذة

وفجأة رفع عينيه وكأنه توقع مرقبتها له

خلسة!!

هنا لم تتحمل متابعة حوار عينيها الصامت،

فتراجعت خطوة إلى الخلف قبل أن تسدل ستار

بسيط الزر كشة؟!!!

-ماذا تفعلين?!!!-

قالها بنبرة صارمة؛ فشهقت بفرعٍ قبل أن

تعض شفيتها بارتباكٍ ليقترب منها بخطوات

مندفعة وجذبها من مرفقها مبعدا إياها عن



الشرفة، وبعدها أغلق الشرفة بعنف تزامناً مع

صراخه الغير المبرر بالمرّة :

-كم مرة قولتُ لكِ أرثدي حجابك قبل أن

تخرجي إلى الشرفة !!

ابتسمت خفية، ثم بسطت كفيها أمام وجهه في

حركة مهدئة...

زفر بقوة فالتقطت أذناه صوتها الحنون

بطبيعته :

-رائف اهدأ قليلاً يا حبيبي، لماذا أشعر بأنك

زوجي وليس شقيقي الذي يصغرنني بأربع

سنوات؟!!

اشاح بوجهه بعيداً عنها، ثم هتف بتذمر :

-أنا لا أحب دلال الفتيات هذا، يجب أن تحترمي

أمجّد قبل أن تحترميني...ماذا أفعل وأنا أسمع



بأذني همسات شاب يتغزل بجمالك... آخرهم
ضربته بعصا غليظة أدت إلى شق رأسه إلى
نصفين وقضيت يومين في "الحجز" وأنتِ هنا
تقفين في الشرفة مسدلة شعرك بكل حرية... أنا
لن أسمح بهذا أبدا يا لجين!

رغم قساوة كلماته لكنها تجاهلت كل هذا
بحنانها الذي يغلب عتابها، وضعت كفها على
وجنته في تربيته حنونه، فأختلج فكه تحت
كفها الناعم، لتتهف هي بابتسامة واسعة :
-يا صغير... لماذا أشعر بأنك متقلب المزاج؟!،
أبتسم، أترك لثغرك الجميل هذا ابتسامة فينير
وجهك بسعادة!

كلمتها رغم بساطتها لكنها جعلت قلبه يسقط
بين قدميه مطالبًا بكل كلمة نطقها، لكنه كظم



كل هذا بقساوة لا يعلم مصدرها وسط هذا
الحنان المحيط بعالمه المُلطخ بسواد قسوة لا
يعلم مصدرها من الأساس!!!!

فيما كانت لجين تراقبه بغموضٍ؛ هي تعلم جيدًا
ما يدير بخلده بل تعلم سبب صراع قسوته مع
حنانه حتى تصدعت روحه إلى نصفين، نصف
حنون يريد أن يتسلل إلى روحه عنوة لكن
النصف الآخر يقف له بالمرصاد؛ فيتراجع
الحنان إلى الخلف تركًا الطريق لشقِ القسوة
فالقوي يفوز ويتوارى الضعيف خلف ستائر
الجُبْن!!

انقطعت أفكارها عندما شعرت به يبتعد عنها
ببطء غريب فعقدت حاجبيها بتوجس زاد أكثر
عندما دس كفه في جيب بنطاله مخرجًا منه



عدة ورقات نقدية مد يده بهم؛ فتعلقت عيناها
بعينيه تبحث عن تفسير، ليهتف هو بجمود
يناقض كلماته :

-ستأخذين النقود كي تجلبي ما كنت تريدين
شراءه...كنت أسمعك تتحدثين مع مروج بشأن
رواية جديدة لكن مصروفك الشهري نفذ
وراتبك لم تأخذه بعد؛ لذلك خذهم....

فغرت فمها مشدوهة قبل أن ترفع حاجبها أكثر
بصدمة جعلته يزمجر بخشونة، فوضع النقود
على الفراش ثم استدار متأهبًا للرحيل بلامح
متجهمة وكأنه وللعجب ندم على فعلته..
وضع كفه على مقبض الباب وهمّ بفتحه لكنه
شعر بخطواتها تقترب منه تزامناً مع هتافها
المصطبغ بالتعجب :



- أنتظر يا رجل، لماذا أشعر بأنني جاريةٌ
عندك.... أنتظر هنا يا كابتن رائف كُن طيب
القلب..

ثم وقفت أمامه وملامحها لا زالت متشحة
بالصدمة، فزفر هو بسخط لا عناً نفسه قبل
تهوره من إظهار حنانه يبدو أنه سيحصدها
قريباً...

لذلك ازدرد ريقه ببطء، ثم أشاح وجهه بعيداً
وهتف بصوت جامد :

- أنا فقط أحببت أن أعطيهم لكِ كمعروف ليس
إلا؟!!

هنا ابتسمت بحنان كاد يقفز من مقلتيها بشعور
الفرحة، هي لا تهتم بكل هذا بل تهتم بوميض
حنانه المستحدث...

تمالكت فرحتها بأعجوبة، ثم قبلت جبينه
باعتراز أرسل لجسده ذبذبات أصابت قلبه
بشعور جارف بالحنان :

- أنا لن أجبرك على قول كلمات أعرف أنك تريد
قولها لكن لسانك يلجم كل هذا بجمود غريب
أريد أن امتصه من اوردتك... لكن للأسف
أمنيته تتحقق فقط بطريقة أمجد... أمجد
يستطيع أن يرسم ابتسامة على ثغرك الجميل
مثلك هذا... رائف أنا أحبك كثيراً...

دمعت عينا رائف بتأثير ثم احتضن رأسها
بإحدى ذراعيه والذراع الآخر ربت على
شعرها بحنان شعرت به رغم صمته؛ فحاولت
التحدث لكنه سبقها معطيًا إياها قبلة سريعة
سبقته خروجه من الغرفة باندفاع..



ليتها صمتت... ليتها توقفت عن حنانها
بل ليتها هو يهرب من كل هذا الصراع الغريب
على نفسه...!!

فلماذا الغضب ولماذا القسوة وأنت لا تعلم
مصدرها من الأساس، مجرد تصدع أصاب
روحك فلا أنت قادرٌ على الاختيار ولا أنت قادرٌ
على الصمت...!!!

بعيداً عن كل هذا كان هو يتأمل شرفتها بحسرة
وابتسامة جميلة تدل على شعوره الجارف
بحب صامت ينتظر فرصة واحدة ويبدأ
بثرثرته!!

أميرته كانت تحتل الشرفة بطلتها البهية لكن
سرعان ما اختفت خلف ستائر الخجل وكم



منعش هذا بالنسبة له... لجين صاحبة أرق

قلب وأجمل ابتسامة.....

أبتسم لخاطره الأخير، مقبض أصابعه على
مقبض الدرجة الحديدي و بدأ في تبديل قدميه
في حركة طبيعية وابتسامة بلهاء رسمت
خطوطها على ثغره حتى وقف أمام محل عمله،
مكان صغير يحتوي على العديد من الكتب
والروايات..

وضع إحدى قدميه على الأرض ثم أنزل
الأخرى ببطء، وبعدها دلف إلى المحل، تأمل
المكان بشغف ثم همس بابتسامة رغم غرابتها
ولسانه يردد:

-جميلة الحياة بين كتب تجذبك إلى عالم الخيال

يا يونس!!!



ثم تتهد بحرارة قبل أن يتقدم نحو مقعده

وجلس عليه يفكر فيها..صاحبة الظلة

البهية..!!

فارتفعت دقات قلبه في صخب غريب، لكنه

وللعجب يشعر بلذة التمني من كل قلبه!!

=====

عقد حاجبيه بتأثير، فأردفت هي بنبرة متهدجة

فضحت انفعالها :

-توفى وتركني وحدي...أعاني من نظرات هذا

وتحرش ذاك، بل أنني كدت أدخل السجن من

يومين بسبب شخص لا يعلم شيئاً يسمى

الرحمة حاول التحرش بيّ فضربته بزجاجة

كانت قريبة مني!!، .والآن تسألني لماذا

حاولت الانتحار....

كل كلمة تفوهت بها كانت ترافقها دمة
وارتجافة جسد كره حتى نفسه..
كم عمرها هي كي يحدث لها كل هذا؟! بل كم
عانت هي في طفولتها من ظلم وانتهاك..
ظلت متخبطة بين أفكارها وصمتها يدل على
شرودها، فأحترم هو صمتها إلى دقائق طالت،
إلى أن هتف مروان برفقٍ :

- هل لديك أولاد؟

هنا اختلج فكها بشكل ملحوظ وتجمدت
ملامحها حد الشحوب، فعقد مروان حاجبيه
بتوجس تحول إلى شهقة مشدوهة وهي تقول
بتلعثم :

- نعم.. لكنني وضعتها أمام منزل امرأة طيبة
القلب سمعت عنها كثيراً!



لطم مروان صفحة وجهه براحتيه تزامنا مع
صيحة استنكار، جعلتها تغض عينيها بندم لم
يشفع لها عنده، ليصرخ بصدمة :

-يااللهي..أي أم أنتِ؟!..أين قلبك بل أين عقلك
من الأساس، تركتي ابنتك عرضة للانتهاك؟!!
لقد تعدى الغباء مراحل معك !

صمت لبرهة محاولاً كظم انفعالاته لكن صدمته
تملكت منه فقبض على مرفقها بقوة جعلتها
تصرخ صرخة قصيرة، ليهتف هو باشمئزاز :

-يا لك من قاسية القلب؟!، تركتي ابنتك في
الشارع أمام بيت امرأة تزعمين أنها طيبة
القلب؟؟..وأين قلبك أنتِ؟!..أنا أنا أكاد ادفعك
مرة أخرى إلى البحر كي يتخلص العالم من
غبائك....



لم تتحمل أكثر فأجهشت في بكاء عنيف اهتز
جسدها لأجله...

هو محقٌ، كيف طاوعها قلبها على إلقاء
صغيرتها في الشارع؟!
كيف طاوعها عقلها على فكرة نحرت قلبها قبل
أن تنحر روحها؟!

يالكَ من قاسية يا صبا!!

كيف فعلتها كيف!!

هكذا حدثت نفسها قبل أن تتخاذل قدمها كما

تخاذلت هي في المعافرة!!

صارت شهقاتها ترتفع وجسدها يهتز بانفعال؛
فزفر هو بقلة حيلة لاعناً حظه الذي أوقعه في

فتاة أثارت غضبه من أول لقاء!!...

سحب نفساً عميقاً ثم هتف بهدوء متشح

بغضب مكتوم :

-أنا لا أعلم الظروف التي دفعتك لكل هذا لكنني

أعلم شيئاً واحداً، عندما يتمكن منك البؤس

يزهد قلبنا في كل شيءٍ حتى نفسه!!...لكن

الأمر لا تأخذ بهذه الطريقة أبداً ولا تصرفك

بشأن ابنتك صحيح بل شديد الشناعة.....

أغمضت عينيها بندم ثم اخفت وجهها بين

راحتيها تبكي بصمت طال بينهما إلى أن شعر

بزيادة الحركة على الشاطئ ومراقبة المارة

لهم بفضول، فزفر للمرة التي لا يعلم عددها

قبل أن يميل بجذعه متفحصاً سكونها تزامناً

مع هتافه :

- هيا بنا من هنا... لا أعلم ماذا سأفعل بكِ لكن

رجولتي تمنعني من تركك وحدك....

ابتعدت كفيها عن وجهها ثم نظرت إليه بعينين

انكسرتا بفعل أيام وسنين كانت كنصل مسموم

انتشر سمه في جسدها حتى وصل إلى

ذروته!!!

ازدردت ريقها ببطء ثم مسحت دموعها بظاهر

كفها كفتاة صغيرة، ثم تحاملت على نفسها

ووقفت أمامه زائغة العينين بلامح وشت

بندمها، فقلب شفثيه باستياء قبل أن يسحبها

من مرفقها متحركًا بها نحو سيارته بشعور

غريب لأول مرة يشعر به!!

خنوعها هذا يثيره بشكل غريب، لكن غيابها

يثير غضبه بشكل أغرب!!



فيما كانت هي مطرقة الرأس وشعور الندم
على ما فعلته يذبحها ذبحًا، هي شخصيًا لا تعلم
كيف طاوعها قلبها بل أين كان عقلها من كل
هذا!!

أنهت أفكارها بدمعة سقطت على وجنتها
ببطء، ليدفعها هو داخل سيارته الغريبة برفق،
ثم استدار حول السيارة وجلس خلف المقود
بملاح متجهمة...

فانكملت هي على نفسها محيطه كتفيتها بكفيتها
وكأنها تمنح نفسها الدعم لكن وسط كل فوضى
المشاعر هذا قفز في ذهنها سؤال غبي!! لم
تنتظر لتوزنه بعقلها أولاً بل أسرع لسانها
بألقائه :



- أنت لا تتحدث مثلي؟! ... يبدو أنك من دولة

عربية أخرى؟!!

رفع حاجبه بتوجس من سؤالها الغريب مثلها،

فحدث نفسه " يبدو أنها تعاني من انفصام في

الشخصية... "

لكنه تمالك نفسه ثم اختلس نظرة سريعة لها

قبل أن يهتف ببساطة :

- أنا أتحدث بالكنة الفلسطينية لكنني تربيتُ هنا

أبي مصري وأمي فلسطينية... ولأني اقطن

معها منذ صغري هي وصديقة لها فبتُ أتحدث

مثلهم بأمرٍ من أمي مجرد حنين لوطنها!!

هزت رأسها دون هدف، ثم انكشيت على

نفسها أكثر تاركةً العنان لدموعها وشعورها

بالندم عما فعلته يكاد يقتلها، لكن شعورها



بالزهد يضاهي شعورها الأول فتاهت هي

بينهما كالمغيبة!!

- ما أسمك؟! -

قالها مروان بعدما حارب فضوله لكنه هزمه

فضوله فسألها ببرود، لتهمس هي بصوت

خفيض :

- صبا.. -

هز رأسه بلا معنى، ثم صوب بصره على
الطريق تزامناً مع هتافه بصوت ساخر كسر

قلبها والندم ينهش قلبها بمخالبه :

- أين ألقيتي ابنتك؟، اعطيني العنوان...

التفتت له بحدة مناقضة لدموعها المنسدلة

على خديها، لتهتف بتوجس وجل :

- لماذا؟! -



رفع حاجبه باستغراب من رد فعلها، ثم نظر
لها بطرف عينيه باستتكار واضح، فأشاحت
بوجهها بعيداً عنه تعاود بكائها مرة أخرى،
ليهدف هو بصوت جاد :

-أنا تربيت على الشهامة فمن المؤكد لن أترك
وحدك تتعرضين إلى أي خطر رغم أنني لا
أعرفك لكنني وللأسف لا يجب أن أترك
وحدك، لذلك لن أترك وحدك سأحاول بذل
قصارى جهدي في مساعدتك حتى تستقرين
أنتِ وصغيرتك المسكينة...وبعدها سأرحل،

والآن!!

صمت لبرهة مراقباً إياها بتفحص، فتعلقت
عيناه بكفيها عندما شبكت كل منهما بالآخر في
حركة توحى بالدعم لكن صمتها طال ودموعها



بدأت في الهطول بغزارة مرة أخرى وجسدها
يشارك دموعها في ثورتها؛ فزفر بقوة عائداً

بنظره إلى الطريق مرة أخرى!

فيما كانت هي تشعر بقبضة باردة تكاد تعتصر
قلبها دون رحمة، تصدع تصدع حد السقوط

في شقه بل أنها سقطت بالفعل والدليل تركها
لابناتها عرضة لمستقبل يضاهاي مستقبل أمها

لكن عزاؤها أن الفرصة لا يزال شبحها

يتراقص أمام عينيها إما التمسك به أو تصبح
مثله شبح يتراقص على لحن الندم و الانتهاك

والتصدع!

لذلك حسمت أمرها بعدما تبعثرت روحها إلى

شظايا مفتتة، لتهتف بتحشرج :

-العنوان (...)-...

اجفل لأول وهلة من هتافها على حين غرة
منه، ثم هز رأسه مغتصبًا ابتسامة بلهاء لا
تتناسب البتة مع الموقف:

- لا تقلقي يا سيدة صبا، سأساعدك بكل صبر
قبل أن أرتكب جريمة!

=====

- لماذا تتعمد دائماً أن تثير غضبي؟!
تجمدت ملامح سالم حد الشحوب، ثم اختلجت
عضلة فكه بشكلٍ ملحوظ، فابتسم سليم بظفر
ممتع قبل أن يهتف سالم بغضبٍ مكتوم :
- تأدب يا سليم.. أنتَ تتحدث مع جدك..
زم سليم شفثيه بأسف مصطنع، ثم هز رأسه
برفض تزامناً مع هتافه بكلماتٍ كالسوط حظ
على كبرياء سالم بألم :



- لا أنا أحدث سالم الأمير ... وليس جدي... لن
تسمعها مني أبداً يا سالم طول ما حييت، لو
نطقها سيكون ثمن لمسامحتك وأنا لن
أسامحك حتى لو احترقت أمامي!
رغم كلمات سليم المتشحة بالألم لكن سالم لم
يهتم بكل هذا بل كبرياءه منعه من الالتفات
لحديث يشطر قلب أي شخص، ولكن هل سالم
يمتلك قلباً من الأساس إنها مجرد شكليات!!
ضرب سالم الأرض بعصاه الابنوسية، ثم أشار
بسبابته نحو سليم هاتفاً بوعيد دب الخوف في
قلب داليا التي كانت تراقب المشهد بعينين
مرتعتين وقلب يكاد يموت قلقاً على سليم:
-يوما ما.. سأكسر قلبك بنفسي حتى أتمكن من
تحطيمك حينها سأشعر بالنصر وخنجري



بيدي، فقط أنتظر الوقت المناسب و وعد مني

ستأتي صفعتي قاسية حد الصراخ!!

زأرت فضيته بغضب عاصف، يكرز على أسنانه

و حديث سالم يعبث بجروحه..

انفرجت شفتاه بقسوة لكن داليا جذبته من كفه

وربتت عليها بحنان ونظراتها ترجوه

التراجع.. لكنه سحب كفه منها بهدوء ثم ربت

على رأسها بحنان قبل أن تتحول ملامحه من

الحنان إلى القسوة وهتف ملوحًا بسبابته :

- عيبك يا سالم أنك ربيت ثعبانًا في بيتك

ومبررك أنني أشبهك بجبروتي وذكائي فصور

لك عقلك أنك أنت المتحكم بِاللُّغْبَةِ وليس

أنا.. لكن احذر سُم أفعى ربيتها على الغدر !



ثم أسند داليا بملامح متجهمة وخرج بها من
الغرفة قبل أن يرمق سالم بنظرة احتقار زادت
من سكير غضب سالم أكثر، فزمجر سالم
بخشونة كاظمًا غضبه بشق الأنفس، ثم رمق
سليم بقوة قبل أن يخرج الأخير من الغرفة كلها
بملامح جامدة وقلب يصرخ المأ!
صعد درجات السلم مساعدًا داليا برفق يناقض
ملامح وجهه المتجمدة تمامًا!!
كم مرة واجه فيها سالم وتشاجرا بشكلٍ غير
مباشر لكن هذه المرة تختلف وهو يعلم ذلك!!
كم من مرة شعر بالحقد يتمكن من قلبه
المسكين تجاه سالم!! شعر بتوقف داليا مرة
واحدة، فخرج من شروده ثم نظر إليها
بتساؤل، لتتهف داليا بصوت متهدج :



-سليم... أتوسل إليك اعنتي بمليكة!!، أنا أعلم
أنك ستعاملها بودٍ لكنني أخشى عليها من أبي..
عقد سليم حاجبيه بغضب طفيف، ثم هتف
بصرامة :

-عمتي، أنتِ تعلمين أنني لن أتركك وأتركها
له، أنتم في حمايتي.. وأنا أجيد حماية ما
يخصني!!.. ليس كسابق عهدي...

قال جملته الأخيرة بنبرة منفعلة بألم واضح،
فرفعت داليا كفها ثم ربتت على وجنته بحنان
مغلف بالشجن :

-أنت تشبه والدك كثيرًا، حتى عينيه!
ابتسم سليم ابتسامة ساخرة متشحة بالحسرة،
فتوجست من رده قبل أن يهتف سليم
بشروء :



-لستٌ وحدي من يشبهه، وأيضا أنا لا أريد أن

أشبهه!

رمقته داليا بشفقة، فتمرد كبرياءه عليه وقد

أثارت نظرتها نظرتها غضبه، ليجذبها من

مرفقها بملامح عادت إلى قسوتها مرة أخرى!

ظلا على صمتهما حتى وقف سليم أمام باب

الغرفة، فرفعت داليا عينيها له باستفسار،

ليهدف هو مربتا على كفها بحنان :

-ستمكثين في هذه الغرفة عمتي ستكون

غرفتك، هيا ادخلي وارتاحي وسأبعث لك

الخدمة بالطعام والدواء..

أبتسمت له بحنان، ثم وضعت كفها على مقبض

الباب تهمّ بالدخول لكن خوفها على أبنيتها



غلبها، فرفعت عينيها تنظر إليه برجاء كما

نبرتها :

-مليكة يا سليم... أرجوك لا تكن قاسياً معها،

يكفيها صدمتها من موت والدها وزواجك غير

المبرر منها من وجهة نظرها، أنا أثق في طيبة

قلبك، منذ سنوات وأنا أقول لعلي أراك كي

أروي عيناى من ملامحك...

ابتسم سليم ابتسامة باهتة، ثم غمغم بخفوت :

-بل لعلي أراهم يا عمتي....

صمت مبتلغاً غصته مرغماً قبل أن يتمالك زمام

أموره ويعتدل في وقفته مع هتافه :

-سأرحل أنا يا عمتي... ولا تقلقي على مليكة...

ثم رحل بعدها باندفاع تعرف هي سببه وكم

تشفق عليه من نفسه!!



هي تعلم أنه يحاول بشتى الطرق قطع بذور
بدأت تشب ورودها الآثمة في روحه...بذور
زرعها سالم...لكن وببساطة السر يكمن في
جملة لعلي اراهم لو ضاعت أمنيته منه هنا
سيتجه إلى طريق هي لا تريده أبداً!!
تهدت بحرارة، ثم جلست على طرف الفراش،
لتبدأ خواطرها في غزو عقلها بسهام قاتلة
وكانت بطلّة أفكارها أبنيتها مليكة
وبعيداً عن كل هذا كان سالم يحدق في الفراغ
بعينين اشتعلتا بنار الحقد..

حقدٌ تعدى مراحل التعقل فوصلت أفكاره إلى
مرسى الإنتقام ومن من...من أقرب الناس
إليه على وجه الأرض سليم حفيده وليس
الوحيد لكنه اقواهم رباه في كنفه علمه أصول



القسوة لكن وميض الرحمة لا زال يجدي نفعًا
في محاربة قسوته، لكن كل هذا لا يهمه فقط
يجد من يبحث عنهم وبعدها سيقطع رأس أفعى
رباها في بيته فكان هو أول الضحايا!!!

وهو اقترب اقترب وبشدة وعقله يصور له أن
التخلص من أفعى رباها بيته، سيكون الحل
المناسب!!

ابتسم ابتسامة مقيتة مثيرة للشفقة، ثم مال
بجذعه إلى الامام ونقر بأصابعه على مكتبه
قبل أن يهمس بوعيد :

-لو تعلم يا سليم كم أنتظر لحظة التشفي منك
وكسر ثقتك بنفسك تلك؛ لخوفت على روحك و
على من لك على وجه الأرض!!

=====



جلست في زاوية الغرفة تضم ركبتيها إلى
صدرها دافئة وجهها بينهما مع اهتزاز كتفيها
دلالة على البكاء، تشعر بحمل جاثم يطبق على
صدرها حتى كاد يخنقها!!

خائفة؟!!

تكذب لو قالت لا هي تكاد تموت خوفاً من
مصير ينتظرها.. مصير محتوم... زواجها من
سليم يعتبر موت بل انتحار لكنها تخشى من
سالم أكثر..

سالم جبروته يتعدى جبروت سليم، لكن ذكاء
سليم يتعدى ذكاء سالم لذلك الحرب دائماً قائمة
بينهما، رغم أن قصة سليم مثيرة للشفقة لكن
خوفها منه طبيعي..



ووسط فوضى الأفكار هذا...ظهرت فضيته
أمام عينيها بنظرات متقلبة المعاني!
تارةً حنونة، وتارةً قاسية، وتارةً منكسرة...
ووسط كل هذا لا تعرف أسباب كل نظرة سوى
الأخيرة!؟

نعم هي تعلم سبب انكسار سليم بل تشفق عليه
بدرجة كبيرة..

انقطعت أفكارها عندما التقطت أذناها صوت
وقوع خطوات قريبةً منها، فانكشفت على
نفسها أكثر وخطواته تقترب أكثر وأكثر...
فيما كان هو يتأمل مظهرها ببرود مغلف بنظرة
حانية ظهرت في بين موجات فضيته لكن قوته
محت كل هذا، يجثو على ركبتيه أمامها متأملاً



موضعها بابتسامة باهتة قبل أن يهتف بصوت

هادئ :

-لماذا تجلسين هكذا؟!-

وردها كان صمت مرفق باهتزازة كتفيها بما
وشى ببكاء عنيف، فزفر بقوة قبل أن يرفع كفه
بتردد غريب وكأنه يخشى أن يضع كفه على
رأسها فيثير اشمئزازها لكنه وضعها بهدوء
ناسب قوله بنبرة باردة نوعًا :

-مليقة... هيا قومي معي ولا تجلسين هكذا...

لكن رد فعلها كان صادم عندما شهقت بقوة ثم
انتفضت مبتعدةً عنه في نفور آثار غضبه،
فأشاح بوجهه وهو يكز على أسنانه بغضب
رسم خطوطه على ملامح وجهه الصارمة...

فيما كانت هي تشعر ببرودة دبت في أوردتها
مرة واحدة فاختلج فكها بشكل ملحوظ وارتفعت
وتيرة أنفاسها أكثر خشيةً من غضبه لكن
وللعجب تواري غضبه خلف قناع البرود الذي
ناسب قوله بعدما انتصب واقفاً على قدميه :
-أنا فقط أحاول أن أثبت الأمان بروحك لكن
فكرتك عني تبدو سيئة للغاية...لذا سأنام أنا
على الأريكة وأنتِ على الفراش؟!
عقدت حاجبيها بتوجس ثم توقفت عن البكاء
فجأة! أل هذه الدرجة هو مقدر رعبها منه! بل
إنها مرعوبة من فكرة اقترابه منها؟!
كم مثير هذا لفضولها حقاً، أخفت وجهها بين
كفيها وهتفت بتمرد لا ينسب منظرها و
هستريتها :



- أنت بالتأكيد تكذب عليّ... هذا بالتأكيد مجرد

طعم تجذبني به لك.. أنا لست بغبية؟!!

نظر لها لوهلة، ثم ابتعد عنها قليلا و عقد

ساعديه أمام صدره مبتسما بسخرية وقد

اكتست ملامحه بالبرود :

- أنا أقدر خوفك، وأقدر صدمتك من زواجنا

المفاجئ لكنني لن أبرر شيئا سوى في الوقت

المناسب، والآن قومي من مكانك وبدلي

ملابسك إلى أخرى تريحك من عناء هذا اليوم..

قال جملته الأخيرة بصرامة فانفرجت شفتاها

باعتراض لكنه رفع كفه في وجهها مانعا إياها

بصرامة ثم استدار معطيا ظهره لها..

فزمت شفتيها بخوف ارتفعت وتيرته أكثر

وأكثر لذلك قامت من مكانها خشية من إثارة



غضبه، ثم همت بدخول الحمام لكن هتافه
الصارم أوقفها مكانها :

-لا أريد أي اختلاط بينك وبين سالم لأنه

سيتعمد إثارة غضبك كي يوقني أنا

أمامه... فابتعدي عن كل هذا ولا تغادري

غرفتك طوال غيابي عن القصر!!!

رفعت حاجبيها بتمرد، ثم التفتت له بحدة قبل

أن تمسح وجهها بظاهر كفها في حركة عنيفة

أثارت فضوله

فتأهب لثورتها المتوقعة :

-أنا تربيت على الجرأة يا سيد سليم دموعي

هذه تسقط حسرةً على عُمر انتهك بجبروت

رجل ك"سالم" وقسوة رجل مثلك، أنا

لن أسمح لك بكسر عيني أمامك بل ستشعر



بقوتي وتمردي كالشوكة في حلقك ولا أنت

قادرٌ على ابتلعها أو لفظها!!!...

رفع حاجبه بسخرية، ثم أقترب منها ببطء دب

الرعب في أوردتها، فارتدت خطوة وراء خطوة

حتى اصطدمت في الحائط، لتغمض عينيها

تخفي عنه خوفها، فيما كان هو يقترب منها

ببطء شديد حتى وقف أمامها فمال إلى الأمام

وهتف بصوت خفيض يشبه الفحيح :

- لا أعلم كيف أصدق ثرثرتك وأنتِ ترتجفين

هكذا، جميل تمردك يا صغيرة لكن كما قُلتي

جبروت سالم وقسوتي ففي أي جهة

ستحاربين!!؟

كل كلمة نطق بها جعلت فكها يختلج بخوف،

وجسدها يرتعد بشكل ملحوظ...



هو محقٌ في أي جهة ستحارب بل كيف
ستحارب وسيفها لا دماء عليه فلا هو حاد
قادرٌ على اختراق جبروت سالم وقسوة سليم
ولا هو ملوثٌ بدماء الغدر.. فكيف ستحارب هي
من الأساس...

انقطعت أفكارها عندما ابتعد عنها بسرعة
متجهًا إلى الأريكة ، فزفرت هي بتعب قبل أن
تدلف إلى الحمام لعل انسداد الماء على جسدها
يبرد نار قلبها !!

جلس سليم على الأريكة بعينين شاخصتين في
الفراغ كل ما يدور في خلدِه الآن كيف يسبق
سالم بخطوة، فخصمه صعب النيل منه لذلك
يجب أن يأخذ حرسه منه...



تتهد بكبت قبل أن يخلع حذاءه بمثل ثم ألقاه
جانبا وبعدها تمدد على الأريكة يحدق في
السقف بابتسامة غريبة...تزامناً مع أصوات
تداخلت مع بعضها بشكل مزعج :

-سليم أنا لا أريد أن أتركك!!!

-أرجوك أبقى معنا!!!

-لا تكن مثل سالم يا سليم...أريدك بجواري!!
أصوات تتداخل وصراخ طفلة يتعالى...صخب
أحاط به الآن وصداع كاد يفتك برأسه فذبلت
الابتسامة على شفثيه لتنتلق آه مختنقة، ثم
اعتدل في جلسته ووضع رأسه بين راحتيه
مغمضاً عينيه بقوة..

فتشابكت أفكاره أكثر كل فكرة تضاهي الأخرى
في جرح روحه كل حرف يدوي في أذنيه قاسي



حد الموت، قبض أنامله بقوة كبيرة كل هذا
أمام عينيها المصعوقيتين بعدما عادت كي
تحضر ملابسها فوقعت عيناها على مظهره
ليرتفع حاجبها بفضول أوقعها في خطأ كان
نتيجته مؤذية :

-ماذا بك؟!... يبدو أنك على وشك البكاء...
أجفل سليم لأول وهلة ثم ضغط على أسنانه
بغضب رسم خطوطه على ملامحه، فانتفض
من مكانه مندفعاً نحوها ليظهر الهلع والوجل
على ملامحها....

أمسكها من مرفقها بقوة، ثم صرخ بغضب تكاد
تقسم أنها لم تره مثله من قبل:

-وما دخلك أنت؟!.. يبدو أن حديثي لا يجدي
نفعاً معك.. لسانك الفضول هذا سأقصه...
علاء

رفعت حاجبها بتوجس، ثم سحبت ذراعها منه
بقوة تناقض خوفها الداخلي، فرمقها بنظرة
قوية قبل أن تستدير على عقبيها بهدوء مبتعدةً
عنه... فالحل الوحيد بالنسبة لها هو الانسحاب
لذلك اتجهت إلى الفراش وتمددت عليه ثم
سحبت الغطاء مخفية جسدها بأكمله دون أن
تخلع حاجبها حتى!

فتوجس هو قليلا قبل أن يزفر بقوة وخرج من
الغرفة بأكملها بخطوات مندفعة فضحت
انفعاله....

فيما كانت هي تبكي بصمت تشعر بقبضة باردة
تكاد تعصر قلبها....

يبدو أنك ستعاني كثيرا مع سليم يا مسكينة!



هكذا حدثت نفسها فظلت على بكائها طوال
الليل دون أن يغلق لها جفن..

=====

طرقت باب غرفته بهدوء، فسمعت صوته
يسمح لها بالدخول، لتضع كفاها على المقبض
ثم ولجت إلى الداخل بملامح وشت
بارتباكها....

-ماذا تريدين؟!!!!-

قالها بتساؤل، فازدردت ريقها ببطء وجلست
أمامه على الفراش...

ظلت على صمتها تفرك أصابعها بارتباك جعله
يرفع حاجبه بتوجس ثم ربت على شعرها
بحنان هاتفاً : -ماذا تريدين يا مروج؟!!!.. يبدو
أنك فعلتِ مصيبة ما؟!!!.. أليس كذلك؟!!

عضت مروج شفيتها بقوة حتى كادت تدميها
ثم رفعت عينيها إلى عينية الحنونتين تنظر له
نظرة رجاء، فربت أمجد على وجنتها وقال :
-ماذا تريد صغيرتي وتخشي رفضي؟!
فأغمضت عينيها قبل أن تهتف بتلعم:
-أريد...أريد أن أشترك في فرقة الرقص
الخاصة بالجامعة...

جحظت عينا أمجد مبهوتًا فانفرجت شفاته بقوة
قبل أن يهتف مكرراً جملتها فيما بدا كهذيان :
-تريدين الاشتراك في فرقة رقص خاصة
بالجامعة؟!...هل ما سمعته صحيحا أم أنني
كبرت في السن فبات سمعي ثقيلًا!!
أومات برأسها ببطء فتحولت ملامح أمجد من
الصدمة إلى الجمود حينها شعرت بقرب

الخطر، فابتعدت بجسدها إلى الخلف تزامناً مع

انتفاضة أمجد بغضب جامح :

-راقصة يا ابنة الأميرية؟!.... تريدان أن تضيع

تضحيتي وتربيتي لكِ بتلك البسطة؟!... راقصة

يا مروج..

أتيتِ إلى غرفتي كي تطلبي مني

الموافقة... لماذا شقيقة سوسن... أم شقيقة

مرفت؟!!

قال كلمة سوسن وهو يشير بسبابته إلى صدره

وكلمة مرفت أشار بإبهامه نحو باب الغرفة

كناية عن رائف، فازدرت ريقها بخوف وهو

يضم سبابته إلى إبهامه في حركة شهيرة هاتفاً

من بين أسنانه : -ومرفت بالذات ستقتلع

رأسك من جذورها لو علمت بطلبك؟!، تريدن

الانحراف يا مروج!!!

عضت على شفيتها بارتباك أمام أمجد الذي
كان يطالعها بملامح مشتعلة بالغضب وصار
صدره يعلو ويهبط بسرعة فضحت انفعاله

فبسطت كفها أمام وجهه في حركة

مهدئة..... وهمت بالتبرير :

-أمجد.. أنا أريد هذا لا تمنعني بالله عليك... هذا

حلمي؟!!

هنا فقد أمجد السيطرة على نفسه على غير
العادة، فقبض على مرفقها بقوة ناسبت قوله

القاسي :

-أنا ابنتي لا تتراقص أمام هذا وذاك؟!... هل

أخبرك أحد بأن قروني أوشكت على النمو؟!!

رفعت حاجبها بتمرد يكتنفها كليّ، فهتفت

بجراًة :

-أنا لست ابنتك بل أنا شقيقتك الصغرى...وأنا

أريد هذا يا أمجد..

ضغط أمجد على مرفقها بقوة آلمتها، ثم أقترّب

منها أكثر وصرخ بقوة اهتز لأجلها جسده :

-لا تقولين هذا؟!..أنا لا أحب هذا الحديث

وطلبك مرفوض؟!!

عقدت حاجبها بغضب حقيقي استشعره أمجد

بخبره، لكنها أشاحت بوجهها بغضبٍ حقيقي

لتهتف بتمرد غريب :

-وهل عمل لجين مناسب يا أمجد عملها

كممرضة مناسبة لها؟!!

أم أنك تتحكم بيّ أنا فقط؟!!



صمتت لو هلة تحاول التقاط أنفاسها من فرط
انفعالها، فيما كان هو يراقبها بعينين التمتعاً
ببريق يجمع ما بين الغضب والحنان؟!
غريب؟؟

نعم غريب، هو رجل يمتلك ما يكفيه من غضبٍ
وحزم.. لكن حنانه يستحوذ على النصف الأكبر
في قلبه، لذلك حوّل بصوت خفيض وهمّ
بترويد وحش تمردها باحتوائه، لكن جملتها
التالية سقطت على قلبه كسوط قاس ضرب
قلبه دون رحم...:

- أنتَ ظالم يا أمجد؟! -

بهتت ملامح أمجد بشكل ملحوظ وكان الدماء
سُحبت من وجهه لتندفع البرودة في أوردته
هو ظالم؟!!



بعد كل هذه السنين أصبح ظالمًا.... بعد تضحيته

بروحه أصبح ظالمًا؟!!

ألهذه الدرجة هي قاسيةٌ حد جلد من رباها منذ

صغرها؟!!

تداخلت أفكاره مع بعضها، تضافرت وتحالفت
مع بعضها كي تصيبه بصداع أفتك برأسه مرة
واحدة، فالتمعت عيناه بانكسار اعترى محياه..

فنظرت مروج بندمٍ مستفز!

كيف تجرأت وقالت كذبةً كهذه؟!!

أمجد ظالم!!... لا ستقسم له بأنها أرادت إرضاء

تمردها فقط لذلك جرحته بتلك الكلمات...

انفرجت شفتاها تهّم بالاعتذار، لكنه رفع كفه

في وجهها مقاطعًا حديثها وقال بنبرة اكتست

بألم حقيقي:



-أنا لا أريد أن أسمع منك شيء..فقط أريد أن
أخبرك أن شقيقتك تعمل بمهنةٍ لا يستحقها من
يمتلك قلباً قاسياً لا يراعي شعور من
أمامه...لجين ملاك رحمة...ونظرتكم لعملها
شديد التخلف بالنسبة ليّ، وبخصوص أنني
ظالم!

صمت لبرهة ليثير خوفها من حديثه وندمها
من كلماتها اللاذعة، ليردف أمجد :

-لو تعلمين كم أحبك، فلن تقولي إنني ظالم بل
أنني أشفق على رائف ولجين من تحذيري
الدائم لهما من إزعاجك، لكن لا بأس ما دمتُ
ظالماً فلا تتحدثي معي مرة أخرى...

سقطت دموعها بسرعة، ثم هزت رأسها
برفض تزامناً مع هتافها المفزوع من حديثه :



-أمجدا...-

لكنه أشاح بوجهه في عنف قبل أن يشير إلى

الباب بسبابته قائلاً :

-اخرجني واتركيني لسانك لن يخاطب لساني

طوال الأسبوع كي تتعلمين الأدب....

تشبثت بمرفقه في رجاءٍ وعينيها تحاكيان

خوفاً وذعراً انتقل إلى نبرتها :

-لا يا أمجد إلا أنت...أنا أنا متهورة سليطة

اللسان لكنك تتحملني...أنت من ربتي بُعدك

وغضبك مني يشعرني بالوحدة والذعر! أنا

أسفة أسفة حقاً كنت أريد أن أرضي تمردي،

سامحني يا أبي؟! قالت كلمتها الأخيرة بصوتٍ

متهدج فضح ذعرها، فيما كان هو يسمع

حديثها بابتسامة باهتة زينت ثغره!



تمرد...تمرد كم يكره تلك الكلمة بكل معانيها

بكل أسبابها!

لماذا يفعلون به هذا؟!

تجريح وعذاب بتضحية كانت من أجل سلامتهم

فلماذا يعاقبونه الآن؟!

انقطعت أفكاره عندما ألقت مروج رأسها على

صدره تبكي بنحيب مذعور، فرفع ذراعيه

بتلقائية ثم طوق جسدها الصغير بذراعيه

وهتف بجمود مصطنع :

-لا تبكين... لا أحب أن أرى دموعك!!-

رفعت عينيها له بوداعة تناقض بشاعة كلمتها

منذ قليل لتهتف من وسط دموعها :

-هل يعني هذا أنك سامحتني....-

أبتسم أمد ابتسامة باهتة، ثم هتف :



- لا لن أسامحك على حديثك هذا لكنني سأغفر
لك قليلا كي لا أرى تلك النظرة المذعورة في
عينيك...

للأسف تربيته على يدي أنا وحدي لذلك لا
أقوى على مخاصمتك أو على مضايقتك... فماذا
أفعل بقلبي؟!

بالرغم من كلماته التي كانت تقطر ألماً وحرناً
لكنها كانت مغيبة عن كل هذا؟!

هي لا ترى نفسها مناسبة لهذه البيئة؟!
حي صغير متكاتف مع بعضه لكنها تبغضه!
حياة بسيطة مكونة من أخ هرب بهم كي
يحميهم من بطش رجل لا يعرف الرحمة لكنها
ترى نفسها كثيرة على تلك الحياة!
ملابسها البسيطة تبغضها حتى كادت تحرقها!!



هي ترى نفسها ملكة يجب أن تتوج بتاج من
نفوذ ولعل هذا ما يجعلها سليطة اللسان قاسية

الطبع!!!

انقطعت أفكارها عندما أبعدها أمجد عنه، ثم
هتف بصلافة :

-هيا اخرجي واتركيني وحدي أريد أن أرتاح

بعد عناء هذا اليوم الشاق!

ازدردت ريقها بتوتر ثم رمقته بنظرة مقيمة

لكنها لم تقدر على تحديد شعوره، فزفرت

بخفوت وقامت من مكانها قبل أن تمسح

وجهها بظاهر كفها، لينظر أمجد لها بحسرة

عرفت طريقها إلى عينيه السوداويتين...

ظلت واقفة مكانها إلى دقائق ثم خرجت من

الغرفة غَالِقَةً بابها خلفها بخفوت...



فزفر أمجد بحرارة، ثم قام من مكانه متجهاً إلى

شرفة غرفته!

رفع رأسه إلى السماء يطالع نجومها بشرود

وهمس :

-تبا للتضحية!!-

ثم حانت منه التفاته إلى الشرفة المجاورة

بملاح مشتاقة محتارة!

مشتاقة بعد غيابها غير المبرر!

محتارة من غرابة تصرفها عندما أعترف بحبه

لها!

يبدو أن الجميع يتفنن في جرحك يا

أمجد!!.. فأر تجارب أنت... أم أنك لا تطاق؟؟

هكذا حدث نفسه بابتسامة ساخرة قبل أن

يضرب قبضته في سور الشرفة وأفكاره



تتلاعب بقلبه ومشاعره لكنه كظمها بكل قوة
كي لا ينكأ جرحًا بات مؤلمًا!

=====

وقف بسيارته أمام بيت متهاك بشكل مثير
للشفقة، وشارع يعج بالأطفال وشباب غربي
الشكل وكأنهم مخدرون بشيء ما، التفت لها
رافعًا حاجبيه بتوجس وقال مشيرًا بسبابته
نحوهم :

- هل هذا مكان تتركين به ابنتك؟! -

زمت شفتيها بقوة، ثم رفعت أناملها ومسحت
دموعها بسرعة، فابتسم بسخرية وأردف :

- لو تعلمين كم أريد أن أمسك رأسك الصلب هذا
و.. واضربه بمطرقة غليظة كي أتخلص منك.. -



رفعت عينيها له بغضبٍ، ثم لوحت بذراعيها
في الهواء صارخة :

-قولتُ لك أنني لم أكن في وعيي، ولا أعرف
كيف فعلتها فارحمني وأرحم قلبي الذي يكاد
يصرخ من الخوف عليها والندم!!

زفر مروان بكبتٍ ثم أشاح بوجهه بعيدًا عنها
شاتمًا نفسه بصوت مسموع!!

وما دخلك أنت بها يا مروان...كنت تركتها
وشأنها!

هكذا حدث نفسه قبل أن يلاحظ شاب يحدق بها
بنظرة مقبئة، فزفر مرة أخرى ثم أغلق زجاج
السيارة ومن حسن حظه أنه غامق اللون،
وبعدها التفت بجسده لها وقال ملوحًا بسبابته
في وجهها :



-أسمعيني جيدا، أنا لا أريد أي تصرف معتوه
مثلك بل إنني لا أريدك أن تفكري من
الأساس!!... لا أعلم لماذا أشفق عليكِ
وأساعدك من أول لقاء بيننا، الشهامة تعمل
جيداً عندي ينقصها شرطة واحدة وستنفجر في
وجهك...

قال جملته الأخيرة بسخرية، فنظرت له بحدة
وهتفت :

-أنا سأذهب معك لتلك المرأة!

رفع حاجبه بتوجس، ثم أشار بسبابته إلى
ملابسها وقال بفضاظة :

-إلى أين تريدان الذهاب بتلك الملابس،
ملابسك ملتصقة بجسدك بفعل المياه.. فكيف
ستتحركين وسط هذه الذئاب!..



رغم صحة حديثه لكنها شعرت بأنه أقرب
للوقاحة، فرفعت ذراعيها وأحاطت كتفيها بهما
وكانها تداري نفسها، ليضحك مروان بسخرية
وهتف :

- لا زال عقلك المعتوه هذا يظن بأنني متحرش،
أم أنّك غريبة التصرفات دائماً، ألم تلاحظي
تجنبي للنظر لك.. أم أنك تختارين ما يناسب
عقلك؟!!

هنا شعرت بالدماء تندفع في أوردتها،
فصرخت بانهيار تام وضربت رأسها في
الزجاج :

- أنا أريد ابنتي، أرحمني من تأنيبك.. من أنت
كي تعرف معاناتي.. تحكم عليّ من مجرد
موقف وأنت لا تعلم شيئاً عني...



راقب ثورتها بعينين ثاقبتين، فمن الواضح أنها

عانت كثيرا مما جعلها تفعل تلك الأفعال

المتهورة، لذلك سحب نفساً عميقاً قبل أن

يعدل من ملابسه وهتف :

-اخفضي صوتك لماذا تصرخين كدتِ تصبيني

بالصمم، سأذهب لها وحدي....

لكنها لم تكن معه بل كانت تفكر في مصير

أبنتها الآن ومصيرها أيضا!!

لماذا فعلتِ كل هذا بنفسك؟!!

لماذا فقدت صبرك بتلك السرعة فانتهى بكِ

المطاف هنا بجوار رجل دفعته شهامته

لمساعدتك؟!!

لو حدث شيء ما لابنتك فلا تلومي إلا نفسك!!!

كل هذه الأفكار تداخلت مع صوته فرفعت كفيها
إلى أذنيها لتغطيها بقوة ناسبت قوة ارتعاد
جسدها....

رمقها مروان بصدمة لأول وهلة ثم تدارك
انهيارها ليهتف برفقٍ :

- سأذهب أنا... وابقِ هنا لا تتحركي... اتفقنا!
أبعدت كفيها عن أذنيها، ثم نظرت له بتوهان؛
فابتسم لها بهدوء، لتهتف هي بتشتت :
- أشعر بأن ابنتي ليست معها.... قلبي يخبرني
هذا...

ضاقت عيناه بتعاطف، ثم اعتدل في جلسته
وفتح زجاج النافذة خاصته ليخرج رأسه منها
مناديغ على أحد المارة، فاقترب منه رجل كبير
السن، ليهتف مروان بلكنته المميزة:



-نأسف على إزعاجك يا حاج... لكن أريد أن

أسألك على شيء ما... فهل تسمح لي؟!!

ابتسم الرجل ببشاشة وهتف من بين أسنانه

المكسورة :

-تفضل يا ابني...

ابتسم مروان له، ثم التفت أكثر له كي يخفي

صبا وراء ظهره، وهتف مشيرًا بسبابته نحو

البيت :

-يوجد امرأة كبيرة في السن تقطن في هذه

البناية هذا صحيح؟!!

رفع الرجل حاجبه بتوجس وقد اكتست ملامحه

بالقلق، فأسرع مروان موضحًا الأمر :

-هل وجدت تلك المرأة فتاة أمام باب بيتها!!

هنا اكتست الدهشة ملامح الرجل والتعجب،
فابتسم مروان بسرعة منتظرًا رد الرجل الذي
أتى كما كان يريدہ :

-نعم يا أبنی...وجدتها أمام باب بيتها، لكن
لماذا تسأل؟!!

تجمدت ملامح مروان لوهلة لكنه تدارك
الموقف بذكاء ليهتف مشيرًا بسبابته وراء
ظهره إلى صبا دون أن يتحرك :
-هذه والدة الفتاة....

-وأنت..

قالها الرجل بترقب، فابتسم مروان بثقة وهتف
كاذبًا :

-أنا زوجها...يُعني أنني والد الفتاة، هل هي
بالداخل؟!!



رفع الرجل حاجبه ولا زال وجهه على تعبيره،
لكن قلبه يخبره أن هيئتهم مطمئنة فلماذا
الخوف، لذلك زم شفثيه لدقيقة ثم هتف بأسف:
-للأسف يا أبني السيدة وداد عندما وجدت
الفتاة على باب منزلها أخذتها وبعدها بساعة
خرجت ومعها حقيبة سفرها متأهبة للذهاب إلى
ابنتها، هي كانت تنوي الذهاب لها قبل أن تجد
الفتاة لكن هذا حظكما!!

هنا انطلقت صرخة قصيرة من صبا سبقت
انخراطها في بكاء عنيف جعل الرجل يهز
رأسه بأسف وهمّ بالرحيل، لكن مروان أمسك
ذراعه بسرعة وهتف بثبات غير مهتمًا بتلك
البائسة التي تكاد تنغمس في بكائها:
-أين تسكن أبنثها، أريد عنوانها يا حاج!



نظر الرجل له بتردد، فرفع مروان كفه وقال

بسرعة :

- أرجوك يا حاج أنا أريد أن أجد ابنتي هل

يرضيك أن تكسر قلبي وقلب أمها؟!!

-ولماذا تركتموها من الأساس وكيف أتت إلى

هنا..

ارتبك مروان لأول وهلة، فابتسم الرجل

ببشاشة وقال بحكمة :

- يبدو أن تخميني في محله.. أنت لست والد

الفتاة لكن تلك التي تخفيها وراء ظهرك

أمها انهيارها أكبر دليل على هذا، وارتباكك

وتصرفك الطبيعي لا يدل على أنك والد الفتاة

كما يبدو أنك من دولة عربية أخرى وعلى

الأرجح فلسطيني.. لكنني سأقول لك العنوان



ليس لأجلك بل لأجل أمها المنهارة

خلفك...العنوان هو(....)

قال الرجل العنوان ثم ربت على كف مروان
ورحل دون أن ينتبه إلى تجمد ملامح مروان
واختلاج فكه فور وقع العنوان على مسامعه!!
لماذا هذا المكان خصوصاً؟!

هز رأسه بقوة ووجهه يزداد شحوباً وقلقاً لكن
صراخها المستمر انتشله من كل هذا فالتفت
لها بحدة لتتسع عيناه من مظهرها المنهار
ودموعها....

فيما كانت هي تبكي بعنف وجسدها يرتعد
بخوفٍ حقيقي وقلبها يشرف على كل هذا
بصراخه النادم و أنينه المؤلم فلم تشعر بتناقل
جفنيها وكأنها على وشك الإغماء...



-صبا صبا...تماسكي!

قالها مروان مفزوعاً وهي يرى خمود جسدها
وتثاقل جفناها، فهمّ بالحديث مرة أخرى لكن
اغمائها النصفى منعه؛ فزفر بقوة وهمس وهو
يدير المحرك بسرعة :

-يا الله ما هذا الحظ الذي أوقعني في فتاةٍ

مثلها؟!... يبدو أن أمي دعت عليّ!!

=====

في صباح يوم جديد..

وقفت أمام المكتبة تنظر إليها من بعيد بحياءٍ
ووجنتيها لونتها حُمْرة الخجل بطريقة جذابة!
دخلت إلى المكتبة وابتسامة خجل تتلاعب
بثغرها...

اختلست نظرة له قبل أن تهتف بثبات :

-سيد يونس!

رفع يونس رأسه بسرعة ثم رمق لجين
بابتسامة حنون سرعان ما تحولت إلى ابتسامة
مهذبة كي لا يثير حفيظة لجين، قام من مكانه
وهتف :

-أهلا بك يا آنسة لجين ..

عضت لجيم على شفيتها وهي تسمع أسمها
من بين شفتيه ذات رنة مختلفة، فظلت على
صمتها إلى أن استعادت رباطة جأشها لتهتف
ببساطة:

-أريد رواية اسمها (...). بعد إذنك....

أبتسم أبتسامة سريعة، ثم أوما برأسه واستدار
على عقبيه يبحث عن الرواية، فتجرات ورفعت
عينها تراقبة خلسة!



ترتفع دقات قلبها بجنون كما اصابعها وهي

تفركها بقوة كبيرة حتى كادت تكسرهم!

يونس والاسم وحده يكفي!

قصتها معه عبارة عن اختلاس نظرات

وابتسامات متبادلة رغم أن ظاهرها الود

وباطنها عشق يتفنن كل منهما في مدارته!

لا يعلمون أن كل منهما سيشتاق الآخر حد

صراخ قلبهما ب"لعلي أراك"

-تفضلي!

قالها يونس بهدوء منتزعا إياها من شرودها،

فشهقت بخفوت وخفضت بصرها إلى يده

تطالعها بخجل لا تعلم سبب تضاعفه، ثم جذبت

منه الرواية ومدت كفها الآخر بالنقود، فوضع

يونس كفيه في جيب بنطاله وهتف بابتسامه

هادئة تناقض جنون نبضاته :

- لا يا آنسة... اتركيها عليّ هذه المرة!

لعتت شفيتها ومدت كفها مرة أخرى بإصرار

ناسب قولها :

-تفضل نقودك سيد يونس...وإلا سأتركها كلها

على الطاولة!

كظم ابتسامته بصعوبة وهو يراها تتحاشى

النظر له، فأخرج كفه من جيب بنطاله وجذب

منها النقود قبل أن يهتف ببساطة :

-كنتُ أريد إكرامك فقط!

ابتسمت لجين بارتباك، ثم وضعت الرواية في

حقيبتها وغمغت بكلمات شكر بعدما دفعت

حقها..وبعدها خرجت بسرعة فكادت تتعثر



بفستانها... ليبتسم هو بهدوء.. وقلبه يدفعه لها

كي يعترف بحبه.. لكن عقله يرفض هذا

التصرف وبشدة!

فليته استجاب إلى قلبه؛ فالقادم لا يتحمل

تحكمات عقله!

=====

الفصل الثالث



قسوة، حنان، تصدع، تماسك، أفكار ومشاعر
متخبطة وهو بين كل هذا عبارة عن مسخ
مشوه لروحه، هو رجلٌ لا يعلم عن نفسه شيء
سوى تلك الحروق المنتشرة على ذراعه
بأكمله!!

حروق كان سببها أبغض الناس على قلبه بل
أبشعهم على وجه الأرض!!!

حروقٌ تتجسد أمامه بصور متفرقة!
تارةً تحتوي على دم، وتارةً تحتوي على نار،
وتارةً تحتوي على صورة كبير تضم أطفال

بأعمار مختلفة لكن الغريب أنها نُطخت بالدماء
لتصبح شعار معاناته!

زفر بقوة مكتفياً بهذا القدر من التفكير، ثم
خرج من الغرفة متجهاً إلى بهو المنزل لكن
أوقفته قدماه أمام غرفة أمجد، فطالعتها
بابتسامة هادئة وامتدت أنامله بتلقائية إلى
مقبض الباب..

طرق الباب بكفه الحر، ثم فتح الباب ودلف إلى
الداخل، فوجد أمجد لا يزال نائماً، جسده ممد
على السرير، تتعلق عيناه بكفه المضموم بقوة
وكأنه يتشبث بالدنيا لكن رائف لم يرَ هذا بل
رأى تلك الحركة تشبه تمسك أمجد بهم،
وانتزاعه لهم من فم الأسد وهذا يساوي الكثير
عنده، رُغم هدوء أمجد وعدم ميوله للعنف إلا

أنه يتحول إلى وحش عندما يحاول أحدهم
أذيتهم!

ببساطة ونعم القلب الحنون الذي يمطرك
بسخاء رحمته!

تنهد رائف بحرارة، ثم تقدم خطوتين وجلس
على طرف الفراش، فامتدت أنامله كي تربت
على ذراع أمجد لكنها قررت تغيير المسار ،
لتعبث في شعر أمجد الغزير، أبتسم رائف
بحنان يناقض حالته الطبيعة..

فتململ أمجد في نومته قبل أن يفتح عينيه مرة
واحدة فغشي النور عينيه للحظات أغمض
عينيه فيها...

-صباح الخير يا أمجد...



قالها رائف بهدوء مقبلاً جبين أمجد بعمق،
فأبتسم أمجد بحنان وربت على ذراع رائف،
هاتفاً بصوت لم يغادره النعاس بعد :

-صباح النور يا رائف، إلى أين ستذهب
بملابسك تلك؟!!

تجمدت ملامح رائف للحظات؛ فعقد أمجد
حاجبه بتوجس قبل أن يعتدل مستنداً بظهره
إلى ظهر الفراش تزامناً مع هتافه القلق :

-ماذا بك؟!!

زم رائف شفتيه، ثم أشاح بوجهه بعيداً عن
أمجد، فزاد قلق أمجد أكثر وهو يلاحظ اختلاج
فك رائف، لكن هتاف رائف جاء قاسياً عليه،
باتراً تفكيره :



-أريد أن أترك نادي الكرة!!

جحظت عينا أمجد مبهوتًا، ثم لم يلبث أن هتف
بحدة:

-عفوا، اي نادي هذا!!!، هل أُصيبت بالجنون
يا رائف؟

زفر رائف بقوة، ثم وضع وجهه بين راحتيه،
وهواجسه تعاود مداهمته من جديد!!

ماذا يقول له!!

انه محل سخرية بين زملائه!!! أم أن حروق
ذراعه تشكل له عائق...

حروق يخشى ظهورها!!..



لكن إلى متى سيظل عالقاً بين ماضٍ كانت
حروقه شعارها وحاضر عبارة عن تتمر على
حالاته ومستقبل غامض مبهم لا يعلم عنه سوى
انقباضة قلب تخشى القادم، ماذا سيحدث لهم
لو اشتهر اسمه!!!

هذا أكبر هاجس يداهمه..

فيما كان أمجد يراقبه بعينين التمتعاً بحنان
مغلف بالحسرة!

يكذب لو قال انه لا يعلم سبب قراره! بل أنه
يعلم كل شيء عن رائف ومروج ولجين رغم
أن رائف قاسي وحاد لكنه يمتلك قلباً حنوناً!

تعب!!



هذه كلمة بسيطة مقارنة بما يشعر به وهو

يرى بعينه حصاد عمره فاسدًا!

آفة الماضي نخرت كل شخصٍ فيهم حتى

سقطت قدرتهم وذبلت وردات عمرهم!

رائف يتألم ومروج تتمرد وهو بينهما عالق

يريد احتواء الأخيرة وإرضاء الأول!!

تنهد بقلّة حيلة، ثم أقرب من رائف وجذب

رأسه إلى صدره فلم يشعر رائف بنفسه وهو

يدس نفسه بين أحضان أخيه كطفلٍ صغير،

ابتسم أمجد بتهكم وهتف :

-لو تعلم كم اشتقت تلك الحركة!!!...منذ زمن

بعيد وأنت لم تفعلها!!!...اشتقت إليك يا رائف!!

نظر رائف له بتساؤل، فضمه أمجد إليه

أكثر... وهتف بشرود :

- أعلم سبب حزنك... لكن أريد أن أسمعك تبوح

ليّ بكل ما يجيش بصدرك!!!

مرغ رائف وجهه في صدر

أمجد، ثم أغمض عينيه بألمٍ تزامناً مع همسه

الواهن :

- لن أقوى يا أمجد، أريد فقط أن أنعم

بعناقك!!!، هل هذا كثيرٌ عليّ...

أبتسم أمجد بجنان ثم ربت على رأس رائف

بشرود!!!

يفكر في حاله يفكر في رائف ومعاناته، يفكر

في مروج وتصرفاتها المستفزة...

والغريب أن لجين دائما خارج

حساباته...ولماذا؟!!

لأنها الركن الهادئ بالنسبة له..

هادئة، حنونة ، لا تعلم شيئا عن الصخب بل

هي شعار السكينة!!!

ظلا على سكونهما كلُّ منهما تائه في

أفكاره...أمجد يفكر ورائف يحارب هو اجسه

بشق الأنفس..

لم يشعر رائف بمرور الوقت عندما هتف أمجد

علي حين غرة منه :

-لن تترك النادي وهذا آخر شيء...لن تتركه

يا رائف!



رفع رائف عينيه له، ثم أبتعد عنه في حركة
عنيفة نوعاً، فاصطبغت ملامح أمجد بغضب
كظمه بأعجوبة..

لوح رائف بذراعيه في حركة وشت بغضبه :
-أنا اتخذت قراري..

رفع أمجد حاجبه بتوجس، ثم أشار بسبابته إلى
صدره، هاتفا بذهول :

-أنت تصرخ بوجهي!!!، أنا ربيتك على رفع
صوتك على من هم أكبر منك!!!!

أشاح رائف بوجهه في حركة عنيفة تضاهي
اهتزاز جسده بتوتر، فزفر أمجد وكأنه يزيح
حملاً ثقيلاً كاد يطبق على أنفاسه وهو
التمرد!!!



كل شخصٍ منهما يريد التمرد وهو بينهما تائه
لا يعلم ماذا فعل هو سوى التضحية من
أجلهم!!

لماذا يجبرونه على الندم؟!
لا يعلمون بماذا ضحى بل بمن ضحى... فكانت
النتيجة صراخا في وجهه و تمرد وعصيان!!!
وللأسف هو لا يميل للعنف وهذا ما يجعلهم
يتمردون عليه!!

لكن رائف يختلف عن مروج... إن كان التمرد
هو شعارهم لكن رائف يحترم أمجد بدرجة
كبيرة!!!

ظل أمجد يفكر وملامحه رسمت لوحة من الألم
والحسرة!



فنظر رائف له بندمٍ وصوت ما ينطلق من قلبه

صارخاً إلا أمجد يا رائف... أمجد لا يستحق

ثورتك!!!

فأغمض عينيه مبتلعاً غصته مرغماً، ثم

انفرجت شفتان يهّمّ بالاعتذار لكن أمجد انتصب

واقفاً وغادر الغرفة بخطى مندفعة!!!

فهز رائف رأسه بأسف... فمن الواضح أن

السيطرة لشق القسوة...

فالجُب يتسع ويتسع حتى يبتلع روحه كلها!!

=====

- إلى متى ستظل تلك الجميلة هنا!! -



قالتها والدة مروان بابتسامة واسعة، فرفع
مروان حاجبه بتوجس، ثم أقترب من أمه
تزامناً مع هتافه المتعجب:

-صبا!!!، صبا جميلة، لا تكذبي يا أمي..صبا

تستحق لقب الغباء عن جدارة!!!

ابتسمت أمه حتى تعمقت غمزتها، فاقترب
مروان منها وجلس بجوارها، ليردف مروان
ملوحًا بكفيه بانفعال :

-كتلة من الغباء تسير على وجه الأرض نسخة

واحدة منها تكفي!! تعرفت عليها أمس ومن

أول لقاء علمت مدى غبائها!!!



-يا أبنِي أنتَ لا تعرفَ ظروفها!!، بالتأكيد إنها
تعاني من شيء مؤلم دفعها للانتحار والقاء
أبنيتها....

قالتها أمه بحكمة مدافعةً عنها، فضاقت عينا
مروان بشك فهمت هي سببه، فأضافت وهي
تلطمه في صدره :

-لماذا تنظر إليّ، الفتاة تبدو منكسرة..

قلب مروان شفّته باستياء، ثم هتف بصوت
ناعم يشبه صوت أمه :

-لا تحزني يا صغيرتي...مروان سيظل معك
حتى تستقرين أنتِ وصغيرتك في أمان....

صمت ثم زم شفّته بغضب مصطنع، وادرف
ملوحًا بسبابته :



- لا أعلم لماذا انسحبت من لسانك يا أمي!!!

شهقت أمه مشدوهة، ثم ضربته بكل قوة في صدره، هاتفه بوجنتين احمرتا بانفعال :

- مروان، أنت تحدث أمك يا ولد تأدب!!

تأوه مروان بألم، ثم ذلك موضع الضربة بكفه، فغمغم بكلمات آسفة

تقليدية!!

نظرت أمه له بندمٍ ، فرفعت أناملها وربتت على صدره برفقٍ كما نبرتها..

تجمدت ملامح - هل عرفت عنوان المرأة!!!
مروان بشكلٍ ملحوظ، وارتجفت شفتاه، فعقدت أمه حاجبيها بتوجس سبق سؤالها الحذر :

-لماذا تغيرت ملامح وجهك!!!-

ازدرد مروان ريقه بتوتر، ثم أشاح بوجهه
بعيداً عنها بعدم اهتمام مصطنع، لكنها أدارت
وجهه لها وهتفت بصرامة :

-مروان!!!-

زفر مروان بقوة، ثم حك مؤخرة رأسه بحيرة..

ماذا سيقول لها؟!

أخبرها سيذهب إلى هذا المكان خصوصاً!

ستسقط أرضاً من الخوف والهلع!!

هذا المكان يشكل لهم لعنة سوداء أصابت والده

ذات مرة فاستقر به الأمر تحت الرمال!!!

لعنة تركت ندبة لن تُمحي حتى هاته اللحظة في

حياته وحياة أمه!!!

هو لا يريد فتح دفاتر أغلقها منذ زمن!

فلماذا يصر القدر على فتحها من جديد!!!

والآن!!

ما هو قرارك يا مروان!!

هكذا حدث نفسه مستشيراً عقله، فجاء رد

عقله غريباً بعض الشيء؛ قرارين إحداهما

يحبذ ترك صبا تواجه فعلتها وذنبا وحدها

والآخر جاء حكيماً بعض الشيء!!

الكذب!!!

نعم يجب أن يكذب على أمه حتى لا تمنعه من
مساعدة صبا وهذا لن يرضي رجولته أبداً!!
لذلك سحب نفساً عميقاً لعل الهواء يهدئ من
ثورة صدره بنار اندلعت فيه فور مداهمة
الماضي له، نظر إلى أمه التي كانت تراقبه
بقلق وقلب انقبض بشعور غريب، فاغتصب
ابتسامة باهتة على شفثيه وهتف كاذباً :

-نعم يا أمي... سأذهب

معها... والعنوان (...) سأذهب معها كي أطمئن

عليها وعلى الصغيرة!!!

ضاقت عينا المرأة بشك، فابتسم مروان لها

بارتباك، لكنها لعقت شفثيها وهتفت بعدم

اقتناع :



- أشعر بأنك تخفي عن شيءٍ... -

جحظت عينا مروان مصطنعاً الصدمة، ثم
وكزها في كتفها قائلاً بعتاب :

- عيبٌ عليكِ يا رقية ... أنا تربية يداكٍ.... -

ابتسمت رقية له بحنان، ثم ربتت على ركبته
بدعمِ قائلة بفخر :

- أنا فخورةٌ بكِ حقاً... ربيتك على الشجاعة و
الرجولة وهذا ما يجعلني أثق بتصرفاتك!!! -

قالت جملتها الأخيرة بنبرة ذات مغزى، فنظر
مروان لها بندمٍ خفي، ثم قبل جبينها بعمق
وانتصب واقفاً قبل أن يهتف مشيراً بسبابته
إلى باب غرفة صبا :

-قولي لها إننا سنسافر بعد الظهر بإذن الله!!! -

أومات المرأة في طاعة، فاستدار مروان على
عقبه وخرج من المنزل بأكمله!

=====

غدر، دم، بحر، مياه، صوت فتاة تصرخ،
وامرأة تجلدها بسياط تراه ملوثاً بدماء
موحشة!!

تشابكت أفكارها وتعالى صوت صراخ الطفلة
أكثر في أذنيها فكاد يصيبها بالصمم، صوت
السوط يلسع قلبها بشراسة!!
ودموعها تلسع وجنتيها بذنبٍ بشع ارتكبه
بغباءٍ خالص!

والآن يعاقبها القدر بطريقة قاسية،



وكأنه يقول لها كما تركتها عُرضة للانتهاك

دون أي قلق!!، سيكون عقابك التشتت !

وكم قاسي هذا على قلبه، وكأنه سوط يدوي

في أذنيها تارگًا أثر لن يمحي بقلبها!

ارتعش جسدها بانفعال وسقطت دموعها

بسرعة كما سرعة مرور شريط عمرها أمام

عينيها!!

وكل ذكرى تزيد من سعيها بكائها أكثر ومن

ارتعاش جسدها!!

أحيانًا البؤس يؤدي بنا إلى التهلكة!، فقدان

الأمل أو حتى الحزن!!

لكنها تحملت البؤس وتحملت القسوة وتحملت

كل شيء إلى أن تذوقت الحب والراحة بكل

نكهتها، فانتزع منها القدر ملعقة الأمان

والراحة بعدما أدمنتها!!

تسألون عن جرح الروح؟!!

لا تعلمون قدر وقوعه على القلوب، يسبب هوة

عميقة تسقط روحك فيها؛ وفي طرفة عين

ينتشر ألم الاصطدام بالقاع بجسدك!

أم تسألون عن طعم الحب الممتزج بالوجل من

رحيله!

ببساطة هو طعم يشبه طعم الليمون لاذع لكنه

منعش، فنتمسك بنكهته ونترك انتعاشه!!!

وهذا ببساطة ملخص حياتنا، نتمسك بالمصائب

والبؤس وندفن وميض أمل وُلد لكناك دفنته

حتى تمكن البؤس من روحك بأكملها!!!

أغمضت عينيها بقوة تضاهي قوة ارتعاد
جسدها وارتعاش شفيتها، ثم كتمت أنينها
بكفيها خشيةً من وصول صوتها إلى أهل

المنزل !!

-اشتقت إليك يا صغيرة!!!، أريدك بين
أحضاني استنشق رائحتك العطرة، سامحيني

صغيرتي!!

همست بها بصوت متهدج وصدرها يعلو

ويهبط بانفعال!!!

الآن تشعر بالذنب!!

الآن تشعر بالندم!!

الآن تشتاق صغيرتها!!



سمعت صوت صرير باب الغرفة ينتزعها من
أفكارها السوداء، فانكششت على نفسها أكثر
ودفنت وجهها بين ركبتيها..

تهز والدة مروان رأسها بشفقة سبقت اقترابها
منها

جلست بجوارها دون أن تنبس بحرفٍ..

فضمت صبا ركبتيها إليها أكثر تزامناً مع هتاف
المرأة بنبرة حانية :

-لا تخافي صبا، مروان سيظل بجوارك حتى
تجدين صغيرتك!

رفعت صبا عينيها الحماوين، ثم نظرت لها
برجاء، فربتت رقية على رأسها، ثم هتفت
بلكنتها المميزة :



-رغم فحاشة تصرفك و غرابته، لكنني أشفق
عليك، حالتك تثير أمومتي، وانهيارك هذا يؤثر
بي...

زمت صبا شفيتها كي تتحكم في ارتجفتها، ثم
وضعت وجهها بين راحتها تبكي بصمتٍ..
فزفرت رقية بحرارة، ثم ربتت على رأسها :
-مروان سيمر عليك بعد الظهر...سيسافر
معك!

أبعدت صبا كفيها عن وجهها، ثم نظرت لها
برجاء، فهزت رقية رأسها مغمضة عينيها
براحة، فتهدت صبا بتعب وأغمضت عينيها!!

=====



طرق باب الغرفة بهدوء وبعدها ولج إلى

الداخل بملامح جامدة!

دار بعينه في الغرفة حتى وقعت عيناه عليه

يحرك حبيبات سبحة بخشوع كاذب، فقلب

سليم شفثيه بسخرية كما نبرته :

-ماذا تريد مني يا سالم!

رفع سالم عينيه اللتين التمعتا ببريقٍ مُقبض،

فاقترب سليم منه عاقداً حاجبيه بتوجس !

جلس بجواره على طرف الفراش، بينما هتف

سالم بخبث :

-أين كنت طوال الليل!!

رفع سليم رأسه إليه بحدة، ثم عقد حاجبيه

بتوجس سبق هتافه :



-هل تراقبني؟!

أبتسم سالم ابتسامة جامدة، ثم هتف بنبرة

ساخرة استفزت سليم :

-نعم أراقبك، أراقبك وأعلم أنك تبحث عنهم!!

تجمدت ملامح سليم بشكل ملحوظ، ارتجفت

شفتاه وارتبكت ملامحه، ليبتسم سالم بثقة قبل

أن يلوح بسبابته هاتفاً:

-أبحث يا سليم حتى تزهق أنفاسك ولن

تجدهم...

صمت لبرهة مراقباً تقلبات ملامح سليم التي

وشت بمدى خوفه وكم ممتع هذا بالنسبة له،

أخذ نفساً عميقاً، وأردف بتشفٍ :



-أنا أعلم مكانهم!!...وسأنفذ خطتي قريباً...بل

أني بدأت بالفعل!!

يكذب والنبرة صادقة !

جحظت عينا سليم مبهوتاً، وتصيب العرق من

جبينه فلم يشعر بانتفاضة جسده وصراخه

الذي كاد يصيب سالم بالصمم :

-لا يا سالم...لو فعلت لهم شيئاً سأقتلع قلبك

من بين ضلوعك، لا يا سالم، أنتقم منيّ انا!

قهقهه سالم بفضاظة، ثم أشار إلى جانب رأسه

بسبابته هاتفاً :

-هنا يوجد عقل يعلم نقاط ضعفك وبيننا حرب

كيف لا استغلها!!



رمقه سليم بتشتت وملامحه تحكي آلاف

القصص...

الخوف، والفرع!!!

الغدر، والقلق!!!

وقلبه بين كل هذا يترنح بين ضلوعه ذبيحًا،
وعقله يدفعه للعصيان، لكن عبارة سالم التالية
ضربته في مقتل :

-سأقتلهم كلهم....بل سأقتل أقربهم إلى روحك
وقلبك!!!...ما رأيك في ...

شهق سالم بقوة عندما اعتصر كف سليم
رقبته، فتشبث بكفيه في ذراع سليم كي يخلص
رقبته منه، لكن سليم كان أقوى فزاد من قوة



قبضته والتمعت عيناه بغضبٍ أسود يكاد يقسم
أنه لم يره مثله من قبل!!

أحمر وجه سالم بقوة وتحشرجت أنفاسه في
رئتيه واشية بقرب اختناقه، فأبتسم سليم بظفر
هاتفًا :

-حسبتها خطأ يا سالم...أنا لا أتهاون
بخصوص قطعه من روعي...وهو كل
روحي..فكيف سأتركك تنتزعها من بين
ضلوعي!!..هل جنت!!

رمقه سالم بعينين حمرواين، يشهق بقوة
كبيرة سبقت ابتعاد سليم عنه في حركة عنيفة
أدت إلى اصطدام سالم في ظاهر الفراش!!!



فتأوه سالم بقوة، ورفع أنامله يدك رقبتة

المطبوعة بأصابع سليم!!

سليم الذي اندفع من الغرفة بخطوات أقرب
للكمض وعقله يجذبه قسرًا كي يواجه سالم
بالقوة!!

لكن قلبه صرخ مطالبًا بالراحة!!

لذلك ولج إلى غرفته دون أن يطرقها،
فانتفضت مليكة مرة واحدة وركضت إلى زاوية
الغرفة، لكن سليم لم يكن مهتمًا بكل هذا بل
سحب سترته و ارتدى حذاء آخر، وبعدها أتجه
إلى الغرفة تزامنًا مع صراخه الهائج :

- لا تخرجي من الغرفة!!

حاولت الرد لكن لسانها لُجم، فالتفت لها زاجراً
إياها بعينين مشتعلتين..

أومات بسرعة ولفت ذراعيها حول نفسها؛
فرمقها سليم بنظرة غريبة وبعدها صفق الباب
خلفه بقوة تضاهي قوة ارتعاد جسدها بخوف!!
تخادلت قدمها وسقطت أرضاً والخوف يتمكن
منها مرة أخرى

يبدو أن القادم سيكون كسواد الليل...وكم
تخشى الظلام!!!

=====

-لماذا تبكين؟!

قالتها تمارا بفرعٍ وهي تخطو داخل الغرفة،
رفعت جود أناملها المرتجفة كي تمسح



دموعها، بينما جلست تمارا بجوارها وربتت
على كفها المبسوط على فخذها هاتفة بقلق :

-لماذا تبكين جود؟ هل أزعجتك؟!-

هزت جود رأسها برفض، ثم أخفت وجهها بين
راحتيها تبكي، فانعقد حاجبا تمارا بتوجس

سبق هتافها المصطبغ بالقلق :

-هل اشتقتي له؟!-

لم ترد جود عليها بل ازداد بكاؤها أكثر،
وارتفع نحيبها، فتتهدت تمارا بأسى، ثم جذبت
رأس جود وزرعتها فوق صدرها قبل أن تهتف

بحزن :

-أذهبي له أنتِ شقيقته!!-

هزت جود رأسها برفضٍ، والنبرة مرتعشة كما

نبض خافقها :

- هو لا يهتم بشأني من الأساس أخطأت وأنا

معترفة بهذا لكنني اشتقته واشتقت أبي!

زمت تمارا شفيتها وهزت رأسها بأسف،

فأردفت جود بانھیار:

- أنا من فعلت هذا بنفسي، وضعت رأسهما في

الوحد ولأيتي تعلمت الدرس يا تمارا!!، أنا

اشتقت عناق أخي الحاني وكلمات أبي

الطيبة!... لماذا فعلت هذا بنفسي لماذا؟

ثم أجهشت في بكاء عنيف تزامناً مع همسها

الذي بدا كهذيان :



-أتمنى أن أراهم، وسأقبل كف كلُّ منهما كل

ثانية وكل دقيقة، حتى يسامحني أبي

وشقيقي...

عقدت تمارا حاجباها بتعاطف، ثم اقتربت

بشفتيها من رأس جود، قبلتها بعمق وربتت

على كتفها بدعم هاتفة :

-لا تحزني يا صديقتي أنا معك، لا نعلم ما

يخفيه القدر لنا!..

لم ترد جود عليها، بل مرغت رأسها بصدرها،

انخفضت حدة بكائها وسكن جسدها من

تنهدت تمارا براحة، ثم استندت ارتعاده...

ذقتها إلى رأس جود فيما كانت جود تائها بين

افكارها وغرقت بين ندمها وأسفها!!



تود معانقة شقيقتها ووالدها!!

تريد الاعتذار حتى لو بقت طوال حياتها تعتذر
فقط تأتي فرصتها!

=====

-دكتور ياسين يريدك في مكتبه!

قالتها الحكيمة وهي ترمق لجين بحقد، فلعلقت
لجين شفيتها بارتباك ثم تأهبت لمغادرة
الغرفة!!

لكن الحكيمة أمسكت مرفقها بشيء من القوة
وهتفت من بين أسنانها :

لا أعلم لماذا يهتم بك بتلك الطريقة!!، يبدو أن
وداعتك وهدوئك مدروس ومخطط له!!... من
يرى حقيقتك سيقسم أنك تعانين من انفصام!



تأوهت لجين بشدة، ثم حركت ذراعها بقوة في
محاولة بئسة للمناص من قبضة تلك المرأة،
لكن الحكيمة لکمتها بكفها الآخر في كتفها؛
فصرخت لجين بألم كما نبرتها :

- ارحميني ماذا فعلتُ لكِ؟، وأي انفصام هذا، أنا
لا أحب هذا الأسلوب في الحديث...

التوت شفتاها بسخرية، ثم مصمصتهما
مصدرةً صوت غريب :

- لا تحبين أسلوبی في الحديث!! وتحبين الدلال
أمام دكتور ياسين كي تجذبي نظره لكِ، وها قد
فعلتِ ما برأسك..

جحظت عينا لجين بصدمة من تلميح المرأة،
لكن ألم ذراعها كان أقوى؛ فرفعت ذراعها



الآخر كي يخلص صاحبه، تنتزع ذراعها من
بين قبضتي المرأة وعادت بجسدها إلى الخلف
وقد التمعت عيناها بالدموع واحمرت وجنتاها
انفعالاً، لتصرخ بغضبٍ :

-أنا لستُ بعبثة، بل أنني تربيتهُ أحسن منك،
حديثك هذا أثار اشمئزازي!!، عن أي دلعٍ
تتحدثين؟!، أنا أتعمد جذب انتباه دكتور
ياسين؟!، الخطأ خطأي أنا... لذلك سأترك العمل
لكِ ولمن يظن عملنا ما هو إلا وسيلة للزواج و
الانحراف والعبث!

ثم جذبت حقيبتها من على مكتبها وخلعت
المعطف الخاص بالعمل، فرمقتها الحكيمة
باستياء ثم أشاحت بوجهها بعيداً عنها...



لتخرج لجين من الغرفة بخطوات مندفة تكاد
تعدو، تكتم دموعها بشق الأنف لكن شفيتها
المرتجفتين فضحت انفعالها، فأسرعت بإيقاف

سيارة أجرة غافلة بشأن نفاذ مصرفها!!

استقلت السيارة، ثم أسندت رأسها إلى زجاج
النافذة بعدما أعطت للسائق العنوان، لتسمح

لنفسها بالبكاء صامت!!

كرامتها عندها خط أحمر...منطقة خطر لا

يجب على أحد الاقتراب منها!!

=====

- لا تكذبي يا راضية.. أنا سمعت حديثكما....



قالها ياسين ضارباً سطح المكتب بغضب رسم
خطوطه على ملامح وجهه، فازدرت الحكمة
ريقها بتوتر، وهتف بدفاع:

-أنا كنت أدافع عن نفسي!!، هي من رفعت

صوتها عليّ وأنا أعلى منها في الرتبة!!

جحظت عينا ياسين بصدمة من كذبها،

فانفرجت شفتاه ولوح بسبابته هاتفاً:

-قولتُ لكِ لا تكذبي، حديثك اللاذع سمعته

بأذني، كم مرة قولت لكِ أنها عكسك تمامًا، لكن

يبدو أن الهدوء لا يجدي نفعاً معكِ!!؛ ذلك

سيتم فصلك من المشفى مع اعتذار صادق

للجين على إهانتك لها...



عقدت راضية حاجبيها بغضبٍ، ثم رفعت
صوتها بعض الشيء وهي تلوح بكفها :

-وماذا فعلت أنا لكل هذا؟

-لا ترفعي صوتك عليّ، هل نسيتِ نفسك، أنا
أصدرت أمرًا ويجب عليكِ تنفيذه، هل سمعتِ أم
تريدين أن أزرع كلماتي في رأسك الصلب
هذا!!!

هتف بها ياسين بصرامة بعدما أزاح نظراته
جانبًا ولوح بسبابته بتحذير ونبرة صوته وشت
بمدى غضبه وانفعاله..

ارتدت راضية خطوة إلى الخلف ولعقت شفثيها
بتوتر ثم همست على مضض :

-أمرك يا دكتور ياسين



ثم خرجت من الغرفة بخطوات مندفعة، فزفر
ياسين بسخط وألقى جسده على مقعده!!
جذبتة أفكاره قسرًا إلى لجين، هو يعلم أن
نظراته لها ملفتة للنظر، لكنه وللصراحة
معجب بثباتها، هدوءها، هي ببساطة مختلفة!
نعم هو يراها مختلفة.. عبارة عن مزيج من
الرقّة والهدوء!

جمالها البسيط يثير عاطفته نحوها!

لذلك يجب عليه التقدم خطوة!!

وتلك الخطوة لا يجب أن تكون سوى الزواج!!

الزواج؟!



نعم هو معجبٌ بها ويبدو مشاعره ن علي

وشك النمو!!

فلماذا الانتظار؟؟

=====

استقل سيارته متجهًا نحو العنوان المطلوب،
يشعر بقبضة باردة تعتصر قلبه بخوفٍ وقلق،
عيناها زائغتان رغم محاولاته البائسة في
تثبيتهما على الطريق، ينقر بأنامله على مقود
السيارة حتى لا يفصح انفعاله...

لكن هي لاحظت كل هذا وهي تختلس النظرات

له!

تشعر بأن هناك شيء مُقلق !



لذلك انفرجت شفتاها تهمّ بالاستفسار لكنها
زمتها محبذة عدم التحدث الآن، يكفي شهامته
ورجولته، أليس هذا سبب يجعلها تتجنب
الحديث معه، أسندت رأسها إلى زجاج السيارة
تراقب تغيير الوجوه، تراقب وجوهات المحلات
وسرعة تغيير الوجوه، وكان سرعة تغيير
الوجوه تشبه سرعة مرور شريط عمرها أمام
عينيها، عيناها اللتان التمعتا ببريق من
الدموع، ينابيع نهر غسلها يبدو أنها نضبت،
ونضارة وجهها تحولت لشحوب

هل حزناً على ابنتها؟!!

ببساطة ابنتها تعتبر نصف السبب لكن النصف

الأكبر له التأثير الأكثر على روحها قبل

ملامحها، يكفيها ما قابلته بعد وفاة عابدا!!



هذا وحده يشكل لها سبب ذبول عمرها وتهور

عقلها!!

صوت تهيدة مهمومة انطلقت من بين شفتي

مروان جعلتها تلتفت له باستغراب اعلى

ملامح وجهها، لكنه لم يكن يلتفت لها أو

لشرودها بل أنه يكاد يغرق بين هواجسه التي

تسول له هلاكه ولذلك ضرب المقود بقوة

ناسبت هتافه لنفسه بلكنته :

-يا ويلك يا مروان منه...لو علم بوجودك

هناك!!

فعدت صبا حاجبها بتوجس، ازداد أكثر وهي

ترى مروان يتأفف عدة مرات ووجه يزداد

احمراره انفعالا..



فلم تتحكم في فضولها، لتهتف بتحسرج :

-لماذا أنت غاضبٌ بهذا الشكل، هل تشعر

بالغضب من مساعدتك ليّ!!

ضغط مروان أسنانه بقوة حتى كاد يسحقها، ثم

نظر لها بطرفٍ عينيهِ وهتف بغیظٍ مم :

-وهل أنا مجبورًا على مساعدتك؟، أخبرتك

آلاف المرات أنا أفعل كل هذا بدافع رجولتي،

فلماذا الإلحاح؟، اصمتِ اقترابنا، لا أريد أن

أسمع صوتك، يكفيني ما عرفته عنك...

زمت صبا شفثيها وعقدت حاجبيها بغضبٍ، ثم

أشاحت بوجهها تزفر بقتوط، فالتوت شفثنا

مروان بشبه ابتسامة سرعان ما اختفت



وانغرست ابتسامة حزينة على شفثيه، ليضغط

على مكبح السيارة كي تزيد سرعتها!!

وارتجافة أنامله تفضح ما يخفيه من قلق، لذلك

لم يتعجب من تعنيف عقله عما فعله!!

لانه محق...

ما يفعله الآن ليس إلا تهور يشبه تهور تلك

البائسة، تهور سيفتح عليه نيران اخمدها

الزمن بشق الأنفس رغم بقاء جزء ضئيل

منها، فلماذا عاود هو إلقاء الحطب بها كي

تشتعل النار أكثر ويزداد سعير قسوتها!

=====

-تتحركين في القصر وكأنك من أهله!!

هدر بها سالم مخاطبًا ابنته داليا التي تكدست
الدموع في عينيها تأثرًا من حديث سالم، فزمت
شفتيها بقوة، ثم أطرقت برأسها، فأضاف
سالم تقريره صارخًا :

-أنا لا أطيق أن أرى وجهك القبيح هذا، أنا
أتمنى من كل قلبي أن تزهق أنفاسك وتذهبين
إلى زوجك!

تشنجت ملامح داليا بشكلٍ

ملحوظ، وتيبست أناملها الممسكة ببعضها،
لترفع رأسها إليه ترمقه برجاء، لكنه أشاح
بوجهه بعيدًا عنها، ثم ضرب عصاه في الأرض
بقوة كما نبرته :



-أنا سمحت بوجودك هنا بسبب طلب سليم،
لكن لا تفرحي كثيرا...ضربتي التالية ستصيبه
في مقتل..وقتها سينشغل عنك وعن ابنتك
تلك..حينها سأفعل ما بوسعي!!

شهقت داليا شهقة كتمتها بكفها تزامناً مع
ارتجاف جسدها بخوفٍ حقيقي، فبدأت دموعها
بالهطول وشفتها في الارتجاف، ليبتسم سالم
بظفر وتحسس راقبته ببطء وكأنه يمارس جلد
الذات على...

تعلقت عينا داليا براقبته لتجد أثر أصابع يد
على رقبة سالم، فعقدت حاجبيها بتوجس
ورفعت أناملها كي تمسح دموعها، ثم همّت



بإلقاء سؤال قلق عن سبب تلك الأصابع، لكن

سالم سبقها بصراخه الهائج :

-اغربي عن وجهي يا صاحبة الوجه القبيح

أنت... لا أريد أن أراك هنا!... اذهبي...

ارتدت داليا خطوة إلى الخلف وبعدها استدارت

على عقبيها مندفعةً بخطى أقرب للركض وقد

عرف الذعر طريقه إلى ملامحها و قلبها...

فيما كان سالم يتحسس رقبتة ببطء ليزداد

سعير غضبه أكثر وأكثر....

لكن رنين هاتفه قطع كل هذا؛ فأخرجه من

جيب عبائته.. ووضعه على أذنه...



أستمع إلى المتكلم لدقائق قصيرة، وبعدها
اعتلى ثغره ابتسامة شريرة قبل أن يغلق هاتفه
هامساً لنفسه وابتسامته تلك تدل على مدى
سواد قلبه :

- أنت من جئت إلى هنا بقدميك... -

=====

وقفت سيارة الأجرة أمام بيتها، ترجلت من
السيارة ثم دست كفها في حقيبتها تبحث عن
نقود السائق فلاحظت أن نقودها لن تكفي،
زفرت بسخط، ثم ضربت جانب رأسها بشدة،
ليرمقها السائق بفضولٍ قبل أن يهتف :

- أريد نقودي!



تهدت لجين بقوة، ثم أخرجت هاتفها وضربت
أزراره بسرعة، فأتى صوت أمجد قلقًا :

-السلام عليكم، ماذا حدث يا لجين لماذا
تحدثيني في هذا الوقت، أليس هذا موعد
عملك؟؟

تهدت لجين مرة أخرى، ثم انفرجت شفتها
بحذر محاولة استعادة توازنها كي لا تثير قلق
أمجد، فخرج صوتها مترنًا بعض الشيء :
-أنا أمام بيتنا جئت في سيارة أجرة ونقودي لن
تكفي السائق...

عقد أمجد حاجبيه بتوجس، ثم وضع مطرقته
جانبًا وهتف وهو يسحب منشفة بيضاء تلطخت
بالسواد بطبيعة عمله :



-خمس دقائق وستجديني عندك... ابقِ مكانك...-

أومات لجين برأسها في تعب وكأنه يراها.

، ثم أغلقت الاتصال، ومالت بجذعها لتحدث

السائق من النافذة...:

-خمس دقائق فقط وسيأتي شقيقي كي يعطيك

حَقك... آسفة على تعطيلك...-

هز السائق رأسه متفهمًا، فابتسمت له ببشاشة

وهمت بالاعتذار مرة أخرى، لكن صوت جاء

من خلفها جعلها تعتلد في وقفها وتكتم

أنفاسها من صدمتها :

-آنسة لجين لماذا تقفين هكذا، هل أزعجك ذاك

الرجل..-

قال جملته الأخيرة بغضب لا تعرف سببه
مشيرًا بسبابته إلى السائق، فنظرت إلى السائق
بسرعة وعادت بنظرها إليه وبقايا من دموع
عالقة على طرف عينيها، ف
همّت بهز رأسها لكنه أردف بلهفة :

-لماذا تبكين!

عقدت لجين حاجبها باستغراب، ثم همست :

-لا شيء يا أستاذ يونس، شكرا لاهتمامك، أنا

أنتظر أمجد يمكنك الرحيل!

-لا لن أرحل...سابق..

-قولتُ لك يا أستاذ يونس أرحل، لا يجب أن

يرانا أحدٌ ونحن في هذا الوضع!

قالتها بحدة تناقض حالتها الحقيقة، فأجفل
يونس لأول وهلة، لكنه تدارك الموقف بطيبته،
ليهدف متأسفًا :

-أنا أسف على تظفلي، سأذهب حتى لا أثير
حفيظتك لكنني سأراقبك من بعيد حتى يأتي
أمجد...

ثم رحل دون أن ينتظر رداً منها، زفرت لجين
بتعبٍ...

وبعد دقائق قصيرة كان أمجد أمامها، دفع
النقود ثم أحتضن كتف لجين ودلف إلى
البيت...فتنهده يونس بارتياح ثم عاد إلى
عمله!!

=====



- لا يا لجين، منذ متى تختارين الهروب،
تصرفك خاطئ واثبت عليك اتهامها الفاحش
هذا!

قالها أمجد مؤنبًا، فرفعت لجين عينيها اللتين
تورمتا من فرط البكاء، ثم انفرجت شفاتها
وقالت مدافعة :

- لا يا أمجد تصرفي هو الأصح، ماذا كنت
ستفعل وأمامك شخصٍ باردٍ يتهمك في
أخلاقك!!!

ربت أمجد على وجنتها مهدئًا، ثم أبتسم بهدوء
وهتف :

- بالطبع أول خاطر سيأتي إلى عقلي هو ما
فعلته، لكن الذكي يستطيع قلب الأدوار من



الاتهام إلى الهجوم والدفاع، لكنك لم تختاري
سوى الهروب بدافع الحفاظ على كرامتك!!، كم
بريئة أنت يا لجين!

قال جملته الأخيرة بحنان، فنظرت له بتساؤل
تجاهله هو بهتافه الحاني:

-لن أجبرك على شيءٍ ولعل هذه المشكلة
تعلمك درساً جيداً....وهو اختيار المواجهة
والدفاع لا الهروب...

أومأت لجين برأسها في فهم، ثم ابتعدت عن
أمجد بوجه أحمر انفعالاً، فطالعتها أمجد بعينين
حنونتين ثم ابتسم لها مردفاً بمرح :

-ولا أريد أن أرى دمعك مرة أخرى...تعلمين
كم قاسي هذا عليّ، أم أنك كمروج ورائف



تستمعين بخوفي وقلقي عليكم.. دلال زائد على
ما يبدو...

ثم مسح دموعها بأنامله برقة، فابتسمت لجين
بحنان وشيء من فخر!

فخرٌ بشقيق يخاف عليهم أكثر من نفسه!

وهي مقدرَةٌ لذلك، لكن مروج و رائف يغلبهم
التمرد..

تتهدت لجين بحرارة.. ثم احتضنت أمجد متعلقة
بعنقه، فقهقه أمجد بصوت عالٍ، ثم ربت على
ظهرها وقال :

- أنتِ الوحيدة التي أعتبرها الجزء الهادي في

هذا البيت يا لجين، حديثي معكِ دائماً

يشعرنى... يشعرنى بالراحة....

ثم ختم جملته بقبليتين على وجنتيها بعدما
أبعدها عن أحضانه؛ فأغمضت عينيها
بارتياح..

ليهب هو واقفا ثم ربت على رأسها دعماً
وخرج من الغرفة تاركاً المساحة لها!
لنتلاعب أفكارها بها جاذبة إياها نحو المنطقة
الخطرة!!

يونس!!

كيف تجرات وتعاملت معه بتلك الطريقة

الفجة!!

معقول!!

معقول نظرة الغيرة التي كادت تطلق سهامها

نحو قلبها دون رحمة!!

بالتأكيد لا، هو لا يهتم بها من الأساس ولعل

هذا ما جعلها تثور عليه اليوم!!

في كل ثانية وكل دقيقة وكل ركعة تركعها

لربها تدعو أن تكون من نصيبه!!

لكن على ما يبدو أنها ليست في حساباته من

الأساس، مجرد فتاة تعتبر من حيهم فيجب

عليه حمايتها!!!

هزت لجين رأسها بأسف.... ثم قامت من

مكانها متجهة إلى حمام غرفتها!

=====

أوقف سيارته أخيراً بعد حيرة وهو يدخل

شارع ويخرج من آخر، أفكاره وهو اجسه تكاد



تقتله، وأكبر هاجس يداهمه بعد حديث سالم،

هو أقرب شخص على وجه الأرض له...

يموت وينتفض كما النار التي تبعث من

الرماد...

سنوات من البحث، وسنوات من الاستفسار

ومكانهم لا يعلم عنه أي أحد، وكأن الأرض

انشقت وابتلعتهم!!!

هل ضل الطريق!!

تركهم يبتعدون وهو بقي مكانه دون أن يتحرك

ولو قيد أنملة!

ولم ينل سوى الخوف!

يتذكر جيدًا يوم حبسه سالم في غرفة مظلمة،

أصوات الفئران كادت تصم أذنيه وقتها، ارتعد



جسده بخوف وبَحَّ صوته من فرط صراخه

وقتها!

فكانت النتيجة خوف من الظلام....

ماذا!!

خوف من الظلام..سليم الأمير يخشى الظلام!

نعم يخشاه بل إنه يكاد يختنق عندما يجد نفسه

فجأة في ظلام!!

وهذا لا يدل سوى على مفهوم واحد!!

مهما بلغت قوتك وقسوتك تبدو أمام نفسك

شخصاً ضعيفاً جباناً نتظاهر بالقوة والصلابة بل

والقسوة

أحيانا نشعر بأن روحنا انقسمت إلى نصفين

وأنت ثالثهما!!

لذلك سليم دائم التخبيط والحيرة أمام نفسه، لا

يعلم لماذا يقسو على نفسه بهذه الطريقة...

كل ليلة وكل يوم يدخل إلى الغرفة المحظرة في

زاوية منعزلة عن قصر الأميرية، يشعر وكأنه

يمارس جلد الذات على نفسه، يذكر نفسه بما

فعله منذ سنوات مضت!!

فيزكي نيران روحه، ليزداد جوعًا ونهما في

الإنْتقام!!

ويزداد قلبه في التمني بحرارة، يتمنى نفس

الأمنية بنفس الشغف والشجن...

لعلي أراكم



كم مرة قالها لا يعلم... لكن حديث سالم اليوم
جعل قلبه يترنح بين ذراعيه ذبيحًا بخنجر
الغدر، هو يرى نفسه غدارًا! مراوغ؛ فعاجله
القدر بصفعةٍ شرسة!

تهد سليم بقوة وكأنه يزيح حملًا جاثمًا كاد
يطبق على أنفاسه، ثم أسند رأسه إلى مقود
السيارة يهزها بيأس، فقفزت صورتها
المذعورة أمام عينيه، زارت فضيته بندم
مغلف بالغضب من نفسه، مظهرها حينها كاد
يفطر قلبه إلى نصفين وفكرة واحدة تزداد
ترسخًا في عقله وهي أن كره مليكة له سيزداد
أكثر وأكثر، وستكون صورته في عينيها عبارة
عن مسخ مشوه القسوة..

قطع سيل أفكاره رنين هاتفه، فزفر بسخط، ثم
سحبه بقتوط، همّ بأغلاقه لكن أسمع المتصل
جعله يسرع في الرد بتوجس :

-نسيم!!! هل حدث شيئاً ما لعمتي ومليكة؟؟

ورد الآخر كان صوت أنفاس تملو وتهبط
بانفعال، فازداد قلق سليم أكثر وتصيب عرق
خفيف من جبينه، ليهتف نسيم بصوت خفيض

-سليم الأمر شديد الخطورة يا سليم...جداً

أخبرني بشيء... اعلم جيداً خطورته!!!..

حبس سليم أنفاسه وحديث نسيم يؤجج هاجسه

فازدرد ريقه بتوتر... ثم قال بحذر :

-قبل أن تخبرني بما حدث... هل شعر سالم

بانك تنقل أخباره لي!!

- عيبٌ عليك يا صديقي، أنت صديقي الوحي،
ولو شك سالم في الأمر لن اتحدث بكلمه حتى
لو أمر بقتلي!....

زفر سليم بتوتر، واهتزاز ساقه فضح انفعاله
فهتف بتلعثم :

-ماذا حدث؟!!!

صمت نسيم لدقائق شعر سليم بهم دهرًا، فزفر
مرة أخرى وقد برزت عروق رقبته، أردف
نسيم بأسف :

-أبن عمك يا سليم... مروان علي الأمير!!!...
جحظت عينا سليم بصدمة بعضما أخبره نسيم
بكل شيء، فصرخ بقوة بحت لها صوته :

-مروان.. يا إلهي، كيف علم سالم بمكانه أنا
أحميه هو وأمه منذ علمت مكانهما... كيف علم
بمكانه يا نسيم...

-سالم لا يعرف مكانهما بل مروان هو من أتى
بنفسه إلى هنا... رآه رجل من رجال سالم وعلم
أسمه... فأخبر سالم بكل هذا!

-يا الله يا لك من غبي يا مروان، كم مرة قلت
له ألا يتهور... لماذا لم يخبرني، سيؤذيه سالم
الغبي...

صرخ بها سليم وهو يضرب مقود السيارة
بقوة... فزم نسيم شفتيه بشفقة مما سيقوله،
لعق شفتيه وشجع نفسه ليقول :



-سليم يجب أن تدركه...سالم يريد اختطاف من

معه على الأرجح امرأة!

غرز سليم أصابعه في شعره حتى كاد يقتلعه

من جذوره وهتف بتعجب :

-امرأة؟!...مروان ليس له علاقة بنساء!...

صمت لبرهة، ثم سحب نفسًا عمقًا سامحًا

لعقله بالتفكير، فأردف :

-نسيم...أفعل ما بوسعك كي تمنعه، بأي

طريقة يا نسيم بأي طريقة حتى أتمكن من

حماية مروان مروان لن يتحمل قساوة سالم!!

أوما نسيم بطاعة وكأنه يراه..لكن سليم لم

ينظر أكثر فأغلق الهاتف في عنف...وهتف من

بين أسنانه والغضب يتمكن من ملامحه :



- غبي يا مروان... لن تتحمل بطش

سالم... غبي!

ثم إنطلق بسيارته في عنف جعلها تصدر
صريرًا مزعجًا يشبه طبول الخوف التي اندلعت
بموسيقتها الوجلة فتجمد قلبه أكثر خوفًا على

أبن عمه !

=====

نار، دم، موت، حياة، رماد، رياح، قلق،

وجل...

يتخبط بينهم خوفًا من بطش سالم...

نظرة الرجل له بعدما عرف اسمه غير مريحة

بل نظرته إلى صبا هي التي أثلجت صدره

بخوف...

وهنا بدأ عقله في تعنيفه!

لماذا سافر معها وأنت تعلم أن كل هذا
سيحدث؟

تريد أن تستطعم مذاق بطش سالم!!

أم تريد أن تقهر قلب والدتك ألا يكفيها قهرتها
على وطنها المسلوب؟

وهنا صرخ ضميره مدافعاً بأن هذا الحل
الأنسب، هو فعل هذا كي لا يترك صبا وحدها،
فأين رجولته لو تركها وحدها؟!!

لكن عقله و صرخ بحكمته، بأن هذا يعتبر جزء
من سببه.. لكن هو يعلم لماذا فعل هذا، ببساطة
هو يعشق المواجهة، لا يحب الاختفاء

كالنساء، هو رجلٌ يعشق الحق و يحبذ
المواجهة فهذا أكبر سبب لموافقته..

- أشعر بعدم الارتياح!!

قالتها صبا بصوت واهٍ أخرج مروان من
شروده، فالتفت لها ثم عاد بنظره إلى الطريق
تزامناً مع هتافه الجامد مغيراً الحديث وكلمتها
تزيد من قلقه:

-ها نحن اقتربنا من العنوان!

اقتربنا.. اقتربنا!!

كم تحمل تلك الكلمة الكثير من المعاني، لا يعلم
أنه أقترب من حافة جبل ينتظر فقط خيانة قدمه
فيسقط فيه في طرفة عين !



=====

الفصل الرابع

=====

وقف يتأمل الغروب بعينين زائغتين
كفه في جيبي بنطاله والمياه تعبت بقدميه!!
قميصه يتراقص كما خصلاته، ينظر إلى البحر
بصمتٍ يوازي هدوء موجات البحر..
وهو وحده يعلم أن سكون البحر يشبه تسامح
الشخص مع نفسه!



تشبيه غريب!!

نعم أو هو منطقي إلى حد ما!

لقد مرّ بالعديد من التجارب البائسة والقاسية!
واجه الدنيا والعالم وحيداً، لا يعرفه أحد ولا هو
يهتم... لا يهتم بقبح ماضيه، ولا بصعوبة

حاضرته!!

ألا يكفيه الثقل الجاثم على صدره!

ثقلٌ يكاد يزهق بأنفاسه لكن ما يقلل من
شراسة ماضيه وقبح حاضرته هو ما وصل له
الآن، فقد أصبح أشهر من النار على علم،
مالك فؤاد من أكبر فنانو مصر!
أصبح معروفاً واسمه يدوي في أذن كل شخص
في مصر!



لا يعلمون حقيقة الفنان مالك فؤاد بل لا

يعلمون شيئاً عنه من الأساس !

ابتسم بسخرية لخاطره الأخير، ثم حانت منه
نظرة سريعة خلفه إلى ذاك القائم الخشبي، قائم
يحمل ورقة ناصعة البياض، وقطعة خشبية
تشبه الدائرة يحتلها مجموعات مختلفة من
الألوان المتنوعة!

أقرب منه بقدمين حافيتين وعينين حمراوين
بسبب الإرهاق على ما يبدو، جلس على المقعد
المخصص له، ثم جذب فرشاته ونظر إليها
بوهن!

وبعدها بدأ يتحرك بها على الورقة بطريقة
متقنة أظهرت موهبته!

لكن هو لا يشعر بلذة التمتع وهو يتراقص
بفرشاته على ورقة الرسم بل فكره كله مرتكزاً
على نقطة معينة!

وهي شعوره بأنه سقط في جُب عميق شديد
السواد بعدما سقط من فوق سحابة الأحلام إلى
أرض الواقع، واقع عبارة عن جُب عميق
يزداد قتامة مع زيادة الألم فوق كاهله!
ركلة كرة عنيفة أصابت رأسه جعلت يده تهتز
فتشوّهت لوحته..

وضع كفه على رأسه صارخاً بغیظ وهو يهب
مندفعاً نحو صاحب تلك الضربة!
-حمزة... ألن تكف عن تخلفك رأسي تؤلمني يا
عديم الأدب...



نظر الصبي له، وتخصر قائلا :

- أنت الذي تشغل عقلك بما تفعله!، كل

رسوماتك تشبه ما تفعله رؤى ابنتك بكشكول

دراستي!

نهب مالك المسافة بينهما، ثم أمسكه من

مؤخرة قميصه ورفع أمام وجهه، ليهتف من

بين أسنانه :

- أنا مالك فؤاد....توصف رسمي بمجرد

شخايبط تفعلها شقيقتك بكشكول دراستك!!،

أين كنت أنا وقت تربيتك!

-كنت ترسم هذا الهراء!



قالها حمزة مشيرًا بسبابته إلى اللوحة التي
ضاعت ملامحها بفعله هو، فضرب مالك جبين
حمزة بكفه الحر، ثم هتف بحدة :

-تأدب يا حمزة، وإلا سأقوم بحرمانك من كل
شيء تترفه به!، توصف رسم مالك فؤاد
بالهراء!..يا لك من متخلف!

زم الطفل شفثيه بغضب وهو يلوح بساقيه في
الهواء كي يثبتهما على الأرض، فلكر مالك في
أنفه بسبابته :

-أبي لا تشتمني...!

ضرب مالك سبابة حمزة، ثم هزه بعنف وصرخ
بنفاذ صبر:



- هل أنت طفلٌ، أقسم لكل من يقول عليك طفل
بأنك رجل ذو لسان أطول منه، يا شبر ونصف
أنت!!

ثم وضعه على الأرض دون أن يترك ملابسه،
فنظر حمزة له نظرة غريبة وهتف ملوحًا
بسبابته :

- أبي أنا رجل ولا يجب عليك الصراخ بوجهي،
هذا آخر تحذير... وإلا!

نظر مالك له بسخرية.. ثم هز رأسه مستهزئًا،
وهتف واضعًا كفه الحر في خصره :

- وإلا ماذا يا شبر ونصف أنت... ستمنع عني
الماء!

- لا بل سأترك رؤى تتلاعب بمسمار تحاول

وضعه في الكهرباء!

زفر مالك بقوة، ثم عدل من وضع نظارته

الطبية وأغلق أزرار قميصه، وبعدها حمل

حمزة على ذراعه وولج به إلى الداخل!

رغم عناد الصغير إلا أنه يحبه بطريقة غريبة

هو وطفلته الثانية رؤى!

أحياناً نفقد الأمل في حياة بئسة مزعجة تشبه

الناقوس، لكن تمنحك الحياة هدية لن تدرك

كنها في بادئ الأمر، تمر الأيام والشهور

وأنت غافل عن أهميته، لا تعلم بأنها وسيلة

للتشبث بها كي تنتزع نفسك من فوضى أفكارك

!



فقط انتظر!

=====

نزعت وشحها عن رأسها فور دخولها إلى
غرفتها ثم لفته بين خصرها وفخذيها...

انتابتها رغبة عارمة في الرقص!

فامتدت أناملها بتمهل إلى حاسوب لا يزال
أمجد يسدد قسطه من ماله الخاص،

انطلقت الموسيقى المثيرة لجسدها، لتبدأ في
ترك جسدها يتراقص على الموسيقى بنعومة
تحسد عليها، أغمضت عينيها وهي تحرك
يديها بحركة تفاعلها دائما، تشعر بالاستمتاع
يندفع في أوردتها... استمتع يريحا ويزيد من

وتيرة رقصها!



وخاطر يداهم عقلها!

لماذا لا يتركها شقيقها كي تمارس ميولها!

لماذا التحكم في حياتها!

من وجهة نظرها هي أن طلبها بسيط، لا تعلم

أن ما تريده يعتبر عارًا على من رباها بل

فجورًا!

أي رجلٍ سيقبل بهذا!!

لماذا لا تثورين على كل هذا وتهربي من هنا

هكذا حدثتها نفسها؛ فاشتعلت عيناها بجذوة

تمرد للحظات، وبدأ شعورها بالتمرد يزداد أمام

عينيها!

لكنه عاد يخبو بحياء أمام ثورة ضميرها!



عن أي هروب تتحدثين يا مجنونة؟؟

هروبك يساوي قتل أمجد حيا..

هنا توقف جسدها تلقائياً عن الرقص، وكان

شخصاً ما قبض عليها بالجرم المشهود!

ألقت وشحها بعيداً، ثم وضعت وجهها بين

راحتها!

إلى متى سيتحكم بها عقلها الفاسد هذا!

تعلم بأن ميولها للرقص ما هو إلا وقاحة،

لكنها تريد أن ترقص تترك العنان لجسدها كي

يتمايل بغنج!

تنهدت بقوة ثم حررت شعرها من رباطه!



وكأنها تريد أن تفعل هذا بانتزاع ضميرها
انتزاعاً من روحها كي تتحرر وتفعل ما يحلو
لها!

وكم قاسي هذا على النفس!

-مروج... هل تسمعيني!

هتفت بها لجين بصوتها الهادي وهي تطرق
باب الغرفة بهدوء؛ فزفرت مروج بسخط، ثم
هتفت دون اهتمام بأن تفتح لها باب غرفتها
الموصد من الداخل :

-نعم أسمعك.. ماذا تريد مني!

-رائف يريدك كي يصلحك!

-وماذا يريد صاحب الذراع المشوه هذا؟!



قالتها مروج بصوت قاسٍ وقد اشتعلت عيناها

بنار التمرد الذي سيطر عليها كلياً !

لم يأتِ أي ردٍ من لجين سوى صراخها باسم

جعل قلبها يقع بين قدميها :

-رائف انتظر هي لا تقصد، لا تغضب بالله

عليك!

لكن رائف لم يلتفت لها بل شعوره بالنقص

جعله يهبط درجات السلم بتعثر، فلم تشعر

لجين بنفسها وهي تطرق باب غرفة مروج

بقوة.

أسرعت مروج بفتح الباب بعينين دامعتين...



نظرت إلى لجين بندم ثم همت بالحديث لكن
كف لجين الذي حط على وجنتها بصفعه
جعلتها تشهق بقوة تزامناً مع صراخ لجين :
- أنتِ قليلة الأدب، جاء إليك كي يعتذر لكن
لسانك السليط هذا حط على كرامته، حقا
تستحقين معاملته لكو أنتِ فتاة لا تأتي باللين
بل بليّ ذراعك!

ثم لکمتها في ذراعها بغيظٍ، واستدارت على
عقبها تود اللحاق برائف الذي خرج من
المنزل مندفعاً وقد ترقرق الدمع في عينيه
وشعوره بالنقص يكاد يقتله!

فما وضعت مروج كفها على وجنتها تتحسسها
وكأنها تريد أن تزيد من شعورها بالندم!



=====

وقف يطالعهما بعينين غاضبتين،

يده في خاصرته وقدمه تهتز بعصبية،

تنفرج شفتاه ملوحًا بذراعيه في انفعال:

-وصل بك الغباء إلى هذه الدرجة يا مروان

تأتي بقدميك إلى هنا!

جز مروان على أسنانه كاظمًا غيظه، لكن سليم

تقدم خطوتين منه ثم لكمه في ذراعه بقوة

متابعًا تقرّيعه :

-ماذا كنت تريد؟، أتريد أن يعثر عليك!!! أم

تريد أن تؤذي تلك التي تحتمي وراء ظهرك!



قال جملته الأخيرة وهو يشير بسبابته نحو
صبا المختبئة خلف ظهر مروان، فتحولت
ملامح مروان من الهدوء إلى الغضب كما
نبرته :

-سليم أنت تعلم أننا سنتواجه حتمًا!

-جميل، حديثك رائع يا ابن عمي، لكن أين كان
عقلك الأجذب عندما أتيت بامرأة في يدك لم
تخشَ عليها!

قالها سليم بابتسامة ساخرة كما نبرته،
انغرست ابتسامة متهكمة على شفتي مروان
وهتف على غرار نمط سليم:

-بالطبع كنت أريد مواجهته وحدي، لكن أنت لا
تعلم سبب وجودي هنا!

عض سليم جانب شفثيه بانفعال، ثم قبض كفيه
بحركة وشت قرب انفجاره..

أشاح بوجهه يحاول لملمة اشلاء روحه من
فرط خوفه على ذاك الغبي!

خوف كاد يفتك به وبعقله المنهك!

ولحسن الحظ سبق سالم بخطوة!

فيما كان مروان يفكر بنفس الشيء، يشعر
وكأنه على المحك بل وكأنه ينتظر خيانة قدمه
كي يسقط في هوة عميقة، تجثم على صدره
حتى تزهق بروحه، وهكذا هو سالم عبارة عن
حملٍ جائم يطبق على صدورهم حتى تزهق
أرواحهم!

-أنا لا أفهم شيء!



قالتها صبا بارتجاف متشبثة بقميص مروان
من الخلف، فانتزعت سليم ومروان من
شرودهما، ينظر مروان لها بطرف عينيه، ثم
يهتف كاظمًا غيظه منها بشق الأنفس :
-لا أريد أن أسمع صوتك يا صبا، وإلا سأقوم
بتخييط فمك الذي لا يكف عن فضوله،
اخرسي...!

قال كلمته الأخيرة بنبرة أشبه بالصراخ؛
فارتدت خطوة إلى الخلف كاتمة شهقتها
بكفيها، لينظر سليم إليها بتوجس، ثم عاد
بنظره إلى مروان وقال بنبرة حادة نوعًا :
-سأخذكما إلى مكان لا يعرفه سالم، حتى ينسى
أمركما!

تتهد مروان بقوة، ثم أوماً برأسه..

وهنا ستبدأ قصة لن تُنسى!

=====

-سيد مروان رد عليّ، أين سأنام؟

قالتها صبا بغضب مكتوم، بينما مروان تمدد

على الأريكة وأغمض عينيه دون اكتراث؛

فجزت هي على أسنانها وهتفت :

-سيد مروان هل تسمعني أم أنك لا تسمع من

الأساس!

فتح مروان عينيه فجأة، ثم نظر لها بعينين

مشتعلتين، لترتد خطوة إلى الخلف تزامناً مع

هتاف مروان بلكنته :



-ماذا تريدني مني يا أيقونة الغباء أنت؟!!

جحظت عينا صبا مشدوهةً، ثم أشارت
بسبابتها إلى نفسها وقالت :

-أنا أيقونة الغباء!!!

رفع مروان حاجبه باستفزاز، ثم شبك كفيه
ووضعهما تحت رأسه وبعدها أغمض عينيه
وهتف دون أن يكلف نفسه عناء النظر لها :

-نعم وتستحقين اللقب عن جدارة...والآن

اصمتِ كي أنعم بنومٍ هادئ!

هنا لم تستطع تمالك نفسك نفسها أكثر؛ فاندفعت
نحوه بسرعة جاذبة زجاجة بكفها، اقتربت منه
ثم جثت على ركبتيها وهتفت بصوتٍ أقرب إلى
الصراخ :

-هل تعاني من زهايمر مُبكر يا سيد؟، أنا أكاد
أموت خوفاً من سالم هذا عندما تحدث عنه ابن
عمك المخيف، وابنتي جئت إلى هنا كي أعيدها
إلى أحضاني؛ فظهر سالم هذا !
زفر بسخط ثم اعتدل بجذعه مرة واحدة وهتف
ملوحاً بسبابته :

-لا أريد أن أسمع صوتك، ومن تركها من
الأساس أنا أم أنت؟، أنتِ تركتها وأنا أساعدك،
والآن لا تتحملين مكوثك هنا، وما هذا الذي
تحملينه، زجاجة قديمة، اتركيها كي لا أجذبها
منكِ و أكرسها فوق رأسك !

ثم جذب منها الزجاجة وألقاها بعيداً لتصدر
صوتاً مزعجاً جعلها تغمض عينيها لثوانٍ..



هب هو واقفًا، وأغلق سترته متجهًا إلى مكان
لا يعرفه مغممًا بسخطٍ :

-طار النوم من عيني!

ثم رمقها بنظرة نارية وصار يبحث عن مكان
آخر كي ينام فيه، فيما كانت هي تنظر إلى
مكانه الفارغ بعينين دامعتين، رغم أنه على
حق لكنها شعرت بنصل حاد أخترق قلبها
وروحها معًا فتكاد تشعر باحتضارهما، عضت
على شفثيها كي تمنع ارتجفتها لكنها لم
تستطع؛ فوضعت وجهها بين راحتها تبكي في
صمت، وكل ما تعرضت له يوجب نار لوعتها
على صغيرتها أكثر...



فيما كان هو يراقبها بابتسامة باهتة، ثم استدار
على عقبه وتمدد على الأرض لينظر إلى
السقف بعينين ذابلتين، وكل ما يشغل عقله
الآن كيف سيهرب من هنا؟

لكن وللصراحة هو يريد تطهير الماضي، كيف
سينظفه دون أن يتخلص من شبح سالم!
أغمض عينيه يترجى النوم، لكن عانده فنظر
إلى صبا خلسة، ليجدها ممددة على الأريكة
تحقق بالفراغ، فابتسم بسخرية..

يبدو أن تتأقل الجفون هو درب من الخيال!

=====

عين تريد ذرف دموعها لكنها تأبى!

قلب يئن ضاربًا صدره بقوة كي تنطلق

صرخاته!

عينان ذابلتان من فرط ما فيه!

وجروح لا تلتئم بل تزداد وجعًا، وروحه تصره

باستمرار، وُضع ملح عليهم فانتفضت تصرخ

مطالبة بالرحمة!

كل هذا كان يشعر به وهو يجلس وحيدًا في

مكان شديد الظلام كي لا يرى حروق ذراعه!

لو بيديه قدرة على محوها لفعالها!

لو بإمكانه أن يصرخ مطالبًا بالرحمة من

تتمرهم لفعال!

لو.. لو... لو...!!!!



كم تحمل هذه الكلمة الكثير من التمني، وكأنها
ببساطتها تمنحك أملا، وبنفس البساطة تخبرك
أنه كاذب!

كاذب؟!!

ما هذا الجنون... تمنحك أملا لكنه
كاذب!.. كيف?!!

نعم تمنحك أمل بيدٍ وتجذبه منك باليد الأخرى!
كلمة "لو" ما هي إلا أمنية كاذبة تريد التريبت
فقط على جروحك!

وهو يعرف كل هذا، لكنه يريد أن يرتاح، يريد
أن يتذوق طعم السلام النفسي لا مذاق الغضب
والقسوة!



وكم قاسي هذا الشعور على إنسان يريد أن
يصبح شخصًا هو في الحقيقة عكسه!!!

أبتسم ابتسامة ساخرة لخاطره الأخير... ورفع
كفه الحر ليتلمس حروق ذراعه الآخر، هامسًا
لنفسه :

-لو تعلمين أنكِ معاناتي الوحيدة في هذه
الحياة... لو تعلمين كم أبغضك على
ذراعي... وأريد أن أغمض عيني وافتحها فلا
أرى أي أثرٍ لحروق... ولا ندوب... ألا يكفيني
ما رأيته في صغر سني!... أم أن رصيد الندوب
والحروق قيد التوقف!!!!



ثم سحب نفسًا عميقًا لعل الهواء يخمد من
ثورة صدره بنار اندلعت فيه منذ زمن.. لتأتي
شقيقته وتزيد من سعيرها!...

أراد أن يصلح بينهما فردت له مصالحته بطعنة
غادرة!

=====

غضب!

هذه كلمة بسيطة تعبر عن شعور أجد وهو
يقف في منتصف المنزل كفيه في خصره
وعينيه مشتعلتين، فاقتربت لجين منه... ورببت
على كتفه قائلة:

- اهدأ يا أجد... بالله عليك لا تف..



-وكيف اهدأ وشقيقتك جرحت رائف بأبشع

الطرق!

صرخ بها أمجد بانفعال ملوحًا بذراعيه في
غضب، فأغمضت لجين عينيها كي تمنع سقوط
دموعها، لكن صوت أمجد صدح بقوة غريبة
على طبعه الهادئ :

-مروج...يا مروج...أنزلي الآن وإلا سأصعد

لكِ وستكون ردة فعلي ب.....

بُترت عبارته وهو يراها تقف أعلى السلم،

فتوقفت شفتاه عن الحديث، لتهبط مروج

بتمهل، وتتحرك باتجاهه بلامح متجهمة...

فضاقت عينا أمجد بغیظ وجز على أسنانه

بقوة...لتهتف مروج بتلعثم :



-نعم!

ابتسم أمجد ابتسامة مفتعلة، وفتح ذراعيه على
وسعهما هاتفاً بسخرية :

-نعم الله عليك يا تربية يداي!... أقسم لك بأنني
أشعر وكأن نار جهنم قد اندلعت بصدري من
تصرفك الفظ هذا!... بالله عليك كيف طاوعك
لسانك وأنت تتتمرين عليه... حتى لو كان ظنك
بأن لجين جاءت بمفردها!

عضت مروج على شفيتها بذنب أخفته بمهارة،
انفرجت شفاتها تهمّ بالتبرير... لكن أمجد جذبها
من مرفقها بقوة وهتف أمام عينيها الزائغتين :
-لا أريد أن أسمع صوتك... أنا سئمت منك ومن
تسلطك وأنفك المرفوع دائماً في

السماء.. سئمت من قلبك عديم الرحمة ولسانك
المتسلط هذا... لماذا تجرحين من أمامك دون
أن تضعي نفسك مكانه، أنا تعبت.. تعبت
منك... تستغلين حبي لك بأبشع الطرق... لكن
اليوم أنا لن أصمت على كل هذا!

ثم ألقى ذراعها بعنفٍ، فنظرت مروج له
مشدوهة من تحوله إلى شخص غاضب وثنائرا!
تعجب غريب من شخصٍ أغرب، شخص وضع
النار بجوار البنزين وسأل نفسه لماذا هبت
النار ببشاعة!

أشاح أمجد بوجهه بعيدًا عنها وكأنه يحارب
رغبته في تخفيف لهجته معها لكنه ازدرد ريقه
مرغمًا وهتف :

- لن تخرجي من المنزل لمدة

أسبوع... وستعتذرين إلى را...!

- لا لن عتذر لن اعتذر يا أمجد!

صرخت بها مروج مقاطعة عبارة أمجد، فجز

أمجد على أسنانه مغتاضاً من تمردها الوقح،

فلم يشعر بنفسه وهو يهتف بصوت أقرب

للصراخ :

- حسناً... بما أنك لا تريدان الاعتذار والرجوع

عن قلة أدبك... سيتم حبسك في غرفتك لمدة

أسبوع دون هاتف ودون حاسوب... حتى

مصروفك الشهري الذي يستنزف راتبك... سيتم

حرمانك منه لمدة أسبوعين... أغربي عن

وجهي... لا أريد أن أراك الآن!

رمقته مروج بعينين دامعتين لكنها سرعان ما
توارت خلف شعاع من تمرد كاد ينطلق من
عينيها، ضربت الأرض بقدميها ثم صعدت
السلم بسرعة!

فزفر أمجد بقوة ومسح وجهه براحتيه،
وشعوره بالتعب يكتنف روحه بأكملها!
إلى متى سيظل يعاني من مشاكلهم المستمرة..

ألا يكفيه ما فيه!

حياته صارت غريبة، لم يعد يتحمل شجارات
رائف ومروج بل مروج نفسها رغم حبه لها
لكنه يبغض تصرفاتها....

هو يعلم سبب تمرد رائف وروحه المتصدعة،
لكنه لا يعلم سبب تمرد مروج ولا ثورتها...



وفجأة تجسد أمام عينيه صورة مالك، لكنه
نفضها بسرعة عندما اقتربت لجين منه
بملامحها الهادئة... وهتفت وهي تربت على
صدره بحنان :

-لا تحزن يا أمجد.. أنت تعلم أنها لا تحسب
حساب ما تقوله!... لا تغضب أنت... وأبحث
عن رائف!

تهد أمجد بحرارة وكأنه يزيح حملاً ثقيلاً من
على صدره، وربت على وجنتها بهدوء وقد
اغتصب ابتسامة باهتة على شفثيه وهتف :

-يجب أن تعرفي شيئاً مهماً... عندما تشعرين
بالانكسار لن تتحملي رؤية أي شخصٍ أمامك
حتى لو كان أقربهم إلى روحك.. الشخص

المنكسر يريد العُزلة، الوحدة، لذلك سأتركه

وحده..

صمت لبرهة يلتقط أنفاسه، فيما كانت لجين

تنظر إليه بابتسامة صغيرة، فابتسم أجد لها

بدوره وأردف :

-هيا اذهبي إلى غرفتك وأنا سأنتظره هنا حتى

يعود!

أومات برأسها في هدوء.. ثم استطالت على

أصابع قدميها وقبلت وجنته، وبعدها رحلت،

ليتها هو بقوة...

جلس على المقعد وأسند رأسه إلى ذراعه....

حنانه يغلب قسوته فكيف سينام دون أن يطمئن

على رائف!





عيناها تجريان على ملامح وجهه، وكفها يعبث
بتلقائية في خصلات شعره!

رباه!

ما هذا الجنون!... تعبت بخصلات سليم الأمير!
أي جنون هذا الذي وضعها في نهاية المطاف
في هذا الوضع!

تأمل ملامح وجهه الصلبة وتعبت بخصلات
شعره، لا تعلم هل تتأمل ملامح سليم لمجرد
التأمل أم أنها أرادت أن تبعد الغبار عن
صورته القديمة، أرادت أن تبعد الغبار عن
صورته الجميلة التي كانت ترسمها له دائماً!



لكنها لا تعلم بأن بعض الأشياء عندما تنفض
الغبار عنها لا تتمكن من النظر إليها يكفيك ما
رأيتَه من الوجه الحديث

، لتطمس أنتَ رغبتك في نفض الغبار عن
الوجه القديم!

وهنا لم تجد بداً من المضي في ذكريات
الماضي!

ذكريات تثير شعورها بالانتهاك!!

ذكريات كانت متشحة بالحقد والحب!

جنون مرة أخرى!

حقد وحب... أي مزيج هذا!

مزيج غريب لكنه ممتع بالنسبة لها!



ليبدأ عقلها في تفسير كل منهما وحده !

حقدا!

كان يفعله سالم رغم ابتعادهم عنه!

حقداً غريباً لا تعرف من أين يأتي به ذاك عديم

القلب!

حب!

حب كان يحيط به وبوالديها...

حُبُّ ذاقَت كل نكهاته ممتزجاً بالأمان.. لكن لعلّه

بقي!

هنا انتفضت كالمحمومة على ذكرى الأمان،

تشتم نفسها سرّاً، وتبتعد عنه متجهة إلى

شرفة الغرفة لعلّ الهواء يخمد النار المشتعلة

بداخلها !

وقفت في الشرفة وأسندت ذراعيها إلى السور

تطالع السماء بعينين دامعتين ذابلتين!

لا تعلم كم من الوقت مرّ وهي تفكر في تعثرهم

بين سالم وسليم، هي وداليا كلّ منهما ضحية

لحربٍ دائمة بين الجد وحفيده، حفيد وجده!

لم تشعر به وهو يقف خلفها مباشرةً يراقب

شرودها مع نفسه بعينين التمتعنا بحنان لكنه

عاد يخبو وراء قناع تبلده، ظلا شاردين هي

في مراقبة السماء وهو في مراقبة تلك النجمة

صاحبة الجمال البسيط...

انفرجت شفتاه وهمس بصوت خفيض :



-لماذا تقفين هكذا؟ الجو بارد!

ورغم أن صوته كان منخفضاً، لكنها انتفضت بقوة، وشهقت وهي تتسارع مع أناملها كي تلف رأسها بوشاحها، انعقد حاجبا سليم مشدوهاً من تصرفها، فانفرجت شفتاه وهمّ بالتحدث لكنها تاهبت للريحيل، فأمسكها من مرفقها برفق وهتف بهدوء :

-لماذا تخفي شعرك عني... أنا زوجك!

رفعت عينيها له، ورمقته بنظرة ساخرة كما النبرة :

-بالله عليك، أنت ترى نفسك زوجي بالفعل!

رفع حاجبه بتوجس... ثم داعب ذقنها بخبث هاتفاً :



-وهل تريد ابنة عمتي أن أثبت لها بأنها

زوجتي، لدي طرق ممتعة!

بحظت عينا مليكة مبهوتة من وقاحته، تجز

على أسنانها بقوة حتى كادت تسحقها، ثم

تهتف بتلعثم ووجنتين تخضبتا بحمرة خجل :

-ما..ماذا تقول يا سيد سليم...!

التوت شفتا سليم بشبه ابتسامة، ثم هتف

بهدوء غريب :

-تريدين أن أعيد ما قلته!...أم..

وضعت كفها على فمه شاهقة بخجل؛ فترك

سليم ذراعها وأبتعد برأسه إلى الخلف تزامناً

مع هتافه :

-يبدو أن الحديث معك ممل..هيا اذهبي!!!

ثم أعطاهما ظهره واحتل هو مكانها، رمقته
بتوجس...

يبدو أن صراخه بوجهها منذ ساعات جعله
يتعامل معها بلين... وهكذا شعرت بتصرفه!
وكأنه يعتذر!

أبتسامة ساخرة انغرست على شفيتها...

وعقلها يسخر منها!

عن أي اعتذار تتحدثين؟!

هكذا حدثت نفسها قبل أن تستدير على عقبيها
وخرجت من الشرفة متجهة إلى سريرها!



فيما أخرج هو سيجارته وسحب نفساً طويلاً
منها ثم نفثه في الهواء، ينظر إلى خيوطها
وكأنه يتأمل تراقصها في الهواء!

يعلم أنه غريبٌ معها تصرفاته غريبة تارةً
غاضب وتارةً هادئ... لكن جُلَّ ما في الأمر أنه
لا يحب أن يقسو عليها، يكفيها قدرها الذي
أوقعها بينه وبين سالم!

وعندما وصلت أفكاره إلى اسم سالم تحفرت
ملامحه وهو يتذكر ما فعله هو مع مروان كي
يخفيه عن عيني سالم، لأنه وببساطة يعلم
بخطورة عودة مروان وصبا الغريبة تلك إلى
مدينتهما... لأنه يحبذ أن يكونا أمام عينيهِ.. حتى
يتمكن من حمايتهما أكثر!



تمددت مليكة على فراشها بعينين شاخصتين
في الفراغ...تتمنى النوم!

وللعجب كان سليم يحتل أفكارها، وكأنه يقف
حائل بينها وبين النوم؛ فضربت رأسها بكفها
وهمست بصوت واهٍ :

-يشغل عقلك وهو غاضب...ويحتله وهو

هادئ...يا لك من سريعة الانفعال!

=====

تسير على الشاطئ حافية القدمين، تمسك
حذائها بكفيها...شعرها العجري يتطاير بفعل
هواء البحر...تنظر إلى الأرض بعينين
دامعتين...لا ترى سوى نفسها وروحها
المنكسرة، تريد أن تصرخ بقوة...تريد أن تأخذ

حريتها... تريد وتريد... لكن ما باليد حيلة... لن
تستطيع فعل ما تريده!

أين شقيقتها؟!

لا تعلم!

لماذا تركها؟!

أيضا لا تعلم!

ولا يوجد أقبح من شعور الاشتياق المطعم
بالغدر، نتماسك وندعم ونحن نحتاج أكبر دعم!
ننكسر فنترك شظايا روحنا ونرمم روح أخرى!
نبكي ونترك دموعنا على وجهنا وتتسارع
أناملنا لنمحو عبءة غيرنا!



تتهدت بحرارة ثم وقفت مكانها ورفعت رأسها
إلى السماء تراقب القمر وكأنه يبتسم لها
بجماله!

تراقب النجوم وكأنها توعدّها بأن تزين
سماءها فيما بعد!

تتهدت بحرارة، ثم مالت بجذعها وارتدت
حذاءها بسرعة وعادت إلى بيتها بملامح
ظاهرها الهدوء وباطنها الألم!

فتحت باب الشقة بهدوء.. ثم همّت بإغلاقه لكن
صوتها صدح من خلفها مؤنبًا :

-تمارا أين كنتِ!

أغمضت تمارا عينيها بسرعة، ثم اغتصبت
ابتسامة صغيرة وهتفت بمرح كاذب :



-كنت أسرق عمي محمد جارنا، وأين سأكون

بالله عليك..كنت على شاطئ البحر!

ضاقت عينا جود بشك، ثم وقفت أمامها وهتفت

بتوجس :

-ولماذا خرجت دون أن تخبريني!، كدت أموت

خوفاً عليك... لا تفعليها مرة أخرى!

ثم احتضنت وجهها بين راحتيها...لتبتسم تمارا

ابتسامة ينقصها الصدق وهتفت :

-عُلم وينفذ يا أستاذة!!...والآن هل عفوت

عني؛ لأنني أريد أن أنام!

قالت كلمتها الأخيرة وهي تتثأب، فابتسمت

جود لها وقبلت جبينها بحنان..لتهتف :



-بالطبع تمارا...حضرت لكِ ملابس مريحة

بالداخل....هيا اذهبي!

ابتعدت تمارا عنها ودلفت إلى غرفتها...

فتتهدت جود بحرارة...ثم همست :

-يبدو أن تمارت تتألم ولا تريد أن تشعرني

بهذا...كم أنتِ حنونة يا تمارا!

زمت شفتيها، ثم سحبت حقيبتها وأخرجت

منها ما يخصها...وبعدها اتجهت إلى المطبخ

كي تعد قهوتها...

وقفت تعدها وهي تحرق بالفراغ بعينين

انكسرتا بفعل خطأ لم تكن تعرف مدى فحاشته،

تفكر وتفكر وعقلها يجذبها إلى دوامة سريعة

تصيبها بالغثيان فتهرب منها إلى أي شيء!



كل يوم يزداد شوقها أكثر... وترتفع دقات قلبها

بتمني بئس!

بئس؟!!

نعم بئس كصاحبه.. وفاحش كفعلتها.. وغدار

مثله!

وعند خاطرها الأخير انتزعت نفسها انتزاعاً

من فوضى أفكارها، لتنتبه لفوران القهوة...

-تباً لك... حتى طيفك في أفكاري مقرر!

=====

-يومان يا ابنتي ولا أعرف عنه أي شيء!

قالتها رقية وهي تخبط كفيها بفخذيها.. لتقترب

منها الفتاة وتربت على كفها :



- لا تقلقي يا خالتي... بالتأكيد سيعود اليوم!

هزت رقية رأسها برفض، ثم وضعت كفها على قلبها وهتفت بعينين دامعتين :

- قلبي يخبرني عكس هذا، أنا خائفة عليه
خائفة!

لعت الفتاة شفيتها، ثم هزت رأسها
بأسف... لتردف رقية :

- أنا قلقة عليه... لماذا لا يرد على مكالماتي...

- خالتي لا تقلقي بإذن الله سيعود إليك
قريبا... فقط لا ترهقي نفسك كي لا تمرضي!
أومات رقية برأسها دون اقتناع، ثم وضعت
وجهها بين راحتها وحدسها يخبرها بأن
مروان واقعًا في مصيبة ما!



وهذا ما يجعلها قلقة عليه!

=====

يجلس على مقعده في غرفة مكتبه...

عيناه تبرقان بشراً!

خسارته تحرق كبرياءه، روحه اشتعلت بنار

هوجاء تريد حرق الأخضر واليابس!

كيف أختفى مروان بهذه السرعة!

بالطبع سليم له يد بكل هذا، لذلك ازداد رصيد

عذابه عنده.. وازداد سعير غضبه أكثر!

هز رأسه بقوة، قم ضرب مكتبه بقبضته وهتف

من بين أسنانه :

-أشعر برائحة خائن بين رجالي والله لو

عرفته..سأقوم بقتله على الفور!

هكذا هتف بشر...وهو يقلب شكه في رأسه!

هذه ليست أول مرة يفسد أمرًا ما كان يريد

فعله!

كل خطوة يفعلها يعلم سليم عنها كل شيء،

فبالتأكيد هناك خائن بين رجاله...وسيعمل

جاهدًا كي يعرف من هو!

=====

ضمت ركبتيها إلى صدرها ودفنت رأسها

بينهما، تبكي في صمت...هذه هي حالتها منذ

أتت إلى هنا...تبكي في صمت تضحك في

صمت تتأمله هو في صمت!

هو الذي يتحاشى النظر إليها ويمتنع عن
مخاطبتها وكأنها جرثومة لا يجب الاقتراب
منهامعه حق، هي لم تقل عكس ذلك... لكنها
تشعر بالاختناق، تشعر بجثوم كل ما فعلته على
صدرها تشعر بذبول روحها يوماً بعد يوم... لا
تعلم ما ينتظرها في القادم كما كانت لا تعلم عن
قدرها أي شيء منذ صغرها...

ببساطة هي امرأة لا يهتم بها أحد بل لا أحد
يراها من الأساس!

فيما كان هو يعبت بخصلات شعره بملل، يفكر
في الهروب من هنا، لكنه يمثل لنصيحة
سليم...



لأنه يعلم أنه على حق هو تهور، فليتحمل
نتيجة تهوره إذاً، وسيقتل شعوره بالتمرد على
كل هذا...

كلما خطر على باله أنه هرب كالنساء يشعر
وكان دماء الشجاعة تندفع في أوردها لكنها
يكظم هذا الشعور بشق الأنفس!!

تتهد بسخطٍ، ثم هب واقفاً واتجه إليها!!!
جلس بجوارها على الأريكة، ثم رمقها بنظرة
ساخرة، وهتف بنبرة حاول صبغها بالرفق
لكنها خرجت من بين شفثيه ساخرة :

-لماذا تبكين؟!



رفعت رأسها ونظرت له بعينين تورمتا من
فرط بكائها... ثم لعقت شفثيها وهمست بصوت
واه :

- أبكي على عُمِرِ ضاع دون أن أشعر به.. على
روح ماتت وهي على قيد الحياة.. أبكي على
قلب تحطم إلى أجزاء صغيرة فصعب عليّ
جمعها، أبكي على طفولة مُنتهكة، علي أهلٍ لم
ارهم من الأساس.. على ابنتي التي ضاعت من
بين يدي!!!... أليس هذا كافياً يا سيدي؟!
ثم أجهشت في بكاءٍ عنيف اهتز جسدها
لأجله... فزم مروان شفثيه وعقد حاجبيه
بتعاطف....

كلماتها حملت من الألم والقهر والذل الكثير!



ولأول مرة منذ تعرف عليها يلاحظ هشاشة
جسدها، وضعف حالها، لم يلاحظ من قبل
شحوب وجهها، وذبول روحها!

أقترب منها دون شعور منه وهتف برفقٍ :

-سيدة صبا... أنا لا أعلم عنكِ أي شيء... لا

أعرف سبب شخصيتك المتقلبة ولا أعرف

أيضاً لماذا تصعبين الأمور على نفسك بهذه

الطريقة... كل ما أعرفه أنكِ تقتلين نفسك دون

أن تعطيها حق استنشاق الحياة من جديد...كم

من مرةٍ وقع الإنسان في محنةٍ وظن أنه لن

يقوى على الوقوف مرةٍ أخرى!!!...يشعر

وكان روحه قُتِلت بفعل قبح الحياة.. لا يعلم بأنه

المشترك الأكبر في قتل روحه باستسلامه دون

بذل جهد!!!...سنقع لكن بعضنا يقوم ويبعد

الغبار عن روحه ثم يكمل طريقه دون أن يلتفت
إلى الخلف... وبعضنا يقع فيتشبث ببؤسه
ويترك روحه فيشعر بعدها بموتها!!....

- أنا لم أفهم أي شيء!

قالتها صبا يبلاهة وهي تمسح وجهها بظاهر
كفها، فحفظت عينا مروان مبهتاً قبل أن
يضرب صدغيه براحتيه هاتفاً بغيط :

- ما هذا الابتلاء يا ربي... ماذا فعلت بنفسي كي
تبليني بفتاة سميتها أيقونة الغباء!!.... حرام
عليك... حرام عليك!

قال عبارته الأخيرة وهو يهز رأسه بطريقة
وشت بيأسه... فنظرت صبا له بتوجس، وهتفت
بتحشرج:



-سيد مروان... لكنتك يعصب عليّ

فهمها... فلماذا تشتمني!

-وظالما يصعب عليك فهمها كيف عرفتني بأثني

أشتمك؟!!

قالها مروان من بين أسنانه وهو يضربها

بالوسادة.. فهزت كتفيها وأشارت إلى جانب

رأسها قائلة :

-لا تحتاج إلى ذكاءٍ سيدي...

بحظت عينا مروان بتمث، ثم افتعل ابتسامه

باردة على ثغره وقال:

-ثانية واحدة وسأمسك رأسك الغبي هذا

وسأكسره بمطرقة غليظة... قوم من هنا... هيا

قومي!



ثم دفعها بقوة... فتأوهت بألم، وقالت :

-لماذا تتعامل م..

-قولت لك اغربي من وجهي... تبا لك ولغباءك!

صرخ مروان بها وهو يهددها بقبضته... فقامت

من مكانها بسرعة وركضت إلى المطبخ مغمغة

بكلمات متذمرة... فضرب مروان جبينه هامساً

لنفسه :

-شخصية غريبة... متقلبة بطريقة أغرب... تارة

تبكي وتارة تبتسم وتارة تتغابي... تجعلني أشعر

وكأنها مطرٌ سقط في عز موسم الصيف... أو

وردةً نمت في الربيع... تتناقض درجة أولى....!

ثم زفر بقوة وعقد ساعديه أمام صدره، وبعدها
بدقائق وجدها تحمل كوب شاي... واتجهت
نحوه....

وقفت أمامه ثم هتفت بتحسرج :

-تفضل سيد مروان.. أحضرت لك كوب شاي...-

رفع مروان حاجبيه بتوجس، ثم أشار بسبابته

إلى الكوب.. هاتفاً بمرحٍ فظ :

-كوب شاي مرة واحدة يا ظالمة... معدتي تكاد

تموت جوعاً وأنتِ كل ما فعلته احضرتِ كوب

شاي... تركتِ الطعام وأتيتِ بكوب شاي؟!!

-بمعنى!!-

-بمعنى اغربي عن وجهي قبل أن أفقد

أعصابي اليوم!!

قالها مروان قبل أن يعض شفتيه بقوة،
فوضعت الكوب على الطاولة وبعدها استدارت
على عقبيها واختفت داخل المطبخ!
جلست في زاوية بعيدة، ثم ضمت ركبتيها إليها
مرة أخرى....

غباء، انكسار، مُسخ مشوه لروحٍ غريبة... كل
هذا هي تعلمه عن نفسها الغريبة.....

روحها غريبة، وحياتها غريبة.. ومصيرها
أغرب...

فيما كان مروان يتأمل كوب الشاي وهو يزم
شفتيه قبل أن يخرج هاتفه من جيب سرواله
طلب رقمًا بعينه، ووضع الهاتف على أذنه،
فأتاه صوت سليم، ليهاتف مروان :



-سليم إلى متى سأظل مختفياً كالنساء، أنا أريد
أن أعود إلى مدينتي...والصغيرة لماذا لم
تحضرها!

صمت سليم لدقائق، ثم هتف ببرود :

-مروان، أخبرتك بأن الأمر ليس سهلاً كما
تظن... سالم يبحث عنك وعن من معك في كل
مكان...لن تستطيع العودة إلى المدينة...فقط
أنتظر...وبشأن الصغيرة..أنا علمت مكانها
وقريبا سأجلبها لكما...هل يوجد أي استفسار
آخر؟!

-لا شكراً لك!

-حسناً..



قالها سليم بسرعة ثم أغلق الهاتف في وجه
مروان، فنظر مروان إلى الهاتف وغمغم بغیظ

-أغلق الهاتف بوجهي..تباً لك أنت الآخر...

ثم ألقى هاتفه بعيداً وتمدد على الأريكة مرة
أخرى وشعوره بالجوع يكاد يقتله...فقام مرة
وصار يبحث عن طعام في تلك الحقيبة التي
جلبها سليم...فتحها فوجد بغيته...ليبتسم
بانتصار...وبعدها صار يلوك الطعام بنهم تاركاً

لها نصيبها!

=====

-ملیكة...أین سترتي؟؟

قالها سليم وهو يبحث عن سترته هنا وهناك،
فرفعت مليكة رأسها له، ثم هتفت وهي تهز
كتفها دون اهتمام :

- لا أعلم أي شيء عما يخصك.. لأنني لا أهتم
من الأساس!

التفت سليم بجذعه لها، ومقها بنظرة نارية؛
فازدرت ريقها ببطء، وأشاحت بوجهها بعيداً
عنه..

جز سليم على أسنانه، واقترب منها ببطءٍ زرع
الخوف بقلبها؛ فانكمشت على نفسها... وضمت
ركبتيها إليها.. فيما جثا هو على ركبتيه أمامها
ثم هتف :



-أنا أبذل قصارى جهدي كي لا أجعلك تشعرين

بالخوف... لكنك للأسف تتصورين أنني

حيوانٌ... ينتظر الفرصة كي ينقض

عليك..... لماذا تخافين مني؟!!

نظرت له نظرة خاطفة، قم حدقت في الفراغ

بعينين منكسرتين، وهتفت بابتسامة ساخرة :

-سؤالك غريب سيد سليم!!... تزوجتني بطريقة

غريبة، تربيت في قصر سالم الأمير... فكيف

تسألني هذا السؤال!

للحظة غامت عيناها بحزن لكنه استعاد

جموده... وهتف :

-قولتُ لك لي أسبابي!

-وقولتُ لك أيضا أريد أن أعرفها!



قالتها بابتسامة باهتة؛ فزفر سليم بقوة ثم
أشاح بوجهه بعيداً عنها، لتتسع ابتسامتها
ويتراقص شعاع الألم أمام عينيها مرة
أخرى... فدفنت وجهها بين ركبتيها وصمت..
عاد بنظره لها ورمقها بنظرة متحسرة سبقت
قوله :

-لن أستطيع أن أقول لكِ سوى إن زواجي
مصلحة لكِ..

نظرت له بسخرية... ثم هزت رأسها مستهزئة،
تبتسم، تعبت، وتضيف بسخرية :

-وهل تأتي مصلحة من وراء رجل لا يستحق
شرف الكلمة؟!
=====

الفصل الخامس



زأرت فضيتاه، وبهتت ملامحه وكان الدماء قد
سُحبت من وجهه؛ فلم يشعر بنفسه وهو يهدر
بصوت هز جدران الغرفة بما فيها :

-مليبيبيكة، عن أي شرف تتكلمين؟!... أنا لا
أستحق شرف كلمة رجل!!...حسناً سأثبت لك
أنني أستحقها... يبدو أن الهدوء لا يجدي نفعاً
معك!!

رفعت عينيها إليه بسرعة،
ملامحها اعترأها خوف سافر، ارتجفت
شفتاها بقوة ناسبت قوة انقضاض سليم
عليهم، صرخة مكتومة خرجت من بين شفتيها

لكنه لم يبتعد عنها بل عبثت أنامله في حجابها
بشيء من العنف، وزادت وتيرة غضبه فكاد
يسحق شفيتها بشفتيه وإهانتها له تدوي في
أذنيه كالناقو، بينما هي صارت تضربه بكلتا
كفيها في صدره، وبدأت دموعها
تتساقط وجسدها ينتفض كالمحمومة !
شعر هو بكل هذا رغم ثورته، أبتعد بجسده
عنها في عنف وكأنه يسليخ نفسه سلخاً عنها..
أبتعد وتراجعت ثورته أمام مظهرها المنهار،
شعور بالندم اكتتفه كلياً، لكن إهانتها عادت
تدوي في أذنيه دون توقف، فهتف بصوت
قاسٍ مغلف بالندم وهو يلقي حجابها في
وجهها :



-للأسف، لن أكون حيواناً مهما حدث... ما فعلته الآن ما هو إلا رد مناسب لإهانتك، وبإمكاني فعل المزيد... لكنني وللأسف لن أفعل هذا... ليس ضعفاً بل رجولة!

صمت لبرهة، ثم أكمل بسخرية :

-رجولة قولت أنني لا استحقها... وعلى ما أظن وجهة نظرك في طريقها للغير!

وبعدها خرج من الغرفة بخطواتٍ مندفعة دون

أن يهتم بصرختها القصيرة وحالها المنهار،

فقط ما يهمه الآن أن يختلي بنفسه، يريد

الاختلاء ويريد وضع النقاط على

الحروف، يبدو أن "حربه" معها ومع قلبها

ستكل بالفشل!!!

وهو يعلم كذلك منذ سنوات!!!

صفق باب الغرفة بقوة.. واندفع إلى الغرفة
المُظلمة.. غرفة تحمل له الذكريات ويحمل لها
الحُب والحنين!

بينما هي ارتجف جسدها وانفرطت دموعها،
فانهمرت دموعها دون توقف وكأنه نهرٌ انفجر
لتوه، تحسست شفثيها المتورمتين بحسرة
وشيء من كره بدأ ينمو داخلها..

أليس هي من أهانتة؟!، وبثقت في وجهه أبشع
الإهانات...

نجرح ونكسر دون شعور وندعي الظُّم و
الإنكسار، نحن عبارة عن عود من كبريت،
نشعل النار وبعدها نحترق بنارنا!!



وهكذا هي... تشعر بالانتهاك والكره باتجاه من
حماها من أبشع إنسان على وجه الأرض،
لكنها تتغاضى عن كل هذا ويبدأ عقلها في
التسلط، فرض أفكاره المسمومة واستحسن
الجرح بل استحسن أبشع الأشياء... الخداع!!!
-حسناً يا سليم... يبدو أن الجبن جعلني سهلة
المضغ تحت نابك الأسود..

هكذا همست لنفسها وهي تمسح وجهها بظاهر
كفها في عنف... وزمت شفيتها المتورمتين كي
تمنع ارتجافتهما... وصارت تلملم شعرها بشيء
من النفور من لمساته له.... وبعدها دلفت إلى
الحمام وكما يبدو أن فكرة الخداع نالت
استحسانها!!!

=====

ولج إلى غرفة الذكريات غرفة شديدة البرودة
في سكونها الغريب، رائحتها توحى بعدم دخول
الشمس لها منذ سنوات، ستائر
سوداء.. وسرير معلق على أحد أعمدته حبلاً
سميماً... والعمود المقابل سوط سميك لونه
أسود....

جلس على مقعد يجاور السرير كي يستطيع
مراقبته.... أو بالأصح يستطيع نكأ جرح قلبه
المسكين...

يسقط قناع البرود ويبقى وجهه الصادق...
وجه متألم وعينان تدمعان كلما وقعت عيناه
على السوط، دموع تظهر في عينيه لمدة غير
محسوبة وسرعان ما تختفي، تختفي ويختفي

معها كلّ قسوته... يختفي سم سالم من طبعه

ليظهر سليم النقي!

نقاء تعكر بواسطة ضارية لم يشعر بأنه نسخة

مُصغرة منه مع اختلاف الطباع...

هو يحمي الجميع من بطش سالم ولم يبطش

هو بهم مثله!، عندما وصلت أفكاره إلى خاطره

الأخير التوت شفتاه بشبة ابتسامة ساخرة

متشحة بالألم، حديثها المسموم أصاب الهدف،

أصاب كبرياءه فأنقض عليها كي يثأر لنفسه..

جرح وراء جرح لا يتبقى سوى أن يصرخ قلبه

مطالبًا بالرحمة، جروح يزداد ألمها مع كل

ذكرى وكل كلمة يسمعها بأذنيه.. تنهد سليم

بقوة.. ثم عاد برأسه إلى الخلف مسندًا إياها

إلى المقعد وتلك الأصوات المتداخلة تعاود

مداهمتها له، لكن صوت طرق عفيف على باب
الغرفة أنقذه، فقام من مكانه والقلق يعتريه..
فتح باب الغرفة عاقداً حاجبيه بتوجس، فلم يكد
يفتحه كلياً حتى وجد داليا تهتف بعينين باكيتين
-أدرك مليكة يا أبني، تصرخ في الغرفة بطريقة
غريبة... حاولت فتح الباب ووجدته موصل من
الداخل!

عقد حاجبيه بقلق حقيقي، واختلجت عضلة فكه
بشكلٍ ملحوظ... قبل أن يزيح داليا برفق
يناقض اندفاعه بخطوات مُسرعة يكاد يعدو!
وصل إلى باب الغرفة والقلق يسيطر على قلبه
بشراسة وصوت صراخها يصله واضحا فحط
عليه كسوط لسعه بوحشية، فلم يشعر بنفسه
وهو يطرق الباب بعنف :

-ملیكة... ردي عليّ... ملیكة ماذا حدث؟

لكنها لم تتوقف عن صراخها بل زاد أكثر،
فأمسكت داليا بذراع سليم وهتفت بدموعٍ
تنهمر بشراسة..

-سليم... أكسر الباب يا أبني... أرجوك... ابنتي
تتألم!

نظر سليم لها بتشتت، قبل أن يبتعد بجسده إلى
الخلف وهمّ بكسر الباب لكنه فُتح وظهرت من
خلفه بمظهر جعل قلبه يقع بين قدميه.. جحظت
عيناه مصدوماً، فالمشهد كالاتي....

ملابس ممزقة بطريقة توحى بأنها تعرضت
لاغتصاب... ووجهها مزين أصابع وكأنها أثرٌ
لصفعات... شعرها مشعث... و... وشفتيها
متورمتين... ولم يجد شيئاً صادقاً في مظهرها

سوى تورم شفيتها والسبب كان هو... للحظة
شعر وكأن دلو من الماء البارد قد سكب عليه
وهو يفهم ما تنتويه... بينما داليا ضربت
صدرها بكفيها... وصرخت صرخة قصيرة
سبقت قولها بلوعة :

-ملیكة من فعل بك هذا؟!!

نظرت ملیكة لها بعينين دامعتين... وجسد
يرتجف... فهمت بالنحيب لكن سليم اندفع
نحوها ودفعها بشيء من العنف إلى الداخل فقد
لمح الخادم يصعد درجات السلم بسرعة على
إثر صراخها... دلفت خلفه داليا التي أغلقت
الباب بأحكام خلفها.. تزامنا من همس سليم
بجوار أذن ملیكة بفحيح :

-تصرين على أثاره غضبي!!

رفعت عينيها إليه ترمقه بحقد وكره... فقلّبت
داليا نظرها بينهما بتوجس وقلب يتألم من
مظهر أبنتها...

الخادعة!!!

خادعة وكاذبة...

هتفت داليا وهي تشير بسبابتها المرتعشة إلى
أبنتها :

- ما هذا المنظر يا مليكة!!!... من فعل بكِ هذا؟!!

همت مليكة بالتحدث لكن سليم جز على أسنانه
بقوة وجذب غطاءً وأخفى جسدها به.. ثم هتف
بنبرة اصطبغت بالوعيد :

- لا تقلقي يا عمتي.. أنا سأفهم منها ما حدث!!!

- ستفهم مني ما حدث... وأنت من فعل بي هذا؟!!

هتفت بها مليكة وهي تصرخ بقوة ناسبت
ارتعاد جسدها وكان ما قالته حدث بالفعل،
جحظت عينا سليم مبهوراً وقبض كفيه بقوة
وشت بغضبه وغيظه منها.... فيما شهقت داليا
بقوة... وهي تضرب فمها بحركة وشت بمدى
بشاعة ما تهتف به تلك الخادعة :

-يا الله!!، ماذا تقولين يا غبية.. سليم فعل بك
هذا!

رمشت مليكة بعينيها وهي ترمق سليم بتحدٍ
وقد راقها صدمته منها... فانفرجت شفتاها
وهتفت بنبرة متهدجة :

-نعم يا أمي فعل بيّ كل هذا... وتركني في
الغرفة وح.....

-اخرسي!

هدر بها سليم مقاطعاً إياها وهو يجذبها من
مرفقها بقوة حتى كادت تسمع صوت عظمها
بين قبضة يده... نظرت له نظرة التمتع بشعاع
من الحقد اندفع نحوه دون أن يخطئ في
تصويب هدفه... فأصاب قلبه وقد صدق حدسه
بما كانت تنتويه... فشعر بقبضة باردة
اعتصرت قلبه وهي تهتف من بين شهقاتها
المُفتعلة :

-أمي بالله عليك أنا لا أريده يا أمي... سليم
دائماً يقوم بضربي ويجبرني على أشياء أخجل
من ذكرها!

رفعت داليا حاجبها بتوجس... وقد توقفت
عيناها في ذرف دموعهما.. وحدسها يخبرها

بثمة شيئاً ما خاطئة... فهتفت بحذرٍ وهي تشير
إلى خد مليكة:

- أنا لم ألاحظ أي أثرٍ لضرب في الأيام
السابقة... وسليم من المستحيل أن يرفع يده
عليك وأنا واثقةٌ من هذا!
تجمدت مليكة مكانها وتيبست أناملها الممسكة
بطرفي الغطاء الذي وضعه سليم على جسدها
كي يستره..

رمقت أمها بصدمة من تكذيبها، هل فشلت في
حبكة خداعها، أم أن سليم عند داليا شخصاً
آخر غير ذاك الذي تعرفه حقود... وغد..

انفرجت شفاتها تحاول زيادة وتيرة
انهيارها... لكن سليم هتف بلامح جامدة رغم



بروز عروق رقبتة واحمرار وجهه بمظهر
وشى بمدى غضبه منها :

-عمتي بعد إذتك اتركينا...أنا ساحل هذه

المشكلة!

التفت داليا له بعينين غريبتين...لكنها هتفت
وهي تجذب مليكة من مرفقها :

-لا يا سليم...أتركها ليّ اليوم ف..

-عمتي بعد إذتك اتركينا!!

هتف بها سليم بنبرة شبة صارخة مقاطعاً
حديث داليا وقد بدأت أعصابه في الانفلات
فارتدت داليا خطوة إلى الخلف وارتجف جسد
مليكة بصدق هذه المرة..تتفرج شفتاها وتهمّ



بالتحديث، التشبث، لكن رد داليا جعل الحروف

تذوب على شفيتها :

-حاضر يا... "أبني"

قالت كلمتها الأخيرة بنبرة ذات مغزى وهي

ترمق مليكة بنظرة آسفة جعلت مليكة تشيح

بوجهها بعيداً وتجذب ذراعها من

سليم...فالتقطت أذناها صوت غلق باب الغرفة!

ازدردت ريقها تبتلع غصتها مرغمة...فيما كان

سليم يرمقها بأسفٍ مغلف بالنفور من

فعلتها...فهتف باشمئزاز :

-هل أنتِ راضيةٌ عما فعلته بنفسك؟!!!

لم تجبه بل أطرقت برأسها وتراجعت خطوتين

إلى الخلف محاها سليم وهو يرمقها بنظرات

ناريه... يحتكر ذراعيها بين قبضتيه تزامنا مع

صراخه :

-تضربين نفسك وتمزقين ملابسك كي تتهميني

هذا الاتهام البشع... ألم تخجلي من نفسك وأنتِ

تلقين اتهامك المخجل عليّ!!... يبدو أنكِ تعانين

من مرضٍ نفسي... لا يوجد امرأة تتهم زوجها

كما فعلتِ... بصراحة!!

صمت لبرهة يراقب ملامح وجهها التي اكتست

بخوفٍ خالص، هذا الذي لاحظته سليم وهو

يرمقها بنظراته النارية، فانفرجت شفتاه بقوة

وأردف باستحقار

-سقطي من نظري... من تفعل بنفسها هذا

وتدعي الكذب لا تستحق تلك المكانة

المخصصة لها... أنتِ جبانة وما فعلته منذ

دقائق أكبر دليل على هذا مجرد فتاة... مسلوقة

الإرادة معدومة الكرامة.. لذلك لا أنتِ لا

تستحقين مكانتك عندي!!!

ثم ألقى ذراعيها بشيءٍ من العنف... واستدار
على عقبيه متجهاً إلى السرير، ارتجفت شفتاها

بقوة واختلجت عضلة فكها بتأثير... فاعتدلت

في وقفها ونظرت إلى مظهرها!

مجرد فتاة قبيحة الأخلاق والتصرف فعلت

بنفسها أبشع الأشياء واتهمته أبشع اتهام.. لكن

شيطانها عاود تراقصه أمام عينيها.. تلتمع

العينان بتشفي..

فسول لها عقلها بأن ما ستلقيه عليه الآن هو

الحل الوحيد:

-أنا أريد الطلاق...أنا أحب غيرك..ولا أظنك
ستتركني على ذمتك...يا...وسام..الرجولة
حسناً ها هو السهم الثاني يصيبه في
مقتل...انتفض من مكانه وهب واقفاً ليندفع
نحوها وقد التمعت عيناه بغضب أسود..للحظة
شعرت بالخوف يندفع في أوردتها تتوقع سبه
بذئئه او صراخ عنيف..لكن رد فعله كان أكثر
مما توقعت..صفعة مدوية على خدها ليصبح
ادعائها حقيقة..وليس خداعاً!!

=====

وقف في ورشته يعمل بفكرٍ شارد وعينيه
زائغتين..صوت المطرقة يدوي في أذنه كمثال
لضغوطات حياته..يشعر بالتعب بعد سنوات
كثيرة، تحمل تعب هذا ودلال تلك..تعليم هذا

وجبر خاطر ذاك... وهو لم يكن يهتم بنفسه بل
أنه لم يهتم سوى بهم.. فأصبح الآن عبارة عن
شخصٍ تائه بين مشاكلهم!!

تأفف بسخطٍ من ذاك الصوت المزعج المنطلق
من مسجلٍ يحمله صبي يعمل تحت يديه... فألقى
المطرقة بشيء من العنف.. ليهدف :

-خميس... أطفأ هذا العويل!!

التفت خميس له بابتسامته البهاء... وهز كتفيه
دون فهم قائلًا :

-عويل... هذا ليس عويلا يا "معلم" هذه

مهرجانات شعبية!!... تطرب الأذن!

هز أمجد رأسه ساخرًا... وعقد ساعديه أمام

صدره... هاتفاً باستهزاء :

-تطرب الأذن يا عديم الذوق... هذا يدعى عويلاً

يصيبني بالطرش بل والتلوث السمعي... أطفاه

يا خميس وإلا سأكسره لك!

غمغم خميس بعدة كلمات متذمرة تحت نظرات

أمجد الحادة... أغلقه وهمّ بالعودة إلى

عمله... لكن نداء أمجد جعله يذهب له ممتثلاً

له.. فهتف أمجد ممسكاً بقميص خميس :

-كم مرة قولتُ لك يا عديم الذوق بالأ تناديني

ب... "معلم" هل أجلس أمامك ممسكاً فخذ

خروف لاسمح الله... أنا أسمى الأستاذ أمجد!

فغر خميس شفثيه بعدم فهم.. وهتف بغباء :

-كيف.. يا معل.. أقصد يا أستاذ أمجد... أنتَ تعمل

في ورشة فكيف سأناديك بأستاذ أمجد!!

-وما شأنك أنت يا عديم الذوق...قولتُ لك
ناديني بأستاذ....اللقب يعجبني.. هل يزعجك
هذا بعيد الشر!!

قالها أمجد وهو يهز قميصه بعنف..فزِم
الصبي شفثيه..وهز كتفيه ببساطة هاتفاً بعدم
أهتمام:

-كما شأت...

فتركه أمجد كي يرحل، ليستدير مغمغماً بكلماتٍ
سمعها ذات مرة من أمه وهي تجلس مع نساء
الحي تحدث عن هذا وهذه:

-المجانين في نعيم!!!

-تعال يا قليل الأدب تعال....

هتف بها أمجد وهو يهز رأسه بوعيد، صاحب
عصا خشبية من تحت قدميه..فالتفت الصبي له
وهتف باعتذار بعدما اكتست ملامحه بخوف
طفولي :

-لا يا أستاذ...أنا آسف لن أترك لساني يتناول
مرة أخرى..!

ثم ركض خارج الورشة ركضاً إلى
بيتهم..فابتسم أمجد رغماً عنه..وعاد إلى عمله
مرة أخرى، وعادت دوامته في جذبه قسراً
إليها... ذراع يرتفع بمطرقة ويحط على
الحديد بقوة...

عرق يتصبب من جبينه دون توقف وأشيأ
بمدى تعب..يومه أصبح مملاً...لا يهون أي
شيء قساوة يومه...



تتهد بقوة وقد التوت شفتاه بشبه ابتسامة
ساخرة... والتمعت عيناه ببريق غريب... لا يعلم
سببه..

-سيد أمجد هل يمكنني التحدث معك؟!!

صوتاً رقيقاً إنطلق من خلفه كلحنٍ ماجن لكنه
لم يهتم... بل وضع مطرقته جانباً... ثم التفت
لها مجففاً كف تلو الآخر في قطعة من القماش
تلطخت باللون الأسود... هز رأسه متقبلاً ثم
أقرب منها مشيحاً بنظره عنها كي لا يرى ما
فعلته بنفسها!

فقد كانت ترتدي عباءة شديدة الضيق وتكلفت
في زينة وجهها... تبتسم بغنج وتقف بوضعٍ
غريب... تتحنح أمجد بحرج.. ثم هتف دون أن
يكلف نفسه عناء النظر لها :

-ماذا تريدني مني...يا ست صباح!

ابتسم الوجه المتكلف في زينته...وتمايل
جسدها بطريقة أثارت نفوره...لتهتف صباح
وهي تمد كفها نحوه :

-أريدك سالماً يا أمجد...أنا جنّت كي أطمئن
عليك!

رفع أمجد حاجبه بتوجس..ونظر إلى كفها
الممدود باشمئزاز ممتعاً لمصافحتها...
يهتف مستهزئاً :

-وهل أخبرك أحدٌ بأنني أعاني من نزلة برد؟!
عضت صباح على شفّتها بخجلٍ ولهجته
جعلتها تشعر بمدى يأسه منها ونفوره، فعدلت
من موضع حجابها الغريب وقالت:



- لماذا تعاملني بهذه الطريقة!!... ماذا فعلت

لك؟!.. أنت تعلم حقيقة مشاعري نحوك!

ارتفع حاجباه مبهوراً من صراحتها... وذابت

الحروف على شفثيه، فاعترافها أقرب

للوقاحة، لذا يجب عليه طرق الحديد حال

سخونته...

ضم قبضتيه بحركة وشت بمدى غضبه من

وقاحتها، ليهتف بملامح متبلدة مناقضة

لطبيعته نهائياً :

- سيدتي هذه ليست أول مرة تعترفين بهذا

الشيء... وفي كل مرة أرح كرامتك

بتهديب... فهل تريدان جرح كرامتك بطريقة

أخرى!!?

امتقع وجه صباحٍ بشكلٍ ملحوظ... وتيبست
ابتسامتها البهاء على شفثيها الممتلئتين،
يحمر وجهها بانفعال قبل أن ترمق أمجد بنظرة
أسفة وعينين دامتين وبعدها رحلت!!
رحلت ككل مرة... وكل يوم تأتي إليه بمظهرها
الفظ بالنسبة له وتبدأ في غنجها حتى يجرحها
بتهديبٍ كي تشعر بقليلٍ من الحياء فهو شخصٌ
لا يحب العبت، طريقة كالمسطرة لا يحب أن
يطوله أي غبار سببه العبت..

تتهد للمرة الألف بل المليون في هذا اليوم
الغريب... ثم قرر مغادرة الورشة لعله يجد
رائف قد عاد إلى البيت بعد غيابه
المقلق... وعند هذا خاطر اكتست ملامحه

بالقلق... فأسرع كي يعود إلى المنزل وهو

يدعي بتضرع كي يجد رائف هناك!

خرج من الورشة سترته معلقة على ذراع

والذراع الآخر جذب شيئاً يندفع إلى الأسفل كي

يغلق الورشة كلياً... وبعدها اعتدل في

وقفته... يرمق حذاءه الذي تمزق جانبه بشكلٍ

مثير للشفقة، زم شفتيه فبدأ كخط

مستقيم... ليهمس لنفسه متحسراً :

- لا لن أستطيع شراء واحداً آخر... فراتبي قد

استنزف بفعل مصاريفهم!!!.. الحظ يعرف

أصحابه!

أبتسم ساخراً... ثم ارتدى سترته المهترئة

وكانها تعبت من كل هذا كروحه!

رغم أن لجين ومروج ورائف يرتدون أحسن
الملابس وطبعاً هو المصدر الأكبر لكل هذا... إلا
أنه لا يتذكر أنه ذهب إلى محلٍ كي ينتقي
ملابس جديدة... لا ثانية تحديداً منذ ما يقارب
السنين... لم يرتد أي ملابس جديدة.. راتبه كله
يذهب إلى إخوته بنفسٍ راضية!

ومع وضع ألف خط تحت نفس راضية سيتضح
الأمر..

ببساطة هو لا يهتم لمظهره أمام الناس بل
يهتم بمظهرهم هم، ولعل هذا ما يجعله عبارة
عن خرقة مهترئة يقذفها هذا ويلفظها ذاك!
وللمرة الثانية التوت شفتاه بابتسامة ساخرة،
وهز رأسه مستهزئاً بنفسه!!

حنون، مهذب، لا يرضيه العيب، متسامح، كلها
صفات جميلة لكنه يعلم أن هناك في زاوية
مظلمة من روحه يكمن وحشٌ شرساً مكبلاً
بجبال صبره وتحمله... فلو خرج سيحرق
الأخضر واليابس!

توقفت قدماه أمام باب منزلهم ومعها توقفت
أفكاره... دس كفه في جيب بنطاله وأخرج
المفتاح...

ولج إلى الداخل فقابله السكون والهدوء
والظلام الذي أحاط المنزل بأكمله... فانعقد
حاجباه وهتف وهو يتحسس الحائط كي ينير
النور:

-لجين.. أين أنتِ.. لماذا كل هذا الظلام يا
لجين... يب..

بُتِرَت عبارته عندما انغلق باب المنزل دون أن
يغلقه هو فتجمد مكانه وهو يشعر بوقوع
خطوات تقترب منه في هذا الظلام... فلحق
شفتيه وهتف ملوحاً بسبابته وكأنه يرى من
أمامه :

- أن كنت سارقاً... فلا تستغل الظلام وأظهر إلى
النور كي أصافحك وأجبر بخاطرك لعدم وجود
أي شيءٍ للسرقة... فحالتنا يرثى لها يا صاحبي
والله!

كلماته كانت تخرج من بين شفتيه كمزاحٍ
حقيقي لكنه كان يحارب القلق الذي كان ينبش
بقلبه من هذا الظلام الغريب، وصوت الخطوات
يقترُب ويقترُب... فالتفت يمينا ويساراً... لتلتقط

أذناه صوت ضحكات خشنة..تزامناً مع هتاف

يعلم صاحبه :

-أفسدت الخطة يا أمجد...لماذا تفعل بي هذا

بالله عليك!؟!

ثم أنار صاحب الصوت الأنوار...فغشى النور
عيني أمجد ليرمشهما قبل أن ينظر إلى صاحب
الصوت صارخاً بصدمة :

-مااالك!!!

أبتسم مالك ابتسامة حقيقة..ثم أقترب من أمجد
واحتضنه بقوة. ناسبت قوة تشبث أمجد
به...فهتف مالك بصوت متهدج :

-اشتقت لك يا أمجد..رغم ما دار بيننا منذ
سنوات....إلى أنني أردتُ أن أنعم بحضنك

الدافئ ولو للحظات وبعدها سنعاود

الشجار... أو ستطردني من المنزل كالمتسولين!

انطلقت من بين شفتي أمجد ضحكة قصيرة

صادقة.. وشدت ذراعيه حول مالك شاعرا بمدى

اشتياقه له... فصمت مالك هو الآخر محترماً

صمته... ليظلا متعانقين... كلُّ منهما يتشبث

بالآخر وكأنه طوق نجاة لوح لهما بعد طول

انتظار...

قطع أمجد هذا الصمت بقوله وهو يبتعد عن

أمجد يحاول كظم مشاعره المفعمة بالحنان

والاشتياق :

-أصبحت كاللوح يا مالك... أشعر بتغير جذرياً

لك.. وما هذه النظارة هل ضعف نظرك، أين

عيناك يا رجل..

أبتسم مالك ابتسامة صادقة، ثم رفع أنامله
وأبعدها عن عينيه ليظهر جمالهما الطبيعي
والجذاب... فعيناه عبارة عن أسطورة... تلتمع
ببريقٍ أخاذ... لونهما يزرع الراحة بقلبك من
وجهة نظره أنه لا ينعم بأي إيجابيات في
مظهره سوى عينيه..

فيما كان أمجد يحاول رسم التبذ على وجهه
بشق الأنف كي لا يبدو لمالك بأنه قد صفح
عنه و عما فعله... لكن سؤالا منطقياً طرح نفسه
في عقله... ترجمه لسانه فوراً ملوحاً بسبابته
في تهديد

-كيف دخلت إلى البيت وشقيقتاي يجلسان
وحدهما... آه يا عديم الأدب يا منحط... يا عديم
الضمير يا...



أسرع مالك بوضع كفه على فم أمجد ثم همس
من بين أسنانه :

-أشعر بقليلٍ من الوقاحة المستحدثة
عليك... أطمئن يا أمجد.. لجين و شقيقتك
الأخرى ذاهبا إلى سطح المنزل كي أستطيع ان
أنفذ خطتي..

هز أمجد رأسه بفهم... فأبعد مالك كفه عن فم
أمجد، لينظر أمجد له بعينين ضاقتا بتفحص
وهو يرى امتقاع وجه مالك فور هتافه بجملة
شقيقتك الأخرى .. فهتف بحذر :

-هل رأتك!!

ازدرد مالك ريقه بارتباك.. ثم أشاح بوجهه
بعيدا... ليهتف بصوت جاهد كي يخرج متنزناً :



- عن تتحدث!

ضحك ساخرة انطلقت من بين شفتي
أمجد.. وحاجبين انعقدا بتوجس.. ليهتف ملوحاً
بكفه ساخرا :

- أنت تعلم يا مالك عن أتحدث... لا تكن بريئاً
وتدعي عدم الفهم...

ازدرد مالك ريقه مرة أخرى... ثم عاد بنظره
إلى أمجد بعينين زائغتين كطفل مذنب.. ليهتف
بصوت متحشرج :

- نعم يا أمجد رأيتها... ولم استطع مواجهتها
وهي ترمقني بنظرات مستحقرة!

- حقها على ما أظن؟!... أم أنك ترى العكس!



قالها أمجد بلامح هادئة.. وحاجب ارتفع
بتوجس... ليhez مالك رأسه مسترسلا حديثه
المرتبك :

-هي لن تنسى... لا أعتقد ان الأمر كان بهذه
البشاعة!

ضحكة ساخرة اخرى خرجت من بين شفتي
أمجد قاسية على ذاك المسكين المرتبك من
حرج الموقف.... ليهدف أمجد مؤنباً :

-ضع نفسك مكانها يا مالك، وأخبرني هل
ستتحمل بشاعة الأمر ام لا... وكُن صادقاً
أرجوك!!

زم مالك شفتيه بقوة شاتماً نفسه لضعفه الذي
أتى به إلى هنا.... أتى بعد طول اشتياق لصديقه
الوحيد، أتى وهو يعلم باشتياق أمجد له هو

الآخر وكما تخيل المشهد... عناق
دافئ... وكلمات مازحة في بادئ الحوار
وبعدها ستقف فعلته أمام عيني أمجد كساتر
يمنعه من المضي أكثر في ترحيبه
واشتياقه.....

وهل سيقف أمجد في صف شخصا جرح
شقيقته!

بالتأكيد لا...

بينما أمجد كان يفكر في نفس الشيء... يحارب
شعوره بالاشتياق ويحارب قلبه الملعون الذي
يحسه على العفو... فتصدى العقل لكل هذا...
وهتف بشراسة :

- لماذا أتيت يا مالك!!! -



بهتت ملامح وجهه... وعينيه بصفائها تعكرت
بغمامة من الألم... ليهتف مالك وهو يعدل من
موضع سترته :

- أعذر شخصاً يتيماً ليس له أقارب ولا
أحباب.. سوى صديق بمثابة أخ... فقد طال
الخصام بيننا... وطال الفراق... فباتت نار
الاشتياق تؤلم قلبي يا... صاحبي!
كل كلمة نطق بها كانت تقطر ألماً... فأكتست
ملامح أمجد بألم حقيقي فقد تمكنت عاطفته
الحنونه من اكتساح مشاعره الآن... ليطرق
أمجد برأسه مشبكاً كفيه وراء ظهره...
فهتف مالك وهو يعيد نظارته مكانها.. بنبرة
حملت بين طياتها اعتذار صادق :



-لن أفلها مرة أخرى يا أمجد... أنا استجبت
لرغبتى فى عناقك... أنا آسف!
ثم تحركت ساقاه متجهاً إلى باب
المنزل... بلامح متجهة كارهة لما
فعله... سافر مخصوصاً كي يرى أمجد ويحصل
على عناق...
جنونا هذا ام ماذا بالضبط.. وضع كفه على
مقبض الباب يهّم بفتحه... لكن صوت أمجد من
خلفه قطع ما يفعله :

- أنتظر يا هذا.. لماذا تبدو حزينًا، ماذا حدث!
رغم أن أمجد هتف بها بنبرة أقرب
للبرودة... لكن كلماته ناقضت ما يتظاهر
به.. فالتوت شفتا مالك بشبه ابتسامة سرعان



ما اختفت وانغrust غيرها باهتةً على

ثغره.. ليهتف وهو ينظر إلى الأرض :

-نعم... وأريد دعمك... كل ما وصلت له ما هو

إلى ملح يزيد جروحي وجعاً... تعبت...

ثم تنهد وهي يهز رأسه بتعبٍ حقيقي.. فتحرك
أمد بعينين التمتعاً بحنانٍ.. ففي نهاية المطاف
مالك بمثابة شقيق...

وقف على بعد خطوة منه.. عيناه ترمق ظهره

المنحني وكان حملاً جاثماً قسمه إلى

نصفين... هو يعلم جيداً أن مالك يعاني من

جروح بات شفاؤها مستحيلًا... لكنه سيلجم

شعوره بالسخط والغضب نحوه.. ويترك حنانه

يتصرف بكل هذا.. فربت على ظهر مالك برفق

وهتف مبتسماً ابتسامةً هادئةً صادقةً :

- تعال معي يا مالك... سنذهب إلى مكانٍ لعكّك
تشعر بالراحة... الحديث هنا لن يصلح أبداً!...
لعق مالك شفّتيه المتيبستين، وأوماً برأسه
صاغراً ولم ينبس ببنت شفة..
فخرجاً معاً من المنزل...

شعور كلّ منهما يضاهي الآخر في مدى

صدقه...!!!

=====

وهنا كان شعورها يضاهي شعورها بل أقوى،

شعور كنصل حاد يمزق قلبها وروحها دون

رحمة...

خطان من الدموع سقطا على وجنتيها وشفّتيين

مرتجفتين، بهتت ملامح وجهها حد

الشحوب... وارتعد جسدها وذكرى ما فعله تعود
وتتراقص أمام عينيها الدامعتين وكأنها تقسم
لها بقتلها حية... روحها تصرخ وقلبها يئن...

لماذا عاد!

ولماذا رآته... عاد بابتسامة باردة تعلم
حقيقتها... ابتسامة جعلتها تنظر إليه مبهوتةً
لأول وهلة ثم ركضت خارجةً من المنزل
وخلفها لحين تحاول اللحاق بها...
لجين التي كانت تستند بذراعيها إلى
السور... تراقب حالة مروج بعينين
مشفقتين.. رغم غضبها منها بشأن ما صدر
منها تجاه رائف لكنها تعلم بما تشعر به الآن
من انكسار وألم... وما زاد خوفها أكثر بكاءها
الذي ترتفع وتيرته من أنٍ لآخر، فزمت شفيتها

تحاول البحث عن حديث... فانفرجت

شفتاها.. وهتفت بنبرة حادة نوعاً :

-كفاكِ بكاءً يا أستاذة.. لماذا تبكين...!؟!

سؤال غبي.. وهي تعلم..

التفتت مروج إليها بوجه محمر... وعينين

سقطت الدموع منهما كمطر غزير... لتضرب

صدرها بقبضتها هاتفةً بحرقة :

-تتسألين عن سبب بكائي... لا تشعرين بالنار

التي تكاد تحرق روحي دون رحمة.. تسألين

عن بكاء يعبر عن مدى حرقة قلبي... أم تسألين

عنه هو.. عن ابتسامته الباردة وهو يطالعني

أنتِ لا... لا تشعرين بجرحي.. لا تشعرين!

عضت لجين على شفيتها بحزنٍ حقيقي.. فكل
كلمةٍ نطقت بها بحرقه كانت صادقة.. صادقة
بدرجة كبيرة... لتتنظر إلى مروج المنهارة
وتهتف بلطف وهي تربت على كتفها :
- لا تكبرين الأمر يا مروج... فما حدث وأد
يومها!

ابتسمت مروج بسخرية... ثم أشارت إلى نفسها
قائلة :

- لكنني لم أنساه إلى الآن... ولن أنساه.. شكراً
لعطفك وجبرك لخاطري... سأعود إلى
حبسي... وعودي أنتِ لمخاصمتك لي!
ثم تحركت بخطى سريعة تكاد تعدو.. وعينيها
تذرفا دموعهما دون توقف... فزفرت لجين
وأطرقت رأسها أرضاً هامسةً بأسفٍ حقيقي :

-قاسية حتى وقت ضعفك يا مروج...قاسية في

كل حالتك!!

=====

زم شفثيه مستاءاً وهو يراها تختطف نظرات
نحوه....تجلس على الأريكة وأصابعها تعبت
في طرف حجابها...فعدت صورتها المزرية
تحجب عينيه...مظهرها الذي كاد يصيبه بنوبة
قلبية ليلة أمس...وانتهت الليلة بصفعة حقيقة
لا زال آثارها باقيا على وجنتها
الجميلة...لمسها الناعم شعر به وكفه يحط
على وجنتها...

هي أخطأت...أخطأت خطأ لن يفوته أبداً
وسيعمل على تأديبها...



تهد بكبتٍ.... ثم اعتدل بجذعه وهتف أمراً :

- اقتربي.

اجفلت مليكة بهتافه على حين غرة منها... ثم
زمت شفتيها بارتباك وتخضبت وجنتاها بخجلٍ
مغلف بشعورٍ من ذنب تلجمه بشق الأنفس كي
تقع نفسها بصحة ما فعلته... زفرت بخفوتٍ،
ثم اقتربت منه بساقين شعرتا بهما كالإسفنج
الرخو... إلى أن وقفت أمامه وهمست دون أن

تنظر إليه :

- نعم سيدي؟! -

التوت شفتاه بضحكة مستهزئة... وبرقت عيناه

بخطرٍ... وهمس بصوت خافت :



-بالله عليك.. بعد ما صدر منك ليلة

أمس... تنادينني بسيدي... جبارة يا أبنة

عمتي...و.....

صمت عمداً كي يثير حواسها مبتسماً ابتساماً

واسعة لكنها باردة...وبالفعل التقت

عينهما..وعينيها تتساعل عما بعد

"و"... فبهتت ابتسامته واردف ساخراً :

-وقليلة أدب!

جزت على أسنانها بقوة.. وانفرجت شفتاها تهمّ

بقذف سمومها اللامتناهية... لكنه سبقها بجذبها

من مرفقها... فوجدت نفسها تجلس على ركبتيه

في خلال لحظة، ليمتقع وجهها وتتحشرج

أنفاسها في صدرها..

فكادت تشعر بالاختناق...

حاولت التحدث أكثر من مرة لكن الوضع نفسه

يربكها أكثر من نظراته المصوبة

نحوها... فشعر هو بارتباكها... ليبتسم منتشياً

قبل أن يرفع أنامله نحو حجابها كي

يزيحه... هامساً :

- ما فعلتية ليلة أمس... جعلك تسقطين من

نظري... فلا أظن أنك ستمانعين تحقيق ما

قومتي بتمثيله ليلة أمس !

جحظت عينا مليكة مبهوتة... غير أنه بجذبه

لحجابها بشيء من العنف حتى انسدل شعرها

على ظهرها حتى منتصفه، تصطبغ ملامحها

بالوجل... وارتعش جسدها بين ذراعيه...



فانفرجت شفتاها وهمست بتهدج وشعورها

بالخوف يتصاعد بداخلها :

-لن ت..

لكنه قاطعها هاتفاً من بين أسنانه :

-اخرسي وإلا اخرستك بطريقتي!!!...

ابتلعت كلماتها كي لا تثير غضبه أكثر.. فغامت

عيناها بغمامة من دموع مزجت خوفها

بقهرها... ليهتف هو بصوتٍ قاسٍ :

-من اليوم... ستتغير معاملتي معك.. شعرك هذا

لن تخفيه عني... لأن هذا حقي وليس شعرك

فقط... أسمى هو سليم وليس سيد

سليم... ستنامين بجواري... وبين

أحضانتي... دون أن أشعر منك بنفورٍ سيجعلني



أتصرف بشكلٍ لن يعجبك... ستتوقفين عن بث
سمك وكأنه ساتر تداري به جُبْنك... لكن شيئاً
واحداً سأحافظ عليه... وهو..

وللمرة الثانية يقطع حديثه عمداً... فرمقته
بعينين اسبلتهما كي تمنع سقوط الدموع
منها... جسدها يزداد في ارتجافه وشفتيها
تماثل جسدها ارتجافاً... لتتعلق عيناه بهما
جبرياً....

ظل صامتاً عيناه لا تبارح شفتيها... وكفيه
يحتكران خصرها بقوة... فأغمضت عينيها
وبدأت في بكاءٍ خافت بآنات منخفضة...
حينها شعر بقبضة باردة تعصر قلبه ومظهرها
المرتعب جعل نبرته أكثر رفقا وهو يهمس
مردفاً :

- سأحافظ على احترامي لك.. ولن آذيك مرة

أخرى..

فتحت عينيها تتحقق من حديثه بعينين

مذنبتين... فقابلتها ملامح وجهه الجادة رغم

صلابتها....

شعرت بقليلٍ من الارتباك يكتنف روحها... لكنه

هتف بحزمٍ :

- لكن هذا لن يسمح لك بفعل ما فعلته ليلة

أمس... أبدا يا مليكة

ارتفعت نبرته في جملته الأخيرة... فعادت

برأسها إلى الخلف تلقائياً وعاد جسدها في

الارتجاف.. تحاول كظم خوفها ونفورها منه

لكنها لا تقوى على هذا فانطبأها عنه سيئاً

للغاية... وهذا ما يحيل بينهما... سحبت نفساً



مضطرباً ثم هزت رأسها بلا معنى... فانعقد

حاجباه وهتف :

- مفهوم؟! -

ازددت ريقها ببطء، ثم حاولت الحديث بحلقٍ

جاف وشفتين متيبستين... لتهمس بخفوت :

- مفهوم.. -

همهم مستحسناً دون أن يتركها.. فحاولت

الابتعاد.. لكنه هز رأسه.. قائلاً بسخرية :

- لا يا جميلة... أنا سأتركك وقتما أشاء... والآن!

صمت مبتسماً بتسليّة... فابتلعت ريقها تشعر

بطعم الصدا في حلقها... ليردف هو :

- أريد قبلة!

ودون أن تفكر صرخت بقوة، فكادت تصيبه

بالطرش :

-ماذاااا

رفع إحدى ذراعيه، ثم وضع سبابته في أذنه

يهزها بقوة...هاتفأً بحنق :

-سامحكِ الله يا مليكة...كدتِ تصيبيني

بالطرش..ما بالك يا امرأة...أنا أطلب قبلة وهذا

حقي...ولا أظن أن رفضك سيهمني..فيمكنني

أخذها...

بهتت ملامحها ونضبت دموعها على

خديها..لتشعر ببرودة تتدفع في أوصالها...

فهتفت دون وعي :

-هل تمزح؟! -



ضاقت عيناه متفحصا من ملامحها الباهتة
وشفتيها المتيبستين.. ليهتف بحذر رافعا حاجبه

مرتابا :

- لا أمزح يا مليكة... وستفعلينها كل يوم

صباحا ومساءً...

زاغت عينها بتوتر... واختلجت عضلة فكها
بشكلٍ ملحوظ... فتبدلت ملامحه وبرقت عيناه
وهو يستشعر نفورها... فقد ظهر جليا عليها!
حين هزت رأسها برفضٍ قاطعٍ وعينيها تذرف
دموعاً غزيرة وكان ما يطلبه منها لا يحل
له... فشعر بأنها أهانت رجولته للمرة
الثالثة... تصر على إثارة غضبه...

- شعورك بالنفور نحوي.. يجعلني أشعر

بالغضب... فهل ستتحملين غضبي؟!!

قالها بنبرة غامضة لا تتم بخير.. فانفرجت
شفتاها المرتجفتان تهمّ بالحديث لا تعلم كلماته
أصلا... لكنه قبض على فكها وهتف بعينين
مظلمتين :

- هل حديثك بشأن حبك ل... ل... ل... لرجلٍ
آخر.. صحيحا!

تجمدت ملامحها وشعرت بدلوٍ من الماء البارد
قد سكب على طول ظهرها فأصاب جسدها
بقشعريرة باردة... حاولت هز رأسها رفضا
بعدها دق ناقوس الأنظار بعقلها بقرب الخطر،
فعيناه كانتا مظلمتين بطريقة أثلجت
صدرها... لكنها لم تقدر، خوفها أجمها...



ليقبض على فمها بقوة أكبر... ويهمس من بين
شفتيه بصوت رغم خوفته ألا أنها شعرت به
كالسكين التلم :

-لن أقول لك بأن تحركاتك منذ سنوات تحت
عيني... ولن أقول بأن مجرد تفوهك بالأمر يعد
جريمة في قاموسي وحصلت على عقابك...
لكنني... أريد الحقيقة رغم علمي بها!!،
الحقيقة قبل أن تنفلت أعصابي!

هنا لم تجد بداً من الاعتراف بحقيقة كذبتها،
فعيناه تكادا تخرقها بنظراته النارية... لتتهف
محاولة التحدث :

-لا... هذا ليس حقيقياً... كنت أريد أن أثير
غضبك!



-وقد فعلت...وتذوقتِ العقابِ عليه...فلا تعيدها

مرة أخرى!

قالها بغضبٍ مكتومٍ وذكرى ما حدث تشعل نار

هوجاء بصدرة..فلم يشعر بذراعه يحررها من

أسره..لتقفز من على ركبتيه بسرعة وكأنها

عصفورٌ حصل على حريره للتو...

فأعطته ظهرها كي تعدو إلى الحمام حيث

بكاءها وحسرتها على نفسها، لكنه ناداها

بخشونة جعلتها تلتفت إليه ببطء وعاد الوجمل

يعتري ملامحها..

فهتف هو بخشونة دون أن يرف له

جفن...مشيراً بسبابته إلى وجنته...:

-قُبلتي...لن أتنازل عنها...ولو أخذتها أنا فلن

أخذها من وجنتك بل...

صمت بغموض... ففهمت مكنون ما يقصده
للتورد وجنتاها خجلا يناقض ما فعلته بنفسها
ليلة أمس..

رفعت رأسها إلى السقف ثم فركت أصابعها
بقوة كبيرة حتى كادت تفتك بهم... لتقرر في
تنفيذ ما طلبه...

سحبت نفسها عميقاً... ثم اقتربت منه... لتشتعل
حواسه باطنياً... وتصلبت ملامحه ظاهرياً!
مالت بجذعها نحوه.. وطبعت قبلة سريعة
لامست وجنته برقة... فأغمض عينيه لثانية
وبعدا رمق ظهرها المبتعد وابتسامة شغوفة
تداعب شفثيه!

=====



تململ في نومته، وتثاءب وانامله تعبت في
خصلات شعره...فتح عينيه ونظر إلى السقف
يحدق به...ثم دار بعينه يبحث عن أيقونة
الغباء خاصته... فلم يجدها على الأريكة ككل
يوم، فانتفض بجذعه وهتف :

-سيدة صبا... أين أنتِ..!

لم يأتيه أي رد...فشعر بالخوف ينهش
بقلبه..وعينه تدوران في أرجاء الغرفة
الوحيدة بحثاً عليها.. ليندفع نحو المطبخ يكاد
يعدو... عينيه زائغتين، وأختلج فكه بشكلٍ
ملحوظ...

ازدرد ريقه ببطء وهو يهتف بصوت مبجوح :

-صبا!... يا إلهي....



قال كلمته الأخيرة حين أبصرها ممدّة على
الأرض...

شفتاها زرقاوتان.. ووجهها شاحب... فأنقبض
قلبه.. وتجمدت قدماه في مكانهما... عيناه
تحدقان بها... وفكه يتحرك دون كلام... مرت
عدة ثوانٍ وهو على حالته... قبل أن يندفع
نحوها... صارخاً بأسمها :

- صبا... صبا... ماذا حدث... يا إلهي!

جثى على ركبتيه بوجهٍ ممتقع وأنامل
مرتجفة... ثم وضع رأسها على ركبته... وربت
على وجنتها بكفه هاتفاً :

- صبا... ردي عليّ... صبا ماذا حدث لك؟! -



لكنها كانت كالجثة الخاملة... لا تتحرك ولا
تبدي أي ردة فعل... فلطم وجنتها بكفه... مرة
تلو الأخرى لكنها لم تستجيب!

شعر بخوفه يزداد... دقات قلبه تضرب صدره
بجنون... فرفع رأسه إلى السماء يحاول إيجاد
حل وملاحم وجهه تعبر عن مدى خوفه
عليها....

رمش بعينه مرتين، ثم وضع ذراع تحت
ركبتيها والذراع الآخر تحت ظهرها، حملها
وخرج بها من المطبخ كل خطوة يخطوها قلبه
تزداد ضرباته جنونا... وقشعريرة باردة سرت
في أوردته، ازدرد ريقه ببطء ثم وضعها على
الأريكة وكأنه يخشى عليها من الكسر!



عدل رأسها برفقٍ.. ثم مال بجذعه نحوها هاتفاً
بتلعثم:

-صبا.. ردي عليّ... لا تقلقيني بالله عليك!!

والإجابة كما هي... فزفر بقوة وسحب كوب من

الماء وبدأ في رش قطراتٍ منه على

وجهها... فتململت وأصدرت عدة همهمات

جعلته يزفر براحة...

بينما هي رمشت بعينيها عدة مرات

متتالية... وازدردت ريقها الجاف تحاول

استيعاب ما حدث... وحين وجدت

صوتها.. همست بصوت واهٍ :

-م... ماذا حدث!



أشاح مروان برأسه في عنف يحاول تمالك
خوفه، ثم هتف بصوت خرج حاداً رغباً عنه :
- أخبريني أنتِ... ماذا حدث؟!... وجدتك ملقاة
على الأرض... وللحظة ظننتك رحلتِ عن الحياة
عقدت حاجبيها باستغراب... فرفعت أناملها
المرتجفة.. ومسحت وجهها قائلة :
- لا أتذكر أي شيء.....

هز مروان رأسه بلا معنى... ثم عاد برأسه
إليها... فأبصر خطين من الدموع سقطا على
وجنتيها برتابة، ليعقد حاجبيه بتوجس قبل أن
يهتف بشكٍ :

- لماذا تبكين؟! -



عضت صبا على شفثيها بقوة حتى كادت

تدميها، ثم نظرت له بعينين

حمر اوتين... هامسة بخفوت مذنب :

-أنا جائعة!!

رمش مروان مرتين، ثم انفرجت

شفثاه.. وضافت عيناها هاتفاً :

-تبكين لأنك جائعة!؟

أومات برأسها بإعياء وهي تشعر بالغرفة تدور

بها من فرط تعبها... لتلحق شفثيها المتيبستين

وتهتف بصوت واِهٍ :

-أنا أشعر بالجوع والعطش... فأنا لم أذق أي

شيء منذ فترة!

ارتفع حاجب مروان مرتاباً... يرمقها بعينين
ذاهلتين.... ويهتف وهو يشير إلى نفسه :
-ولماذا لم تخبريني بأنك جائعة... أنا أترك لك
طعاماً في تلك الحقيبة... هل تمكثين مع شخصٍ
لا يعرف الرحمة بالله عليك!!... لماذا تفعلين بي
وبنفسك كل هذا... كدت أموت من الخوف
عل...

أبتلع عبارته شاتماً نفسه... لماذا يقول لها هذا

الحديث المعتوه

كدت تموت من الخوف عليها... أليست هذه

أيقونة الغباء يا أحمق!

هكذا حدث نفسه ساخراً.. قبل أن يشيح برأسه

بعيداً ينظر من الشق الظاهر من النافذة زافراً

بسخطٍ... فيما برقت عينا صبا عندما ألقى

عبارته الأخيرة.. لكن تعبها غلب على كل
هذا... لتغمض عينيها محاولة استعادة تماسكها
وقوتها...

- سأحضر لك طعاماً يا صبا... ابقِ مكانك!!
قالها مروان على حين غرة... ثم نهض بل قفز
متجهاً حيث بغيته... بينما صبا كانت تفكر في
أسمها الذي خرج من بين شفثيه مجرداً من
لقبها كـ"سيده" يبدو أن خوفه اربكه؟!

ثانية!

خوف!... وهل يشعر هذا بالخوف نحوها أنها
تكاد تحترق من نظراته المستحقرة لها منذ
قابلته.... فلماذا يشعر بالخوف نحوها أصلاً؟!



تنهدت بخفوت.. ثم مسحت دموعها بظاهر كفها

قبل أن تشعر بها يمد كفها نحوها...

نظرت إلى كفها بحاجبين انعقدا توجساً.. ثم

رفعت رأسها نحوه بتساؤل... فهز هو كتفيه

دون اهتمام قائلاً :

- هاتِ يدك كي أساعدك على الاعتدال كي

اطعمك؟!!

فغرت فمها مبهوتة.. ثم هتفت دون فهم :

-ماذا؟!!

زفر مروان بقوة ثم وضع الطعام جانباً وفجأة

جذبها من كفها بقوة جعلتها تكاد تكون بين

أحضانها... توردت وجنتاها... وارتجفت

أطرافها... لتبتعد كالمحمومة عنه هاتفةً بتلعثم:

-ماذا... لكن... لا...-

خرجت من شفثيه ابتسامة قصيرة رغباً
عنه.. فكتمها وعاد وجهه إلى صلابته..
ليجلسها على الأريكة برفق.. ثم جلس بجوارها
هاتفاً بمرح فظ :

-الانطباع الأول عني كـ"متحرش" يزداد
ترسخاً في عقلك حتى هاته اللحظة... احزني
هذا والله!

قال جملة الاخيرة بتأثير مفتعل وهو يضع كفه
على صدره... فالتوت شفثاها بشبة ابتسامة
سرعان ما اختفت امام كفه الممتد نحوها
بالطعام وكأنه سيطعمها بنفسها!!
عقدت حاجباها... ثم هزت رأسها برفض قاطع
ناقض ارتعاش نبرتها :



-أنا سأطعم نفسي سيدي!

زم شفتيه باستياء... ثم هز رأسه هو الآخر
وهتف بصرامة مشيراً بعينه إليها :

-ألا ترين نفسك... بالكاد تجلسين... واناملك
ترتعش بشكلٍ مثير للشفقة... فكيف سأتركك
هكذا...!!!

صمت لبرهة مراقباً امتقاع وجهها بعينين
ضاقتا بتفحص... فيما كانت هي تشعر بحرج
كبير يكاد يحرقها... سيطعمها بيده؟!!

لا والله لن تقبل...!!!

هكذا حسمت أمرها... فانفرجت شفتاها تهمّ
بالرفض... لكنه هتف بصرامة وهو يمد كفه
أكثر بالطعام :



- هلا فتحتي فمك يا صبا....

ازدردت ريقها ببطء.. فلم تشعر بعدها وهي
تفتح فمها وتمضغ الطعام ببطء... تشعر بطعم
صدأ في حلقها وليس طعاماً... رغم جوعها
الشديد... إلا أنها تشعر بالقلق والبؤس بدرجة
أكبر... فيما كان مروان يطعمها بملاح اعترأها
الحنان وهو يشعر بنفسه يطعم طفلة... وهي
في الحقيقة كذلك... طفلة ضالة.. متهورة ذات
عقل لا يختبر أي من قراراته... مندفعة وتلقائية
حد الغباء!

ولثاني مرة تنطلق من بين شفثيه ضحكة
قصيرة خافته جعلتها ترمقه بطرفٍ عينيها و
توقفت عن مضغ الطعام... ليهتف هو رامقاً
إياها بتعجب مصطنع :



-لماذا توقفتي... هيا اكلمي....-

-هل ضحكت عليّ لتوك؟!-

قالتها بتجهم وصوتٍ لم يغادره ارتعاشه
بعد... فضم شفثيه يحاول كبت ابتسامة متهورة
أخرى، وهتف بتبلك كاذب :

-نعم ضحكت... هل هذا يعتبر انحرافاً

سيادتك... ستمنعين ابتسامتي!!!... جبارة

وربي!

زفرت صبا بسخطٍ ثم عادت تمضغ طعامها

ببطء...

شعور غريب يشعر به وهو يطعمها بنفسه،

ويتأملها عن كثب... شعور غريب لكنه لذيذ

وهو يلاحظ قتامة عينيها العسليتين وعلى يبدو



أن ينابيعها قد نضبت من الألم والوجع... أنتبه

لشروده وهي تهتف بخفوتٍ خجول :

-انتهيت... شكراً لك... س.. سيدي!

أبتسم بهدوء، ثم وضع ما بيده جانبا... ثم

التفت لها بكامل جسده قائلاً :

-هل تشعرين بالغثيان مرة أخرى أم أنكِ

أصبحتِ بخير!!

هزت رأسها ببطء في إيماءة دلت على تحسن

حالتها، ليتها هو براحة، قبل أن يهتف بحذر:

-أنا ألاحظ أنكِ لا تنامين جيداً، ألا تشعرين

بالإرهاق!

هزت رأسها بسرعة دون تفكير، فابتسم هو

بهدوء... وهتف ملوحاً بسبابته :



-تكذبين... عينك حمر او ان بطريقة مثيرة

للشفقة وإغمائك هذا نتيجة لجوعك

وإرهاقك..... سأتركك تنامين بكل راحة !

-سيد مروان أنا أشعر بالقلق والخوف.... وهذا

الشعور يكاد يقتلني.. فبالله عليك أخبرني... متى

سنعود ونجد الصغيرة؟!

قالتها بكتفين تهدلا بتعب، فبدت أكبر سناً وبدا

وجهها أكثر شحوباً... ليهتف هو مبتسماً

ابتسامة باهتة :

-الصغيرة سيأتي بيها سليم في أقرب

وقت... أما بشأن عودتنا لا أعلم، والآن انعمي

بقسط من الراحة وأنا سأظل محتجزاً نفسي في

المطبخ كي لا تشعرين بالخوف أو الحرج مني!

ثم تابع بقوله بفعله... فرمقت صبا ظهره بعينين
دامعتين... ووجهه ازداد شحوباً... وخوفاً... لكن
شعورها بالإرهاق غلب كل هذا... فشعرت
بتثاقل جفناها... لتتمدد على الأريكة ظلت دقائق
ترمق جسدها النحيل، وتتحس وجهها الشاحب
رغم بياضه الناصع... للحظة ارتسم صورته
أمامها بجسمه الرشيق... وشعره الأسود بدرجة
تجذب الأنظار....

عيناه الخضروان الصغيرتان... ترتسم أمام
عينها، لتشعر بالذنب يثقل صدرها تجاه
عابد... فتفكيرها في هيئة مروان تعد خيانة...
ظلت على وضعها حتى راحت في سباتٍ
عميق...

=====



-جود....انتظري!

صوتها صدح من خلفها وهي تسرع بخطواتها
كي تصل إلى الشقة قبل أن تأتي تمارا... لكن
صوته جعلها تتسمّر مكانها بعينين اتسعتا
دهشةً، فعلى ما يبدو أن صاحب الصوت لن
يتركها وشأنها!

وقف خلفها مباشرةً يلهث بقوة.. قبل ان يستدير
واقفاً أمامها تماماً.. يرمقها من مقدمة رأسها
حتى أصابع قدميها...منخفضة الرأس بطبيعة
الحال بسبب طوله الفارع طال صمته متأملاً..
وجود تكاد تشتعل وجنتاها خجلاً وغضباً وهي
مطرقةً رأسها دون أن تنظر إليه حتى..
تفرك أصابعها بقوة...وتتأفف بغضبٍ.. جعله
يهتف بسرعة :



-جود.. أنا كنتُ أريد أخبارك بأثني.... أريد أن
أجلس معك في مكان كي أستطيع محادثتك!!!
رفعت رأسه لها كرصاصة... ثم رمقت بعينين
اشتعلتا بشراسة ناسبت قولها :

-لا أظن أن بيني وبينك... سيد جاسر... أي
حديثٍ أو علاقة تجعلك تعرض هذا العرض
الوقح!

قالت كلمتها الأخيرة بقوة وكأنها تبتثها في
وجهه، فعاد جاسر برأسه إلى الخلف
مجفلاً.. قبل أن يمسح عرقه دون وجوده من
الأساس ويهتف برجاءٍ :

-جود أرجوك أنا أريد أن أتحدث معك فقط لماذا
تتعاملين معي بهذه الطريقة!؟

رفعت جود حاجبها بتوجس... ثم كتفت ذراعها

وهتفت ساخرة :

-لماذا أشعر بتأنيب في نبرتك؟!... سيد جاسر

بعد إذنك حافظ على الحدود التي صنعتها

لنفسي... لستُ كصديقاتك تحادثهن بعث

وتمازحهن دون شعور بأي رجوله وأحترام...

ففي النهاية أنا لن أجلس معك في أي

مكانٍ... ولن أقف معك أيضا... بعد إذنك يا

أستاذ!

ثم تجاوزته متحركةً خطوتين تاركةً إياه مبهوتا

من ردها، تتسع العينان من حدثها، ليهز رأسه

بعدم تصديق... تلك الكتلة من الجمال والأنوثة

تحمل لساناً يستطيع احراجك بطريقة بسيطة

مهذبة... رمش بعينه ثم همّ بالرحيل لكنها

عادت مرة أخرى ووقفت أمامه بعينين

ملتفتين شراً وهتفت ملوحةً بسبابتها :

-وبعد إذنك أسمى لا يجب أن تنطقه مجرداً

هكذا... أنا أسمى الأنسة جود... هذا الأدب لو

تعرف عنه؟!!

ولثاني مرة جعلت عينيه تتسعان بدهشة، وفكه

يتحرك دون حديث، لترمقه بقوة... ثم رحلت

بسرعة !

سارت بعينين شاردين وحديثها مع جاسر ينكأ

ماضيها تعمل جاهدةً كي تتناسه، لكن ما باليد

حيلة... فرصيد مقاومتها على وشك النفاذ..

وكل ما يدور ببالها... هو الندم عما فعلته... في

الحقيقة ليس لديها سوى... الندم



طرق على باب منزلهم بفتور وملامح شاحبة
يعترئها الألم...

بعد يومين قضاهما وحيداً يحاول ترميم ما
كُسِرَ بداخله... لكنه لم يقدر بل جرح مروج له
زاد الأمر صعوبة؛ فبات ترميم كسوره
مستحيلاً!!

تهد بقوة مسنداً جبينه إلى الباب حتى فتحته
لجين برفق تطل برأسها فقط كي تتحقق من
هوية الزائر... وفور ملاحظتها لرائف صرخت
بدهشة ثم تعلقت في عنقه بقوة جعلته يميل
إلى الأمام، فابتسم ابتسامة باهتة، ثم أحكم
ذراعه حول خصرها وولج إلى الداخل مغلقاً
الباب بقدمه... فيما كانت لجين تشعر بفرحة



عارمة وهي تراه أمامها...سليماً لا يشوبه أي
أذى...

شعورها بالفرحة صادقاً وابتساماً وجهها أكبر
دليل..فدفنت وجهها في عنقه أكثر هامسة
بصوتٍ باكٍ يناقض ابتسامتها :

-لماذا يا رائف...يومان لا أعلم عنك أي شيء
حتى كاد قلبي يصاب بالجنون من خوفي
عليك..وأمجد كل يوم ينتظرك بجوار باب
المنزل محرماً على نفسه النوم!!

تتهد رائف بخفوت...ثم ضمها إليه بقوة وكأنه
يعيد إلى روحه الراحة...لم يشعر بدموعه التي
تراقصت على طرف عينينه...بل شعر بتمزق
روحه وزيادة ألم جروحه أكثر...فأبعد لجين
عنه برفق...وأمسك وجنتها هامساً بتحشرج :



- آسف.... أين أمجد!

تجمدت ملامحها بشكل ملحوظ وارتجفت
أناملها الممسكة بكفه... فعقد رائف حاجبيه
بقلق وقد تغلب قلقه على ألمه ليهتف بحذرٍ :

- أين أمجد يا لجين... هل أصابه شيئاً بعيد

الشر!

نبرة الخوف في صوته جعلتها تهز رأسها
رفضاً، يرفع حاجبه بتوجس... ويهتف :

- أذاً أين هو؟!.... ولا تكذبي عليّ سأعلم!!

هربت بعينيها عنه... ثم انفرجت شفتاها تحاول

التحدث... فأن علم رائف بالحقيقة سيجن

جنونه... لكن نظرة التحذير في عينيه جعلتها

تهمس بخفوت يكاد لا يسمع لكنه سمعها :



-أجد خرج مع...-

ثم صمتت دون أن تقوى على
المتابعة... فرمقها رائف بقوة هاتفاً :

-اكملني أنا أتابعك... مع من خرج

عضت على شفثيها بقوة... ثم انفرجت شفثاها
وهتفت مغمضة عينيها تتوقع ثورته :

-مالك!!-

عم الصمت في أرجاء البيت بشكلٍ أربع
لجين، ففتحت عينيها جزئياً تراقب رائف الذي
أبتعد عنها وهتف بملامح قاتمة لا تتم بخير :

-مالك...خرج مع مالك!!!-

صمت مرة أخرى وبعدها صوت صراخه
الهائج وكان نار هوجاء اندلعت به :



-مالك...كيف أتى إلى هنا...المتبجح عديم

الكرامة...

دار حول نفسه بجنون كوحشٍ كاسر...ثم هتف

من بين أسنانه :

-أين مروج؟!!!-

امتقع وجه لجين وارتفع حاجباها

بتوجس..لتهتف بحذر :

-لماذا...ماذا تريد منها؟!-

نظر رائف إليها دون تعبير، ورغم جمود

ملامحه إلى أنه هتف بكلماتٍ جعلت لجين

تبتسم بحنان :

-أريدها كي أجبر خاطرها بالتأكيد...أعلم ما

تشعر به الآن من انكسار وقهرٍ، لا أعلم كيف



فعل مالك هذا الفعل الشنيع.. بشقيقتي.. جرحها
دون رحمة وأنا أشعر بالغضب نحوه بما فعله
وأنه السبب في ألم مروج!

كيف يمتلك قلباً حنوناً متقلباً إلى هذه
الدرجة... يبدو أن شق حنانه استحوذ عليه
الآن... يا لجمال كلماته وعذوبتها... كلمات تدل
على مدى حبه لهم رغم ما يظهره من قسوة له
الحق فيها... يشعر بالغضب نحو مالك لأنه
جرح مروج وهي من جرحته بطريقة قاسية!!
هكذا كانت لجين تفكر وهي ترمقه بعينين
متسعتين وثرغ زينه ابتسامه حنونه... لينظر
رائف إليها باستفهام من ذهولها..
فاقتربت منه هاتفةً :

-لكن هي جرحتك يا رائف؟!...-

تجمدت ملامح وهدأ صدره من

ثورته... ليرمقها باستغراب من نفسه... فلم

يشعر بنفسه وهو يهتف بعفوية :

-أنا لا أحب أن يجرحها أحد بهذه الطريقة حتى

لو كانت فعلت بي المثل... رغم دلالها وبرودها

و سلاطة لسانها لكنها في النهاية شقيقتي وما

تعرضت له شديد القسوة!!....-

نظرة لجين له بفخر... ثم أشارت بسبابتها إلى

أعلى.. فهز رأسه بفهم... ثم اندفع ناهباً درجات

السلم نهباً يشعر بتشفٍ خبيث يتسلل إليه من

شق القسوة الآخر، لكن حنانه الاخوي

غلبه... فهز رأسه بقوة ووقف أمام

غرفتها...يشعر بحزنه منها يقف بينهما...لكنه
أجمه ولو للحظات...

تنهد بقوة...ثم طرق باب الغرفة بكف مرتعش
وصوتها ساعتها يدوي في أذنيه كالناقوس...

-وماذا يريد صاحب الذراع المشوه هذا!

مرة تلو الأخرى تدوي في أذنيه دون رحمة،

فيشعر بجرحه يصرخ به كي يتركها

ويرحل..لكن صوتها الذي أتاه مختنقاً جعل

ملامح تتغضن بالحزن...عليها!!

-لجين أرجوك اتركيني وحدي!

وضع كفه على مقبض الباب ثم أداره وولج

إلى الداخل وكأنه يدفع نفسه دفعاً كي يحارب

جرحه منها، وقف أمامها وكما تصور كانت



تجلس في زاوية الغرفة..تضم ركبتيها
إليها...ودموعها تتساب على وجنتيها دون
توقف...فشعر رائف بقبضة باردة تعتصر
قلبه...

بينما هي رفعت رأسها تهمّ بالصراخ لكن
وقفته أمامها ألجمت لسانها الكارثي...وبهتت
ملامحها...فنظرته لها لا تعبر سوى عن الحزن
منها ولأجلها!!!!

=====



الفصل السادس



للحظة شعرت بأن لسانها لُجِمَ ودموعها توقفت
وكأنها تشاركها في صدمتها، اختلج فكها
وزاغت عيناها بعيدًا عن عينيه الحمرأوين
المرهقتين وكأنها تهرب من ذنبها، عضت على
شفتيها بقوة تمنع صوت شهقتها، ثم نظرت
من شق النافذة تتأمل اللاشيء.. تشعر بقلبها
يترنح بين ضلوعها ذبيحًا باكيًا مجروحًا، فبات
ألمها يستنزف كل قواها...

أقترب رائف منها وملامحه تعترىها شفقة
وعيناها عاتبان كل خطوة يخطوها نحوها
يدوي صوتها بإهانتها، بهز رأسه بقوة كي

يحارب ألمه وجرحه منها حتى لو كان مؤقتًا،
وقف أمامها ينظر لها لثوانٍ، يجول بعينه على
ملامح وجهها وارتجافها الهستري، فزم شفثيه
وجلس بجانبها ممدًا ساقيه، عاقداً ساعديه،
والعبوس يحتل ملامحه، ظل الصمت مسيطراً
في الغرفة كسكين حاد يمزق روح كل منهما،
إلى أن تنهد رائف بقوة ثم همس بخفوت :

-أنا وأنتِ بداخلنا جروح عميقة.. لكن جرحي
يختلف عن جرحك بل لا يوجد وجه مقارنة من
الأساس... لكن لماذا تبكين بسبب نذل
مثله؟!... أعلم بأنه جرحك بطريقة قتلتك، لكن
البكاء لا يدل سوى على أن جرحك لا يزال
حيًا!!

أغمضت عينيها تحاول التحكم في دموعها
لكنها لم تقوَ فانفجرت ومعها انفجر انهيارها،
لتصرخ بقوة وجسدها يهتز انفعالا :

-أنا سأموت... سأموت يا رائف... أشعر بقلبي
يصرخ بدلا مني.. أشعر وكأن سكين غدره لا
تزال في ظهري.... أتعلم بأنني أشعر باختناق
أنفاسي... أنا لا أستطيع أن أكرهه ولا أستطيع
أن أحبه.. قلبي عالقًا بين الماضي
والحاضر.... عالق بين جرح وصفح.... كان
مجبِرًا... لكن ما ذنبي أنا ما ذنبي!

اهتزت حدقتاه وهو يراها لأول مرة منهارة
بهذا الشكل أمامه، وجهها شاحب يشارك
روحها ألمًا، عيناها تحاكيان آلاف القصص



المؤلمة... شفتاها تشقتا وقد فقدتا ورديتهما
بشكلٍ أثار تعاطفه...

اقترب منها يحاول السيطرة على انهيارها
لكنها استرسلت صراخها وكأنها
انفجرت... انفجرت عندما أتى بقدميه إلى بيتهم
كي يزيد عذابها وقهرها :

- أنا أريد أن أنتقم منه... أريد أن أراه يحترق
أمامي وأنا ابتسم بظفر... لكن قلبي اللعين لن
يتحمل... فلماذا فعل بي هذا... لأنه لا يحبني يا
رائف... لا يحبني فجرحني دون أن يرف له
جفن... جرحني في غمضة عين!

لعق رائف شفتيه، وربت على ظهرها بحنان
كي تهدأ، وجهه يعتريه الحزن.. لكن هذه المرة



لأجلها فقط، احتضن رأسها ضاماً إياه إلى

صدره.. وهتف بإصرار :

- لا زال العُمر أمامك يا صغيرة.. مالك كان

ماضي لا يتوجب عليك نبشه.. بل يجب عليكِ

السير أماماً دون أن تلتفتِ خلفك...

استكانت بين أحضانه على غير عاداتها، رائف

دائماً يعاملها بجفاف فنمت أشجار جفافها

نحوه، لأول مرة تشعر بأن رائف يكن حب

أخوي صادق، فلم تكن هي سوى نصل حاد

مزق روحه وزاد شعوره بالنقص أكثر

وأكثر... اغمضت عينيها مرة أخرى وبدأت

ثورتها تتراجع وهو يربت على ظهرها برفق

مسنداً ذقنه إلى رأسها...

هتف مبتسماً ابتسامة باهتة :

-لا تحزني يا صغيرة.. الحياة عبارة عن دروس
منا من يتعلمها ويمضي نحو الإمام.. ومنا من
يشعر بالجرح وينظر إلى الماضي... فانغرست
قدماه في وحل الماضي....وبات خروجه منه
مستحيلاً.. فتذبل روحه ويشيب قلبه!!....

كل كلمة خرجت من بين شفثيه كانت تقطر
صدقًا والماء، لم يفوتها ارتعاش كفه، ولا تذبذب
نبرته.. فعلمت أنه يواسيها ويواسي نفسه....

صمت دون أن يتابع حديثه؛ فهدأت قليلا
وتوقفت دموعها، لترفع عينيها له وتهمس
بصوت واهٍ عاقدة حاجبيها :

-لماذا ترتدي هذه السترة الثقيلة أنت لا تتحمل
أي شيء ثقيل على جسدك... ولم تخفي
ذراعيك!

تجمدت ملامحه وتيبست شفتاه، فسؤالها كان
يضفي الحامض على جرحه الملتهب...

داهمه شعوره بالنقص مرة اخرى وانغرست
ابتسامة جامدة دون أن تصل إلى عينيه جعلت
مروج تدرك ما تفوهت به بغباء، هز رائف
رأسه بلا معنى وهتف بشرود :

- أخفيه لأنه قراري يا مروج... سأظل أرثدي ما
يخفي تشوه يدي، فأنا لم أعد أتحمّل... والتتمر
أسوء شيء يشعر به الإنسان يشبه
السّم... يتمكن من روحك، يمتص قوتك حتى

الرمق الأخير !

فغرت فمها مشدوّهة من مدى جرحه، ابتعدت
عنه بملامح شديدة الألم والذهول، أناملها
ترتجف وفكها يتحرك دون كلام وكأنها تريد

الاعتذار... لكن رائف انتصب واقفاً، ثم عدل
سترته مخفضاً إياها إلى الأسفل ونظر إلى
ذراعه المخفي وكان ما فعله هو أنسب
حل... ثم هتف وهو يتحرك خارجاً من الغرفة :
-مروج... أعلم بأن تعاملي معكِ جاف.. لكن لا
أريد أن أراكِ حزينة رغم ما فعلته بي، وأنا
سأكون كاذباً لو قولت لكِ سامحتكِ.. أنا لست
مثالياً إلى هذه الدرجة!!

نظرت له بعينين بدأتا في ذرف الدموع مرة
أخرى ندمًا والمآ، فأبتسم رائف لها ابتسامة
صغيرة سرعان ما اختفت بعدما اغلق الباب
خلفه، سيطر الألم والجرح على ملامحه!

=====



جالسًا على المقعد مشبكًا أصابعه على سطح
الطاولة، يحدق في سقف المطبخ ويهز رأسه
دون معنى، لا يعلم كم ساعة مرت وهو جالس
نفس الجلسة دون أن يتحرك خوفًا من
مضايقتها وخجلا لا يعلم سببه من الأساس!
هو يرى نفسه مخبولًا في تصرفاته معها،
عبارة عن رجل غريب ساعد امرأة أغرب
وتهور كي ينتهي به الأمر هنا... في مكانٍ من
المفترض يحتمي فيه من سالم وقسوته...
وآه لو يقبل بحكم عقله في الظهور ومواجهة
سالم وجهًا لوجه فهو تربي على الشجاعة،
والغريب أنه يسأل نفسه هل يوجد رجل كسالم
يكره أحفاده بهذا الشكل... هل مصنوع من شر
أم أن هناك سببًا قويًا!

رغم علمه بأن سالم جبروت منذ زمن طويل،
قاسٍ يبطش بأي من يقف في طريقه... فكانت
النتيجة سقوط والده نتيجة لبطشه؟!!!

هو يعلم أن عيناه الخضراوان ورثهما من
أمه... كما يعلم أنه يشبه والده بطريقة
غريبة... وكأنه مات تاركًا خلفه نسخة أخرى
مع اختلاف طفيف!!

تتهد مروان تتهيدة طويلة ، ثم حك فكه بملل،
ماذا سيفعل الآن... وقلقه يزداد أكثر على
والدته... كم مرة خانته أنامله نحو هاتفه كي
يتصل بيها ليطمئن عليها.. لكنها حتمًا ستكتشف
كذبتة عليها، فسيضطر لأخبارها بالحقيقة
وقتها ستموت خوفاً عليه!

تهد مرة أخرى بقوة يحاول محاربة حدسه
الذي يحثه على الاتصال بها، زم شفثيه بقوة
فبدا كخط مستقيم حاد، امتدت أنامله إلى هاتفه
ممثلًا لرغبته لكن رنين هاتفه منعه، واسم
"سليم" يتراقص على شاشة الهاتف، رفع
حاجبيه بتوجس وهتف بذهول :

- لا ليس معقولاً.... يبدو أنه يراقبني!

زفر بقوة ثم فتح الاتصال وهمّ بالتحدث لكن
صوت سليم جاء صارمًا أمرًا :

-افتح الباب يا مروان!!

ضاقت عينا مروان بشك، ثم لوح بسبابته
محذرًا وكأن سليم يقف أمامه :

-أي حركة غدر لن أسامحك عليها!

جز سليم على أسنانه بغيظ كاظمًا غضبه بشق
الأنفس كي لا يصرخ فيه فينتفض ذاك الكائن
الصغير المستكين بين أحضانه... ملاك يجذب
النظر ويخطف القلب.. نظر سليم لها مبتسمًا ثم
هتف بفضافة :

-افتح الباب قبل أن أكسره وافضح ما تفعله
بالداخل!!

فهم مروان ما يقصده سليم، فهز رأسه ناهرًا
إياه دون أن يلاحظ تشنج عضلة فكه :

-أحترم نفسك يا وقح، لا تمزح!

التوت شفتا سليم بشبه ابتسامة، ثم هتف دون
أن يفقد ثباته :



- مروان افتح الباب أنا أقف بالخارج ومعى ما
أتيت لأجله ...

قفز مروان من على مقعده بقوة، فاهتزت
الطاولة، واهتزت حدقاته خوفاً من شيء لا
يعرفه من الأساس!

فهتف بصوت مرتعش :

- هل... تقصد أنك وجدت ابنة صبا!

زفر سليم دون صوت، ثم هز كتفيه هاتفاً
ببساطة يشوبها التوجس من نبرة مروان
المرتعشة :

- نعم... وجدتها فأتيت بها إليكما على الفور، ألن
تفتح ليّ الباب... أم آخذ الجميلة الصغيرة
وأرحل بها... بصراحة أتمنى ذلك!!



لم يدرك مروان بأن قدميه تحركتا بالفعل
متجهاً إلى الباب، وقلبه يخفق بطريقة غريبة
حتى كادت صوتها يخترق أذنيه... ألقى نظرة
عابرة على صبا وهي منكمشة على نفسها في
وضع الجنين... ملابسها مضبوطة ولا يوجد أي
خلل... حجابها محكم حول رأسها... تتهد براحة
مشوبة بألم يتراقص في حدقتيه.. ألم غريب...
وصل إلى الباب.. ثم فتحه بأطراف ترتعش
ارتعاشاً... فظهر سليم أمامه بلامح ثابتة،
انتقلت عيناه تلقائياً إلى الصغيرة التي يحملها
سليم برفق يهزها بهدوء كي لا
تستيقظ... تعلقت عيناه بها... وطافت غمامة من
الدموع بهما... واختلجت عضلة فكه بشعور
قاتل.. نظر سليم له بطرف عينيه وقد أنار

المصباح في عقله وعرف سبب فوضى
المشاعر هذا... لذلك لعق شفثيه ثم مال بوجهه
مقبلاً وجنة الصغيرة المكتنزة... وهتف بنبرة
متعاطفة:

-ها هي الجميلة صاحبة الابتسامة
الأسرة... طوال الطريق تضحك لي فتظهر
غمزتاها... تصفق بكفيها بطريقة جعلتني أود
اختطافها... لا أعلم كيف أقدمت أمها على هذا
الفعل بهذه المخلوقة الجميلة!!
طافت شبه ابتسامة على شفثي مروان.. وهتف
بتلعثم :

-أيقونة الغباء.. فماذا تنتظر منها؟! -



صمت قليلاً مراقباً مداعبات سليم
للصغيرة... فانقبض قلبه... ليهتف بنفس التلعثم

:

- هلا اعطتني إياها يا سليم... -

رفع سليم رأسه بهدوء... ثم أوماً برأسه
وبعدها مد ذراعيه نحوه بالصغيرة... ازدرد
مروان ريقه محاربا غصة مسننة احتلت
حلقه... ثم جذب الصغيرة من سليم برفق.. ونظر
لها بعينين غريبتين... قربها منه ممسكاً
بذراعها المكتنز... ورغماً عنه ابتسم في غمرة
حزنه الغريب، التوت شفتا سليم بابتسامة
مشفقة وهتف :



- أنتَ ضعيف القلب يا مروان ... بارع في صب
حنائك... لكن صب غضبك يعد الحكم بالموت
على من آثاره....

هز مروان رأسه مؤيدا وعيناه لا تتركان من
على وجه الطفلة التي بدأت ترفرف
أهدابها... تتثاءب بطريقة جعلته يبتسم مرة
أخرى.. لكن صوت سليم أخرجه من تأمله :

- أنا سأرحل يا مروان... فقط أريدك أن تتجنب
الخروج... قريبا جداً سأستطيع تهريك من
هنا... فسالم يعمل جاهدا كي يصل لك... وعلى
حسب معلوماتي فقد علم سبب وجودك
هنا.. وهذا غير مُبشر يا مروان... وأنا أشعر
بالخوف عليك... لبيتك تخليت عن شهامتك يا
مروان!

أسبل مروان جفنيه ناظراً بطرف عينيه إلى
سليم نظرة خاطفة، ثم عاد بنظره إلى الصغيرة
التي فتحت عينيها الواسعتين تحديق فيه عاقدة
حاجبيها لأول وهلة ثم سرعان ما ابتسمت
ابتسامة أسرة مصفقة بكفيها بطريقة جعلت
شبه ابتسامة ترسم على شفثيه الحدتين... زفر
ببطء.. ثم نظر إلى سليم الذي كان ينظر له
بعينين ثاقبتين يراقب كل حركة تصدر منه دون
أن يغفلها، فهتف مروان مهدداً الصغيرة
برفق :

-متى سأعود إلى مدينتي؟!... أنا أخشى أن
تمرض أُمي إن عرفت أنني هنا !



أرتفع حاجبا سليم مصطنعاً الدهشة، ثم هز

رأسه ساخراً وهتف :

-الآن يا مروان...الآن تفكر فيها يا

شهم؟!...فكرت فيها بعدما غاصت قدمك في

جبروت سالم...يا لك من ساذج...

صمت سليم ناظراً إلى مروان بغضبٍ

مكتوم...فزم مروان شفثيه بارتباك واشاح

بوجهه بعيداً...ليردف سليم بجدية تامة :

-مروان..أحذر من أت معك...فعلى حسب

علمي...بأن سالم بحث وراها وأمسك بطرف

الخيطة!...لا أعلم ولا أريد أن أعلم من أين

أت..لكن لو كانت وسيلة لأذيتك..أقسم

بالله...لن تراها مرة أخرى ولن يعلم أحد

مكانها!!... هل سمعت أم أقحم كلامي في رأسك

الصلب هذا!

عقد مروان حاجبيه مستاءً، فلم يشعر بنفسه

وهو يهتف مدافعاً بشراسة :

- عن تتحدث؟!.. صبا التي أقدمت على الانتحار

لبؤسها؟!... بالله عليك كيف سيستغلها سالم

ويستغل ما يخصها ضدي... وحتى لو فعل... أنا

لن أترك امرأة أعرف إنها ضعيفة حد

الإنهيار!!

فغر سليم فمه مشدوهاً من نبرة مروان

وملامحه المتحفزة، وضافت عيناه مراقباً

تحرك حلقه بصعوبة، لكن مروان تابع بسخرية

غير مقصودة :



- يبدو أن جلوسك مع سالم أكسبك بعضاً من

الندالة والبرود...

جحظت عينا سليم مبهوتاً، فأخرج كفيه من

جيبى بنطاله.. يرمق مروان بنظرة نارية

مشتعلة بالغضب كانت ترده ذريعاً لو كان ينظر

له.. لكنه كان مشيحاً بوجهه.. والصمت المريع

المسيطر عليهم جعله يرفع حدقتيه متردداً

فهاهه ملامح سليم المشتعلة، وعينيه

المشتعلتين..

لعق شفثيه شاتماً نفسه ولسانه... همّ بالتبرير

لكن سليم رفع كفه مقاطعاً إياه وهتف دون أن

يحيل عينيه عن عيني مروان....:

- أعراف بأنك تمر بضغط عصبي، لأنك بحكم

"طباعك" لا تحب الجام ثورتك... ولا تحب

الاختباء والهروب.. لذلك لن أحاسبك على ما

تفوهت به بكل سذاجة يا... "مروان"

كانت ملامحه مشتعلة وكفه الآخر ينقبض

ويرتخي بطريقة وشت بمدى ضغط مروان

على جرحه... لعن مروان نفسه!!...

يبدو أن غياب صبا انتقل له!!

حاول التحدث مرات عديدة، لكن سليم رمقه

بنظرة حارقة... ثم أعطاه ظهره وغادر بسرعة

كما أتى بسرعة!

هز مروان كتفيه بقلة حيلة، ثم أغلق الباب

بقدمه وداعبت أنامله وجنة الصغيرة المبتسمة

تشبك أصابعها ببعضها... نظر إليها مأخوذاً من

جمال مظهرها وضحكتها، أقترب بأنفه منها ثم

استنشق رائحتها الجميلة، فجميع الأطفال في

عمرها الذي لم يتعدَ السنّتين رآحتهم تسلب
العقل بطريقة تريح النفس... ابتسمت الصغيرة
بصوتٍ ممتع، فاتسعت ابتسامته أكثر حتى
برقت عيناه بسعادة،

تحرك بها نحو صبا الممددة على الأريكة كجثة
خامدة، يطالعها تارة ويطالع الصغيرة التي
كانت تراقبه بابتسامة واناملها تربت على
صدره دون هدى.. تردد قليلاً في استيقاظ
صبا... لكن شعوره بالشفقة نحوها ودموعها
النادمة طوال جلوسهم هنا جعلته يهتف بصوت
مرتعش :

-صبا...صبا!

لم تستيقظ ولم تبدِ أي رد فعل؛ فنظر إلى
الصغيرة وهمس مداعباً أنفها :



- أمك تشبه من ضُربَ على رأسه يا... ترى ماذا
اسمك صبا... أعتقد من معاشرتي لها... وأعلم
غباؤها.. فعلى ما أعتقد اسمك اعتماد... أنا لا
أستبعد عن أمك هذا يا جميلة والله!!

أغمضت الصغيرة عينيها وابتسامتها تزين
ثغرها الجميل، فغمز مروان لها مداعباً ثم عاد
بنظره إلى صبا ومال بجذعه بحذر متشبثاً
بالصغيرة، هزها بقوة وهتف بصوت شبه
صارخ :

- صبا... صبا... صبا... حريق... حريق... حريق...

اجفلت الصغيرة منتفضة بين ذراعيه وتكور
فمها وكأنها على وشك البكاء... فنظر مروان
لها باعتذار وهزها برفق مداعباً شعرها، بينما
صبا انتفضت بفرع لاهثة من صوته وما تفوه

به، فقتت على الأريكة تنظر يمينا ويساراً

صارخة بفرع :

-أين أين الحريق... هل أصابني ش..

ابتلعت كلماتها المتبقية، وتسمرت عيناها على

ابنتها... تطالعها فاغرة الفاه مرتعشة الكفين

وجسدها يرتعش ارتعاشاً... تسأل نفسها.. هل

تتخيل كل هذا أم أنها تحلم... للحظة اهتزت

حدقتها متخيلة عن ذهولها.. فهبطت من فوق

الأريكة بقدمين شعرت بهما كالإسفنج

الرخو... ترتعش بطريقة تثير

للشفقة... دموعها منسدلة على خديها وفكها

يتحرك دون كلام... تأملها مروان

مشفقاً... فاقترب منها وطال الصمت بينهما إلى

أن قطعه مخاطباً الصغيرة :



- أمك تنظر لكِ وكأنك حلمٌ يا ابنتي... فهل
أخبرها بالحقيقة... أم اتركها كما هي تستشعر
لوعة الاشتياق والفقْد!

نقلت صبا نظرها إلى مروان بعينين مرهقتين
ووجه أزداد شحوباً... فزم شفثيه وشعوره
بالشفقة نحوها يتزايد...

ظلت صبا مكانها لا تتكلم ولا تفعل أي شيء
إلى أن هتفت بلوعة مشيرةً إلى الصغيرة
بسبابتها المرتعشة :

- هل... هل هي حقيقة.. جميلة ابنتي
حقيقة!.. أرجوك أرجوك أخبرني أنها حقيقة...
أبتسم مروان ابتسامة باهتة... فقد انقبض قلبه
وهو يلاحظ ترنح جسدها وارتعاشه، ليسندها
بذراعها الحر بتلقائية.. وهتف :

-هوني على نفسك يا صبا... لماذا ترتعشين

بهذه الطريقة بالله عليك...

نظرت صبا له بعينين زائغتين، ثم انفرجت

شفتاها وهتفت بتشتت :

-هل أنت مجنون؟! -

أجفل مروان من هتافها، فعاد برأسه إلى

الخلف مرتاباً من تحولها... ثم هتف وهو يهز

رأسه بوعيد :

-نعم أنا مجنون يا صبا... وساخلع حذائي كي

أقذفه بك، غياب... لكن ما قلت له للتو... ما هو إلا

دليل على تحسن حالتك... والآن!

صمت ضاغطاً على أسنانه بقوة، يرمقها

بنظرة مستاءة... ثم نظر إلى الصغيرة التي

رفعت ذراعها تشير نحو صبا بابتسامة واسعة
وكأنها تعرفها...وكم كانت تلك الحركة البسيطة
شديدة التأثير على صبا وهي تشهق عالياً
بشكل جعل جميلة تتملل وتمتعض ملامحها
بشكلٍ أوحى بقرب بكاءها..زفر مروان مرة
أخرى يرمق صبا بطرف عينيه..ثم عاد بنظره
إلى الصغيرة مبتسماً مدلاً إياها برفق...تزامناً
مع هتافه :

-أنا لا أريد منك سوى الهدوء يا صبا والتحكم
في عواطفك..أخطأتِ وأنا أعلم ذلك...وأعلم ما
تشعرين به من تحقير لنفسك جراء ما أقدمتِ
عليه وكدتِ تفقدين ابنتك الوحيدة...اهدأي أن
سمحتي وخذِ الصغيرة كي تتمتعين بعناقها

وتتأسفين لها عما فعلته!!!... لكن بطريقتك

الأموية وليس بانتهارك هذا!!

صمت لبرهة ورفع عينيه يطالعها مبهوراً من

سكونها المفاجئ.. وعينها الغائرتين تجريان

على ملامح جميلة بنهم جعل ابتسامته تزداد

اتساعاً، فمدت صبا ذراعها

إلى الصغيرة وانتشلتها من مروان ثم

احتضنتها بقوة ودموعها منهمة من عينها

دون توقف، شهقتها تعلو شيئاً

فشيء... وجسدها يرتعد... فنظر مروان لها

بشفقة ثم ساعدها على الجلوس تاركاً دوامة

ندمها تدور بها بكل الطرق فما تشعر به الآن

تستحقه بل تستحق أكثر من هذا!



أما صبا كانت تقبل وجه أبنيتها بقوة وتضمها
بين صدرها حتى كادت تكسرها، قلبها يخفق
بجنون، وجسدها يرتعد ارتعاداً، تشعر وكأن
روحها عادت لها بعد عناءٍ، تشعر بالفرحة
والخوف

مزيج غريب لكن هي الوحيدة التي تعلم سبب
هذا المزيج...

-ها قد عادت لكِ ابنتك.. فلماذا أشعر بالخوف
يعتري ملامحك!

قالها مروان على حين غرة فانتزعها من
دوامة شعورها التي كادت تبتلعها دون
رحمة... رفعت عينيها الحمر واين له تنظر له
بتشنت.. فعقد مروان حاجبيه بتوجس وجلس
بجوارها منتظراً تفسيرها....



ظل الصمت المريع يحيط بينهما إلا من صوت
الصغيرة... لكنه لم يهتم بكل هذا سوى بالخوف
البادي على ملامح صبا وتوقف عيناها عن
ذرف دموعها وكأنها أدركت للتو شيئاً لا يعرفه
هو...

لعت صبا شفتيها، ورمشت بعينيها، ثم هتفت
بهلع :

- مروان!... أنا خائفة!!

ازداد انعقاد حاجباه، وبرقت عيناها لوهلة... ثم
هتف بشكٍ :

- لماذا؟!... ألم تشعرين بالراحة بعدما رأيتِ

ابنتك؟!... ماذا بك!



أطرقت صبا بوجهها، وعضت شفثيها حتى
ادمتها، فشعر مروان بعدم الراحة وقلقه يزداد
أكثر، وارتبكت ملامحه... لتتهف صبا بصوت
باك :

-لا.. أنا.. يا إلهي!

صمتت غير قادرة على التبرير.. عيناها زائغتان
وملامح وجهها شاحبة حتى كادت تحاكي
وجوه الموتى... لا يعلم كيف أبتسم ابتسامته
الجانبية تلك، وهتف مداعباً شعر الصغيرة :

-فرحتك بالصغيرة جعلتك تتلعثمين في

الحديث... اهدئي قليلا... فقط امنحي لنفسك

فرصة للتنفس... وتأمل هذا الملاك!

نظرت صبا له بطرف عينيها.. ثم نظرت إلى

جميلة المبتسمة بطفولة، فابتسمت رغماً عنها

ودست أنفها في عنق جميلة تستنشق رائحتها

الجميلة!

تأملها مروان وعلى شفثيه ابتسامة باهتة،

يعلم مدى فرحتها لكن شعورها بالوجل يكاد

يقتلها!

فما بالها حزينة خائفة بعدما وجدت

ابنتها.. أهنأك سر وراءها أم أنه يتوهم؟؟

=====

- أنا أعلم مكانها... و سأساعدك!

قالها سالم مسنداً ذقنه إلى عصاه، يتأمل الرجل

المائل أمامه بملامح متحفزة مرتبكة بعض

الشيء من هيبة سالم... يشعر بنشوة الإنتصار



بعدها كان يبحث عنها وعن أبنيتها هنا

وهناك...

ازدرد الرجل ريقه، ثم هتف بصوته الأجهش :

-أنا أريدها الآن يا حاج!!...أنا من يجب أن

تلجأ له لا أنت؟!...فبحكم كبار العائلة أنا

خطيبها!

أبتسم سالم ابتسامة خبيثة، داعبت شفاته

الغليظتان، ثم هز رأسه قائلاً بذهول كاذب

مشيراً لنفسه بسبابته :

-من قال لك هذا يا أستاذ هاني...خطيبتك

تجلس مع رجل غريب الآن في شقة واحدة

يغلق عليهما باب واحد!!....



جحظت عينا هاني مشدوهاً، واشتعلت عيناها

بنار هوجاء... ليضرب سطح المكتب

بعنف... وقد تغضنت ملامحه بغضبٍ أعمى

جعله يصرخ بغضبٍ أجفل سالم شخصياً :

- عن تتحدث يا حاج؟!... عن

خطيبي... صبا!!... زوجة شقيقي رحمه

الله... هل تعلم فضاحة ما تفوهت به لتوك!!

نظر سالم له بعينين متقدتين... وقفز من مقعده

صارخاً بغضبٍ :

- لا ترفع صوتك عليّ في بيتي.. هل نسيت

نفسك... من أنت أساساً... أنا من جلبتك إلى

هنا كي أدلك على طريق "خطيبتك"... فما

ذنبي أنا وأنت من سمحت لها التصرف بهذا

الفجور... تتحرك بحرية عابثة في شرفك

وشرف شقيقك؟!!!!

ها قد نجح سالم في زيادة غضب هاني، فقد
برقت عيناه بغضبٍ أسود وتشنجت عضلاته
بشكلٍ وشى بمدى غضبه وعصبيته...

أبتسم سالم أبتسامة باردة، وهتف بصرامة
مشيراً بكفه إلى مقعد هاني:

-أجلس يا هاني كما كنت... أنا سأساعدك كي
تصل لها وتكسر عينيها... وهذا لن يحدث سوى
بتخطيبي أنا!.. ولا أظنك ستعترض!

لهت هاني بعنف... واشتعلت عيناه بغضبٍ
أهوج غير قادر على كظمه، لكن نبرة سالم
تحمل شيئاً من الثقة والصرامة... فلم يعترض
وهو لا يعلم مكانها من الأساس... سحب هاني

نفساً عميقاً لعله يهدأ من لهيب صدره... ثم
جلس على المقعد على مضض، فابتسم سالم
ابتسامة لم تصل إلى عينيه، ثم عاد ليحتل
مقعه تزامناً مع هتافه بحزم :
- أنت الوصي على ابنة شقيقك؟!!

أوماً هاني برأسه وهو يمسح العرق المتصيب
من جبينه، فأردف سالم بصرامة :
- جيد.. لذا ستخبر الشرطة بكل هذا وستعطيها
العنوان كي تقوم بالقبض عليها هي ومن
معها؟!!!!

=====

واقفاً يتأمل السماء بعينين شاردتين شاخصتين
في الفراغ... يتنفس ببطء وكأن أنفاسه قد

حُبست في صدره، أطرافها ترتعش ارتعاشاً
منتظراً وصولها بل الأصح منتظراً قتل نفسه
حياً دون رحمه أو شفقة... فقد طلب من أمجد
أن يراها ولو لثانية واحدة، وبالرغم من
الرفض والغضب الذي اعترى ملامح أمجد
ساعتها إلا أنه لم يتنازل عن طلبه، ولَيْتَه
تنازل وخضع إلى حكم القدر... لَيْتَه كظم شوقه
لها وإلى رؤيتها، يريد أن يروي ظمأه... يريد
أن يرتوي ويرتوي من ملامحها لا يعلم انه
سيرتوي قسوتها وتمردها وفضاظة كلماتها!!
فقد كانت تقف بعيداً عنه تتأمله من مقدمة
رأسه حتى أخمص قدميه بعينين متقدتين
ناريتين... مرهقتين!!

ترمقه بغضب ممتزج بالاشتياق لكنها تمتلك
قدرة تحسد عليها في كظم شعورها الغير
محبب ورسم ابتسامة باردة لا تحمل أي شيء
يسمى المرح بل ابتسامتها تثير الخوف
والقلق... اقتربت منه دون أن تصدر أي صوتاً
بل كانت تقترب منه متمهلة، تكتم دموعها
بقوة وتزم شفيتها الحادتين فبدت كخط مستقيم
حاد فاطر، وقفت خلفه مباشرة.. دون أن
تتحدث... بل كتفت ذراعيها ورفعت انفها بتعالٍ
غير منصف بالمرّة... بالنسبة لملابسه الفخمة
التي تحمل اسما شهيراً فهي حثالة بجواره لا
تساوى الكثير، لكنها وبكل بساطة تغاضت عن
هذا والتمعت عيناها بجذوة تمرد وهتف بصوت
كالخريف :



-ماذا تريد مني يا مالك؟!...-

تجمدت أطراف مالك غير قادرٍ على الالتفات،
فبدا كالمشلول لا يستطيع التحرك.. عيناه تعكرتا
بغمامة من الألم وفكه تحرك دون كلام،
وملامحه اكتست بحزن وألم زاد من سنة أكثر
وأكثر...

ضاقت عينا مروج تراقب حركاته بعينين
ثاقبتين، لتلاحظ انقباض كفه وتشنج عضلاته،
فابتسمت ابتسامة ساخرة واستدارت واقفة
أمامه، ثم رفعت وجهها له ترمقه بعينين
باردتين، ووجه جامد يماثل عينيها... ليغمض
هو عينيه بقوة كي يمنع عينيه من رؤية
كرهها له، لكنها هتفت ساخرة تضي الحامض
على جرحه :



- لماذا أغمضت عينيك؟!، تخشى أن ترى الكره
في عيني يا مالك.. لا تخف فكرهي لك يتعدى
كل هذا... كرهني لك في قلبي!!!

زاد مالك من اغماض عينيه وارتفع كفه كي
يبعد نظارته عن عينيه، أنامله ترتجف بشكلٍ
مثير للشفقة وحلقه يتحرك بصعوبة وأشيأً
بمدى ألمه وندمه.. لكنها لم ترأف به وبألمه،
بل لكمته في ذراعه بقوة وهتف بصوت عالٍ
شرس متألم حد الصراخ وهذا ما شعر به
بسهولة :

- أكرهك كما أحببتك يا مالك أتمنى لك الشر
لأنك لا تستحق سواه... أنت رجلٌ نذل... بل..



صمتت لبرهة تراقب تقلبات وجهه وانقباض
كفه بقوة غاضباً من إهانتها حتى أبيضت
مفاصله... لكنها أردفت بعينين متبجحتين دون
أن تجفل :

-و عديم الكرامة!!!-

كز مالك على اسنانه بقوة، متراجعاً إلى الخلف
جراة إهانتها، فتلون وجهه بحرج، وفتح
عينيه على وسعها يطالعها بنظرات اشتعلت
بنار الذل والمهانة، فارتدت خطوة إلى الخلف
مُبتلعه لسانها.... لكنه قبض على ذراعها بقوة
جعلتها تتأوه بخفوت قبل أن يهتف مالك أمام
وجهها الشاحب بنبرة رغم خفوتها إلا أنها
شعرت بها تتحررها دون رحمة :



-أنا لن أسمح لكِ بإهانة رجولتي...لن أسمح

لكِ يا مروج...!

بهتت ملامح مروج وتيبست شفاتها..لتطرق

برأسها وقد تغضنت ملامحا بحزن، فانعقد

حاجباه متعاطفاً...وقرر التخفيف من قبضته

لكنها رفعت وجهها بسرعة غريبة وقد تحولت

ملامحها من الحزن والألم إلى تمرد

والكره...لتهتف بغضب جامح تتلوى كما

المهرة الجامحة :

-وسمحت لنفسك بجرحي، سمحت لنفسك

بكسر قلبي...وتحطيم روحي...سمحت لنفسك

بكسر..بكسر عيني أمام أصدقائي...أنتَ عديم

القلب يا مالك...أكرهك وأكره وجهك....لكن من

تربى يتيماً مثلك مجهول النسب لا يلقي عليه
أي لوم... صد...

للحظة شعر وكأنها لكمته في معدته،
شعر بوجعٍ مبرح جعله يغمض عينيه بقوة
وهدر دافعاً إياها بقوة حتى اصطدم ظهرها
بالجدار فتأوهت بألم :

-اخرسي لا أريد سماع صوتك، اخرسي، أنا أنا
لستُ يتيماً لست مجهول النسب، لا تقولي لي
هذا... لا تقولي لي هذا، أرجوك لا تقولينها مرة
أخرى... أرجوك أنها تألمني، تجعلني أشعر
بالإهانة!



في بادئ حديثه كان يصرخ بقوة اجفلتها
فانتقلت عيناها إلى باب السطح تراقب انتفاضة
أي من أمجد أو رائف نحوه.. لكن عندما تحولت
نبرته من الغضب إلى الألم والتلثم عادت
بعينيها الدامعتين له ترمقه بنظرة متأسفة
غاضبة في آنٍ واحد حالها غريب، لكنها تعلم
أن حديثها ما هو إلا نصل حاد اخترق قلبه
وروحه فجأة فشعر بالم حاد يحرق كرامته
ورجولته... يجب أن تشعر بالتشفي الآن، لكنها
وببساطة أطرقت برأسها تبكي في صمتٍ، أما
مالك فقد لسعت عيناها دموع القهر والإهانة
والندم لكنه تحكم فيها بشق الأنفس، فأسبلهما
ورفع رأسه إلى السماء يشعر بحمل جاثم يكاد
يكتم على أنفاسه، يشعر بالحزن والألم و الندم،

والتحقير من نفسه... وهذا ما يحرق روحه
دون أدنى رحمة!

نظر بظرف عينيه إلى وجه مروج المطرق،
نظر لها نظرة خاطفة... جعلتها تشهق بقوة
واجهشت في بكاء عنيف لا تعلم هل قلبها
يؤلمها إلى هذه الدرجة أم أن روحها كُسرت
إلى شظايا يصعب عليها ترميمها... انكسرت
روحها بفعل خداعها!

-أبتعد يا أمجد أترك ذراعي... لن أتركه يا
أمجد... أنا سمعت صوت صراخها
بأذني... وسمعت صوت صراخه بها.. من يظن
نفسه!

صرخ بها رائف بعنف وهو يتسلق درجات
السلم المؤدي إلى سطح المنزل وخلفه أمجد

يمسك ذراعه بقوة كي يتحكم في غضبه، لكن
رائف كان مشتعل الملامح متقد العينين، مكفهر
اللامح، فيما انتفض كلُّ منهما جراء صراخ
رائف الغاضب، لتجذب مرفقها من قبضته
بسرعة وتبتعد عنه كالمحمومة ترمقه بنظرات
عاتبة...

ابتعدت عنه بسرعة وركضت إلى رائف الذي
اندفع بكل قوته نحو مالك متأهباً لضربه حتى
لو كان فارق السن بينهما يمثل عائقاً
له... رمت مروج نفسها أمام رائف هاتفة بذعر

:

- لا يا رائف لا.... أتركه وشأنه.. أنا لا أريده
وانتهى الأمر فلماذا التهور، أرجوك هيا بنا



وهو سيرحل دون أن يعود إلى هنا مرة

أخرى....

لكن رائف لم يستمع لكل هذا بل ازاح مروج

بعنف.. واندفع نحو مالك رافعاً ذراعه متأهباً

للكمه....

تجمدت ملامحه فجأة وهي يرى أمجد يقف أمام

مالك متجههم الملامح عاقداً ساعديه، منتظراً

من رائف تهوره دون أن تهتز عضلة

به.... ليخفض رائف ذراعه هاتفاً بغضبٍ مكتوم

:

-أبتعد يا أمجد أرجوك ألم تسمع صوت

صراخها وحالتها... لماذا سمحت لها بروئيته

من الأساس... أبتعد أريد أن أعلمه درساً لن

ينساه!



هنا لم يستطيع مالك تماك غضبه أكثر، فضرب
الحائط خلفه بقوة، وهدر بغضبٍ وقد برزت
عروق جبينه و عنقه :

-تأذب يا رائف!!-

اشتعلت عينا رائف بغضب اهو ج... فبات غير
قادرٍ على تحكيم عقله، ليهتف :

-سأريك الأدب يا مالك يا عديم النس...-

-أخرس.... إياك وقولها إياك، تريد ضربه يا
محترم.... هكذا تتصرف... بذراعك دون أن تلجأ
إلى عقلك...-

هدر بها أمجد وسط غضبهما المشتعل، وهدير
انفاسهما يرتفع بشكلٍ مفرع، فتماك مالك
نفسه واشاح بوجهه بعيداً دون أن يبارح الألم



عيناه، أما رائف أبتلع كلماته متداركاً وقاحته
وصعوبة ما أوشك على التفوه به، ليمتقع
وجهه بشكلٍ ملحوظ... وترتجف شفثاه تأثراً
بالم مالك....

نظر أمجد له بعينين غاضبتين عاتبتين، ثم
أشار بذقنه إلى مالك الواقف خلفه قائلاً بصوت
مشتد صارم :

-مالك لن يخرج من حياتنا يا رائف، مالك
سيأتي بأبنائه ويمكث في مكان قريباً منا،
والآن اعتذر له....

قال أمجد عبارته الأخيرة بصوت اقرب للصراخ
وعينيه تزداد اشتعالاً؛ فانفرجت شفثا رائف
يهمّ بالاعتذار لكن مالك رفع كفه مقاطعاً إياه

بهتافه الحازم وعينيه تحاصران تلك المنكمشة
على نفسها ترتعش :

- لا أريد اعتذارا منك أو منها... أنا أعلم أنك
اندفعت ولم تقصد ما قولته... وهذا يجعلني لا
اشعر بالغضب نحوك... فهناك من قالها بكل
تبجح دون أن يرف له جفن!

ثم رحل بعدها مسرعاً ملقياً على مروج نظره
متألماً، لكنها أشاحت بوجهها في عنف..

الجروح بعضها تؤلم في بدايتها حد
الصراخ... وبعضها يظل أثرها باقيا حتى

النهاية!!

=====



- لا أريد أن أسمع صوتكما... أنتما الاثنان

تمتلكان لساناً قادراً على الذبح!

هدر بها أمجد في بهو المنزل بعينين متقدتين

وجسد يهتز غضباً، فأشاح رائف بوجهه

وزمت مروج شفيتها المرتجفتين، تضم

ذراعيها إليها وكأنها تمنح نفسها الدعم،

فشعورها بالانكسار يكاد يقتلها، رأى عقلها

اللعين أن إهانتها لمالك ما هي إلا رد مناسب

على ما فعله.. بينما رائف كان يشعر بالغضب

من مالك ومن نفسه؛ لأنه لا يحب أن يلجأ إلى

هذا الأسلوب الرخيص في صب غضبه،

أسلوب رخيص كي يجرح مالك بشيء لم

يختاره لنفسه من الأساس!!!

رمقهما أمجد بنظرة غاضبة، ثم هتف ملوحاً
بذراعه بغضب مكتوم :

-أنا لا أدافع عنه لأنه مُخطئ وأنا أعلم
ذلك... لكنني لا أحب أن تجرحا مالك بهذا
الشيء خصوصاً... أنا أعلم أن رائف لم ولن
يقصد ما أوشك على التفوه به... لكن أنتِ أنتِ
بالتأكيد قولتها في وجهه بعينيكِ الباردتين
وقلبك المتحجر... تريدان الثأر لنفسك وقلبك!!!
انتفض رأسها ونظرت له بعينين اشتعلتا بنار
هوجاء ملامحها لا تتم على شيء وقبضتها
أوشكت على التهشم من قوة ضمها...
سقطت دموع القهر على وجنتيها، وتحرك
حلقها بصعوبة لتهتف بصوت قوي مصطنع،
وقلب يترنج ذبيحاً باكياً بين ضلوعها :



- لا دخل لك بما تفوهت به... أنا لا أريد أن

أتحدث في هذا الموضوع مرة أخرى..

جحظت عينا أمجد مبهوتاً... وتحرك حلقه ببطء

محارباً غصته، امتنعت ملامحه بشكل ملحوظ،

بينما مروج تراجع خطوتين إلى الخلف بعدما

القت سمها بوجهه، تشعر بالندم يشوبه

الاستحسان...

نظرت إلى رائف بطرف عينيها فوجدته يبادلها

نفس النظرة مزدرية غاضبة، ازدردت ريقها

ببطء وهمّت بالتحدث، لكن صوت أمجد عصف

مقاطعاً إياها :

- اذهبي إلى غرفتك لا أريد ان أراك... هيا

أغربي عن وجهي قبل أن أفقد أعصابي!



لم تنتظر ثانية أخرى، فاندفعت إلى غرفتها
بخطوات تكاد تعدو، دموعها تنسدل على
وجنتيها بشكل غير مناسب بالمرّة..

مروج عبارة عن شخصين وهي ثالثهم، قاسية
حد الوجد... متمردة حد التهور... متألّمة حد
الصراخ...!!!

صوت صفق باب غرفتها هز جدران البيت...
فرمش أمجد بعينه مرتين، ثم عاد بنظره إلى
رائف بعينين مشتعلتين، رفع كفه ثم مده إليه
قائلاً بصوت بارد ناقض نبرته منذ دقائق :
-تعال...تعال يا "كابتن"...

نظر رائف يمينه ويساره باحثاً عن اللاشيء،
ثم استقرت عيناه وهتف مشيراً لنفسه بسبابته

:



- هل تحدثني أنا!

- بالتأكيد يا "حبيبي"... تعال كي

أعانقك... اشتقت لك!

هتف بها أمجد بابتسامة باردة لم تصل إلى
عينيه، فازدرد رائف ريقه بخوف مصطنع قبل
أن يقترب منه ممثلاً لطلبه...

وقف أمام أمجد وأطرق برأسه معانقا الأرض
بعينيه، ظل أمجد صامتاً إلى دقائق شعر رائف
بهما دهرأ... فرفع رأسه مختلساً نظرة إلى
أمجد الذي التمعت عيناه ببريق
غريب... وتجهمت ملامحه، ليهتف بصوت حاد،

قاس :

- أين كنت يا رائف... أريد الحقيقة!



رفع رائف عينيه الحمرأوين له، وزاغتا في

محاولة بائسة للكذب، فهتف متلعثماً :

-كنت في مكانٍ ما...!-

انطلقت ابتسامة ساخرة من بين شفتي أمجد،

ثم هز رأسه مستهزئاً وهتف :

-حقاً..كنت في مكان ما... عيبٌ عليّ والله...كنت

أظنك تحت الماء؟!..

صمت لبرهة مراقباً رائف بشفتيه المضمومتين

وكأنه يكتم ضحكته بشق الأنف، لكن أمجد لم

يأبه له وأردف بصوت مشدد :

-أين كنت يا رائف؟! أنا لا أحب هذا الأسلوب

في الهروب من الجواب!

رمش رائف بعينه مرتين، ثم انفرجت شفتاه

وهتف بارتباك :

-كنت...كنت... عند صديقي!

أرتفع حاجبا أمجد بتوجس... وهتف بشك :

-صديق؟؟... أنت دائما منعزل يا رائف.... ولا

تحتك بأي شخص... فكيف تعرفت على صديقك

هذا؟!

زفر رائف بقوة، ورفع أصابعه إلى جبهته

يحكها بقوة... لن يستطيع أخبار أمجد بمكان

عزلته.... لكن كيف سيقنعه كيف؟!

وأمام عيني أمجد المحاصرتين له، مال رائف

بجذعه إلى الأمام وهتف مغمضاً عينيه :

-لن أستطيع أخبارك يا أمجد... اعذرني!

ضاقت عينا أمجد، وهتف ببساطة دون أن
يحيل عينيه عنه في نظرات متفحصة :

-كما شئت... لن أجبرك... لكن...-

صمت مرة أخرى كي يسترعي أنتباه رائف
الذي اعتدل في وقفته ثم رمق أمجد بتساؤل،
فأمسكه أمجد من قميصه وحدثه بقوة هاتفاً
بنبرة محذرة :

-إياك إياك والخروج من هذا البيت دون
أخباري، ولماذا خرجت من الأساس... ألم تكن
غرفتك كافية لعزلتك يا... كابتن؟!-

زم رائف شفثيه بقوة مانعاً ابتسامته ثم هز
رأسه دون معنى، ليصرخ أمجد به وقد اشتعل
غضبه :



- لا تضحك... لا تضحك أنا اعنفك لا ألقى نكته

سخيفه عليك... أحترم عمري يا ولد!

رفع رائف حاجبيه مرتاباً، ثم نظر إلى أمجد

بذهول مصطنع قائلاً :

- هل تلبستك روح الحاج متولي رحمه الله.. أي

عمر هذا يا أمجد... أنت في الثالثة والثلاثون

من عمرك؟!.....

زفر أمجد بسخط، ثم هتف من بين أسنانه وهو

يهز رائف مغتاضاً :

- لا شأن لك بي، لو سمحت لا تترك البيت مرة

أخرى يا رائف لأنني كدت أموت خوفاً عليك، أنا

تعبت من دلالكم... تعبت...

تهدجت نبرته في نهاية حديثه وقد تغضنت

ملامحه بتعبٍ، فاكتست ملامح رائف

بالندم... وهتف معتذراً :

-أنا آسف لن أفعلها مرة أخرى!.... هل

سامحتني؟!!

قال عبارته الأخيرة ببراءة، فابتسم أمجد رغباً

عنه... ثم ضم رأسه إلى صدره وقال بحنان :

-سامحتك يا متخلف، لكن هناك من جرحته

غيري ويجب عليك الاعتذار له....

-مالك... أليس كذلك...-

قالها رائف بلامح مكفهرة ونبرة جمعت بين

الغضب والندم، فأوماً أمجد برأسه... وهتف

بحزم :



-نعم، يجب عليك الاعتذار له... ما أوشكت على
التفوه به يعتبر جريمة في حقه حتى لو كنت
غاضباً منه... هذا لا يصح يا رائف!!!

=====

كل يوم يراها يشعر بدقات قلبه تزداد جنوناً،
وتسرى في أوردته سخونة غريبة، رؤيتها
أمامه تثير نيران الفقر بداخله، يريد أن يمتلكها
لكن ما باليد الحيلة... وما يؤلمه أنها حتماً
ستجد من يقدرها ويقدر نقاء روحها ستجد من
يستحقها، المقارنة بينه وبين أي رجلٍ آخر لن
تكون منصفه، فحاله يعتبر تحت الصفر بدرجة
غريبة..

تنهد يونس بكبت ودوامة أفكاره تكاد
تبتلعه... ليرفع عينيه إلى شرفة غرفتها باحثاً

بلهفة عنها... لكن ارتسم البؤس على ملامحه
فقد كانت الشرفة مغلقة وهي لن تخرج اليوم
بالتأكيد... ماذا سيفعل الآن إلى متى سيظل
مختلس؟!

إلى متى وإلى متى الاسئلة تطرح نفسها دون
رحمة أو رأفه بحالته المسكينة...

وللمرة الثانية تنهد بكبت وعاد يباشر عمله،
يبعد الغبار عن الكتب والروايات بحرص شديد
ورغم شرود عيناه وذهنه إلا أن أذنيه التقطتا
صوت خطوات متمهلة تقترب، شعر بجسده
يتصلب وبداخله يدعي بتضرع أن تكون هي
صاحبة الخطوات، فأغض عينيه بقوة... ثم
التفتت ببطء دون أن يفتحها...

أما هي فقد كانت مترددة بعض الشيء إلا أنها
حسنت أمرها وابتاع إليه كي تبتاع رواية جديدة
او هكذا تقنع نفسها!...

نظرت إليه مبهوتةً وهي تراه مطبقاً جفنيه
بشدة ممسكاً في كفه الأيمن خرقة نظيفة وفي
كفه الأيسر رواية يقوم بمسحها، ينعقد
حاجباها بتوجس... ثم تهمس بصوت مرتعش :

-أستاذ يونس؟!..... هل آت في وقتٍ آخر!

ها قد وقع قلبه في قدميه وأنتهى الأمر، نبرة
صوتها تصيبه بقشعريرة غريبة وتلذذ أعرب،
فتح عينيه ببطء فأبصرها تقف عند باب المحل
مرتدية عباءة واسعة تلف رأسها بوشاح
بسيط، ابتسم... لكن كانت ابتسامة لا تحمل من

الثقة شيئاً بل كانت كما شعرت بها منقوصة!..

غريبة..

عضت على شفثيها بقوة ثم أسبلت جفنيها
فتأمله لها أشعرها بالارتباك والارتياح، منذ
التقت أعينهما شعرت بضربات قلبها تزداد
جنوناً ووجنتيها تزداد تورداً، أنتبه يونس
لنفسه.. ثم هتف بصوت خرج رغماً عنه

مرتبك :

- هل تريدن شيئاً يا آنسة لجين!

أومات برأسها في هدوء دون أن تجرأ في رفع

عينيها.. فهتفت بصوت هادئ واثق :

- نعم يا أستاذ يونس.. أتيت لشيئين... أول شيء

أريد رواية (...). بعد إذنك!

ابتسم يونس لها ابتسامة هادئة، ثم استدار
على عقبه باحثاً عن طلبها، وكل مرة تتجراً
هي وترفع عينيها تراقب ظهره بعينين دامعتين
وابتسامة حالمة تداعب شفثيها الصغيرتين،
تتمنى ولو حتى كذب أن يعترف لها
بحبه....تتمنى أن تشعر بأنه يبادلها نفس

المشاعر ولو بقليل!!

تتهدت دون صوت..ثم اخفضت عينيها بسرعة
عندما التفت لها ممسكاً بطلبها بعدما وضع ما
بيده جانباً، أقترب منها مرة أخرى ثم وقف
أمامها ومد كفه بالرواية مبتسماً نفس
الابتسامة لكنها كانت مرتبكة بعض الشيء وما
كان يخشاه هو ضربات قلبه المجنونه التي
كادت يسمع صوتها بأذنيه من قوتها، وهي

أيضا كانت تشعر بنفس الشعور، وتبتسم نفس
الابتسامة..

امتد كفها بارتباك ثم جذبت الرواية بكف وامتد
كفها الآخر بالنقود لكن عينيه كانتا مثبتتين
على وجنتيها المحمرتين بشكلٍ جذابٍ مما جعله
غير منتبه لكفها الممتد فعقدت حاجبيها
بتوجس غافلة عن نظراته المشتعلة.. لتهتف
بصوت حاد نوعاً :

-ألن تأخذ مالك يا أستاذ؟!

اجفل يونس.. ثم أخفض رأسه إلى كفها الممتد
بالمال فهمّ برفضه لكن ذكرى مشابهه جعلته
يأخذها منها على مضض واضعاً إياهم على
سطح المكتب الخشبي البسيط، ثم عاد بعينيه
لها وهتف بصوت عذب :

-والشيء الثاني!

رمشت لجين بعينيها مرتين... ثم عضت جانب
شفتيها بقوة، فجذبت نظره إليهما وهذا ما كان
ينقصه ليزدرد ريقه ببطء...

هتفت بعد دقيقة بصوت خافت :

-كنت شديدة الفظاظة معك حين كنت أنتظر

أجد... لذلك أنا أعتذر منك....

ابتسم ابتسامته الجميلة أم أنها تتوهم، لا ابتسم
بالفعل وتألقت عيناه الجميلتان بلونهما المتقلب
بين الأسود والبني، ابتسم ابتساماً جعلتها
تسبل جفنيها بخجل وهمّت بالرحيل، فهتف هو
بلهفة مسرعاً :



-لكن هذا حدث منذ فترة؟!...أنا نسيت الموقف

من الأساس...!

أمتقع وجهها وارتجفت شفتاها...فعدت حاجبيه

بتوجس غافلاً عن ألمها الداخلي فقد فسرت

جملة الأخيرة تفسير غبي أنه لا يهتم بأي

شيءٍ يخصها من الأساس وهذا التفكير جعلها

على وشك البكاء...وقلبها يؤلمها بشدة،

فالتفتت بسرعة وأعطته ظهرها متأهبة

للرحيل، قبل أن تغمغم بفتور ظاهري :

-لا تهتم... أنا فقط أردت أن أعتذر لك...بعد

أزنيك!

ثم رحلت بسرعة وخطوات مندفعة تكاد تعدو

وشعورها بالألم والخذلان يكاد يطبق على

أنفسها، فقررت العودة إلى بيتها، أما يونس



فغر فمه بعدم فهم... وارتبكت ملامحه مغمماً

بصوت باهت :

-ماذا قلت لها جعلها تحزن بهذا الشكل ويمتقع

وجهها هل أخطأت!

لم يجد أجابه على سؤاله ونار القلق تنبش في

صدره لكنه ببساطة أختار عدم التفكير في

الأمر ككل مرة...!!

=====

أصوات غريبة تداخلت مع بعضها حتى كادت

تصيبه بالصمم، صوت صراخ أطفال..

اصطدام حاد أشبه بالانفجار، انفجار شعر به

يمزق روحه وهو يرى جثث خامدة على

الأرض الصلبة الدماء تبتلع وجههم بشكلٍ

مفزع، ينظر لهم بعينين متورمتين، ووجه
تغطيه الكدابات....

دم وجثث أطفال صغيرة تحيط به من كل إتجاه
وهو ينظر لهم وكأنه تائه غير مصدقٍ ما
يحدث، يشعر بهذا المشهد كالسوط لسع قلبه
وروحه بقوة حتى كاد يسمع صوت صراخهما،
عيناه الخضراوان قاتمتان، وأطرافه ترتعش
ارتعاشاً.... صدره يعلو ويهبط بعنف وكأنه
يبحث عن الهواء كي يخمد النار المشتعلة
بصدره... نار مشتعلة في صدره وفي مكان
قريباً منه.... نار يزداد سعيها أمام
عينيه.... نار شعر بها تقترب وتقترب كي
تحرقه هو!!!!!!



انتفض فجأة بجذعه جبينه يتصبب عرقاً
وجسده ينتفض انتفاضاً حقيقياً، ازدرد ريقه
بصعوبة ثم جالت عيناه في المكان وصدرة
يهبط ويعلو بعنف....

للحظة تسأل أين هو ومن هذه الجاثية على
ركبتيها أمامه تربت على ظهره بفزع من
مظهره وصوت صراخه أثناء نومه جعلها
تشعر بالخوف ووقفت عيناه عليها عاقداً
حاجبيه بتوجس، ثم أخفض نظره إلى تلك
الطفلة الباكية بفزع... ظل عاقداً حاجبيه وقلبه
يؤلمه بقوة جراء ذلك الكابوس القبيح....
فجأة عاد إدراكه له وهمس بصوت لا يكاد
يسمع، صوت دل على مدى تألمه وتألم



روحه... عيناه كانتا دامتين بشكلٍ مثيرٍ للشفقة

:

-م... ماذا حدث... لماذا أنتِ جالسه بجواري

وابنتك تبكي بهذا الشكل!

تتهدت صبا بارتياح، ثم هتفت بصوت شبه باكٍ

وبكلمات متلعثمة :

-كنت تصرخ وتقول

نار.. دم.... وأطفال.... جسدك كان ينتفض بشكل

افزعني... ووجهك أغرقه العرق... على ما

يبدو كان كابوساً قبيحاً

!



رفع مروان كفيه المرتعشين إلى وجهه
الشاحب، ثم مسحه براحتيه يحاول السيطرة
على أنفاسه اللاهثة وانتفاضة جسده..
لماذا لماذا عاد له هذا الكابوس والآن؟!
لماذا تذكر شيئاً وأده بنفسه... وأده كي لا يزيد
من ألم قلبه وتمزق روحه، أغمض مروان
عينيه بقوة، ثم زفر ببطء وهب واقفاً متجهاً
إلى الحمام كي يغسل وجهه...
رمقته صبا بملامح وجله... وشفقتين
مرتعشتين، راقبته بعينيها الدامعتين حتى
اختفى داخل الحمام، تشعر وكأنه يخفي وراءه
أشياء ليست بسيطة بالمرّة...
أما مروان أغلق باب الحمام بهدوء، ثم أسند
ظهره إليه... رافعاً عيناه إلى السقف، ملامحه

شاحبة وكان الدماء سُحِبَت من وجهه، قبضتاه
مضمومتان بقوة كي يتحكم في مشاعره
المضطربة الآن... يشعر بالخوف والألم
والتمزق، وبصداع مفرع يسيطر على رأسه...
تحرك من مكانه متجهاً إلى الماء، فتحها
بسرعة ثم وضع رأسه بأكملها تحت الماء
لعلها تهدأ من ثورتها ومن صداعه الغريب،
انسدل الماء البارد على رأسه غزيراً كسيل
ذكرياته، ظل على حالته دون أن يغلق
الماء... رغم برودة الطقس إلا أنه لا يشعر
سوى بجسده يثور بحرارة غريبة... وحين
شعر بهدوء حالته واطزان نفسه، أغلق الماء
ثم سحب منشفة مهترئة ومسح بها وجهه
فضل إلا يخرج الآن كي لا يرى الشفقة في



عينيها أو يتحمل غباءها الآن فهو غير قادرٍ
على التحمل بل يريد أن يفرغ توتره وغضبه
في شيء ما ولن يكون هي بالتأكيد لكن صوت
طرق عنيف على باب الشقة اجفله، طرقات
عنيفة كادت تكسر الباب من قوتها عقد حاجبيه
بقلق، ثم فتح باب الحمام بسرعة واندفع نحو
الباب وفي طريقه وجد صبا تضم طفلتها بقوة،
تهز رأسها برفض هستيري وشفتيها تتحركان
دون حديث، ازداد انعقاد حاجباه وهمّ بالتوجه
إليها لكن صوت الطرقات ازداد قوة فهزول
نحوه وفتحه بعنف صارخاً بغضب :
-ماذا حدث... لماذا تطرق الباب بهذا
الشكل..ب....

بُتِرَت عبارته عندما لاحظ عدد كبير من رجال
الشرطة ومعهم رجل اعترت ملامحه بغضب
أسود، لا يعرف لماذا شعر بالقلق والخوف
وهو يرى ذاك الرجل يرمقه بنظرات نارية،
شعر بثمة شيءٍ ما خطأ... ورن جرس الأنظار
في عقله، لينظر إلى صبا الواقعة خلفه بطرف
عينيه... ثم عاد بنظره إليهم وهتف بصوت
مشدد وهو يجذب باب الشقة كي يخفيها :
-أريد أن أفهم ماذا يحدث هنا؟!...وما سبب
وجود الشرطة أمام باب شقتي?!
جز هاني أسنانه بقوة وهدر بصوت غاضب
وعيناه تبحثان عن صبا :
-أين صبا يا لوح أنت؟!!



اندفع وجه مروان كالرصاصة نحو هاني... ثم
هتف بصوت مشدد حاد، غاضب بدرجة مخيفة

:

- عفواً... وما شأنك أنت؟!.....

زفر هاني بغضب، وهمّ بالصراخ مرة أخرى
لكن الشرطي تدخل هاتفاً بصوته الحازم :

- أنت متهم بخطف الطفلة جميلة عابد، والسيدة
صبا هي من شجعتك على ذلك، والآن يجب أن
تأتي أنت وهي معي!

فغر مروان فمه بعدم فهم، فانفجرت شفتاه
وهتف بارتباك يشوبه الغضب :

- كيف؟؟! وهل تخطف الأم أبنيتها؟!... ما هذا
الجنون!



قال عبارته الأخيرة بصوت شبه صارخ،
فاشتعلت عينا الضابط بغضب... وهتف :
-أحترم نفسك... ولا تصرخ بوجهي باختصار
صمت ثم أشار بسبابته إلى هاني... وأردف:
-عما حرر محضراً ضدكما بتهمة
الخطف... فأمها ليست مؤهلة لتربيتها لأنها
تعاني من اضطراب نفسي... وبحكم أنها
خطيبة ذاك الرجل شقيق زوجها.. فوجدك معها
في شقة وحدكما لن يكون منصفاً لكما....

=====



الفصل السابع

جالسة على سريرها، تداعب خصلات شعرها
بشروءٍ وكأنها تحيا عالماً آخراً... عالم متنقل
بين الخوف والألم، الفرحة والبؤس... تناقضات
كثيرة تشعر بها بعدما نفذ سليم أوامره، كل يومٍ
يأخذها في أحضانه برفق... يداعب خصلات
شعرها وكأنه يحتضن طفلة صغيرة، يبتسم لها
ابتسامة هادئة لا تصل إلى عينيه... وآه من
عينيه الفضييتين... عيناه تحولتا منذ فعلتها
الأخيرة إلى صورة غريبة وكأنهما ازدادت
قتامة... وقسوة... وألم يخالطه الحسرة!



هكذا لاحظت لا تعلم هل هذه حقيقة أم أنها
تتوهم...معاملته الرفيعة لها تجعلها تشعر
بهذه لذيذة تقلب كيائها رأساً على عقب، لن
تكذب هي لا زالت تشعر بالنفور والكره تجاهه
هذا حقها، لكن لماذا تشعر بشعاع من فرحة
غريبة بدأ يلوح لها على استحياء لماذا تشعر
بإرتياح غريب وهي معه...

ثانية؟!!

كيف؟!!

كيف تشعر بالارتياح نحوه ممتزج بالكره

والنفور؟!!

ببساطة..هي لا تحب الأخذ بالإكراه، وسليم
مارس كل طرقه في الانتهاك...وآخرها ليلة
أمس..

زفرت نفساً ساخناً وتوردت وجنتاها، فارتفعت
 أناملها ببطء متردد... تريد أن تلمس
 شفيتها... وكأنها تعبت بذكرى ليلة أمس...
 كانت تتحرك في الغرفة بملل، تبحث على اللا
 شيء، فقط تريد إبعاد نفسها عن نظراته
 المتفحصة لها والجريئة ونظراته الجريئة
 تصيبها بالغثيان... والنفور، لا تعلم كيف يتمالك
 نفسه وهو يحتضنها برفق بينما يتشنج جسده
 بأكمله، تشنج غريب وكأنه يمنع نفسه بقوة...
 زمت شفيتها بتبرم، ثم حكّت شعرها بملل،
 فرمقها سليم بنظرة مشتعلة، والتوت شفاته
 بشبه ابتسامة لم تدم كثيراً وهو يراها تعض
 على شفيتها بقوة وكأنها تفرغ غضبها بتلك
 الحركة، انخفضت عيناه تلقائياً إلى شفيتها،

وازدد ريقه ببطء غريب...الرغبة في تقبيل
هاتان الشفتان المثيرتان تتفاقم بداخله...كل
يومٍ تنام بين أحضانه يختطف قبلات صغيرة
لكنها لا ترضيه بالمرة..

تلاقت أعينهما في حوارٍ غريب متناقض
المشاع ما بين الشوق والرغبة، النفور و
الكره...و....وشعورها الغريب....بشيء
أغرب...

-تعالى يا مليكة...

قالها سليم على حين غرة منها بصوت أجش،
فزمت مليكة شفتيها المرتعشتين، وأسبلت
جفنيها كي تتمكن من السيطرة على نفسها قبل
أن تصرخ به طالبةً بالرحمة و الخلاص منه،
وحين طال وقوفها مكانها ترتجف زفر سليم



بكبتِ، أنتصب واقفاً وتحركت قدماها نحوها
 وضربات قلبه تزداد جنوناً، بينما التقطت أذناها
 صوت خطواته تقترب؛ فزمت شفيتها بقوة
 وأغمضت عينيها...تحاول وبشتى الطرق إبعاد
 خوفها منه...رغم شعورها بالارتياح له إلا أنها
 تشعر به ضئيلاً، ضئيل جداً أمام خوفها...وقف
 سليم أمامها يطالعها من مقدمة رأسها حتى
 أخمص قدميها، ظلا على وقفتهما هو يرمقها
 بنظرات صريحة..وهي تشعر بالوجل...إلى أن
 شهقت بقوة فزعاً من جذبه المباغت لخصرها،
 رفعت عينيها الذاهلتين ونظرت إلى عينيهِ
 الدافئتين في هاته اللحظة، حاولت التحدث أكثر
 من مرة لكن تلك الابتسامة الغريبة التي داعبت

شفتاه جعلتها غير قادرة على التفوه بشيء لكن

هو هتف بصوت أجش :

لم أحصل على قبلي هذا الصباح، تأخرت عليّ

يحتاج عقاباً شهياً من وجهة نظري... لذلك...

صمت فجأة ونظر لها بعينين عابثتين... فعقدت

حاجبها بتساؤل، وانفجرت شفتاها تهمّ

بالتحدث لكنه التهم حروفها بين شفتيه بقوة

جنونية، جعلت الخوف يسيطر عليها كلياً..

لمساته تزداد جرأة، جرأة أصابتها بالغيثان

والنفور، أغمضت عينيها بقهر وحاولت دفعه

بكفيها لكنه لم يتأثر بل دفعها إلى الجدار خلفها

محكراً شفتيها بين شفتيه، ثم أبتعد عنها قليلاً

دون أن يترك خصرها وأنفاسه اللاهثة تختلط

مع صوت أنفاسها وكأنهما خرجا من سباقٍ

شاق للتو...سباق شعر به بطعم الشهد...شهد
زاد من ضربات قلبه فشعر وكأنها ناقوس يتردد
صداه بقوة مزعجة... بينما هي تشعر بأنه
سباق مُنتهك وقاهر....سباق زادها نفوراً
إتجاهه...و...و ارتياح بغيض يشبه النشاز بين
مشاعرها المنطلقة نحوه دون أدنى رحمة،
عقلها يأمرها بصب جام غضبها عليه وعلى
فعلته الوقحة وليست أول مرة بل لثاني
مرة....وقلبها يأمرها بالابتعاد من
أمامه...لكنها امتثلت لعقلها وهتفت بصوت
صلب رغم ارتعاد جسدها واحمرار وجهها:
-أنت وقح، وما فعلته جعلني أشعر بنفوري
نحوك يتزايد أكثر وأكثر...لديك موهبة عالية
في انتهاك ما لا يحق لك!!!...



صوت طرقه قوية بعض الشيء على باب
غرفتها أخرجها من شرودها عنوة، فزفرت
مليكة بقوة، وازدردت ريقها دون أن تشعر
بتورد وجنتاها تفاعلاً مع ذكرى أمس...ازداد
الطرق على الباب، فرفعت رأسها وهتفت
بصوت متحشرج :

-من؟!-

سمعت صوت الخادمة تقول بتهذيب :

-أنا رجاء سيدتي...جئتُ كي أخبرك بأن

صديقتك ريهام قد وصلت!

عقدت مليكة حاجبيها باستغراب شديد، وابتعدت

كفها عن شعرها....

صديقتها ريهام بالخارج؟!!



ألم يمنعها سليم من رؤية أصدقائها... فكيف
أنت ريهام إلى هنا... عند هذا الخاطر... هتفت
مليقة بصوت عالٍ :

-ماذا قولت... ريهام جاءت لتراني!؟!

-نعم سيدتي... وهي تقف بجواري الآن!
قفزت مليكة من مكانها وأسرعت خطواتها نحو
باب غرفتها بابتسامة صغيرة حقيقية، فتحت
الباب بسرعة، فوجدت صديقتها تقف بجوار
رجاء مشبكةً كفيها بخجلٍ، جحظت عينا مليكة
مبهوتةً ثم هتفت بانفعال :

-ريهااااا... يا إلهي كم اشتقت لكِ

ثم هجمت عليها تعانقها بقوة أجفلت ريهام،
فتأوهت ضاربةً إياها في ظهرها :

-مهلا يا مليكة... ما كل هذا العنف يا امرأة ...



ابتسمت مليكة بخفوت، ثم ابتعدت عنها
وجذبتها من مرفقها إلى الداخل، أغلقت باب
الغرفة بعدما صرفت الخادمة واتجها إلى
الأريكة..

ظلا صامتتين كل منهما ترمق الأخرى بنظرات
غريبة، ريهام تفرك أصابعها بتوتر.. ومليكة
تعض على شفثيها حتى كادت تدميها... وحين
طال الصمت بينهما... تتحننت مليكة كي تجلي
حلقها وهتفت بتوجس:

-لم كل هذا الارتباك يا ريهام!؟-

رمشت ريهام بعينيها عدة مرات، وانفرجت
شفثاها تحاول التحدث لكنها تخشى
العواقب... وهذا ما لاحظته مليكة، فهتفت بهدوء
وهي تربت على ذراع ريهام :



-قولي ما تريدين قوله ولا تخافي من أحد...
ازدردت ريهام ريقها بصعوبة، ثم مسحت
جبينها وكأنها تمسح عرقها الغير متواجد من
الأساس...تبتسم ابتسامة مرتبكة وتضيف :
-بصراحة...منذ وطأت قدمي قصر
الأميرية...

وأنا أشعر برهبة جعلتني على وشك
البكاء...قصر الأميرية رهبة لا يستطيع أحد
التغلب عليها!

التوت شفتا مليكة بشبه ابتسامة ساخرة...ثم
هتفت بتشدق كاذب :

-نعم نعم اعرف...رهبة تشعرين بها في كل
مكانٍ هنا حتى أشخاص هذا القصر...لكن
ثانية...

صمتت لبرهة وضافت عيناها وهي ترمق
ريهام بنظرات متوجسة... فعقدت ريهام حاجبيها
بتساؤل سبق هتاف مليكة بشك :
-سؤال يدور بعقلي الآن...كيف سمح لك سليم
بالمجيء إلى هنا...ولا أقصد إهانة والله!
نظرت ريهام لها وقد زاد ارتباكها أكثر مما جعل
القلق يتزايد بداخلها، وحين قررت ريهام
التحدث..همست بصوت خفيض :
-سيد سليم نفسه هو من بعث ليّ أحد رجاله كي
أت لك وأجلس معك قليلا...
بحظت عينا مليكة مشدوهةً، وسقط فكها حتى
كاد يعانق أرض الغرفة، سليم هو من بعث
لها كي تأت وتجلس معها...بعد ما ألقته من
سموم قاتلة عليه ليلة أمس!



هل أصابه الجنون أم أنه يخطط لشيء ما كي
يكسرها كلياً... هنا صفق لها عقلها بطريقة
مسرحية مستحسناً تفكيرها، فمن وجهة نظر
عقلها.. سليم شخصٌ يتفنن في كسرها وانتهاك
ما لا يحق له!؟

وللمرة الثانية تعترف بها لكن هذه المرة
داخلياً... أما المرة الأولى فكان عقابها عنيف
بعض الشيء

-مليقة... أين ذهبت!؟!

قالتها ريهام عاقدةً حاجبها بتوجس من
شرودها... فنظرت مليكة لها بعينين التمتعاً
ببريق غريب، لكنها هتفت بصوت هادئ :
-أنا معك... فقط شردت في شيء ما!



هزت ريهام رأسها بلا معنى، ثم عضت زاوية
شفتيها بقوة وارتبكت ملامحها بشكل ملحوظ،
فعلت مليكة بأنها ستقفوه بشيء لن يعجبها،
وبالفعل حين تحدثت ريهام انتابها شعوراً غريباً
:

-مليكة، أنا أعلم أنك تزوجت قسراً من السيد
سليم... وأنا أشعر بكم القهر الذي تشعرين به
في هذا البيت، تشعرين بالانتهاك، تشعرين
وكأنك دمية يتلاعب بها سيد سليم وجدك؛
لذلك..

صمتت لبرهة، ورمقت مليكة بنظرات مختلصة
من تحت جفنيها كي ترى رد فعلها، لكن البرود
الذي اعترى ملامح وجه مليكة... جعلها تتوجس



قليلاً خوفاً وقلقاً، لكنها استعادة رباطة جأشها
وهتفت بجديّة :

-لذلك أنا على استعداد تام لتهريبك من
هنا...ولو وافقتِ سأعمل جاهدة لتخليصك من
كل هذا العذاب...!

ارتفعت شفتاها للحظة لكنها عادت وزمتهما
بقوة كي تتحكم في انفعالاتها انفعالات مضطربة
ما بين الفرحة والقلق...انفعالات غير محسوبة
بالمرّة، ظلت ساكنة لا تبدي أي رد فعل،
فتجرات ريهام ورفعت عينيها لها ثم هتفت
بتساؤل متوجس :

-لماذا صمتِ يا مليكة...هل تفوهت بشيء ما لم
ينل إعجابك...هل كان عرضي صعباً لهذه
الدرجة؟!!



هزت مليكة رأسها برفضٍ، وقد خبا انفعالها
خلف قناع بارد صلب يشبه قناع سليم... ترمق
ريهام بنظرات غير مفهومة، ثم لم تلبث أن
هتفت ببطء :

- عرضك مغرٍ بشكل أثار حماسي... لكن أنا
أرفضه؟! -

شهقت ريهام شهقة مكتومة، ورمقت مليكة
بعينين اتسعتا بصدمة من حديثها... تطالعتها
بنظرة غريبة وكأن ما تفوهت مليكة به ما هو
إلا جنونٌ...

تابعت مليكة حديثها لكن بنبرة حزينة وقد تهدل
كتفاها وكأنها تحملهما أثقل كاهلها :



-أرفضه لأنك لا تفهمين...هروبي من هنا يعني
ثورة سليم علي...هروبي من هنا يعتبر درباً من
الخيال...لن أهرب يا ريهام.....

عقدت ريهام حاجبيها بعدم فهم، ثم هتفت :
-لا أفهم...ترفضين الهروب من جدك وحفيده،
ترفضين الخلاص من كل هذا....أنا لذي القدرة
على مساعدتك...

أومات مليكة برأسها، ثم اطرقتها وهتفت
بصوت متحشرج :

-حتى لو لديك القدرة على مساعدتي، لن
أهرب....لأن...لأن سليم يحميني من
جدي...رغم تصرفاته الفظة معي إلا أنه يحميني
منه...وهروبي منه يعني منح سالم الفرصة
للقصاص منا ومن سليم شخصياً....



ازداد انعقاد حاجبا ريهام بعدم فهم، لكنها لعقت

شفتيها وهتفت :

-كما شأت...لكن عرضي لا يزال قائما...حين

تقررين الهروب سأساعدك بكل ما أوتيت به من

قوة وعزم...

رفعت مليكة رأسها ونظرت إلى ريهام بعينين

التمعنا ببريق الحماس، تريد الهروب كل كيائها

يدفعها للهروب...التحرر من تسلط سليم وظلم

سالم...تتمنى الهروب من كل هذا وتتعلم بحياة

جديدة...بشخصٍ يقدرها وليس شخصاً يبثها

الخوف والرغبة..وينتزع منها ما تمتلكه

عنوة...تريد الانطلاق كعصفور سجين حصل

على حريره..تريد وتريد وتريد..لكن ما باليد

حيلة...سليم لن يتركها أبداً...هي تعلم أنه



متمسك بها بشكلٍ آثار فضولها.. لكنها وببساطة

لا تريده في حياتها رغم حنانه البادي

عليه... ونظراته الغريبة التي يخصصها بها هي

فقط... عقلها غافلٌ عن كل هذا يطلب التحرير

والخلاص منه، لئيتها تهرب... لئيتها تهرب بعيداً

عنه قبل أن ينتزع روحها و... وقلبها

المراهق... هي تعرف أن قلبها في طريق

الإحراف نحوه... إلا أنها تحكم اللجام

حوله... تكبله بأوامر من عقلها السام... فهل

ستقوى على التحكم به أم أنه سيضرب أوامر

عقلها عرض الحائط!؟!

-مليكة... ما هذا الصوت... هل يتشاجر زوجك

مع أحد!؟!

اجفلت مليكة على صوت ريهام المتوتر، فهزت

رأسها بعدم فهم وهتفت :

-أي صوت هذا...أنا لا..

بُتِرت عبارتها عندما التقطت أذناها صوت عالٍ

آتٍ من الطابق السفلي، صوت جعلها تنتفض

مكانها رعباً، لكنها تماكنت نفسها بقوة تستحق

الإعجاب، ثم قفزت واقفة وهمّت

بالخروج....فأمسكتها ريهام من مرفقها وهتفت

بخوفٍ حقيقي :

-إلى أين ستذهبين يا مجنونة؟!!

لم ترد مليكة عليها بل سحبت وشاح كبير

ووضعتة على شعرها بأهمال، ثم جذبت ذراعها

من ريهام واتجهت إلى الباب بخطوات سريعة

تزامناً مع هتافها بشجاعة :



- سأذهب إليه... ألم تسمعي صوت صراخه

بالأسفل؟!!

=====

جالساً في غرفته يحدق بالسقف بشروء... جسده

ساكن كجثة خامدة وعيناه زائغان تعكرتا

بغمامة من الألم... حلقه يتحرك بصعوبة يحارب

غصة مسننة تكاد تشطر حلقه نصفين، قلبه يئن

وجعا وألماً من جرح بات نكاه مؤلم لدرجة

الصراخ... جرح عميق سيظل يحاربه كي

يشفيه...

وأمام عينيه عادت ذكرى ما حدث بينه وبين

مروج تتحرك ببطء متلذذة بألمه وآنات

قلبه... ذكرى بغيضة ومؤلمة.. ذكرى بشعار

"عديم النسب"



لقب اكتسبه بحكم يُتمه... لقب لم يحبه طوال
حياته، لقب يراه كسكين حادة تمزق كل قطعة
في كيانه... لقب يجعله يشعر بالإهانة رغم
فخامة مكانته الآن، لأنه ببساطة سيظل يعاني
طوال حياته...

صوت صرير باب غرفته أخرجه من شروده
عنوة، فزفر مالك بسخط من ذاك المتطفل
والذي هو ابنه حمزة بالتأكيد...
شعر بجسد صغير يستلقى بجواره، ثم بكف
رغم صغرها إلا أنها صفت وجهه بقوة جعلته
يصرخ بغضب معتدلاً بجسده :

- ما قلة الأدب هذه؟!... تصفع والدك!
زم حمزة شفثيه مستاءاً، ثم هز كتفيه بعدم
أهتمام وهتف :

- ما بالك مشد اليوم يا "مالك" كنت أمزح معك

يا رجل!!

شهق مالك بقوة وجحظت عيناه مشدوهاً، مالك

ويا رجل لقد تعدى حمزة حدوده ويجب تأديبه،

لذلك في لحظة هجم مالك عليه فصار شعر

حمزة بين قبضة مالك، وذقنه بين كفه تزامناً

مع صراخه الغاضب :

- أنت تتعدى حدودك يا ولد... أنا والدك وليس

"مالك" احترم نفسك وإلا سأقتلع شعرك الذي

تتباهى به فتصبح بدونه، لا تقترب مني هذه

الأيام كي لا ترى ما يجعلك تبلل بنطالك من

الخوف... فهمت أم أقحم كلامي في رأس الفارغ

هذا؟...



فغر حمزة فمه ببلاهة، وجحظت عيناه
الزرقاوان بقوة مبهوتاً، جسده يرتعش وشفثيه
تتحركان بخوف بينما مالك كان يشتعل
غضباً.... عيناه برقتان.... وعروقه بارزة بشكلٍ
جعل حمزة يرمش مرتين ويبتلع ريقه بخوفٍ
حقيقي فقد بدا مالك شخصاً آخرًا غير مالك
الهادئ الحنون، لا يعلم بحقيقة غضبه.... غضبه
كان سببه ما حدث بينه وبين مروج، فجاء
حمزة في الوقت الخطأ وأشعل فتيل غضبه....
سحب مالك نفساً عميقاً وترك شعر حمزة بعدما
لاحظ الذعر في عينيه اللتين بدائتا في ذرف
دموعهما خوفاً وذعراً من تصرفه، فرفع مالك
أصابعه وتخلل بهم خصلات شعره بعنف، ثم

هتف بصوت متعب وهو يربت على وجنة حمزة

الباردة كالصقيع :

- لا تبك... لا تبك يا حمزة... لم أقصد أخافتك...!

زم حمزة شفثيه بقوة، ثم مسح وجهه بظاهر
كفه بشيء من العنف، لكن دموعه سقطت مرة

أخرى وبشكل غزير مما جعل مالك يتأوه
بصوت خفيض ثم جذب عنق حمزة واحتضنه

بقوة تزامناً مع همسه الأسف :

- أنا آسف... لم أقصد إخافتك... أنا... أنا فقط

أشعر بالغضب ليس منك بل من شخصٍ آخر...

وسط دموع حمزة الغزيرة عقد حاجبيه بعدم

فهم، لكنه رفع ذراعه وربت على ظهر والده

قائلاً بصوت مذبذب :



- لا يا أبي أنا من أخطأت في التماذي

معك... بصراحة أعشق استفزازك... أنا آسف...

التوت شفتا مالك في شبه ابتسامة، ثم أبعء

حمزة قليلا كي يتمكن من النظر إليه، فوجد

وجهه شديد الاحمرار وشفثيه ترتشعان بشكل

ملحوظ، ليتهد مالك بتعب، ثم رفع كفيه ومسح

دموع حمزة برفق، وعيناه ترمقانه بأسف

حقيقي، لكنه هتف بصوت عادي :

- لماذا أتيت إلى غرفتي في هذا الوقت؟!... أليس

هذا موعد نومك؟!

رمش حمزة بعينيه المبللتين مرتين، ثم رفع

إصبعه وحك رأسه مفكراً، فرمقه مالك بعينين

ضاقتا تفحصاً ومللاً، إلى أن هتف حمزة وهو

يمد كفه في جيب منامته وأخرج هاتف مالك،



نظر مالك إلى هتف بعدم فهم، فانفرجت شفتا

حمزة وهتف بصوت شبه باك :

-خذ هاتفك يا أبي...صوت رنينه كاد يصم

أذناي...رنين متواصل بشكلٍ استفزني!

رفع مالك حاجبيه بتوجس، ثم جذب الهاتف من

بين قبضتي ابنه، وعبثت أنامله بحثاً عن رقم

المتصل، وحين وقعت عيناه على رقم المتصل،

تصلبت أصابعه على شاشة الهاتف، وغارت

عيناه بينما اختلج فكه عدة مرات مما وشى

بقرب انفجاره، لكنه وبكل هدوء يحسد عليه

هتف مداعباً وجنة حمزة بأنامل مرتعشة :

-هلا ذهبت إلى غرفتك الآن يا حمزة...وسات

إليك كي أنام بين ذراعيك!...من فضلك!



لعل حمزة شفتيه، ثم أوماً برأسه وأخفض
ساقيه ليلامس الأرض، وبعدها هرول خارجاً
من الغرفة وأغلق الباب خلفه بهدوء... فزفر
مالك بارتباك، وأغمض عينيه بتعب، ليهمس
بصوتٍ واهٍ :

-كفى كفى ألماً لم أعد أتحمل كل هذا، قلبي
يحتضر وروحي تنزف، لن أتحمل؛ حيث
المتصل كان أمجد!

وفي لحظة ألم، جرح، نزف، قرر التجاهل!

=====

-كفى... كفى ضجيجاً... ماذا دهاك يا تمارا؟!
قالتها جود بحنقٍ أثر ثرثرة تمارا بكلمات
سريعة وغير مفهومة، مما جعلها تصرخ بها
بنفاذ صبر، أجفلت تمارا بشدة، فارتد وجهها



إلى الخلف تحاول التحكم في ثورتها، لكنها لم

تقدر، فعادت وهتفت بتذمر :

-صديق لي سيخوض مباراة كرة قدم بعد ثلاثة

أيام ويريد مني حضور المباراة....

قالت جملتها الأخيرة بخفوت تراقب رد فعل

الجود التي ارتفع حاجباها توجساً، وضمت

شفتيها في خط قاسٍ...بينما عيناها كانتا

مظلمتين، تحديق تمارا بنظرة غريبة، تحرك

حلق جود ببطء ثم هتفت بصوت غريب لا يدل

على خير :

-صديق لك...أم أنك أخطأت في التعبير والأصح

أنها صديقة؟!!

أسبلت تمارا جفنيها بتوتر، ثم هتفت بتلعثم :

-بلى...قصدت ما سمعته...



ضاقت عينا جود بشكٍ يشوبه الغضب، والتوت
شفتاها بشبه ابتسامة باردة، ثم هتفت بصوت
فاتر :

-منذ متى يا تمارا...منذ متى كان لديك أصدقاء
رجال؟!...هل تظنين مني الصمت على هذا أم
ماذا؟!!

ازدردت تمارا ريقها ببطء، وارتجفت شفتاها
وغامت عيناها بالدموع، فزفرت جود بقوة،
وهتفت بنبرة مشتدة وهي تلوح بسبابتها :
-أنا أرفض هذا التصرف الغير لائق بالمرّة، لذا
لن تذهبي...لا تتصرفي هذا التصرف مرة أخرى
يا تمارا..

عقدت تمارا حاجبيها بشدة، وتكور فمها بغضبٍ
واضح إنتقل لنبرتها :



-أنا سأذهب يا جود...لا تحاولي منعي!
بهتت ملامح جود بشكل ملحوظ، واهتزت
حدقتهاها، لكن تمارا لم تلاحظ هذا بل اشتدت
نبرتها أكثر هاتفةً :

-أنا سأذهب لأنني حرة لا تحكمني قيود
بغیضة...ليس لدي أب يمنعني أو شقيق
يحميني..فشقيقي أختار الهروب وتركني وحيدة
عرضة لأي شيء سيء ممكن أن
يتخيله....هرب دون أن يلتفت خلفه ولو
للحظة..فهل تطلبين مني التريث في
تصرفاتٍ....

ابتسمت جود ابتسامة غريبة، واقتربت منها
بقدميها الحافيتين، هكذا إذا...لا زال ما فعله
شقيقها يؤثر عليها وعلى عقلها..تتشدد

بالحرية وهي محبوسة خلف قضبان

الخدلان!!!...

وقفت جود أمامها تطالعها بعينين غريبتين،

فعدت تمارا حاجبها بعدم فهم وانفرجت

شفتاها تهمّ بالسؤال لكن جود هتفت بصوت

صارم مقاطعة إياها :

- أنتِ لا تفهمين... لا تفهمين يا تمارا... بعض

الأمور لا تأخذ على هذا النحو بل عليكِ

التريث... ما أمرك به هو التحلي بنفسٍ عزيزة و

روح شرسة تهاجم ما تتعرض لها وقبل كل هذا

هو احترامك لأصول الدين والأدب... صدقيني

التهاون قد يؤدي بكِ إلى طريقٍ انحرفت له

قدماي ذات يوم... وماذا الآن... أعض أصابعي

ندماً وألماً!

كانت نبرتها في بداية الحديث صارمة
وملامحها ثابتة لكنها تحولت إلى نبرة خافتة
شاردة فبدت كهذيان، كلماتها لم تكن موجهة
إلى تمارا بل كانت موجهة لنفسها... كانت
تتحدث بثقة وصرامة في بادئ الأمر لكن
كلماتها كانت كالحامض الذي أشعل جرحها
الملتهب دون رحمة... لا زالت تعاني مما حدث
لها في الماضي رغم تحولها إلى فتاة صلبة، لا
تعلم شيئاً يسمى التهاون.. لكن كما قالت بعض
الأمر لا تأخذ على هذا النحو... أبدا!
تراجعت تمارا للخلف دون أن تحيد بعينيها عن
عيني جود، ثم هتفت وهي تهز رأسها ببطء :
-مهلا مهلا... أنا لم أقصد ما وصل لك.. أنا
أردت أن أذهب إلى هناك ليس لأجله أساسا بل

سأذهب لمشاهدة المباراة ولن أذهب وحدي
صديقاتي سيذهبن معي... أنا لا أفكر في هذه
المواضيع... هو مجرد صديق يا
جود... وإصراري على الذهاب ما هو إلا إثبات
لرأيي... لكن اطمئني لن أذهب وحدي ولو أردتِ
الذهاب معي تعالي معي... وسأكون سعيدة جداً
لو أتيتِ معي!

تهدت جود بتعب، ثم رفعت أناملها وحكت

جبينها بتعب قبل أن تهتف :

-سأثق بكِ تمارا... لكن آسفة لن أستطيع الذهاب

معكِ لأي مكانٍ...

عقدت تمارا حاجبها بعدم فهم، ثم هتفت

بتساؤل :

-لماذا؟!-



هزت جود كتفيها ببساطة، وهتفت وهي تغمض

عينيها بقوة :

-لأنني أفضل الجلوس في الشقة يوم

العطلة...لذا لن أستطيع الخروج معك....

أومات تمارا برأسها، ثم طبعت قبلة سريعة

على وجنة جود وهتفت بسرعة قبل خروجها :

-أسفة على إثارة غضبك حبيبتي...

ابتسمت جود رغماً عنها، ثم تحركت قدماها

نحو غرقتها عليها تشعر بالراحة..راحة رحلت

منذ زمن لتبقى هي أسيرة القلق والتعب

والإرهاق!

=====

جالساً في سيارته يحدق في الطريق بعينين

غائرتين، أصابعه تنقر بلحنٍ رتيب على المقود



نقرات تتسارع ثم تتخفض حد السكون، أفكاره
تجذبه قسراً فيقبل هو صاغراً دون أي مقاومة
وكانه يتلذذ بتعذيب نفسه إلا يكفيه تعذيب من
حوله، يحارب من جهات مختلفة كل جهة لها
مكانة في قلبه سواء كانت كره أو حب...يحارب
بإستماته دون اللجوء للراحة...حروبه لا
تتوقف و روحه لا تشفى...تنزف ألما وتبكي
ندماً...قيود كثيرة تكبله فبات الخلاص منهم
مستحيلاً، روحه مثقلة بالاجوع وقلبه خامد لا
ييدي أي رد فعل سوى لها...لمن ملكته منذ
سنوات...ملكته دون أن تشعر وجرحته بكل
وعياها..جرحته دون أن يرف لها جفن...وكانه
رجلٌ لا يعرف طعم الجرح...و...وكانه تمثال من
حجر تقذفه بجمودها ونفورها دون أن تهتم

بشروخ قد تترك في روحه أثراً لن يزول سوى

بموته!!!

تهيدة كبيرة خرجت من بين شفثيه محملة
بالألم والتعب، وذكرى ما حدث بالأمس تداهمه
بقوة جعلته يلبي ندائها لتتحرك أمام عينيه
الغائرتين مرة أخرى...

لا يعلم كيف نظر لها بعينين متسعيتين صدمة
بعد عبارتها القاتلة "أنت وقح، وما فعلته
جعلني أشعر بنفوري نحوك يتزايد أكثر
وأكثر... لديك موهبة عالية في انتهاك ما لا يحق
لك!!!..."

عبارة لم تكن قاسية إلى هذا الحد لكن آخرها
كان قاسي حد الألم "لديك موهبة عالية في
انتهاك ما لا يحق لك!!!..." عن أي موهبة

تحدث وعن أي انتهاك تتكلم... لماذا تتعامل معه
وكأنه مغتصب يريد أخذ منها ما لا يستحقه
عنوة... هو ليس مغتصباً بل هو زوجها ويحق
له ما يفعله وأكثر... كيف تلقي على مسامحه
هذا الاتهام الصريح دون أن تحكم
عقلها... تتهمه بأنه مغتصب صراحةً دون أن
يرف لها جفن، تعقد ساعديها وترمقه بنظرات
متحدية وكأن الوضع تبدل...
ظل سليم يرمقها مبهوتاً بينما هي تحدجه
ببجاعة دون أن تحيد بعينيها عن
عينيها... تتظاهر بالصلابة وهي تشعر بالجبين
والخوف يجثمان على صدرها بقوة كادت تزهق
بأنفاسها، تريد الربح بنقطة لصالحها، تريد
الإنصار ولو للحظة لحظة تشعر بها



بالتشفي... ويتراقص عقلها على لحن الفوز،
لكن كل أمنياتها ضاعت هدرًا وهي تشعر بذراع
سليم يلتف حول خصرها مرة أخرى بقوة،
يجذبها نحوه بشيء من العنف، ثم مال نحوها
فأغمضت عينيها تلقائياً، لكنه همس بصوت
أجش في أذنها :

- أنتِ قبيحة... قبيحة بشكلٍ مثير للشفقة على

قباحتك و جُبْنك... أنتِ قبيحة بدرجة لم

أتوقعها... لا أعلم كيف أتمالك نفسي أمامك كي

لا أضرك وأنتِ ببساطة تستحقين سحق رأسك

تحت حذائي... أهذا ما تريدين... إهانة مماثلة

لأهانتك ليّ وكان صمتِ بطاقة السماح لكِ

بالتماذي... أحذري فأنا لستُ ملاكاً أحذري

غضبي يا زوجتي العزيزة لأنك لن تتحمليه...

كلماته كانت قاسية عليها، كلماته كانت باردة

تكاد يقشعر جسدها... عيناه كانتا

باردتين... وكأنهما فقدتا شغفها التائر الذي

ظهر في عينيه أثناء ثورته، لا تعلم كيف

تمالكت نفسها كي لا تشهق بصوت عالٍ من

إهائته وكلماته الناعرة... لم تشعر بسقوط

دمعتين باردتين على وجهها الشاحب حتى

حاكى وجوه الموتى، لم تشعر سوى بدفعته

العنيفة لها كي يبعدها عنه كالمحموم... دفعته

لها كانت مختلفة عن دفعته الأولى... دفعته

الأولى كانت شغفاً شعر به وهو يلتهم

شفتيها... لكن دفعته الثانية كانت رفضاً صارحاً

لها... وكأنه تحول لشخصٍ آخر والفضل يعود

لها!!



انتفضت شاهقة على صوت صفق الباب بقوة
كادت تصم أذنيها، نظرت إلى الباب بعينين
دامعتين، تشعر بنار الإهانة تحرق جنابات
روحها، تشعر بالحقد نحوه جراء إهانتته وكان
الإهانة محرمة عليه..ومتاحة لها؟!
عاد من شروده عندما وجد نفسه أمام باب
القصر، فزفر بحنق ثم أوقف السيارة وترجل
منها بملامح مكفهرة باردة...أغلق باب السيارة
بشيء من عنف متأففاً بعصبية سببها كل ما
يحيط به من كائنات يتسابق كل شخص فيهم في
جرحه...وأخرهم مروان...زفر مرة أخرى ثم
فتح الباب الرئيسي للقصر و أغلقه خلفه بعنف،
تقدم نحو السلم، لكن صوت ما صدح من خلفه
جعله يقف مكانه دون أن يلتفت...فاقترب منه

صاحب الصوت بحركات تعدد أن تكون بطيئة

كي يثير أهتمامه لكن سليم لم يهتم سوى

بغضبه الآن...وقف صاحب الصوت

خلفه...وهتف بصوت بارد :

-أهلا بحفيدي المطيع الشهم!

أغمض سليم عينيه بنفاذ صبر، وحك فكه بملل

محدثاً نفسه "هذا ما كان ينقصني، استفزاز

سالم وبروده...ماذا يريد مني هو الآخر"

سحب سليم نفساً عميقاً، ثم فتح عينيه والتفت

إلى سالم بلامح متبلدة، يرمق سالم بنظرات

تكاد تخترق جسده من قوتها، لكن سالم لم يهتم

بكل هذا بل أقرب منه أكثر متابعاً :

-لم يكن هذا ظني بك أبداً...منذ صغرك وأنا

اتشددق بذكائك الغريب...ذكاؤك الغريب هذا الذي

استخدمته في محاربتني لكنك وببساطة تصرفت

بمنتهى الغباء، فانكشفت أوراقك ليّ وربحت

نقطة إضافية!

ضاقت عينا سليم بعدم فهم، وارتفع حاجبه

بتوجس، يشعر برائحة غير مُبشرة بالمرّة،

حدسه يخبره أن ما سيقوله سالم لن يرضيه

بالمرّة، وبالفعل حين تكلم سالم شعر سليم

بالغضب:

-كنت أعلم مكان الطفلة التائهة، فكرت في

جلبها إلى هنا ومساومة مروان كي يأتي هو

ويبقى هنا معنا في قصر الأميرية... لكن حين

فكرت في الأمر... وجدت أن تلك الطفلة ستكون

الطعم لك وللمروان... وبالفعل حين ذهبت أنت

كي تأخذ الطفلة دون أي محاولات



للتخفي...كلفت من راقبك وعلم مكان مروان

ومن معه!

تسمّر سليم مكانه وارتفعت ضربات قلبه
بحنون، يشعر وكأن دلو من الماء البارد قد
سكب على طول ظهره..فشعر بالبرودة تسري
بجسده مناقضة تصيب حبات العرق على
جبينه، بينما سالم كان ينظر له بعينين خبيثتين
متفحصتين، يراقب كل رد فعل يصدر من سليم
كي يزيده تلذذاً، لم يتمالك سليم نفسه أكثر

فصرخ بعصية :

-ماذا فعلت به؟؟-

وبعد صرخته عم الصمت المريع بينهما وسليم

لا يزال على حالته منتظراً إجابته بعينين

متقدتين غضباً، وبعد لحظة هتف سالم مقاطعاً

هذا الصمت الثقيل :

-لم أفعل به أي شيء!

تهيدة خافتة خرجت من بين شفتي سليم، لكن

سالم تابع بصوت قاسٍ :

-حتى الآن فما فعلته يعتبر جزءاً ضئيلاً...

عند هذه اللحظة لم يتمالك سليم نفسه فصرخ

بقوة أجفلت سالم، ليتراجع خطوتين إلى الخلف

:

-أنت أنت..مما صنعت...أجبنى من أي شيء

صُنِعت...أنا سئمتك...ماذا فعلت

بمروان....أجبنى ماذا فعلت به يا سالم!



رغم أن سالم كان يطالعه بعينين باردتين إلا أن
سليم لاحظ اختلاج فكه، فتابع بصوت أشد
قسوة و غضباً :

-ماذا فعلت به يا سالم لا تفقدني أعصابي!
كان جسد سليم ينتفض غضباً، عيناه اشتعلتا
بنار هوجاء و قبضتاه مضمومتان بقوة حتى
أبيضت مفاصلهما، بينما سالم انفرجت شفثاه
الغليظتان وهمّ بالتحدث، لكن ظهور شخصاً ما
خلف سليم أسكته، فعقد سليم حاجبيه بعدم فهم
وهو يلاحظ تحديق سالم في شيء ما خلف
ظهره...فالتفت سليم ببطءٍ حتى لاحظ وقوفها
خلفه مباشرة تقلب عينيها بينهما بملامح عادية
أقرب للبرود، ليقترب سليم منها بملامح خطيرة
وهتف من بين أسنانه هامساً :



-ماذا تفعلين هنا...يا زوجتي؟!!

لم ترد مليكة عليه بل رمقته بنظرة غريبة، ثم
انفرجت شفتاها وهتفت وهي تنظر إلى سالم
بحقد ظاهر :

-سمعت صوت صراخكما من غرفتي...هل أنتم
أطفال؟!!

جز سليم على أسنانه بغيظ، واشتعلت عيناه
أكثر، فهمّ بدفعها نحو السلم كي ترحل، لكن
سالم سبقه وهتف بصوت عالٍ قاسٍ، محدجاً
إياها بقوة :

-وما شأنك أنتِ يا سليطة اللسان...عديمة الأدب
صحيح...

وللمرة الثانية انفرجت شفتا سليم يهّم بالصراخ
في وجههما، لكن هذه المرة سبقته مليكة



وصرخت بقوة ودون وعي منها تشبثت بمعصم
سليم وكأنها تطلب الدعم منه، فتشنج جسده
واهتزت حدقاته :

-لا تشتمني... لا تشتمني... ماذا فعلت لك؟!
جز سالم على أسنانه بقوة، ثم أقرب منها
صارخاً بوجهها :

-لم تفعلي يا ابنة أمك... أنا من س...
-اصمتا أنتما الاثنان حالاً..

صرخ بها سليم بعدما فقط زمام أمره، بينما
ذراعه الآخر جذب مليكة ليوقفها خلف ظهره
مباشرةً يحميها من بطش سالم، فنظر سالم
لهما بعينين شرستين غاضبتين، وهتف مشيراً
بسبابته نحو مليكة :

-عديمة الأدب ولا أحبك... قبيحة كأمك!

قبيحة... قبيحة

مرتين... سمعتها مرتين دون أن يرف لصاحبها
 جفن، سمعتها مرتين وفي كل مرة تشعر بنار
 الإهانة تقتل روحها، أطرقت برأسها بخزي،
 وتشبثت أكثر بسليم الذي كان يرمقها مختلساً
 يعلم ما يدور برأسها الآن لكن ما اوجعه هاتان
 الدمعتان المنسدلتان على وجنتيها، زفر دون
 صوت ثم عاد بنظرة إلى سالم وهتف بصوت
 مشدد :

- لا شأن لك بها يا سالم... هل سمعت؟!... لا شأن
 لك بها...

كانت عيناه متقدتين، وعروق جبينه وعنقه
 بارزة مما وشى بقرب انفجاره... فتراجع سالم
 قليلا ليهتف بخبث :

-لا تنسى البحث عن مروان ومن معه!
ثم رحل دون أن يضيف كلمة أخرى، فتبيست
أنامل سليم الممسكة بمليكة، واختلج فكه
بخوفٍ حقيقي، فلم تختر مليكة سوى هذه
اللحظة لتتهف بصوت باكٍ :

-هل هذا ما قدرت عليه... "لا شأن لك بها"
كيف سمحت له بشتمي؟!.. لماذا وقفت كالصنم
لا تتحدث... أجبني يا سليم أجبني....
زم سليم شفثيه بقوة وزاد من ضم قبضته
الحرّة محاولاً بشتى الطرق كظم انفعاله لكنها
أردفت ضاربةً إياه في صدره :

-تكلم... أجبني... لماذا تركته؟!... نعتني
بالقبيحة أمامك كيف صمت على إهانتته!

نظر سليم لها بعينين مرهقتين يرمقها بنظرات
مرهقة، فصمتت مبتلعة كلماتها، بينما سليم
أبتعد عنها، ثم أطرق برأسه وهتف بصوت واهٍ
وقد تهدلت كتفاه:

-أنا تعبت، تعبت منكم ومن

نفسي....تعبت!!...صراع صراع والمطلوب
مني التصدي لك هذا حمايتك وحماية مروان
وحماية أناس كثيرة..وماذا عني.. ألم تترأفوا
بي؟؟..

جحظت عينا مليكة المبلتين مشدوهةً،
وصدرت منها شهقة صغيرة كتمتها بكفها،
ترمقه بعدم تصديق ، لكن صدمتها لم تدم
طويلا، فقد تحرك سليم من أمامها خارجاً من
القصر مرة أخرى....خرج بسرعة كبيرة



وصفق باب القصر خلفه بقوة أرتج الباب
لأجلها، فانتفضت مليكة شاهقة بفرع، لكن
صدمتها كانت أقوى... صدمتها من حديثه ومن
شعور غريب بدا يداعبها بمراوغة!

=====

- عمها حرر محضراً ضدكما بتهمة
الخطف... فأما ليست مؤهلة لتربيتها لأنها
تعاني من اضطراب نفسي... وبحكم أنها خطيبة
ذاك الرجل شقيق زوجها.. فوجدك معها في شقة
وحدكما لن يكون منصفاً لكما....

امتقع وجه مروان، واهتزت حدقتاه، بينما
تبيست أنامله الممسكة بالباب، كلمات الضابط
تدوي في أذنيه مرة تلو الأخرى، عقله وقف
عن العمل وحدثه يخبره بشيءٍ ما غير مريح،



لكن شروده سمح لهم بدفعه عن الباب بشيء
من القوة، فارتد إلي الخلف واصطدم رأسه
بالباب بقوة، مما جعله يتأوه بألم، لكنه لم يأبه
لنفسه بل اعتدل بسرعة وركض نحو صبا
المتسمرة مكانها جسدها يرتجف بشكلٍ مثير
للشفقة، دموعها تكاد تبتلع وجهها، وذراعاها
ملتفان حول ابنتها بقوة غريبة، تراجعت إلى
الخلف بذعر ووجل تهز رأسها برفض، بينما
هاني اندفع نحوها بملامح شيطانية، وحين
وقف أمامها جذبها من مرفقها بقوة وصرخ
بغضب :

-فاجرة عديمة تربية...ماذا تفعلين في شقة
رجل غريب...-



نظر مروان له بعينين مشتعلتين، وملامح
متحفزة، وحين وقف أمامهما، صرخ بغضب
جاذباً مرفق صبا منه :

-لا تلمسها بيدك يا حقير!

زمجر هاني بغضب، وأطلق سبه بذئنه جعلت
مروان يرفع كفه ينوي لكمه وقد تمكن الغضب
منه، لكن تدخل الضابط بهتافه الصارم منعه :
-كفى شجاراً أنتما الاثنان أمامي....ما هذا

الجنون!

لهث مروان بعنف، يرمق هاني شزراً، فبادله
هاني النظرة بأخرى دون الاهتمام بتلك التي
تكاد تسقط خوفاً ورعباً مما يحدث تشعر
بقدميها كالإسفنج الرخو ترتجف بقوة، وتبكي
بصمت ترتعش بشكلٍ مثير للشفقة، بينما جميلة

صرخت بفزع من أصوات الضوضاء حولها،
وحين لاحظ مروان حالتها همّ بتهديئها لكن
صوت الضابط عصف أمراً أحد مرافقيه :
-هيا أذبهما وقيد كفهما...-

أوماً بفهم واقترّب منهم، فصرخت صبا بقوة
وحاولت الهروب منهم، لكن هاني أسرع خلفها
وأمسكها من خصرها بقوة صارخاً بوجهها :
-كفى يا فاجرة... تريدان الهروب!

نظر مروان إلى ذراع هاني الملتف حول خصر
صبا، فشعر بنار حارقة تنهش بصدره، ليصرخ
بقوة محاولاً تخليص كفه من القيد الحديدي :
-ابعد يدك عنها... لا تلمسها!

أغمض الضابط عينيه بنفاذ صبر، ثم أقترّب من
هاني وجذب صبا منه فيما جذب هاني جميلة



بعنفٍ جعلها تصرخ بقوة مطالبة بابنتها، لكن
هاني أندفع بها نحو الخارج وسط صراخ صبا
المنهار بحالة مزرية، فقد احمرت عيناها
وتشقت شفتاها، بينما وجهها ازاد شحوباً
كالموتى، وجسدها يرتعد بقوة حتى كادت تسقط
أرضاً، تشعر بالخوف يسيطر على قلبها فكاد
يقتله، بينما مروان كان يصرخ بغضب أسود لم
تره منه من قبل لكن الموقف كله لا يتحمل
التأمل بل الجو عبارة عن حرب هوجاء بين
قلب أم يحتضر، و رجل يشعر بنار حارقة
تنهش بصدرة وكان ما يحدث ينتهك ما
يخصه!!



نظر الضابط لهما بوجوم، بعدما أحكم القيد
الحديدي حول كف صبا ومروان، ثم أشار لهما
وإلى الأمين قائلاً :

-تحركا...هيا...

جذبهم بعنف، فتعثرت صبا بجسدها الواهن،
ليسندها مروان بذراعه الآخر، صارخاً بغضب :

-مهلا عليها...هل تجر بهائم؟!

زجرة العسكري بقوة، ثم هتف بازدياء لاكماً
مروان في كتفه :

-بل مهلا على نفسك أنت يا حساس...رجل
عديم الحياء!

جز مروان على أسنانه حتى كاد يسحقها،
يتمنى إحراق ما حوله فغضبه فاق
حدوده...بينما صبا كانت تتحرك بجسد يترنح



تبكي بعنف وصوت شهقاتها يعلو شيئاً فشيئاً،
تشعر بالقهر يجثم على صدرها، تشعر وكأن
قلبها تعتصره قبضة باردة تكاد تسحقه بين
أصابعها، تشعر بالذل والقهر
والفقد..... وبالرغم من بكائها العنيف إلا أنها
استطاعت سماع همسه الخشن :

- لا تبك!!! -

=====



الفصل الثامن

تمددا على الأريكة رأسهما موضوعتان على
 فخذي أمجد، يبتسمان له دون موارد، وهو
 يبتسم لهما ابتسامة ملء شذقيه، يعشق تلك
 الحركة ويتمنى أن يأخذهما بين أحضانه كي
 يحميهما من قسوة العالم وبطش البشر،
 أصابعه تعبت بشعر رائف وكفه تحتضن كف
 لجين، رغم فيض المشاعر الحنونة التي غمرته
 كلياً وكأنه أبٌ يحتضن أطفاله بحنان إلى أنه
 يشعر بقطعة من قلبه بعيدة، تلك الصغيرة
 المتمردة، ابتعادها وانفصالها عنهم يؤلمه رغم
 غضبه منها إلا أنه يريد لها أمامه تبتسم له كما
 تبتسم لجين ورائف، ود لو احتضنها بين

ذراعيه كي يحتوي حزنها لكنها اختارت
الانعزال، تنهيدة خافتة خرجت من بين شفثيه،
فرفع رائف المبتسم عينيهِ وهتف مشاكساً :
-هل سمعتِ تنهيدة حزينه خرجت من بين
شفثي أمجد للتو يا لجين!؟!

ابتسمت لجين برقة، ورفعت عينيها هي
الأخرى له تزامناً مع هتافها المرح :
-نعم يا رائف، يبدو أنه سئمننا، وكم مُحزن هذا
والله!

ابتسم رائف بخبث، ثم أعتدل في جلسته وتربع
فوق الأريكة، وقامت لجين بنفس الفعل، فعقد
أمجد حاجبيه بتوجس، وهتف ملوحاً بسبابته
بصرامة كاذبة :



-أي تصرف قليل الحياء، سابرحكما ضرباً دون

أن يرف لي جفن!

زادت ابتسامة رائف الخبيثة، بينما لجين كانت

ترمق أمجد بنظرات شريرة، فازداد انعقاد

حاجبا أمجد حتى كادت تصافح عينيه، حاول

الوقوف، لكن رائف أمسك بمرفقة وعلى

ملامحه الخبث والتسلية....فضاقت عينا أمجد

بتفحص ناقلاً نظره بين شقيقته التي كانت تهز

رأسها بوعيد وترمقه بنظارتها، بينما رائف لم

يخطف الخبث على ملامحه وابتسامته، حينها

هتف أمجد بتوجس :

-ماذا؟! -

انفرجت شفتا لجين الصغيرتين، وهزت كتفيها

ببساطة هاتفة :



-ماذا؟!-

زفر أمجد بقوة والتوجس بداخله يتزايد، بينما
شفتاه فقد زمهما بقوة فبدا كخط مستقيم، وحين
لاحظ تبادل النظرات بين لجين ورائف، هز
رأسه بياس وقد علم نيتهما، وبالفعل غمز
رائف بخفة إلى لجين، فهزت رأسها بفهم،
وسرعان ما وجد أمجد شخصين يعتقلان عنقه
كلا منهما يتشبث به بذراعيه، فشهب أمجد
شهقة مكتومة، وهتف برعب :

-ماذا تفعلان، هل...هل تريدان خنقي وقتلي ثم
تقومان بوقطيع جسدي إلى أجزاء صغيرة... يا
إلهي ابتعدا أشعر بالاختناق!

لكن لجين ورائف لم يمتثلا لأمره بل ارتفع
صوت ضحكتهما بقوة، لا تعلم لجين لماذا تشعر

بالسعادة والدفء وهي تحتضن أمجد بهذا
الشكل حتى لو كان لأجل ترجٍ، لكنها وببساطة
تشعر بدفء عاطفته الابوية، وصوته الدافئ
بطبيعته الحنونه، بينما رائف لم يكن أقل منها
بل سعادته تفوق كل هذا وهو يغمض عينيه
مستمتعاً بهذه اللحظة الغريبة، لم يدركا بأن
أمجد ابتسم بحنان، وابتهجت ملامح وجهه
الهادئة، بينما سواد عينيه يزداد جمالاً، شعوره
لا يوصف الآن وهو يرى شقاء شبابه متشبثان
بعنقه وبهذا الشكل رغم الإحباط الذي كان يحتل
قلبه وهو يعلم سبب فعلتهم تلك، سمع أمجد
صوت رائف يهتف بترجٍ :
-أمجد أنتَ والدنا وصديقنا وكل شيءٍ في هذه
الحياة، لا نحب أن نراك حزيناً...نعشق



تضحيتك من أجلنا وشبابك الذي وهبته لنا... لذا

فلا تتردد أبدا بشأن حبنا لك، فأنت شخصٌ

رحيم القلب حقاً!

هل دمعت عيناه أم أنه يتوهم، هل تراقص قلبه

على لحن الانتصار أم انه يتوهم، هل شعر بحبه

يتزايد لهم... لا... لا يعلم حقاً سوى أنه ابتسم،

واختلج فكه، بينما أنامله المتشبهة ببعضها

ترتجف... تابع رائف بشجاعة بعدما نظر إلى

لجين بظرفٍ عينيه لتغمض هي عينها بهدوء

مبتسمة برقة :

- أنا ولجين نترجاك بشأن مروج... حبسك لها لن

يجدي نفعاً بل حالتها تزداد سوءاً وتمرداً... رغم

أن نظراتها منكسرة، وابتسامتها باردة إلا أنها

تتظاهر بالقوة والتمرد... وهكذا هي مروج...



صمت رائف غامزاً إلى لجين، فتابعت لجين

بصوتها الهادئ والحنون :

-أرجوك.. أرجوك أتركها تذهب إلى

جامعتها... أرجوك... منذ متى وأنت قاسٍ عليها

إلى تلك الدرجة ألم تكن مروج ابنتك

الصغيرة... أصغرنا!.... لأجلنا يا أمجد أسمح لها

بالخروج ولا تحبسها هكذا... و... ورائف

سامحها... أقسم لك أنه سامحها...

-لا تقسمي كذباً يا لجين!

قالها أمجد بقوة مقاطعاً حديثها، ملامحه جامدة

وكان فرحته قُتِلت في مهدها، شفتاه زمهما

بشدة، وعيناه برقتا بشكلٍ غريب، بينما لجين

ورائف بهتت ملامحهما، ليبتعدا عنه بسرعة،

فتابع أمجد بصوت بارد غريب :

-أنا أريد تعليمها الأدب، فلسانها بات يجرح
دون هدى ولا حساب، لذا فأنا للأسف أرفض
طلبكما الجميل...

صمت لبرهة مراقباً ملامح لجين ورائف
الباهتة، وارتباكهما الشديد وكأنهما فشلا في
إختبار هام للتو..لاحظ وجوم رائف وملامح
لجين العابسة لكنه لم يأبه لهما بل تابع مشدداً
على حروف كلماته، عيناها ترمقان رائف
بنظرات غريبة وكأنه يختبر مشاعر رائف
الحقيقة المتوارية خلف ساتر حبه :

-وآه....أنا أعلم ما يشعر به رائف أكثر منه هو
شخصياً، هو سامحها ظاهرياً لكن روحياً
مطعون بإهانتها لذا لن أتهاون معها هذه المرة!



وبعدها عم صمتاً مريعاً عليهم، رائف بهتت
 ملامحه أكثر حد الشحوب، والتوت شفتاه بحزن
 شاعرا بأنه تلقى لكمة عنيفة في قلبه للتو، هو
 يشعر بالانكسار والنقص لكنه يخفي ذلك
 وبمهارة غافلاً على من رباه ويعلم ما يشعر به
 وما يجول برأسه، بينما لحين كانت تقلب نظرها
 بين أمجد ورائف بلامح عابسة، عاقدةً
 ساعديها أمامها صدرها، فنظر أمجد لها
 وابتسم رغم شعوره بالغضب يتفاقم بداخله من
 كل شيء، حين ظهرت ابتسامته، ابتسمت
 لجين هي الأخرى، وصدر منها ضحكة صغيرة،
 فرفع رائف رأسه لها بتوجس من ضحكتها، إلا
 أنه وجد أمجد يداعب باطن قدمها بأنامله وعلى
 شفتيه ابتسامة صغيرة جنونة، وكأنه لا يريد

رؤية العبوس والحزن على ملامحها، لم يرَ

رائف نفسه وهو يبتسم ابتسامة صغيرة،

وبرقت عيناه منتظراً.....

مزاح أمجد له رغم موجة الغضب التي أحاطت

الجو منذ دقائق....

هتف أمجد بهدوء بعدما تنحى قناع البرود جانباً

:

- ما قلة الأدب هذه، لِمَ ابتعدتوا... هل العناق

وقت مصلحتكما فقط؟!!

دعوة صريحة للعناق مرة أخرى، ولم يتأخرا

على تلبية دعوته، فاندفعا نحوه متشبثين به

يمزحان بعدة كلمات جعلت أمجد يقهقه عاليا

دون موارد، وكأنه يريد ازاحه الحزن عن

صدره وقلبه المسكين، يريد أن يضحك يبتسم،



يمرح، يلهو، يترفه، لكنه وببساطة يهتم بهم
أكثر من نفسه، رؤية ابتسامتهم تطرب قلبه
وتتعش روحه حتى لو كان على حساب
نفسه....

لم يكن يرى تلك التي خرجت للتو من غرفتها
كي تذهب إلى المطبخ، فرأت المشهد أمامها،
رائف يحتضن أمجد المبتسم باشراق، و لجين
تحتضنه بقوة و شفاتها لا تتوقف عن التحدث
أبدا، حديث مازح، لم تشعر بانحدار دمعيتين
باردتين كعينيها، دمعتان انحدرتا ببطء وهي
تشعر بالغيرة تتفاقم بداخلها، ترى شقيقها
الأكبر التي لم ترَ سواه منذ صغرها، يبثها حنان
الأب والأم يدللها كما يشاء ويحملها على كتافه
كطفلته، وها هو الآن يحتضن رائف ولجين



بقوة مبتسماً بأشراق وكان غيابها لم يعد يشكل
فارقاً له... له هو خصوصاً...

إلى متى ستظل غافلةً، إلى متى ستظل ترى
بعينيها ما يحدث ثم تحكم هي بنفسها دون
سماع رأي الآخر، كبرياؤها بغيض حد
السماجة، يمنعها من الاعتذار بل يمنعها من
مرعاة شعور الآخرين، تريد الطعن بسيفها أولاً
فتربح نقطة ضد أي شخص!؟

نار الغيرة الطفولية على والدها الروحي تنهش
بصدرها، تريد أن تطير نحوه لتبعد لجين
ورائف عن أحضانه فتتعم هي وحدها بحنانه،
وجمال كلماته الطيبة، لكن المتطفل البغيض
تدخل مانعاً إياها من التنازل، سيأتي لها
ليصالحها، ولم تأبه بأي شيء سوى لنفسها...



لكن... لماذا هذا الشعور الحارق بداخلها، وكأنها
ولأول مرة تشعر باليتم يطيح بكيانها، تشعر
باليتم والوحدة، كم مرة تمنى وجود والدها و
ولادتها بجوارها، كم مرة شعرت بالحزن لكن
أوجد كان يبدها عن كل هذا، والآن تريد أن
يحتضنها فتخد نار غيرتها وشعورها باليتم؟!
زفرت دون صوت، ثم استدارت على عقبها
تنوي الدخول إلى غرفتها مرة أخرى بوجه
امتلاً بدموع القهر والغيرة واليتم!!
أما أوجد، فقد توقف عن المزاح حين التقطت
أذناه صوت نواح نساء الحي يرتفع شيئاً فشيئاً
فعدد حاجبيه بتوجس، وهتف وهو ينظر إلى
رائف بعدما أبتعد هو الآخر متوجساً من
الأصوات :



- ما هذه الأصوات؟! ... نساء الحي يصرخن...
- يبدو أن هناك عراق قد شب.. سأذهب لأرى
من النافذة...

قالها رائف بسرعة وهو يهب واقفاً متجهاً إلى
النافذة يكاد يعدو، وخلفه أمجد يسير بخطى
سريعة، فتح رائف النافذة بسرعة، ومال
بنصف جسده إلى الأمام حتى كاد يسقط، فتشبث
أمجد به وهتف بغضب :

- ألن تتوقف عن هذه العادة البغيضة... تباً لك...
لكن رائف لم يرد عليه بل ضاقت عيناه متفحصاً
ما يحدث بالأسفل في معركة غير متكافئة
بالمرة فقد كان رجال "عادل وجدي" ممسكين
بشباب يناضل باستماتة، شاب ملامحه غير



واضحة تغطيها الكدمات والدماء يتلوى بعنف

لكن رائف عرف هويته، فهمس بذهول :

-يونس...

لم يسمع أمجد همسه، وصوت الصراخ يتعالى
بشكل مفرع، فصدح صوت أمجد مخاطباً رائف

وهو يجذبه إلى الخلف كي يرى ما يحدث :

-أبتعد...أبتعد أريد أن أرى ما يحدث بالأسفل....

أبتعد رائف بالفعل وأسرع نحو غرفته يصعد

درجتين معاً، يلهث بقوة وكأنه يحارب الزمن،

فرمقته لجين بحيرة وحاولت الاقتراب كي ترى

ما يحدث لكنها تذكرت أمر أمجد بالأخارج هي

ومروج أثناء أي اشتباك حتى لو من النافذة،

فيما امتد أمجد بجذعه وعلامات القلق تعترى

ملامحه، يريد فهم ما يحدث وسبب اعتقال

رجال عادل لذاك الشاب الذي اختفت ملامحه
 بدماء غزيرة، وحين أمعن النظر إلى الشاب،
 جحظت عيناه وانفرجت شفتاه مشدوهاً من
 هول المنظر، شعر بالدماء تندفع في أورده،
 ليتراجع عن النافذة، ثم يركض نحو الباب ينوي
 النزول، لكن حانت منه نظرة سريعة إلى رائف
 الذي هبط درجات السلم بسرعة وببيده مادية
 حادة يلمع سننها بشراسة، فرفع أمجد حاجبه
 باستغراب، وهتف مشيراً بذقنه إلى مديته :
 -منذ متى تحمل تلك الأشياء... ألم أنصحك بالألا
 تتصرف كأبناء الحي هنا...

وقف رائف أمامه صلب الملامح متشنج
 العضلات، يرمق أمجد بنظرات غريبة وكأنه
 يرى كائناً غريباً عنه تماماً، وحين شعر بمرور



الدقائق انتفض من مكانه واندفع نحو الباب
مزيحاً أمجد تزامناً مع هتافه بصوت عالٍ :
-أنا تربيت بينهم فكيف سأتحلى بالصمود وأنا
أرى شاب لم أر منه سوى الخير و المودة....
ودون أن يكمل كلامه أندفع خارجاً من الباب
الرئيسي إلى الشارع حيث المعركة الغير
متكافئة بالمرّة فقد كان يونس وحيداً يدافع عن
نفسه بشراسة وملامحه رغم عدم وضوحها إلا
أنها كانت شديدة الغضب والشراسة...
كز رائف على أسنانه بقوة، وخلع قميصه
الأسود ليلقيه دون اهتمام، فظهر تشوه ذراعه
لكنه لم يبالي بكل هذا بل أندفع إلى التجمع
زارعاً نفسه بينهما، وقف بجوار يونس بعدما
تركوه تلك الحوائط البشرية يكاد يسقط من فرط

الألم لكنه كان يلکم دون هدى، فساعده رائف
بعدهما زرع نفسه بينهما ومديته في حزام
بنطاله تنتظر أي تصرف غادر كي يشهرها لهم
دفاعاً عن نفسه وعن يونس...يونس الذي
ترنح جسده من فرط الألم والجروح، لكن كل
ذرة في جسده تدفعه للصمود، نار نار هوجاء
تنهش في صدره...نار كانت تحيط به وهو يرى
نفسه هو ورائف محيطان بمجموعة من رجال
أقوياء....واحد منهم فقط يستطيع سحق عظامه
دون أن يرف له جفن، رفع كفه بأقصى سرعته
ثم لكم عادل حين لاحظ انشغال رجاله مع
رائف، فرد عادل اللكمة له أقوى وأقوى
فاهتزت حدقاته وانسدل ستار أسود أمام
عينيه...سقط على ركبتيه ببطء ورأسه تستند

إلى صدره ثم سقط جسده بأكمله تحت قدم
عادل..وأخر ما سمعه هو صرختين...أحدهما
لأمجد الذي صرخ بوحشية كي يتركوا
شقيقه...وصوت صرخة استطاعت أذناه في
التقاطه...فقد كانت الصرخة للجين...صرخة
صرختها بأسمه وكأنها قريبة منه!!!

.....

معركة...أنها فعلا معركة غريبة...ولأول مرة
يشارك أمجد في عراق عنيف إلى هذا الحد،
حين وقعت عيناه على شقيقه الذي تحولت
صفحة وجهه إلى كدمات مُفزعة شعر بالدماء
تدب في أوردته وكان ابن من أبنائه قد ضُرب
فكيف سيقف ساكناً... اندفع صارخاً بوحشية ثم
زرع نفسه بينهم محاولاً تخليص



شقيقه... وبالطبع نالته بعض اللكمات القاتلة
لكنه لم يهتم ولم يشتبك معهم حتى، اهتمامه
كله في تخليص شقيقه منهم حتى لو اضطر
لقتلهم!!... أما رائف فقد كان مناضلاً مغواراً
بالفعل بالرغم من الضربات العنيفة التي
تلقاها... لكلمات وضرب عنيف جعله عينيه
تجحطان ألماً وغضباً... وحين تدخل أمجد حاول
تخليص نفسه منهم كي لا يطوله أي أذى... لكن
الأذى طال كلاهما بكل الأشكال...
امتدت أنامله خلسة خلف ظهره كي يسحب
مديته، سحبها بسرعة... وهمّ بجرح ذاك اللوح
الجلف الممسك برائف دون أن يجرمه من
ضربات العنيفة.. لكن صوتاً عنيفاً صدح بقوة

جعل الصمت يعمّ فجأة بعد طول صراخ

وصراع...

-كفوا عن هذا الآن... اتركوا بعضكم... أليس
لديكم كبير في هذا الحي وهو بالمناسبة يكون
أنا؟!..

هذا الصوت الوقور صدر من رجل متقدم في
السن... وجهه متغضن بتجاعيد الكبر... شفثاه
حادتان... وعيناه ثاقبتان رغم تغضن
زاويتيها... يرتدي جلباباً رجولياً لم يقلل منه
أي شيء بل زادته عظمة، بعد صرخته الحازمة
والسكون الذي تلى صرخته... تقدم نحو عادل
ووقف أمامه قبل أن يهتف بصوت حاد، صارم

:



-كم من مرة قولتُ لكَ أبتعد عن الحي...أنتَ
تجلب المصائب بشكلٍ سريعٍ....ما هذا الذي
فعلته...حولت الشارع إلى حربٍ...رجالك
يضربون وأنتَ تصفق لهم....تضربون أكثر
شباب الحي أدباً وشهامة ورجولة دون أن يرف
لكم جفن....عقلك المربض يصور لك أن
ذراعك أهم من عقلك المعطوب هذا....والله والله
يا عادل ما حدث اليوم لن يمر مرور الكرام...
صمت الرجل الوقور وصدرة يرتفع و يهبط
بأنفعال...بينما عادل كان يرمقه بنظرات نارية
هوجاء..يريد قتل يونس ومن يتجرأ على تحديه
والتطاول عليه...انفرجت شفثاه الغليظتان
ليهتف بصوت لم يقل قوة عن صوت الرجل :



- هذا ليس أسلوباً للتعامل مع أكبر رجال الحي

يا حاج عبد العزيز...و

رفع عبد العزيز كفه أمام وجه عادل مقاطعاً

إياه، وهدر بصوت صارم :

- أكبر رجال الحي لا يفعل ما فعلته وأنت لم تكن

كبيراً يوماً يا عادل... أنت أكثر الرجال دناءة و

نذاله....

صمت عبد العزيز لبرهة، وعادل يكاد يشتعل

غضباً، فأردف عبد العزيز بصوت عالٍ :

-خذ رعيك وأخرج من هذا الحي الآن يا عادل

حتى أبعث لك لتأتي...هيااااا....

زمجر عادل بخشونة، ثم أبتعد ورمقهم بنظرات

متوعدة....



انسحب رجال عادل والشر يتطاير منهم... فنظر
عبد العزيز إلى جسد يونس المسجى أرضاً
بشكلٍ يكاد من يراه يجزم بأنه جسد بلا
روح... بهتت ملامح عبد العزيز... وهتف
بصرامة :

-هلا تكرم أحدٌ منكم وحمل الرجل من على
الأرض....

في هذه اللحظة كان أمجد يسند رائف.. وذراعاه
تشبثتان به بقوة يشعر بغضب أسود يسيطر
على كيانه وملامحه لا يصدق أنه سمح لرائف
بالاشتباك و أذية نفسه... هل أصابه الجنون أم
ماذا... حالة رائف تعصر قلبه اعتصاراً
بأصاباته الشبه مُفزعة يريد أن يطلق سراح
الوحش الكامن بداخله، أما رائف بعدما هدأ



جسده... شعر بألم حاد يكتنفه كلياً... ضربات
تلك الحوائط كانت قاسية رغم أنه أتى في آخر
لحظة... فماذا عن يونس!!!...

يونس الذي سكن جسده على الأرض
شبه... شبه فاقد للروح.... نظر رائف إلى
شقيقته الواقفة أمام بيتهم عينيها جحظتا بشدة
ودموعها منهمة على وجهها بأكمله... ترتجف
بالمعنى الحرفي... حتى كاد يشعر بانتفاض
جسدها.. والسؤال يطرح نفسه..

هل بكاؤها تائراً بما حدث له أم

لأجل يونس!؟

صوت عبد العزيز جعله يلتفت إلى جسد يونس
المسجى أرضاً.. فحاول الاقتراب منه إلا أن
أمجد هتف بصوت مشدد مخاطباً عبد العزيز :

-أنا سأحمله يا حاج...ممن تريد المساعدة كي
يحملة، ممن تركوه يتلقى ضربات قاتلة وهم
يشاهدون ما يحدث.....إلى متى سيظل هذا
الحال هنا....تهابون ولا تدافعون!!
صوت أمجد كان غاضباً مشتداً، يلقي نظرات
ازدراء على من تنحو جانباً كالجناء....منهم
من اشتبك ومنهم من تنحى خوفاً من عادل
وبطشه....تقدم أمجد نحو جسد يونس بخطوات
سريعة و الغضب يعترى ملامحه ممتزجاً
بالخوف والشفقة....جثا أمجد على ركبته دون
أن يعبئ بتلوث بنطاله..تحسس بأنامله نبض
يونس، فوجده ضعيف بشدة...ازدرد ريقه
ببطء...ثم أمسكه من كتفيه ليرى وجهه لكن ما

أدهشه خط الدماء الممتد على بطنه... فهمس

بصوت باهت مرتجف :

-نبضه ضعيف و اصاباته خطيرة... يجب أن

ننقله إلى المشفى... سيموت!

=====

دموع سقطت على وجهها بغزارة، تجلس على

أرض جامدة صلبة تكاد تشعرها

بالصقيع... رأسها مستنداً إلى الجدار الصلب،

تضربه مرة تلو الأخرى، تشعر بالغضب والألم

يجثمان على صدرها... ملامحها

منطفئة... عيناها العسليتان قاتمتان، ملامحها

شاحبة.. وشفثاها زرقاوتان... وجسدها ينتفض

انتفاضاً... حتى شعرها أعلن تمرده وتدلى من

تحت حجابها.. لم تهتم له بل لم تهتم سوى



بشيء واحد، ابنتها... تريدها... لم تتمكن من
اشباع نهمها الأموي... لم ترضي عينيها من
ملاحمها... سرقها الجلف... اختطافها وسيديقها
المُر كما فعل معها، هزت صبا رأسها برفض
وضمت ركبتيها إليها بقوة... وهمست :
-لا... لا... سيؤذيها... كما أذاها هذا ليس
عدلاً... هذا ليس عدلاً بالمرّة....

ثم اجهشت في بكاء عنيف... جسدها يزداد
ارتعاداً....

هل حل الصباح عليها وهي حبيسة بمفردها
بعدما أنهارت وصرخت، لا تعلم... هل مرت
ساعات على جلستها الكئيبة وقسوة الطقس
تناسب قسوة ما حدث....

حين صرخت في هاني طالبة منه الرحمة،
ودموعها تكاد تبتلع وجهها، تترجاه بإصرار
وهو لا يعباؤها من الأساس...يسير أمامها
وهي مقيدة بقيد الحديدي يجرها العسكري
جراً...بينما مروان كان يسير خلفها مقيد
الكف...يهدر بعصبيه وبكلمات غير مفهومة لم
يهتم هاني لها بل رمقهما بإزدراء وتشفي...ثم
نظر إلى صبا نظرات خبيثة...فهتفت صبا من
وسط شهقاتها وهي تضع كفها الحر على
صدرها :

-هاني...هاني أرجوك أرجوك...لا تفعل بي
هذا...أنا أسفة حقاً أسفة سأقبل بالزواج
منك...و...و سأقبل بأن أكون زوجة ثانية فقط

أترك لي ابنتي و لا تفعل بي هذا... أنت.. أنت لا

تحبها... والله والله سأ تزوجك....

لم تتلقى أي ردٍ من هاني الذي كان يرمقها

بعينين مشتعلتين..

عيناه كانتا تطلقان حمماً بركانية... فكه يتحرك

دون حديث، حاولت ترجيه مرة أخرى إلا أنه

أقرب منها بخطوات بطيئة والعسكري مستمر

في جرها بعنف... بينما مروان خلفها يصرخ

بهياج :

- غبية... غبية..

أقرب هاني منها بلامح شرسة وعينين

ثاقبتين حادثين.. يحمل جميلة بذراعه تحت

فخذيها وذراعه الحر يضعه في جيبه بكل

غرور... يتحرك يتحرك وهي تبتعد وتبتعد حتى

صار خلفها فحركت رأسها إلى الخلف ونظرت
له برجاء وشفتيها ترتجف بلونهما الشاحب،
كلمة واحدة سمعتها من بين شفتيه حين أوشك
العسكري الممسك بها بجذبها إلى ممر آخر...
-انتظر...دقيقتين فقط...

لم يبدو لها أن العسكري الممسك بها قد
سمعه...إلى أن عاود هاني طلبه..فوقف
العسكري على مضض، ورمقهما
باستياء...وقف هاني أمامها يطالعها من طوله
الفارغ، فزمت صبا شفتيها تمنع شهقتها
وشعورها بالقهر يكاد يذبحها ذبحاً...بينما
مروان كاد أن يصاب بالجنون...لا يعرف ما
سبب تلك الحالة الهستيرية التي سيطرت عليه
منذ ما حدث..لكنه وببساطة كان يشعر بنار



تنهش صدره...وبشعور غريب يكتنفه كلياً...
حين أقرب هاني من صبا المنهارة...جز على
أسنانه بقوة حتى كاد يسحقهم، هامساً بصوت
خفيض :

-تبا لك...تبا لك...

أما هاني فقد مال بجذعه إلى الإمام غير مهتم
بصراخ جميلة حتى كادت تختنق، تمد ذراعيها
إلى صبا وشفتيها المكتنزتين ترتجفان بشكلٍ
مثير للشفقة بشأن طفله؟!...حين مال هاني إلى
الأمام تشنجت ورمشت بعينيها الحماوين
مرتين...فابتسم هاني دون مرح وهتف :
-عن أي زواجٍ تتحدثين؟!..بعد فعلتك الشنيعة
لن يتم أي زواج يا صبا بل سيكون هناك عقاب
أشد بكثير...انتزاع ابنتك منك...ورميك في



مشفى نفسية كي تعودين إلى اتزانك أما ذاك
الذي يصرخ هائجاً...فسألقيه وراء الشمس
بخطف جميلة...أنت..

صمت لبرهة مبتسماً بشر، فشحب وجه صبا
أكثر وكاد يحاكي وجوه الموتى، جامدة لا
تتحرك وكأنها تمثال من الشمع، وحين لاحظ
هاني شحوبها، أردف بصوت عالٍ :
-فاجرة وتستحقين القتل، أنتِ عار...يا
مجنونة....

وبعدها رحل بسرعة...صراخ جميلة يدوي في
أذنيها حتى الآن مختلطاً بصراخ مروان حينها
بعدها لم تتذكر أي شيء تتحرك دون روح
ودموعها لم تهدأ أبداً...تتذكر أن خناق قد شب
بين مروان وهاني بعد طول تعذيب لها



ولمروان في نقلهما إلى أماكن مختلفة دون
فهم...وبعدها رأت ابن عمه و مجموعة
صغيرة من العساكر يحاولون الفصل بينهما
دون جدوى، لكنها لم تهتم للمتابعة بل زاد
وتيرة بكاؤها أكثر...وتفاقم شعورها بالقهر
داخلها...بينما تلك المضغة تؤلمها بشدة وكأنها
نبضها أرهقته الحياة...لا تعلم متى أتى سليم
ولا تتذكر ماذا حدث بعدها كانت تسير كالجثة
الهامدة لا تبدي أي رد فعل...فقط تنظر وتصمت
لم تجيب على أسئلة الضابط..
لا تتذكر ماذا حدث وقتها ولا تريد...فقط تريد
الراحة والاطمئنان على صغيرتها..فقط هذا ما
تريده لا أكثر..!!

-وما شأنك أنت يا (...)...ألا تمتلك قليلاً من

الخجل يا سارق الأطفال....

لا يعلم كيف تحكم في نفسه وقتها وهو يسمع
إهانتته بأذنيه، يقف عاجزاً عن الدفاع عن نفسه
أمام الضابط الجالس خلف مكتبه...يترصد أي
حركة له...وكم ذكره هذا الموقف بعجزه في
أشياء كثيرة واولهم الحادث الكارثي الذي عاش
به لحظة بلحظة...شعوره وهو يرى صراخ
جميلة الهستييري حتى كادت تختنق وجلسته
المتعجرفة واضعاً ساق فوق الأخرى...يرمق
مروان بنظرات نارية...لكن مروان لم يهتم له
بل التفت إلى الضابط وهتف بصوت مشد
وجسد متشنج :

-ما فهمته أنني متهم بخطف جميلة؟!....

أوما الضابط برأسه دون تعبير، ثم هتف مشيراً
بسبابته نحو هاني :

-السيد هاني هو الوصي على جميلة...لأن أمها
غير مؤهلة لتربيتها....وبفعلتها هذه سيتم
عرضها على طبيب نفسي...أما أنتَ ف..
-ابتعدوا عني...قولتُ لكم سأدخل ولو رغباً
عنكم..

جملة صرخ بها سليم وهو يفتح باب الغرفة
دون أذن قاطعاً حديث الضابط المُندهش حتى
كاد حاجباه يلمسان مقدمة رأسه...بينما مروان
ابتسم ابتسامة صغيرة باهتة وهز رأسه بقلّة
حيلّة ورغباً عنه اختلس نظرة إليها فوجدها
ساكنة لا تُبدي أي حركة، فانعقد حاجباه بقلق
رغم غضبه الشديد منها ومن حماقتها...زم



شفتيه بقوة.... وصوت سليم الغاضب يهدر في

الغرفة كعاصفة هوجاء :

-ابتعدوا عني... غضبي ليس في صالحكم...

في هذه اللحظة، خرج الضابط من ذهوله،

وضرب سطح المكتب بقوة صارخا :

-لماذا تصرخ بهذا الشكل؟... وكيف تدخل بتلك

الطريقة هل هي زريبة..

ازدادت ملامح سليم شراسة... وتفاقم الغضب

بداخل ، فاندفع نحو الضابط جاذباً ذراعه من

قبضة العسكري...خطوتان فقط أحتاج إلى

خطوتين ليقف أمام الضابط بملامح قائمة

وعينين مشتعلتين ملتهبتين، مال بجذعه نحو

الضابط هاتفاً :



- لا أعتقد أن طريقتك في الحديث تناسب كبير

البلدة...سليم الأمير!

ارتبك الضابط بشكل ملحوظ وتراجع غضبه،

لكن صوت هاني صدح من خلفه هازئاً :

-وما الفائدة من معرفة هويتك يا سيد...سليم؟!!

التفت سليم برأسه بحدة، وزجره بنظرة قائلة،

هاتفاً بصوت مشدد :

-اخرس أنت..

أجفل هاني بشدة، فعاد بوجهه إلى الخلف، بينما

سليم عاد برأسه إلى الضابط وقال بصرامة :

-لماذا تم القبض على ابن عمي...!

أرتفع حاجبا الضابط أكثر، ونظر إلى مروان

بطرف عينيه، ثم نظر إلى سليم وهتف بدون

فهم :

- هل هذا الخاطف ابن عمك؟!...-

اتسعت عينا سليم بغضب، وارتفع هدير أنفاسه

أكثر، فازدرد ريقه ببطء قبل أن يهتف سليم

بصوت حاد :

-من هذا الذي اتهمته بأنه خاطف

للتو... مروان!

كان هذا دور هاني ليهب واقفاً دون أن يأبه

بشأن جميلة التي كانت تصرخ بشكلٍ مفرع :

-نعم ابن عمك أشترك مع صبا المجنونة في

خطف جميلة من بيتي والسفر بها... وأنا لن

أرحمهم....

وللمرة الثانية التفت سليم له لكن بكليته، ليقف

أمامه بعينين ازدادت قتامة، مما جعل هاني



يتراجع خطوتين قبل أن يهتف سليم ملوحاً

بسبابته :

-للمرة الثانية سأقول لك أحرص أنت ولا تتكلم

معي الآن أفضل لك....

تلون وجه الضابط باللون الأحمر غضباً، فهتف

بصوت صارم مهتز قليلاً :

-سيد سليم هذا الأسلوب لا يجب أن تتحدث به

داخل مكثبي...

ضحكة...ضحكة ساخرة خرجت من مروان

أخيراً كبادرة منه على تفاعله، فعبس الضابط

واجفل هاني من تصرفه...بينما سليم نظر له

بعينين مشتعلتين غاضبتين قلقتين يرمقه

متسائلاً عن سبب ابتسامته، فهز مروان رأسه

بأسف مصطنع :



- وهل أسلوب السب بأفزع الألفاظ مسموحاً

هنا... يا سيادة الضابط!

امتقع وجه الضابط، وارتبك بشدة من تعليق

مروان المستهزئ، بينما هاني كان يرمق

مروان بنظرات كارهة حقيقية... يريد إحراقه

وإحراق روحه... لماذا يمتلك كل هذا الجاذبية

بعينيه أو شعره حتى ووجهه، رغم حالته التي

يرثي لها بملابسه غير مرتبة بالمرّة... لكن

جاذبيته لم تتأثر بكل هذا... عاد هاني من تأمله

على صوت الضابط وهو يقول بصرامة بعدما

استعاد رباطة جأشه :

- هلا وضحت ليّ سبب اقتحامك للمكتب بهذا

الشكل سيد سليم!



لم يلتفت سليم له بل عقد ساعدية أمام صدره،
وضاقت عيناه متفحصاً هاني بنظرات اربكته،
وحين طال تأمله له زفر هاني بقوة وهو يشعر
بالارتباك من ذلك الكائن الغريب... هتف سليم
بصوت خطير :

-سأدفع لك ما تريده... لتتنازل عن المحضر....

للحظة تجمدت ملامح هاني بتعبير غريب،
سرعان ما تحول من التجمد إلى ابتسامة
ساخرة، ابتسامة استفزت سليم أكثر... فضم
قبضتيه حتى أبيضت مفاصلهما، وحين طالت
ابتسامته الساخرة، زمجر سليم بخشونة و
تأفف مروان بغيظ، فهتف هاني وهو يهز رأسه
هازناً :

-لا لا يا سيدي... ان...



قاطعه سليم بكفه، ليصمت هاني مرغماً بينما
سليم تقدم خطوتين إلى الأمام ووقف على بعد
خطوة بسيطة من هاني المتحفز، مال سليم إلى
الأمام قليلاً فتوجس هاني لكن سليم ربت على
ذراع جميلة بحنو وداعب وجنتها كي تهدأ قليلاً
تزامناً مع هتافه الحاد :

-سأعطيك ما تريده مقابل التنازل..أنا لن أسمح
لك بأذيته...

تفاقم الغضب بداخل هاني أكثر، وبرقت عيناه
بشكلٍ مخيف لكن سليم لم تهتز عضلة به
منتظراً رده بكل صبر، بينما الضابط صمت
تماماً منتظراً إلى أين سيصل الحوار.

صمت...أعصاب تحترق...وجو متذبذب بارد
كالصقيع ومروان يتمالك غضبه بأعجوبة، لا



يفضل عدم الدفاع عن نفسه.. لكنه مرغماً على
الهدوء في وجود سليم... وحين انفرجت شفتا
هاني تحفز سليم وتأهب للهجوم :

-مال... ستعطيني مال مقابل التنازل... عن حقي
في جميلة وخطفها مني... و خيانة خطيبي
لي..وجدتها في شقة رجل غريب ساعدها على
خطف جميلة... وهدما... فاجرة
-اخرس...

كلمة خرجت من بين شفتي مروان بصراخ وقد
فقد السيطرة على غضبه أكثر... فصرخ به
وجسده ينتفض انتفاضاً... لكن ما لم يتوقعه هو
هدوء سليم ونظراته الثاقبة... بينما الضابط
ضرب سطح المكتب بكفيه وهدر أمراً :
-خذهما إلى الحجز الآن....

عاد من شروده حين أقترب منه رجل غريب
الملاح... يترنح قليلا ورائحته بشعة... لمحه
مروان بطرف عينيه... فاعتدل في جلسته على
الأرض الجامدة حد الصقيع، وتأهب للمشاجرة
كأي شاب في هذا الحجز.... وقف الرجل أمامه
بعينيه المسبلتين وختف بتثاقل :
- لماذا تم حبسك...

رفع مروان عينيه الخضراوين له يرمقه بعينين
مشتعلتين، بينما فكه كان يتحرك دون
حديث.... فاقترب الرجل منه أكثر وقبض على
مقدمة قميص مروان بقوة، فارتفع حاجب
مروان مشدوهاً... ليهتف الرجل بصوت عالٍ
جذب أنظار من معهم :

-أنت بالتأكيد تم زرعك بيننا كي تسحب منا
الحديث وتنقل أخبارنا، أنت من جئت بقدميك...
=====

تقف تحت الماء بملامح شاردة، ينسدل على
جسمها بانهمار كما دموعها كشلال انفجر
لتوه، هي قبيحة...تعلم أنها قبيحة...تفتقد لفنون
الجمال...لا تمتلك وجهاً شديد البياض بل تمتلك
وجهاً مخملي وشفقتين مكتنزتين، عيناها ليست
ملونة بل طبيعية بلونهما الأسود كالليل
...جسدها ضئيل نوعاً وقوامها عادي...شعرها
هو أفضل الأشياء لديها بكثافته ونعومته ولونه
الأسود البراق...يصل إلى منتصف ظهرها...
قبيحة!؟!



هي ترى هذا...إذا لماذا تبكي الآن وتشعر
بالقهر والجرح؟!...لا تعلم فقط ما تعلمه إنها
قبيحة حد النفور...جمالها بسيط هادئ...لا
يعرف عن الصخب أي شيء...
نظرت إلى نفسها بعينين حراوين...وشفتين
مرتعتين بينما صدرها يعلو ويهبط
بعنف...تشعر بال...غدر؟!
كانت راضية بجمالها البسيط بل كانت ترى
ملامحها مُحبية وتزرع السكينة في قلب من
يراها...لكن الآن اتضح لها العكس هي قبيحة
ولا تمتلك من الجمال سوى القليل...لذا تشعر
بالغدر...كلمة سليم ستترك أثر في روحها ولن
ينمحي أبدا...أبدا...



تهدت بتعب، ثم أغلقت الماء وسحبت منشفة
وردية وقامت بلفها حول جسدها بملامح
باهتة... تحركت خطوتين نحو المرأة كي تنظر
إلى نفسها ككل مرة... تتأمل ملامحها بشيء من
الحسرة وبعدها تقوم بتبديل ملابسها المحتشمة
لكن اليوم... حضرت قميص نوم وردي طويل
يصل حتى كاحلها، انسدل على جسدها برقة
تناسب تصميمه الرقيق بفتحة البسيطة في
النهاية علي جانبي ساقيها.. وطول ذراعيه الذي
لم يتعد كتفيها بكثير رغم برودة الجو الآن
... نظرت إلى جسدها تدور حول نفسها
بحزن.. ثم رفعت عينيها إلى المرأة مرة
أخرى.. وانفرجت شفتاها تحدث نفسها بصوت
خفيض حزين :

- هو لن يأتي اليوم...خرج من القصر
غاضب...وبالطبع لن يأتي لكن لماذا أشعر
بالإحباط والحزن بشأن نومي بمفردي...ألا زال
قلبي مراهق يركض خلف من يهتم به ولو
بالكلمات فقط.....لن أنسى له ما قاله بشأن
إنني قبيحة....أبدا...

زفرت بتعب...واستدارت على عقبيها خارجةً
من الحمام وشعرها المبتل يتراقص على
ظهرها....أغلقت الباب خلفها بهدوء ثم
استدارت تنوي الذهاب إلى السرير...لكن
شهقة قوية خرجت منها وهي ترى سليم يقف
مستنداً إلى الجدار مطرق الرأس شارد الفكر،
ملامحه يعترىها الإحباط، بينما ساقه كانت تهتز
بسرعة واشية بتوتره، اجفل من شهقتها



العنيفة ورفع رأسه بسرعة يهّم بتوبيخها... لكن
 حُبست أنفاسه حين وقعت عيناه عليها، بينما
 هي رمشت بعينيها وفركت أصابعها بقوة تلعن
 نفسها على تهورها وتفكيرها العقيم... ماذا
 سيفعل الآن.. بالتأكيد سيهين أنوثتها...
 انعقد حاجبا سليم باستغراب وارتفعت شفثاه
 بشبة ابتسامة بينما قدماه فقد أجبرته على
 التحرك نحوها ببطء، وقف أمامها يطالعها
 والخبث يظل عينيه، ورغم ضربات قلبه
 المتسارعة إلا أنه تماك نفسه ورفع أنامله،
 ليرفع ذقنها ببطء... فأغمضت عينيها تلقائيا
 وازدردت ريقها ببطء... بينما هو برقت عيناه
 وابتسمت شفثاه، ملامحها تبعث الراحة بقلبه
 وكم يعشقها.. لكن صاحبتهامتملك عند يشبه

عناد البغال وجبن لا يمتلكه طفل

صغير... اتسعت ابتسامته ومال نحوها ليهمس

أمام شفيتها بصوت هادئ :

-تبدين رائعة بقميصك الخلاب.... على النقيض

تماماً من مظهرك بملابسك المتحشمة تجعك

أشبهه بال... رجل... امامي....

فتحت مليكة عينيها ببطء وقد تخضبت وجنتاها

بحمرة قانية، تشعر بفرحة كبيرة بمدحه في

مظهرها... لكن جملة الأخيرة حجت فرحتها

ورسمت ملامح شرسة على ملامحها، فهتفت

وهي تشير إلى نفسها بذهول رافعة حاجبها :

-أنا... أنا أشبه الرجل... لهذه الدرجة...



مال سليم أكثر فلامست شفتاه شفتيها ولفحت
أنفاسه صفحة وجهها، فارتعشت مليكة واسبلت
جفناها، ليهمس هو بصوت لا أجش :

-من قال هذا...!؟!....أنا!؟!

أومات برأسها ورمشت بعينيها مرتين بينما
وجنتيها تخضبتا بحمرة الخجل، فابتسم سليم
ابتسامة صغيرة، وسكونها يمنحه السماح فيما
يريد فعله، قبل زاوية شفتيها برقة اذابتها،
فتسمرت مكانها وارتفعت وتيرة أنفاسها أكثر،
تسارعت ضربات قلبها و زادت حمرة وجنتيها
بينما جسدها ارتجف تأثراً بقبلته الرقيقة، بينما
سليم ابتسم بخبث وزاد العبث في عينيه أكثر،
فجذبها من خصرها نحو صدره، ثم رفع أنامله
ليداعب بها وجنتها، أما هي فلم تبدي أي رد



فعل بل ظلت صامته تحت تأثير رفته...أزداد
خجلها حتى كاد يبتلعها، فتشبث سليم بخصرها
أكثر، وهمس بصوت أجش :
-تبدين جميلة...

يا إلهي حمرة وجنتيها تزداد حتى كادت تشعر
بسخونتها، بينما هو زفر بخشونة، ثم مال
عليها ليقبلها بهدوء ورقة...
قُبلة دللتها وهددت انوثتها المنقوصة...فشعر
سليم باستسلامها.....

زاد في طوفان مشاعره، قلبه تزداد ضرباته
بجنون...بينما هي كانت كالمغيبة...وفجأة ابتعد
سليم عنها كالمحموم تاركاً خصرها، فأجفلت
مليكة وشعرت بالإهانة تطعن قلبها دون
رحمة...دمعتان سقطا على وجنتيها...وأنفاس



لاهثة تشاركها بها عم صمت مريع كاد

يقتلها...إلى أن هتف سليم بغموض :

-لا يحق ليّ...-

امتقع وجهها، وأسبلت جفنيها.

اختلج فكها...فأردف هو بنبرة ساخرة :

-كما قولت ليّ أن هذا لا يحق ليّ...-



الفصل التاسع



"لا تعري نفسك أمام شخصٍ تركك مطعوناً
بسكينٍ غدره"

.....

-كما قولتِ ليّ أن هذا لا يحق ليّ...
هل كانت عيناه تنظران لها بعتابٍ خفي أم أنها
تتوهم؟!!

هل أذاقها من نفس كأس الإهانة بكل هدوء
ورقة فصارت كالمذبذبة تشعر بجرم ما أقدمت
عليه!



كيف تمكنت من جرحه بهذه الدرجة؟!
أهانتته وأهانت رجولته وهو لم يبذل أي جهد
في إخفاء جرحه منها!
لا يعلم أنها متهورة لا تلجأ إلى عقلها سوى في
أوقات قليلة... تترك لسانها يتحكم في الموقف
فيفسده ويزيد
الأمر سوءاً..

لماذا لا تلجأ إلى الجزء الصغير بقلبها، ينمو
باستحياء نحوه... لا تريده ينمو لكنها في
أعماقها تعترف أنها لم تر منه سوى
الحنان... والحزم الرفيق!

لم يؤذيها أبداً رغم قسوة طبعه مع الآخرين...
فكرتها نحوه تزداد رسوخاً رغم ما تكنه تجاهه
وما تعلمه عن ماضيه وما حدث له وخصوصاً

انتزاع روحه منه...فصار بعدها مسخ لشخصٍ

فقد روحه وبقي بدونها!

ورغم كل ما تعلمه إلا أنها تقسو عليه دون أي

سبب مقتع...بل هناك سبباً قوياً وهو طريقة

زواجه منها....زواجه منها بتلك الطريقة أثار

نفورها..لم تر لهفته وحنانه نحوها رغم أفعالها

المُستفزة..بل رأت أنه رجلٌ رغب بها

فتزوجها...أراد كسر عينيها كي لا تقوى على

رفعهما إليه!

حين لاحظ سليم شرودها وعينيها الحمر اوين،

ودموعها المنسدلة على وجنتيها الشهيتين،

هتف بصوت مشدد ملوحاً بذراعيه وقد فقد

السيطرة على نفسه :



- غبية... أنتِ غبية ولا تمتلكين عقل من
الأساس... تعتقدين بتفكيرك العقيم أنني أردت
كسر عينك وكبرياؤك... أنا لم أتزوجك كي
أنتقم منك.. وعلى ماذا انتقم أصلاً؟!... أجيبيني...
أنهى عبارته بصرخة مهتاجة... فتراجعت مليكة
إلى الخلف بخوف من هيئته قرأ أفكارها بكل
سهولة؟!...!!...

كتمت شهقتها بكفها المرتعش... فرمقها سليم
بنظرة مجروحة وكل ذكرى معها تعاود مداهمته
فتزيده جنوناً...

كُسرت رجولته و تصدعت روحه... فانطلق
غضبه ضارباً تعقله عرض الحائط!
إلى متى سيتحمل سخافتها!?!

جز على أسنانه بقوة حتى كاد يسحقها، وهتف
ضارباً الحائط بقبضته بقوة فتورمت من قوة
ضربته :

-أنا أعرف طعم الفراق وانتزاع الروح بكل
برود... فكيف

سأقوى على تذوق طعمه مرة أخرى... تطلبين
مني أن أبتعد فابتعدت... اعترفت لي بنفورك
نحوي دون أن تهتمي بجرحي وقتها... أعترف
أنني أخطأت حين تزوجتك بتلك الطريقة الأشبه
بالزواج من جارية... لكنك أخطأت بتصرفاتك و
نفورك الغير مبرر... ما سببه فقط اخبريني ما
سببه!

اتسعت عيناها بشدة فبدأت كبركتين
عميقتين، بينما كفاها الموضوع على شفيتها



سقط بجوارها مثل صاحبه، تلك المضغة
الكامنة في يسارها تخفق بشدة ضاربة صدرها
بقوة مؤلمة.. ودموعها ازدادت هطولا... أل هذه
الدرجة جرحته بسكين ثلم دون شعور
منها.. فقط كل فكرها كان منصب على اكتساب
نقطة في حرب باردة لم يدخل بها من الأساس!
ستكون كاذبة لو قالت أنها لم تشعر بحنانه
نحوها بل كانت تشعر بالرضا وهو يترفق
بها... تشعر بقبلاته الليلة المختلصة ولم
تمانعه... شغفه الرقيق يستطيع السيطرة عليها
دون أي جهد!

السؤال هنا!

لماذا لم تمد كفها مرحبة به وحنانه وبشغفه
.. لم تمد كفها إلى نظرتة التي يخصها بها فقط..



ألم تتمنى أن تتزوج من رجلٍ لا يستقوي عليها
بقوته بل يحنو عليها....

لماذا لا تمد كفها له تطلب منه المزيد... وهو لن
يتركها تشحذ اهتمامه!

أبدأ....

أغمضت عينيها بشدة... تحجب الرؤية عنهما
كي لا ترى هيئته الأشبه بأسد يزار، غضبه
يتفاقم بداخله، صوت لهاثة تسمعه بأذنيها تكاد
تكون شهقات...

انفرجت شفتاها المرتجفتان، وهتفت بتحسرج :

-لا أعرف سببه صدقني....

-ولن تعرفي لأنك تفتعيلينه...



هدر بها بقوة فنفرت عروقه و أصابه صداد

عاصف في ثوانٍ... ليغمض عينيه

التائرتين.. ويرفع كفه يسندها إلى الحائط!

أما مليكة شعرت بالشفقة نحوه... بعدما فسرت

ثورته المفاجاه بأنه تعب... وفجأة دوى صوته

في أذنيها من بعيد حين كانت تعنفه بعدما تلقت

كلمة "قبيحة" للمرة الثانية من سالم "أنا

تعبت، تعبت منكم ومن

نفسي.... تعبت!!... صراع صراع والمطلوب

مني التصدي لكل هذا حمايتك وحماية مروان

وحماية أناس كثيرة.. وماذا عني.. ألن تتراأفوا

بي؟؟.."

هو تعب بالفعل وهي تعبت من كل هذا ومن

صراعها مع نفسها، ستمد كفها هذا ما تريده

وبشدة....وما يريد ه هو رخم ثورته المفاجأة
وعلى ما يبدو هناك شيء أشعل فتيل غضبه
وتحكمه بنفسه....

سحبت نفساً عميقاً... واجبرت قدميها على
التحرك نحوه يلهث بعنف والصداع يكاد يغشي
عينيه، ها قد فقد السيطرة على نفسه وأخرج
ما يكتمه بنفسه متحملاً سخافتها ومشاعرها
القاتلة نحوه..

غضب عاصف اكتفه كلياً....لم يقوَ على
التحكم به وخصوصاً بعد مشكلة مروان
الكارثية!

شعر براحتيها تتبسطان على كتفيه..فتشجبت
عضلاته وفتح عينيه بسرعة مبهوتاً من
تصرفها...بينما هي همست بصوت لا يكاد



يسمع حتى أنه أرجع رأسه إلى الخلف قليلا كي

يسمعا :

-آسفة، أنا آسفة...تغاضيت عن تصرفاتك معي

رغم فظاظتي...ووضعت جام تركيزي على

جرحك فقط وفكرتي نحوك بأنك تربية

سالم...فبالطبع لا تعرف الرحمة...لكنك

وبصراحة في هذه النقطة بالذات قتلت

فكرتي....رغم كل عيوبك وأنا لن أتردد في

قولها....تربية سالم أثرت بك يا سليم!

ابتسامة ساخرة انطلقت من بين شفتي سليم

دون مرح، واشتعلت عيناه للحظة وهو يهز

رأسه مستهزئاً :

-لو كنت تهتمين بمعرفة قصتي بأكملها لكنتِ

عرفتِ أنني تربية أمي...رغم خنوعها وجبنها



إلا أنها زرعت بي اهم شيء يجعلني أتميز عن
سالم... زرعت بي الرحمة وقالت لي... من ذاق
الظلم لا يقدر على أذاقته لغيره.. فقط هذا ما
يفرق بيني وبين سالم... ولا أظنه يفرق معي
كثيراً.....

أسببت عينيها او هتفت بصوت خفيض مرتبة
على ظهره كأول بادرة منها :

- اهدأ وخذ نفساً عميقاً... وانس ما حدث

الآن... أنعم بقليلٍ من الراحة...

فعل سليم ما قالته فهو يحتاج هذا بالفعل صدره
يؤلمه بشدة والصداع يزداد ضراوة، فتأوه
بصوت مكتوم مدكاً رأسه بأنامله.. فراقبت
مليكة ما يفعله و أبعدت كفيها كي تمسح



دموعها بسرعة، وبعدها أمسكت بكتفيه
وادراته لها...فها لها احمرار وجهه وعينيه...

هتفت بصوت مرتبك :

-هل تشعر بالصداع؟

أوما برأسه دون كلام، فعضت على شفتيها
بقوة تفكر أين تركت المسكن خصاتها...إلى أن
تذكرته....

جذبتة من كفه بتلقائية نحو الفراش، فصعق
سليم من تصرفها وهمّ برفض مساعدتها إلا أن
الصداع ازداد حدة...فرضخ لها دون
اعتراض...

أجلسته على طرف الفراش، ثم همست بتلعثم :
-سأتي إليك بالمسكن...دقيقة واحدة...



ثم هرولت نحو جرور صغير فتحته وأخرجت
منه شريطاً أمسكته بكف بينما كفها الآخر
سحب كوب الماء بخفة وبعدها اتجهت
نحوه...أخرجت قرص من الشريط بعدما
وضعت الكوب بكفه المرتجف من فرط صراخه
وتوتر أعصابه بعد كل نوبة غضب...مدت كفها
بالقرص نحو شفثيه فلامست أناملها شفثيه
الصلبتين....

يرفع عينيه الفضيتين لها بنظرة
غريبة...فأشاحت بوجهها عنه بارتباك...
انغrust ابتسامة باهتةً على شفثيه وهو يرى
الاحمرار يغزو وجنتيها...



فتح فمه والتقط القرص وبعدها رفع الكوب
ليشربه دفعة واحدة ثم دفعه نحوها والتقطته
هي بسرعة..

رأها تبتعد نحو الجانب الآخر من الفراش،
فظنها ستنام بكل برود إلا أنها كانت تبحث عن
شيء ما..

اتسعت عيناه قليلا، هل انفجر بها للتو..

ألقي ما يثقل صدره....

على ما يبدو هذا أفضل تصرف....

أما مليكة كانت تبحث عن قرص آخر لكنها لم

تجد...فانتصبت واقفة...ثم عادت له..

راقبها سليم دون تعبير يمر بعينيه على جسدها

في قميصها الوردي...



انعقد حاجباه بغضب هامساً دون صوت "بماذا
تفكر الآن... هل أنا مجنون!... ألم أكن غاضباً
منذ ثوانٍ؟!!"

زفر بقوة حين اقتربت منه وجلست
بجواره... تفرك أصابعها بتوتر... وملامح
ممتعة، أغمض عينيه بقوة... ثم زفر هذه المرة
دون صوت....

بينما هي كانت تختلس نظرات متفحصة له،
تريد أن تهتف بعرضٍ غريب إلا أنها تخجل
وكانها إنسانٌ يشعر بالخجل فعلاً... حين عم
الصمت لدقائق صدح صوت سليم بقوة جعلتها
تنتفض شاهقة شهقة صغيرة :
-ماذا تريدان؟!... ألن تنامي؟؟-



ازدردت ريقها ببطء، وأسبلت عينيها
المبللتين... قبل أن تهتف بتردد زاحفة على
الفراش قليلا كي تبعد عنه :

-مشط لي شعري!

رفع حاجبه بشدة، وفغر فمه قائلا بعدم فهم :
-عفوًا!

عضت على شفثيها بارتباك ، وهمست بتلعثم :
-أمي بالتأكيد نائمة ولن أستطيع الذهاب إليها

كي تمشط لي شعري لانني لا أقوى على
تمشيطة بسبب كثافته... هل يمكنك مساعدتي أم
أذهب إليها ..

-هل أعتبر هذا العرض بادرة للصلح!.. لأن هذا
ليس وقته صدقيني!



ارتفع حاجبا مليكة، وابتسامة سريعة داعبت

شفتيها...إلا أنها انتصبت واقفة وهمست

متأهبة للرحيل :

-سأذهب إليها حتى لو كانت نائمة

سأوقظها..شكراً لك....

ثم تحركت خطوة واحدة قبل أن تشهق بعنف

وهي ترى نفسها فجأة تجلس علي ركبتيه بعدما

سحبها بعنف، حُبست أنفسها ورمقته بعينين

هادئتين، تهز رأسها متسائلة وقد غزا الاحمرار

وجنتيها... فهتف سليم بتقريع :

-إلى أين ستذهبين بهذا القميص الكارثي... هل

تريدين وصلة ثانية من الصراخ والعصبية!

عضت على شفتيها بقوة حتى كادت تدميها،

ورمشت بعينيها الهاربتين من أسر عينيه لاعنةً



نفسها على ما أقدمت عليه... وفكرتها السخيفة

كبادرة صلح غبية على أفعال صدرت منها

بشكلٍ أغبي.

بينما سليم رغم غضبه الشديد منها إلا أن

رغبته بها تزداد....

انفرجت شفتاه وهتف محرماً كفه على طول

ظهرها :

- هل هذه باردة صلح يا مليكة؟

تلجلجت قليلاً وأغمضت عينيها للحظات

وحركته تلك تداعب أنوثتها المنقوصة أجمل

مداعبة... ثم فجأة أومات برأسها نصف

إيماءة... فزفر سليم بكبتٍ، وهمس بتحشرج و

كفه يصعد ويهبط على ظهرها :



-وسأقبل بها لكنها لا تكفي...لأتني لا أثق بكِ

وبمدى صدقك....

هل طعنها للتو بعدم ثقته أم أنها تتوهم؟...وهل

يحتاج الأمر لكل هذا...!؟!

يراها فتاة خبيثة...تخفي وراء ظهرها خنجر

مخصصا لظنه هو...

ألهذه الدرجة جرحت أفعالها الغبية روحه!؟!

لماذا!؟!

قُطعت أفكارها حين استقام سليم واقفاً حاملاً

إياها بين ذراعيه، لا ينظر لها...صفحة وجهه

متبلدة بقناع بروده المستفز الذي يدفعها دائماً

لاستفزازه...

لم تلاحظ ابتلاع ريقه ببطء واختلاج فكه....



تحرك بها ثم وقف أمام المرأة... ونظر إلى
الطاولة الملتصقة بها، يبحث عن الفرشاة إلى
أن وجدها فسحبها وملامحه تزداد
صلابة.... فعضت باطن خدها وأوشكت على
البكاء مرة أخرى....

ما هذا الذي تفعله الآن؟!

بدأت في تنفيذ ما زعمت عليه بهذه السرعة
دون أي تعقل ولو ليوم واحد...
عادت من تفكيرها وهي ترى سليم يجلس بها
أرضاً، فتوجست قليلاً وهمّت بالتراجع إلا أنها
وجدت نفسها فجأة تجلس بين ساقيه وظهرها
ملتصق بصدرة... فشعرت بضربات قلبه تضرب
ظهرها بقوة وكأنها تلطمها لكماً....



ارتباك و شعور غريب متسلل بالراحة اكتتفها
كلياً، فصمتت تماماً تاركةً لنفسها قبول ما
يمطرها به حتى لو كانت هي من أقدمت على
طلبه...

رفع سليم الفرشاة بملامح تحولت إلى الهدوء
وابتسامة صغيرة داعبت شفثيه...بينما عيناه
هدأتا وتعمقتا...

يراها مستكينة بوادعة لا تمتلكها منذ بداية
علاقتهما، لو كان الشجار يفعل بها ما فعله الآن
لتشاجر معها كل يومٍ وكل دقيقة...الفرشاة
تتخلل شعرها الآخاذ بكل رقة استفزته...يتمنى
أن يمشط لها شعرها بأصابعه هو لكنها كما
أطلق عليها "هادمة الذات دون منازع"



تملمت قليلا... وهممت بعدة كلمات لم يسمعها
فلم يهتم بل أكمل ما يفعله... تمشيظ شعرها متعة
حقيقية... وجلوسها بين ساقيه أكبر متعة...
أرتبك قليلا يحاول أبعاد نظره عنها إلا أنه لم
يقوَ وهو يلاحظ ارتعاش جسدها بفعل الجو
البارد... أبعاد شعرها ووضعها على
كتفها... فظهر عنقها أمام عينيه. ودون شعور،
اقترب منها وحطت شفثيه على كتفها...
ارتعشت مليكة وشعرت برعشة غريبة تعصف
بجسدها...
ألا يكفيها انها كانت تشعر بالفرحة وهو يمشظ
لها شعرها برفق دون أي كلام... حركته
داعبتها وبشدة....



ازدادت قبلاته تعمقاً على عنقها... فشعرت

بقواها تنهار

تاركةً نفسها دون أي تحكّيات من عقلها

العقيم... وبالتأكيد فكرة "أنوثتها المنقوصة"

تؤثر عليها وبشدة...

حين لاحظ سليم استسلامها... زمجر

بخشونة... ثم أدارها إليه بعنف وهجم على

شفتيها بعاطفة عنيفة بعض الشيء تختلف عن

قبلته منذ دقائق طويلة...

أغمضت عينيها... واستكانت بين ذراعيه

والخجل يكاد يقتلها....

ابتعد سليم عنها وأنفاسه الحارة تلتفح صفحة

وجهها....



قام من جلسته وحملها بين ذراعيه دون أن

يحررها...متجهاً إلى الفراش...

وضعها عليه مداعباً شريطي القميص عند

كتفها...فأبعده عنها... وقبل عنقها

بهدوء..فذابت أكثر...

وبعدها انغمسا في عاطفة بددت شوقه إليها

وبدبت "أنوثتها المنقوصة" وهي تراه يعاملها

وكأنها ملكة لم يرَ مثلها من قبل...

نظراته وحدها كانت قصة لم تعرف دواخلها

بعد!

=====

أصوات مكتومة لحركة شخصٍ يحاول التحرك

بهدوء...



أناملها متشبثة بطرف الغطاء بقوة، وذكرى ما

حدث

بالأمس تعاود مداهمتها فيقشعر جسدها تأثراً...

هل كان استسلامها سببه هو ما تعرضت له من

إهانة فتفاقم شعورها بالنقص

بداخلها... فاستسلمت دون أي مقاومة...

هذه النقطة بالذات تكاد تقتلها هي لا تريد أن

تتحرك مشاعرها نحوه لأجل "أنوثتها

المنقوصة"....

أفكارها السوداوية تتلاعب بعقلها...

ولماذا الآن بعد ما حدث بينهما... لا تعلم...

صدق سليم حين نعتها "هادمة الذات دون

منازع"



فبالرغم من مشاعرها التي تنمو بداخلها نحوه
إلا أنها تغاضت عن هذا وفسرت استسلامها له
بأنها وسيلة لتبديد شعورها "بأنوثتها
المنقوصة"...

حين سمعت صوت إغلاق باب الحمام و صوت
سريان الماء... اعتدلت في جلستها بسرعة
ضامة الغطاء نحوها.. بينما اناملها تحاول عبثاً
في تهذيب شعرها حيث إنه يصبح شكله غريب
حين تستيقظ... إلا أنها زادت هيئتها سوءاً..
ماذا ستفعل الآن ستموت خجلاً لو تلاقى
أعينهما في هذه اللحظة الآن....
عضت على شفثيها بارتباك...



تخضبت وجنتاها بحمرة قانية، زفرت دون
صوت ثم همست وهي تندس تحت الغطاء
رافعةً إياه إلى رأسها :

-أفضل حل الآن...إدعاء النوم إلى أن يرحل....
أما سليم...كان مستنداً بكفيه إلى الحائط الماء
ينسدل على جسده..
ابتسامة...

ابتسامة صغيرة داعبت شفثيه سرعان ما قُتِلت
في مهدها..وهو يتذكر ما حدث لمروان...
لا يعلم كيف سيخرجه من محنته...وهذا ما يؤثر
به..

ما أقدم مروان عليه كان تصرفاً أهوجاً..... لو
كان عاد إليه لكان منعه.....



زفر بقوة، ثم عاد بتفكيره إلى ليلة أمس... ليلة
كانت غريبة بدايتها صراخ وعصبية ونهايتها
عاطفة هوجاء سيطرت عليه كلياً فلم يقوَ على
الصبر أكثر من ذلك....

هو يعلم ما شعرت به حين نعتها
"بالقبيحة"... طغنتها الكلمة وطغنت أنوثتها...
غبية... لا تعرف مدى تأثيرها عليه، أمامها
يصير مأخوذاً بجمالها البسيط الذي يحرك به
كل شيء... عاطفته وقلبه....

غبية هي ولا تعلم أنها سكنت قلبه بجمالها
البسيط بينما هي تظن نفسها تمتلك أنوثة غير
مُرضية، غبية وتفكيرها عقيم، فقط لو ترى ما
يشعر به نحوها إلا أنها عمياء النظر



والقلب...متبلدة المشاعر....ولا تثق

بنفسها....

تزعم أنها ذات كبرياء وهي لم ترَ دقيقتين ثقة

من الأساس...

أبتسم رغماً عنه، ثم أغلق الماء..وارتدى

ملابس مريحة مكونة من بنطال أسود ضيق

وكنزة صوفية...الطقس صار بارداً جداً...

صفف شعره بعشوائية...ثم خرج من الحمام

وعيناه مرتكزتان على جسدها المخفي كلياً

بالغطاء، فابتسم بعثث واقترب من الفراش على

أطراف أصابعه....

جلس على طرف الفراش...ثم أبعاد طرف

الغطاء عن رأسها وهمس بجوار أذنها بصوت

أجش :



-ملیكة استیقظی...-

أغمضت ملیكة عینیها بشدة، وعضت علی

شفتیها بقوة، بینما جسدها أرتجف بشكل

ملحوظ...فشعر سلیم بارتباكها، لیبتسم

بهدوء...ثم قام من مكانه واتجه نحو النافذة،

وقف أمامها دون أن یفتحها کی لا

تبرد...وبعدها همس بصوت هادئ :

-هیا قومی...وأنا لن أنظر إلیك...أسرعی...-

فتحت ملیكة نصف عین...تتحقق من

صدقه...فوجدته یعطیها ظهره...واضعاً كفیة

فی جیبی بنطاله، فاعتدلت بسرعة ثم لفت

الغطاء حولها تزامناً مع همسها بصوت مبحوح

:

-أخرج من الغرفة...-



ارتفع حاجب سليم وبرقت عيناه بخبت...يقاوم
نفسه كي لا يلتفت لها ويعاود مهاجمتها
بعاطفته...لكنه تشبث بالثبات الظاهري وهتف
وهو يهز كتفيه ببساطة :

-لن أخرج من غرفتي سأبقى بها وإضافة إلى
ذلك أنا لن أخرج من الغرفة

اليوم...عفواً...أقصد القصر...سأبقى في
القصر...لذا بالتأكيد سأبقى في غرفتي...أمامك
خيارين أما أن تقومي وتذهبي إلى الحمام
بسرعة قبل أن ألتفت...أو تلجئين إلى الحل
الأخر وأنا مرحب به وبشدة...
رمشت مليكة بعينيها..وهمست بغباء :

-ما هو...!؟!

كتم سليم ابتسامته وهتف ببراعة :

يأخذ هاتفه، ثم جلس على طرف الفراش
واستند بمرفقيه على ركبتيه وطلب رقماً
سرعان ما جاء صوت صاحبه بسرعة، فهتف
سليم متتهداً :

- نسيم.... أين كنتَ يا رجل، أختفيت فجأة.. ولم
تجيب علي أي اتصال مني... هل حدث لك
شيء؟!!

أتى صوت نسيم هادئاً لا يتناسب مع كلماته:
- أختفت لأنني حصلت على ضربٍ مُبرح من
سالم.... أنا ومجموعة من الرجال...
انتفض سليم فجأة... وتسيبت أنامله الممسكة
بالهاتف... ليهتف بصوت مشدد قلق :
- ماذا؟!... ضربك... هل أصابك أصابات خ...



ابتسم نسيم ابتسامة صغيرة... وهتف مقاطعاً

عبارة سليم القلقة :

-اهدأ... لا تهتم هو فقط أستعمل ذكاه وشعر

بوجود جاسوس بين رجاله وبدأ في

الاستجواب... لم يصبني أي شيء

خطير... فقط كسر مُضعف في ذراعي

الأيسر... وعشرة قطيبات في جيبني... وثلاث

في ذراعي

الأيمن..و...

-اخرس يا نسيم اخرس....

صاح بها سليم بعصبية شديدة... وشعوره

بالذنب نحو نسيم يتفاقم بداخله... نسيم

سيتعرض لأسوء من ذلك لو بقي عند سالم

وعلم بالحقيقة، لذا يجب أن يترك العمل عنده

ويرحل من هنا، لذلك هتف بصوت صارم رغم

تحشرجه :

- نسيم أنا لن أتحمل ذنب آخر فوق

كاهلي.... ستترك العمل عند سالم وترحل من

هنا، أنا سامن حياتك ولن أتركك... سأحميك

منه.. فقط أرحل من هنا... أنا من اخطأت حين

قبلت بمساعدتك.... أرجوك أرحل....

لم يأتِ أي رد من الجهة الأخرى إلى دقائق

طالت، فانعقد حاجبا سليم بتوجس وهمّ

بالتحدث... لكن صوت نسيم أتى حاداً بارداً :

- هل تمزح؟ أخبرني هل تمزح يا سليم... تطلب

مني الرحيل وتركك وحدك، ألم نقسم أننا أخوة

لن يفرقنا أحد... سيساعد كل منا الآخر إلى آخر

نفس؟؟؟... والآن تأمرني بالرحيل... وهل



رحيلي سيمنع سالم عني.. أخبرني... أنا وأنت
نعلم أن التراجع في الحرب بهزيمة، فهل ستقبل
بالهزيمة... سأجيبك أنا لا... وستحاربه
وحدك... وأنا لن أقبل!... نقطة وانتهى
السطر... والآن أغلق الخط... موعد دوائي قد
حان....

ثم أغلق الخط دون أن يضيف كلمة أخرى،
فهتف سليم باسمه بعصبية وبدأ الخوف يتسلل
إلى قلبه :

- نسيم نسيم... تبا لك....

ثم قذف هاتفه بكل قوته في الحائط، فانفك إلى
أجزاء....

وضع رأسه بين كفيه وأغمض عينيه بشدة...



كف صغيرة ناعمة ربتت على كتفه بهدوء،
جعلته يرفع رأسه ببطء وملامح وجهه شاحبة،
بينما فكه يتحرك دون كلام..

رمقته مليكة بثبات.. وملامح هادئة.. تلف
جسدها بمنشفة، والأحمرار يعلو وجنتيها حتى
كاد يبتلعها كلياً ورغم ذلك بدت شهية...

ملامح وجهها وشت بأنها سمعت الحوار،
ورغم ذلك لم تثر بل جلست بجواره، ترمقه
بابتسامة صغيرة؛ فأشاح بوجهه وزفر

بعصبية، لكنها رفعت أناملها وأدارت وجهه
نحوها، فنظر سليم لها بعينين زائغتين...

ضاقت عيناها وهتفت :

-ماذا حدث؟؟... لماذا كل هذا الصراخ والخوف

!؟

نظر لها نظرة غريبة... ثم أبعد عينيه عنها

وهتف بصوت عاد البرود إليه :

- وهل تهتمين من الأساس؟!... ستتحملين

مشاكلي المعقدة؟؟.....

الإجابة هي لا!.... إذاً شكراً لسؤالك!

انعدد حاجبا مليكة قليلا، وهتفت مرتبة على

ذقنه بتلقائية :

-أحك لي... ماذا حدث؟! ومن سبب غضبك

وثورتك؟؟... هل حدث ل... لمروان شيء سيء.

عاد سليم بعينيه لها يطالعها بقوة، ثم أمسك

كفها الموضوع على ذقنه يضغط عليه بقوة :

-صدقيني... لن تتحملي ما أريد قوله... وأنا لا

أريدك أن تسمعينه من الأساس...

ارتبكت مليكة، وتأوهت بخفوت هامسة من بين

شفتيها بتساؤل :

-لماذا؟!-

جز سليم على أسنانه بقوة...ثم ترك كفها وهب

واقفاً متجهاً نحو النافذة، يزفر بصوت عالٍ

وساقه تهتز بعصبية، يريد البوح لها بمشكلة

مروان إلا أنه لا يقوى..

وماذا ستفعل له لو حكى لها القصة...!

مليكة!

صاحبة المواقف القاتلة و الكلمات

اللاذعة...ستحل الأمر معه بود!

رغم ما حدث بينهما إلا أنه سيكون ساذحاً لو

وثق بها بهذه السرعة!



هذا يسمى جنون... أمامها طريقاً طويلاً

ينتظرها.... ينتظر مشاعرها نحوه ومدى

صدقها!

لن ينسى أبداً فعلتها البشعة حين اتهمته أسوأ

اتهام.... اتهمته بالاغتصاب وهو زوجها!

حينها صفعها لم تكن الصفعة لأجل ثرثرتها

السخيفة بشأن حبها لرجل آخر.. بل لأجل

فعلتها...

لن ينساها أبداً ولو بعد سنوات لن ينساها....

زفر هذه المرة دون صوت، فاقتربت مليكة منه

ووقفت خلفه مباشرة وظلت واقفة

لدقائق... تريد التحدث لكنها تخشى غضبه في

هاته اللحظة....

العجيب في الأمر أنها هادئة، لم تغضب لأنه

يرفض البوح لها بكل ما يجيش ب صدره....

لأنها شبة موقنة بنظرته إليها...

وهو محقٌ لكن ليس تماماً من وجهة نظرها...

-سأذهب إلى عمتي!

قالها فجأة على حين غرة منها، فاجفلت

وصمتت لدقيقة، ليلتفت لها سليم بتساؤل.....

لكنها لم ترد عليه لدقيقة أخرى، فتوجس سليم

وانعقد حاجباه منتظراً ردها....

هتفت مليكة بصوت غريب :

-حسناً أذهب لها وأنا سأرتدي ملابسني و سأتي

خلفك...

-ذكرتيني...



قالها سليم بخبث، فطالعته بعدم فهم..سرعان ما

أختفى وهي تراه يمد كفه محيطاً به خصرها

ليجذبها نحوه...

فاصطدمت بصدرة...

تخضبت وجنتاها وهمست بتلثم وهي تتلوى

بين ذراعيه تحاول التحرر منه :

-ماذا؟!..أبتعد...

-لن أبتعد قبل أن أحصل على ما أريده...

قالها وهو يقترب بوجهه منها، فلکمته بقبضتها

في صدره محاولة أبعاد وجهها إلا أنه تمكن من

شفتيها بشفتيه، حاولت الهروب من بين

ذراعيه إلا أنه أحكم التمسك بها وهاجم شفتيها،

فرفعت ذراعيها بتردد نحو عنقه، لكنها أبقتهما



مكاثم، وتجاوبت معه على استحياء... بعد مدة

قصيرة

أبعد وجهه عنها يلهث، ضربات قلبه تشعر بها

تحت كفها

فأخفت مليكة وجهها في كتفه تخفي وجهها

الأحمر بخجل، فأمسك هو طرف المنشفة ينوي

إبعادها إلا أنها ابتعدت عنه راضة إلى الحمام

مرة أخرى، هاتفة بتلثم :

- ألم تكن ذاهباً إلى أمي، هيا أذهب....

تسمر سليم مكانه لثوانٍ... يرمش بعينه وكان

دلوا من الماء البارد سقط عليه....

انتزعته متبلدة المشاعر من فورة مشاعره...

ضغط على أسنانه بغيظ وتحرك وهو يغمغم

بغيظ :



-تباً لك... لو تعلمين لقبك عندي..تباً لك مرة
أخرى هادمة الذات دون منازع...سأريك...تباً
لك للمرة الثالثة...

قال جملته الاخيرة بصوت عالٍ كي تسمعه ثم
صفق الباب بقوة فضحت غضبه منها،
فابتسمت ابتسامة صغيرة بدأت تتسع حتى
شملت وجهها بأكمله...

حسناً على ما يبدو أنها اتخذت قرارها بالفعل !

=====

جلس بجوارها على الأرض، تحرك حبيبات
سبحتها بخشوع....

يراقبها مبتسماً بهدوء، هي فقط من تستطيع
مساعدته، بكل حكمتها وصفاء قلبها ونظرتها

للحياة يمكنها مساعدته.... هي من تقدر ألمه،
فتربت على جروحه بحنانٍ ونظرتها العميقة!
يخفي أموراً كثيرة... لا يتحدث عنها
كثيراً... لكنها تشعر به وبما يؤلمه، عمته داليا
بروحها تستطيع جبر خاطره وترميم روحه ولو
مؤقتاً....

نظرت داليا له بعينين دامعتين، ووجه محمر،
وهتفت بصوت متحشرج :

- مروان؟!... مروان وقع في هذه

المشكلة.. كيف أقدم أبي على هذا الفعل بعدما

كان السبب في يتم مروان.. والد مروان قُتل

بسبب افعال أبي... أل هذه الدرجة غشي الحقد

قلبه وعينيه!

تنهد سليم بكبت، ثم هتف بحيرة :

-عمتي... مروان وقع في مكيدة لن يستطيع

الخروج منها... الأمر معقد من جميع

الجهات!!... "هاني" يرفض تعويض مادي

للتنازل... وبعدها لو أراد أن يأخذ صبا وابنتها

فليأخذهما ويرحل بالمال لكنه رفض!

-وماذا تظن... عرضت عليه تعويض مالي وأبي

بالتأكيد يدعمه بضعف ما عرضته.. وإضافة إلى

ذلك الخطأ يعود لك أنت...

عقد سليم حاجبيه مشدوهاً، وانفجرت شفقاته :

-أنا يا عمتي!

أومات داليا برأسها، واردفت بحزم لا يتناسب

مع عينيها المبللتين :

-نعم أنت.. هل كان الأمر صعب عليك لتوفير

مكاناً آخراً لصبا تلك.. أو تدبير أمر الفتاة بشكل

أفضل...أبي وصل لها عن طريقك أنت حين
وصلت للطفلة وفي وقتها ذهبت لهما...بالتأكيد

كنت تحت مراقبته!

عض سليم جانب شفثيه بقوة حتى كاد يدميها،
داليا محقة هو المذنب..لكن خطاه لا يقارن

بخطأ مروان في تسرعه....

لو كان أخبره لكان تدبر الأمر..كيف غفل عن

تلك النقطة....

تسرعه وعدم اتخاذ الحذر وهو يبحث عن

جميلة جعل

سالم يفوز بنقطة وبدأ في التحرك بسرعة

غريبة...



فقط لو تمكن من إقناع هاني... وإعطاءه
مايريده قبل أن يتعرض مروان إلى أشياء
يعلمها جيداً....

-لماذا لم تلجأ إلى المرأة التي وجدت الطفلة
وأخذتها معها..!؟

قالتها داليا بعد تفكير...فانتبه سليم له من
شروده...ونظر لها وهو يفكر في الأمر لكنه هز
رأسه برفض وهتف :

-لو فعلت كما قولت...هذا يعني أن المرأة هي
من خطفتها...وغير ذلك الطفلة كانت مع صبا
ومروان حين هجمت الشرطة عليهما...وهذا
ما أثبت التهمة عليهما!...لو لجأت للمرأة لن
تفيدنا في شيء...السر يكمن في "هاني" وماذا
يريده...وهذا بالطبع سيتم بعيداً عن سالم..لأنه



يريد حبس مروان و كسر عنقه... أنتِ

تعرفين...

-خطأ يا سليم... أبي يريد أن يجبر مروان على

أخذ تار أبيه!... وهذا بالتأكيد ليس لأجل حق

ابنه بل لأجل اسمه أمام رجال البلدة.. وأنت تعلم

جيداً لو حدث هذا يا سليم سيضيع مروان في

غمضة عين!....

قالتها داليا ودموعها تسقط بغزارة على

وجنتيها تائراً بذكرى تحركت أمام عينيها

ببطء...

صوت صراخ عمّ على البلدة بأكملها.. سقط ابن

سالم الأمير مقتولاً بسبب خلافات كانت قائمة

بين العائلتين.....

أنفعل سليم وانتفض من مكانه هادراً بصوت

عالٍ أجفل داليا :

- هذا ظلم..... سالم بعدها لم يسكت بل أطلق
رجالهم عليهم وقتل نصف رجالهم... كانت حرب
دماء يا عمتي... والآن يريد مروان كي يأخذ
حق عمي رحمه الله!... ما هذا الجبروت والظلم!
صدرت من داليا نسيج باكي تأثراً بذكرى موت
شقيقها، كانت ذكرى مؤلمة... حتى أنها لا تريد
أن تتذكرها يكفيها ما شعرت به وقتها وهي
تري شقيقها غارقاً في دمه... شقيقها الثاني
رأت جسده مسجى أرضاً ودماء مفرعة تحيط
به... وقتها صرخت صرخة طويلة... صرخة
هزت البلدة بأكملها... كان أقربهم لها... حنون،
شهم....

قُتِلَ في غمضة عين وترك خلفه صبي صغير

كانت تحتضنه كل يوم وهي تبكي كان

يشبهه... فقط عيناها هي المختلفة... تتذكر

لونها حتى الآن....

أغمضت عينيها بقوة وبكت بهدوء، فنظر سليم

لها بعينين مشفقتين، ثم اقترب منها واحتضن

رأسها.. هامساً بتحسّر :
- لا تبك يا عمتي سيخرج وسترينه... لن أترك

الأذى يطوله... سأبذل جهدي... لكن لا تبك...
رفعت داليا كفها المرتعش المجعد وربتت على

ذراعه الصلب، هامسة بترج :
- أريد أن أراه... خذني إليه أرجوك!

أريد أن أراه... خذني إليه أرجوك!

أريد أن أراه... خذني إليه أرجوك!



صمت سليم قليلا وظهر الرفض جلياً على
وجهه لكن رجاءها رق له قلبه... فزفر دون
صوت ثم قبل رأسها وقال :

-حسناً، سأخذك له غداً.. اهدئي قليلا كي لا
تتعبى... وهيا قومي معي كي تتمددي على
الفراش... ستؤلمك قدمك !

فجأة فُتِح باب الغرفة بقوة جعلته يصطدم في
الحائط مصدراً صوت مزعج جعل داليا تشهق
بفزع وسليم أجفل لكنه تمالك نفسه كي لا يظهر
هذا عليه..

نظرا إلى الباب... فوجدا مليكة تقف عنده تنظر
لهما بعينين ضاقتا بتفحص... تحمل بين يديها
صينية تضع فوقها كوبين من عصير البرتقال،
فرفع سليم حاجبه بعدم فهم ونظر إلى



داليا... فهزت رأسها بعدم فهم هي الأخرى،

ليعود بنظرة إليها يزجرها بقوة!

تقدمت مليكة منهما تتحرك برشاقة وعباءتها

الحمراء الهفافة تتحرك حولها، بينما شعرها

كانت تخفيه بوشاح وضعت بهما بإهمال غير مهتمة

بخصلات شعرها المتمردة..

وقفت أمامهما ترمقهما بتفحص، ثم هتفت

بصوت غريب :

-تفضلاً....

ثم مالت بجذعها وهي تمد الصينية نحوها،

فأبعد سليم ذراعه عن داليا.. وأمسك بالصينية

ليضعها جانباً... وبعدها نظر إليها وهتف بصوت

مشتد :



- الأبواب صُنعت للطرق عليها.... وأنتِ دخلتِ

كالثور الهائج دون أن تطريقه!!

رفعت مليكة حاجبها، ثم وضعت كفيها في

خصرها وهتفت ببديهة :

-ولماذا أطرقه من الأساس... أنتِ زوجي وهي

أمي!... إذاً فما فعلته كان أمراً طبيعياً!

ابتسم سليم بخبث، ثم أمسك بالكوب وهتف

بصوت غامض :

-هذه نظرية رائعة... سنتناقش مع بعضنا في

هذا الأمر!

ارتبكت مليكة وتخضبت وجنتاها بحمرة قانية

جراء تلميحه الوقح!

تابعها سليم وهو يرتشف أول رشفة من

العصير بينما



داليا كانت تقلّب عينيها بينهما في نظرات
متفحصة...

مروراً بابنتها المرتبكة ووجنتيها
الحمروايتين...و سليم الذي يرمقها بنظرات
غامضة...

انغرست ابتسامة صغيرة على شفثيها رغماً
عنها وأشاحت بوجهها كي لا يلاحظها
ابتسامتها...

-بشع...العصير بشع جداً...

قالها سليم بتقرز وهو يبعد الكوب عن
فمه...فكورت مليكة فمها وهتفت بعصبية :

-هل تمزح!؟

هز سليم رأسه برفض...وأردف وهو ينظر له
ببراءة :



- هل هذا عصير أصلا... سامحك الله حبيبتى...
فغرت فمها مشدوهة حتى كاد يعانق الأرض،
كلمة "حبيبتى" ترن بأذنيها كالناقوس...
هل قالها للسخرية أم قالها بجدية...
قشعريرة غريبة أصابتها...
وقلبها يخفق دون سبب!!
بينما داليا ادارت رأسها لتتنظر إلى ابنتها
الواقفة كتمثال من شمع لا تتحرك... الكلمة
أثرت عليها... هذه ملاحظة رائعة يا داليا...
هكذا حدثت نفسها، وهذا بالضبط ما فكر به
سليم وهو يراها متسمرة مكانها كالتمثال...
مرّت ثانيتين قبل أن ترمش بعينيها... وتستعيد
تمسكها... فهتفت بصوت متحشرج مشيرة إلى
كوب العصير :



-هات الكوب...أنا سأشربه بدلا منك...شكراً

على كرمك...

-لا لن تأخذه...

قالها سليم وهو يهز كتفيه ببساطة، ثم رفع

الكوب وشربه دفعه واحدة...وبعدها وضعه

واستقام وافقاً..

مال بجذعه نحو داليا الجالسة أرضاً، ثم مد

ذراعيه وأمسك بذراعيها هاتفاً بابتسامة

صغيرة :

-قومي معي يا عمتي كي تتمددي على

الفراش...

أومأت داليا برأسها بهدوء، ثم قامت معه

بصعوبة تشعر بألم مزعج في قدميها...



وقفت فسندها سليم بذراعيه برفق... ثم سحبها
نحو الفراش أمام عيني مليكة اللتين نظرتا لهما
نظرة غريبة، وتردد ظهر علي ملامحها
بسهولة... فانعقد حاجبا سليم باستغراب وهو
يساعد داليا في الجلوس.. فتحركت هي الأخرى
لتساعد داليا...

حين انتهيا تجرأت مليكة وقالت وهي تشيح
بوجهها عنه تتظاهر بترتيب الوسادة :
- سأذهب معكما!

للحظة لم يرد سليم عليها، فظنته لن يهتم
بها... لكن هاتفه بصوت حاد جعلها ترتبك أكثر:
- إلى أين؟!... أنا لا أفهم...



عضت مليكة على شفثيها بقوة.. وأغمضت عين
واحدة وهي تهمس بحذر وبصوت خفيض
للغاية:

-إلى مروان... أريد أن أذهب معكما!
سحب سليم نفساً عميقاً ومسح وجهه بكفه
بنفاد صبر.. ثم لم يلبث أن هتف برفض قاطع:
-لا لن تذهبي ولا تتناقشي معي.. هل تعتقدين
أنني سأخذك معي إلى قسم الشرطة هل
تمزحين!؟

أغمضت داليا عينيها بتعب، وعادت برأسها إلى
الخلف تسند رأسها إلى الوسادة... تنتظر
مشاجرتهما...

فتحت مليكة عينيها... والتفتت له ترمقه بنظرات
غاضبة، فأبتسم لها باستفزاز ونهب المسافة



بينهما بسرعة.. فأجفلت مليكة وصرخت بفرع

ففتحت داليا عينيها بخوف...

فجأة وجدت وشحها وحفنة من شعرها بين

قبضة سليم، تجمدت مكانها مصدومة.. بينما

سليم هتف وهو يهزها كطفلة مذنبية :

-وكيف عرفت أصلاً أنني سأذهب إليه أنا

وعمتي... هل أنت ممن يطمئن على صحة

الأبواب بأذنه!

كتمت داليا ضحكتها بصعوبة وهي ترى وجه

مليكة يزداد أحمراراً.. تحاول التحدث لكن سليم

لم يعطيها فرصة للتحدث بل سحبها معه نحو

الباب تزامناً مع هتافه مخاطباً داليا :

-لا تقلقي عمتي... أبتك في يد أمينة!

ثم أغلق الباب خلفه، نظرت داليا إلى الباب

بابتسامة صغيرة وهمست بتأكيد :

-هي في يد أمينة فعلاً....

اشتعلت عينا مليكة بغضب وهي تحاول تخلص

نفسها منه.. لكنه أحكم قبضته على شعرها

وجرها جراً خلفه وهو يضحك بصوت

مسموع... فزاد غضبها منه وصرخت به وهي

تضرب ظهره بقبضتها :

-أترك شعري يا سليم، أنت تؤلمني...

وقف سليم فجأة فاصطدمت بظهره وتأوهت

بصوت مكتوم....

وجدت قبضته تترك شعرها فجأة، فتراجعت

خطوتين ودلكت رأسها بحاجبين منعقدين

وعينين غاضبتين....



نظر سليم وقد اختفت ابتسامته فجأة، ظل

صامتاً يراقب حركتها....

طفلة تبدو طفلة متذمرة تريد الصراخ وقذف

سمومها.... لكنها تماكنت نفسها بقوة ثم نظرت

إليه بغيظ...

اقترب منها بخطواتٍ فهد شرس، فتراجعت

خطوة ولم تستطع أن تتراجع أكثر من ذلك وهي

تشعر بنفسها تطير في هواء وذراعين صلبتين

تحت قدميها وظهرها تحملها بقوة.... فشهقت

بقوة وتعلقت بعنقه تلقائياً....

تجمدت للحظتين وهي تراه يصعد الدرجة

الأخيرة المؤدية للطابق الخاص به هو

فقط. لحظتين ثم هتفت بعصبية ضاربة إياه في

صدره :



-ماذا تفعل أنزلني أشعر بالدوار.. أنزلني....

رفع حاجبيه ثم نظر لها بتحدٍ وعينين

مشتعلتين، ثم وقف أمام باب الغرفة....

وضع ذراعه على مقبض الباب دون أن يتركها

ليفتح الباب.... وهي تصرخ به كي يتركها لكنها

لم يمتثل لها.. بل دلف إلى الغرفة ثم أغلق الباب

بقدمه...

حينها هتفت بصوت عالٍ نوعاً :

-سليم..ماذا لو كان أحد الخدم قد رآنا في هذا

الوضع...

وقف سليم، ثم نظر لها بعينين مشتعلتين مما

جعلها تبتلع كلماتها وتتعلق عيناها بعينيه....

مال بوجهه نحوها ثم همس بصوت مبحوح :

-هل هذا سبب رفضك؟!...

همست مليكة بغباء بدا مثيراً له:

-ها....

زفر سليم بعصبية... ثم أقتنص شفيتها بقبلة

جامحة قبل أن يهمس بصوت أجش وهو

يضعها على الفراش :

-أنسيتِ نظريتنا التي تحتاج إلى مناقشة!...

=====

أعصاب احترقت، ودموع أغرقت وجهها،

تجلس على المقعد، ووجهها بين كفيها.

لا، هذا كابوسٌ بالتأكيد، ما رآته بعينيها ليس

حقيقياً... رأت حبيب قلبها غارق في دماؤه،

ملامحه مضموسة بالدماء... وقميصه أغرقته

دماء جرح بطنه، كان أشبه بمن فقد روحه

وسكن جسده دونها....



حالته صعبة.. هي تعلم كذلك وهذا ما يحرق

قلبها الذي يترنح بين ضلوعها صارخاً...

قلبها يؤلمها وبشدة... وروحها... روحها تنن...

تريد أن تراه أمام عينيها سالماً... تخشى أن

تفقد...

تخشى أن تفقد حبيبها الوحيد... حبيب المراهقة

والشباب...

لا تعلم كيف جاءت إلى هنا بملابسها العادية..

ولا تعلم كيف بقت جالسة هكذا منذ أمس...

تشعر بقدميها كالإسفنج الرخو... لا تقوى على

الوقوف....

عيناها ذابلتان، ووجهها شاحب حتى كاد يحاكي

وجوه الموتى...

شفتاها ترتجفان وفقدت لونهما الوردي..



الخوف...الخوف يقتلها وما أدراكم وما

الخوف...

قاتل حين تشعر به، يشعرك وكأن روحك على

وشك الأختناق وقلبك يتألم بشدة..

هذا ما تشعر به الآن..فقط ما تمتلكه هو الدعاء

له...

عينان متفحصتان ترمقها بنظرات

غريبة....عينان متورمتان ملتهبتان....عينان

رائف الغامضة...

هو ليس بغبي كي لا يرى لهفتها وخوفها

الهستيري على يونس...

مشهد هستريتها وهي تتفحص نبض يونس

بحكم عملها جعله يتأكد من شكه...



تلك الصرخة التي انطلقت من بين شفثيها
باسمه كانت صرخة عاشقة، دموعها الغزيرة
وارتعاد جسدها كان أكبر دليل، شحوب وجهها
يمائل شحوب وجهه، ببساطة هي تتألم كعاشقة
على أعتاب فقد حبيبها!

تهد رائف بكبت، وأشاح بوجهه عنها...
ألم، ألم حاد يكاد يقتله... كل قطعة بحسده
تؤلمه، لكنه أصر على البقاء في المشفى مع
أمجد و لجين التي استغلت مهنتها كي تبقى
لكنها لم تقوَ على التواجد في نفس الغرفة
كثيراً...

لو كانت مروج مكانها لكانت وقفت بصمود و
تحملت كل هذا أما لجين فهذا المتوقع منها..
أنعقد حاجباه فجأة...



مروج كيف تركها هو وأمجد وحدها....

غابت عن عقلهم في غمرة ما حدث....

ماذا سيفعل الآن!

حاول الوقوف لكنه تأوه بصوت مكتوم، وعاد

برأسه إلى الخلف يسندها إلى الحائط....

لديه موعد سفر إلى المدينة المجاورة مع فريق

الكرة... لكنه بالطبع لن يستطيع اللعب وكم

محزن هذا بالنسبة له...

رغم رغبته في ترك النادي إلا أنه يعشق

اللعب... هو مهوس بالكرة والشهرة طموحه....

سيغادر المدينة غدا في الصباح الباكر....

صمت قاتل عمّ عليه منذ أتى بيونس إلى هنا،

فقط ينظر إلى هذا وذاك دون أن يضيف أي

كلمة أخرى..



هل هذا يعود إلى طبيعته الهادئة... هو يعلم

الجواب... وهو ببساطة... لا

يونس يذكره بشخصٍ عزيزٍ عليه... وما حدث

بالأمس أحيًا ذكرى وأدّها منذ فترة

طويلة... طويلة جدًا بالنسبة له...

جرحه يعاود إتهابه من جديد.. وهذا الجرح

بالذات يضاهي جرح آخر... جرح لن ولم ينسه

أبدأ... أبدأ...

زفر بتعب واللكمات على وجهه طمست جمال

ملامحه...

حتى ليل عيناه أختفى في غمرة ما حدث وما

تذكره..



- هذا يعني أن الشجار كان بسبب

بنتين... إحداهما شقيقته يونس

والأخرى... عفواً من؟!!

التقطت أذناه صوت الحاج عبد العزيز وهو

يتحدث في الهاتف، ملامحه صلبة

جامدة... تجاعيد وجهه سر قوته وصرامته

تجمد أمجد وتيبست أنامله وهو يلتقط أذناه

كلمة "شقيقته!!"

أغمض عينيه للحظة، ثم فتحهما حين شعر

باقتراب عبد العزيز منه... بلامح غير مبشرة

بالمرة..

وقف عبد العزيز أمامه.. ثم هتف بصوت عالٍ

نووعاً فانتبه رائف الغارق في تفكيره... وأبعدت

لجين كفيها عن وجهها :



-سبب الشجار بين يونس و عادل...هو تخطي
عادل حدوده...والخوض في عرض "جود"
شقيقة يونس..عادل صديق ابن خال يونس
وجود وبالطبع علم كل ما حدث وسبب اختفاء
جود!

بهتت صفحة وجه أمجد، وأختلج فكه بشكلٍ
ملحوظ بينما عيناها كانتا قصة..قصة محتواها
الآلم والغدر و الحسرة...قصة هو وحده كان
بطلها!!....

زم شفتيه بقوة..ثم هتف بتحسرج :

-وما هو السبب!؟

اشتدت ملامح الحاج عبد العزيز، وهتف

بصرامة :

- لا دخل لنا.. ولن نخوض في أعراض

البشر... فقط ما أريد أخبارك هو أن شقيقتك

"لجين" هي السبب الآخر للشجار..

انتفض رائف من مكانه رغم شعوره بالألم،

وأتجه نحو أمجد وعبد العزيز بملامح

مشتعلة...

أشتعلت عينا أمجد بغضبٍ أسود نادراً ما يظهره

أمام أحد..

شقيقته كانت سبب الشجار بين يونس و

عادل... بين رجلين... ابنته تداول اسمها بين

رجلين... وفي حي شعبي... بالتأكيد ستتشوه

سمعتها!

اشتعل غضبه أكثر وهتف بصوت حاد غريب

على طبعه :



-شقيقتي أنا...وما دخلها بالأمر؟!...لجين ما

دخلها بالأمر يا حاج....

انعقد حاجبا لجين بعدم فهم!!

عن أي شقيقة يتحدث...هي...هي كانت السبب

في ذاك الشجار الخطير؟؟

هي..كيف حدث هذا..هي لا تفهم لا تفهم!

فهمها بات معدوماً منذ ليلة أمس...

انتبهت إلى هتاف أمجد، فنظرت له بعينين

تائهتين لكنه لم يكن ينظر لها من الأساس بل

كان ينظر إلى عبد العزيز بلامح حادة...عبد

العزيز الذي هتف بصوت هادئ نوعاً مقدراً

ثورة أمجد :



-أوجد..رجال الحي سيتجمعون في بيتي فور
خروج يونس من المشفى...وبالتأكيد سنحل
الأمر شقيقتك جميعنا نعلم أخلاقها ..

هذه المرة تحدث رائف بحدة لم يستطع إخفاءها
أكثر :

-من حقنا أن نعرف مدى صلة شقيقتي
بالموضوع...لأنك تعلم ما سيطولها من شائعات
بشعة وأنا لن أقبل هذا لشقيقتي!

تردد عبد العزيز قليلا أمام رجلين غاضبين من
أجل شقيقتهم...

أراد أن يؤجل أخبارهما بالتفاصيل حتى يخرج
يونس من المشفى ويتم حل الأمر بين رجال

الحي...لكن أمجد لن يتركه قبل أن يعرف،

ورائف كذلك...لذا سيخبرهم..

انفرجت شفتاه، وهتف بتردد :

-على حسب ما أخبرني به رجلي حين أمرته

بمعرفة سبب الشجار بأي طريقة....

عادل قال حديث قبيح جدا على جود شقيقة

يونس ولجين شقيقتك...قال أن شقيقتك على

علاقة بيونس وأنه يريد لها له هو..لا أعلم صحة

هذا الحديث لكن شقيقتك لها دخل بهذا الشجار

وهذا مؤكد....

اشتعلت عينا أمجد أكثر وأندلع غضب أسود

بصدره، سنين سنين كان فيها يبذل كل جهده

كي لا يتأذى أي من مروج ولجين، والآن راح

جهده أدراج الرياح...أمام شائعات مجحفة في



حق فتاة سيطولها شائعات أكثر في الأيام

الآتية..

ليس لديه اي ذرة شك في تربية لجين فهو من
رباها ويعرف أخلاقها جيداً....

لن يسكت لو طال أسمها أي شيءٍ قدر
كتلك...لن يصمت أبداً.. عند هذه النقطة بالذات
لن يصمت وسيطلق سراح وحشه حمايةً
لشقيقته...

أما رائف فقد ازداد غضبه أكثر وهتف بصوت
حاد وعينين مشتعلتين :

-ماذا تقول؟!...هل تعرف أن هذا سيؤدي
شقيقتي حتى لو كانت مجرد كذبة..شجار بين
رجلين كانت أختي سببه...دعنا نتغاضى عن
جود شقيقة يونس فهي منذ مدة طويلة لا نعلم

أين هي؟!... لكن شقيقتي... شقيقتي ستكون
حديث نساء الحي... وبالطبع عند هذه المشاكل
ينتشر الخبر بسرعة البرق وتزداد
الشائعات... والله لو أضطر الأمر للتشابك مع
عادل مرة أخرى لأفعل وسيرى وجه أبناء
الأميرية الحقيقي...

لأول مرة يستخدم رائف أسم عائلتهم في غمرة
غضبه.. لكنه محق... وجه الأميرية لن يتحملة
أحد!

حتى لو كانت قلوبهم رحيمة لكن دماء الأميرية
تسري في أوردتهم ولو زاد الأمر سوءاً فأهلاً
بوجه الأميرية وغضبهم الأسود..



نظر الحاج عبد العزيز إليهما وعينيه رافضتين

لحديث رائف الذي يحمل شيئاً من

التهديد.. فهتف بصوت حاد صارم :

- هل تهددني؟!... أنا أقدر غضبك.. لكني لن

أسمح لك بالتمادي!!!

همّ رائف بالتحدث، لكن أمجد سبقه وهتف

بصوت مشتد..:

- حاج عبد العزيز... أنت تقدر غضبنا.. فمن

تتحدث عنها شقيقتي وابنتي أنا... فهل تريد

منا الهدوء؟!...!

صمت عبد العزيز لدقائق و قلب نظره

بينهما.. ثم نظر إلى لجين بطرف عينيه فوجدها

باحظة العينين، فارغة الفاه لا تقوى على



التحدث و الدموع تزداد كثافة على وجهها

الشاحب.....

ثم عاد بنظره إلى أمجد وهتف بحكمة :

-الصبر يا ابني...ستأخذ حق أختك لكن بطريقتي

أنا...لأنني لن أسمح بتدخل الشرطة لو شب

بينكم عراك آخر.....سنحل المشكلة ودياً أمام

رجال الحي!

نظر رائف إلى أمجد بغضب ووجهه يزداد

أحمراراً، يضم قبضته بقوة غير مهم

بألمه...فنظر أمجد له بعينين اشتعلتا بغضب

أسود لا يظهر كثيراً في عينيه الحنونتين، ثم

عاد بنظرة إلى عبد العزيز وهتف بصوت

غامض :



-وهل سأخذ حق شقيقتي ممن قال في حقها

كلاماً أنت تعرف جيداً بشاعته؟!.....

زم عبد العزيز شفتيه، ثم هز رأسه بقلّة

حيلة..لن يستطيع

التحكم بهما الآن غضبهم وصل إلى

ذروته.....وللصراحة معهما حق في كل كلمة...

في زاوية قريبة منهم كان ياسين يتابع الحوار

بعينين جاحظتين لا يصدق ما سمعه للتو....

عن أي علاقة يتحدث؟!!

لجين لديها علاقات غريبة كما سمع من ذاك

الرجل الغريب...

لا يصدق أخلاقها لا تدل على هذا أبداً....



شخصيتها شفافه بدرجة غريبة..من يتعامل معها يعلم أنها لا تعرف عن هذه الأشياء أي

شيء

وما أدراك أنت..كم من فتاة رأيتها تتظاهر بالبراءة وهي في الحقيقة ذات

أخلاق...قذرة!!!!!!

هكذا حدث نفسه..ثم هز رأسه بقوة و حاول

تمالك نفسه و ابعاد الدهشة عن وجهه، ثم

اقترب منهم وقال بصوت هادئ كاذب :

-عذراً يا "آنسة" لجين...لا يمكنكم البقاء أكثر

من ذلك...واحد فقط هو من سيظل مع المصاب

لأن ذلك غير مسموح..أنا سمحت لكم بالبقاء

فقط للاطمئنان عليه...لكن الآن يجب أن ترحلوا

ويبقى واحد فقط...

رفعت لجين عينيها له، ملاحها تكاد تكون فاقدة
للدماء..وعيناها حمر او ان من فرط البكاء!
هل سمع ما تفوه به عبد العزيز..والله ستموت
لو كان سمع تلك الكذبة..لكنها لم تستطع قراءة
ملاح وجهه فاخفضت وجهها...
-حسناً...سيرحلوا جميعهم وسأبقى أنا معه!
قالها أمجد فجأة بصوت جامد، وملاح باردة
غريبة، فرفعت رأسها له وهتفت بتلثم :
-سأبقى معك...

لم ينظر أمجد لها بل نظر إلى رائف نظرة
فهمها، فأوماً رائف برأسه، ثم تحامل على
نفسه وأتجه نحو لجين بخطوات متعثرة...
امتقع وجه لجين من تصرف أمجد الغريب،
وكأنما تلبسته روح شخص أخرى...



ابتعد ياسين عنهم بهدوء..

وقف رائف أمام لجين، ثم هتف بغضب مكتوم :

-هيا قومي معي كي نعود إلى البيت...

ظهر الرفض جلياً على وجهها، وهمّت

بالرفض، لكن صوت أمجد الحاد أجمها :

-قومي...وارحلي من هنا...

ازداد امتقاع وجهها ودهشتها، لا..لا ما تحياه

الآن كابوس قبيح....هذا بالتأكيد كابوس...

أغمضت عينيها بألم، ثم قامت من مكانها لا

تقوى على الوقوف لكنها امتثلت لأمره..ورحلت

مع رائف!!

فزفر أمجد بغضب، وأطرق برأسه....

يحاول إخماد نيران غضبه وثورته لكنه فشل..!



مشكلة لجين...و..وجرح قديم كانت سببه

"جود"...ما هذا الذي يحياه الآن؟

=====

واقفة في غرفة أمجد عينيها متورمتين من

فرط البكاء...

تركوها وحدها، تركوها في البيت وحدها وهي

تهاب الوحدة!

للحظة تصلب جسدها وهي ترى عقارب الساعة

تتحرك دون أن يظهر أحدٌ من أخواتها...

لا تعلم كيف أجهشت في بكاء عنيف خوفاً من

بقائها وحدها...في بيت شعرت به هادئاً حد

القتل...

وقتها ساقتها قدماها نحو غرفة أمجد، لن

تستطيع النوم وحدها في البيت...



غرفة أمجد هي مخبئها حين يختفي...
غرفته دافئة مثله، فيها شيء من الأمان...
أمان تفقده حين يبتعد أمجد...
أندست تحت الغطاء، ثم ضمت ركبتيها إليها
ونامت في وضع الجنين... تتشج بخفوت بينما
جسدها كان يرتجف خوفاً...

رغماً عنها تذكرت مالك وقتها، مالك والدها

الثاني وحبيبها

الأول والأخير، رغم فارق السن بينهما والذي
يعادل فرق السن بينها وبين أمجد إلا أنها لم
تشعر بأي فارق أبداً وهو بجوارها... طبيعته
مرحه، متحررة، يبحث عن كل شيء يجعله
يبتسم...

كان ماضيه يؤثر على شخصيته وبشدة!



دائماً كان يسمع بأذنيه لقبه... دائماً كان لسانها
يخونها وتهينه في لحظة خلاف بينهما...
مع العلم بأنه تربي وسط عائلة بسيطة احتوته
و اعتبرته ابنها... ونشأ هنا في الحي بأنه
ابنهما...

لكنهم بالطبع تعلموا حقيقته... مالك ظل في
الدار لمدة عشر سنوات.. إلى أن وجد من
يحتويه ويأخذه من الدار... فأصبح لديه أب وأم
فجأة لكن هذا لم يمحي أي شيء مما رآه هناك
وهي تعلم جيداً....

خرجت من شرودها قسراً، حين التقطت أذناها
همهمات النساء من شرفاتهم و اسم لجين
يتردد على لسانهم مقترناً بيونس وجود....



انعقد حاجباها بتوجس، ووقفت خلف الستار
تستمع لهم بتركيز.... فسمعت جارتهم في
البيت المجاور تهتف وهي تمصمص شفثيها
"هل سمعتِ يا "صباح" ما حدث... يقولون أن
لجين على علاقة بيونس وأنها سبب الشجار
بين يونس وعادل..."

لم ترد صباح عليها بل تابعت نشر الملابس
دون أن تشارك في الحوار ، بينما ردت جارتها
الأخرى بسخرية

"نعم سمعنا و هذا الموضوع أصبح حديث
نساء الحي كلهن، حتى في السوق
سمعتهن.. الموضوع أصبح منتشراً، تلك الفتاة
اللعوبة بمظهرها اصحبت حديث النساء وأصبح
أسمها مقترناً بالوقاحة وقلة الأدب"



هنا لم تتمالك مروج نفسها، فانحنت تلتقط
طرحة صغيرة، عصبتها على رأسها لتبعد
شعرها الغزير عن عينيها، ثم رفعت ذراعي
العباءة وفتحت الشرفة فجأة... فصمتت من كانت
تتحدث ونظرت لها بتوجس...

أسندت مروج ذراعيها على حاجز الشرفة ثم
هتفت بصوت عالٍ :

-من التي نعتها بالوقاحة وقلّة الأدب للتو!
نظرت الجارة المقابلة لها بجمود، لا تبدي أي
رد فعل، يبدو أنها ستتسحب لكنها لم تفعل ذلك
بل رفعت حاجبها المستفز وهتف بصوت عالٍ
مثلها :

-شقيقتك يا نور عيني ، وهذا ما تستحقه
فعلاً... هي وقحة وعديمة أدب...



التمعت عينا مروج بشراسة، وأعدلت ثم فجأة
صفقت بيديها عالياً لتجذب الأنظار....وكان
أولهم مالك الذي كان يسند رأسه إلى مقعد
سيارته...

-هل سمعتم؟!..نعتت شقيقتي بالوقحة عديمة
الاخلاق..

هل سمعتم يا اهل الحي؟!....حبيبتي،
لجين أشرف منك أنتِ ومن تحدث عنها يا
عديمات الاخلاق...

امتقع وجه المرأة، وازداد غضبها أكثر، ففعلت
المثل، وصرخت :

-هل رأيتم من تتكلم...المعقدة صاحبة الأنف
المرفوع في السماء دون سبب...هل نسيتِ
نفسك يا معقدة أم أذكرك بما حدث لك؟!!



ابتسمت مروج بعصية، ثم مالت برأسها

وهتفت من بين أسنانها :

-أنا معقده.... هل تريدني مني أن اخرج عقدتي

عليك؟!!

التف الناس حول بعضهم رأس كل شخص فيهم

مرفوعة....منتظرين المزيد...

بينما المرأة، مصمست شفيتها، وضربت حاجز

الشرفة بيديها وهي تصيح:

-أريد أن أرى حبيبتي....وأنا سأفعل المثل....

لماذا كل هذا الكبرياء....أنسيت يوم تركك

خطيبك ولم يأت إلى عقد القران...تركك وحيدة

يومها...تنتظرين قدومه لكنه لم يأت...تركك

لأنك مغرورة ولا يستطيع أحد تحملك...



امتقع وجه مروج للحظة، لحظة شعرت بها بألم
مبرح يعتصر قلبها وبشيء يوخز صدرها بقوة
مؤلمة... ألم عصف بها، فظهر الألم في عينيها
للحظة وشحب وجهها تسترجع شعورها وقتها
وبالتأكيد لا يضاهي ما تشعر به الآن... لكنها
تمالكت نفسها بقوة تحسد عليها.. وانفرجت
شفتاها تنوي الصراخ...

أما مالك فقد ضرب وجهه بكفه، هامساً من بين
أسنانه بغیظ وهو يراقب الموقف من نافذة
سيارته :

-تباً لك يا امرأة.... لماذا ذكرتها الآن؟!.. لو
تماديت أكثر ستقفز من شرفتها إلى شرفتك
وستبرحك ضرباً...



صرخت مروج وهي تصفق بيدها عالياً بينما

شعرها بلونه المائل إلى البني... يتطاير من

حولها :

-وما شأنك أنتِ يا عقربة... والله لو سمعت أسم

شقيقتي على لسانك سأقطعه لكِ دون أن أشعر

بتأنيب ضمير!

أرتفع حاجب المرأة أكثر، وتفاقم الغضب داخلها

أكثر وأكثر، فمالت بجذعها أكثر وصرخت

تقذف الكلمات قذفاً :

-وما شأنك؟!... هي وقحة ولم ترَ دقيقتين

تربية.. على

علاقة برجل بينما آخر يريد لها ومن المحتمل

أنها تفعل المثل مع عادل...



عضت مروج على شفتيها بقوة، ثم مالت هي

الأخرى بجذعها وصرخت بغضب :

- أقسم بالله سأقفر من شرفتي إلى شرفتك

وسأبرحك ضرباً حتى يظهر لك صاحب... امرأة

مزعجة....

كيف تمكنت من فعل ذلك.. أنتِ ومن مثلك...

لجين كانت تهتم بك حين وضعتِ طفلك... كانت

تساعد كل شخصٍ في هذا الحي حين

يمرض.. بحكم أنها ممرضة... ومع ذلك حين أتى

وقت الشدة ظهر معدنك أنتِ ومن تحدث عن

لجين... لجين شقيقة أمجد ورائف... أشرف منكم

جميعاً، هل سمعتم يا أهل الحي... لجيبين

أشرف منكم....

ثم دخلت وشفقت باب الشرفة بقوة، تلهث
بعنف وصدرها يهبط ويعلو بعنف مماثل..
لا تصدق ما فعلته منذ دقيقة واحدة...
هي.. مروج ووقفت في الشرفة ودافعت عن
لجين...

دافعت عنها و أحترق دمها لأجلها وكان
كلماتهم موجهة لها ..
دافعت عنها وصرخت بوجه من تحدث عنها
ببشاعة..

رمشت بعينها مرتين فسقطت دمعتان على
وجنتيها، فعقدت حاجبيها بتوجس، ثم رفعت
أناملها تتلمس دموعها بأناملها..
قهر... قهر تشعر به يحرقها حرقاً، جرح
عميق... عميق يؤلمها وبشدة... دمعة اتبعتها



الأخرى، تريد أن تصرخ صرخة طويلة.. فقط
لتهدأ نيران قلبها المطعون بعد مرور ثلاث
سنوات.. ثلاث سنوات تحيا على جرح صعب...
ومن مكانها تتحمل ما حدث لها.. تركها حبيبها
يوم عقد قرانهما وأبتعد.. تركها مكسورة
القلب.. محطمة داخلياً....

كانت ذات التاسعة عشر... صغيرة لكنها كانت
تحبه ما بينهما لا يتوقف على السن بل على
رابط غريب نشأ بينهما لكنه وبكل غدر قطعه
رافضاً إياها!

أغمضت عينيها بقوة، وضمت شفثيها
المرتجفتين تكتم شهقة عنيفة تريد التحرر،
ستموت قهراً... الذكرى تمرّ أمام عينيها ببطء
قاتل!!!



ليزداد شعورها بالقهر والألم وتزداد دموعها...
صوت طرق عنيف على الباب بعض الشيء
أخرجها من شعورها بالقهر والألم، أختناق
غريب تشعر به....

مسحت دموعها بقوة، ثم ارتدت قناعها
الشرس، لتفتح باب الغرفة وتهبط درجات السلم
بسرعة مغممة بإصرار :

-لو كان من يطرق تلك العقربة، لن أتردد في
ضربها!

فتحت الباب بعنف، ثم صرخت بقوة رافعة
حاجبها بشر :

-ماذا...ماذا تريدين..

صمتت فجأة وهي تتبين ملامح وجه من يقف
أمامها ينظر لها بشوق، عيناه تجريان على



ملامح وجهها... شعرها الجميل بطوله الذي لا
يتعدى كتفها بكثر، وعيناها العسليتين ببريق
غريب، ووجهها الابيض بياض ناصع....
توقفت عيناه عند ذقنها حيث ذاك الشق الطفيف
الظاهر به!

وبعدا عاد بعينه إلى أنفها المرفوع بكبرياء!
يبحث عن شيء تائهة في وجهها....

أين براءتها... ملامحها فقدت أي أثر للبراءة
واصطبغت بالجمود والشراسة..

نظرة عيناها قاتلة كادت تقتله.. أل هذه الدرجة
أثرت فعلته بها؟!

همسة خرجت من بين شفثيها جعلته ينتبه لها :
-أخرج من هنا.. أنا لا أريد أن أراك الآن!



لم يمتثل مالك لأمرها بل تحرك إلى الداخل، ثم
أغلق الباب خلفه، فحفظت عيناها بصدمة
ونظرت إلى الباب الذي أغلقه بنفسه للتو
بصدمة، ثم عادت بعينيها إليه وصرخت به
مشيرةً بسبابتها إلى الباب :

-هل جُننت يا مالك...أفتح الباب وأخرج

الآن...الأمر لا ينقصك أنت الآخر...أخرج يا

مالك أنا هنا وحدي وهذا لا يصح!

ثم صمتت منتظرة خروج بعينين بدأت في

لسعها بحرارة دموعها المكتومة، وقلبها اللعين

بدأ في الهتاف أشتياقاً، وهي بالفعل مشتاقة له

وبشدة..مشتاقة لرؤية ملامحه

الصلبة....وعيناها...حببتها..مشتاقة لكلمة

حانية منه....لنظرة كان يخصصها بها...مشتاقة



ومشتاقه وستظل مشتاقه لكنها تعلم بأن راب
الصدع بينهما بات مستحيلاً، هو من فعل بها
هذا وهي لن تسامحه...

لم تشعر بسقوط دمعة واحدة على وجنتها
اليمنى إلا حين تأوه بخفوت وأغمض عينيه
شامتاً نفسه بقوة...

فشعرت بدمعتها حينها لكنها وللعجب لم
تمسحها بل أبقتها كما هي...

مسح دمعته لن يفيدها الآن، فقلبها ينزف...
أقترب مالك منها، فابتعدت على الفور نحو
الباب تمسك بمقبضه بقوة، فنظر لها وهتف

بتحشرج :

-سامحيني!... أرجوك...



أغمضت عينيها بقوة، وعضت على شفتيها
المرتجفتين بقوة حتى كادت تدميها، وصمتت
فظنها لن ترد عليه...

انفجرت شفتاه ينوي التحدث، لكنها همست
بصوت واهٍ وهي تفتح الباب بقوة :
- أرجوك أنت... أخرج واطركني الآن... رؤيتك
تذكرني بما حدث!

لعق مالك شفتيه بتردد، ثم هتف بتحسرج
وبوجه شاحب :

- لا أعتقد أن الأمر كان صعباً لهذا الدرجة!
ضحكة... ضحكة ساخرة عالية انطلقت من بين
شفتيها، تتشبث بالباب بأظافرها بقوة غريبة،
مالت على نفسها تدعي عدم القدرة من فرط
الضحك لكنها وللحقيقة كانت تضحك ضحكة



بنكهة الدموع..ضحكة انتهت بنشيج خافت
ناعم، ويخرج الهتاف من بين شفثيها مرتعش :
-بل كان صعباً يا مالك...هل سمعت عن عريس
يترك عروسه يوم عقد قرانهما حتى دون أن
تكلف نفسك عناء أخباري قبل أن يأتي
المأذون..ارتديت فستان..وجلست
بانتظارك...أتى المأذون و اصدقائي...حضر
رجال الحي...وأنت لم تأتِ...أنتظرتك وأنتظرتك
وأنت لم تأتِ...بالتأكيد الأمر يبدو لك لا يحتاج
لكل هذا لكنه بالنسبة لي شيء آخر...شيء لن
تفهمه أنت على ما يبدو...
تسمّر مكانه وهو يراها تبكي بنعومة، تنظر إلى
الفراغ لا تريد النظر إليه...



ما تشعر به الآن هو القهر، و الألم... لا لا تريد

أن تتذكر... أقسمت ألا تضعف أمامه هو

خصوصاً...

أقسمت وضاع قسمها هباءاً أمام شعورها بالألم

شديد كالنخجر يوخز صدرها بقوة، ودموعها

تسقط دمعته تتبعها الأخرى...

أما هو فقد أطرق رأسه، لا ما رآه الآن لم يكن

يريده...

شعورها بالألم والغدر يقتله... وشعوره بالندم

يزداد بداخله..

فقط لو تمنحه فرصة أخرى لتمكن من محو كل

هذا الألم البادي في عينيها، فقط لو تمنحه!!!



شعر بكفها يقبض على ذراعه بقوة، بينما كفها
الأخر يدفع دفعاً تزامناً مع هتافها الحاد بعدما
تداركت الموقف و استعادت بعضاً من قوتها :
-أخرج...أخرج من هنا وجودك هنا لا يصح و
سيؤذيني...أخرج من فضلك...

امتثل مالك لأمرها وتحرك باتجاه الباب،
سيرحل الآن قبل أن تتمادى وتضطر لجرحه
بطريقة هو لا يحبها ولا زالت إهانتها تدوي في
أذنيه من وقتها...مرّ يوم، أثنان، أسبوع،
أسبوعين هو لا يعلم لكنه يتذكر إهانتها
القاتلة...

توقف مكانه فجأة قبل أن يخرج من الباب،
فوقفت هي الأخرى مرغمة، وعقدت حاجبيها
بتوجس...



دفعته مرة أخرى بشيء من القوة لكنه التفت
لها فجأة وأمسك بذراعها في لحظة واحدة دون
إدراك منها، عيناه تنظران إلى عينيها
بقوة... بينما قبضته تزداد قوة على ذراعها
تزامناً مع همسه :

- عودي لي... لو قبلتِ سأعقد قراني عليكِ

اليوم... فقط أقبلي!

لم تهتز عضلة بها، ولم يرف لها جفن، تجمدت

ملامحها وفغر فمها، شعر بارتجاف

جسدها... فنظر إليها بترجٍ قوي....

لا يعلم كم ثانية مرة عليهما وهي تقف أمامه

جامدة كتمثال من الشمع، إلى أن رأى شفيتها

الجميلتين تنفرجان لتهمس برفض قاطع :

- لا... لا يا مالك لن أقبل...



ثم صمتت لبرهة تراقب ملامح وجهه الشاحبة

وكان الدماء قد فرت منه، بينما حدقتاه

أهتزتا... وأختلج فكه...

يبدو عليه الألم لكنها لن تتأثر أو هكذا تظن،

فقد اردفت بصوت خرج مرتعشاً رغماً عنها :

-أبدأ يا مالك، أبدأ....

لم يشعر مالك بقبضته التي ازدادت قوة على

ذراعها....حتى أنها تأوهت بخفوت، لكنه كان

في عالمٍ آخر...

عالم الألم، والندم، والشوق إليها واسترجاعها

وبشدة..

الخطأ خطاه هو، هو من فعل كل هذا...وهو من

أختار هذه اللحظة بالذات لمواجهة أخرى بعدما



القت تلك المرأة كلماتها دون أن تشعر بما
شعرت به مروج حينها...
هذه المرة المواجهة مؤلمة، استنزفت قلبه و
قوته، مواجهة بنكهة الألم والغدر، مواجهة
بالنسبة له لا تقل صعوبة عن السابقة!
لم يشعر أي منهما بأنه شبه يحضتها... إلى أن
صدح صوت معروف لهما من خلفهم بقوة،
فشهقت بفرع ممتزج بالدهشة من موضعها...
-ماذا تفعل هناااا! أبتعد عنهااا!

=====



الفصل العاشر



في لحظة خاطفة كان رائف يقبض على قميص مالك، لحظة رأى فيها شقيقته بين أحضان رجل غريب، وهي تقف أمامه ولا تبدي أي رد فعل بل كانت تنظر إلى عينيه بشروء....
لحظة لم يقو أي منهم في التحدث بل النظرات كانت كافية!



نظرات متبادلة بين غضب ناري و نظرة خائفة
بل مذعورة تترجى رائف كي يتريث لكنه لم
يهتم بكل هذا، بل هتف بصوت مشد و هو يهز
مالك بقوة :

-كيف تجرو يا عديم الأخلاق؟!، تحتضن مروج
بكل وقاحة وهي بدورها تقف كالبلهاء فاغرة
الفاه!!..ألا تعرف شيئاً يسمى الرجولة!! كيف
اقدمت على هذا الفعل الوقح، رجال البيت
بالخارج ومروج تجلس وحدها كيف تسمح
لنفسك بفعل ما فعلته!

أنهى عبارته الأخيرة بصوت عالٍ يشبه الصراخ
وقد اتقدت عيناه بغضب أهوج مشتعل، بينما
مالك لم يبد أي رد فعل بل ظل واقفاً يحدج رائف

بنظرات قوية غير مهتم بغضب رائف، فمال
برأسه قليلاً ثم هتف بهدوء :

-أولاً أنت مُتسرع جداً، لقد دخلت بنفسك من
باب البيت ووجدته مفتوحاً فبالتأكيد لن أقدم
على فعل فاحش كأغتصاب أختك مثلاً، أو
تقبيلها بمناسبة وجودها وحدها، ويصبح البث
على الهواء مباشرةً و...

-تبارك يا وجه الفقر أنت، أصمت سيقتلنا يا
متخلف!

صرخت بها مروج حين لاحظت تسارع أنفاس
رائف وانتفاض عروقه غضباً، فخشت على
نفسها وعلى مالك منه، لكن مالك لم يلتفت لها
بل أردف مبتسماً بسماجة وهو ينظر إلى قبضة
رائف الممسكة بياقة قميصه :



-بالطبع لن افعل ما قولته لأنني تركت الباب
مفتوحاً أحتراماً لك ولأمجد!!...لقد أتيت إليها
كي أسالها عما تحتاجه وبما أنها تجلس وحدها
منذ ليلة أمس فقضيت ليلة أمس في سيارتي
كي أحرسها وحين حل الصباح، هرعت إليها
كي أطمئن عليها، هل هذا ذنبي؟

-وحياة والدتك الغالية، لقد رأيتك تكاد

تحتضنها؟، هل أنت مجنون؟!

صرخ بها رائف وهز مالك بقوة، ثم لم يلبث أن

تأوه بألم، فالتسعت ابتسامة مالك السمجة

وهتف ببراعة:

-سامحك الله يا كابتن، هل تريد الحق؟؟،

المجنون هو من ترك شقيقته تجلس وحدها

ببيت لا يقطنه أحد، ولم يهتم بها وهو من



الأساس تدخل في شجار عنيف ليس
بهين؟!... أجبني أنت هل هذا خطأي!
أجفل رائف وبهتت ملامحه، بينما حدقتاه فقد
اهتزتا بارتباك، فابتسم مالك بتبلد، ثم رفع
قبضته وأطبقتها على قبضة
رائف كي يبعتها مستغلاً ارتبাকে وتذبذبه، أبعده
كفه بقوة، ثم نظر إلى مروج الواقعة فاغرة
الفاه ملامحها ممتعة بحرج، وعيناها غامتا
بخوف حقيقي وشفتيها تتحرك دون صوت لكنه
تمكن من معرفة ما تهمس به دون
صوت "كاذب" هذا ما كانت تهمس به،
فارتفعت شفثاه قليلا ، ثم عاد بنظرة إلى رائف
الواقف أمامه بملامح عادت إلى غضبها مرة



أخرى، وحين لاحظ أنفراج شفتاه، سارع
بالتحدث والبراءة تتراقص على وجهه :
-سأرحل وليّ كلام آخر مع أمجد، لن أصمت
على إهانتني أبداً!

ثم هز رأسه بحسرة حقيقة، رفع رأسه ووضع
كفيه بجيبه بنطاله، متجهاً إلى باب البيت
والحزن يعتري ملامحه وكأنه بالفعل حزين!!
حين مر بجوار مروج المتسمرّة مكانها، عيناها
متسعتان، وفمها مفتوح بصدمة من تغير
الموقف إلى شيء آخر!!!!

غمز بعينه بعث، فشهقت شهقة مكتومة،
وأشاحت بوجهها بعيداً، في خلال ثانية كان
مالك خارج البيت وقد تمكن من المناس من
هذا المأزق المُحرج تاركاً إياها تواجه غضب



رائف الواقف أمامها مشدوهاً، وسرعان ما
تتدارك الموقف وزمجر بغضب، فرفعت مروج
عباءتها إلي ركبتيها وركضت بسرعة نحو
غرفتها خوفاً من غضب رائف الذي صرخ
بغضب :

-لقد هرب مني، وهربتِ أنتِ الأخرى!!..لقد
خدعني!!...لن أتركه أقسم بالله لن أتركه!!!
ظل يصرخ بها وهو يضرب الحائط بقبضته،
فأغمضت لجين الواقعة من بداية الموقف لا
تقوى على المشاركة، شعورها بالتعب يسيطر
عليها كلياً، وروحها تتألم!

فلم تقوَ على الوقوف أكثر من ذلك، لتتحرك هي
الأخرى متجهة إلى غرفتها كي تبكي وحدها
دون أن تبصرها أي عين!!!



ذكريات بعيدة داهمتها فجأة، فانسابت دموعها

دون توقف، ذكريات لفتاة فعلت أسوأ شيء

تفعله بأهلها!

الهروب مع رجل!!

هروب مع رجل!؟

نعم لقد هربت مع رجل لا يستحق معنى الكلمة،

هربت دون اهتمام لمرض والدها وشقاء

شقيقها!

هربت ليلاً بعد رفض والدها القاطع لذاك الرجل

والذي من المفترض أنه ابن خالها!

لقد كان نذلاً؟

نعم، هو نذلٌ ولا يستحق كلمة رجل من

الأساس!

هرب بها ليلاً دون علم والدها وشقيقها
"يونس"، يشجعها ويمطرها بكلامه المعسول
فتذوب هي أكثر وتركض معه على الطرقات
ومن المفترض أنه سيتزوجها يوم هربا معاً،
وحين خرج بها من المدينة واستدرجها إلى
شقة غريبة؛ سرق مالها وسرق كل شيء
تمتلكه و قال بكل وقاحة :

لن أتمكن بالزواج منك رسمياً الآن يا جود،
سأحصل على ما أريده الآن سأزوجك
عرفياً!!!..وأنا لا أعرض عليك بل هذا ما
سيحدث بالفعل أنتِ لن تتمكني من العودة إلى
أهلك فقد مرّ على اختفائك ثلاثة أيام!! وتلك
الورقة التي قمتِ بكتابتها قبل هروبنا تعترفي
بها بأنكِ هربتِ معي ستجعل فرصة عودتك لهم



مستحيلة، لذا تساهلي معي وسأعقد عليك
عرفياً، لكن زواج رسمي لن يحدث!
حينها فغرت فمها مبهوتة، وارتعشت بخوف،
خدعها، خدعها وتمكن من إقناعها بأنه يحبها،
تغاضت عن مساوئه ولهتت خلف وسامته
الفجة وكلامه المعسول الذي يجيده من يفعل ما
فعله!

لكن هي من دمه! كيف فعل بها هذا وبكل تبجح
يريد منها التساهل!

أنها من لحمه ودمه كيف يفعل بها هذا!
أقنعها بالهروب و ترك والدها ويونس، لو
عادت لهما سيقتلها يونس!
ماذا ستفعل الآن، هل تهرب منه أم....



لم تستطع متابعة تفكيرها وهي تشعر به ينتهك
جسدها بكفيه بجنون، فصرخت بقوة و ابتعدت
عنه :

-أبتعد إياك والأقرب، يا نذل يا (...)، كيف
طاوعك ضميرك على خداعي بهذا الشكل!!..
لن تنسى أبداً ضحكته الوحشية التي أنطلقت
منه مثيرة كل ذرة تقزز تملكها، اقترب منها
فتراجعت هي بخوف، والتفتت برأسها تبحث
عن مخرج من تلك الشقة لاعنة نفسها على
تهورها وسذاجتها!

خدعها بعدة كلمات معسولة، و اقنعها بحبه لها
وتمسكه بها، فصدقته و ذابت في حبه، لقد
ظهرت نواياه حين أطمئن لخروهم من المدينة
و استحالة عودتها إلى يونس!!



بلهاء وستظل تبكي على هذا الشيء تحديداً...

لن تنسى نظراته الجائعة!!

لن تنسى أبداً ما هتف به وهو يجذبها إليه بقوة

:

-أنتِ من فعلتِ بنفسك هذا، فتاة وهربت

معي!!...أنتن حقاً حقيرات!

اللوم! اللوم كان عليها هي! وهجومه الضاري

أصابها بالغثيان، ظلت تصرخ بقوة و تضربه

بقبضتها كي يتوقف لكنه لم يهتز بل هجم علي

عنقها يقبله بعنف وقد تخلى عن عرضه

السخي بالزواج منها عرفياً، اتبع شهوته وهذا

ما جعلها تتشنج وتبكي بعنف وشعورها بالقهر

والذل يجثمان على صدرها بقوة مثله وحين

شعرت به يمسك مقدمة فستانها كي يشقه



نصفين، لم تشعر بنفسها وهي ترفع ركبتيها
لتضربه بين ساقيه بقوة، فتأوه بوحشية ومال
على نفسه يتألم، فسارعت جود بالابتعاد وقبل
أن يتدرك نفسه وجدت مزهرية ثقيلة موجودة
على طاولة مستديرة، جذبتها بسرعة و....

-جود...

شهقت جود بفرع، وانتفضت من مكانها تنظر
إلى تمارا العاقدة ساعديها باستغراب، ورفعت
حاجباً واحداً بتوجس، فتأوهت جود بدون
صوت ودفنت وجهها بين كفيها، فانعقد حاجبا
تمارا بقلق، وهتفت بخفوت وهي تلاحظ
بوضوح اهتزاز كتفي جود مما أوحى بأنها
تبكي :

-جود، ألن ترحمي نفسك؟!...كفاك حبيبتني!

هزت جود رأسها بهستيرية، و هتفت بصوت

متحشرج واهٍ :

-لا لن أرحم نفسي، سأظل أعذبها لأنني استحق

كل هذا!

التوت شفتا تمارا بحزن، ورمشت بعينها

بتعاطف وهي

تلاحظ أنهيار جود الطبيعي، جود تنهار كلما

تذكرت ما حدث منذ أربع سنوات!!!!

انحنت تمارا نحو جود، ثم احتضنت رأسها بقوة

واسندت ذقنها إلى رأسها وهي تهتف بمرح

مصطنع :

-كفاكِ نكداً يا جود، لقد مللت حقاً، تبقى على

موعد المباراة نصف ساعة!...تعالى معي

أرجوكِ وسأجلس بأدب!



قالت عبارتها الأخيرة ببراءة، فابتسمت جود
من وسط دموعها، وشدت على ذراعي تمارا
الملتفين حول عنقها لعلها تشعر بالأمان،
أغمضت عينيها قليلاً فعبست تمارا متوقعه
رفضها، فهمت بالتحدث لكن جود سبقتها
وقالت بصوت خفيض :

- سأذهب معك لقد غيرت رأيي، أذهبي أنتِ

وسألق بك!

صفت تمارا بحماس، وبرقت عيناها بسعادة،
فابتسمت جود من وسط دموعها، وقبل أن
تتحدث وجدت تمارا تقبلها من وجنتها بقوة ثم
هتفت بشقاوة وهي تهتم بالخروج:

- أنا سعيدة جداً لأنك سترافقتني، اسرعي وبدلي

ملابسك بسرعة وأنا سأسبقك إلى الملعب!



ثم أغلقت الباب خلفها، فتنهدت تمارا بتعب

ومسحت دموعها بظاهر كفها!

تلك الذكرى القاسية تنهك روحها وتتكأ جرحها!

تجعلها تشعر بمدى سذاجتها و بالذنب!!

=====

زفر رائف بعصبية، ثم هتف بصوت خفيض كي

لا يسمعه أحد :

-أمجد أرجوك لا تغضب، وجودي اليوم في

المباراة ضروري، لذلك سافرت وسأعود

بسرعة لا تقلق !

-هل أنت مجنون، أجبني...أنت مصاب ولن

تتمكن من اللعب، فلماذا ذهبت وتركت شقيقتاك

و تركتني في هذه المشكلة الكبيرة!!



هتف بها أمجد بعصبية، وبرقت عيناه بغضب
وكان روح شخص آخر قد تلبسته، ملامحه
الغاضبة وعيناه المشتعلتان أكبر دليل على
غضبه الشديد، حتى نبرة صوته الغاضبة شعر
رائف بها، فلحق شفثيه المكدومتين وهتف
برفق مقدراً غضبه :

-لن أتأخر يا أمجد يوم واحد فقط وستجدني
أمامك، اهدأ ولا تتعصب و...

قاطعة أمجد بصوت عالٍ غاضب :

-أغلق يا رائف، وحسابك معي !

ثم أغلق الخط في وجهه، فرفع رائف حاجبه
بدهشة وأبعد الهاتف عن أذنه لينظر له بصدمة
هامساً بصوت لا يكاد يسمع :



لقد أغلق الهاتف في وجهي وصرخ بي، هل
هذا أمجد أم أنني أتوهم!!!
هز رأسه دون معنى، وهمّ بوضعه في جيبه
لكن شيء بارد سقط على ركبته فجأة فشر
ببرودته ولاحظ تبلل بنطاله السماوي، فحفظت
عيناه ونظر بجواره بسرعة والغضب يعلو
محياء، فوجد فتاة بشعر غجري وعينين
واسعتين تنظر له بصدمة واضحة كفها على
فمها تكتم شهقتها والكف الأخرى كانت تمسك
به مشروب غازي سكب نصفه على بنطاله،
والنصف الآخر بقي في الزجاجاة، ففز رائف
على أسنانه بغيظ وهتف من بين أسنانه وهو
يشير بسبابته إلى بنطاله :



-ماذا فعلتِ، هل أنتِ عمياء أم معتوهة لقد
بللتني بنطالي وأصبحت كالطفل الذي تلاعب
بزجاجة المياه خاصته!!

رمشت تمارا بعينيها الواسعتين مرتين، و
امتقع وجهها بحرج، فهتت بالاعتذار لكن ما
قاله رائف وهو يمسح بنطاله بمنديل ورقي
أغضبها وبالرغم من همسه إلا أنها سمعته
"تبا لك، فتاة مدللة، وغير مهذبة"

شهقت بصدمة، وبرقت عيناها بشراسة،
فاعتدلت في جلستها على المقعد الموجود في
المدرج مالت قليلا لتضع الزجاجاة أرضا، ثم
نظرت إليه رافعة حاجبها بشراسة، ثم هتفت
بصوت عالٍ :



-ماذا قلت؟!...اسمعي ما قلته بصوت عالٍ كي

أسمعك يا..محترم!

نظر رائف لها بظرفٍ عينيهِ، ثم هتف وهو يهز

رأسه هازئاً:

- فتاة مدللة حتى الاعتذار لا تقوى عليه، حسناً

يا مدللة..لن أخاف منكِ قولتُ "تباً لكِ، فتاة

مدللة، وغير مهذبة" هذا ما قولته وبصراحة

تستحقين كل كلمة قولتها!

ضغطت تماراً على أسنانها بغيظ، وتحركت

شفتاها تحاول قذفه بابشع الكلمات، لكنّ رائف

سبقها وهتف بفظاظة دون أن ينظر لها :

-حتى الاعتذار لم تقوِ عليه، عموماً انتبهي في

المرّة القادمة يا..أستاذة!!

تأفت تمارا بغيظ، و أحمر وجهها، فرمقها
رائف بسخرية وعاد إلى تجفيف البنطال والغيظ
يظهر على صفحة وجهه واضحا حتى أنه كان
يحدث نفسه دون صوت وعلى الأرجح يلغنها
ويلعن يومه، عند هذه النقطة زمجرت تمارا
بعصبية، ثم نظرت إلى ملامحه تتمعن بها
بجراة غريبة، وجهه الأبيض وذقنه الغير
حليقه، وشعره الناعم أعطى له مظهر جذاب،
لكن ما أفسد كل هذا أثر الضرب على وجهه،
فاستغلت تمارا الفرصة لتتهف بسخرية وهي
تضع نظارتها الشمسية

باستعلاء:

-متشرد، وقح ولا يعرف شيء يسمى الذوق!!..



رفع رائف رأسه بسرعة، والتمعت عيناه بشر،

ليهدف من بين أسنانه وهو يلقي المنديل

بعصبية ويدس هاتفه في جيبه:

-احترمي نفسك يا... أنتِ، كفي عن وقاحتك أنتِ

المخطأة وليس أنا ما قلة الذوق هذه!

ثم أشاح بوجهه وهو يتأفف بصوت عالٍ،

فامتقع وجه تمارا بحرج فهي المخطئة وليس

هو، لكنه شتمها ولم يخجل حين طلبت منه

مواجهتها بما قاله!!

زفرت بكبت، ثم نظرت له من تحت نظرتها

تراقبه خلسة، فوجدته يتابع المباراة وشيء من

الحزن يظل عينيه!!

حين لاحظت التفاته باتجاهها، أشاحت بوجهها

بسرعة وعادت بنظرها إلى المباراة، توجست



قليلًا حين لاحظت أنه لم يتفوه بشيء وكذلك

ظل ينظر لها بجرأة، فاحمرت وجنتاها

وازدردت ريقها بخجل تحول إلى حرج يكاد

يقتلها حين هتف بهدوء :

-أسف على ما قلته...

ثم أشاح بوجهه وعاد لمتابعة المباراة بكل

هدوء، فامتقع وجهها وعقدت حاجبها بتوجس

من تحوله من الغضب إلى الهدوء!!

رمشت بعينيها، وفركت أصابعها بتوتر،

ستعتذر لأنها المخطئة، لعقت شفثيها بتوتر، ثم

التفتت له وهمست بتلعثم :

-وأنا أيضاً آسفة!



لم تهتز عضلة بوجه رائف ولم يبدِ اي رد فعل،
فعبست وتكور فمها، وفجأة رآته يميل برأسه
نحوها قائلاً :

-ماذا قلتِ؟!-

لوت شفتيها بغيظ، وضافت عيناها بغضب
مكتوم، لكنها أجبرت نفسها وهتفت :
-آسفة !-

نظر رائف لها وابتسم ابتسامة ملء شذقيه
شعرت بها باردة لا تدل على المرح ابداً،
فنظرت له بامتعاض و ابتسمت بسماجة، ليرفع
حاجبه بشدة، ثم يهتف بفخر وهو يمد كفه
نحوها :

-أنا رائف، لاعب من فريق (...). واعتبر أهمهم!



اتسعت ابتسامتها السمجة، ونظرت إلى كفه
الممدودة فهالها مظهر ظاهر كفه المشوه ،
لاحظ نظراتها فارتبكت، ثم لم تلبث أن هتفت
وهي تمد كفها هي الأخرى لتصافحه :
-مرحباً بك، لكن لماذا تجلس مع المتابعين في

المدرج!!

لاحظت بوضوح ظهور شيء غريب اعلى
محياء، واهتزت حدقتاه بارتباك، لكنها لم تهتم،
وانتظرت اجابته، فأجابها رائف وهو يسحب
كفه من كفها :

-حالتي لا تسمح لي باللعب، وفضلت الجلوس
في المدرج!..

أومات برأسها بهدوء، ونظرت إلى ظاهر كفه
نظرة واضحة لاحظها هو، فبهتت ملامحه وطار



العبث والمرح من عينيه، يظنها تنظر إليه
وتحدث نفسها عن بشاعة ما رآته، لا يعلم أنها
شعرت بحزن غريب ممزوج بالشفقة!
تشوه ظاهر كفه يدل على بشاعة ما تعرض
له!!

رفعت رأسها له، تطالعه بابتسامة صغيرة، ثم
عادت بنظرها إلى الملعب تراقب ما يحدث،
وشعور بخيبة غريبة يكتنفها من انتهاء الحديث
بينهما بالرغم من قصره!!
-لم تخبريني باسمك!

أجفلت تمارا في جلستها، والتفتت له مبتسمة
بارتباك، فهتف رائف بفضافة :
-أخبرتكم بأسمي وأنت لم تخبريني!



زمت شفتيها بملل من نبرته الفضة وجموده
الظاهري وهذا ما شعرت به منذ نظرت، هزت
رأسها قليلاً ثم هتفت وهي تهز كتفيها ببساطة

:

-تمارا نادر!

أوما برأسه، ثم أشاح برأسه تزامناً مع هتافه

بفضافة :

-تشرفنا يا تيمور!

اتسعت مقلتاها بصدمة، وفغرت فمها حتى كاد

يعانق الأرض من دهشتها، فنظر رائف لها

بطرف عينيه ليلاحظ تعبيرها، فكتم ضحكته

بصعوبة!

هتفت تمارا بتلغثم :

-ت..ت..ماذا؟!!



حك رائف مؤخرة رأسه بتفكير، ثم قال بحيرة :

- ألم تعجبك..؟

حركت سبابتها برفض، ثم هتفت :

-ليست مضحكة!!

ثم أشاحت بوجهها في حركة واضحة لإنهاء

الحوار بينهما وتابعت المباراة باهتمام وثبتت

نظارتها على عينيها، فهمّ بفعل المثل لكنه

تصلب مكانه وهو يرى تلك الفتاة مألوفة

الملامح له تقترب، فتاة تشبه

شقيقة...يونس!!!

عقد حاجبيه بتوجس، وقام من مكانه دون أن

يحيد عنها وهي تقترب بخطوات ثابتة واثقة،

قرر الذهاب لها لكن حين اقتربت رفعت رأسها،

لاحظته لتتسمّر مكانها وتفغر شفتيها بصدمة



مماثلة لصدمة لكنها تداركت نفسها قبله،
فاستدارت على عقبيها، وأسرعت خطاها فكادت
تعدو أمام أنظار الجالسين، خرجت من بوابة
النادي الرئيسية وهي تلتفت بين الحين والآخر
إلى الخلف، بينما رائف فقد سيطرت الصدمة
عليه برويتها بعد اختفاء طال لأربع سنوات!
لقد رأى حب شقيقه الوحيد، لقد... رأها!!
عند هذه النقطة تحرك من مكانه راكضاً خلفها،
فوقفت تمارا ونظرت إليه وهو يركض بسرعة
خلف شخصٍ ما بدا غير واضحاً لها وسط هذا
الجمع او هكذا تظن، جلست مكانها مرة أخرى
والقلق يفترسها، لقد تأخرت جود؟!
وصل رائف إلى البوابة بسرعة، لكنه لم يجدها
فخرج منها ليجدها تستقل سيارة أجرة بسرعة

وسرعان ما تحركت السيارة بسرعة، فنظر
رائف إليها بحيرة وهو يدلك رأسه بقوة، لقد

هربت!!!

لماذا؟!

شعر بشيء غريب حيال رد فعل جود!!
زفر بكبت، ثم عاد أدراجه إلى المدرج وشيء

واحد يحيره!

أيخبر أمجد برؤية جود بعد طول عذاب من
اختفائها ورفضها له دون مبرر أم.....

=====

أسندت رأسها إلى زجاج النافذة، انسابت
دمعتان على وجنتيها، أكبر ذنب اقترفته في
حياتها، جرح أمجد بهذا الشكل المهين وليت
عقارب الساعة تعود كي تصلح ما فعلته!



ليتها سمعت هتاف عقلها!!!!

لعت شفتيها، ثم لم تلبث أن أخفت وجهها بين
كفيها تتحب بخفوت، فنظر السائق لها بتوجس

ثم أشاح بوجهه وهو يهز رأسه بنفاذ صبر!!

لماذا تبكي؟!

ما هذا الشعور الغريب الذي تشعر به الآن،

مجرد تذكرها لأمجد ينعشها ثم يتحول شعورها

من الانتعاش إلى الندم!!

ابعدت كفيها عن وجهها المتورم، ودست كفيها

في حقيبتها لتلتقط هاتفها، ثم تحركت اصابعها

على شاشة الهاتف، إلى أن فتحت صورة

طالعتها بحسرة، فازدادت كثافة دموعها حتى

تشوشت الرؤية في عينيها....



صورة لم تفارقها أبداً منذ ثلاث سنوات تقريباً،
تنظر لها بين الحين والآخر كي يزداد شعورها
بالندم والحسرة، لقد أحبته!!

جنون ما تشعر به الآن درياً من الخيال، تنظر
إلى صورته التي استطاعت الحصول عليها
بصعوبة، عادة أصبحت تفعلها منذ ثلاث سنوات
تحديداً، تنظر إلى صورته وتبتسم بحسرة، أين
كانت حين رفضت رجل كأجد وجرحته
بطريقة بشعة!

كيف رفضته وهل يرفض أمجد من الأساس!!؟
حين تنظر إلى صورته، تخفق ضربات قلبها
وتبتسم عيناها قبل ثغرها، فوضى من المشاعر
لا تستطيع تحديدها!



كان رفيقها بل الأصح كانت صورته صديقتها،
تفتحها وتبدأ في قص كل شيء تشعر به!
بعض الأشياء لا يدركها المرء مبكراً، تضيع من
بين كفيه فيبكي على رحيلها ويندم على
تصرفه!

أغلقت الهاتف ثم وضعته في حقيبتها، ثم
أسندت رأسها إلى النافذة مرة أخرى، لتهمس
دون صوت :

-من الظلم أن أشعر بالحب نحو شخص مثلك،
لقد أحببتك أو لم أحبك لا أعرف بالضبط!، هو
شعور غريب أشعر به حين أتطلع إلى صورتك
فكيف سيكون شعوري حين أراك أمامي، أنا لا
استحقك ولا أستحق حبك لي!!



تهدت بتعب، ثم أغمضت عينيها، إلى أن هتف

السائق :

-لقد وصلنا يا آنسة!

فتحت عينيها، ثم نظرت إلى السائق وابتسمت

بارتباك، أخرجت ورقة مالية ثم أعطتها له

وبعدها ترجلت من السيارة وصعدت السلم

بسرعة، فوصلت إلى الشقة، فتحت الباب

بالمفتاح الخاص بها، ثم دخلت وصدفت الباب

وركضت إلى غرفتها...

خلعت حجابها بعنف، ثم القته على أقصى

اتساعها!!!

حدقت في الفراغ بنظرات فارغة، ثم تهدت

بتعب، قامت من مكانها متجهة إلى المطبخ كي

تعد قهوتها فالصداع يزداد !



وقفت في المطبخ تحضر قهوتها بفكر شارد،
أعدتها بسرعة ثم جلست على الكرسي
وارتشفت أول رشفة، فاغمضت عينيها وعادت
برأسها إلى الخلف، فانساب شعرها الناعم
وتراقص بفعل الهواء، رفعت الكوب مرة أخرى
كي تقربه من فمها دون أن تفتح عينيها لكنها
شعرت بقبضة تنتزع الكوب بقوة فانسكب
بعضها على يدها، فشهقت بفرع وانفضت
مكانها، لترى تمارا تقف أمامها بارقة العينين،
زفرت جود، ثم لم تلبث أن هتفت بغيظ :
-ألن تكفي عما تفعليه، لقد ارعبتني!
وضعت تمارا الكوب على الطاولة الفاصلة
بينهما، ثم اعتدلت في وقفاتها وهتفت بهدوء :

-أولا لقد منعك الطبيب من الإفراط في شرب
القهوة كفاك الكوب الذي ارتشفته صباحاً، ثانياً
لماذا لم تأتِ، ضحكتِ عليّ ولم تأتِ، ثالثاً هل
بكيت مرة أخرى!؟

التوت شفتا جود بشبه ابتسامة، وأغمضت
عينيها بنفاذ صبر، فاقتربت تمارا منها
وامسكتها من ذراعها قبل أن تهتف بقلق :
-ماذا بكِ؟! لماذا بكيت مرة أخرى!! هل حدث
شيء ما؟! ولماذا ارتديتِ ملابسك ولم تأتِ...
زاغت جود بعينيها، واطرقت برأسها، فانعقد
حاجبا تمارا، وتفاقم القلق بداخلها، لتتفرج
شفتاها تهّمّ بالتحدث، لكن جود سبقتها وهي
تغتصب ابتسامة باهتة على شفتيها :



-لقد شعرت بالغثيان، فلم أقوَ على الذهاب

وملاحقتك!

ثم عضت على شفتيها بقوة، لا تعلم لماذا كذبت

عليها ولم تخبرها بما حدث، وجدت نفسها

تكذب فجأة دون مبرر، فهي موقنة بأن تمارا لم

ترها حين أتت ورحلت بسرعة فقد كانت منتبهة

إلى أحداث المباراة أما رائف فقد رآها بسهولة،

نظرت تمارا لها بعدم تصديق فقد شعرت بأنها

غير صادقة من نبرة صوتها المتلعثمة،

واهتزاز حدقتها، لكنها أجبرت نفسها على

التصديق وهتفت :

-حسناً، اذهبي إلى غرفتك وأنا سأعد الغداء

بسرعة، هيا اذهبي...



ثم دفعتها برفق، فانصاعت لها ودخلت إلى

غرفتها وأغلقت بابها خلفها...

شمرت تمارا كميها، ولملمت شعرها بعشوائية،

ثم لم تلبث أن بدأت في تحضير الطعام بسرعة

كي تتمكن من مراجعة محاضراتها، ابتسمت

رغماً عنها حين تذكرت الحوار الذي دار بينها

وبين ذاك الرائف، وبالرغم من فظاظته إلا أنها

لم تثر غضبها، حروق ظاهر كفه جعلتها

تتعاطف معه قليلاً!

مرهفة الحس أنتِ وسيأتي يوم لا تشعرين

بالحزن على أحد

هكذا حدث نفسها ساخرة، قبل أن تتهمك فيما

تفعله!



وبعد دقائق ليست بالقصيرة كانت تمارا ترص
الأطباق على الطاولة، ثم هتفت بصوت عالٍ كي
تسمعها جود :

-جود، تعالي الطعام جاهز...جووود...

صمتت قليلاً منتظرة إياها لكن جود لم تأتِ أو
ترد حتى، فزفرت تمار بسخط، ثم لم أن هتفت
بصوت مرتفع أكثر أقرب للصراخ :

-جووود!

لم ترد للمرة الثانية، فتوقفت تمارا عما تفعله
وشعرت بقلق غريب يسيطر عليها، فتحركت
نحو غرفة جود بخط سريعة، وضعت كف على
مقبض الباب والكف الآخر طرق الباب بشيء
من القوة، وهتفت بنبرة قلقة :

-جود، ماذا بك!؟!



لم يأتِ أي رد فلم تنتظر تمارا، أدارت المقبض
ودخلت إلى الغرفة تبحث بعينيها في أنحاء
الغرفة بقلق وصل إلى ذروته، وقفت بنظرها
عند الفراش فوجدت جود قد بدلت ملابسها إلى
قميص طفولي يصل إلى ركبتيها وتركت شعرها
حر فأخفى وجهها، ارتعبت تمارا من سكون
جسدها، فاقتربت منها بسرعة وجلست على
طرف الفراش، ثم وضعت كفها على ظهرها
فشعرت بانتظام انفاسها، فتنفست تمارا
الصعداء وربتت بكفها على شعرها بحنان
وابتسامة صغيرة تداعب شفثيها!
ظلت تنظر لها لدقائق، إلى أن همست بشجن :
-أنا أمنحك ما أملكه بكل قوة كي أخفف عنك،
لكنني أحتاج المثل !



قامت من مكانها، ثم مالت لتسحب الغطاء

وتضعه على

جسدها، وبعدها خرجت من الغرفة وأغلقت

نورها إلا من نور جانبي شاحب بدد ظلام

الغرفة!

زمت تمارا شفتيها، وهتفت بحسرة :

-لقد نامت وتركتني، وأنا جائعة لكنني لا آكل

بدونها! منكِ لله يا جود!

قالت جملتها الأخيرة وهي تنظر إلى السماء

فيما بدا كدعاء، ثم تحركت نحو المطبخ

وأعدت الطعام مكانه إلى أن تستيقظ جود!

=====

جلست على المقعد تنظر إلى الباب المغلق

بترقب، لهفة ظالت عينيها، وجعلت شفتيها



تبتسمان بتوتر، فربت سليم على كتفها
واغمض عينيه مطمئناً، ولم تمرّ دقيقتين حتى
وجدت الباب يفتح ويظهر العسكري ممسكاً
بكف شخصاً ما سرعان ما ظهر لهما واضحاً،
فقامت داليا من مكانها واتسعت عيناها بصدمة،
لقد كبر وأصبح شاباً رائعاً، لقد كبر وكبرت
ملامحه فأصبح يشبه والده وبشدة، تفرقت
الدموع في عينيها لكنها تحكمت بها
واستطاعت أن تهتف بخفوت :

-مروان!

رفع مروان رأسه، ونظر إلى داليا عاقداً
حاجبيه بتوجس، فابتسمت داليا له بارتباك،
لينظر مروان إلى سليم بتساؤل، فهتف سليم
محتضناً كتفها :



-عمتك داليا يا مروان...

اتسعت عيناه قليلا، وفغر فمه وهو يرمقها
بنظرات متفحصة، لكنها لم تمهله أي فرصة،
حيث اندفعت نحوه وجذبتة ليستقر بين
أحضانها، لوهلة شعر مروان بالصدمة مما
فعلته، لكن سرعان ما شعر بدفء عناقها،
فرفع ذراعيه بتردد ولفهما حول جسدها
الواهن، فابتسمت داليا وربتت على ظهره
بحنان، حينها شعر بالدموع تلسع عينيه
ورغبته في البكاء تتزايد ، لقد مرّ بأشياء كثيرة
ويكفيه ما يشعر به الآن من قلق على صبا
..وشيء غريب يشبه الخوف والغضب من
هاني ذاك الذي سرعان ما سيقبل بالتنازل و
يأخذ صبا كي...يتزوجها...



شعر بشيء يوخز صدره، وبغصة تحتل حلقه،

فابعد أفكاره عند هذه النقطة بالذات، وهتف

بتحشرج بعد ابتعاده عن داليا :

-لقد اشتاقت لك...أمي كانت تقص ليّ اشياء

كثيرة عنك وعن حبك ليّ!...لماذا أتيت يا

عمتي؟!!

ابتسمت داليا له بحنان، ثم ربتت على ذقنه

الغير حليقة بحنان، فابتسم مروان بوهن، لكن

سرعان ما هتف بسرعة وبقلق شديد :

-سليم، أمي أنا لا أعلم أي شيء عنها، هل

تواصلت معها...

نظر سليم له بهدوء اثار توجسه، خصوصاً

حين تهرب من سؤاله :

- أين ذراع قميصك؟!!



قالها بتوجس واعتدل في جلسته ليقترب من
مروان الذي نظر بدوره إلى ذراع قميصه الغير
موجود من الأساس، فابتسم مروان بفخر
وهتف بمرح لا يناسب الموقف :

-لقد تشابكت في الحجز، اتهمني مسجون زميل
ليّ بأني جاسوس فهاج من معه واقتربوا مني
كي يقومون بضربي، لكن ابن عمك لم يخف بل
نزعت كف ذاك المخمور عن قميصي ووقفت
أمامهم متأهباً للضروب وحين بدأ التشابك
بيننا، استخرجت روح المقاتل الشرس فهربوا
من أمامي و أحترم كل شخص فيهم نفسه !!
رفع سليم حاجبه باندهاش، ثم هتف وهو يشير
إلى مروان :

-هل كلمتهم بلكنتك تلك!



ابتسم مروان، ثم وضع كفه على صدره وهتف

:

- عيب عليك، لقد تشابكت معهم وأنا على

الوضع الصامت!

ضحكت داليا من وسط دموعها، وابتسم سليم

وهو يهز رأسه بقلة حيلة، ثم لم يلبث ان نظر

له نظرة ذات مغزى، جعلت مروان يعقد حاجبيه

بتساؤل، فاقترب سليم منه، ثم ساعد داليا

وأجلسها على المقعد، فتوجس مروان وشعر

بالقلق يغزو قلبه، التفت سليم له ثم هتف

بوضوح:

- غداً ستخرج من هنا، وبعدها ستسافر إلى

مدينتك ولا تتسرع مرة أخرى وتأخذك روح

الشهامة..



بهتت ملامح مروان، واهتزت حدقاته، ليهتف

بتلعثم :

ل..لا أفهم، كيف سأخرج من هنا وذاك الجلف

لم يتنازل عن المحضر؟

أوماً سليم برأسه، ثم هتف بوضوح :

-سيتنازل لقد طلب مني مقابل مادي ضخم كي

يتنازل عن المحضر، و....

صمت بعد، فاختلج فك مروان، وازدرد ريقه

ببطء وكأنه يحارب غصة مسننة أحتلت حلقه،

فلانت ملامح سليم قليلا أمام قلقه البادي ،

واردف سليم برفق :

-وسياخذ "صبا" وأبنتها ويرحل من هنا، فهي

في النهاية خطيبته...و...

-مستحييل!



هدر بها مروان بهياج، فاهتز جسده تأثراً،
عيناها برققتا بشر، وأحمر وجهه، فيما أجفلت
داليا وانتفضت من مكانها، بينما سليم لم تهتز
عضله به وكأنه توقع ردة فعله، فقد عقد
ساعديه وهتف بهدوء لا يتناسب مع غضب
مروان :

-لماذا؟!، سيأخذها ويرحل ليتزوجها، فلماذا
تصرخ!

ازداد احمرار وجه مروان، وقبض كفه بقوة
حتى ابيضت مفاصلة، ودون أن يشعر بنفسه،
هتف بتلقائية والغضب يعلو ملامحه :
-أحبها، أنا أحبها !

اطرق سليم برأسه، واستند بكفيه وظهره إلى
حافة المكتب، هذا ما كان يخشاه بل ما كان



يتوقعه، أما مروان فقد صمت فجأة وجحظت
عيناه مبهوتاً مما قاله أمام سليم تحديداً
ويستحق ما سيسمعه الآن ، رمقته داليا
بتفحص، ثم أخفضت وجهها تهز رأسها دون
أن يلاحظها أحد، عم صمت مريع جراء
اعتراف مروان، فقطعه سليم هاتفاً بنبرة قوية
:

- ما تشعر به الآن شعور طبيعي، مجرد إعجاب
سيزول في لحظة تحكم فيها عقلك، أنت لا
تحبها يا مروان أنت تتصرف بحكم شهامتك
ليس إلا، كف عن التصرف بصبيانية وتعقل،
أتريد أن تقضي حياتك في السجن، سيتنازل
بمقابل مادي ضخم وسيأخذ خطيبته وابنة
أخيه، وهذا حقه!...



استعرت عينا مروان، وانتفخت أوداجه، ليهتف

بانفعال :

-لا تحكم على مشاعري، أنا أحبها، وحتى لو لم

يكن حبي لها قوياً، لن أتركها أبداً!

ضرب سليم سطح المكتب بغضب، ثم هدر

بصوت حاد قاطع :

-كفاك دلالاً يا مروان، لقد صمت لك على ما

فعلته حين تسرعت واتييت إلى هنا دون أن

تخبرني، والآن تخبرني بأنك تحبها، تعقل و

سيطر على مشاعرك المفرطة، شعورك هذا

لأنك جلست معها في مكان واحد و كانت أمام

عينيك، هذا ما حدث..لقد حذرتك من قبل، لو

تسببت لك في مشكلة سأمحيها من حياتك كلها!

أنا لن أجازف مرة أخرى!



لهت سليم بعنف وكذلك مروان، ما يشعر به
ليس شعوراً عادياً، هو شعورٌ غريبٌ لا يوصف
بالتعاطف أو الشهامة، لا يستطع تحديد كنهه،
لكنّه يشعر بشيء يحرقه حين يتخيل رحيلها مع
هاني ذاك، لا يعرف هل يحبها أم لا لكنّه يشعر
بالامتلاك نحوها، لقد ظل معها قرابة الشهر،
يراقب انفعالاتها، ويشعر بالتسلية حين
ينعتها "بايقونة الغباء" كان يظن نفسه يبغضها
وما يفعله ما هو إلا شهامة وهذا بالفعل ما كان
يشعر به حين رآها، لكن الآن هو ليس بغبي كي
لا يشعر بمشاعره تتحرك نحوها، لو لم يكن حياً
فليكن أعجاباً، لكن في نهاية المطاف لن يتركها
لأحد ابداً!



رفع رأسه إلى سليم بعينين غائرتين، ثم لم يلبث أن اعتدل في وقفته، وهتف بصوت مشدد

:

-حتى لو كان شعوري نحوها ما هو إلا إعجاب

لكني لن أتركها لغيري، ولتفعل ما تريده!

زمجر سليم بعصبية، ثم أعتدل في جلسته ولوح

بكفيه في غضب، قائلاً :

-قولت لك تعقل يا مروان، وحكم قلبك، هذه

الفتاة غير مناسبة لك وأنتهى الأمر، سيأتي من

وراءها مصائب ليس لها نهاية، أتدرك ذلك أم

أنك دائماً تتصرف باندفاع؟؟، تلك الفتاة لا

تناسبك ولا هي أهلاً لأي ثقة، لقد كذبت عليك

ولم تخبرك بالحقيقة منذ البداية، استغلت

شهامتك، هل تعتقد أنها طبيعية وليست



مضطربة كما قال "خطيبها"، لقد تركت ابنتها
أمام بيت امرأة لا تعرفها من الأساس، وبعدها
حاولت الانتحار، ثم عادت فجأة و ندمت عما
فعلته، أي أم هذه بالله عليك، أنت دائما تتغاضى
عن أشياء مهمة، أقسم بالله لو أصريت على
رأيك الغريب هذا، سترى وجهاً لم تره من قبل،
تعقل، صبا سترحل مع خطيبها وأنت ستخرج
من هنا وانتهى الأمر!

اشتعلت عينا مروان بغضب أهوج، واصبح
وجهه شديدة السواد، فهتت داليا بتلطيف
الجو، لكن مروان سبقها وفتح باب المكتب، ثم
صرخ بأعلى صوته :



-فليأتي أحد ويأخذني من هنا...أريد العودة إلى

الحجز الآن!

وقبل أن يأتي أحد ليأخذه، تقدم مروان بقدميه
كي يخرج من الغرفة، لكن هتاف سليم من خلفه
جعله يتسمر مكانه :

-مروان، أمك مريضة وتم حجزها في المشفى
منذ علمت بوجودك هنا في البلدة، حالتها غير
مُبشرة!

امتقع وجه مروان، واتسعت عيناه بصدمة، لم
يشعر بالعسكري وهو يسحبه من ذراعه بقوة
مغمغماً ببعض الكلمات المستاءة من صراخه
العالي، لكن مروان لم يكن معه، فقد ظهر
الوجل على ملامحه وشرده بفكره!



اقترب سليم من داليا، ثم أنحنى وأمسك
بذراعها كي تقف، فرفعت رأسها له، ليها له
الدموع المنهمرة على وجهها المجعد، فأجفل
سليم و هتف بحيرة :

-لماذا تبكين يا عمتي؟!-

لعتت داليا شفيتها، ثم هتفت بتشخرج :
-لم يكن عليك أخباره يا سليم، سألك في بداية
الحوار، وأنت تهربت منه، فلماذا أخبرته
الآن...-

ابتسم سليم ابتسامة باهتة، ثم هتف وهو
يجذبها من ذراعها كي يخرجها :
-كنت ادخر أخباره بمرض أمه لكي أضغط
عليه، بعض الأشياء من الذكاء ادخارها لأوقات
تستحقها!



تهدت داليا بتعب، ثم جففت وجهها بمحرمة
ورقية....

الآن عرفت سبب اختفاء سليم لمدة يوم كامل!
خرج سليم من قسم الشرطة ممسكاً بذراع
داليا، فتح باب سيارته وأجلس داليا، ثم دار
حول السيارة واستقل سيارته، أدار المقود ثم
بدأ رحلة العودة شاردأً فيما حدث منذ يوم، يوم
خرج من القصر في الصباح الباكر تاركاً خبر
لداليا بأن زيارتهم سيتم تأجيلها ليوم واحد!
يوم فعل فيه ما كان يريد!

يومها ذهب إلى بيت مهجور على أطراف
البلدة، كان بيتاً غريباً يصيب من يراه ويدخل
إليه بالخوف، وهذا ما يريد، أغلق بابه خلفه،
وصعد درجات السلم بسرعة، كل درجتين معاً



إلى أن وصل إلى الطابق الثاني والأخير في
البيت، تحرك نحو غرفة يقف أمامها رجلان،
أشار سليم لهما فتتحيا عن الباب وفتحه
أحدهما، فتحرك سليم نحو الداخل وهو يخلع
سترته، ثم شمر كمي قميصه وترك قميصه
مفتوحاً إلى منتصف صدره، بينما ملامحه كانت
متلبدة جامدة لا تتم على خير، وعيناه تلمعان
بشر، أغلق الباب بقدمه بقوة فارتج الباب،
وانتفض ذاك الجالس على مقعد رُبط فيه من
كفيه كل كف تم ربطها بذراع المقعد، رفع رأسه
ونظر إلى سليم بعينين مشتعلتين، فلوح سليم
له بمرح كاذب وهتف بابتسامة باردة :
-مرحباً، كيف حالك هنا يا هاني، لقد أشتقت لك
جداً!

ثم أقترب منه فازدادت عينا هاني اشتعالاً
وصرخ بوحشة في محاولة بئسة لفك وثاقه
لكن محاولته باءت بالفشل، وقف سليم أمامه لا
يفصل بينهما سوى خطوة واحدة، طالعه سليم
من علو، ثم جثا على ركبتيه أمامه حتى صار
في مستوى هاني تماما، عيناها مرتكزتان على
عينيها بجراءة، فابتسم سليم وهتف بمرح كاذب

:

-أتعلم لقد أجاد سالم حمايتك، لكن أنظر اين أنتَ

الآن؟؟

.....أمامي، أنظر إلى وضعك!

ثم صمت ليراقب انفعالات هاني الذي أحمر
وجهه من فرط الغضب، وحين طال صمت
سليم، نظر هاني له ثم قال بصوت مشدد :



- ما فعله الآن ليس لصالحك، وأنا لا أرى أي
استفادة مما فعلته بي، ماذا تريد؟؟؟... وقبل أي
شيء لماذا تم ربطني في هذا المقعد، هل أنت
خائف مني مثلاً؟؟!!

ضحك سليم ضحكة عالية لا تنتمي للمرح
بالمرة، فنظر هاني له مبهوتاً من ضحكته،
ليرفع حاجبه بتوجس!!

توقف سليم عن الضحك فجأة، ثم هتف وهو
يهز رأسه هازئاً :

- أخاف منك أنت، لِمَ؟؟؟... أسمع يا هاني، لقد
عرضت عليك في قسم الشرطة مقابل مادي كي
تتنازل عن المحضر وأنت رفضت، وأنا لا
أعرف الملل، لذا سأعرض عليك للمرة الثانية

وأن لم تقبل، سأتصرف تصرف لن يعجبك

بالمرة!!...وقبل أن تتناقش.....

صمت فارتفع حاجب هاني حتى كاد يصافح

مقدمة رأسه، أقترب سليم أكثر، فعاد هاني

بتلقائية برأسه إلى الخلف معتقداً بأن سليم

سيقوم بلكمة، لكن سليم لم يلجمه بل فك وثاق

يديه، فرفع هاني كفيه كي يدلكما وهو يرمق

سليم بنظرات مشتعلة، لكن سليم لم يأبه به بل

أنتصب واقفاً، وهتف بجديّة :

-اطلب ما تريده، وسأفعله لك!

نظر هاني له، ثم هتف يباغته :

-وماذا سأستفيد!؟



ابتسم سليم له تلك الابتسامة الغريبة، ثم وضع
كفيه في جيبه بنطاله، ومال برأسه قليلاً تزامناً
مع هتافه :

-مقابل مادي ضخم جداً يجعلك تتراجع عما
تفعله، أليس هذا كافياً؟!!

توقف هاني عن تدليك كفيه، ثم نظر إليه بعينين
متسعيتين، وفغر فمه، وبهتت ملامحه فأصبح
كمن تلقى صفة مدوية للتو، فالتوت شفتا سليم
بابتسامة نصر، ليهتف هاني بتلعثم وقد
تراجعت جراته :

-وماذا أفعل؟!، أنا لا أفعل أي شيء!
رفع سليم حاجبه بدهشة مصطنعة، ثم هتف
بخبت :

-الاتجار بسلع فاسدة، وخلطها بمواد أخرى!

ازداد اتساع عينيه وكاد فكه يعانق الأرض من

هول الصدمة!

كيف علم بهذه النقطة تحديداً وهو يعمل جاهداً

لصنع اسم لا عُبار عليه!؟

كيف تمكن من معرفة هذه النقطة رغم جهوده

في إخفاء الأمر!؟

رمش بعينين مرتين، ونظر حوله بارتباك،

فاتسعت ابتسامة سليم المتشفية حتى شملت

وجهه كله.....

هتف هاني بصوت مرتعش :

-كم ستدفع!؟-

أمتعض سليم، ونظر له بازدراء، ثم لم يلبث أن

أخبره بقيمة ما سيدفعه، ففغر هاني شفثيه

مشدوهاً، والتمعت عيناه!



كان مقابل مادي ضخم جداً، أل هذه الدرجة يبحث

عن أي وسيلة كي ينقذ ابن عمه؟!!

أل هذه الدرجة يهتم بمن يخصه؟!!

لحق هاني شفتيه، ثم قام من مكانه وأقرب من

سليم، فاعتدل سليم في وقفته يطالعه بتفحص،

وقف هاني أمامه، ثم سحب نفساً عميقاً قبل أن

يهتف بصوت غريب :

-موافق، سأخذ المال....وصبا وسأرحل من

هنا...

لم تهتز عضلة بوجه سليم متوقفاً طلبه، صمت

سليم لدقائق طالت، فتوجس هاني وهمّ

بالتحدث، لكن سليم سبقه وهتف ببساطة :

-وماذا تريد من صبا؟!، ستأخذ مقابل مادي

ضخم واتركها وشأنها!

-أنها خطيبتني، وما فعلته سأعاقبها عليه جيداً،

لا أظن بأنك سترفض أن آخذها معي، صبا

سترحل معي شئت أم أبيت!

-انتبه إلى كلامك!

قالها سليم وهو يلوح بسبابته بتهديد، فابتلع

هاني لسانه القذر، فهتف سليم ببساطة :

-خذها، فهي كما قولت "خطيبتك" أنت، لا

يهمني سوى مروان!

أوما هاني برأسه وبالرغم من خوفه من معرفة

سليم بما يفعله، لكن شعور آخر انعشه،

سيتزوج صبا ويذيقها المر، سيأخذها ويخفيها

عن البشر و يبدأ في عقابها عما فعلته

و...أشباع رغبته بها منذ فترة طويلة!

حينها ابتسم هاني بسادية وتشفي مقيت!!!!..

خرج سليم من افكاره قسراً حين تعالى رنين
هاتفه، فأوقف السيارة جانباً حامداً الله بعدم
اصطدامه بسيارة أخرى أثناء شروده، التقط
هاتفه ثم وضعه على أذنه تحت أنظار داليا
المتفحصة منذ استقلا السيارة معاً!...

هتف سليم بغموض:

- هل حدث شيء؟! -

استمع إلى الجانب الآخر باهتمام، وفي خلال
دقيقة تحول وجهه من الهدوء إلى القتامة
والأحمرار غضباً، واشتعلت عيناه بنار
هوجاء، فنظرت داليا له بتوجس وشعرت
بالقلق!



ضغط سليم على أسنانه وكل كلمة يهتف بها
الجانب الآخر كانت تزيد غضبه وتشعل عينيه
أكثر...

=====

الفصل الحادي عشر...

=====

بعد مرور شهرين...

أغلق باب الغرفة خلفه بهدوء، ثم تحرك نحو
الأريكة، ألقى جسده على الأريكة دون أن ينظر
إليها، فارتفع حاجبها باستغراب، واعتدلت في
جلستها فوق الفراش، أمعنت النظر في وجهه،
فكانت النتيجة ككل مرة منذ شهرين، عيناه



حمر اوان تحيطهما هالات زرقاء، وجهه شاحب
كالموتى، و ذقنه كثة تخفي معالم وجهه، عيناه

داكنتين بلونهما الرمادي...

لقد أصبح أشبه بالأشباح!

يخرج من القصر في الصباح الباكر ويعود في

منتصف الليل...

أنه يتألم!... حقيقة وليس خيالاً سليم

يتألم... وبشدة... وكم ألمها هذا!

لقد مرّ شهرين منذ علم بما حدث، وها هو

يزداد شحوباً ويزداد أحمرار عينيه أكثر، صار

قليل الكلام، وبدأ غضبه وعصبيته في التراجع،

لقد كُسِر وانكسرت روحه....

سمعته يتهد بتعب، فرقت عينها وأندفع نهر

من الحنان بقلبها نحوه، فابتعدت الغطاء عنها،



لتقف على الأرض بقدمين حافيتين، اخفضت
عينيها تنظر إلى ما ترديه بغباء، لماذا ارتدت
هذا القميص الغريب، لقد كان قصير جداً، لونه
أسود لامع..مغطى بالدانتيل الوقح عند
صدرها...

لماذا ارتدت هذا القميص بالذات؟!
أهي دعوة كي يقترب منها بعد ابتعاده عنها منذ
شهرين؟!
أم ماذا؟؟

هزت رأسها بقوة كي تبعد تفكيرها، ثم سحبت
مبذلها بسرعة وارتدته لتخفي تلك الكارثة...
كانت عيناها تراقبان ما تفعله بروح ميتة،
بالرغم من اشتعال عيناها اللتان انخفضتا رغماً
عنه على جسدها الظاهر دون خجل من

قميصها الوقح، أبعده عينيها عنها مرغماً، ليتمدد
على الأريكة شاخصاً في سقف الغرفة بعينين
غائرتين مرهقتين، ألم حاد يحتل قلبه وغصة
حادّة كنصل خنجر حاد تحتل حلقه، لقد ذاق طعم
الفقد الممتزج بالذنب مرة أخرى....
أغمض عينيها بآلم، واختلج فكاه....
أنه يحتضر...

اقتربت مليكة منه تطالعه بشفقة، إلى أن
وصلت إليه، فجلست أرضاً تثني قدميها تحتها،
ثم لم تلبث أن رفعت كفيها لتضعهما على
صدره، فشعرت بتشنج جسده، ترفع عينيها له،
وتهمس برفق :

-لقد تأخرت اليوم جداً...قلقت عليك...



فتح سليم عينيه، ثم نظر لها نظرة خاطفة
بطرف عينيه، ثم هتف بصوت واهٍ مبحوح :
-حقاً...

ابتسمت مليكة ابتسامة صغيرة داعبت شفثيها
المصبوغتين بلون أحمر قانٍ، لتربت على
صدره هاتفه بصدق :

-نعم، أنتَ تبقى خارج القصر لمدة كبيرة..وتأتي
في وقتٍ متأخر غير مهتم بقلقي!
لم يرد سليم عليها ولم تهتز عضلة به، فظنته
لن يجيبها وسيتبع صمته، مما جعلها تشعر
بالأحباط، فرفعت كفيها عن صدره كي
تبعدهما... ووقفت على قدميها لتعود إلى
فراشها، لكن قبضته القوية قبضت على مرفقها
بقوة جعلتها تنن بخفوت....



جذبها سليم بقوة، فسقطت فوقه تماما، عيناها
تعانق عينيه...

شعرت مليكة بالارتباك، فهمست بأسمه كي
يتركها، لكنه أحكم ذراعه حول خصرها، وهتف
بصوت قاسٍ حاد :

-لماذا لم تسألني؟!، لماذا تركتيني أعاني ألمي
وحدي؟!.. لماذا فضلتِ الصمت، مكتفية بعدة
نظرات مشفقة على حالتي... لقد

أنتظرتك... وأنتظرت إصرارك على وجودك
بجواني...

انعقد حاجبا مليكة بشدة، وفغرت فمها
مشدوهة...

ماذا يقصد؟!!

هل... هل كان يحتاجها بجواره!!!



أهذه الدرجة كان يحتاجها كي تسانده، لكنّه
كان يبتعد ويتجنبها... أنتقل السؤال إلى شفيتها،
فهتفت دون تفكير :

-أنتَ، أنتَ كنت ترفض أن تتحدث معي...كنت
تتجنبني...كنت تمارس سياسة الابتعاد...فكيف
تطل...

قاطعها سليم بصوت متألم واهٍ، بينما عيناه فقد
انطفأت بصورة مثيرة للشفقة :

-لكنك شعرتِ في زاوية مظلمة في قلبك
بالارتياح لأبتعادي...كي لا تتحملي وجعي!...أنا
لست بغبي...لقد أبتعدت عنك وأنتِ بدورك
رحبتِ بهذا!!...لقد كنتِ تسألين عن حالتي
بسماجة..فأرد عليكِ باقتضاب..فتثيرتِ



حفيظتك... لتبتدي... لماذا لم تبقِ
بجواري... أل هذه الدرجة أنا لا أهمك؟!
اغرورقت عيناها بالدموع، وارتجفت
شفتاها، فنظر سليم لهما نظرة طالت كثيراً،
فانتبهت له لتشيح برأسها بعند، وتهتف بصوت
شبه بك :

-ماذا تقصد؟؟، أنني لا أهتم بك وسعيدة بألمك!
أتظني هكذا فعلاً.. أشعر بالسعادة وأنا أراك
أمامي تحتضر ألماً على موت صديقك
"نسيم".... أم تظني شامتة بك لأن نسيم قُتل
بسببك!!!!..

شعرت بارتعاش جسده إثر ذكرها لهذه النقطة
بالذات... وبالرغم من حزنها من ذكر هذه النقطة
التي تكاد تقتله، إلا أنها لم تحيد بعينيها



الدامعتين عن عينيه الحمر واين، لم
يجيبها... فاعتبرت صمته موافقة على حديثها،
لتهتف مشددة على كل حرف :

- وأنا غير مضطرة بتبرير موقفي، ولن أضغط
عليك فحالتك باتت سيئة جدا.. وأنا ليس لدي
قدره على تحمل حالتك ودلالك!

كان صدره يرتفع ويهبط بعنف، فصارت هي
الأخرى ترتفع وتهبط، لكن ما لم تتوقعه ما
فعله... فقد أبعدا عنها بشيء من العنف،
فسقطت على ظهرها لتتاوه بألم وهي تدلك
ظهرها...

اعتدل في جلسته بعينين غائرتين، وفكه يتحرك
دون كلام، رملها بعينين متعبتين، فنظرت له
بعينين دامعتين، والندم بداخلها يتفاقم أكثر... لقد



كانت تريد استفزازه كي يخرج من قوقعته

وينفجر بها....

ضغطت على جرحه بقوة كي يتألم، لكنّها لا تعلم

بأن كلماتها كانت قاسية

أجفلت وشهقت بفزع وهي تراه ينتفض من

مكانه ليقف ينظر لها من علو، فاستندت على

كفيها ووقفت أمامه رافعة رأسها له....

نظرة عيناه كانت غريبة، تضم شيء آخر غير

الألم والذنب...

خيبة أمل!

نعم سليم كان يرمقها بعينين ظللتها خيبة أمل

فيها... انفرجت شفاتها المرتعشتين كي تصح

ما قالته ، لكنه سبقها حين القى نظرة قاسية

لها، ثم استدار على عقبيه وبعد خطوتين

وجدته يفتح الباب بعنف ليخرج منه...حينها

ركضت خلفه بسرعة هاتفة بصوت عالٍ :

-سليبييم، أنتظر إلى أين ستذهب؟

لم يلتفت سليم لها بل تحرك بخطا سريعة كي

يصل إلى السلم...فقد شعر بالاختناق يزداد،

وهي لا تقدر ما يشعر به ولن تقدر...أبدأ...

أسرعت خلفه وهي تصرخ بأسمه كي يتوقف،

لكنه لم يرد عليها وكأنه لا يسمعها من

الأساس، إلى أن وصلت إليه أخيراً وهو يهبط

أول درجة....

فأمسكت بمرفقه بقوة، ثم هتفت بصوت عالٍ :

-إلى أين ستذهب؟!...أنا لم أقصد ما قلته...أق...

ألتفت سليم لها وعلى شفثيه ابتسامة لم تصل

إلى عينيه، هتف بصوت ميت مقاطعاً إياها :



لكن صرختها ضاعت مع صوت صفق باب
القصر، مما جعلها تصدر منها شهقة باكية
عنيفة... ثم ركضت إلى غرفتها وصدقت بابها
بقوة...

ألقت نفسها على الفراش دافئة وجهها في
وسادتها....

لن يعود... هي تعلم... لن يعود...
كانت تكذب.. والله كانت تكذب....

هي تتألم مثله، ضعفه و ألمه ألمها... لكنها
كانت تفضل تجنبه كما يتجنبها، لم تشعر بأنه
يريد مبادرتها لأحتواءه!

تبا... تبا.. لماذا تحدثت بهذه الطريقة!

كي تضغط عليه ويخرج من صمته؟!!

كان بإمكانها استخدام طريقة أخرى غير هذه!



ستظل دائما تتصرف بتهور...

وسيظل لسانها سبب مشاكلها معه، ألم تقل

بأنها ستمد كفها له!

نعم قالت... لكن غرضها لمد كفها نحوه.. هو

الحصول على معاملة تهدد أنوثتها، و تغرقها

حناناً... قررت أن تمد كفها الفارغ نحوه كي

يهبها حنانه ورفقه... لا أن تمده هي بالدعم و

الاحتواء!

أنانية؟!

نعم، هي أنانية.. لكنها صريحة مع نفسها

بالرغم من كل شيء!

صريحة؟!

لا هي في الحقيقة ليست صريحة... فجزء من

حديث سليم كان صحيحاً، هي بالفعل رحبت



بتجنبه لها فهي بالرغم من كل شيء ليس لديها
ما تعطيه له....

"بل لديك... كان بإمكانك احتواء ألمه... كان
بإمكانك التصرف بطريقة أفضل مما فعلت... هل
آلمك اتهامه بأنك شامتة به!

أنه ليس في كامل تركيزه منذ توفي نسيم
ويهدى دائما بكلمات قاتلة.. قاسية... لكن... لديه
سبب!

فلو كنت مكانه لكنت سقطت... فيمسك هو بك
كي يساعدك علي النهوض مرة أخرى، لديه
سبب... فماذا عنك أنت.. تعاملت بطريقة سيئة
جداً مع ألمه....

لقد كان يطلب منك احتواءه... ويتساءل لماذا
تركته؟!... لماذا... حقاً لماذا!"

كان هذا رأي قلبها.. لكن عقلها العقيم... لم يحبذ
رأي قلبها...

خفت صوت بكاءها حين التقطت أذناها صوت
طرقات على باب الغرفة، فاعتدلت في جلستها
وأبعدت شعرها إلى الخلف... ثم لم تلبث أن
هتفت بصوت متحشرج :

-من؟

لم تبذل أي جهد لمسح دموعها... ولن تمسحها!
أتاها صوت أمها عنيف بعض الشيء :
-أمك...

وقبل أن تطلب مليكة منها تركها وحدها الآن ،
وجدت أمها تفتح الباب، ثم أغلقت خلفها
بهدوء...



فزمت مليكة شفتيها، واغمضت عينيها بتعبٍ
..لن ترحمها أمها لو علمت ما دار بينهما..
تقدمت داليا نحو الفراش بلامح قاتمة، تنظر
لها نظرات عاتبة، فاشاحت مليكة
بوجهها...ورفعت ظاهر كفها لتجفف دموعها...
جلست داليا على طرف الفراش، ودون مقدمات
هتفت بحدة :

-لا أريد أن أعرف ما حدث، لأتني بديهاً عرفت
ما حدث، لذا أسمعيني جيداً...لأنك لا تمتلكين
عقل سليم...

بهتت ملامح مليكة وغارت عيناها، بينما
شفتيها المصبوغتين عضتها بقوة؛ فاصطبغت
أسنانها باللون الأحمر...



نظرت داليا إلى هيئتها، ثم أردفت بنبرة أكثر

حدة :

- اين عقلك؟... أجبيني اين عقلك؟؟... كيف جعلته

يترك القصر ويرحل في هذا الوقت المتأخر،

حالته متذبذبه وأنا أعلم هذا، زوجك يتألم وأنت

عديمة فهم و ليس لديك القدرة على أي

شيء... أنسيت ما حدث له يوم علم بوفاة

تسيم!!... لقد كاد يصاب بنوبة قلبية؟...

أنت لا تفهمي ولن تفهمي ما يشعر به... لأنك لا

تريدين.. أنا... أنا من شهدت على ما حدث منذ

سنوات... وبعدها رأيت كيف تأثر سليم

بهذا.. لكنه بطبيعته تابع حياته بنصف

روح... متحملاً قسوة أبي.. وجبروته كان بإمكانه

أن يهرب، لكنه وجد هروبه غير مهم.... كان



يريدك بجواره وأنا أعلم ذلك... لكن رصيده
عندك يعتبر ليس له وجود... طريقة زواجه
منك... تمثل حاجز بينكما... لقد تزوجك
لحمايتك... وأنتِ غيبة... دائما تسأليه... لماذا
تزوجتني... فيجيبك لي أسبابي.. أليس
كذلك؟!... أنتِ ابنتي وما تفكرين به
أعلمه... لذا....

صمتت لبرهة، فارتبكت مليكة وزاغت عيناها
بقلق، بينما أصابعها فقد فركتهما بقوة حتى
كادت تسحقها...

أردفت داليا بحزم :

-هل تريدان الابتعاد؟!....

حُبست أنفاسها، وشعرت بشيء ينغز
صدرها....



ابتعاد؟!!

هل ستقوى على الابتعاد عنه؟!!

وما الذي سيمنعها?... ألم تكن تطلب منه في

البداية أن يبتعد، فلماذا الآن تشعر بالألم من

مجرد كلمة؟

لقد انتزاعها بالقوة من أرضها الخصبة

وزرعها في أرضه... ليس ذنبها هي أن كانت

أرضه بور... لا تصلح للزراعة... لكنّها، لكنّها

تأقلمت معه، تأقلمت على وجوده في

فلكها... يدور... ويدور... ثم توقف فجأة بعدما

سيطر عليه الألم والخذلان... فلماذا لم تحته على

الاتكمال... أو... لماذا لا تدور هي في فلكه؟!!

ازدردت ريقها بصعوبة تبتلع غصة مسننة

كادت تشطر حلقها نصفين..

انعقد حاجباها بشدة وكأنها تحل مشكلة
عويصة... وليس جواب عبارة عت حرفين "لا"
أو ثلاث "نعم"
لكنها هي، هي تشعر بالسؤال وكأنه... وكأنه
مرآة، وضعت أمامها لتنظر إلى نفسها...
مرآة جعلتها تطرح السؤال نفسه!
هل تريد الابتعاد؟؟؟!!!
-لاا...-

قالتها فجأة بشيء من العنف وهي تهز رأسها
بقوة ورفض، فالتوت شفتا داليا بشبه
ابتسامة... إلا أنها تماسكت و هتفت بصرامة :
-إذاً، فلتتحمليه، أنتِ قلتِ بنفسك... لا... تحمليه
وأبقى له سند... خوضي التجربة بكل
شجاعة... ومدي كفاك لتتشليه من كل هذا!!!..



ثم قامت من مكانها، فرفعت مليكة رأسها لها
بسرعة، وهتفت بقلق :

-إلى أين ستذهبين؟!... أبقى معي... أنا خائفة...
ابتسمت داليا رغماً عنها وهزت رأسها بقلّة
حيلّة، ثم مالت نحوها لتقبل جبينها بحنان،
فتهدت مليكة بتعب وربّت على كف أمها
الموضوعة على رأسها...

نظرت داليا لها فوجدت خطان رفيعان يسيران
بسرعة على وجنتيها، فعقدت داليا حاجبيها
بشدة، وهتفت بقلق :

-لماذا تبكين؟!!

صدر منها نسيج بكاء خافت، وارتعشت شفتاها
بشدة... فازداد القلق بداخل داليا.. لترفع ذقن
مليكة لها تزامناً مع هتافها :



-ألهده الدرجة أنتِ خائفة؟! -

-عليه....-

همست بها بصوت لا يكاد يسمع، فلم تسمعها

داليا بل لاحظت همماتها فقط، لتربت على

وجنتها قائلة بتساؤل :

-ماذا قولتِ؟! -

اسبلت جفنيها، ثم سحبت نفساً عميقاً لعله يخمد

النار المندلعة بصدرها...فانتظرت داليا

الجواب، لكن مليكة هتفت مغيرة مسار الحوار :

-أمي، أبقِ معي أرجوكِ....-

ابتسمت داليا بحنان ، ثم هتفت وهي تمشط

شعرها الناعم بأصابعها :

-لا حبيبتي، هذا لا يصح...ماذا لو عاد سليم

إلى الغرفة ووجدني أنام بجوارك؟، لا تخافي لن



يتركك وحدك لم يفعلها الأيام السابقة... لا

تقلقي....

أومات مليكة برأسها بشرود، فهزت داليا
رأسها بقلة حيلة، ثم لم تلبث أن هتفت بخبث

وهي تهم بالخروج :

-أدثري نفسك جيداً...فما ترتديه

خفيف....جدا....

شهقت مليكة بخجل، ثم اخفضت عينيها بسرعة

تنظر إلى نفسها، فشعرت بقليل من الراحة من

ارتدائها للمبذل الخاص بالقميص....لكنه مبذل

وقح نوعاً..فقد كان شفافاً...قليلاً....

أغلقت داليا الباب خلفها بهدوء...وعلى شفيتها

أبتسامة صغيرة..ثم هبطت درجات السلم

متجهة إلى غرفتها..



تمددت مليكة على الفراش...محدقة في السقف

كما كان يفعل!

ندم...ندم شديد تشعر به مما صدر منها

وتصرفها بهذا الشكل المخزي!

أي عاقلة تفعل ما فعلته، لقد كان يسألها لماذا

لم تشعري بوجعي...لماذا لم تسألي!؟

لماذا؟؟؟

تتهدت بتعب، ثم أغمضت عينيها تحاول

النوم...لكن عبثاً..فقد طار النوم من

عينيها...أو بشكل أصح...هي باتت لا تقوى

على النوم براحة وأمان وهو غير موجود

بجوارها!

=====



دفع باب الشقة بملل، ثم أغلقه بقدمه... واتجه
إلى مقعد ضخم ألقى جسده عليه... ورفع قدميه
ليضعهما على المقعد المقابل...

وماذا بعد؟!!

هل سيظل على هذا الحال!

لقد مرّ شهرين... ولم يستطع تجاوز ما حدث!

وكيف سيتجاوز وهو السبب فيما حدث؟!!

لقد مات نسيم... بل قُتِل!

لقد مات من كان يهون عليه كل شيء!

صديق... صديق بمثابة أخ.. بل أكثر!

ليته رفض مساعدته.. منذ سنتين!

ليته رفض... وليته تمكن من إقناعه بالهرب...

مروان... نعم مشكلة مروان كان شغله

الشاغل... فنسى ما حدث... وبما أصاب صديقه..



لقد توفى!!!!

توفى!!!!

لم يعد له وجود؟!

لا وجود لنسيم؟!

لا وجود للكف التي كانت تربت على كتفه بدعم

وحنان!

رحل وتركه وحده؟؟

يشعر بالخوف... وللمرة الثانية يغادره قطعة من

روحه وهو يقف عاجزاً.. وبعدها يصاب بالخوف

والهستيرية باحثاً عما طار من بين يديه!!

أنه... أنه يريد نسيم... الآن....

أعتدل سليم في جلسته مخفضاً قدميه أرضاً.. ثم

لم يلبث أن همس بصوت واهٍ... متألماً :



-لقد تركتني وحدي...بعد أن أقسمت علي
وجودك بجواري؟، لقد خنت العهد يا
صاحبي...وبقيت وحدي..حملتني ذنب
عظيم...قصم ظهري نصفين...
ذنبك ورحيلك كسرني...أبهذه السهولة
ترحل!..دون أن تودعني...يأتي ليّ خبر موتك
كالغريب...لقد احتضنت جسدك...وصرخت
بأقوى صوتي...أريدك لا ترحل!، لماذا
رحلت؟؟؟؟؟؟...صوتك...صوتك وأنت تهتف
بشجاعة...''سأقف بجوارك، سأعمل عنده
وسأكون ذراعه الأيمن لآتي لك بكل تحركاته
كي يطمئن قلبك على ما تبحث عنه خوفاً من
وصوله قبلك..هو لا يعلم بشأن صدقتنا،
وسنعمل أشياء كثيرة تجعلك تظهر وكأنك

عدوي... سأقف بجوارك.... "وقتها صرخت بك
وقولتُ لكُ" لا يا نسيم... لن يحدث.. أنا سأتدبر
الأمر" ... لكن رأسك كانت صلبة جداً..
..واقنعتني.. وبالرغم من قلقي وعدم
رضاي... إلا أنني كنت أناني... نعم أنا كنت
أناني... فكرت بنفسي.... آسف يا
صديقي... آسف يا نسيم... سام...
لم يستطع متابعة حديثه فقد تحشرجت الكلمات
في حلقه.. ودون شعور منه... سألت دمعتان
على وجنتيه فارتعشت شفثاه وشعر بغصة
مسنة تحتل حلقه فكادت تشطره...
رفع رأسه إلى السقف طالعه بعينين غائرتين،
ثم صرخ فجأة بصوت شق سكون الليل :



لقد قُتِلَ بسببي... ورحل بعيداً

عني!!... بسببي....

كان يمارس جلد الذات على نفسه... كي يضيفي

الحامض على جرحه الملتهب...

كل يوم.. كل يوم يمارس جلد الذات بكل

مهارة... يذهب إلى قبر نسيم ويجلس أمامه

يحدثه وكأنه ماثل أمامه.. كما كان يفعل دائماً...

يتذكر جيداً يوم أتى له اتصال وهو في طريق

عودته إلى القصر بعد مقابلته لمروان....

يومها أخبره المتصل بأن سالم قد حرق عدة

مزارع لعدة رجال قلبي الحيلة... وأجبرهم على

التنازل دون مقابل... وقتها شعر بالغضب يتفاقم

بداخله... هو لا يجب هذه الطريقة في



العمل... لكن ما تلى... كان كنصل سكين

تلم... غرر في قلبه...

لقد أخبره بأنهم وجدوا جثمان نسيم ملقى

بجوار سيارته... مضروباً بوحشية... وكانت

الضربات خطيرة جداً.. كان لديه أمل... نعم كان

لديه أمل وهو يطير بسيارته نحو المشفى الذي

أخبره بها المتصل... بجواره عمته داليا... تنظر

إليه بقلق...

شعرت بخطورة الأمر حين لاحظت سليم وهو

يرفع عينيه إلى السماء ويرمش بهما بقوة

وكأنه... وكأنه يمنع دموعه؟...

سألته ماذا حدث... فأخبرها بصوت متألم عن

أبعاد الموضوع باختصار شديد... فدمعت عيناها

بتأثير وربتت على ركبته بدعم... فشعرت



بارتعاش جسده..حينها علمت بأن الأمر أكبر

من ذلك...

لن ينسى أبداً مظهره حين ترجل من سيارته
وترك بابها مفتوحاً...ليركض نحو باب المشفى

كالمجنون...يهذي لا يشعر بما يقوله...بينما

داليا فقد تركها مع إحدى رجاله...كي يعيدها

إلى القصر..

وصل إلى غرفة مغلقة من المفترض أنه

بداخلها...لا يعلم كيف تسمّرت قدميه

مكانه...ولم يقوَ على الحراك...فظل مكانه إلى

أن خرج طبيب من الغرفة والحزن يعلو

محياه...فانقبض قلبه وشعر بألم عنيف

يكتنفه...

انفجرت شفّته وهتف بصوت مرتعش :



-كيف...كيف حال نسيم!؟-

أقترب الطبيب منه، ثم ربت على ذراعه هاتفاً

بأسى :

-أدع له بالرحمة...لقد توفى..إصاباتة لم تكن

هينه أبداً...وبالرغم من أنها ضربات

واضحة...وعلى ما يبدو بأن من فعل هذا كان

يريد أصابته أصابات لا شفاء لها...لكن بعض

الضربات كانت عنيفة جدا وفي أماكن

خطيرة....وغير ذلك...فقد كان هناك جرح غائر

في جانب بطنه أصاب عضو من

أعضاؤه..ولتأخر وصوله إلى

المشفى...توفى...ادع له...



وقتها شعر سليم بان الأرض تميد له...وبسواد
مفجع يغشي عينيه...لكنه قاوم كل هذا...وهتف

بارتعاش :

-أريد أن أدخل له...أرجوك...

تعاطف الطبيب معه...وحاول إقناعه بعدم

أقدامه على ما يريد...لكن سليم كان مصراً

على طلبه..فسمح الطبيب له...

ساعتها...دلف سليم إلى الغرفة...بساقين شعر

بهما كالأسفنج الرخو...وعينين دامعتين...

نظر إلى الجسد المسجى على الفراش...وغطاء

أبيض نظيف يغطيه بأكمله..

أقترب سليم أكثر...هامساً بأسمه بطريقة مثيرة

للشفقة :

-نسيم!!!



وصل إلى الفراش، فامتدت أنامله المرتعشة،
وأبعد الغطاء عن وجه نسيم... فظهر وجهه
مغطى بالكدمات المفزعة... مغمضاً عينيه
بسلام.....

وقتها لم تتحمله ساقيه أكثر... فسقط على ركبتيه
بجوار الفراش... عيناه مرتكزتان على
نسيم... وكأنه... وكأنه لا يصدق.... وضع سليم
كفه على صدره الذي كان يؤلمه بقوة.....
أقترب بوجهه من نسيم والدموع تتساقط على
وجنتيه، همس سليم في أذنه برجاء... وصوته
وكانه طفل... طفل لا يتحمل ما يراه...
-نسيم... قم معي... ولا تفعل أفعالك تلك... أنا
أريدك بجواري... لا ترحل....



والرد كان صمتاً مريعاً أصابه بالاختناق وجعله
يصرخ بقوة... وهو يضم جسد نسيم له غير
مهتماً بهتاف الممرضة.. واعتراض الطبيب،
لكنه كان في حالة من الهستيرية الحادة.. مما
جعلته يهذي بكلمات غير مفهومة... ومع كل
كلمة يهتف بها... كان يزيد من ضم جسد نسيم
المستكين نحوه..

كان الطبيب والممرضين يحاولون إبعاده عن
جسد نسيم بشق الأنف.. لكنه كان متشبث به
بقوة.. مردداً "لا تتركني"

وفجأة... شعر بأنفاسه تختنق، غير قادراً على
استنشاق الهواء... وازدادت الدنيا قتامة من
حواله.. فنظر إلى طبيب بصوت مبحوح بدا كمن
يحاول التقاط انفاسه بصعوبة :

-أنا...أنا لا أستطيع إلتقاط أنفاسي!

وبعدها لم يشعر بشيء...أخر ما رآه هو وجه

نسيم الذي تركه مرغماً...وبعدها أختفى وجهه

بالغطاء...فشعر سليم بالسواد يزداد في

عينيه...وكانه أصيب بالعمى...

وحين فحصه الطبيب..أخبره بأنه كان على

وشك الإصابة بنوبة قلبية...وطلب منه الراحة،

لكن كيف سيحصل على الراحة بعد ما حدث؟

عاد سليم من تلك الذكرى القاسية بعينين

ازدادت أحمراراً،

وملامح بدت وكأنها فاقدة للروح، وفي وسط ما

يشعر به...عادت ذكرى أخرى لتداهمه وعادت

الأصوات لتتداخل في أذنيه كالناقوس..

-سليم أنا لا أريد أن أتركك!!!



-أرجوك أبقى معنا!!!-

-لا تكن مثل سالم يا سليم...أريدك بجواري!!-

والجملة الأخيرة كان أكثرهم...قسوة....

فاستعرت عيناه رغم وهنها...وقبض كفيه حتى

ابيضت مفاصلهما...

سيبتعد عن القصر ولن يعود له لعدة أيام...فهو

غير قادر على النظر في وجه سالم...ولا هو

بقادر على تحمل كلمات مليكة السامة...حتى لو

لم تكن تقصدها!

=====

جلست على السلم بملامح شاحبة، تهز ساقتها

بتوتر، وتفرك أصابعها بارتباك وقلق...

مرّ يومان وهو بالخارج، لم يأتِ إلى القصر ولم

يبذل أي



جهد ليطمئنها، حتى اتصالاتها لا يجيبها....
لقد تمكن الخوف والقلق منها، صارت تتخيل
أشياء كثيرة، تارة تتخيل أنقلاب سيارته في
مكان لا يعلمه أحد....
وتارة تتخيل إصابته بوعكة صحية، فحال قلبه
ليس على مرام!
كل هذه التخيلات تتدفق برأسها، كمطرقة
ضربت قلبها وروحها بقوة!!
فليرد عليها ويطمئنها....
زفرت مليكة بعصبية...
لم تشعر بسالم الواقع على بعد درجتين منها،
يرمقها بابتسامة بغیضة..



أصدر صوت بعصايته الابنوسية، فانتفضت
مليقة مكانها، والتفتت تنظر له دون أن تقف بل
ظلت على موضعها...

فزجرها سالم، وهبط الدرجتين الفاصلة بينهما
ليقف بجوارها، فتأففت مليكة بنفاذ صبر،
وعادت بنظرها إلى هاتفها، فنظر سالم إلى
الهاتف وهتف بخبث :

- لا تقلقي عليه، لقد مرّ يومين ولم يأتِ إلى
القصر، بالتأكيد وجد راحته في مكان آخر مع
أخرى؟؟

تصلبت أصابع مليكة على شاشة هاتفها،
واتسعت عيناها بصدمة كمن تلقى صفة للتو...
رفعت رأسها لتنظر إليه بعينين متسعيتين، ثم
هتفت بعدم فهم :



-ماذا تقصد بأخرى؟

اتسعت ابتسامة سالم، وهتف ببساطة وكأنه
يتحدث عن الطقس لا عن احتمال خيانة سليم
لها ! :

-لا أظنك غبية...سليم بالتأكيد سيجد ضالته مع
أخرى، وهذا ما أنا موقن منه، فمن يتزوجك
يشعر بالاختناق!

فغرت مليكة شفيتها، وأمتقع وجهها جراء
إهانة سالم لها...لكن السم الذي بثه بها جعلها
تتغاضى عن إهانتته وتفكر...

هل يخونها سليم فعلاً؟؟؟

هل لديه علاقات نسائية كأي رجل عابث؟؟
ولم لا، فهو كما كانت تقول تربية سالم!....



وسالم بإمكانه جعل من يجلس معه لدقائق يقتل

ويسرق!

فماذا عنه هو، وهو يعتبر نسخة معدلة من

سالم!!..

أفكار سوداوية تتلاعب بعقلها في هذه اللحظة!!

غافلةً عن أشياء كثيرة، كثيرة جداً...

كموت نسيم الذي قصم ظهره إلى نصفين،

فحتى لو كان يفعل ما يقوله سالم، لن يقوى

على فعل هذا وهو محطم؟؟

لقد نجح سالم في بث سمومه بها...لقد نجح

فعلاً...مستغلاً عدم ثقتها بنفسها

وتذبذبها...أستغل عدم ثقتها في سليم نفسه!

هزت مليكة رأسها بقوة، ثم اشاحت بوجهها

عن سالم وهتفت بصعوبة :

-هل تعرف مكانه؟؟؟...

لم يرد سالم عليها بل تابع هبوط السلم، فظنته
سيتجاهلها، لكنّها تفاجأت به، يهتف باختصار

شديد :

-لا...

ثم اختفى عن نظرها تماما، فأطرقت برأسها،
وشبكت أصابعها تاركة هاتفها في حجرها!!

خيانة؟؟

أغمضت عينيها بقوة، ثم هزت رأسها بقوة

تبعد تفكيرها!!

أنتفضت مكانها على صوت رنين هاتفها،

فجذبتة بلهفة وقد تلاشت كل ظنونها

السوداوية..



تتمنى أن يكون هو، يتصل بها ليطمئنها، لكن
ظنها قُتل في مهده حين قرأت أسم المتصل،
سحبت نفساً عميقاً ثم فتحتة ووضعتة على
اذنها هاتفة بابتسامة باهتة :

-كيف حالك!؟-

أبتسم الجانب الآخر بحنين، ثم هتف بنبرة حارة
:

-لست بخير، لكن كيف حالك أنت!؟، لقد أشتقت
لك...

ارتبكت مليكة، وتوقفت الكلمات في حلقها،
فأسرع الجانب الآخر مصححاً :

-أقصد لقد أشتقنا لك!!-

أبتسمت مليكة بعدم راحة، ثم هتفت بهدوء :

-كيف حال ريهام!؟-

أبتسم الجانب الآخر بهيام، شاعراً بالراحة بعد
سماعه لصوتها الذي غاب عن أذنيه منذ فترة!
تحديداً منذ تزوجت من ذاك الذي يدعى سليم،
كم يبغضه ويكرهه...

يتمنى له السوء دائماً، مجرد ذكر اسمه أمامه
يشعل غضبه ونقمة عليه...

زفر دون صوت، ثم هز رأسه كي يبعد تفكيره،
ثم لم يلبث أن هتف بصوت حاول أن يخرج منه
طبيعياً :

-بأفضل حال!

أومات برأسها وكأنه يراها، ثم عضت على
شفتيها بارتباك... هل أنتهت المكالمة أم لا؟؟
لماذا صمت بعد جملته..



هل أغلق الخط بينهما بالفعل وهي لم تشعر ،
ستكون شاكرة لو حدث هذا...
ابعدت الهاتف عن أذنها لتنظر إلى شاشته،
فوجدت الخط لا يزال مفتوحاً، فزفرت بدون
صوت، وأعدت الهاتف على أذنها مرة أخرى،
فوجدته يقول بمرح :

-ألن نراك يا مليكة؟!، أمني أشتاقت لكِ جدا
وتريد أن تراك...أتذكرين يوم طردتنا من البيت
وأنا وأنتِ وريهام...
رغماً عنها صدرت منها ضحكة بصوت خفيض
نسبياً، فابتسم الجانب الآخر بدوره، وأردف
ممازحاً :

-يومها أقسمت ألا تتركنا وركضت خلفنا بالخف
خصاتها قبل أن تطردنا...



هنا لم تستطع تماك نفسها أكثر، فصدرت منها
ضحكة عالية، وأغمضت عينيها بشدة...
فاتسعت ابتسامة الجانب الآخر حتى شملت
وجهه...

هتفت مليكة من وسط ضحكتها وهي مطرقة
الرأس تتلاعب بخصلة من شعرها الحريري :
-الازلت تتذكر؟؟؟

وقبل أن تسمع إجابة الجانب الآخر، رأت حذاء
أسود يقف على الدرجة التي تسبقها، فرفعت
رأسها بسرعة لترى صاحب الحذاء وهي تتمنى
بداخلها أن يكون سليم، وبالفعل كان وجه سليم
يطل عليها من علو...

نظرت إلى وجهه لوهلة، فرمقها سليم بنظرات
غامضة...



لم تشعر بنفسها وهي تندفع بسرعة البرق
لتتعلق بعنقه تاركةً هاتفها يتدحرج على درجات
السلم نتاج حركتها، أجفل سليم وكاد يسقط
بظهره على درجات السلم نتيجة لحملها التي
ألقته على جسده فجأة، تشبث سليم بحاجز
السلم كي يدعم نفسه، بينما هي لم تشعر بكل
هذا، بل بدت وكأنها في عالم آخر وهي تتعلق
في عنقه بقوة غريبة، تخفي وجهه به ولا
تقوى على الكلام أو التعبير عن خوفها وقلقها
عليه...

ظل سليم متشبثاً بالحاجز، يتطلع إلى البعيد،
نظراته كانت تحمل شيء من الغضب، عيناه
كانتا غريبتين الحزن يظهر واضحاً على ملامح
وجهه....



أغمض سليم عينيه لثانية، ثم لم يلبث أن رفع ذراعيه يحاوطها ويضم جسدها نحوه بقوة...

فتحت مليكة عينها ببطء، ثم رفعت وجهها

عن عنقه...لتهمس دون وعي منها :

-أين كنت؟؟، لقد كدت أموت قلقاً عليك!

-أصمت أرجوك، لا أريد أن أسمع صوتك، فقط

أريد أن أحتضنك.

قالها سليم بهمس وهو مغمض العينين، صوته

كان مبحوحاً !

صمتت، نعم صمتت وكأنها كانت تنتظر أمره..

أخفت وجهها مرة أخرى في عنقه، وشدت

ذراعيها حول عنقه، فشدد هو الآخر ذراعيه

حول جسدها الهزيل، وأخفى وجهه في شعرها،



متأوهاً بصوت مكتوم، فرقت عينيها وشعرت

بتعاطفها يزداد نحوه...

هل يخبرها أن عناقها هذا أفضل من مئات

الكلمات....

أفضل من نظرة الشفقة التي ترمقها به، أفضل

من كلماتها التي تلقيها في وجهه دون أن

تحسب حسابها....

كان يريد عناق كهذا يوم فقد نسيم...

عناقها كان، كان كالكف التي ربتت على جرحه

وألمه، فشعر بالراحة!

أبتعد سليم عنها مرغماً كارهاً، فابتعدت هي

الأخرى بإحباط..

نظر سليم لها بعينين كبركتين هادئتين تخفيان

غضب أهوج... مستعر....



طال حديث عينيها الصامت... لم يقوَ أيا منهما
على التحدث أو الحراك....

الحديث الصامت بينهما كان أفضل بكثير من
ألف كلمة يتفوه بها أياً منهما، لا زالت رائحة
عطرها متعلقة بأنفه لتشعره بالاشتياق القاتل
نحوها...

أما هي فقد كانت شعورها غريب جداً...
قلق ممتزج بالهفة عليه... لهفة لم تعهد لها
أبداً... أبداً

قرر سليم قطع حوار عينيها، فأشاح بوجهه
وهتف بنبرة غريبة :
- مع من كنتِ تتحدثين؟؟؟



رفعت مليكة حاجبها بعدم فهم لوهلة، ثم لم
تلبث أن زاغت عيناها، وهتفت بتلعثم وابتسامه
مرتبكة :

-أنه، أنه شقيق ريهام....

التفت سليم برأسه لها كطلقة رصاص، ثم هتف
بنبرة جعلتها ترتجف رغماً عنها :

-شقيق ريهام؟!...ولماذا يحدثك؟!...وما هو الذي
يتذكره...لم أسمع من مكالمتك اللطيفة مع
سوى...الأزلت تتذكر؟!...

عقدت مليكة حاجبها بتوجس، ثم هتفت
ببساطة :

-شقيق ريهام بمثابة شقيق لي، تربيت معه..لا
تهتم...أخبرني أين كنت؟؟؟



شعرت بارتجافها يزداد من نظرتها التي ألقاها
بها.. نظرة كانت غاضبة رافضة، لكنه تحكم

بنفسه وابتسم بسخرية وهتف :

-كنت في عزلة... قضيت اليومين الماضيين في

مكان بعيد عن القصر، كي لا تتحملي حالتي

التي باتت سيئة جداً...

تجاهلت مليكة نبرته الساخرة وكلماته العاتبة،

لتهتف بسرعة وهي تفرك أصابعها بقوة :

-وحدك؟؟؟؟!

أجفل سليم من كلمتها الغريبة، فارتفع حاجباه

معاً، وهتف بحيرة :

-عفواً... لم أفهم، ماذا تقصدين ب"وحدك"

تلك؟؟؟

عضت مليكة على شفتيها بقوة حتى كادت
تدميها، ثم رفعت كفها لتبعد شعرها خلف أذنها
بعصبية، فراقبها سليم بتوجس، زاد أكثر حين
هتفت بعصبية :

- آآ... أقصد، هل كنت وحدك في عزلتك تلك!!

مال سليم برأسه قليلا، وهتف بملل :

- أسمها.. عزلة، فكيف سأرافق أيا كان!!، ماذا

بك!!!

كورت مليكة أصابع قدميها تحتها، وزاغت
بعينيها بعيداً عنه، فزم سليم شفتيه بنفاذ صبر،
وتحركت ساقاه ليصعد درجتين معاً، فهتفت
مليكة بسرعة :

- هل ستخرج مرة أخرى!؟

وقف سليم مكانه، ثم هتف وهو ينظر لها من

فوق كتفيه :

-نعم، سأسافر!!

اتسعت عينا مليكة بذهول، وفغرت فمها...

سيسافر؟؟؟

بهذه البساطة.. سيسافر ويتركها!!

ألهذه الدرجة يريد الابتعاد عنها؟؟؟

لماذا سيسافر ويتركها.. لماذا؟!

أنتقل السؤال من تفكيرها إلى شفيتها اللتين

كانتا ترتجفان بشكل واضح :

-لماذا!!

لم يلتفت سليم لها، بل تابع صعوده تزامناً مع

هتافه بنبرة جافة نوعاً.. أمتها وبشدة :

-سأسافر لغرض السفر... ولن أعود قبل شهر!



لم يسمع صوتها، ولم يشعر بأي حركة خلفه..

فوقف سليم مكانه، والتفت لها بقلق..

اتسعت عيناه بذهول، وهتف بدهشة :

ـمليكة؟

=====

خرجت من البوابة الرئيسية بظهر منتصب،

وأنف مرفوع بشموخ...عيناها جامدتان

كالثج....

مرت بجوار سيارة تعرف صاحبها جيداً،

فأسرعت خطاها كي تتخطاه..لكنها لم تتمكن من

الهروب وهي تراه يفتح باب السيارة بسرعة،

ثم خرج منها واستدار حولها ليقف أمامها

بسرعة....



زفرت مروج بعصية، ثم رفعت رأسها له

وهتفت من بين أسنانها :

-ابتعد عن طريقي يا مالك!!

عقد مالك ساعديه أمام صدره، ثم هتف ببراعة

:

-أشتقت لك!

عضت مروج زاوية شفتيها بقوة، ثم هتفت

بصوت حاد :

-أحترم نفسك وابتعد عني..

رفع مالك حاجبه بدهشة حقيقة، ثم هتف ببراعة

وهو يلوح بكفه :

-وماذا قلت أنا؟؟..

قلبت مروج شفتيها، ثم هتفت باستياء :

-لا تليق بك البراعة يا فنان؟



رفع مالك حاجبه أكثر، ثم هتف بتساؤل :

-حقاً؟؟-

أومات برأسها، فابتسم مالك لها بسماجة،

وهتف وهو يغمز بعينه بعث :

-هل زدتِ جمالاً أم أن نظارتي تحتاج إلى

تلميع!!!

زفرت مروج بعصبية، ثم زمت شفيتها بقوة

تتحكم في سيل السباب الذي كادت تلقيه بوجهه

دون أي احترام، فأطرقت برأسها أرضاً...

لماذا يحاصرها بهذا الشكل..منذ شهرين وهو

يتواجد في أي مكان تذهب إليه، لماذا يريد أن

يفرض سيطرته عليها مرة أخرى؟؟

بعد فعلته النذلة التي بالكاد تخطتها!!!!

لماذا يحاول احتلال عالمها من جديد!

لماذا؟؟؟

رفعت رأسها فجأة فضبطته متلبساً وهو ينظر

لها من مقدمة رأسها حتى أخمص قدميها

بنظرات عابثة جديدة عليه...

فلم تشعر بنفسها وهي ترفع كفها لتسحب

نظارتها من فوق أنفه، ثم كسرتها نصفين بكل

قوة، كل هذا أمام عيني المصعوقتين من

فعلتها، فغر شفتيه بصدمة، ثم هتف بعدم

تصديق وهو يلاحظ ابتسامتها المتشفية :

-تبارك لك... لقد كسرت النظارة وأنا بالكاد أرى

بدونها، كيف سأعود إلى بيتي؟؟؟

أبتسمت مروج له بسماجة، ثم لم تلبث أن ألقنت

النظارة أرضاً ودعستها بقدمها....

فاتسعت عينا مالك أكثر، وهدر بها بغضب :



-مرووووج، ماذا تفعلين؟؟..لقد كسرتها
ودعستها...أنا أعاني من ضعف في النظر
أقرب إلى العمى؟؟؟

توقفت مروج عن دعس النظارة، ورفعت
عينيها له بندم خفي...لكنها تماسكت وهتفت
بكبرياء وهي تتوي الرحيل :

-لا يهمني!

ثم تجاوزته، لكن قبضة مالك منعته من
الرحيل، فزمجرت مروج بغضب، وهمّت
بالصراخ بوجهه، لكن رنين هاتفه منعها،
فكزت على أسنانها بقوة وبرقت عيناها
بغضب..حاولت تحرير مرفقها، لكن قبضة مالك
كانت قوية على ذراعها...



أخرج هاتفه من جيب بنطاله، ثم قربه من
عينيه بشدة يحاول قراءة أسم المتصل، فعضت
مروج على شفثيها بندم، لتقف على أطراف
أصابعها، وتتنظر إلى هاتفه لتقرأ الأسم...
هتفت مروج بجمود :

-أنه حمزة!-

عقد مالك حاجبيه بقلق، ثم فتح الهاتف ووضع
على أذنه ليتأتي صوت حمزة الباكي...فهتف
مالك بتوتر :

-ماذا حدث؟!...لماذا تبكي؟!-

أستمع إلى كلمات حمزة الغير مرتبة، وسرعان
ما أحمر وجهه وارتجفت شفثاه، ليهتف مالك
بنبرة ثابتة نوعاً بالرغم من الخوف البادي على
وجهه :

- لا تلمسها حتى آت إليك، حاول ألا
تحركها.. أهتم بروى يا حمزة.. كن رجلاً....



الفصل الثاني عشر



"القلب كالزئبق إذا ما وقع في الخطأ يختفي"

.....

جلس على طرف الفراش يحدق في ملامحها
الشاحبة وشفتيها الزرقوين، جسدها مستكين
على الفراش وعيناها واهنتان لا تريد



مصالحته، زم شفتيه بقوة، ثم مال نحوها وطبع

قبلة طويلة على جبينها، ثم همس بتحشرج :

-أنا آسف، أرجوكِ سامحيني، أنا لا أتحمل

خصامك...

أشاحت بوجهها عنه، وبكت في صمت، فانعقد

حاجباه وتأوه هامساً :

-أمي!

أغمضت عينيها بقوة، وهزت رأسها برفض

تزامناً مع همسها من وسط دموعها :

-لن أسامحك يا مروان، لن أسامحك عما فعلته

بي وقلبي الذي سقط في قدمي حين علمت

بمكان وجودك، لماذا يا مروان، لماذا يا ولدي؟

أسبل مروان جفنيه، ثم رفع كفه ليدلك جبينه

بقوة، ماذا سيقول لها؟؟

لقد مرضت أمه وتدهورت حالتها بشدة حتى

بعد رجوعه، هو يعلم بأنه أقدم على فعل

متهور!

وأمه لن تسامحه بسهولة، وهذا بالفعل ما حدث

طوال الشهرين الماضيين، تتجنب النظر إلى

عينيه وترفض التحدث معه بل ترد عليه بعدة

كلمات مقتضبة، ترفض أن تتناول من يديه أي

شيء... ترفض أن يجلس ويرعاها ليلاً...

من يراها الآن لا يصدق أنها نفسها التي

صرخت بذهول وفرحة حين وجدته واقف

أمامها ولا يوجد أي خدش في جسده، يومها

كادت تطير من فرط فرحتها بعودته لها، لكن

بعد مرور ساعات قليلة وجدها تتحاشى التحدث

معه وتحذجه بنظرات عاتبة، وكم ألمه هذا...

والدته بالنسبة له ليست امرأة أهدرت صباها
كي تهتم به وتربية، بل امرأة كانت له الحياة

والأمان!

لا يصدق حتى هاته اللحظة أنها لا تريد

مسامحته...

لقد طال خصامها جدا....

زفر مروان بتعب، ثم وضع رأسه بين كفيه

وهمس بتعبٍ :

-أمي، أنا أسف، أرجوكِ سامحيني....

أدارت رقية وجهها له، ثم نظرت إلى عينيه

نظرة ذات مغزى، فارتبك مروان وزاغت عيناه

بعيداً عن عينيها، لتتهف رقية بصوت رغم

وهنه إلا أنه كان حازماً يقر حقيقة وليس

سؤالاً:



-أنت تخطط لشيء من وراء ظهري وظهر

سليم!

امتقع وجهه وزاغت عيناه الخضراوان اللتان

قمتما وازداد بريق الشر بهما، فلعلت رقية

شفتيها وهتفت بصوت عالٍ ضاربة بقبضتها

على الفراش :

-ألن تتعقل وتتصرف بعقلٍ؟؟، ماذا فعلت لك كي

تفعل بي كل هذا؟؟؟...ما الذي تريده بالضبط من

وراء بحثك عنها، ألم يحذرك سليم؟؟؟

ضغط مروان على أسنانه بغيظ، وقبض كفيه

بقوة حتى أبيضت مفاصلهما....

هذه النقطة بالذات تزيد من جنونه وإصراره

على البحث كي ينقذ صبا من هاني ذاك!

لا يصدق أنه تخلى عنها وقبل بما أمر به سليم!

مرض أمه وقف أمامه ووضعها أمام مرآة

الحقيقة!

فسأل نفسه، هل ستظل على إصرارك وتبقى في

السجن كي لا تتزوج صبا من هاني؟؟

هل ستترك أمك وحدها مريضة والخوف يكاد

يقتلها؟؟؟

هل أنت صادق في اعترافك بحبها أم أنك

تسرعت؟؟؟

وقتها لم يستطع أن يرفض ما قاله سليم،

فمرض أمه كان كالصفعة التي لم يشعر بها

تلطم وجنته لا....

تلطم قلبه وعقله، فاختر ما يتوجب عليه

أختياره، العودة إلى أمه المريضة والتي كادت

تموت خوفاً عليه!



لكن لماذا لم يشعر بالراحة...

شعور غريب يكتنفه منذ رآها ترحل مع غيره
أمام عينيه، تنظر له ودموعها تتسدل كالمطر
على وجنتيها، حتى أخضل ثوبها بالدموع،
شعور كالسكين التلم يوخز قلبه دون رحمة!!
أغمض مروان عينيه بقوة حتى تجعد جفناه، ثم
فتحها وهتف بصوت غريب :

- أنا لا أفعل شيء يا أمي، بل أحاول أنقاذ فتاة
بريئة ليس لها أح....

- احرص ولا تتكلم، احرص وكفى حماقة... أنت
غريب!، حقاً غريب؟... الفتاة ورحلت مع
خطيبها وزفافها غداً، ما شأنك أنت في كل
هذا؟؟؟؟؟...ها... ما شأنك أننننت؟



صرخت بعبارتها مقاطعة إياه، تلقي الكلمات في
وجهه، كلماتها التي كانت كالسوط، يضربه
فيصرخ دون صوت، لم يشعر مروان بنفسه
وهو ينتفض واقفاً، ويهتف بصوت عالٍ وهو
يلوح بذراعيه :

-ماذا تريدني أن أفعل؟؟؟، لم أتوقع أن
يتركها سليم بهذه البساطة وهو يعلم حقيقة
شقيق زوجها المتوفي، كنت أتوقع أن يخلصها
هو من بين برائن ذاك الهمجي، لكنه تنحى
جانباً وتركها تذهب معه..لم يأت يوم خروجي
بل كلف من يهتم بي ويسافر معي إلى
المدينة...وفر لنا سكن جديد كي لا يصل سالم
لنا..لكن لماذا أختفى بهذا الشكل؟؟؟..



هزت رقية رأسها بنفاذ صبر ودموعها تتسابق

على وجنيتها، انفرجت شفتاها وهتفت :

-يا ولدي...أبن عمك في حالٍ لا يسمح له بكل

هذا؟؟، لماذا لا تقتنع؟!، أخبرني؟؟...وما شأنه

هو كي ينقذ صبا؟؟؟؟...هو في مكانٍ ونحن في

مكانٍ آخر...لن أكذب عليك وأقول أنني لا أشعر

بالحزن والأسى على صبا..لقد أحببتها منذ

رايتها وجلست معي، الفتاة منكسرة...لكن

مصلحتك أنت أولاً بالنسبة لي...لو كانت سبباً

لأذيتك فلتذهب إلى الجحيم ولن أهتم، أنضج

وأمنع تهورك الذي جعلك في يوم من الأيام

ترى أشياء لا تُحتمل، ومنهم الحادث الملعون

والذي بالمناسبة لا يفارقك منذ فترة، صوت

صراخك يصل لي..

صمتت تلتقط أنفاسها المتقطعة بشق الأنف،
كفيها يرتعشان، ووجهها يزداد شحوباً...
وقف مروان أمامها بملامح غامضة، كفيه في
خصره، و صدره يعلو ويهبط بعنف، لن يصمت،
سيتهور؟

نعم سيتهور.. لينقذها من جحيم ذاك السادي...
الحادث؟

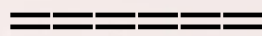
الحادث الذي باتت تفاصيله تلاحقه في أحلامه
لتحولها إلى ساحة من الذكريات
المؤلمة..والجثث الكثيرة، الكثيرة جداً....
أخفض مروان ذراعيه، ثم أطرق برأسه أرضاً..
فأغمضت رقيه عينيها بألم وهزت رأسها...
يجب أن توقفه، مروان متسرع، يفكر بقلبه لا
بعقله وهذا ما يجعلها خائفة عليه دائماً...



فتحت عينيها على صوت أقدام تبتعد، فرأت
مروان يفتح باب الغرفة، ثم وقف مكانه وهتف
من فوق كتفيه :

- سأخرج قليلا يا أمي، أحتاج إلى الجلوس
وحددي، ستجلس جارتنا معك...
ثم أغلق باب الغرفة خلفه بهدوء، وسرعان ما
أتى صوت صفق باب الشقة....

فأسبلت رقية جفنيها، تمددت على الفراش!
تدعو الله أن يحفظه من كل شرٍ، ومن تهوره....



نقلت نظرها في الغرفة الفارغة بعينين ميّتين،
ووجه شاحب، كفها الأيمن رُبط بحبلٍ سميك في
إحدى أعمدة السرير الوحيد الموجود في
الغرفة، بينما كفها الآخر كان يداعب وجنة



ابنتها الجالسة بجوارها تلعب بالألعابِ طفولية،
تجلس على الأرض المصقولة والمكشوفة
فانتقلت برودتها إلى جسدها الذي كان يستره
فستان غاية في القصر لا تعلم كيف ارتدته،
وكيف فعل هاني هذا بها؟؟

لم يحترم أنها كانت زوجة أخيه، كيف سمح
لنفسه أن يدخل عليها الغرفة وهي في هذه
الحالة وبهذا المظهر المخزي!

لقد كرهت نفسها، حقاً لقد كرهت نفسها
وصارت تتمنى الموت كي تحصل على
الراحة...

تشعر بأنها مدنسة بلمساته ونظراته، لا تقوى
على منعه...



خلال الشهرين الماضيين أكتسبت شراسة
غريبة، تراجع غباءها وأصبحت أكثر ثباتاً. فما
رأته لم يكن بهين أبداً، ما رأته من هاني جعل
غضبها وشراستها يتفاقما بداخلها وتتمو
الرجبة في قتله والقصاص لنفسها منه...
زفافها سيكون غداً، لا تصدق هذا!
كيف ستتزوجه وهي ترفض الزواج منه؟؟؟
سيتزوجها غصباً وهي لن تسمح بهذا أبداً، فقط
فليحرر وثاقها ويجعلها تستر جسدها و ستذيقه
الويل ثم تعود إلى أمنيتها... الموت!!!!
ألتقطت أذناها صوت صرير باب الغرفة الباردة،
ثم صوت أقدام قوية تضرب الأرض، فضغطت
على أسنانها وانكششت على نفسها كي تخفي
ما يظهر من جسدها، وفخذيها...



تقدم هاني منها بملاح قاتمة، وعلى شفتيه
ابتسامه باردة، فرفعت صبا رأسها له، لتتظر له
بازدراء..

جثا هاني وأقترب منها، فتراجعت برأسها إلى
الخلف بخوف، وتحرك حلقها بصعوبة،
فانخفضت عينا هاني إلى تجويف عنقها الظاهر
من الفستان الكارثي..

التمعت عيناه وظهرت الشهوة بهما، ليقرب
منها أكثر مخفضاً وجهه إلى عنقها، فما كان
منها سوى صفة مدوية تردد صداها في
الغرفة الخاوية، صفة لم تظن بأنها قادرة
عليها، لكنها فعلت؟

تجمدت ملاح هاني، وضغط على أسنانه بقوة
حتى اصطكت، بينما قبضتاه فقد ابيضت



مفاصلهما، وبدأتا في ضرب الأرض المصقولة
بجانبيه بلحنٍ رتيب، فشحب وجه صبا وشعرت
بالخوف على نفسها وعلى ابنتها....
تكلم هاني أخيراً، بصوت بدا كالفحيح :
-ربما كان يجب أن أربط كفيك، لا كف واحد
فقط....

ثم رفع كفه في لحظة خاطفة، ورد الصفحة لها
بقوة، فارتطم رأسها بظاهر السرير الحديدي،
وصرخت جميلة الصغيرة بفزع وبدأت في بكاء
عنيف، لكن هاني كان كالمعي، فعاجلها بصفحة
أخرى لتهتز الرؤية أمام عينيها الحمرأوين
كالدم، سال خط رفيع على فكها، وشعرت بمذاق
الدم في فمها، فابتسمت!
ابتسمت؟؟

نعم ابتسمت ابتسامة باردة، وهتفت بغل :
- سأرد لك ما فعلته بي، أقسم بالله لن تذوق المر
سوى على يدي، لقد تخلّيت عن سذاجتي
والغباء الذي كان يحيط بي، سأتخلى عن صفاء
روحي وسأذيقك الويل لا أنت... فما فعلته كان
كافياً، هل تشعر بالراحة بعدما أنتهكت جسدي
بعينيك إلى أن تتزوجني، هل أنت سعيد برؤية
جسدي وهذا غير مسموح لك؟؟؟، أجبني كيف
ستواجهه عابد حين تعود إلى من خلقك؟؟... كيف
ستواجهه وتقول له أنك انتهكت حرمة أم
أبنته، جعلتني ارتدي فستان قصير كفتيات
الليل، وربطني كالكلاب في السرير كي لا
أستطيع أن أستتر نفسي وأهرب من هنا... تعلم



أنني أحترق تقزراً مما فعلته بي؟؟؟؟... أنت

ملعون... سادي....

نظر هاني لها بملامح جامدة وقد بدأت وجنته
في الأحمرار، ثم لم يلبث أن ضحك بصوت عالٍ
مما جعل رأسه تتراجع إلى الخلف، فأجفلت
صبا و رمشت بعينيها المبللتين، بينما ابنتها
فقد كانت تصرخ بفرع حتى أحمر وجهها..
مدت صبا ذراعها الحر وضمتها إليها تربت
على ظهرها بهدوء يناقض ما تشعر به الآن...
ظلت تنظر له بعينين مشتعلتين مبللتين، إلى أن
انتهى من ضحكته البغيضة، وأقرب بوجهه
منها مزجراً، فتراجعت صبا وشدت ذراعها
حول جسد الصغيرة شاعرة بالخطر والقهر،
لكن ما لم تتوقعه، هو كف هاني الخشنة التي



لظمت ذراع الصغيرة بقوة، هاتفاً بعينين

جامدتين :

-اخرسي، وكفى بكاءاً..

صرخت صبا بهياج، وضمت أبنيتها التي صارت
تصرخ بصوت عالٍ وبدأ ذراع جميلة يتحول إلى

لون أحمر أثر ضربة عمها؟؟؟

ودون أن تفكر، بصقت في وجهه...

برقت عينا هاني بشر، وتراقصت الشياطين

أمام عينيه، أقترب أكثر، فصارت عيناه أمام

عينها مباشرة، حاولت صبا أن تبتعد عنه، لكن

ذراعها المربوط بالسريير منعها..

همس هاني بصوت مقيت بجوار أذنها :

لن أضربك على ما فعلته للتو، يكفيك ما

سأفعله بكِ غداً، يا عروسي...



ادارت صبا وجهها، ثم هتفت بصوت قوي
بالرغم من جسدها الذي كان يرتعد حرفياً :
-لن تحصل عليّ يا هاني، على جثتي، لن يحدث
هذا؟

اتسعت عينا هاني بصدمة مصطنعة، ثم هتف
بدهشة :

-لن يحدث؟؟؟...ماذا يعني حديثك يا بطة!،
أتريدين أن أحصل عليكِ دون زواج وزفاف؟؟
شهقت صبا بقوة، فكتمت شهقتها بكفها، غير
مصدقة كم الوقاحة التي هتف بها للتو....
اتسعت عيناها العسليةتان، والتوت شفتاها
بامتعاض، ثم همست بازدراء :



-قدر...وقح، شتان بينك وبين عابد؟؟...الآن

صدقت أنك من أم ثانية...فأنت لا تمتلك أي

صفة من صفات عابد...أنت(...)...

لم تستطع تمالك نفسها فألقته بلفظٍ يناسبه، أما

هو فلم يجفل ولم يرف له جفن، بل أكتست

ملامحه بالبرود، و التوت شفتاه بشبه ابتسامة

ساخرة، ثم لم يلبث أن هتف بخبث :

-وماذا عنك؟؟؟؟، أنتِ معلمة في هذه الأمر، لقد

جلستِ مع رجل غريب مدة ليست بالقصيرة، الم

يلمسك؟؟؟؟...يقبلك مثلاً..الم.....

قطع عبارته بخبث، ففهمت ما يريد قوله...

الوقح، عديم الأخلاق...

لكن بالرغم من كل هذا، ابتسمت ابتسامة

باردة، ثم هتفت ببراعة :

-أها...تقصد مروان؟؟؟...لا مروان رجل
ومجرد ذكرك له بلسانك يدنسه، مروان لم
يتناول عليّ ولو بنظره، بالرغم من جلوسنا
بنفس الشقة، لكنه كان مهذب شهم، سافر معي
من مدينة إلى أخرى بالرغم مما كان ينتظره،
قضى أيام مجحفة في الحجز وبالرغم من ذلك
كان متشبت بي...فقط لأنه رجل، وليس
مثل.....أمثالك..

برقت عينا هاني، وزمجر بغضب، فأغمضت
صبا عينيها للحظة كي تمنع دموعها، ثم لم
تلبث أن فتحت عينيها، فحدجها هاني بنظرات
غاضبة، وهتف ملوحاً بكفه، فانتفضت وأخفت
وجهها المكدوم بكفيها ظناً منها بأنه سيضربها

:



-متى تحولتِ إلى امرأة شرسة عنيفة بهذا
الشكل؟؟؟...أين سذاجتك، أين جبنك؟؟؟؟، أين
غبااءك وعدم فهمك لأمر كثيرة؟
ابعدت صبا كفيها عن وجهها ببطء، ثم نظرت
له بعينين رغم أحمرارهما إلا أنها كانت تضم
شيء من الحقد الذي أنتقل إلى نبرتها :
-عجباً، تضع النار بجوار البنزين وتتساءل
لماذا اندلعت النار بوحشية؟؟؟؟...لقد انتهزت
تذبذب حالي بعد وفاة عابد...كنت كالمغيبة، لا
أصدق أن الظهر الوحيد لي..لم يعد له وجود،
علمت أن الذئب لن تصمت كثيراً، فسرعان ما
ستشعر بالجوع فتنقض على الفريسة، ما فعلته
بي يا هاني، ليس بسيطاً، جعلني طوال
الشهرين الماضيين أحفز نفسي ويتفاقم الكره



والحقد بداخلي، الضغط يؤدي إلى الانفجار.. وأنا
حقاً شاكرة لك لتحويلني إلى هذه الشخصية،
ستساعدني كثيراً حين أستقل...حقاً شكراً...
ازداد بريق عينيه وكادت تشعر بأنهما على
وشك الاشتعال، بينما ملامحه فقد اسودت أكثر،
وشفتاه ضمهما فبدتا كخط مستقيم حاد
فاتر...مظهره كان مخيفاً، وهذا ما شعرت به
داخلياً، لكن ظاهرياً...أجبرت نفسها على
مناطقة جبروته والنظر إلى عينيه دون أن
تحيد عنهما....

مال هاني نحوها، ثم همس بصوت مقبب :
-استقلال؟؟...لا أعتقد أنك ستحصلين على
الاستقلال أبداً يا صبا...سأذيقك العذاب عما
اقترفته!



ثم انتصب واقفاً، وخرج من الغرفة صافقاً بابها
بقوة، فانتفضت وانتفض جسد الصغيرة التي
كانت تبكي بصوت خافت قليلاً...

نظرت صبا إلى الباب الذي خرج منه للتو،
بنظرات لم تعرفها من قبل، وكأن روح أخرى قد
تلبستها...

فمن هي كي تبقى صامته عما يحدث بها؟؟؟
جسدها الذي يراه كلما دخل إلى الغرفة،
كرهته...

لم يترك لها أي فرصة لستره، حتى الفراش،
فقد تركه من غير أي غطاء كي لا تخفي به
جسدها...

لا يحرر وثاقها إلا للضرورة...
وكم أشعرها هذا بالقهر والذل...والحقد...



خرجت فتاة بجسد ممتلئ نسبياً من إحدى

الغرف، تهزول نحوه والخوف يعتري

محياتها....

وقفت أمامه تلهث، وتفرك أصابعها بقوة، ثم

همست بتلعثم وخوف:

-نعم!

نظر هاني لها من مقدمة رأسها حتى أخمص

قديمها، كانت ترتدي قميص عنابي قصير جداً،

فاظهر جمال قدها، أما شعرها فقد تركته منسدلاً

على ظهرها...

جذبها هاني من ذراعها بقوة، ثم جرها خلفه،

فازدادت غادة ريقها بصعوبة، وهتفت بقلق:

-ماذا تفعل؟؟



لم يرد هاني عليها بل وقف أمام غرفة نومهما،
ثم لم يلبث أن فتح بابها بقوة فارتطم الباب
بالحائط مصدراً صوتاً عالياً، فشهقت عادة
بفزع وخوف....

وجدته يلقيها على الفراش بعنف، ثم هجم
عليها بعنفٍ، فسمعت صوت تمزيق قميصها
بأذنيها..

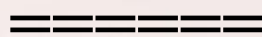
كان عنيفاً... همجياً وهذا ما تأقلمت عليه، لكن
الآن تضاعف عنفه، وهذا ما تشعر به وهو
ينهل من شفثيها بهمجية، ثم ينتقل إلى عنقها،
ويعود إلى شفثيها اللتين أصبحتا متورمتين
ومكدومتين ...



أغمضت عينيها بقوة تاركة إياه يفعل ما يريد،
لن تمنعه، فلقد أصبحت مسلووبة الإرادة منذ
تزوجته....

لكن ما هي متأكدة منه أنها لن تسمح بأن
ترتشف غيرها من نفس كأسها....
أما هاني فقد كان كالمعمي، لا يرى أمامه...
صدى صوتها يتردد في اذنيه... فيزيد من غضبه
أكثر... ويزداد عنفه....

أكثر ما يكرهه أن تتحداه امرأة!



انتفضت بفزع حين شعرت بكف تربت على
كتفها، فشهقت بفزع وعادت بجسدها إلى
الخلف فمنعها السرير وكفها المربوط..



عيناها حمراوان بشكل مخيف، ووجنتها
مكدومة كدمة واضحة، شفتها السفلى بها جرح
واضح...

أما وجهها فكان كوجوه الموتى!
فتحت صبا عينيها على وسعها وهي ترى
غادة جاثية على ركبتها أمامها تربت على
كتفها بحزن، وكفها الأخر كانت تتلمس به شعر
الصغيرة النائمة على الأرض الباردة دون أي
رحمة...

انفرجت شفتا صبا وهتفت بصوت مبحوح،

مذهول :

- غادة؟؟

ابتسمت غادة ابتسامة مرتبكة، ثم ربتت على

وجنة صبا المكدومة وهتفت بشفقة :



-نعم إنها أنا...كيف حالك حبيبتي؟

صدرت من صبا ضحكة ساخرة باردة، ثم

نظرت إلى غادة تراقبها ملياً..

فلاحظت تورم شفثاها، وتلك العلامات الواضحة

مطبوعة على عنقها الظاهر من عباءتها

السوداء الهفافة، وبالرغم من الوشاح

الملفوف حول عنقها لم يخفِ شيء...٤

هزت صبا رأسها بحزن وألم، لقد صب غضبه

كله على هذه المسكينة، همجي وغادة وحدها

تحملت منه الكثير...

امرأة أخرى كانت قتلته، وهربت من هنا....

أطرقت برأسها أرضاً، ثم همست بخفوت :

-حالي؟؟؟..ها أنا مربوطة كالكلاب، وأرتدي هذا

الشيء...٤



التوت شفتا عادة بحزن، ثم ربتت على وجنتها
بحنو، قبل أن تنتفض واقفة، لتقترب من العمود
كي تحرر وثاقها، فتأقت عينا صبا، وهتفت
بسرعة :

-هل ستساعديني على الهرب؟؟-

نظرت عادة لها بطرف عينيها، ثم هتفت بأسف
وهي تقطع الحبل السميك بسكين كبيرة :

-لا، لقد أمرني هاني بأن أحررك وأخذك معي

إلى الأسفل كي تستعدي.... هو ينتظرنا

بالأسفل....

تحولت نبرتها من الحزن إلى القهر والندم، ندم
غريب استشعرته صبا في نبرتها، لكنها تغاضت
عن كل هذا، وهتفت بذهول وتلعثم :



-ستسلميني له؟؟؟..بهذه البساطة، ألا تشعرين

بالغيرة حتى مما يجعلك تساعدينني على

الهرب؟؟؟

توقفت عادة عما فعله، ثم التفتت إلى صبا

وأخفضت رأسها كي تنظر إليها...عيناها كانتا

منطفتين، ووجهها بالرغم من جماله إلا أنه كان

بارد، غريب عكس طبيعة عادة...

ارتفعت شفتا عادة في ابتسامة ساخرة، ثم

هتفت بقهر :

-غيرة؟؟؟...أشعر بالغيرة منك؟؟...سأكون

عديمة القلب والرحمة لو شعرت بهذا

الشعور؟؟...

أنا أشعر بالشفقة نحوك يا صبا، أنتِ لا

تستحقين هذا؟...يجب أن تهربي قبل أن تجدي



نفسك فجأة سقطي في رمالٍ متحركة، تبتلعك و
تقبض على عنقك فلا أنتِ قادرة على الصراخ
ولا أنتِ قادرة على الهرب... أنتِ لا تستحقين
هذا؟

ثم أطرقت برأسها وبدأت في البكاء بصمت،
فطالعتها صبا بملامح متبلدة باردة، فهي تعلم
جيداً مكنون حديث عادة...

عن أي غيرة تتحدث؟؟

هل تغار امرأة على رجلٍ كسرها؟؟، أهدر
كرامتها دون شفقة، انتهك كيانها كامرأة يجب
أن تحصل على معاملة رقيقة؟؟
أي امرأة تلك التي تقبل برجلٍ يعتبرها جارية،
يضرب ويهين دون رحمة؟



أي امرأة.. تجعل من نفسها اضحوكة وتغار على

رجلٍ مثل... هاني!!

ابتسمت صبا ابتسامة غريبة، ثم نظرت إلى
غادة الواقفة أمامها تبكي بخفوت، ثم لم تلبث
أن هتفت بصوت واهٍ :

- هل أتيتِ بملابس تستر جسدي؟

مسحت غادة دموعها بظاهر كفها بسرعة، ثم
تركت السكين على السرير التي لا تعلم فائدته
من الأساس و صبا تجلس أرضاً لا تقوى على
الوقوف والتمدد عليه....

راقبت صبا ما تفعله غادة بعينين كلوحتين من
الجليد، كانت غادة تفك الوشاح الأسود عن
عنقها، ثم خلعت العباءة السوداء، فبقت بعباءة
بسيطة بلون وردي شاحب، اقتربت منها



بسرعة، ثم لم تلبث أن جثت على عقبيها،
وقالت بسرعة :

-خذي، ارتدي هذه...بسرعة قبل أن يأتي
هاني....

-فلتحري وثاقي أولاً كي أتمكن من
ارتدائها....

أومات عادة برأسها بسرعة ، ثم تركت العباءة
وركضت كي تتابع قطع الحبل السميك....

تنظر بين الحين والآخر إلى صبا الجالسة أرضاً
بتعب، تربت على ظهر ابنتها النائمة....

لا تصدق بأن هذه هي صبا؟؟؟

صبا التي كانت كالملاك، عفوية وبريئة؟؟؟

هل هذه صبا التي كانت تتصرف بكل حب

وعفوية؟



لقد تحولت كثيراً خلال الشهرين الماضيين،

أصبحت باردة، منطفئة ومع ذلك اكتسبت

شراسة تستحق الإعجاب..

أنهت عادة قطع الحبل بعد جهد كبير مضني،

فشعرت صبا بتخدر بكفها وذراعها بأكمله الذي

كان أزرقاً بدرجة مفرجة...!

فركت صبا ذراعها بألم، تئن بصوت مكتوم،

بينما عادة فقد عضت على شفتيها بقوة، الندم

بداخلها يتفاقم..

لماذا لم تساعدنا حتى الآن؟؟؟

هل خوفها من هاني هو السبب أم خنوعها؟؟؟

عضت شفتيها السفلى بقوة حتى كادت تدميها،

ثم أقتربت منها وهتفت بإصرار :



-سأساعدك...ولن أتركك تتذوقين ما ذقته، كنت
أظن أن العيش وحيدة أبشع من رجلٍ لا يترفق
بي...لكن الآن...تغير ظني..

رفعت صبا عينيها الحمرأوين بسرعة وبرقتا
بأمل، فابتسمت عادة لها وربتت على شعرها
وهي تومئ برأسها!

فزفرت صبا بقوة، ثم لم تلبث أن صدر منها
نشيج بكاء عنيف كظمته منذ ليلة أمس، نشيج
تابعه ارتعد جسدها، بخوف...

ستسمح لنفسها أن تنهار ولو لدقيقة، دقيقة

فقط كي تتابع ما تنتويه، دقيقة واحدة

ستساعدها على النهوض مرة أخرى، لتبعد

الغبار عن نفسها وتركض بكل قوتها دون أن

تلتفت إلى الوراء....



ظلت على هذه الحالة قرابة الخمس دقائق،
تبكي بعنف وجسدها يهتز بقوة، صوت شهقتها
كان عالياً كمن يختنق ولا يقوى على التنفس،
القهر والذل ينحران في صدرها فيزيدا من
ألمها...

فتحت عينيها المتورمتين، ثم نظرت إلى عادة
التي كانت تبكي بصمت، ظلت تنظر لها بوجه
محمر متورم، ثم لم تلبث أن هتفت بصوت
غريب :

-أريد مدية حادة!...

هل تجلس خلف مقعده حقاً؟

هل استقلت معه سيارة أجرة وأنت معه

إلى...منزله؟



كيف سمحت لنفسها بأن تركض خلفه حين

هتف بجملته الغريبة...

لم تستطع منع نفسها...

وها هي تجلس في المقعد الخلفي في سيارة

أجرة بينما هو فقد جلس بجوار السائق الذي

كان يطير بالسيارة بالمعنى الحرفي بأمر منه...

تعجبت حين وجدته يترك سيارته ويوقف سيارة

أجرة كي يستقلها، لكنها تذكرت بأنه لا يرى

جيذا بدون نظارته التي كسرتها...بنفسها....

نظرت من نافذتها المجاورة له، فالتقت عيناها

بعينية الحمراء في المرآة المجاورة لنافذته،

كانت ملامحه غريبة، وكأنه خائف؟؟

أما عيناها فكانتا غائرتين بشكلٍ غريب!



كانت عيناها قويتان رغم كل شيء، تبادلته

النظر بكل قوة وأنف مرفوع بشموخٍ واباء،

بينما هو فقد بدا منطفيء!

حين أطال النظر لها في المرآة، أشاحت بوجهها

بكل هدوءٍ، ثم أبعدت غرتها الكثيفة إلى الخلف،

فظهر قرطها الكبير بلونٍ غريب يشبهها جداً....

هذا ما فكر به قبل أن يشيح بوجهه هو الآخر

ناظراً إلى الطريق الممتد أمامه، قبضته تضرب

النافذة دون صوت، يشعر بتوتر وخوف

شديد.... يشعر بالخوف يكاد يقتله....

تبا!

ألن يصل الوقت يمر ببطء شديد....

زفر بعصبية، ثم ضرب النافذة بقبضته بقوة،

فأصدر صوت عالٍ أجفل مروج، وجعل السائق



ينظر له بظرفٍ عينيه نظرة شيطانية وكأنه
ضرب أحد أبنائه للتو، لم يستطع أن يمنع
نفسه، فهتف بفضافة :

-تحكم بأعصابك يا أستاذ، لقد كدت أن تكسر
زجاج النافذة، وأنا لم أنتهي من دفع أقساط
السيارة بعد...

أغمض مالك عينيه بقوة يحاول تمالك نفسه
بشتى الطرق ، ثم لم يلبث أن هتف بصوت بارد

:

-لم أقصد..

قلب السائق شفثيه بملل، ثم غمغم بتذمر :

-الصبر يا رب.. ما هذا المجنون؟؟؟

التفت مالك برأسه بسرعة، ثم مال فجأة نحو

السائق الذي ابتلع كلماته بقلق...

هتف مالك بعينين مشتعلتين :

-ماذا قلت!!!!-

رمش السائق بعينه، ثم لم يلبث أن تنهد براحة

وهو يقول بفخرٍ :

-أقول لك لقد وصلنا يا أستاذ....-

طار الغضب من عينيه وأحتل الخوف والقلق

ملامحه وعينه، ففتح باب السيارة بسرعة،

وصفق بابها بقوة رجت السيارة، فزمجر

السائق بغضب...

ترجلت مروج من السيارة، ثم وقفت على

قدميها تحاول موازنة نفسها على كعبي حذائها

الملعون، رفعت وجهها فوجدت مالك يتحرك

بخطى سريعة يكاد يعدو نحو العقار يبدو عليه



الراقي والغنى، لقد تغير حاله وتحسنت ظروفه
كثيراً..

هزت رأسها بقوة كي تبعد تفكيرها، ثم لم تلبث
أن أسرعت خلفه...

وصل مالك إلى العقار وملامحه كانت كلوحة
ذات ألوان شاحبة....وقف أمام السلم ينوي
الصعود بسرعة دون أن ينتبه، فتعثرت قدمه
وسقط إلى الأمام....

فالتقطت أذناه صوت شهقة مصدومة، تزامناً
مع هتافها بقلق وهي تتكأ كي تنظر له :
-يا إلهي... أنتبه يا مالك....

ثم مست ذراعها بكفها، فرفع مالك وجهه
الشاحب لها، ونظر لها بعينين زائغتين....



لم تستطع إبعاد عينيها عن عينيه ، فظلا على
حالتهم كلُّ منهما ينظر إلى الآخر نظرات
غريبة.....

تدارك مالك نفسه بسرعة، فوقف ونفض
ملابسه المحملة بالأتربة نتاج وقعته، ثم لم
يلبث أن تابع صعود درجات السلم دون أن
يضيف أي كلمة أخرى، فعضت مروج على
شفتيها لا تعرف ما يجب أن تفعله الآن!

أ تلحق به وتطمئن على صحة

حمزة...وتلك...الرؤى التي يعادل سنها مدة

فراقهما!!!!

أغمضت عينيها لثانية، ثم حسمت أمرها

وتحركت خلفه، ستطمئن ثم ترحل.. هذا فقط ما

تريده...



صعدت خلفه تحاول اللحاق به، وجدته يصعد
السلم دون أن يلجأ إلى المصعد...
وصل مالك إلى شقة وقف عندها يلتقط أنفاسه
بتوتر وخوف، فوقفت مروج خلفه، تنظر إلى
ظهره نظرات حزينة!
رؤيته من جديد أحييت أشياء وأدتها بكل قسوة،
نكأ جرح قلبها...

لماذا عاد؟؟؟

لماذا؟

-من ترك الباب مفتوح؟؟؟،

حمززرررة...حمززررررة...

أجفلت مروج على صرخته، فانتفضت مكانها

وتشبثت بالحاجز تدعم نفسها...



دخل مالك إلى الشقة، ثم صعد سلم حلزوني في
منتصف الردهة، فدخلت مروج بحذر وقلق مما
أقدمت عليه...

لو علم أمجد و رائف سيقتلوها حية!!
وقفت مكانها بالردهة، تتأمل أنحاء الشقة
بعينين متحسرتين... ومال فمها بحزن حقيقي!!
فتح مالك باب غرفة الأطفال فوجدها خالية
وبقع دم واضحة تزين أرض الغرفة، ليزداد
خوفه وارتبأكه أكثر، أرتفع هدير أنفاسه،
وارتجاف أطرافه.....

استدار على عقبه صارخاً :

-حمززة...

-ماالك، ها هما، تعال يا مالك لقد وجدتهما...



هتفت بها مروج من الطابق السفلي بصوت
عالٍ متلهف، فركض مالك بسرعة، وهبط
درجات السلم الحديدي بسرعة متشبثاً بالسياج
كي لا يسقط....

وصل إلى الطابق، وأتبع صوت همهمات آتية
من غرفة في نهاية الرواق الطويل... فذهب
إليها راكضاً....

وجد بابها مفتوحاً، وفتاة شبه جالسة أرضاً
وأمامها رؤى تبكي بعنف... كانت جارتهم التي
تقطن الشقة المقابلة لهم وبالتأكيد لجأ لها
حمزة....

تسمر مكانه حين وقعت عيناه على الدم الذي
كان يغطي ملابس رؤى...



شعر باختناق غريب، وخوف هستيري من

بكائها الحاد....

ظل مكانه لمدة دقيقة ينظر إلى رؤى بعينين

متسعتين، ثم لم يلبث أن جثا أرضاً بجوار الفتاة

التي كانت تقطب جرح صغير في ذراع رؤى....

هتفت مالك بتلعم :
-ماذا حدث؟؟، يا إلهي...-

لم تنظر الفتاة له، بل تابعت ما تفعله وهتفت

بصوت ثابت :

-لا تقلق سيد مالك، لقد قطبت لها جرحها،
وتأكدت من خطورة إصابتها!....

رمش مالك بعينه، ثم ازدرد ريقه بصعوبة....

مال نحو الصغيرة التي كانت تبكي بقوة، تحاول

انتزاع يدها من كف الفتاة التي كانت تنظر إلى

انتزاع يدها من كف الفتاة التي كانت تنظر إلى



الجرح بكل تركيز، ضم رأس رؤى نحوه

بحنان، ثم هتف بتحشرج :

-لا تخافي حبيبي..-

ثم ربت على وجنتها المكتنزة بحنان، و

اغتصب ابتسامة مرحة على وجهه، فابتسمت

رؤى تلقائياً، وصارت تمد ذراعها الأخر

لتضرب وجهه كحركة للانتباه، وهتفت

ودموعها تغرق وجهها :

-بابا!

ثم نظرت إلى ذراعها وبكت مرة أخرى، فتأوه

مالك، واحتضنها برفق هامساً:

-كفى بكاءً، لا تخافي حبيبي أنا بجوارك..-



وفي زاوية قريبة، كانت تراقب الموقف بعينين
باردتين تناقض العرق المتصبب من جبينها،
وأرتجاف شفاتها....

ماذا تفعل هنا؟؟؟

ماذا تفعل وسط عائلة لم ولن تكن جزءاً

منها؟؟؟

لماذا قبلت بأن تأتي إلى هنا وترى عائلته

الصغيرة بعينها؟؟؟

ألم حاد كنصل خنجر ينحر بصدرها وهي تراه
يكاد يموت خوفاً على اولاده... نساها في خضم
قلقه...

نساها حين تعلق الأمر باولاده..

يجب أن تعرف هذا جيداً.. المقارنة بينها وبين

أولاده غير عادلة بالمرّة....

ابتسمت مروج ابتسامة ساخرة، وزمت شفيتها
المرتجفتين، وارتدت قناعها البارد والساخر...
نظر مالك إلى الفتاة المبتسمة بالفترة، ثم هتف
بقلق :

- هل إصاباتنا خطيرة يا دكتورة "مي"؟؟
رفعت مي رأسها المحني، فظهرت ملامحها
الهادئة... نظرت له دون أن تجيب على سؤاله...
نظرة غريبة، ثم عادت بنظرها إلى ذراع
الصغيرة لتضمده بضمادة صغيرة بيضاء، فعقد
مالك حاجبيه بتوجس، وأخذ يربت علي ظهر
رؤى التي كانت قد هدأت وهدأ ارتجافها، ظلت
مي صامتة، إلى أن هتفت وهي تربت على
وجنة رؤى :



-لقد سقطت من أرجوحة عالية في غرفتها،
فسقطت أرضاً وارتطمت بسياج الأرجوحة
الحديدي؟، هلا وضحت ليّ وجهة نظرك سيدي
في وجود أرجوحة عالية في غرفة تترك فيها
طفلة صغيرة مثل رؤى؟؟؟...الأرجوحة كلها
مصنوعة من الحديد ولها قوائم مسننة؟؟، ألم
تخف عليها؟؟

كان تقريباً واضحاً جداً، فقد ارتفع صوتها
تدرجياً، واحتدت ملامحها الهادئة، وكأنها والدة
رؤى!!!!..

امتقع وجه مالك، وحك مؤخرة رأسه قائلاً
بارتباك :

-ليس لدي وجهة نظرة...فهي...أرجوحة...



ثم مد كفيه بديهية وكأنه لا يجد تبرير لما
تطلبه، نظرت مي له نظرة ثاقبة، ثم هتفت وهي
تمسح على رأس الصغيرة التي كانت تفرك
عينها بكفها المتكور السليم :
يجب عليك الأهتمام والاحتراس على طفلتك
سيدي، لولا شقيقتها لكانت تأذت أكثر من ذلك،
كان رجلاً، فليحميه الله لك.

نظر مالك نظرة جانبية إلى حمزة الواقف بعيداً
صامتاً لا يبدو عليه أي أنفعال... عيناه
متورمتين، ووجهه شاحب، ابتسم مالك له لكن
حمزة لم يبادلّه الابتسامة بل نظر إلى نقطة
معينة نظرة غريبة، فانعقد حاجبا مالك
باستغراب وكأنه تدارك وجود مروج...
لقد نساها في خضم قلقه وتوتره، وهذا حقه...



أي أب هذا الذي يظل على ثباته وهو يسمع

بأذنه أن أبنته تأذت؟؟

نظر مالك إلى مروج الواقعة في زاوية قريبة،

عيناها كلوحين من الجليد، وشفاتها

مضمومتان كخط حاد، فاتر...

وأنفها، أنفها مرفوعاً بشموخ وكأنه يأبى

الأنكسار...

من يراها الآن يقسم بأنها صلبة لا يكسرها

شيء!

لكن هو وحده يعلم، يعلم بأن برودها وتمردتها

ما هو إلا قناع سخيّف تخفي به حزنها و آلمها،

فقط لو تفكر بنضج وثبات.. لن يكن هذا حالها

وطبعها..

-سيد مالك؟



هتفت بها مي بملل فقد كانت تتحدث معه عن
بعض الاشياء المهمة تخص الصغيرة، أجفل
مالك ونظر لها وهو يرمش بعينه، ثم هتف
باعتذار :

-آسف دكتورة مي لم أنتبه لكِ....

نظرت مي ناظرة جانبية إلى مروج، ثم ابتسمت
باشراق وقالت :

-لا عليك، كنت أقول لك، لا تقلق بشأن وجود
أي كسرٍ، ولو أردت أن تطمئن يمكنك الذهاب
معي إلى المشفى كي تطمئن...

رمش مالك بعينه عدة مرات، ثم أغمضهما
بقوة، ثم لم يلبث أن هتف فجأة مخاطباً مروج :
-مروج، هلا ذهبتِ إلى الغرفة المجاورة وجلبتِ
ليّ نظارتي الأخرى...

رفعت مروج حاجبها بشدة حتى كاد يصافح
مقدمة رأسها، ثم رفعت شفتها... ما هذا العته..
يطلب منها الذهاب إلى غرفته كي تجلب له
نظراته، ولما لا تترتاح على سريرهِ أيضاً...
هي المخطئة، نعم هي...

هل توجد بنت محترمة تأتي مع رجل إلى بيته،
حتى لو كان السبب يعتبر مقبول، لقد أخطأت
وأسأت إلى شقيقيها، لذا سحب نفساً عميقاً
وهتفت بصلاية وهي تعدل سترتها البرتقالية :
-فلتجلبها لنفسك، فأنا سأرحل الآن، ألف سلامة
على... صغيرتك....

كانت نبرتها صلبة في بداية جملتها، إلا أنه
شعر بارتعاش نبرتها حين نطقت بكلمتها
الأخيرة!!



تحركت ساقاها بهدوء، ومرت بجواره وهو
جاثي أرضاً بجوار ابنته و...مي..
نظرت له نظرة ساخرة، ثم تخطته وأسرعت من
خطاها نحو باب الغرفة...
وقفت للحظة ثم نظرت إلى حمزة الذي كان
ينظر لها بدوره...
أبتسمت مروج ابتسامة حقيقة، ثم مالت نحوه
وربتت على شعره قائلة بصدق :
-أشتقت لكّ جدا يا حمزة، لقد أصبحت رجلاً...
أبتسم حمزة بدوره، وهتف وهو يربت على
كفها الموضوع على رأسه :
-أبي لا يرى هذا، يقول أنني...شبر ونصف..



نظرت مروج إلى حمزة بابتسامة حنونة، ثم لم
تلبث أن هتفت وهي تربت على وجنته بشرود :
-لا تستمع له، فهو دائما يفعل اشياء غريبة
تفقدك الثقة بنفسك وتكسر شيء يصعب
ترميمه فيما بعد....

كانت تتحدث بشرود وابتسامتها الحنونة
تحولت إلى ابتسامة حزينة، وعيناها تخلتا عن
جليدهما لوهلة ظهر فيهما الألم.. لكنها تماكنت
نفسها، وتابعت طريقها وهي تلوح لحمزة..
أما مالك، فقد شحب وجهه وأختلج فكه بشكلٍ
واضح، لقد كانت تقصده هو بكلماتها، كانت
تجلده بكل هدوء دون أن يرف لها جفن....
أنتفض فجأة وهو يراها تخرج من الغرفة
بسرعة غريبة، وكأنها تهرب!



قام من مكانه بسرعة، ثم ركض خلفها كي
يلحق بها، وبالفعل لحق بها عند باب الشقة،
فصدح صوته بقوة :

-مروج، انتظري...-

وقفت مروج مكانها توليه ظهرها، رافعة رأسها
بكبرياء...كاذب....

استدار مالك حولها، ثم وقف أمامها لتبعد
عينيها عن عينيه....

نظر مالك نظرة طويلة اربكتها، ثم هتف بصوت
غريب :

-كنتِ تقصدي ما صدر مني، أليس كذلك؟؟؟
لم ترد عليه بل أطرقت برأسها أرضاً، وقبضت
كفيها بقوة حتى ابيضت مفاصلهما، بينما



عيناها فقد أغلقتها بقوة حتى تجعد جفناها،

لاحظ مالك كل هذا فأردف بنفس النبرة :

-قلت...أنني تركت لك كسر لا يمكن ترميمه، ألم

تقولي أنك لا تهتمي بي ولم تعدي تشعري بأي

شيء تجاهي، الازلت...تح...

لم يكمل كلمته، فقد قاطعته مروج هاتفه

بجمود، وهي تلوح بكفها :

-ألا زلت أحبك؟؟ هذا ما تريد قوله، لكن عذراً

لن أرد عليك سوى بجملة واحدة...."كان بيننا

رابط، فقطعته أنت بكل برود، ثم أختفيت بكل

جبن...لقد قتلت حبي لك بيديك "

ثم تخطته بكل هدوء، وتحرك باتجاه المصعد

أمام عينيه....



لا يقوى على التحرك خلفها، لا يعلم هل صدمته

كلماتها بالرغم من معرفته بها... أم صدمة

برودها وسخريتها؟؟؟

توتر قليلا في اللحاق بها، بينما ابنته تبكي

بالداخل.....

وكانها قرأت تفكيره، فقد هتفت وهي تمسك

باب المصعد وعلى شفيتها ابتسامة باردة :

-لا تقلق، سأعود إلى بيتي، لا أعلم كيف

سمحت لنفسي بأن آتي معك إلى هنا.... لا تلحق

بي...

ثم دخلت وأغلقت باب المصعد خلفها بكل

هدوء..

فرمش مالك بجفنيه، ومال إلى الأمام ، هامساً

بإصرار :



-سألق بكِ إلى أن تزهق أنفاسي، حتى لو لم
ألق بكِ الآن....



-والله لأكسر عنقها...لقد تأخرت....

هتف بها رائف وهو يتحرك بعصبية يفرك
أصابعه بغيظ شديد، فأبعد أمجد الكتاب الذي
كان يقرأ به للتو، ثم نظر له وهتف بثبات :
-اهدأ يا كابتن، ستصاب بنوبة قلبية...

وقف رائف مكانه، ثم نظر إلى أمجد الذي أعاد
الكتاب كما كان وبدأ في القراءة من جديد،
استفزه هدوء أمجد، فهتف بصوت عالٍ على
غير العادة :

-ما هذا الهدوء والبرود يا أمجد....



جحظت عينا أمجد بصدمة، ثم أبعث الكتاب عن
وجهه ليضعه على ركبتيه... ثم عاد بنظره إلى
رائف الذي لعن لسانه على تطاوله....

ضاقت عينا أمجد، ثم لم يلبث أن أشار بسبابته
إلى وجنته هاتفاً :

-أترى وجنتي تلك؟؟، تعال واصفني صفتين
عليها، ثم اصفني صفة ثالثة على مؤخرة
عنقي يا محترم...

ازدرد رائف ريقه بتوتر، ثم هتف وهو يحك
مؤخرة رأسه :

-آسف لم اقصد....

ثم صمت، فحدجه أمجد بقوة، وهم برفع الكتاب
مرة أخرى، لكن رائف صرخ بصوت عالٍ فجأة
فانتفض من مكانه ووقع الكتاب أرضاً :



-لكن مروج تأخرت وأنا لن أرحمها....

-تباً لك ولها ولمن يتشدد لكما يا جلف يا

حيوان....

صرخ بها أمجد بعصبيه، وهو يضرب ذراع

الأريكة بقبضته، فأجفل رائف وابتلع لسانه،

عض أمجد على شفتيه وهتف بغیظ :

-لقد كدت أن أصيب بنوبة قلبية من قوة

صرخته الجلف!

سحب نفساً عميقاً، ثم رفع رأسه وهتف مرتباً

على الأريكة بجواره:

-تعال يا كابتن وأجلس بجواري، اهدأ...

زفر رائف بقوة، ثم تحرك باتجاه أمجد وجلس

بجوار أمجد....

هتف أمجد بهدوء :



-أتظني لا أشعر بالقلق عليها... أنت مخطئ إذا،

لكنني أملك قدرة السيطرة على

نفسي... فليحفظها الله لي... لا تقلق أنت...

لعق رائف شفتيه، ثم أطرق برأسه...

القلق يتفاقم بداخله بسبب تأخرها ممتزجاً

بالغضب من تصرفاتها المتمردة، والله ليكسر

عنقها على أفعالها المستفزة تلك... فلتأتي

أولاً.....

نظر أمد له بعينين قلقتين، بالرغم من هدوء

ملامحه.....

لماذا تأخرت مروج إلى هذا الوقت، ماذا حدث

لها؟؟

حتى هاتفها وجدده مغلق....



رفع كل من رائف وأمجد رأسهما حين فُتح
الباب وظهرت مروج منه، باردة الملامح..
اندفع رائف نحوها بسرعة البرق، ثم جذبها من
مرفقها بقوة وهدر بصوت عالٍ :

-أين كنتِ يا محترمة؟؟؟...من المفترض أن
موعد خروجك من الجامعة منذ
ساعتين؟؟؟..أين كنتِ؟

رفعت مروج وجهها البارد إليه، ثم هتفت
بمنتهى البرود :

-وما شأنك أنت؟؟؟

-أنتِ قليلة أدب....

صرخ بها رائف بعصبية وهو يهزها بقوة،
فتأففت مروج بصوت عالٍ وصرخت هي
الأخرى :



- أنا لستُ قليلة أدب...يا همجي!

قلّب أمجد نظره بينهما بغضب، ثم قام من مكانه، وتحرك نحوها، وقف بينهما وانتزع مرفق مروج من قبضة رائف وهتف بصوت

حاد :

- هل أنا شفاف؟؟؟؟...ألا يوجد احترام

لي؟؟؟؟...أقسم بالله إن لم تصمتا وتتبلعا لسانكما الطويل...سأخلع حزامي وأبدأ في تربيتهما من

جديد....

عبس رائف، وهتف بتذمر وهو يلوح بكفيه :

-لكن يا أ...

هدر أمجد بصوت صارم مقاطعاً رائف :

-أصمت وألا أقحمت حذائي في فمك....

صمت رائف بتذمر ثم اشاح برأسه، فالتفت

أمجد إلى مروج وهتف بصوت صارم حاد :

-أين كنتِ، ولا تكذبي عليّ....

تسارعت انفاسها، وعضت على شفتيها بقوة

حتى أدمتها، لن تستطيع الكذب، ولن تستطيع

قول الحقيقة، فلو قالتها ستنال غضباً شديداً من

أمجد ورائف خصوصاً بعصبيته....

سحبت نفساً عميقاً ، ثم لم تلبث أن وقفت خلف

ظهر أمجد في لحظة خاطفة وتشبثت بقميصه

تزامناً مع هتافها بتلعثم :

-كنت مع مالك!!!

الفصل الثالث عشر

-كنت مع مالك!!!-

لم تتوقع أبداً ان يفغر رائف شفثيه بغباء،
وتتسع عيناه بشدة كمن سمع شيء غير
متوقع، بينما أمجد لم يظهر عليه أي رد فعل،
وكأنه يعرف!!!

عم صمت مريع عليهم، مروج متشبهته بقميص
أمجد لتحتمي به من بطش رائف الذي انعقد
حاجباه باستغراب، وانفرجت شفثاه ليهتف
بصوت عالٍ :

-كنت مع من يا روح والدتك الغالية!!!-
رفع أمجد حاجبه بشدة، وضافت عيناه بشدة،
ثم لم يلبث أن هتف بغيظ :

-لسانك، لسانك يا كابتن، احترم وجودي!



نظر رائف إليه بذهول ، ثم هتف ضارباً كفيه

ببعضهما :

-عذراً يا أخي، فشقيقتي المهدبة تخبرني أنها

كانت مع شاب فأردت أن أتناقش معها عن

الموعد المقبل فأنا لا أقبل أن تخرج شقيقتي

سوى في منتصف الليل!....

التوت شفتا أمجد بامتعاض مصطنع ، وضرب

كتف رائف بخفة قبل أن يهتف بستياء :

-يا رجل؟؟؟، ما هذا السكر؟ خفيف الظل أنت!

أنتهزت مروج الفرصة بكل تبجح وهتف مؤيدة

أمجد :

-بل ثقيل ال... ..

لم تتمكن من أكمال عبارتها ، فقد هدر صوت

أمجد كالرعد مقاطعاً إياها :



-أخرسي أنتِ يا مروج لا أريد أن أسمع صوتك

الآن!

ابتلعت مروج لسانها و امتقع وجهها بشدة،

فتشبثت به أكثر تحتمي منه به؟؟

ألم يكن يمزح منذ ثوانٍ؟؟؟، نعم كان يمزح !

فلماذا صرخ بها بهذا الشكل؟؟

نظر رائف لها بعينين مشتعلتين، ثم اندفع فجأة

ليجذبها من شعرها بقوة مما جعلها تصرخ بألم

وتزداد تشبثاً بأمجد أكثر حتى سمعت صوت

تمزق قميصه من الخلف ، فأجفل أمجد من

حركة رائف المباغته وشدة جذب مروج له كي

ينقذها، فلم يتمكن في التحلي بالهدوء والعقل

ليصرخ بقوة رجت جدران البيت رجاً :

-أتركها حالاً!، حالاً يا رائف...

على أسنانه بقوة ، ثم أستغل ذهوله وأبعد
مروج عن مرمى يديه ، ثم أمرها بصوت لا
يقبل النقاش :

-أذهبي إلى غرفتك الآن أنا سآتي إليك بعد
دقائق، هيا...-

نظرت مروج إلى رائف بعينين دامعتين
غاضبتين، ووجه محمر بإنفعال ، ظلت مكانها
لثوانٍ ترمق رائف بنظرات غاضبة فيبادلها
النظرة بمثلها، إلى أن قررت الصعود إلى
غرفتها كما أمرها أمجد ، فصعدت درجات
السلم تضرب كل درجة بقدمها...

دخلت إلى غرفتها ثم صفقت بابها بقوة كبيرة ،
فعاد أمجد بعينيه إلى رائف وهتف بصوت محتد
:



- كم مره نبهتك بأن يدك تلك ستقطع لو رفعتها
على شقيقاتك؟؟، ألن تتعقل يا رائف...
عض رائف زاوية شفثيه بشدة ، وهز قدمه
بعصبية ، بينما عيناه فقد بدتا كجمرتين
مشتعلتين بنار هوجاء ، فزفر أمجد بعصبية ،
وأقرب من رائف ، ثم هتف بصوت أقل حدة :
-كنت أعلم ، مالك أتصل بي وأخبرني بسبب
تواجدها معه ، ومع ذلك لم يسلم من غضبي
ورفضي لما حدث ، لكنني كنت قلق لأن مالك
أخبرني بأنها رحلت منذ ساعة...وبالطبع
كانت مروج خارج البيت ولم تأت...
رفع رائف حاجبيه بشدة ، ووضع كفيه في
خصره ، ثم مال فجأة نحو أمجد وهتف من بين
أسنانه :

- هذا يعني أنها قضت ساعة بأكملها معه ، أين

كانا خلال هذه الساعة!!!

لم يجفل أمجد ولم يرف له جفن بل تحرك

بهدوء متجهاً إلى السلم وقال من فوق كتفه

بحزم :

- لن أخبرك لتهورك ، أنا من سيعرفها خطأها

وليس أنت حين أموت ستحصل على تصريح

لمعاقبة أي من شقيقتك ، مادمت على وجه

الأرض أتتفس كأي أنسان لن تتمكن من معاقبة

أي منهما أو رفع يدك عليها....انتهى الأمر..

ثم أختفى من أمامه دون أن ينظر له ، فزفر

رائف بغضب وازداد اهتزاز ساقه بعصبية ،

بداخله غضب شديد مما تفعله مروج دون أن

تحسب حساب لهما هو وأمجد!



ما هو متأكد منه أن أمجد رفض أخباره أين كانا
لأنه يعلم بأن ما سيقوله لن يسره ابداً....
جلس رائف على المقعد وعيناه تشتعلان غضباً
، ثم لم يلبث أن أخرج هاتفه من جيب بنطاله
وفتح إحدى مواقع التواصل الاجتماعي...بحث
عن محادثة معينة في قائمة المحادثات حتى
وجد بغيته ، فضغط على المحادثة وتسارعت
أصابعه لتكتب :

-هل يمكنني الكلام معك قليلا يا تمارا؟؟، أعلم
أنك غاضبة مني بعد ما صدر مني ليلة أمس...
.....

طرق أمجد باب غرفة مروج طرقة قوية نسبياً
، فأتاه صوتها الغاضب تسمح له بالدخول ،



فوضع كفه على مقبض الغرفة، ثم أداره وفتح

الباب ليصدر صريراً عالياً مزعجاً....

وقف مكانه قليلاً يراقبها بتفحص ، كانت تتحرك

في الغرفة ذهاباً وأياباً بعصبية تهمس بصوت

غير مسموع على الأرجح تتشاجر مع شخصية

في خيالها ، شعرها مشعث ، وعيناها حمراوان

دامعتان دون أن تتجرأ دموعها وتسقط على

وجنتيها..

تقدم أمجد بخطوات ثابتة نحو السرير ، ثم

جلس على طرفه واستند بمرفقيه على ركبتيه ،

ثم لم يلبث أن هتف بجمود :

-تعالى واجلسى بجوارى، أريد أن أتحدث معك

قليلاً...



وقفت مروج مكانها ثم نظرت إلى أمجد ،
فابتسم أمجد لها ابتسامة باردة ، قبل أن يربت
على مكان خالٍ بجواره ، فجلست مروج بجواره
وأطرقت رأسها أرضاً ، ليهتف أمجد دون
مواربة :

لقد منحتك ثقة وحرية التصرف يا مروج وأنتِ
لم تحافظي عليها ، أتعلمين لو علم رائف بأنكِ
ذهبتِ مع مالك إلى الشقة دون مبالغة سيقتلك ،
رأيتِ كيف جن جنونه من مجرد جملة "كنت
مع مالك" كان من الممكن أن يبطش بكِ لكن
حين تدخلت وأمرته بأن يتركك ولا يتدخل
أحترم كلامي وتركك فعلا ، ما يمنع رائف عنك
هو احترامه ليّ وخوفه من أن أغضب منه ،
لكن أنتِ أنتِ أستغلّيتِ حبي لكِ ومكانتك كابنتي



الصغرى قبل أن تكوني شقيقتي... أنتِ أصبحتِ
تتصرفين وكأن لا حاكم لك...

امتقع وجه مروج بحرج ، وعضت على شفيتها
بقوة حتى أدمتها، بينما عيناها فقد دمعتا أكثر
فغامتا بغمامة من الدموع التي أنسابت بهدوء
على وجهها... شعورها بالحرج و الندم الآن
يلكمانها بقوة... ولأول مرة تعترف لنفسها بأنها
أخطأت، دائما ما كانت تشجع نفسها حتى لو
كان ما ستفعله يعتبر فعل شديد الخطورة، لكن
الآن تشعر بالندم فتربيتها لا تسمح بأن تذهب
مع رجل غريب بمفردها حتى لو كان خطيبها
ذات يوم وعلى وشك أن يصبح زوجها ، دفعها
قلقها حين وجدت وجهه يشحب بشدة و فكه
يختلج بوضوح فتجرات وذهبت معه حين علمت



بأن الأمر يتعلق بأولاده وأن صغيرته أصابها
مكروه ، وبالرغم من الحقد الدفين الذي تكنه
لرؤى رغماً عنها ذهبت معه لتطمئن وهذا
بالطبع فعل خاطيء

لكن كيف عرف أمجد بأنها كانت مع مالك في
شقيقته؟؟

وسرعان ما أنتقل السؤال من تفكيرها إلى
شفتيها لتتفقد دون أن ترفع رأسها :
-كيف عرفت أنني كنت مع مالك في شقيقته؟
رفع أمجد حاجبه بشدة ، وضافت عيناه بتفحص
متحلياً بالصمت لثوانٍ ، ثم لم يلبث أن هتف
بحذر يشوبه الغضب :

-فلنتغاضى عن معرفتي بكل شيء حتى أنك
خرجت من عنده وبقيت بالخارج لمدة ساعة



ولم تعودى إلى البيت ، هل كنتِ ستكذبين عليّ
لو سألتك أين كنتما؟؟، لهذه الدرجة يا مروج؟؟
أزداد امتقاع وجهها وقوة عضها على شفثيها ،
بينما اصابعها فقد كادت تكسرهم من قوة فركها
، يا إلهى لقد زادت الطين بلة...لم تكن لتكذب
عليه...والله لم تكن لتكذب عليه ، كانت
ستصارحه بكل شيء..

انفرجت شفثاها وهتفت بصوت واهٍ غريب
عليها :

-أقسم بالله كنت سأصارحك بكل شيء يا أمجد ،
أقسم بالله كنت سأذهب إلى غرفتك فور عودتِ
لأقص عليك كل شيء وأعتذر منك...

-تعذرين مني؟؟، هل هذه كذبة ابريل أم ماذا
؟؟؟، أنتِ لا تعذرين لأحد يا مروج حتى لو كان
أنا؟

هتف بها أمجد باستهجان ، ماطاً شفثيه
بامتعاض حقيقي ، فازدرت مروج ريقها
بصعوبة ثم لم تلبث أن صدر منها نسيج عفيف
تابعها شهقة عالية أجفلت أمجد ، مما جعله
عيناه تتسعان بصدمة!

مروج تبكي؟؟

مروج تبكي وهذا لا يعني سوى شيء واحد ،
أنها تتألم وبشدة ، هو يعلم أن جرحها لا زال
ملتهباً لا يتحمل أي شيء مؤلم يزيد ألماً...
هو... هو يعلم أنها تكذب كلما تشدقت بعدم
أهتمامها لما حدث بعد مرور مدة لا بأس بها ،



هو وحده يعلم ما تشعر به وما تخفيه كي تظهر
أمامهم قوية لا يقهرها أي شيء ، لكن اليوم
بالتأكيد انفجر ألمها و انهار قناعها البغيض...
تعالت شهقات مروج ، فشر أمجد بقبضة باردة
تعتصر قلبه دون رحمة ، ليضمها إليه بقوة ،
وربت على ظهرها بحنان هامساً بحنان :
-لا بأس لا بأس....

أغمضت مروج عينيها بقوة ، وصارت شهقتها
ترتفع وترتفع فتحوّلت إلى شبة صرخة...
وجهها الأبيض الناصع أحمر بشدة ، وشفثاها
كانتا مرتجفتان....

من مكانها ستتحمل ما تحملته؟؟
من في سنّها الصغير هذا رأت ما رآته هي؟؟



عقد قران ، و فستان جميل ومجموعة كبيرة من
صديقاتها يجلسن في بيتها ، صوت الزغاريد
يعم المكان ، ابتسامة حالمة تزين ثغرها
وشفتيها المصبوغتين، ليتحول حلمها الوردي
فجأة إلى حلم أسود ، تحول حلمها إلى حجيم...
تركها خطيبها ولم يأتِ إلى عقد القران....
فتوالت التوقعات الكاذبة و تكاثرت الأقاويل
"هل تراجع عن قراره أم عرف شيئاً عنها لا
يحتمل؟!!"

"يقولون أنه علم بعلاقتها بشاب آخر فتركها
ولم يأتِ إلى عقد القران؟"
النظرات الشامتة والممتعضة كانت مرافقة لها
لفترة ليست بالقصيرة ، فترة كانت صعبة
جدا....



هذه تخرع سبب وتلك تنقل الأسباب الكذبة من
امرأة إلى أخرى... وهي لم تكن تعرف سبب
فعلته وقتها، إلى أن علمت وليتها لم تعلم...
نار نار تحرق صدرها، وألم مبرح يسيطر علي
قلبها العليل... هذا ليس عدلاً... هذا ليس عدلاً
لماذا ظهر مرة أخرى، لماذا؟

خفتت صوت شهقاتها ، وجفت دموعها تماما ،
فزفر أمجد دون صوت ، وهمس من بين أسنانه
بصوت خفيض لا يكاد يسمع :

-سافق لك عينك يا مالك ، أنتظر فقط!

ثم أبعد مروج عنه قليلا ، وأمسك وجهها بين
كفيه ، فنظرت مروج له بعينين حراوين كالدم
، ليهتف أمجد بحنان حازم :



-كفى بكاءً يا صغيرة... أنا دائماً معك وبجوارك
لا تخشي شيء...ثانياً لا زلت غاضباً مما فعلته
و ستعاقبين....

صمتت مروج فجأة وأتسعت عيناها بغباء ،
فالتوت شفقا أمجد إلا أنه تماسك بقناع بروده
وهتف بصرامة :

-لا تنظري إلي هكذا ستعاقبين ولن تردعني
دموعك....

وقبل أن تدارك أي شيء وجدته يبتعد عنها ، ثم
دغدغها فجأة فضحكت بصوت عالٍ هستيري
وهي تحاول تفادي أصابعه التي كانت تدغدها
بحنان وابتسامته الجميلة تزين ثغره...



سريع المسامحة و طبعه الحنون يغلب
غضبه...أو لنقل أن جزء من غضبه الحقيقي لم
يظهر ولم يلجأ له..

هذا هو أمجد...أمجد فقط دون أي القاب واسم
عائلة كبير لكنه يخفي خلفه أشياء لا تحتمل !!
دمعت عينا مروج من فرط ضحكها الهستري
وصارت تتلوى ، بينما أمجد فقد كان يبتسم
بحنان ويهتف من وسط ضحكاته :

-ابتسمي يا من تمتلك وجه جامد

وحجري..ابتسمي يا صغيرة..

لم تكن تحتاج أن يأمرها بالابتسام أو الضحك
فقد كانت تضحك بصوت عالٍ كطفلٍ صغير...
تركها أمجد أخيراً ، ثم قبل جبينها بحنان قبل أن
ينتصب واقفاً ويهتف :



- سأرحل ، الآن موعد سفري لن أخيب يوم
واحد وسأتي ، هذا تحذيري الأخير يا مروج ،
فكري قبل أن تتصرفي ، ولا تقدمي على فعلٍ
متهور كما فعلتِ حتى لو كان الأمر يدعي القلق
والذهاب معه... هذا غير مسموح به... مفهوم؟
أومات برأسها بسرعة ، ثم ابتسمت بارتباك ،
فابتسم أجد لها بدوره ولوح لها بكفه قبل أن
يغلق الباب خلفه... فتلاشت ابتسامته وهمس

بصوت غريب :

- سأسافر... و سأراها...
=====

أحيانا يضعنا القدر أمام ما نتمناه لكن بطريقة

منفرة!



نتمنى ونتمنى فيأتي هو ويلبي لنا أمنيتنا لكن

بطريقة تجعلك ترفض ما تمنيته....

وهذا بالفعل ما شعرت به قبل شهرين... لم

تكن تتوقع أن يتحقق ما تمنيت كان بين يديها

هي ، لكنها رفضت...

نعم رفضت لأجل نفسها وكرامتها ، رفضت من

سكن قلبها وسيطر عليه...

رفضت حب عمرها الأول والأخير ، فابتعد هو

واختفى فجأة من حياتها....

لن تنسى أبدا يوم خرج يونس من المشفى

بصحة لا بأس بها قبل ما يقارب الشهرين ،

فأمر رجال الحي وعلى رأسهم الحاج عبد

العزیز أن یقام اجتماعا كبيرا في بيت عبد

العزیز كي يتم تسوية الأمر ، فإن حدث أي



أشتباك ستتدخل الشرطة وهذا لن يكون في
صالحهم أبدا...

وبالتأكيد أجمع كبار الحي ويونس ورائف
وأمد وذاك الهمجي عادل ، حتى هي كانت
حاضرة لكن في غرفة مجاورة لغرفة الرجال
لتتمكن من سماعهم...

أول صوت سمعته كان صوت يونس الحبيب :
-قبل أي شيء أنا لا أقبل بأن يخوض أحد في
عرض جود شقيقتي و"الآنسة" مروج...
هتف عبد العزيز بصوت هاديء :

-وأنا لم أكن لأقبل بهذا يا ولدي...لكن أعذرنى
فالأمر ليس هينا ، أين شقيقتك جود؟
تحفزت ملامح أمد واعتدل في جلسته منتظراً
الإجابة بلامح سوداء....



أطرق يونس برأسه لدقيقة ، ماذا سيقول له ،
وأي حجة سيلجأ لها كي يبرأ شقيقته أمام رجال
الحي ، بالرغم مما فعلته بكل بجاحة وعدم
تربية ، إلا أنه لا يقبل بأن يطول اسمها أي
تهمة...وما لا يقبل به درباً من الخيال ، رفع
يونس رأسه وانفرجت شفاته فتحفز أمجد أكثر
وتحمس منتظراً ، غافلاً عن عيني رائف
المراقبتين له بتردد وحيرة :

-شقيقتي تركت بيتنا ورحلت لتسكن في
محافظة أخرى كي تتابع تعليمها هناك وستظل
هناك سنتين أو أكثر...لا أعتقد أن هذا يهمكم
في شيء؟؟؟

أنعقد حاجبا أمجد باستغراب ، وضافت عيناه ،
أربعة سنوات لم تظهر خلالهم ولم يعرف عنها



أي شيء ، ومن المفترض أنها أنهت
تعليمها؟؟؟، فأني تعليم هذا الذي تتابعه.....
غضب شديد يشعر به وفضوله يزداد هو في
الحقيقة ليس فضولاً بل اشتياقاً ممتزجاً
بالألم.....

هتف عادل فجأة وهو مبتسماً ابتسامة مقبلة :
-تعليم؟؟؟...أي تعليم هذا يا...نصف رجل أنت،
شقيقتك هربت مع ابن خالك...وهو بالمناسبة
تركها...فبالتأكيد أنها الآن توزع ما تبقى منها
على الرجال بكل سخاء وت....آه....
بُترت عبارته وصدر منه تأوه شديد جراء لكمة
عنيفة من أمجد!!!



أوجد الذي أندفع من مكانه فجأة بغضب اسود
ووجد نفسه يلکم عادل بقوة مفرغاً غضبه
به....

عيناه السوداء وان ازدادت قتامة وملامحه
الصفافية تعكرت بغضب أسود.... زمجر عادل
بعصبية وانتفض واقفاً ثم لم يلبث أن قبض
على قميص أمجد و رفع قبضته في الهواء كي
يرد له لکمه لكن صوت عبد العزيز الذي قصف
فجأة أجمه ليس أحتراماً فهو لا يعرف الاحترام
من الأساس... بل توقف لذهوله من كلمات عبد
العزيز :

- أقسم بالله أن فعلتها ستطرد من الحي... -



نظر عادل له بذهول مبتسماً بعصية... فابعد
أمجد قبضة عادل ومال نحوه ليهمس في أذنه
بصوت كالفحيح :

- كلمة قدرة أخرى ستندم ، لا تحاول أن
تغضبني هذا ليس في صالحك، ستقول ليّ أن
رجالك سيقتلونني في غمضة عين سأقول
لك.. أنا على الرحب....

ثم ابتعد عنه بملامح غاضبة سوداء...
عاد إلى مقعده ونار هوجاء يزداد لهيبها
بداخله...

هربت ومع رجل؟؟، معقول؟؟
أن كان هذا شعوره حين تجرأ عادل وقال كلمات
لا يعلم صحتها... فكيف سيكون شعوره لو كان



ما قاله عادل صحيحاً... ضغط أمجد على اسنانه

بقوة..

مجرد التخيل يقتله قتلاً ويزيد شعوره بالغضب

الأسود أكثر...

نظر عبد العزيز إلى أمجد وقال بصرامة :

- ما فعلته يا أمجد عيباً في حقي... عادل في بيتي

وأنت ضربته...

رفع أمجد رأسه ، ثم التفت إلى عبد العزيز ،

وهتف بصوت حاد قائم يختلف عن نبرته

الهادئة بطبيعتها :

- آسف لك يا حاج ، لكن ما يحدث هنا أنا غير

راضٍ عنه ، هذا الأجماع لن يحل شيء... عادل

تعدى على حرمة بيتي بالباطل وكذلك فعل مع

يونس ، هو لا يستحق أن يجلس وسط الرجال



من الأساس... بعد اذنك يا حاج فلتتهي هذا
الأجتماع العقيم و سيتكفل كلا منا مسئولية
حماية عرضه وأنا وشقيقي نرحب بذلك
وبشدة...

نظر عبد العزيز له نظرة غريبة مختلفة تماماً ،
وبالرغم من ذلك لم يجعل أمجد ولم يرمش
عينيه....

هل هذا هو أمجد الهاديء ، لقد ظنه منفصل عن
أي مشكلة أو اشتباك ، وهو بالتأكيد فسر ذلك
لأنه غريب عن الحي ليس من أهله ، دائماً ما
كان يضع أمجد في خانة من هو لا يحل شيء
ولا يعرف أن يربطه... وهذا لا يعيبه بل لأنه
هاديء لا يحتك بأحد نهائياً ، لكن الآن
فشخصية أمجد منقسمة.. لشاب حنون هاديء



عاقل... وشاب مشتعل غاضب، حازم لا يحب
أن يسمع شيئاً لا يروق له...
ببساطة هو محظوظٌ بقدرته على موازنة نفسه
والتحكم بها....

هتف عبد العزيز بعد صمت غريب وهو ينظر
إلى أمجد لا يحيد عينيه عنه:
-أعلم يا ولدي أن ما حدث جعل سمعة شقيقتك
كالعلكة في أفواه النساء ، والخطأ خطأ عادل
ومن مثله...لقد تلوثت سمعة شقيقتك تماما وأنا
أسف لهذا يا ولدي لو بيدي لكنت قطعت لسان
كل نذل حقير قبل أن يتفوه بكلمة تضر وتسيء
لشقيقتك وجود...لذا سنعقد اتفاقاً ودياً
وسيتقدم عادل لخطبة لجين ..

اتسعت عينا يونس بذهول واستعرتا بغضبٍ ،
ثم نظر إلى عادل فوجده يبتسم بانتصار ،
فاشتعلت غيرته أكثر وازداد غضبه ، لتتفرج
شفتاه كي يصرخ بهم رافضاً ، لكن أمجد
ورائف اللذين كانا في حالة من الصدمة مما
سمعا ، هاتفا في صوتٍ واحد :

-مستحييييل...-

أجفل عبد العزيز وعاد برأسه إلى الخلف وهو
ينظر لهما بحذر ، فقد كانا كنسختين متماثلتين
في غضبهما...

عم صمت مريع لدقيقة ، عادل يجز على أسنانه
بغيط فهو يريد لها ولن يتركها ، أما أمجد فقد بدا
كمن فقد زمام أموره حين هتف بإنفعال :



- هذا النذل الحقير تريد مني أن أضع يدي بيده
وأسلمه ابنتي، والله لن يحدث هذا إلا على
جثتي... أنا أرفض يا حاج وهذا ظلم... قولت لك
أنهي هذا الأجماع الغريب فأنا لن يهمني أي
شيء يعاكس رغبة شقيقتي ، عادل لا...
أطرق عبد العزيز برأسه يوازن الأمور في
عقله تاركا ثلاثة رجال يشتعلان غضباً، وكان
أكثرهم هو يونس... حتى أنه كان على وشك
الصراخ بهم رافضاً كل هذا...
تعالى الهمهمات من حولهم منهم من يتعجب
من صمت عبد العزيز... ومنهم من يتعجب من
رفض أمجد.. رفع أمجد رأسه بسرعة حين هتف
عبد العزيز بصوت صارم أمراً صبي صغير كان
يقف عند باب الغرفة :



-أذهب وأخبر لجين بأنني أريدها الآن...ستجدها
في الغرفة المجاورة...

أوما الصبي برأسه ، ثم خرج من الغرفة
مهرولاً، وفي خلال دقيقة كانت لجين تدخل إلى
الغرفة مطرقة الرأس....وجنتاها حمراوان
بخجلٍ وحرص ، وقفت أمام عبد العزيز ثم رفعت
رأسها ونظرت إلى عبد العزيز الذي ابتسم لها
بثبات وهتف :

-أريد أن آخذ رأيك يا أبنتي في شيء....
عضت لجين على شفتيها بقوة ، توتر وقلق
كبير يسيطر عليها....قلق من هذا الجو
المشحون بالغضب والحد..نظرت بطرف
عينيها فوجدت يونس ينظر إلى جهة أخرى

بغضب مشتعل وبالطبع كان ينظر إلى عادل
الذي كان يحدق في لجين دون خجل أو أدب...
ازدرت ريقها بصعوبة، ثم همست بتلعثم :
تفضل....

أبتسم عبد العزيز ، ثم هتف بثبات مركزاً نظره
على أمجد :

-سيتم عقد اتفاق ودي وسيقدم يونس
لخطبتك....كي نقطع السنه من يتكلم عنك
بطريقة تسيء إليك...هل تقبلين؟؟؟
اتسعت عينا لجين بصدمة ، وفغرت شفتاها...
خطبة؟؟؟...هل سمعت للتو بأنها من الممكن أن
تخطب إلى من تمنته....
هل سيتحقق حلمها لو وافقت على ما حكم به
عبد العزيز؟



لكن هل ستوافق عليه فعلاً وكأنها أفتعلت
خطيئة و أمر كبار الحي بستر الموضوع؟؟؟
هي لم تفعل شيء يجعلها كمن ارتكبت خطيئة
ومن المتوقع أن تقبل بما حكم به كبار الحي ؟
لو وافقت وقبلت ستسوء سمعتها
أكثر.... وستثبت التهم عليها.... عقلها يرفض
الموافقة ، وقلبا يصرخ أمراً إياها أن تغتتم
الفرصة وتوافق....

بين عقلها وقلبا تقف حائرة، تائهة لا تعلم أي
الاختيارين صواب!

هل تنصاع إلى أمر عقلها بأن ترفض وتنقذ
كرامتها أم تنصاع إلى أمر قلبها بأن تقبل
وتغتتم فرصة الحصول على حبيبها.....!!!!!!



ودون أن تشعر بنفسها نظرت إلى يونس
فوجدته ينظر لها، نظرة غريبة نظرة لم تفهمها
ولم تبذل الجهد كي تمنع النظر إليه، لا تعلم بأن
قلبه يهفو لسماع كلمة منها... مجرد كلمة
ستقولها وتقبل.....

انفجرت شفتا لجين وهتفت بثبات خاذلة قلبها
الذي صمت ليبيكي على ضياع فرصة كانت
ستتعشه:

-لا... لا يا حاج أنا لا أقبل ، ما الذي يجبرني
على الموافقة وأنا لم أفعل ما يجبرني على
هذا... كل التهم والشائعات التي تداولت عني
وعن "أستاذ" يونس خاطئة ولو وافقت
ستثبت علي... أنا لا أقبل بأن أخطب بهذا الشكل
وأخي يجلس رافضاً لكل هذا... أنا لم أفعل شيء



يا حاج ولن أقبل فتلك الطريقة التي اتبعتها
لتنهي الأمر ليست بالجيدة.... كمن وقعت في
حبائل الخطأ....

ثم صمتت فصمت كل شيء حولها..... وعم
السكون على المكان.. النظرات فقط هي من
تتحدث.... بعضها مستاءة وبعضها معجبة
بقرارها....

ونظرة متألّمة كان صاحبها يونس الذي أخفض
عينيه... والتوى فكه... لقد رفضته؟
نعم لقد رفضته.... أطاحت بأمنيته وأحلامه....
رفضت ولها الحق في هذا لكن قلبه يراها لا
تمتلك أي الحق في رفضها له.. قلبه الذي تحطم
إلى شظايا!!!!

عادت لجين من شرودها متنهدة بحزن..



ليس كل ما نتمناه دائماً، يحدث !

=====

أحتضن رأسها برفق ، وكفه يربت على شعرها
بحنان....

أنفاسها الرتيبة أخبرته بأنها راحت في ثباتٍ
عميق بعد وصلة بكاء غريبة غرقت بها على
درجات السلم حين أخبرها بأنه سيسافر لمدة
شهر كامل...

تصرفها أجفله، لم يتوقع أن تبكي لأنه سيرحل
و لن يعود قبل شهر، حين وقعت عيناه على
دموعها واهتزاز كتفيها...شعر بقبضة تعصر
قلبه ، فاندفع نحوها واحتضنها هاتفاً بقلق وهو
يدفع رأسها أكثر نحو صدره :

-ماذا بكِ لماذا تبكين ؟



لم ترد عليه ولم تتوقف عن البكاء بل ارتفع
صوت شهقتها وارتجف جسدها بين يديه ،
فانحنى ليضع ذراعه تحت ركبته وحملها
صاعداً درجات السلم...

فلفت ذراعيها حول عنقه ودفنت وجهها في
تجويفه....

وقف أمام غرفته ، فأوقفها على قدميها
واسندها بذراع ، وبالذراع الآخر فتح باب
الغرفة وهو يهتف بقلق ممتزج بالخوف عليها

:

- بالله عليك لماذا تبكين بهذا الشكل؟؟
ايضاً لم ترد عليه بل دفنت وجهها بين كفيها
وبكت في صمت هذه المرة، فانعقد حاجباه



بخوف وقلق ، ثم دفعها برفق وأغلق باب

الغرفة خلفه....

أتجهت مليكة إلى السرير وجلست على طرفه

تبكي بصمت ودموعها تنهمر على وجنتيها

كالمطر... فجثا سليم على ركبتيه أمامها وأمسك

وجها بكفيه لتواجه عينيه القلقتين بصدق ،

فالتوت شفتاها وأغمضت عينيها بقوة...

هتف سليم بصرامة قلقة!! :

-تكلمي ماذا بكِ؟؟؟...

-لم أكن أقصد... أقسم بالله لم أكن أقصد ما

قولته ذاك اليوم... لقد تهورت وتهور لساني

الغبي...

هتفت بها من وسط دموعها الغزيرة ، فرفع

سليم حاجبه بذهول وهتف بحذر :



- لا أصدق.. هل تبكين لهذا السبب؟؟

أرتجفت شفاتها بوضوح فانخفضت عينا سليم
لهما وطالت نظراته هناك بينما تحرك حلقه
بصعوبة....

رمشت مليكة بعينيها مرتين واحمرت وجنتاها
بخجلٍ حين لاحظت نظرته ، ثم لم تلبث أن
هتفت بتلعثم والدموع تتسابق على وجنتيها :
- هل خنتني؟؟

فغر سليم شفتيه بذهول حتى كاد فكه يعانق
الأرض ، بينما عيناه فقد اتسعتا بشدة ، وهتف
بصدمة :

-ماذااااااااااا؟؟؟؟



عضت مليكة باطن خدها بشدة ، وأغمضت
عينها بقوة.... فتحول ذهول سليم إلى ابتسامة
مفتعله قبل أن يهتف بحاجبين مرتفعين :
- هل تبكين لأنك تظنين أنني خنتك؟؟... هل أنتِ
مجنونة أم ماذا؟؟؟...

لم ترد مليكة عليه بل أطرقت رأسها وارتفع
صوت بكائها من جديد ، فانعقد حاجباه بغباء
وكأنه ينظر إلى مخلوق فضائي ، ثم لم يلبث أن
اتسعت عيناه وهتف بخفوت :
- هل تغارين؟؟؟

وبسرعة غريبة وغباء منقطع النظير ، صرخت
بوجهه وهي تهز رأسها برفض :



-أغار؟...أنا أغار عليك أنت؟؟؟...وهل أصيبت

بالغباء كي اغار عليك أنت؟؟...من أنت

أصلاً؟؟

اتسعت عيناه بصدمة ، وارتفعت زاوية شفته
العليا بشدة...بالرغم من كلماتها اللاذعة والتي

لا يتوقف لسانها عن اخراجها أبدأ..

الم تتعذر للتو على ما صدر منها بسبب غباء

لسانها لتعود وتفعل المثل....

حدجها سليم بنظرات نارية ، ثم هتف بغموض

:

-أتريدين أن تعرفي من أنا؟؟؟

رمشت مليكة بعينيها بعدم فهم ، وتوقفت

دموعها عن الهبوط ، وقبل أن تفهم ما يقصده

، وجدت نفسها فجأة تميل إلى الخلف نتاج



اقترا به منها بشدة حتى لامس جسده جسدها ،
ازدردت ريقها بصعوبة حين أنخفض وجهه إلى
وجهها مثبتاً عينيه على شفثيها... فعانقت شفثاه
شفثيها بقبلة بطيئة تجاوبت معها على أستحياء
حتى حُبست أنفاسهما.... وودون شعور منها
رفعت ذراعيها لتحيط عنقه بهما لتتعمق
قبلتهما... شاعرة بشيء غريب يتحرك
بداخلها.... واشتياق غريب له...
أبتعد سليم عنها قليلا صوت لهاثة مختلط
بصوت لهاثها... أغمضت مليكة عينها بخجلٍ
وأشتعلت وجنتاها كجمرتين... شفثاها
المتورمتان نتاج جنونه ترتجفان... فابتسم
ابتسامة صغيرة.. ثم مال ليقبل عنقها برفق لا
يتناسب مع دقات قلبهما الهادرة... فتاعترضت



ملیكة بخفوت وهي تحاول إجبار نفسها على
الصمود لانتزاع الجواب منه...و حين فشلت ،
لجأت إلى الكلام فهمست بتقطع :

-سليم... أنتظر... هل ت....

قاطعها سليم مزجراً بخشونة ، ثم هتف
بانفعال دون أن يرفع وجهه إليها فلافحت
أنفاسه الساخنة عنقها :

-اصمتِ يا اكثر النساء غباءاً وتخلفاً... لا أريد
أن يتدخل لسانك بيننا الآن... دعيني
أعلمك... من أنا....

حاولت الاعتراض لكنه لم يترك لها الفرصة...
ليتعامل مع عباؤها باصابع خرقاء... ثم بث
شوقه لها بشغفٍ سلب عقلها... وهدد أنوثتها
المنقوصة...!!



عاد سليم إلى أرض الواقع على صوت شخير
خافت صدر منها، فابتسم بهدوء... ابتسامة
فقدتها منذ ذاك اليوم الملعون... هز رأسه بعنف
كي يبعد هذه الذكرى الآن... الآن فقط...
وضعها سليم على الوسادة برفق، ثم تأمل
وجهها بعينين شاردتين...
العلاقة بينهما غريبة..

تصرفات كل منهما تناقض الآخر... لم يكن
ينوي مسامحتها على ما تفوهت به لكنه في
قرارة نفسه يعلم بأن مجرد رؤية وجهها
سينسى ما فعلته... أو سيتظاهر أنه نسي كل ما
فعلته....

بالرغم من حبه لها إلا أنه لم ينسَ ما فعلته....

هو ليس بغبي كي لا يلاحظ تغيرها معه ومدى
تأثيره عليها ويشهد على ذلك المشاعر
الشغوفة التي تشاركها معاً خلال الوقت
الماضي...

ستظل مليكة وتصرفاتها علامة استفهام
كبيرة....

ضاقت عينا سليم قليلاً متذكراً كلماتها وسؤالها
عن خيانتها لها ، لقد تحرك الشك بداخلها
وبالطبع لا تحمل أي ثقة بداخلها نحوه...
هو يعلم جيداً من بث سمه بها... وبالطبع لن
يكن سوى سالم...

شعور بخيبة أمل يكتنفه حالياً حين أدرك بأنها
صدقته ولم تدافع عنه وهذا ما حدث



بالفعل....لم تحكي له أي شيء لكنه
توقع...فهو يفهمها أكثر من نفسها....

أجفل سليم على صوت رنين هاتف مكتوم ،
فاعتدل في جلسته ومال قليلا ليلتقط بنطاله من
الأرض ، أخرج الهاتف من جيب البنطال ثم
نظر إلى شاشته فوجد الرقم غريباً ليس
مسجلاً...فقرر تجاهله إلا أن شيء ما بداخله
جعله يرد....

-من معي؟

لم يرد الجانب الآخر لوهلة ، فارتفع حاجب
سليم باستغراب وهمّ بغلق المكالمة إلا أن
المتصل قرر التحدث مقاطعاً سليم بنبرة حاقدة:



-سيد سليم... أنا ماهر شقيق ريهام... أردت أن
أطمئن على مليكة....

اشتعلت فضيتا سليم بغضب وأحمر وجهه ، ثم
لم يلبث أن هتف بنبرة خطيرة :

-عفواً...أريد أن أسمع ما قلته مرة أخرى!
لوى ماهر شفثيه بامتعاض ، ثم هتف بحقد
مكتوم :

- أنا أعلم أنك سمعت كل حرف نطقت به ، لذا

فجاوبني ...لقد انقطع الاتصال فجأة وأنا

أتحدث معها فقلقت عليها منك ومن

جبروتك...أنا على دراية بكل شيء...طريقة

زواجك منها ومعاملتك لها...أنت لا تقدر ما

بين يديك...مليكة المسكي...



- لا تتفق أسمها وإلا قسماً بالله سآتي إليك

لأقطع لك لسانك....

هدر بها سليم بقوة ، فانتفضت مليكة في نومها

ورمشت بعينيها عدة مرات عاقدة حاجبيها

باستغراب....

أزداد أشتعال عينا سليم وتفاقم الغضب بداخله،

فاختار ماهر هاته اللحظة بالذات ليصرخ هو

الآخر :

- لن أهابك يا ابن الأميرية ولو كنت رجل تعال

إلي... لقد أخطأت حين هاتفتك لأطمئن

عليها.... لا أعلم بأنك جبان بهذا الشكل

وتصرخ وتهدد دون أن تفعل شيء..... أنت

فعلا لا تستحق انسانيه بجمالها ونقاها....

جن جنون سليم وشعر بقوة هائلة تندفع في
أوردته ليهتف ضارباً الكومود بقبضته بغضب :
-كيف تجرؤ؟؟...كيف تجرؤ على نطق أسماها
والكلام عنها بهذا الشكل...ما هذه البجاجة
وانعدام الرجولة..

جز ماهر على أسنانه بغضب وحقد ، ثم هتف
بتحد :

-فلتأتي إليّ وسأريك الرجولة....

لم يرد سليم عليه بل أغلق الخط بعنفٍ، ثم ألقى
الهاتف بالحائط ليتساقط مت هشماً....

صرخت مليكة بفرع حين التفت لها فجأة بعينين
مشتلعتين، فانتفضت جالسة ساحبة الغطاء إلى
ذقتها....



كانت ترتعد بخوف من مظهره الغاضب، تخشى
أن يبطش بها في غمرة غضبه... لكنه انتفض
واقفاً ثم اندفع نحو الدولاب ليخرج منه ملابس
عشوائية... ثم دلف إلى الحمام صافقاً الباب
خلفه بقوة....

همست مليكة بخوف وذهول :

-ماذا حدث؟؟؟... لماذا تحول بهذه السرعة.. ما

هذا النحس !!

وبعد دقائق ليست بالقصيرة خرج سليم من
الحمام مرتدياً كامل ملابسه، وكما لاحظت فقد
هذب لحيته....

ملامحه أشد غضباً وسواداً... أتجه إلى جرور
صغير فتحه لتجده يخرج سلاحه

منه....فاتسعت عيناها بشدة وهتفت بفرع

وهي تراه متجهاً إلى باب الغرفة :

-يا إلهي...إلى أين ستذهب بهذا السلاح وأنت

غاضب بهذا الشكل....

توقف سليم مكانه دون أن يلتفت صدره يرتفع

ويهبط بعنف ، ثم لم يلبث أن التفت لها وهتف

بصوت كالفحيح :

-سأذهب لأقتل شخص وسأعود....

صدر منها صرخة فزعة صغيرة ، ثم انفرجت

شفتاها تنوي تهدئته لكنه قاطعها هادراً بصوت

عالٍ :

-اصمتِ أنتِ...فدورك لم يأتي بعد....

ثم خرج وصفق الباب خلفه بقوة ، فانعقد حاجبا

مليكة وهتف بغضب :



-وما شأني أنا؟؟-

=====

فستان أبيض قصير بلون السكر احتضن
جسدها بمظهر مثير للتقرز بالنسبة لها ،
وجها تلطخ بأصباغ عديدة طمست أي أثر
لكدمات، شعرها مصفف بعناية دون احترام لها
ولإردائها للحجاب... عيناها تشتعلان بغضب
أهوج... هكذا رأت نفسها وهي تقف أمام مرآة
طويلة عكست جسدها بأكمله....

لقد حان موعد عقد القران، دقائق وسيأتي
هاني ليذلها ثم يخرج ليتم عقد القران... هكذا
أخبرها...وكم متطوقة لهذا..فليأتي فقط....
رفعت كفها ونظرت إلي كم الفستان الطويل
للتأكد من وجود المدينة التي أحضرتها عادة



لها، ابتسمت صبا بغل... وعضت على شفتيها
المصبوغتين بلون أحمر قانٍ كالدّم فتلونت
أسنانها بنفس اللون... شعورها بالقهر والذل
يقتلها ببطء ويزكي نيران حقدّها أكثر وأكثر،
عيناها المكحلتان بلون أسود ثقيل صريح
دامعتان بقهر....

ستأخذ حقدّها... ثم ستتهار....

تصلب جسدها فجأة على صوت فتح باب الغرفة
، ولم تمر ثانية لتجد هاني يقف خلفها مباشرةً
مرتدياً حلة سوداء أنيقة... وشعره مصفف
بعناية... نظرت إليه عبر المراة نظرة كره ،
فابتسم هاني لها ابتسامة مقبّية وهتف بنبرة
مقرزة :



-دقائق وستصبحين زوجتي يا

جميلة....وبعدها....لن أرحمك....

شعرت صبا بغضبها يتفاقم أكثر وأكثر ورغبتها

بقتله والنيل منه تتأجج بداخلها....

أمسك هاني من مرفقها ثم أدارها لتصبح مقابلة

له ، فنظر لها نظرة شملتها كلها بوقاحة ثم

هتف :

-الفيستان مناسب لكِ جداً....

ثم رفع ذراعه ليحيط خصرها بذراعه ، ثم

جذبها نحوه بقوة....فشعرت صبا بالغثيان و

التقزز لكنها أجبرت نفسها وابتعدت عنه فجأة

لتستدير وتقبض على عنقه من الخلف بحركة

مفاجئة بذراع وبالذراع الآخر أشهرت المدينة

به .



شقق هاني بقوة حين أشهرت مديتها نحو
عنقه ، فحاول إبعاد ذراعيها المتشبثين به بقوة
غريبة حتى كاد يختنق عنقه... لكنها
صرخت بغضب مهددة إياه :

-إياك والتحرك... سانح عنقك لو فعلتها...
لكنه حاول إبعادها عنه وإبعاد ذراعيها عن
عنقه لكنها كانت متشبثة به بقوة غريبة ليست
قوة امرأة منكسرة مثلها... وبالفعل شددت
المدية علي عنقه حين حاول إبعاد ذراعيها
فجرحته جرح صغير ، اتسعت عينا هاني بذهول
... فابتسمت صبا بانتصار... وهمت بزيادة
الضغط على عنقه.. لكن صوت جلبة بالخارج
أجفلتها واربكتها لتتنظر إلي الباب بارتباك؛



فاستغل هاني ارتباكها أفضل
أستغلال...فصرخت صبا بقوة وألم...
=====

الفصل الرابع عشر

الألم يحتد وخط رفيع من الدم سال على طول
عنقها ببطء قاتل ، عيناها تدمعان دون شعورٍ
منها بينما ساقاها فقد كانتا في حرب بالمعنى
الحرفي ، كانت تضرب بهما دون هدى تحاول
ضرب قدميه بشتى الطرق علها تتمكن من انقاذ
عنقها ، لا تصدق بأنها تحولت فجأة من
مسيطرة علي الموقف تمسك بيدها مُدية تهدده
بها إلى الوضع المعاكس....
لقد أربكها صوت الجلبة والذي تزايد بالخارج
بشكلٍ يثير الشك ، لكنّها لم تهتم سوى بأن تنقذ
نفسها بإبعاد المُدية عن عنقها....

وبالرغم من الوضع الذي من المفترض أن
يستدعي الخوف ، إلا أنها لم تشعر سوى
بالقهر والذل يتفاقم بداخلها ، فلتموت قبل أن
تصبح زوجته ويلمسها، حتى لو كانت
نظرة... فنظرت عيناه تمثل لها لمسة قدرة
تدنس جسدها الطاهر....
صوت أنفاسه المقرزة تلفح مؤخرة جيادها ،
فتزيد من غثيانها و قوة ركلها بساقها
بعشوائية ، فيبتسم هو ويهتف بصوت قائم :
-حاربي يا بطة ، حاربي لن أتركك...ترفعي
عليّ سلاح و تقيدي عنقي؟؟؟، ألا ترين الفارق
بيني وبينك جسدياً...



جزت صبا على أسنانها بقوة حتى أصطكت ، ثم
صرخت بغضب وهي تتلوى بين ذراعيه ،
صارخة في وجهه :

-لا...لم أر سوى نذالتك ووقاحتك ، يا عديم
الرجولة والنخوة ، أنت ومن مثلك تستحقون أن
يتم تقيديكم وجلدكم بكل قوة وغل...ألم تر أنت
نفسك حين أحكمت ذراعي حول عنقك و
هددتك؟؟؟؟...أنت مثير للشفقة وما تفعله الآن
رحمة لي...أنحر عنقي وسأكون شاكرة لك...
استعرت عينا هاني وقيمت ملامحه بشكل
مخيف ، فإزاد ضغطه بذراعه الملتف حول
عنقها ، لتشهق هي طالبة استنشاق الهواء ،
ثم سعلت بعنف وهي تحاول ضربة بأي شيء
تطوله يديها...



أقرب من أذنها ثم همس بصوت مقرز ، مثير

للغثيان :

-أنتِ تقولين الكلام وتفعلين عكسه ، لو كنتِ

تتمنين موتك فعلا لما كنتِ حاربتني بهذه

الشراسة كي أحررك..

اتسعت عينا صبا بذهول وابتسامة شرسة

ترتسم على شفثيها ، لتهتف بصوت حاد

قاسٍ...لم تتخيل أبداً أن تمتلك نبرة كتلك :

-هل وصلت إلى هذه المرحلة من التفكير الذي

هو بالمناسبة أغبى أنواع التفكير ، أنا أحاربك

كي أتابع ما كنت أنويه ، ابتعد ابتعد أنا لا أطيقك

ابتعد جسدي كله ينتفض تقززا وقرفاً...

زمجر هاني بغضبٍ أعمى وأحمر وجهه بشكلٍ

مخيف، فارتجفت شفثا صبا رغماً عنها ثم لم



تلبث أن شهقت بصوت عالٍ حين دفعها هاني
 بقوة فلم تستطع موازنة نفسها على كعبي
 حذائها لتصطدم بطاولة الزينة... وتقع أرضاً
 بقوة ألمتها مما جعلها تصرخ بألم ودموع
 القهر تنسدل على وجنتيها بغزارة غافلة عن
 نظرات هاني المرتبكة والشاحبة فقد سمع
 صوت اقتراب خطوات من الغرفة وأصوات
 جهورية تهدر من الخارج باسمه... ضاقت
 عيناه بشدة واختلج فكه بخوف ظهر جلياً على
 ملامحه فما توقعه الآن ليس بالجيد أبداً...
 لم يلبث أن اتسعت عيناه بصدمة وهو ينظر إلى
 المديّة بيده... ليلقيها بعيداً عن الأنظار...
 فجأة فُتح باب الغرفة بقوة بسبب ركلة رجل
 يرتدي زي عسكري يقف عند الباب بنظرات

مشتعلة، فتوقفت صبا عن البكاء وخفت صوت
نحيبها.. نظرت إلى الرجل الواقف عند باب
الغرفة وخلفه مجموعة من العساكر بذهول ، لا
تفهم ماذا يحدث

لماذا أتت الشرطة الآن ولماذا يقف هاني كمن
سكب عليه دلو من الماء البارد على طول
عموده الفقري....

لقد وضعت في هذا الموقف من قبل ، لكن شتان
بين الاثنين فالأول كانت هي السبب فيما حدث
لمروان وخداعها له... كان موقف مختلفاً
شعرت وقتها بالظلم والقهر لكن شعور آخر كان
يلوح باستحياء كي يظهر... شعور غريب
سببه رد فعل مروان على كل شيء حدث وقتها
، كان يدافع عنها بضراوة.. لكن هذا الشعور



الغريب عاد يخبو خلف ساتر رديء مهتريء

وكأنه يرفض الأختباء؟

هدر صوت الضابط بقوة مخاطباً العسكري

الواقف بجواره :

-هيا أجلبه أنت وزملائك....

وسرعان ما امتلأت الغرفة بالعساكر...فحفت

على ركبتيها لتجلس بجوار طاولة الزينة...ثم

نظرت إلى نفسها وملابسها نظرة غريبة...نظرة

حقد...نعم حقد...

فهذا الجسد الطاهر دُنِسَ بنظراتٍ ولمساتٍ قذرة

، هذا الجسد يراه رجال آخرون الآن دون أي

أحترام هذا الجسد باتت تكرهه ، شعرها

ستقصه كلياً حين تتمكن من الهرب ، شعرها

الذي كانت تستره خوفاً من ربها وأحتراماً



لدينها أصبح مسموحاً للكل أن يراه بسبب نذل

حقير... كلمة رجل لا ينتمي لها...

وقعت عيناها على مقدمة فستانها الملعون ،

فرأت بقعة دم تزين حافته عند صدرها ، بقعة

صغيرة نتاج جرح عنقها... بقعة شعرت بها

تكويها كياً... لماذا لم تقتله وتحر عنقه بكل

تلذذ دون أن يرف لها جفن فترى الدم يغرق

ملابسه هو... لا هي حتى لو كانت بقعة!!!

أقتربت العساكر من هاني الواقف مكانه

متسماً أثر صدمة عنيفة...

يا الله لقد تم كشف ما يفعله... نعم نعم... هذا

واضح وضوح الشمس وإلا ماذا تفعل الشرطة

هنا!....

زاغت عينا هاني فجأة كأول بادرة منه ..ثم لم
يلبث أن صرخ بصوت أفرع صبا فانكملت على
نفسها أكثر والتصقت بطاولة الزينة :

-ماذا...ماذا فعلت؟؟؟؟-

لم يرد الضابط عليه ولم يعيره اهتمام من
الأساس ، بينما قام عسكري بتقيد كفيه بقيد
حديدي ، ثم جذبه بعنف مطالباً إياه بالتحرك ،
فلم يتحرك هاني من مكانه ، ليصرخ بعصبية
جعلت شكله مخيفاً كمن تلبسه جن :

لن أتحرك قبل أن أعرف لماذا تم القبض عليّ
وقبل كل هذا أريد أن أتابع إجراءات عقد
قراني...فهو لم يبدأ بعد....

رفع الضابط حاجبه بدهشة مصطنعة ، ثم هتف
وهو يهز كتفيه ببساطة :

- أنت ممثل بارع وتستحق جائزة يا هاني ، إلا
تعرف بأن حقيقتك ستتكشف في يومٍ من
الأيام... لكن سأخبرك بالسبب... لقد وجدنا
في مخازنك سلع فاسدة... بكميات كبيرة
جداً... فصدر قرار على الفور بإلقاء القبض
عليك... لذا فأنا هنا لأقبض عليك... هذا رداً
على سؤالك الأول ، بينما طلبك الأخير فأسمح
لي أنت تمتلك من الوقاحة كميات كبيرة كتلك
التي وجدناها في المخازن التي تمتلكها...
صمت الضابط وعلى شفثيه ابتسامة باردة ،
فنظر هاني له بعينين تقدحان حمما بركانية
ووجهٍ محمرٍ بشكلٍ مخيف ، ليهتف الضابط
بصوت عالٍ صارم :



-تحركوا وأجلبوه قسراً حتى لو اقتصر الأمر

على ضربه....هياااااااا.....

صرخ بالكلمة الاخيرة بقوة ، فتحركت العساكر

تدفع هاني دفعا...هاني الذي صرخ بهستيرية

وهياج :

-يجب أن أتزوجها....أريد أن أذلها وأذيقها

المر...سأتزوجها أولاً....أتركوني....

لكن لا حياة لمن تنادي ، فقد كان العسكري

الممسك به ومجموعة كبيرة يدفعونه دفعا خوفاً

من غضب الضابط...

كان هاني غريباً ، يصرخ بطريقة لا تمنحه حق

الشعور بالشفقة نحوه....كان يهذي بكلمات

غريبة...لم يهتم بسبب إلقاء القبض عليه....



راقبت صبا ما يحدث بعينين غير مبصرتين ،
ترى ولا تشعر بشيء ، اندفعت برودة غريبة
في أوردتها فتجمدت ملامحها ونضبت دموعها
على وجهها الشاحب بشدة حتى حاكى وجوه
الموتى ، تضم ركبتيها نحو صدرها تحيطهما
بذراعيها...

عيناها كانتا قصة وحدهما.. قصة رواتها
عيناها بكل صدقٍ ككتاب عنوانه القهر
والذل... فصفق القراء لها... ولمعت الأعين
بالانبهار لدقة الوصف وصداقة
الشعور... عيناها العسلتان شاحبتين
ناضبتين، ليس دموعاً لا.. بل نضب نهر
العسل... كم تشعر بألم مبرح الآن بصدرها



وقلبها...كنصل خنجر حاد، طعنها دون

تردد....

لم يلاحظها أحد ولن يلاحظها أحد من هي كي
تلاحظ.. هي سلعة... لا ترى نفسها أكثر من

ذلك!

لم تشعر بدخوله إلى الغرفة يجر ساقاً تلو
الأخرى ، لم تسمه صوت خطواته، كانت كتمثال
من الشمع لا يرى ولا يبصر...وجهها لوحة من
الألم ممتزجة بشحوب كان كلون عبث به
الرسام في رسمته بعفوية فزدات اللوحة ألماً ،
لم يتوقع أبداً أن يراها بهذه الحالة النفسية
و....الجسدية!!!

كيف أصبحت كفتيات الليل بهذا الشكل المنفر،
هذه ليست صبا... نعم هذه ليست أيقونة الغباء



خاصته... ليست صبا العفوية... نعم... هذه

ليست..

-صبا|||

هتف بها مروان بصوتٍ مسموع تردد صداه في

انحاء الغرفة ، فلم يتلق أي ردٍ منها أو حركة ،

فانعقد حاجباه وشعر بنار حارقة تحرق

صدره.. نار الكره... نار ازداد لهيبها حين

رفعت صبا رأسها لتتنظر إلى مروان بحاجبين

منعدين بشدة ، و انفلت من بين شفتيها

المرتجفتين... نفس حارق كانت تحبسه مانعة

إياه من التسلل عبر شفتيها..

همست باسمه بصوتٍ باهت واهٍ :

-مروان!؟



أغض مروان عينيه بشدة ، وضغط على
أسنانه بقوة ، بينما قبضتاه فقد ضمهما
بشدة... النار يزداد لهيبها أكثر... وأكثر
...والحريق بداخله سيترك أثراً غائراً بروحه...
فتح عينيه بسرعة على وسعهما حين التقطت
أذناه صوت كعبها العالي الذي كان يضرب
الأرض دون ثبات... كانت تقترب منه وعلى
وجهها ابتسامة باهتة ، فنظر مروان لها بعينين
كجمرتين ، ثم أنخفضت عيناه على جسدها
الظاهر من الفستان الوقح... فزمر بغضب
وأشاح بوجهه بعصبية مشيحاً ببصره عنها
تزامناً مع صوته الذي صدح بقوة أجفلتها
وجعلتها تقف مكانها :



-قفي مكانك ولا تقتربي ، مستحيل أن أراك بهذا

الشكل...أستري جسدك وشعرك....

تسمرت صبا مكانها جاحظة العينين ، تحملق

بظهره بنظرات مذهولة ، ثم لم تلبث أن انعقد

حاجباها بشدة والتوت شفتاها في شبه

ابتسامته قتلتها سريعاً وهتف بصوت باهت :

-أستر جسدي؟؟...لم يعد هذا مهماً يا مروان ،

لقد رآه وليس وحد....

-اخرسي

صرخ بها مروان مقاطعاً إياها وهو يضرب

قبضته بالجدار المقابل ، فصمتت صبا بالفعل

وأطرقت برأسها أرضاً وبدأت عينيها في ذرف

الدموع بسرعة وكأنها مطرٌ سقط بعد طول

جفاف فأغرق وجنتيها..

صوت صفق باب عنيف جعلها ترفع رأسها
بسرعة فوجدت مروان يخرج من الغرفة بخطا
سريعة نحو غرفة مجاورة فعقدت حاجبيها
باستغراب ، ثم لم تلبث أن رفعت حاجبها بشدة
وهي تلاحظ عودته لها حاملاً بين يديه عباءة
سوداء ووشاح أسود مشيحاً بعينيه عنها ،
فازدرت ريقها ببطء قبل أن يهتف مروان وهو
يمد ذراعه لها كي تأخذ العباءة والوشاح :
-خذي هذه وارتيديها.... ثم غطي شعرك
هيا....

لم ترفع ذراعها ولم تبدي أي رد فعلٍ ، بل ظلت
تنظر إلى ذراعه المدود نحوها نظرة غريبة ،
نظرة لو كان رآها لأقسم بأنها تتألم كحيوان



يحتضر....سيوقن بأن روحها تنزف دماً دون
أن يصدر منها آنة واحدة....فيزداد نزيها...
ظل الصمت محيط بهما...مروان ينظر إلى نقطة
بعيدة....وصبا تنظر إلى ذراعه بعينين
حراوين ، إلى أن هتفت صبا بصوت بدا غريباً
جداً :

-وما الفائدة؟؟؟..لقد دُيس جسدي وانتهى

الأمر..لا أعتقد بأن هذا !

شعر مروان بالدماء تندفع برأسه بقوة ،
وغضب عاصف جعله يصرخ بها بقوة أجفلتها
:

-اخرسي....لا أريد أن أسمع صوتك وكلماتك

المتخلفة....خذي العباءة وأرتديها..فأنا لن



أنظر لكِ وأنتِ ترتدين هذا الشيء الأشبه

بقميص نوم.. ليس فستاناً أبداً....

ثم مد ذراعه أكثر ، فجذبت صبا العباءة

مضطرة ارتدتها ببطءٍ كمشهد من فيلمٍ يتحرك

ببطءٍ قاتل...

جز مروان على أسنانه بقوة ، وضم قبضتيه

بقوة حتى كادت تنكسر.... ثم لم يلبث أن انعقد

حاجباه بتوجس من صمتها الغريب بالرغم من

سماعه صوت حفيف عباؤها....

انفرجت شفتا مروان ببطء ، ثم هتف بخفوت :

-هل أنتهيتِ؟-

لم يسمع ردها ، فازداد انعقاد حاجباه ، وشعر

بشيء غير مريح يحدث خلف ظهره ، فاستدار

سريعاً ليجدها جاثية أرضاً في زاوية بعيدة



تمسك شيء يلمع بشدة وعلى حافته بقع من
الدم... فتحركت قدماه تلقائياً نحوها بعينين

مشتعلتين....

جثا على عقبية أمامها ، فرفعت رأسها له
ونظرت له نظرة اربكته ، فرمش بعينه مرتين
، ثم هتف بارتباك صارم :

-ماذا تفعلين بهذا الشيء!؟-

التوت شفتا صبا في شبه ابتسامة سرعان ما
قُتِلت في مهدها واحتل تعبير غريب ملامحها
الصافية ليحولها إلى امرأة شرسة... ليست صبا
أبداً....

رفعت صبا المُدية أمام عينيها تنظر إليها نظرة
شر ، ثم هتفت وكأنها تحدث نفسها :



- كنت سأقتله... كنت سأتلذذ بدمائه على
يدي... لكن بدلاً من هذا أختلط دمي بدمه
المدنس حتى لو كانت مجرد قطرات... لو لم
أكن مذبذبة ومرتبكة لكان الآن ممدداً أرضاً
تغرقه الدماء!!!

احتدت ملامح مروان ، وازداد غضبه
اشتعالاً... كلماتها كالسوط يلسعه دون أن
يمسه....

صفعة تلو الأخرى يستقبلها بصدرٍ رحب متمنياً
حصولها على الراحة....
لكن ما يراه الآن ليس بالجيد... فصبا تحولت
إلى امرأة أخرى شرسة تدافع بضراوة... لا
تنتمي إلى أيقونة الغباء خاصته....

أنتفض مروان مجفلاً على صرختها العالية
كحيوانٍ يحتضر... ثم استدارت في جلساتها
لتقذف المذبة بكل قوة تجاه المرأة... لتحدث
ثغرة بدت كشكلٍ سرطاني بغيض... وهذا ما
يراه مشابه لها... هي الآن أصبحت في حاجة
إلى شخصٍ يرمم ثغرات روحها... وينتزعها
من الأرض التي زرعت نفسها بها عنوة!
عاد مروان بنظرة إليها ، فوجدها تبكي بصمت
، فود لو يصرخ بها بقوة "ألم تنضب دموعك
بعد" لكنه تحكم بنفسه .. وهتف بغضب مكتوم :
- هيا قومي معي كي نرحل من هذا المكان
القدر....

رفعت صبا عينيها له بسرعة ، ثم هتفت بذهول
من وسط دموعها :



-ماذا قلت؟؟!...هل ستأخذني معك....

وهذه المرة ود لو يبتسم لها بسماجة ويهتف
بسخرية ناهراً إياها على غيابها "بل سأتركك
هنا في هذا المكان القذر يا أيقونة الغباء"
وللمرة الثانية تحكم بنفسه..فهتف بصلاية وهو
يهب واقفاً :

-نعم سأخذك...اتبعيني سأخذ جميلة من الغرفة
المجاورة ونرحل فوراً...

ثم خرج من الغرفة بسرعة تاركاً إياها تجلس
أرضاً تنظر إلى الفراغ بعينين كانتا ترويان
قصة مؤلمة...

عينان حمراوان كالدّم..ووجه أزداد شحوباً
كوجوه الموتى؟



القهر والذل كافيان ليصبح الإنسان عبارة عن
مسخ داخلياً..

أما خارجياً فأما أن يدافع بضراوة...أو يقبل
ثاغراً!!

=====

فتح باب السيارة لها كدعوة للصعود ، فرمشت

صبا بعينيها ونظرت إلى السيارة نظرة

غريبة..فزفر مروان بعصبية وهتف بصوتٍ

صارم :

-هيا ادخلي..-

نقلت صبا نظرها بينه وبين السيارة نظرة ذات

مغزى ، ثم هتفت وهي تمد ذراعيها نحو أبنيتها

الغافية على ذراع مروان :



-لست مضطراً لمساعدتي... سأخذ أبنتي
وسأرحل... فأنا أصبحت قادرة على مساعدة
نفسي... شكراً لك...

تراجع مروان خطوتين إلى الخلف كي يبعد
جميلة عن مرمى ذراعيها ، ثم صرخ بصوتٍ
أفزعها... وجعل الصغيرة تتفض بين ذراعيه
مجفلة :

-اركبي حالياً...

اتسعت عينا صبا من صرخته القوية وملامحه
التي كانت مشتعلة... وعيناه الخضراوان
قائمتان بشكلٍ مخيف... فاستقلت السيارة
...وأغلقت الباب بنفسها....



نظر مروان إليها نظرة زرعت الخوف بها ، ثم
استدار حول السيارة وهو يربت على ظهر
جميلة كي تهدأ....

وضعها في المقعد الخلفي برفق... ثم خلع
سترته ووضعها عليها كي لا تبرد....

نظر مروان إلى جميلة لدقائق طالت، كانت
عيناه تلمعان بحنان غريب... لم تره صبا ولم
تلتفت لتتنظر له من الأساس فهي الآن في حالة
غير سوية... فما تعرضت له ليس بالقليل
أبدأ....

أغلق مروان الباب الخلفي بهدوء بعد أن أطمئن
على وضع جميلة، ثم فتح الباب الأمامي وجلس
خلف المقود... بعينين عادتا إلى



قمامتهما... وكانهما قادرتان على التحول من

تعبيرٍ لآخر!

أدار مروان المحرك بملامح متبلدة...

انكملت صبا على نفسها بشدة... تضم ذراعيها

إليها... تشعر ببردِ قارص يعصف بجسدها

الهش... وبشيء غريب يكتنفها... لا تعلم... هل

ستقبل بمساعدة مروان مرة أخرى.. هل ستقبل

بأن تصبح عالية على عاتق؟؟

لا والله لن يحدث، لقد أتخذت قرارها بأنها

ستهرب من هاني وستبدأ حياتها بطريقة

أخرى... أكثر نضجاً... وثباتاً... لذا... فمروان لن

يسمح لها بهذا وهي لن تسمح بأن يتأذى

بسببها...



نظرت صبا إلى جانب وجهه ، فلاحظت تشنج
فكه... لتعقد حاجبيها بتوجس... ثم لم تلبث أن
هتفت دون وعي وثبات :

- مروان... أسمعني... أنا لم أعد أصلح لأن
أتحمل أي شيء... لقد كُسرَت رُوحِي... و طُعن
أحترامي لنفسي... بثُّ أشعر بالنفور من جسدي
أثر لمساته القذرة... أنا امرأة دُنِست بفعل

رج...

لم تستطع متابعة حديثها ، فقد التفت مروان لها
بوجهٍ أسود... وعينين كجمرتين من النار...
ثم لم يلبث أنه هتف بصوت كالفحيح :

- اخرسي!



بالرغم من الخوف الذي أكتنفها في هاته
اللحظة من ملامحه ونبرته المخيفة ، إلا أنها
أردفت بنفس الحالة :

-لقد كدتُ أن اتحول إلى فتاة ليل...ملايس
قصيرة وكف مقيد بإحدى أعمدة السرير و...
هذه المرة بُتِرت عبارتها حين حط كف مروان
الخشن على وجنتها بصفعة...اسكتتها!

=====

وقف في زاوية بعيدة يراقب الوجوه بعينين
مشتعلتين ، يبحث عنها في كل مكان...
قلبه اللعين يهفو شوقاً إليها...وعيناه تسابق
قلبه برويتها....

فاليوم سيرها بعد طول اشتياق...



لم يكن يظن بأن حبه لها قوي إلى هذه
الدرجة... كان يظنه حبا عاديا... أو أعجاب
بها.. لكن حين أختفى أثرها ولم يعد يعلم عنها
أي شيء... فزاد حبه لها بداخله وباتت أمنيته
الوحيدة أن يراها....

لم يصدق رائف حين أخبره بأنه رآها في هذه
المدينة...

لوهلة ظن أن رائف يمزح... لكن ملامح وجهه
وقتها كانت جادة... وهتف بجديّة :

-بصراحة...كنت انوي عدم أخبارك...لكن
ضميري لم يسمح ليّ بأن أخفي عنك أنني
رأيتها....

وقتها عقد حاجبيه باستغراب..سرعان ما
تحول إلى ذهول وبلمعة فرحة تلون حدقتيه...



ثم تحول ذهوله إلى استدراك لما سمعه.. وبدأ
يسأل رائف عن مكانها بلهفة لم يستطع
إخفاءها... فأخبره رائف بأنه لا يعلم أين
تقطن... لكنّه سيحاول ويأتي له بمكان
سكنها... وبالفعل مرّ أسبوعين وأتى رائف له
ليخبره بمكانها... فأمره قلبه بالتحرك
فوراً... فوجد نفسه هنا... أمام مقر عملها الذي
لا يتناسب مع جامعتها ولا ينتمي له من
الأساس !
برقت عينا أمجد فور رؤيته لها...
تتحرك بثبات ونظارة سوداء تخفي عينيها
عنه....



تحركت ساقاه بتلقائية تجاهها... لا يحيد بعينه

عنها... قلبه يضرب صدره بقوة... وعيناه

ترقصان على لحنٍ جميل...

زمت جود شفتيها بتذمر وهي تنظر إلى

ساعتها...

لقد تأخرت كثيراً ولن تلحق بتمارا... هي تعلم...

ستجدها نائمة بعد عناء يوم دراسي

طويل... وبالطبع لم تتناول أي شيء منتظرة

إياها....

أخفضت جود ذراعها ثم رفعت عينيها بعدم

أهتمام... ثم لم تلبث أن تجمدت مكانها وشعرت

بدلو من الماء البارد ينسكب ببطء على طول

عمودها الفقري...



وبقلبها يهفو بشوقٍ إلى ذاك الواقف على بعد

خطواتٍ منها... يبادلها النظرة بمثلها...

تسارعت أنفاسها... واتسعت عيناها بشدة..

رباه... هل تراه بعينيها الآن؟؟

هل يقف أمامها ينظر لها نفس النظرة التي لم

تقل حباً أبداً... ليتها أدركت حبه لها... ليتها

ادركت بأن هذا الشخص لا يُرفض... ليس لأنه

شخص مثالي ولا يقع في الخطأ لا... بل لأن كل

شيءٍ به دافئ ، صوته دافئ ، عيناها

دافئتان... نظرته دافئة... يضم بين ضلوعه قلب

ذهبي... محظوظ من يغتم كل تصرف منه وكل

نظرة...

لكن هي... هي لا تستحقه وقلبها اللعين الذي

يتراقص الآن على أوتار الفرحة لا يستحقه..



أغمضت جود عينيها بشدة وضمت قبضتيها
بقوة... فلم ترَ أقترابه منها حتى وقف أمامها
فجأة... فتسللت رائحة عطره إلى أنفها... لتفتح
عينيها على وسعهما وفغرت شفتيها بشدة...
ثم لم تلبث أن رفعت كفها ببطء لتبعد النظارة
عن عينيها... فنظر أجد إلى عينيها نظرة دفعت
الدماء بوجنتيها فأحمرتا بشدة...
ظل الصمت محيط بينهما كلُّ منهما ينظر إلى
الآخر... قلبهما يهدر بقوة... وانفاسهما
متسارعه...

أما أجد فكان شعوره أضعاف ما تشعر به
جود....

كان ينظر لها كي يروي ظمأه..... يريد أن يتأكد
هل تقف أمامه بكامل هيئتها؟؟؟



لا... لا زالت عيناه تكذب قلبه... لا يصدق لا

يصدق...

أنفجرت شفتا أمجد أخيراً ، ثم هتف دون

مواربة :

لماذا أختفيتِ؟

انعقد حاجباها بشدة ، ورمشت بعينيها عدة
مرات... لا تقوى على التفوه بحرفٍ... حاولت
كثيراً لكن الصدمة لجمت لسانها... وصراعته
أجفلتها...

ضاقت عينا أمجد بتفحص... يراقب كل فعلٍ

تقوم به... ارتباكها... خوفها الظاهر

بعينيها... خوفها على وجهٍ خاص تعجبه و زاد

الشك بداخله ممتزجاً بالغضب... فلم يستطع أن

يمنع نفسه فهتف بغباء صافعاً قلبه بكل قوة :



نظرت جود إلى عينيه بعينين دامعتين... لا تعلم
ماذا تقول وماذا تفعل؟؟... من الواضح أنه ليس
متأكداً مما قاله... فلماذا لا تكذب عليه وتقول
"لا"... مجرد كلمة لن تضر، ستحسن صورتها
أمامه وستغتنم ما يمكنها اغتنامه....
دفعها قلبها بقوة مصفقاً لفكرتها مؤيداً... فلملت
شئات روحها... وهتفت بصوت جامد :

-لا....

=====

ترجل سليم من سيارته ، ثم صفق بابها بقوة...
ملامحه قائمة.. وعيناه تبرقان بشر...
سلاحه بحزام بنطاله...
كل كلمة هتف بها ذاك المتخلف تدوي في أذنيه
لتزكي غضبه أكثر وأكثر....



فوجد نفسه يقف أمام بيت ماهر بعدما علم

عنوانه

نظر سليم إلى باب البيت نظرة شر....

ثم تقدم نحوه بخطوات قاتلة... هامساً بداخله

"واحد... اثنان... ثلاث...."

وقف أمام الباب مباشرة، فهتف من بين أسنانه

بصوت كالفحيح :

- عشرة!! -

ومن ثم طرق الباب بقوة كادت تخلعه... فلم تمر

ثانيتين ليجد الباب يفتح بقوة....

وظهر منه شاب يقاربه عمراً... لكن جسده أقل

قوة من جسده هو.... عيناها برقتا بشر حين

وقعت على سليم الواقف أمامه بجسده القوي،



يضع يديه في خصره...وسلاحه ظاهراً

بوضوح..فابتسم ماهر باستياء وهتف :

-هلا بالرج...

بُتِرت عبارته حين عاجلة سليم بكلمة قوية

فترنح ماهر وتأوه بشدة، لكن سليم لم يتوقف

بل جذبته من مؤخرة قميصه بقوة مزمجرأ

بغضب...ثم ركل ساقه فوق أرضاً...

جثم سليم فوقه وأمسكه من مقدمة قميصه

مقرباً وجهه من وجه ماهر بشدة ، ثم هتف من

بين أسنانه :

-لقد تلاعبت مع الشخص الخطأ يا...أنتَ لذا

يجب أن تعاقب...

ثم لكمة لكمة أخرى جعلت ماهر يتأوه بقوة...



تجمهرت مجموعة كبيرة من حولهم يراقبون ما
يحدث منذ البداية... لا يقوى أي من الواقفين
بالتدخل... بل هتف بعضهم بذهول
"سليم الأمير حفيد كبير البلدة يضرب شاب
بسيط بهذه الطريقة الوحشية..."
ومنهم من يهتف بأسف
"كنا نظنه عكس جده تماماً فمعاملته لنا أفضل
من الحاج سالم!"
تألم ماهر بشدة كحيوان يحتضر وصرخت
شقيقته بقوة ، هجوم سليم المفاجيء أفقده
قوته... لم يستطع تدارك اللكمات المتتالية... التي
تلقاها من سليم الذي كان يزمجر
بغضب... وعيناه تقدحان حمماً



بركانية... وبالرغم من ألمه المبرح ابتسم

بتشفٍ...

فتوقف سليم عما يفعله كي يلتقط أنفاسه..

استغل ماهر الفرصة... ودفعه بعيداً عنه ثم

هجم عليه ليكمه لكمة قوية... لا تتناسب مع

الألم الذي كان يشعر به

الآن... تأوه سليم بصوت مكتوم... ثم رفع ساقه

ليركله بصدرة فسقط ماهر على ظهره... لكن

هذا لم يمنعه من استخدام آخر ورقه

يمتلكها... موقناً بأن العواقب ستكون وخيمة :

- أتعلم بأن زوجتك مليكة ستأتي إلي هنا دون أن

تخبرك؟؟؟

=====



أن تترجى عيناك كي تطلق صراح دموعك لهو

شعور مؤلم!!

أن تشعر بصفعة تلطم قلبك وروحك قبل وجه

لهو شعور قاسي!!

شعور قتلها قتلاً وهي تتلمس وجنتها

مشدوهة!!..

لقد صفعها!!

صفعها دون أن يرف له جفن!!

صفعها صفقة لم تؤلم وجنتها بل... أوجعت قلبها

المكلوم ولجمت لسانها!!

صفعة جذبتها قسراً كي تقف أمام مرآة عكست

صورتها المنفرة لها... غير سامحة لها بالفرار

!



مرآة كانت كسوط لسعها بكل قوة وأخبرتها بأن

ما تفعله الآن لن يجدي نفعاً.....

فماذا ستستفيد من جلد نفسها سوى الألم!

ماذا ستستفيد من الشفقة على حالها!!

لقد تغيرت تماما وهي تعترف بهذا!

لكن أثر التجربة القاسية لا يزال باقياً ولن

ينمحي!!.

بعض الجروح توشم الروح بوشم لا

يزول..فيكون بمثابة ورقة تذكرها دائماً بكل

شيء!

أما أن تستغلها كلما تعرضت إلى موقف مؤلم

يقهر قوتها لتبثها بقوة لا يمكن لبشر أن

يمنحها لها، أو استغلتها لتدعم نفسها في زيادة

جرعة الضعف والألم!



أغمضت صبا عينيها بقوة حتى تجعد جفناها ،
ثم أنحنت على نفسها وهي تتنفس بصوتٍ
مسموع!....

فكز مروان على أسنانه بقوة واشتعلت عيناه
الخضراوان بغضب أهوج منها... وليس منه
هو!

فتلك الجالسة بجواره تحتاج إلى علاج مكثف
كي يضمد جروحها الحديثة... علّه يتمكن من
مساعدها على المضي في حياتها بشخصيتها
الجديدة... وثقتها بنفسها... ومحو تلك الذكريات
القبیحة من عقلها المتوقف اليوم مؤقتاً بعد
مشهد مريع وضعت نفسها به ووُضعت هي
به!!!!!!



لو كانت تتحلى ببعض التريث و الذكاء لم تكن

لتتعرض لكل هذا وترى ما لن تتحملة أقوى

النساء!!!

أوقف مروان السيارة جانباً على الطريق

السريع.... ثم زفر بقوة وضرب المقودة

مغمماً :

-تبا...تبا...-

لم تعتدل صبا ولم تنظر له بل ظلت على حالها ،

منحنية إلى الأمام وكفها على وجنتها!

تتذكر كل لحظة مرت بها في معتقلٍ حقير قيد

حريتها ونشط عقلها!!

تتذكر كل صفة تلقتها من كفٍ حقيرة وتغارنها

بالصفة التي تلقتها منذ دقائق من رجلٍ لا



يقارن بهاني من الأساس...حتى لو كان وجه

المقارنة... هي صفة كل منهما!!..

صدر منها نشيج عنيف ، فنظر مروان لها

بطرفٍ عينيه نظرة سريعة حزينة، ثم أشاح

بوجهه بعنفٍ وهتف بجمود :

-تلك الصفة التي تلقتها للتو...ما هي إلا

لظمة قوية هدفها أن تكفي عن حماقتك

..وتتوقفي عن الشعور بالشفقة نحو نفسك!!..

أغمضت صبا عينيها بشدة، فانسابت دموعها

أخيراً لتربت على وجنتها بحنان وتنتهي عند

ذقتها!!!..

ترتجف بشدة وشفتهاها ترتعشان بشكلٍ مثير

للشفقة....

لا تقوى على النظر في وجهه!



لا تريد أن ترى في عينيه نظرة مستاءة نافرة!

لكن ما ذنبها هي؟

كل ما تعرضت له كان خارج إرادتها!!

كم مرة حاولت الهرب من ذاك المكان القبيح

لكن جميع محاولاتها كانت تكلل بالفشل!!

وكانما فهم ما تفكر به ، فهتف وهو ينظر من

نافذته بصوت جعلها تشعر بشيء يصعق

جسدها :

-وسط كل ما تعرضت له لا أراك محط

للفور!!...ولن تكوني لأن مكانتك عندي أعلى

من هذا!!

أنا أعلم بأن كل ما تعرضت له من قذارة ليس

بإرادتك حتى لو كان الخطأ الأساسي يعود إليك

بسبب غيابك وضعفك بعد وفاة



...بعد وفاة زوجك!!...كان يجب أن تكوني أقوى

من ذلك!

شريسة كما رأيتك منذ دقائق!!...مكانتك عندي

لديها القدرة على ردع أي شعور بالنفور يشوه

صورتك!!...صدقا أنتِ نقيه وأنا أريدك بنقاءك

وهذا لا يمنع بأن تتحلي بالقوة والشراسة التي

أراها في عينيك الشفافتين الآن...اجعلي من

نفسك امرأة لا تُقهر...لا تجعلي من نفسك امرأة

ضعيفة فتغري كل ذئبٍ أقنعه عقله بأنك امرأة

ضعيفة يا صبا...انظري لما تعرضتِ له ليمنحك

القوة والاصرار...لا تكوني جبانة ومسلوبة

الإرادة...دافعي عن نفسك وعن ابنتك

بضراوة...

رفعت صبا وجهها ببطءٍ فاغرة الفاه ، تشعر
بكلماته تلطم روحها لطمات بثت بها الحياة!!
كل لظمة تنظف جروحها...!

كلماته كانت ترهب شعورها بالشفقة نحو
نفسها بعينين قاسيتين...فيتراجع شعورها
ويختفي خلف ساتر القوة الذي بدأ يتطاير مع
كل كلمة قالها!!

هذا ما تريده!!

نعم... تريد أن تسمع بأذنيها أنه لا يشعر

بالنفور نحوها!!

تريد أن تعرف نظرته نحوها!!

نظرت صبا إلى جانب وجهه بعينين حمرأوين
مبالتين نظرة تائهة.. فشعر مروان بأنه محط
مراقبتها ، فالتفت بتمهل ، ثم نظر إلى عينيها



مباشرة... فاهتزت حدقتها... لتتفرج شفتاه

ويهتف بجرأة :

-تزوجيني !

اتسعت عينا صبا بصدمة ، وانفلتت من بين
شفتيها شهقة مصدومة ، ثم لم تلبث أن هزت
رأسها برفضٍ هستيري... ولوحت بكفها برفض
غريب... فشعر مروان بقبضة قوية تلكم صدره

بقوة من رفضها القاطع!!

هتفت صبا بتلعثم :

-م...ماذا قلت؟؟؟

استدار مروان له بكليته ، ثم نظر إلى عمق
عينيها وهتف ضاغظاً على كل حرفٍ عليها تفهم

:

-تزوجيني!



رمشت صبا بعينيها عدة مرات... وشعرت

بجسدها يتشنج أثر كلمة مروان!!

تتزوج!!

تتزوج مروان؟؟؟؟..

رباه!!!

أي حلم هذا!!

سقطت من كابوس قدر إلى حلم نقي داعب

روحها النازفة رغماً عنها... فانتفضت روحها

بفرحة تدفعها دفعاً كي تقبل!

لكن عقلها وقف مستاءً وصرخ بكل قوة "لا

تكوني رخيصة الثمن ويكون زواجك منه.. شفقة

ليس إلا... أصنعي لنفسك كيان لا يمكن لأحد

أن يهدمه!!"



فصرخ قلبها ثائراً "ومن سيكون
سندها!!!...مهما بلغت قوتها...لن تستطيع
البقاء وحدها....هي تحتاج مروان...تحتاج
مروان فقط!....هو وحده من سيكون لها
السند!!...هو من سيقف دماء جروحي
النازفة!!...أنت لا تشعر بألمي وألمها!!!"
حيرة...حيرة غريبة، تقف حائرة بين قلبها و
عقلها!!

أيا منهما صحيح!!

هل تتخذ طريق قلبها أم عقلها!!!
تسارعت انفاسها حتى بات صوتها مسموع،
فنظر مروان لها بصبر ظاهر...ونار مشتعلة
تنتظر قبولها كي تخمد نارها...

يجب أن يتدخل ويقوم بإقناعها...لذا سحب نفساً

عميقاً وهتف بثبات :

-أنا لا أعرض عليك الزواج يا صبا لأنني أشعر

بالشفقة نحوك!...أنا أعرض عليك الزواج

لأنني أريدك أن تصبحي زوجتي!

ازدردت صبا ريقها بصعوبة ، و شعرت

بتشوش مزعج حول عقلها ، وشيء يتراقص

بداخلها....

يصرخ بأعلى صوته وافقي!

أقبلي!

لن يتحملك غيره!!

لكن....

لماذا تقبل به وتظلمه!!

هل ستقبل أن تكون أنانية!



-صدقيني أنا أريدك!!، منذ ذاك اليوم الذي
سُحبت به من يداي إلى قسم الشرطة وأنا أشعر
بأنني أريدك أن تصبني زوجتي...أريد أن
أصبح سندك....لن أتركك تضيعين من بين
يدي مرة أخرى....يكفيني ما كنت أشعر به
في الشهور الماضية!.....

عضت صبا على شفيتها بقوة حتى أدمتها ، ثم
أطرقت برأسها وهي تضم قبضتها بقوة كي
تتحكم في ارتجافتهما....
ماذا...ماذا ستفعل الآن!!

هي لم تكن تخطط للزواج بعد هروبها من
هاني....كانت تخطط بأن تسعى لتحقيق
ذاتها...بأن تضمد جروحها بنفسها....كي لا
تتعلق بشخصٍ مرة أخرى...فيبتعد



فجأة.... لتتأثر بعدها بسرعة البرق وتعود إلى

ضعفها!!

هي لا تريد أن تتعلق بأحد!!

لا تريد أن تتكسر مرة أخرى و تخور قواها!

هي لا تريد....

وفجأة قفز في تفكيرها تفسير غريب!

تفسير يمنحها الجواب!

تزوجيه ليكون سنداً لك... وأرفعي حواجز

حول قلبك وروحك كي لا تتلقي به!!..تزوجيه

وساعدي نفسك بنفسك!!

غافلة... نعم هي غافلة لا تعلم بأن قلبها اللعين

الذي تضمه بين ضلوعها يروق له القبول!!



رفعت صبا عينيها إليه فجأة، فهاها تعبير
ملامحه ، كانت سوداء بشكلٍ مخيف...وعيناه
يزداد اشتعالهما بعد كل دقيقة تمرّ...
تمالكت نفسها ، ثم هتفت بصوت مرتعش خائف
، رقت عيناه له :

-هل ستتحمل سواد ماضي!!...أنا مدنسة بدماء
الماضي!!

التوت شفتا مروان في ابتسامة باهتة ، ثم هتف
بنبرة صادقة :

-وأنا سأظفك من دماء الماضي...وسأبثك أمان
الحاضر والمستقبل!!...ثقي بي!!.

انحنت عينا صبا بحزنٍ ، ثم أخفت وجهها
بكفيها وهتفت بنفس النبرة :

-لكنني لا أثق بنفسي !!



-يجدر بكِ الثقة بنفسك قبل الثقة بيّ يا
صبا....أنا لن أتركك بعد ما تذوقته من قهر و
طعم صداً من كل تخيل أتخيلك به مع ذاك
المتخلف!!!

أغمضت صبا عينيها ، ثم هتفت بتحشرج وهي
ترتجف بشدة :

-لقد أصبحت معطوبة!!.....وأصبحت نفسي
غير سووية؟؟....هل ستتحملني!!...بعد ما رأيت
مني؟؟..لا أعتقد أنك أحببتني!!...لأنني لا أصلح
لمشاعرك الجميلة !!

أغمض مروان عينيه بشدة، متأوهاً دون
صوت!!

لقد ضغطت على أقوى جروحه!!
من هو المعطوب هي أم هو!!



يجدر به أن يهتف بوجهها مصححاً بأن هو من

يضم بين ضلوعه روح مشوهة !

هو من يشعر بالألم دائماً لكنه لا يتكلم ولا يظهر

عليه سوى المرح!!

أنفجرت شفتاه أخيراً قاطعاً الصمت المرعب الذي

أحاطهما بشكلٍ خائق :

-سأحملك وسأحميك بروحي!!

هذه المرة هتف بها بلكنتها هي....وليست

بلكنته !!

فشعرت بشيء ينقصه!!

تليق به لكنته!!

فكل شيء به مميز كلكنته الجميلة!!

لكن لكنتها لا تليق به!!

هذا الشخص يليق به كل شيء مميز!!

يا إلهي إلى أي منحني تتحرفين يا صبا... يبدو
أن نية الموافقة موجودة منذ البداية!!
جزت على أسنانها بقوة... تحاول موازنة
الأمر... فتجد كل الطرق تؤدي إليه هو!
من تصرف معها بشهامة هو!
من حافظ عليها ولم يرفع عينيه بها في مكانٍ
تشاركاه معاً لمدة لا بأس بها... هو!!
من دافع عنها بضراوة وتحول إلى وحش تائر
حين رآها تتعرض إلى إهانة... هو
من... ومن... والسؤال يطوف
بعقلها... والإجابة واحدة... هو!!
لم تستطع أن تتحكم بلسانها فهتفت بتهور غير
مقصود :
- لن يتركني هاني!... ولن يترك لي ابنتي!

لو كانت نظرت إلى عينيه الآن لكانت لاحظت
لونهما المخيف ، والنار المندلعة بحدقتيه....
لكانت رأت اختلاج فكه...وانقباض كفه...لكن
نبرته نقلت لها الصورة كاملة ، حين هتف
مروان بنبرة خطيرة :

-عليه أن يتخلص مني أولاً...فهو حتى الآن

يظن بأنني لا أنتمي إلى عائلة

تسمى "الأمير"....هو لم يرَ مني وجه الأميرية

بعد....وأنا لا ألبأ له كثيراً...لأنه قبيح

جداً...أما جميلة فلا تقلقي ستظل معنا دائماً!!

"معنا دائماً"

كم هي جملة بسيطة لكن لها تأثير قوي عليها!!

تأثير داعب قلبها المسكين المتعطش لأي شيء

ينعشه!

وتراجع عقلها متنازلاً!!

لقد ربح قلبها وستقبل بكل شجاعة!

لعت شفتيها الجافتين ، ثم هتفت وهي تتهرب

من عينيه :

-موافقة!!...لكن بشرط....لن نتزوج

اليوم....سننتظر قليلاً!!!

زفر مروان بعنف ، وتشنج فكه بانفعال ، ثم

هتف مزمجرأ وهو يدير المحرك :

-لا لن تنتظر دقيقة أخرى....سننتزوج اليوم!

وهذا كان أول خطأ في علاقتهما!

خطأ لم يتدارك أيا منهما عواقبه!!

خطأ سيعرقل حياتهم فيما بعد!!

=====



أسرعت الخطا وهي تضرب الأرض ضرباً ،
بزاوية عينيها تعلقت دمعة تخشى أن تسقط
على وجنتها...

فرفعت كفها ومسحتها بعنف ، وهي تتنفس
بصوتٍ عالٍ تتحرك بسرعة تكاد تعدو!
ما تعرضت له الآن... نكأ جرحها الملتهب!!
لم تستطع أن تأخذ حقها بمساعدة لسانها
السليط!!

استخدم الخصم أقدر الطرق للتغلب عليها!!
فنجح وأحرز هدفاً غير نظيف!!
جزت مروج على أسنانها بقوة ، ثم تخطت
سيارته بعنفٍ تدعو بداخلها أن يتركها وشأنها!



ليس من حقه أن يختفي من حياتها فجأة ، ثم يظهر ، ليس من حقه أن يكون سبب معاناته والوجه الوحيد الذي يشتاقه قلبها المتألم!!
ضاعت أمنيتها ، حين خرج مالك من السيارة...ثم أعاق حركتها حين وقف أمامها يمنعها من التحرك، فأطرقت برأسها وتأففت بصوت مسموع ، تتحرك ذات اليمين فيتحرك معها، فتتحرك في الاتجاه المعاكس..فيتحرك معها ، هنا لم تتحمل أن تكظم غيظها و غضبها أكثر من ذلك...فصرخت بصوتٍ عالٍ جعل الرؤوس تلتفت لهما :
-ماذاااااا... ماذاااااا أبتعد عن طريقي لا أريد أن أراك في هذا الوقت !



أخفض مالك رأسه لينظر لها عاقداً حاجبيه
بتوجس ، فبادلته النظر بقوة... ليزداد انعقاد
حاجباه مما لاحظته في عينيها.... لاحظ قهر
وحزن يلوح له، لكن مظهرها لا يدل على
هذا....

لكن....

عيناها لا تكذب!!

تقدم مالك خطوة نحوها ، فتراجعت إلى الخلف

، وهتفت من بين أسنانها محذرة :

-أبتعد عن طريقي يا مالك...فأنت الآن أكثر ما

يؤلمني...لن تتحمل ما سأقوله!!

نظر مالك إلى عينيها ، ثم هتف بثبات :

-لن أبتعد...هذا ليس حقك!!

استعرت عينا مروج، و اندفعت الدماء برأسها
، فصرخت بقوة غير مهتمة بالنظرات
الفضولية التي كانت تحلق بهم.... بعضهم يعلم
من يكون وما هي قصتهما والبعض الآخر لا
يفقه ماذا يحدث :

بل ليس من حقك أنت ، أنت أناني وأنا
أكرهك..... أنت مثير للتقزز..... ليس من حقك
أنت أن تكسرنى بهذه الطريقة... ثم تطلب منى
العفو الآن!!...ولماذا لا تفعل...فأنت لم تخسر
شيء....أنا من تعرضت لكلمات و شائعات
مجحفة في حق فتاة مثلي....أنا من عايرتها
صديقتها الآن بك.....عايرتني بتركك
لي...وقالت أنني فتاة منحرفة..لذا تركك خطيبك
يوم عقد قرانكما...لأنه اكتشف حقيقتك?...ما



رأيك؟؟؟... هذا جزء بسيط!!... ما رأيك يا

فنان!!!

بهتت ملامح مالك ، وتشنج فكه بألمٍ... بينما هي

لم تشعر بأن دموعها أنسدلت على وجنتيها

بغزارة!

لأحد يتحمل ما تشعر به الآن!!

تشعر وكأن أحد غرز بظهرها نصل خنجر

حاد.... فصرخ قلبها قبل فمها!!

ألم حاد تشعر به يعصف بروحها!!!

نظر مالك لها بندمٍ ، ثم تقدم منها وأمسك

مرفقها يجذبها نحو السيارة بقوة، لكن قدميها

تشبثتا بالأرض.... وأستعرت عيناها... ثم

هتفت صارخة :

-أترك ذراعي هذا لا يحق لك!



نظر لها نظرة غريبة ، ثم هتف بصرامة وهو
يشير بكفه الآخر إلى الواقفين حولهما :
- سأخذك كي أوصلك إلى منزلك... أو لنتكلم في
مكانٍ آخر... فأنتِ فقدتِ عقلك على ما يبدو
لتقولي كل هذا أمام الجميع!!
اتسعت عينا مروج صدومة من وقاحته ،
واتسعت ألباً لإهانتة!!!
أي بشر هو!!!
وفي لحظة خاطفة ، رفعت كفها عالياً لتهوى به
على وجنة مالك بصفعة قوية!!!
تعالى الشهقات من حولهم ، وارتفعت صوت
همهماتهم!!



أما مالك فقد تصلب جسده ، واستعرت
عيناه...بينما فمه فقد كان يتحرك دون
كلام....

صدره يرتفع ويهبط، ونفس ساخن خرج من
شفتيه المنفرجتين فكاد أن يحرقها!
انترعت مروج مرفقها من قبضته بعنفٍ ، ثم لم
تلبث أن ركضت بقوة وهي تضع كفها على
شفتيها تكتم شهقة عنيفة مصدومة كادت أن
تنفلت من بين شفتيها!

تشوشت الرؤية أمام عينيها وهي تقف على
الرصيف كي تعبر طريق السيارات...
التفت مالك ببطء كي يرى أين ركضت تراقبه
نظرات الواقفين!

نظر إليها بعينين تجمدتا فجأة وملامح غريبة!



بينما تحركت شفتاه همسا "هذا حقها"....

لكن بروده لم يدم طويلا حين رآها تعبر الطريق

بتهور...تترنح بطريقة جعلت قلبه يقع بين

قدميه!!

زمت مروج شفتيها بقوة ، وهي تسير بسرعة

وتهور، ثم لم تلبث أن شهقت بعنف حين تعالى

صوت بوق سيارة تسير بسرعة البرق آتية من

مسافة قريبة، سرعتها

مخيفة....جدا!!...فتسمرت مكانها

مصدومة....

بينما مالك فقد شعر بشيء ثقيل جثم على

صدره فجأة وهو يصرخ بصوت عالٍ :

-مرووووووج....أحذري!!!



اهتزت حدقتا مروج في جزء من الثانية ، و
تداركت الوضع لكنها لم تتحرك...إلى أن
شعرت بنفسها تطير بقوة حين اصطدمت
السيارة بها، فشعر مالك بقلبه يصرخ
بهستيرية.....وبشيء وهمي يجثم على
صدره بقوة جعلته يصرخ بجنون :

-مرووووج!

=====

-أتعلم بأن زوجتك مليكة ستأتي إلى هنا دون أن

تخبرك؟؟؟

تشنج جسد سليم، واستعرت عيناه بشكلٍ

مخيف!!

بينما وجهه فقد أحمر بشدة واشياً عن غضبه

الذي ازداد بداخله جراً جملة ماهر التي

بالتأكيد ليست صحيحة!

لن تفعل مليكة ما قاله وتطعن رجولته في مقتل

أمام عيني هذا القدر الملقى أرضاً!!

لن تخون ثقته بها....

وهل هي تستحق ثقته من الأساس!!

كم من مرة خذلته بها و طعنته بسكين ثلم دون

أن تشعر؟؟

جز سليم على أسنانه بقوة، وارتفع صوت

انفاسه بغضب، ثم لم يلبث أن أقترب من ماهر

بخطوات بطيئة زرعت بماهر الخوف و الذعر

الذي زاد أكثر حين جثا سليم بجواره وسحب



سلاحه ليظهره بوجهه مباشرة، ثم هتف

بصوت بدا كالفحيح :

-هل تعلم عقوبة ما تفوهت به الآن بكل وقاحة

وكذب؟؟

ازدرد ماهر ريقه بصعوبة، ورسم الذعر

خطوطه على صفحة وجهه....

ابتسم سليم بشر ، ثم قرب السلاح أكثر وهم

بلكمه بكفه الآخر....لكن ماهر هتف وهو ينظر

خلف سليم بشيء ضرب رأسه بقوة :

-أنا لم أكذب عليك...زوجتك تقف خلفك

مصدومة!

اتسعت عينا سليم واحمرتا بشكلٍ مخيف ، بينما

فكه فقد تشنج بشدة وبهتت ملامحه كمن تلقى

صفعة ألمته للتو...



ثم التفت برأسه ببطءٍ شديد ، يتنفس بعنف إلى

أن وقعت عيناه عليها!!!

تقف قريبة منه متسعة العينين فاغرة الفاه!!

شاحبة الوجه....

تراقب ما يحدث بعينين متسعيتين وقلب سقط

بين قدميها هلعاً!!

ليس خوفاً على ماهر لا!

بل صدمة من وجود سليم بحالته الهستيرية

تلك!!

انتصب سليم واقفاً ، عيناه لا تحيد عنها.....

عيناه اللتان بثتا بها الرعب من مظهرهما

المخيف!!!

تقدم سليم نحوها.. فازدردت ريقها بخوف

يضاهي قوة النيران المشتعلة بداخله !



وقف سليم أمامها ، ثم دس كفه في جيب

بنطاله، فعقدت حاجبها بقلق....

أخرج سليم مفاتيح سيارته ، ثم مد كفه إليها

وهتف بنبرة ارعبتها :

-خذي مفاتيح سيارتي واجلسي بها إلى أن آتي

إليك!!

رمشت مليكة بعينها عدة مرات...وارتعشت

شفتاها ، فقست عيناه أكثر وتفاقم غضبه

بداخله....ليهتف بصوت أعلى بث الرعب في

أوردتها :

-افعلي ما قلته ولا تختبري صبري....

أخذت المفاتيح منه بأصابع مرتعشة، ثم جالت

بعينها في المكان تبحث عن سيارته...إلى أن



وجدتها... فتحركت ساقاها المرتعشتان نحوها

شاعرة بدموعها تلسع عينيها....

نظر سليم إلى ظهرها نظرة تحولت من الغضب

إلى ألم عنيف جراء فعلتها التي طغنت رجولته

بكل قوة....

ضم قبضته الحرة بقوة، ثم أعاد سلاحه مكان،

واستدار على عقبيه لينظر إلى جسد ماهر

المسجى أرضاً وبجواره شقيقته التي كانت

تبكي بعنف وتحذجه بنظرات كارهه... فنظر

سليم لها نظرة باردة وابتسم بسخرية... ثم

استدار ورحل!!!!

عضت مليكة على شفتيها بقوة حتى أدمتها ،

تفكر في رد فعله عما أقدمت عليه بكل غباء!!



ماذا ستقول له وكيف ستحمي نفسها من

غضبه!!

أكتشفت في الآونة الأخيرة أنها باتت تخشاه

وتخشى غضبه!!

أكتشفت بأنها لم تعد تريد أن تثير غضبه!

لكن أفعالها تثبت العكس!!

أغمضت عينيها بقوة ، قبل أن تشهق بعنفٍ

حين فُتِح باب السيارة فجأة ، ثم جلس سليم

خلف المقود وصفق الباب بعنفٍ....

فانكشيت على نفسها حتى كادت تلتصق

بالنافذة... فضحك سليم ضحكة ساخرة جمدها!

وأدار المحرك لينطلق بالسيارة يسابق الرياح!!

نظرت مليكة إلى جانب وجهه تنوي التحدث

لكن ملامح وجهه اسكتتها..

ملامحه كانت سوداء... وفكه متشنج بشكلٍ
أخبرها بأنه في أقصى مراحل
غضبه.... فابتلعت كلماتها لتسكب على قلبها
كسائل ساخن لسعه بقوة مؤلمة!
جز سليم على أسنانه بقوة يكظم غضبه بشق
الأنف... كل دقيقة تمر... يزداد لهيب غضبه
أكثر.. وتستعر عيناه!

أوقف سليم السيارة أخيراً أمام القصر بعد
دقائقٍ مرت ببطءٍ تذبذب كل منهما بسكين ثلم!!
ثم ترجل سليم من السيارة بصمت ، ووقف
الباب خلفه...

صعد درجات السلم تاركاً إياها في السيارة
ترتعب خوفاً ، لا تقوى على الوقوف شاعرة
بأن قدميها كالأسفنج الرخو!



لكنها أجبرت نفسها ، وترجلت من السيارة....
دخلت من باب القصر بوجهٍ شاحب، فوجدت
سليم يصعد السلم بسرعة جنونية ، فركضت
خلفه تنهب المسافة بينهما نهياً....إلى أن
وصلت إلى غرفتهما ، وجدت بابها مفتوح....
فتوقفت مكانها قليلا تشعر بشيء غير مريح
يجثم على صدرها حتى كاد يخنقها!!
سحبت نفساً مرتجفاً وأجبرت ساقاها على
التحرك !

دلفت إلى الغرفة، ثم أغلقت الباب خلفها....
ثم لم تلبث أن تجمدت مكانها حين وقعت عيناها
على سليم وهو يضم ملابسها بعشوائية ويلقيها
بداخل حقيبة ألقاها بعنف على
الفراش....فاتسعت عيناها وهتفت بذهول :



-ماذا تفعل؟؟؟-

لم يتوقف سليم عما يفعله، فاقتربت مليكة منه
بسرعة ، ووضعت كفها على ظهره ، لينتفض
مكانه ويصرخ بوجهها بقوة أجفلتها :

-ابتعدي عني!

امتقع وجهها بشدة ، وشعرت بفعلته تلکمها
بقوة...وبالرغم من ذلك ، أمسكت ذراعه بقوة
وهتفت بنبرة مرتعشة :

-دعني أشرح لك ما حدث ، لا تتصرف

كالأطفال!

اشتعلت عيناه أكثر ، وأحمر وجهه بشدة ،
فازدرت ريقها بخوف....



ألقي سليم ملابسها أرضاً ، ثم نزع ذراعه من
بين يديها بعنفٍ ، وهدر بصوت جعلها تنتفض
مكانها :

-أطفال!!!...أنا أتصرف كالأطفال ، وماذا عنك
أنت!!!...لماذا تتصرفين وكأن لا حاكم
لك!!!....

أسبلت جفنيها ، وأطرقت برأسها أرضاً ،
فشعرت بأصابعه تقبض على ذقنها بقوة لترفع
وجهها ، ثم هتف بغضبٍ مشتعل :
-أنتِ وقحة!

اتسعت عيناها بذهول ، وأمتقع وجهها أكثر ،
فأردف سليم بصوت حاد ، فاتر وهو يزيد من
ضغطه على ذقنها حتى تأوهت بصوت مكتوم :
-أنتِ طعنتِ رجولتي بكل دمٍ بارد!



- أقسم بالله لم أفعل هذا كي اهينك.... أقسم بالله

يا سليم لم أذهب له كي ا....

هتفت بها بصدق ودموعها تنسدل على وجنتيها

، فقطع سليم عبارتها وصرخ بعنف :

- اخرسي... لا أريد أي تبرير تافهة مثلك!.... لا

أريد أن أسمع صوتك !

عقدت مليكة حاجبيها بشدة ، ثم هتفت بإصرار

وهي تتشبث بذراعه :

- أسمعني فقط ولا تتسرع... أرجوك!

نظر سليم لها بسخرية ، ثم هتف باستهزاء

آلمها :

- لا أتسرع!!، من أي شيء صنعتِ.... أي بشرٍ

أنتِ!!!... أريد أن أسالكِ سوّلا يا مليكة!.... هل



آلمتك إلى هذا الحد الذي جعلك تردين لي من

الألم أضعاف!

-الأمر ليس بهذا السوء يا سليم أسمعني فقط!

-لا أريد أن سمع تفهاتك..... لا أريد أن أراك!

صرخ بها سليم وهو يدفعها بعيداً عنه بعنفٍ ،

فتأوهت مليكة بألم حين اصطدمت بطاولة

الزينة خلفها....

اعتدلت في وقفها بسرعة حين لاحظته يللم

ملابسها بعشوائية من الأرض ، ثم ألقاها في

الحقيبة بعنفٍ...حينها لم تتمالك نفسها ، فهتفت

بخوف :

-ماذا تفعل!

نظر سليم لها بطرفٍ عينيهِ وابتسم بسخرية ،

ثم هتف بجمود :



- ما رأيك أنتِ؟؟؟... ملابسك و حقيبتك؟؟..فماذا

تظنين؟؟

شعرت بقلبها يتوقف مجفلاً ، ونضبت دموعها

فجأة!....

ثم لم تلبث أن عقدت حاجبيها بألم ، وهتفت

بهذيان :

-مستحيل!!!!

=====

الفصل الخامس عشر





-مستحيل!!!!

التوت شفتاه بابتسامة جامدة، ثم أغلق الحقيبة

بعنفٍ وهو يتنفس بسرعة و غضب يهدد

بالانفجار!!!

انفجار سيطيح بكل شيء أمامه وبالتأكيد مليكة

على رأس القائمة!

تلك التي دعست رجولته دون أن يرف لها

جفن؟؟

تترجاه أن يسمعها!!

يسمع مبررها؟؟؟

أي مبرر هذا الذي سيمحي شعوره بالإهانة!!

هي لن تشعر بالإهانة التي شعر بها اليوم!



ذهب ليدافع عن شرفه، وعن أسم
زوجته... فوجد زوجته المصون تقف خلفه ،
لترى ذاك المتخلف!.....

صرخ سليم بوحشية فجأة ، فانتفضت مليكة من
مكانها بخوف من شكله المرعب..... وبدأت
تشعر بظورة الأمر!!!

لترمش بعينيها الدامعتين ، وتقرب منه مرة
أخرى تتوي تهدئته ، لكن ما أجمها نظرتة
التي حدجها بها....

فتسمرت مكانها ، وازدردت ريقها بصعوبة... و
دون شعور منها هتفت بصوتٍ خافت واه :
-أسفة!... لكن لا تفعل هذا؟؟؟... هل ستطردني

من البيت؟؟؟؟



نظر سليم لها بازديراء ، ثم أعطاها ظهره ،
واتجه إلى الدولاب مرة أخرى ، فاختلست نظرة
خائفة إلى حقيبتها التي تضم ملابسها ، ثم
عادت بنظرها إلى سليم....شاعرة بالخوف
يخنقها بقوة فكاد أن يزهق بأنفاسها....
أنعقد حاجباها بعدم فهم ، حين أخرج سليم
ملابسه كلها ، ثم ألقاها على السرير تلوها
حقيبتها...فانفرجت شفتاها المرتعشتان ، وهتفت
بتلعثم وهي تراقب حركاته في كل مكان....:
-م....ماذا تفعل؟؟

نظر لها بامتعاض ، ثم ألقى ملابسها بداخل
الحقيبة ممتعاً عن الرد، فازدادت كثافة الدموع
على وجهها ، و أرتفع هدير أنفاسها وهي
تهتف بخوف حقيقي :



سليم... على أي شيء تنوي؟؟؟... هل

ستطردني من القصر!

انفلتت من بين شفثيه ضحكة عصبية جمدها
مكانها شاعرة بالبرودة تسري في أوردتها...
توقف سليم عن الضحك فجأة ، لتشعر بلامحه
تزداد قساوة وعينيه تزداد اشتعالاً... فازدردت
ريقها بخوف... وتراجعت إلى الخلف....

فالتوت شفثاه بسخرية ، وهز رأسه هازعاً... ثم
لم يلبث أن حمل حقيبته وخرج من الغرفة،
فانعقد حاجباها بتوجس وكففت دموعها بظاهر
كفها....

تحركت نحو الفراش لتجلس على طرفه بلامح
حزينة ، ثم نظرت إلى أصابعها بتوهان....

ماذا ستفعل الآن؟؟

كيف ستبرر له فعلتها؟؟؟

أي تبريرٍ أمام كرامته لن يشفع لها وهو محق!

والله محق... لقد أخطأت وها هي تعترف

بخطأها... ليتها يسمعها هذه المرة فقط!!

لقد أخطأت في حقه كثيراً وكان هو من يتشبث

بزمam الأمور ويلجم غباءها!!

لكن ما فعلته اليوم... أطاح قوته و صبره!!

شهقت بفزع حين هتف بصوت عالٍ ، وهو

يحمل حقيبتها على الأرجح عاد مرة أخرى دون

أن تشعر به :

- اتبعيني!! -

هزت رأسها بلا هدف ، ثم اتبعته دون أن تتفوه

بحرف... فما فعلته يكفي!



خرجا من القصر الخائق نظرت إلى ظهره لا
تعلم إلى أين سيذهب لتتبعه.... فوجدته يتحرك
نحو سيارته....

لتتحرك ساقاها بإرهاق وتغمض عينيها
بتعب...

وصلت إلى السيارة فوقفت مطرقة برأسها لا
تعلم ماذا سيفعل بها ولماذا قام بجمع ملابسها
وكانت على وشك السفر!!
أنتفضت مكانها حين أغلق سليم حقيبة السيارة
بقوة ، ثم جلس خلف المقود وأغلق بابها بقوة
أكبر....

فامتقع وجهها بقلق ، وارتجفت أطرافها قبل أن
تزدرد ريقها بارتباك حين هتف سليم بجمود
دون أن ينظر لها :



-اركبي....

رمشت بعينيها مرتين ، ثم لم تلبث أن امتثلت

لأمره.....

انطلق بالسيارة وهو يضغط على بنزين السيارة

بقوة ، فأصدرت صريراً مزعجاً....مما جعلها

تغمض عينيها بقوة وتكمش على نفسها!

ظل الصمت يحيط بهما بشكلٍ خائق ، حتى كادا

أن يشعرا بالهواء ينسحب من حولهما...

سليم يقود السيارة بسرعة جنونية، وملامحه لا

تتم على خير...ملامح عكست النار المندلعة

بصدره.....

بينما هي فقط كانت متشبثة بذراعي الكرسي

بخوف من سرعته الجنونية غير قادرة على

النطق بشيء!



تراقب الطريق بتفحص، عليها تعرف إلى أين

سيأخذها؟؟

رغماً عنها شعرت بقبضة باردة تعتصر قلبها
حين تطراً فكرها إلى تفسير أوجعها وبشدة ولم
تتصور أبداً أن يؤلمها بهذه الطريقة....

هل سيطلقها؟؟؟

هل سيبعدها عن طريقه بعد أن خذته مرة تلو

الأخرى؟؟؟؟

لكن؟؟؟

هو السبب هو سبب المعاناة التي تحاها الآن

ويحياها هو الآخر!!

من تزوجها بطريقة ليست بالجيدة وكأنه

يتستر على خطيئة... هو!

من حيك الخيوط كي يتزوجها فجأة دون أن

تعلم....هو!!!

أغمضت عينيها بقوة ، وهي تتنفس بصعوبة،

ثم هتفت بتلثم :

-ماذا ستفعل بي؟؟؟

التوت شفتاه بابتسامة ساخرة ، وانفرجت

شفتاه ليهتف باستهزاء :

-سأقتلك ما رأيك؟؟؟...فأنا رجل ظالم ابعذك عن

حبيبك....فبالتأكيد لدي موهبة عظيمة في

قبض الأرواح ؟

شهقت مليكة بصدمة وهي تفتح عينيها على

وسعهما مبهوتة مما تفوه به للتو....



التفت له برأسها لتتنظر إلى جانب وجهه، ثم لم تلبث ان صرخت بعصبية وهي تضرب جانبي المقعد بقوة :

-أنا لا أسمح لك... لا أسمح لللك...أي حبيب هذا...وكيف تتحدث بمثل هذا البرود!

ارتفع حاجباه بصدمة مصطنعة ، ثم التفت لها لينظر لها نظرة سريعة غير مبالية...قبل أن يعود بنظره إلى الطريق وهو يهتف بجمود يخفي خلفه غضب أهوج يقف على حافة بركان ينتظر إشارة واحدة لينفجر مدمراً كل شي :

-امرأة متزوجة كانت بين أحضان زوجها يبثها أشواقه تبتم له ابتسامة أفعى....خرجت من وراء ظهر زوجها بعد خروجه فوراً لتذهب إلى



رجلٍ آخر..فما تفسير ما فعلته سوى أن زوجها

أبعدها عنه !!

أمتقع وجهها بشدة من بشاعة تفسيره ،

وشعرت بألم حاد يعصف بصدرها جراء إتهامه

الباطل لها... غافلة عن هدفه الحقيقي في

إجبارها على ارتشف رشفة صغيرة من نفس

الكأس المر كالعقم!!!

ظلت تنظر له بذهول ،فاغرة شفثيها ببلاهة

متسعة العينين كمن ينظر إلى مخلوقٍ

فضائي...

فضغط سليم على مقود السيارة بقوة، ثم أشاح

بوجهه الذي تحول من البرود إلى الغضب

والقتامة مرة أخرى!!

ماذا يفعل؟؟؟



جز على أسنانه بقوة ، حتى اصطكت، ثم ضرب
مقود السيارة فجأة وهو يهتف بنبرة غاضبة :
-تبا...تبا... لماذا تزوجتك؟؟؟...أهو حب

لزيادة جروحي؟؟

ازداد شحوب وجهها، وشعرت بلطمة عنيفة
تلطم قلبها فتأوه بألم....

أطرقت برأسها وهي تتشج بخفوت، شاعرة
بنفسها تقع في جُب عميق، شديد
السواد.... يطبق على أنفاسها...

ساد الصمت مرة اخرى وهي تبكي

بخفوت...بينما هو فقد كان غضبه يتفاقم
بداخله أكثر وأكثر يحاول تكبيله بكل الطرق كي
لا يتهور و يؤذيها، وبصراحة...بداخله رغبة



سادية في آذيتها... لكن قلبه المجروح يجبره

على التريث كي لا يندم!

أوقف السيارة أمام عقار حديث يختلف عن

طراز بلديتهما... فنظرت إلى العقار بعدم

تركيز... ثم هتفت بخفوت :

-لماذا أتينا إلى هنا؟؟؟

وكما توقعت لم يرد عليها ، بل ترجل من

السيارة، فنظرت له بعينين حزينتين... تراقب

تشنج جسده وقتامة ملامحه وهو يحمل حقيبتة

وحقيبتة بذراعيه، ثم تحرك نحو

العقار.. فخرجت من السيارة ولحقت به

بصعوبة، شاعرة بقدميها كالإسفنج الرخو...

أنه يتعمد تجاهلها وكم ألمها هذا!



بالرغم من معرفتها بأن تجاهله هذا ما هو إلا
الهدوء الذي يسبق العاصفة، وبالعجب....
هي تريد العاصفة وترفض الهدوء...
اتبعته بكتفين متخاذلين....إلى أن وقف أمام
شقة معينة ، فوقفت هي الأخرى.....
وضع الحقائق أرضاً، ثم فتح باب الشقة....
ودلف إلى الداخل وهو يجر الحقائق بنفاذ
صبر....

فاتبعته وهي ترتجف حرفياً، جالت بعينيها في
أنحاء الردهة الواسعة بسرعة...
مكان أنيق ، يحمل شيء من الدفاع...دفاع
يعاكس الصقيع الذي تشعر به دائماً في قصر
الأميرية....

جلست على مقعد قريب بتعب، فنظر سليم لها
بسخرية قاتلة، وقال وهو يستند إلى الجدار
المجاور له :

-أتعلمين أنك أكثر نساء الأرض وقاحة!!....
ابتلعت إهائته مرغمة ، ثم رفعت عينيها له
بتردد ، ثم هتفت بتحسرج :

-لماذا جلبتني إلى هنا؟؟؟؟...ألن نعود إلى
القصر !!!

نظرة الامتعاض في عينيه اسكتتها سكبت فوق
رأسها دلواً من الماء البارد ليتشنج جسدها
وتتوقف دموعها....

انفرجت شفتا سليم ، ثم هتف بقسوة ، وهو
يعتدل في وقفته متأهباً إلى دخول الغرفة :



لقد فات موعد سفري...لذا سنغادر غدا إلى

المدينة...وسأخذك معي إلى أن أقرر مصير

علاقتنا!

"إلى أن أقرر مصير علاقتنا"

تلك الجملة خنقتها بالذعر ، وجثمت على

صدرها فجأة لتتحشرج أنفاسها، وتبرق عيناها

بشدة...وقبل أن تفكر في شيء...ركضت

باتجاهه فجأة قبل أن يدخل إلى الغرفة....

أمسكت مرفقه بقوة ، ثم هتفت بتوسل وهي

تحاول لمس فكه بكفها :

-سليم...أرجوك أسمعني!!...كل ما قولته ليس

صحيحاً...وكل ما يدور بخلدك الآن إثر الصدمة

لا أكثر...أرجوك أسمعني....



أبعد سليم وجهه بعنف عن مرمى كفها ، ثم

هتف بجمود وهو ينظر إلى الأرض :

-أسمعك!!!-

ازدردت ريقها بصعوبة ، ثم وضعت كفها الآخر

على صدره لتشعر بتشنج جسده ، ثم لم تلبث

أن امتقع وجهها حين انتفض سليم إلى الخلف

وهو يهدر بغضب :

-ابتعدي عني!

عضت على شفثيها المرتجفتين بقوة حتى

أدمتها ، ثم لم تلبث أن أجبرت نفسها على

التحدث ، فانفرجت شفثاها وهتفت بتلعثم وهي

تلوح بكفيها :

-بعد خروجك من القصر بحالتك

المخيفة...أتصل بيّ ماهر كي آتي!



صمتت لبرهة كي تجمع كلمتها ، وهي تنظر
إلى الأرض ، فلم ترَ عينيه اللتين قتما بشكلٍ
مخيف وتشنج فكه... ودون أن يستطيع منع
نفسه ، هتف بغضب ملقياً الكلمات في وجهها
وهو يقبض كفيه بقوة كي لا يهجم عليها و
يطرحها ضرباً :

-هل أدمنتي الوقاحة مؤخرأ... أقسم بالله إن لم
تصمتِ سأنفذ ما أتمناه... وهو ضربك بالطبع!
رفعت رأسها بسرعة لتتنظر إليه بعينين دامعتين
، فوجدته ينظر لها بكره ، فشهقت باكية وهي
تهتف بترجٍ :

-لا لا... أرجوك دعني أتابع حديثي... أتصل بي
كي آتي و....



-كفى كفى... علمت أنه أتصل بك

لتأتي...توقفي عن قولها أرحميني...

صرخ بها سليم بغضب وهو يضرب الحائط
بقبضته بقوة آلمته، فانتفضت مكانها وازداد
شحوب وجهها حتى حاكى وجوه الموتى ،
سيطر الصمت عليهما مرة أخرى، فزفر سليم
بقوة واندفع نحو غرفة قريبة...فأسرع لسانها
بالتحدث بصوت عالٍ قبل أن يدخل إلى الغرفة :

-أخبرني بأن ريهام مريضة بشدة وتريد

رؤيت...فصدقته لأنني أثق به وذهبت إليهم

بخوف على صديقتي لم أكن أعلم أنه يفعل كل

هذا كي ينتقم منك....

توقف سليم مكانه بالفعل ، فبرقت عيناها و

ارتسمت شبه ابتسامة على شفيتها سرعان ما



قُتِلت في مهدها حين هتف سليم بصوت قاسٍ

دون أن يلتفت لها :

-ليتك صمتٍ ولم توضحي لي سبب فعلتك....لا

أشعر بفارق !

ثم دلف إلى الغرفة وصفق الباب في وجهها

بقوة، فأغمضت عينيها بحزن لتتسدل دموعها

مرة أخرى...شاعرة ولأول مرة بالخسارة !

=====

بباب يفصل بينه وبينها....باب كان كوحشٍ

مخيف يرهبه بعينيه المخيفتين....فيتراجع إلى

الخلف بخوف...

باب يخفي خلفه فتاة تعرضت لظلمٍ بسببه

هو....

فتاة أحبها بكل صدقٍ....ولم يشك بهذا!!!



فتاة سقط جسدها أمامه جراء حادث عنيف

وكان هو السبب!

لا يتذكر كيف تصلب مكانه وقتها وشعر

باعصابه تخرج عن سيطرت، لم يقوَ على

الركض نحوها في بادئ الأمر وهو يرى

مجموعة كبيرة من الطلاب تركض نحو مروج،

ومجموعة من الشباب أمسكت بسائق السيارة

قبل أن يهرب بفعلته....

وهو وسط كل هذا تائه، يشعر وكأن أحدٌ ضربه

بقوة على رأسه فترنح بتوهان!!!

دقيقة واحدة استعاد فيها وعيه..

يصرخ بأسمها وهو يركض نحوها يبعد كل

شخصٍ يعيق حركته...



وصل إليها أخيراً ، فسقط على ركبتيه
بجوارها ، ثم لم يلبث أن أدار وجهها له فهاله
منظر الدماء المفزعة التي كانت تخفي
وجهها....أنفها ينزف بشدة وجرح عميق زين
جبهتها.....

كانت تعافر لتفتح عينيها لكن كل محاولاتها
باءت بالفشل ، فاستسلمت أخيراً وأغمضت
عينيها....فصرخ مالك هستيرية شاعراً بلسعة
غريبة تلسع جفنيه :

-مرووووج!!

لا يعلم كم دقيقة بقي مكانه وهو ينتظر سيارة
إسعاف ..كل ما يعلمه أنه ضم رأسها إلى صدره
رغماً عنه ، وهمس بجوار أذنها بصوت
مرتعش كطفلٍ خائف :



-أسف...أسف..-

وبعدها وجد نفسه يستقل سيارة الأسعاف معها
بوجهٍ شاحب، وعينين دامعتين شاعراً بقبضة
باردة تعصر قلبه، ودون شعور منه تساقطت
دمعتان على وجنته ببطءٍ....!

-ماذا حدث لشقيقتي...-

سؤال قلق خرج من بين شفثيه مرتعشاً ، فنظر
مالك له بعينين حراوين ، ثم هتف بصوت
متقطع :

-تعرضت لحادث كما قلت لك...كنت أعلم بأن
أوجد ليس موجوداً في المدينة...لذا أتصلت
بك....



رمش رائف بعينه الحمرواين كعيني مالك ، ثم
هتف بعدم تركيز وهو ينظر إلى غرفة العمليات
بعينين خائفتين :

-هل...هل كان الحادث مريعاً؟...

لم يرد مالك عليه...ولم يقوَ على رفع عينيه في
عيني رائف، فأغض عينيه بقوة وتأوه دون
صوت...

لينظر رائف له برعب من صمته ، وانفرجت
شفتاه ينوي التحدث ، لكن عيناها سبقتا فمه
حين وقعتا على قميص مالك الملطخ بالدماء،
فشعر بقلبه يهوي بين قدميه، وبلكمة عنيفة
بصدره ، ليهتف بخوف وهو يشير بسبابته إلى
قميص مالك :

-هل... هل هذا دمها؟؟؟... بالطبع لا أليس

كذلك؟؟؟؟

انعقد حاجبا مالك بآلم، ثم أطرق برأسه وهو
يعتصر جفناه بقوة، يتنفس بصوت عالٍ شاعراً
بالهواء يحتقن من حوله، الألم يحتد، والدموع
تلسع جفنيه، بينما رائف فقد شعر بقدميه
تتخذلان.... ليجلس على المقعد وهو ينظر إلى
غرفة العمليات بذهول وكأنه لا يصدق بأن
شقيقته تعرضت لحادث وهي الآن في غرفة

العمليات؟

وكانه لا يريد تصديق بأن هناك أي احتمالٍ

لفقدها!!

اتسعت عينا رائف وفغر فمه قليلاً... فقد؟؟؟



لا لا.. لن يحدث لها شيء... أن كان هذا شعوره

الآن فكيف سيكون شعور أمجد؟؟؟

كيف سيتحمل قسوة الخبر!!!

ازدرد رائف ريقه بصعوبة مبتلعاً غصة أحتلت

حلقه منذ علم بأن مروج تعرضت إلى حادث

وتم نقلها إلى مشفى.....

لم يتوقع أن يشعر بالخوف عليها إلى درجة

الألم؟

مسح رائف طرف عينيه بسبابته مانعاً دموعاً

من السقوط الآ، فأمامه يومٍ طويل... يجب أن

يتحلى بالقوة....

زفر رائف بتعب ، ثم نظر إلى الأرض....

ماذا سيقول لأمجد!!!



يا إلهي كم يشعر بالقلق عليه، لن يتحمل الخبر،
فهو يعلم جيداً مكانة مروج عنده....
انتفض مكانه حين تعالى صوت رنين هاتفه ،
فأخرجه بسرعة من جيب سترته بخوفٍ، خوف
ازداد أكثر حين وقعت عيناه على أسم
المتصل "أمجد"....

ألم يهاتفه صباح اليوم؟؟؟..

هل أخبره أحد عما حدث لمروج؟؟

ازدرد رائف ريقه بصعوبة ، ثم فتح الهاتف
ووضعه على أذنه ، فأتى صوت أمجد طبيعياً :
-رائف... هل تعلم أين مروج... أتصلت بها
كثيراً وفي كل مرة كان هاتفها مغلقاً... هل هي
موجودة بالمنزل أم لا؟؟؟... فموعد خروجها من
الجامعة كان منذ ساعتين !



أغمض رائف عينيه بآلم ، ثم لم يلبث أن هتف
بصوت جاهد أن يخرج متزناً :

-لا تقلق هي بخير....ذهبت إلى صديقتها!
عقد أمجد حاجبيه غير مرتاحاً؛ فنبرة رائف
كانت مهتزة بثت بداخله قلق كبير، ليهتف بحذر

:

-ومنذ متى تذهب مروج إلى صديقتها في

بيتها؟؟؟...لم تفعلها من قبل!

زاغت عينا رائف بتوتر، ماذا سيقول

له؟؟؟...الأمر يزداد تعقيداً وهو غير قادر

على الصمود في تمثيله أكثر...سينهي الحوار

بينهما بأي طريقةٍ ممكنة، لذا هتف وهو يدلك

جبهته بتوتر :



- لا أعلم سبب ذهابها لكنني أوصلتها
بنفسي...والآن عذرا سأغلق الخط فلدي موعد

تدريب!

ودون أن ينتظر رد أمجد أغلق الهاتف بسرعة
، ثم هب واقفاً حين خرج الطبيب من غرفة
العمليات أخيراً...فوصل إليه هو ومالك في نفس
الوقت ، لكن مالك سبقه وهتف بتلعثم ولهفة :

-كيف حالها؟؟؟-

نظر الطبيب لهما ، ثم هتف بثبات :

-الحمد لله، لم تكن إصاباتنا خطيرة...لكن هناك

كسر مضاعف بقدمها اليمنى...وتم تقطيب

جبينها بقطيبات ليست بالقليلة...أما باقي

الإصابات فلم تحتج سوى غرزتين



فقط... سيتم نقلها إلى غرفة لتبقى تحت
رعايتنا... وبعدها سنسمح لك بالدخول!
زفر رائف براحة ، وردد بصدق :
-الحمد لله... الحمد لله.

بينما مالك لم يظهر عليه أي تعبير يوحي بأنه
سمع حديث الطبيب، كانت عيناه تزداد
أحمراراً... وفكه يزداد تشنجاً وكان الطبيب
أخبره بأن حالتها ليست بالجيذة!!
لا يعلم لماذا شعر فجأة ببرودة تسري في
أوردته، وبشيء يلطم وجهه فجأة كي يخبره
بأنه السبب في ألمها دائماً...
هو السبب في كل شيء يحدث لها؟؟
وجوده في حياتها بعد فعلته خاطئ!!!



خاطئ و السياسة التي كان يتبعها معها بعد
عودته خاطئة، العلاقة بينهما قُطعت منذ ذاك
اليوم.....جرح تلو الآخر....وكلا منهما يجاهد
كي يجرح الآخر جرح أكبر من سابقه!!!
تراجع مالك خطوتين إلى الخلف وهو ينظر إلى
رائف الذي أخذ يتحدث مع الطبيب بخوف
وقلق...

قلقه على مروج أغشى عينيه فلم يتدارك سبب
وجود مالك هنا، لم يربط الخيوط ببعضها ليثور
عليه بغضب لشقيقته.....

مسح مالك وجهه بكفه بعنف، ثم استدار على
عقبه فجأة مغادراً المشفى بعد أن شعر بشيء
وهمي يلتف حول عنقه ليخنقه فجأة....



صوتها وهي تصرخ بألم يدوي في أذنيه
كالناقوس.... عيناها الدامعتان بقهر وصوتها
المتألم يلکمان قلبه بقوة فيزداد وجعه أكثر....
مشهد تلو الآخر وكان هو بطله... كان يؤدي
دوره بإتقان في جرحها دون أن يرف له
جفن....

.....

حل المساء سريعاً بعد ساعات من التوتر
والخوف المسيطر على رائف ولجين التي أتت
مهرولة بعد أن علمت ما حدث لمروج....
يجلسان أمام غرفة مروج بملامح شاحبة...
لا يعرف أيهما سبب الحادث حتى
الآن... وسبب وجود مالك هنا أثناء نقلها إلى
المشفى إلى أن أستعاد رائف تركيزه...



لم يكن رائف بحالٍ جيد ليلاحظ أن مالك كان
موجوداً بالفعل وقت الحادث، فهو من نقلها إلى
المشفى.... وهو من أطخ قميصه بدماء شقيقته

..

بداخله رغبة عنيفة في ضرب مالك حتى يزهد
أنفاسه بعد أن استعاد عقله وربط الخيوط
ببعضها.... فظهرت له الحقيقة بأكملها دون أن
يخبره أحد!!

مالك كان موجوداً في جامعة مروج وهو السبب
في الحادث التي تعرضت مروج له....
وعلى الأرجح أن مالك كان يلاحق شقيقته منذ
فترة كبيرة، لكن ما أثار تعجبه..

لماذا لم تخبرهم مروج بملاحقة مالك لها؟؟؟
لماذا صمتت وأمتعت عن أخبارهم!!



زفر رائف بقوة ، ثم نظر إلى لجين الجالسة
بجواره... فوجدتها تحرك شفيتها دون صوت
وكانت تدعي بحرارة... فمنذ أتت إلى المشفى
لم تتوقف عن البكاء بالرغم من معرفتها
باستقرار حالة مروج....

لم يكن يعلم بأنه يحب مروج إلى هذه
الدرجة... فالرعب الذي شعر به وقت علم ما
حدث لها أخبره بأنه يحبها وبشدة...
بالرغم من سوء العلاقة بينهما... ورفضه
لطبعها الحاد..

لكنها تبقى شقيقته الصغرى....
على مسافة قريبة منهما، كان أمجد يقترب
منهما بوجهٍ شاحب و حاجبين
منعدين... يتلفت حوله بملامح غريبة....



يتحرك بساقين مرتجفتين!

لا يعلم كيف تمالك نفسه حين ذهب إلى بيتهم
وعلم من جارهم الذي يقطن البيت المجاور لهم
بحادث مروج فلقد أخبره رائف بما حدث كي
يهتم بورشة أمجد التي كان يقف رائف بها
يتابع عمل أمجد...

لوهلة شعر وكأن أحد سكب دلوا من الماء
البارد فوق رأسه فجأة في مناخ بارد حد
الصقيع... وقلبه..

تصلب فجأة مبهوتاً...

ثم بدأ في استعادة تركيزه أكثر، وتحلى
بالصلابة الكاذبة وهو يسأل عن عنوان المشفى
لكن الرجل أجابه بعدم معرفته...



وبعد نصف ساعة من البحث، ومحاولة
الوصول إلى لجين ورائف اللذين أغلقا
هاتفهما.... أخبره حدسه بأن مالك بالتأكيد يعلم
كل شيء... فاتصل به، وفي خلال لحظات مرت
ببطء جاء صوت مالك باهتاً متحسراً :
- قبل أن تسأل .. نعم لقد تعرضت مروج إلى
حادث ... وهي الآن في مشفى (...)... أنا آسف
جدا يا أمجد.... فأنا السبب... حتى لو كان سبب
غير مباشر.... آسف
ثم أغلق الخط مرة أخرى... فنظر أمجد إلى
الهاتف مصعوقاً... ثم لم يلبث أن حل الخوف
مبددا صدمته؛ فاستقل سيارة أجرة....

وقف أمجد أمامهما ، فرفعا رأسهما بسرعة و

امتقع وجههما... فنظر أمجد لهما نظرة

اربكتهم...

نظر إلى رائف وهتف :

-لن أحاسبك على كذبك عليّ يا رائف...الآن

أريد أن أعرف ما هي حالتها؟؟...هل كان

الحادث خطيرا!!

هب رائف واقفاً وهو ينظر إلى كل مكان متهرباً

من عيني أمجد ، ثم أوضح له حالتها....

-هي لم تفق حتى الآن...رأيتها أنا

ولجين...وخرجنا بأمرٍ من الطبيب...

نظر أمجد له بعينين قلقتين ، ثم نظر إلى باب

الغرفة..فشعر بقبضة باردة تعتصر قلبه

الخائف بقوة...



نظر رائف إلى لجين الواقفة بجواره نظرة ذات
مغزى فأومات برأسها، ثم لم تلبث أن هتفت
بنبرة جاهدة أن تخرج طبيعية وهي تربت على
كتف أمجد :

-لا تقلق حبيبي...لقد أخبرنا الطبيب بأن حالتها
مستقرة...لا تخف...

لا يخف؟؟؟

أيوجد شعور اسوء من الخوف على شخص

يمثل لك قطعة من قلبك؟؟؟

لا يخف على ابنته التي كبرت أمام عينيه، ابنته

التي لم ترَ والداً سواه....

ابنته الصغيرة التي كان يحملها على كتفيه في

صباه كي لا تبكي !



ابنته التي كان يدرس لها في كل مراحل
عمرها، طفلة جميلة... وفتاة شقية... ومراهقة
وضعتها تحت عينيه كي لا تقع في الخطأ... ثم
شابة طُعنَت كرامتها في بداية حياتها....
من حسن حظه أنه كان في طريقه للعودة حين
هاتف رائف ليسأله عنها، لكنه لم يخبره بشأن
عودته.. وها هو يعود ليعلم عما أصاب مروج!
سحب أمجد نفساً مرتجفاً كي يهدئ نفسه، ثم
التفت إلى لجين قبل أن يهتف بقلق :

-هل يمكنني الدخول لها؟؟؟

أومات لجين برأسها ، ثم ربتت على كتفه
بحنان قبل أن تهتف بصوت هادئ :

-نعم لكن لا تطيل....



ازدرد ريقه بصعوبة، ثم استدار ودخل إلى
الغرفة....

تقدم نحو سرير مروج بتردد وهو ينظر إلى
جسدها المسجي وتورم وجهها بالإضافة إلى
جبينها المضمد.....

مغمضة العينين بسلام وقناع الأكسجين يغطي
نصف وجهها....

انعقد حاجباه قليلا والتوى فكه بألم، ثم لم يلبث
أن وقف بجوار الفراش ورفع كفه بتردد
ليتمس شعرها... لكنه تراجع في اللحظة
الأخيرة... ليطرق برأسه ويهمس بصوت
حزين :

-الخطأ خطأي على ما يبدو يا مروج...لم يكن
مناسب لك من الأساس...علاقتكما



مرهقة... كان يجب أن أتخذ موقفاً حازماً حين
عاد مرة أخرى إلى حياتنا.. كان يجب أن أمنعه
عني، فهو من أخطأ من البداية لا أنت...
ازدرد ريقه بصعوبة محارباً غصة مسننة كادت
تشطر حلقة إلى نصفين، ثم لم يلبث أن رفع
رأسه و نظر إلى وجهها المتورم، وقدمها
المجبرة فالتوى فكه أكثر وغامت عيناه بغمامة
من الدموع كظمها بشق الأنف...
الألم الذي يشعر به الآن... ألم من نوع آخر!
ليته يتمكن من تحديد كنهه... القبضة التي
تعتصر قلبه دون رحمة لم تخفف قبضتها.. بل
زادت أكثر حين شعر بأنه غير قادر على
رؤيتها في هذه الحال غير قادر على تخيل بأنه
كان على أعتاب فقدائها... قطعة أخرى من



روحه هددته بالرحيل....فهل سينتظر أن تنفذ

تهديدها...

رمش أمجد بعينه مرتين....ثم استدار على
عقبه ليخرج من الغرفة غير قادر على النظر
إليها وهي في هذه الحالة..لكن صوت وصول
رسالة إلى هاتفه أوقفه....فدس كفه في جيب
بنطاله وأخرجه، فتح الرسالة..فوجدها من مالك
"أنا سأغادر المدينة اليوم...وسأعود إلى

مدينتي...سأشتاق لك"

قرأ أمجد الرسالة مرة تلو الأخرى بلامح
تحولت من الحزن والألم إلى الجمود و التبلد...
ظل ينظر إلى الرسالة بعينين غريبتين...إلى أن
أغلق الهاتف..ثم وضع الهاتف في جيبه مرة
أخرى وكان شيء لم يكن!





أغلق باب الشقة خلفه بهدوء... ثم حثها على
التحرك وهو يمد كفه الحر أمامه :

-تفضلي !

انتفضت مكانها بالرغم من هدوء نبرته ، فانعقد
حاجبا مروان بتوجس من حالها الذي تبدل إلى
شروءٍ بعد عقد قرانهما بدقائق....

كانت في كامل تركيزها قبل أن يذهبها إلى
المأذون كي يعقدا عقد قرانهما ، ثم تحول
تركيزها إلى ملامح باهتة ، وعينين زائغتين
بخوف أثار تعجبه...

هل تخاف منه؟؟؟

هل تريد الانسحاب بعد أن وافقت على خوض
المباراة بكل شجاعة؟؟؟



وبالرغم من قوتها المستحدثة إلا أنها لن تقوى

على الإنسحاب....

غافلٌ هو، غافل ولم يشعر بقسوة ما تعرضت

له...

لم يضع في الحسبان أن التجربة التي خاضتها

بروح منكسرة... كانت قاسية...

كان يجب أن يتريث!!!

نظرت صبا إليه بتردد فوجدته ينظر لها بجرأة،

فعضت على شفثيها بقوة... ثم لم تلبث أن

هتفت بتلعثم ووجهٍ محتقن :

-إلى أين؟-

رفع مروان حاجبه باستغراب، ثم لم يلبث أن

تحرك وهو يهتف ببساطة :



لقد تفضلت يا صبا... ودخلت إلى الشقة... هلا

اتبعيني لو سمحت!

لعبت شفتيها الجافتين ، ثم اتبعته بتردد....

تنظر إلى كل مكان في الشقة، فلاحظت أن أثاث

الشقة جديد....

الأجهزة وكل شيء واضح للأعمى بأنه

جديد... وعلى ما يبدو أيضاً أن والدة مروان لا

تقطن هذه الشقة....

توقفت فجأة حين توقف مروان أمام باب غرفة

في نهاية الرواق وأشار لها كي تأتي ،

فتسمرت مكانها بذعر ظهر جلياً على ملامحها

لكن مروان لم يلحظ هذا ، بل هتف بصرامة

وهو يفتح الباب بذراعه الحر بينما الآخر كان



يحمل به جميلة الغافية على كتفه فاغرة فمها

بشكلٍ خلاب :

-تعالى يا صبا لا تقفي هكذا!

هزت صبا رأسها برفضٍ وهي تتراجع خطوة ثم

خطوتين.....

هتفت بتلعثم وهي تلوح بكفها :

-لا.... لا أرجوك... لا أريد أن أدخل الغرفة

معك..... لا أريد...

انعدد حاجبا مروان بعدم فهم ، ثم لم يلبث أن

أتسعت عيناه بعد أن أدرك قصدها.....

أدرك أنها تخشى التواجد معه في غرفة واحدة

وحدهما....

ألهمه الدرجة تعرضت إلى رعب وأنتهاك على

يدٍ حقيرة جعلتها تخشاه....



تصلب جسد مروان واشتعلت عيناه بجذوة
غضب ، ثم لم يلبث أن تلبدت ملامحه و هتف
بجمود :

-كنت أريدك أن تري الغرفة التي تم تجهزها
لأجل جميلة... ليس كما ظننت... أن أردت أن
تنامي... أدخلني تلك الغرفة...

أشار إلى غرفة كانت قريبة منها ، ثم دلف إلى
الغرفة وترك الباب مفتوحاً ، بينما هي فقد
امتقع وجهها بشدة، وازداد شحوباً... شاعرة
بأنها تسقط في جُب عميق ولا تقوى على
التشبث بشيء... تسقط... وتسقط... والجُب
يتسع... ويتسع....

زمت شفتيها المرتجفتين ، ثم نظرت إلى الغرفة
التي أشار إليها مروان منذ دقائق...



فتحركت ساقاها بتعب بعد يومٍ طويل

شاق...استنزاف قواه، ثم دخلت وجلست على

طرف الفراش بعد أن أغلقت الباب خلفها...

ماذا سيحدث الآن؟؟؟؟

هي لا تريد سوى أن تنام، تريد أن تضع رأسها

على الوسادة ثم تغص في سُبَاتٍ عميق كي

تستعيد نشاطها بعد يومٍ مريع..

لكن أمنيتهما ضاعت حين فُتِح باب الغرفة فجأة

ودخل مروان إلى الغرفة....

فانتفضت واقفة كالمحمومة ، ثم هتفت بارتباك

وهي تراه يقترب منها فشعرت بالخوف يغزو

قلبها :

ل...لماذا أتيت إلى غرفتي؟



توقف مروان مكانه ثم فغر فمه بغباء وهتف

ببديهية :

-أتيت لأنام...فهي غرفتي أنا أيضاً...-

-لا لا...أرجوك...أتركني وحدي

لفترة..ل...لا أريد أن يحدث شيء اليوم!

هتفت بها صبا بخوف وهي تهز رأسها برفض

وظهر النفور جلياً على ملامحها..فاشتعلت عينا

مروان ومس مرفقها بكفه لكنها انتفضت

مبتعدة عنه ، فهتف مروان بصوتٍ مشدد :

-أنا لم أفعل لكِ أي شيءٍ لتتظري لي بنفورٍ كما

تفعلي الآن...لم أفعل لكِ ما يجعلك تتظري لي

بهذه الطريقة

-بلى فعلت وانتهكت ج...-



قطعت عبارتها بنفسها فجأة حين تدراكت أن
الأمور بدأت تختلط ببعضها... وبدأت تشعر
بجفنيها ينغلقان رغماً عنها، لكن مروان لم
يلحظ كل هذا... بل عادت ملامحه إلى
الغضب... وهتف بصوت حاد وهو يلوح
بذراعيه :

-كفى لقد أكتفيت... سأخذ غطاء ووسادة
وسأنام بالخارج كي لا أسمع المزيد من
هذيانك.....

ثم سحب غطاء إضافي ووسادة، ثم خرج
وأغلق الباب خلفه بقوة... فتهافت لتجلس
على الفراش... ثم لم تلبث أم تمددت وأغمضت
عينيها بتعبٍ... ودموع لم تتضب...
=====



في الشقة المقابلة... كانت والدة مروان تبكي
بخفوت بعد أن أخبرتها المرأة التي تجلس معها
في غياب مروان بأن مروان أتى بصحبة امرأة،
ويحمل بين ذراعيه فتاة صغيرة... فعلت أن
مروان نفذ ما يريده وتزوجها....
كانت تعلم... والله كانت تعلم أنه سيفعل هذا
ويضر نفسه أكثر....

لن تقف بصمتٍ تشاهد ما يحدث دون أن تفعل
شيء... لذا فتحت هاتفها ، ثم طلبت رقم
معين.

وضعت الهاتف على أذنها منتظرة... إلى أن
وصل صوته لها :

-نعم عمتي... هل حدث شيء؟



سحبت والدة مروان نفساً مرتجفاً وشعرت

بالتردد قليلاً إلا أنها أجبرت نفسها وهتفت

بصرامة بالرغم من دموعها :

-لقد خالف مروان أوامرك يا سليم....وتصرف

من وراء ظهرك مرة أخرى....تزوج الفتاة

التي كانت السبب في كل مشاكله!

=====



الفصل السادس عشر

تسلل شعاع الشمس على استحياء ليداعب
جفنيها معلناً عن نهار جديد بألم جديد!
رمشت بعينيها عدة مرات وهي تدلك عنقها
بكسل، ثم لم تلبث أن فتحت عينيها على

وسعهما حين عادت ذكريات ليلة أمس تتدفق

بشدة كي تجذبها قسرا إلى واقعها المرير!

تزوجت يا صبا؟؟

ما هذا الجنون يا صبا؟

ماذا فعلتِ بنفسك يا معتوهة؟؟

كيف وافقتِ على الزواج منه في هذا الوقت

الذي من المفترض أن تفري هاربةً إلى مكانٍ لا

يعرفك به أحد؟؟

كيف سمحتِ لنفسك بأن تصبحي أسيرة رجل

آخر حتى لو كان هذا الرجل هو مروان!!

اغمضت صبا عينيها بقوة وهي تخفي وجهها

بكفيها... ففرت دمعان على وجنتيها ببطءٍ

شديد شعرت بأنهما كفين صفعت كل منهما

وجنتها بكل هدوء!



رباه؟

لماذا يحدث كل هذا لها؟

ماذا فعلت هي بحياتها كي تتعرض لكل هذا؟

كانت امرأة بسيطة قليلة الكلام...

لا تحبذ التفاعل مع الوسط المحيط، هادئة

وتلقائية حد السذاجة تظن أن الحياة

جميلة.... لا وجود لظلمٍ أو إجبار.... إلى أن

جذبتها الحياة قسرا أمام مرآة كانت تبتسم لها

بسخرية!

مرآة عكست لها كل شيء كانت تجهله!

لماذا لم تبق كما هي... هادئة، تلقائية لماذا؟؟؟

شهقت صبا بصوتٍ خفيض كي لا يسمعها

مروان، ثم لم تلبث أن رفعت رأسها عاليا في

محاولة بائسة لإلتقاط أنفاسها لكن عبثاً،



فالذكريات التي لم تتوانى في زيادة ألمها
شعرت بها تلتف حول عنقها بقوة تكاد
تخنقها...

فانتفضت واقفة تنوي الخروج من الغرفة وهي
تمسح دموعها بعنفٍ، هذا يكفي... لن تبكي
مجدداً وكأنها فقدت عزيزاً!!
لقد بكت وأكتفت يجب أن تشجع نفسها بنفسها
مع وضع ألف خط تحت "بنفسها"!!
خرجت صبا من الغرفة بتردد وهي تنظر هنا
وهناك فلم تجده!

للحظة شعرت بالخوف يغزو قلبها، لكن اللحظة
مرت بسرعة و الخوف زال سريعاً حين التقطت
أذناها صوت ضحكته القوية آتية من المطبخ



على ما يبدو ثم تبعها صوت ضحكة فكاھية من
جميلة...

فحركت ساقها تلقائياً نحو مصدر صوتهما،
عاقدة حاجبها بتوجس، بينما عيناها فقد كانتا
غائرتين....

عيناها اللتان أشتعلتا برفضٍ، حين رأت مروان
جائئاً على عقبه أمام جميلة الجالسة على مقعد
صغير يطعمها برفقٍ.. فتبتسم جميلة ابتسامة
جميلة وهي تصفق بكفيها مغمغة بكلمات غير
مفهومة، فضحك مروان بقوة قبل أن يهتف
بمرح وهو يداعب وجنة جميلة المكتنزة :
لم أكن أعلم أن ابتسامتك رائعة إلى هذه
الدرجة يا جميلة... لا اصدق حتى الآن أن صبا

هي أمك... هيا هيا افتحي فمك يا

حبيبة "بابا"....

برقت عينا صبا بغضبٍ غريب بعد أن نطق
بكلمة "بابا"، غضب تفاقم أكثر حين كررها

مروان مرة أخرى وهو يمسح كف جميلة

بمنشفة صغيرة، فلم تستطع الصمت أكثر

وانفرجت شفتاها لتهتف بقسوة غريبة :

-هي ليست بابنتك يا مروان ، والدها هو عابد

وعابد توفى ، لذا لا يحق لك....

تشنجت عضلات مروان ، وبهتت ابتسامته على

شفتيه...

بينما عيناه فقد اشتعلت لوهلة ، لحظة حاول

فيها أن يتمالك نفسه ويتحلى بالبرود فصبا على

ما يبدو لا زالت تحت تأثير الصدمة...



جز مروان على شفثيه بقوة ، ثم لم يلبث أن
التفت لها ببطء..

ثم نظر لها بعينين متبلدتين...

هتف ببساطة وهو يضع الملعقة فوق الطاولة :
-وأنت أيضاً لا يحق لك أن تحجري عليّ...أنا
حرّ!

عقدت صبا حاجبها بغضبٍ ، و حدجته بقوة ،
فابتسم مروان لها بتبد واستدار مرة أخرى
ليحمل جميلة برفق وهو يغمز لها بعينه
فابتسمت جميلة وهي تغطي فمها بكفيها ،
فاتسعت ابتسامه مروان وأشرقت ملامحه
متجاهلاً صبا التي كانت تشتعل بالمعنى الحرفي
وهي تراه يتحرك في المطبخ باريفية حاملا
جميلة التي كانت تنظر إلى وجهه بانبهار....



ثم فجأة وجدته يقبل وجنة جميلة بشقاوة قبل
أن يهتف بمرح يناقض طريقته الجافة معها :
-وجنتك بمذاق الفراولة يا...حبيبة بابا!
سحبت صبا نفساً عميقاً وهي تغمض عينيها
بقوة كي تهدأ نفسها.

ثم لم تلبث ان فتحت عينيها وصرخت بصوت
عالٍ من شدة خوفها وتوترها :

-لا تقوووول لها "حبيبة بابا" تلك يا
مروااااان.... هي ليست بابنتك...ليست
بابنتك....

-اخفضي صوتك ولا ترفعيه مرة أخرى

عليّ....هل سمعتِ؟

هتف بها مروان بتحذير وهو يجرها بعينين
مشتعلتين فضحت غضبه الشديد و استياءه -



من حالتها- الذي ظهر جلياً على ملامحه، كما
لاحظت هي...هي فقط ، فعادت لتخبو وراء
ساتر الخوف مرة أخرى وبهتت ملامحها بعد
أن تداركت نفسها ، فرمشت بعينيها مرتين ،
قبل أن تطرق برأسها أرضاً وتضغط على
شفتيها بقوة حتى كادت تدميها....

نظر مروان إلى رأسها المحني كتلميذة مذنبه
تفرك أصابعها بتوتر، وتهز ساقيها بعصبية،
فابتسم مروان رغباً عنه وهو يتأمل كل شيء
بها بجرأة...

لم تدرك المغفلة حتى الآن أنه بدل لها ملابسها
القدرة التي كانت ترتديها ليلة أمس، حين دخل
غرفتها بعد ساعتين من جلوسه خارج الغرفة
كي يطمئن عليها...وجدها نائمة نوم عميق



بملابسها التي ما أن وقعت عيناه عليها حتى
برقتا بشكلٍ مخيف، فتحركت ساقاه بغضب نحو
حقيبة أحضرها بنفسه ، فأخرج شيئين أمسك
كلا منهما بكف...الأول كان قميص نوم أسود
جريء نوعاً والثاني كانت منامة وردية
جميلة..

نظر مروان لهما بحيرة تتحول إلى عبث رغما
عنه كلما نظر إلى قميص النوم ، لكن عقله
الذي تدخل بقوة منعه مما يفكر به، فوضع
قميص النوم مكانه بإحباط...واتجه إلى
السريـر ممسكاً بالمنامة بين كفيه يعتصرها
بقوة....

أبعد الحجاب عنها ببطءٍ أثلج صدره تلهفاً
لرؤية شعرها الذي ما أن وقعت عيناه عليه



حتى برقنا بإعجاب صريح حين انسدل شعرها
اكخيوط حريرية فرشت وصادته....
ازدرد مروان ريقه ببطء وشعر بسخونة غريبة
تزداد مع كل حركة يفعلها....
أنتهى وقتها مما فعله ، فتتفس الصعداء
بارتباك ، ثم سحب الغطاء برفق ليغطيها متعجباً
من عدم شعورها بكل ما فعله!
نومها كان عميقاً بشكلٍ غريب.... وكأنها لم تتم
من قبل، لم تعرف السكينة منذ فترة
طويلة... فترة قضتها بين براثن رجل لا يعرف
الرحمة...
اشتعلت عيناه وقتها بجذوة غضب ، لتتخفف
عيناه إلى شفثيها اللتين كانتا مطليتان بلون



أحمر قانٍ زاد من توتره وتلهفه لتذوق

شفتيها...

فانخفض وجهه وقتها ببطءٍ إلى أن سكنت
شفتاه على شفتيها ، فاغمض عينيه بهدوء
وهو ينهل من شهد شفتيها شاعراً بقواه تهدد
بالانفلات حين تجرأت أصابعه أكثر...

شغفه وقتها كان يزداد بشكلٍ جنوني وكانما
صبا لم تكن نائمة وقتها، فشغفه كان شغف
رجل يرغب امرأة سكنت قلبه فجأة دون أي
ترتيبات...فالحب لا يعتمد على ترتيبات
روتينية...هو مختلفٌ لا يطرق باب قلبك...بل
يطيحه بعنفٍ ليحتله بكل أسلحته
وحرابه...فهل يوجد استعمار أروع من هذا؟



لم يوقف سيل قبلاته المتفرقة سوى صوت
آنيها وعينيها اللتين رفت بهما عدة مرات في
محاولة بائسة لأستعادة وعيها لكن تعبها كان
أقوى وسلطان النوم كان يتراقص أمامها
بإغراء كي تعود إلى نومها الآمن مرة
أخرى....

بعدها لم يبق مروان أكثر من ذلك ، فخرج من
الغرفة قبل أن يخرج من جيبه منديل ورقي
مسح به اللوحة التي عاث بها فساداً على
شفتيها المتورمتين قليلاً وهو يسب ويلعن كل
شيء حتى المقعد ركله بغضبٍ مكتوم... ثم لم
يلبث أن ألقى جسده على الأريكة الموجودة في
زاوية قريبة وهدق بالسقف وهو يلحق شفتيه
ببطء مسترجعاً حلاوة شفتيها المسكرتين....



شهقة عنيفة اخترقت أذنيه شعر بها تصفحه
على مؤخرة عنقه لتركله قسراً من صرح
ذكرياته الجميل إلى الواقع البائس، فنظر إلى
صبا التي كانت تنظر له بعينين متسعيتين وهي
تشير إلى نفسها بصدمة ، فانعقد حاجباه
بتوجس تحول إلى صدمة حين هتفت صبا
بذهول :

- هل اغتصبتني؟

فغر مروان شفثيه بصدمة واتسعت مقلتاه بشكلٍ
مثير للشفقة ، بينما حاجباه فقد انعقدا بشدة
وهتف بذهول :

-ماذا؟؟؟

هتفت صبا بنفس الدهول ، وهي تشير إلى
نفسها :



-من بدل ليّ ملابسِي؟؟؟؟...وهل كنت أرتدي

ملابس من الأساس...كانت عباءة تحتها

فستان لا يصنف من فئة الملابس من الأساس

أجبرني ه..

-أخرسي!

هدر بها مروان بغضب وهو ينهب المسافة

الفاصلة بينهما حاملاً جميلة التي انتفضت بين

ذراعيه مجفلة ، فهزها مروان برفقٍ يناقض

اشتعال عيناه ، بينما صبا فقد تسمرت مكانها

مصدومة من تصرفاتها ولسانها الغريب!

ليس بيدها كل كلمة تنقلت من بين شفثيها لم

تكن ترتب لها...لماذا تتعمد أن تتذكر كل شيء

حدث لها وقتها؟؟



لماذا تختلط الأمور ببعضها فيكون مروان هو

الضحية؟؟

هي لا تعلم ماذا أصابها بعد زواجها بمروان

مباشرةً...

فمن ركض لمدة طويلة في صحراء قاحلة وجد

بها منهل يروي ظمأه لا يستطيع أن يتابع

ركضه دون أن يلتفت له... هي فعلت!

أضطراب ما تعانيه الآن اضطراب غريب

يجعلها كمن تعاني من إنفصام بالشخصية...

بداخلها شخصيات كثيرة تنظر لهم باستغراب ،

تريد أن تدفعهم دفعاً كي تستطيع أن تظهر

شخصيتها الجديدة التي تحارب باستماتة كي لا

تتراجع إلى الخلف بعد معركة بسيطة... بسيطة



جدا لا تحتاج سوى خطوة إلى الأمام كي تتجو
أو خطوة إلى الخلف متشبثة بالماضي المؤلم!!
فأي شيء ستختار؟؟

تأوهت بألم حين قبض مروان على مرفقها
بقوة كي يجذبها خلفه كالبهائم ، فبرقت عيناها
برفضٍ ، وانفرجت شفتاها لتتهف بغضبٍ مختلط
بخوفٍ استشعره في نبرتها:

-أترك ذراعي يا مروان...مروان لن تصل إلى
غرضك الدنيء...اتررك ذراعي.....

لم يلتفت مروان إلى هتافها ولم يعيرها أي
أهتمامٍ ، بل تابع طريقه نحو غرفة جميلة ،
فعدت صبا حاجبها بتوجس مختلط بالقلق...
تركها مروان أخيراً ، فزفرت بغضب وهي تدلك
ذراعها بألم...

أختفى مروان قليلا داخل غرفة جميلة فمدت
صبا رأسها لترى ماذا يفعل ، لتجده يجلسها
أرضاً ويضع أمامها مجموعة من الألعاب
الجديدة التي ابتاعها خصيصاً... لها؟؟
تراجع غضبها الغريب ولانت ملامحها قليلا!
خرج مروان من الغرفة أخيراً ، فانفجرت
شفتاها تتوي التحدث ، لكن مروان بتر
محاولتها حين جذبها من مرفقها مرة أخرى
ليدفعها داخل غرفتها بعنفٍ، ثم أغلق الباب
خلفه قبل أن يهتف بغضبٍ مكتوم وهو يلوح
بكفيه :

-قبل أن نتناقش فكري فيما ستقولين قبل أن
تنطقي به يا صبا...فأنا لن أستطيع التحمل
أكثر أقسم لك!!



تلبدت ملامحها فجأة ، والتمعت عيناها بشكلٍ

غريب، ثم هتفت بقسوة :

-لن تستطيع التحمل أكثر؟؟؟...من مجرد كلمات

بسيطة؟؟..وماذا عني أنا يا مروان؟؟...أنا من

أهدرت كرامتها طوال شهرين مرا ببطءٍ

مميت؟؟؟...ضرب وإهانة وأشياء لا أستطيع

ذكرها!، أنا من ضُربت وأنا من كانت تتلقى

صفعة تلو الأخرى كل يومٍ وكأنها جرعة لم

تفعل شيء سوى زيادة ألمي؟..أنا من تم تقيدها

بإحدى أعمدة السرير عقاباً على هروبها وعلى

" وقاحتها"....أنا أنا تألمت ولم أبكِ!

أنا صرخت دون أن تعبر صرختي حاجز شفّتي

، صرخة أنسكبت على قلبي كسائل ساخن زاده

ألماً؟....أنا...أنا أعاني من اضطراب...الأرض



ليست ثابتة تحت قدمي لا أستطيع تخطي ما
حدث ليلة أمس ، حتى لو أجبرت نفسي على
تخطي كل هذا، بداخلي جزء يطالب
بالصراخ... ليس بيدي... ليس بيدي الأضراب
الذي أشعر به الآن..تارة أبكي وتارة أثور
غاضبة... لم يعد لدي أي ثقة بأحد... وهذا
أيضاً ليس بيدي...فأنا ليلة أمس كنت أمسك
بعنقِ الرجل الذي أهان كرامتي والذي من
المفترض أنه زوجي المستقبلي...وفجأة انقلب
كل شيء كنت أخطط له وأصبحت أنا
المهددة...لم آخذ حقي! لم آخذ حقي بعد أن كنت
أحفر نفسي لهذه اللحظة!....
كانت تحاول أن تتماسك ، أن تتأقلم مع الوضع
ومع ذكرى لن تتمحي من ذاكرتها أبداً....



ذكرى حُفرت بداخلها وسيظل أثرها باقياً حتى

النهاية!

الأمر ليس بيدها؟

فيما كان مروان ينظر لها بعينين غريبتين

قاتمتين..

كل كلمة تفوهت بها بألم كانت تصفعه بقوة

دون أن يمسه أصبع!!

لم يكن مجبراً على إنقاذها...

لكن قلبه كان مجبراً!

ازدرد مروان ريقه بصعوبة محارباً غصة

مسننة كادت تشطر حلقه إلى نصفين ، ثم

أقترب منها بسرعة حين انفلتت من بين شفثيها

شهقة عنيفة ، فجذبها من مرفقها ليضمها

بقوة..



فتشج جسدها بشكلٍ واضحٍ لكن هذه المرة لم
يثر بل شدد من احتضانها أكثر وهو يهمس لها
بكلماتٍ حانيةٍ كي تهدأ فارتعاش جسدها
أرعبه....

لم يدرك سوى الآن أنها لا زالت تحت تأثير
الصدمة ، لا تعلم ماذا تفعل أو بماذا تفوهت!!
الصدمة كانت قوية وهي تريد أن تجبر نفسها
على تخطي كل هذا!

وكما قال من قبل....بعض الجروح يبقى أثرها
باقياً للأبد كباقي الوشم....

ضمها مروان إليه بشدة ، ثم همس بتحشرج :
-اهدئي...-



- لا تقل لي اهدئي ، لا تصرخ بوجهي...أريد

أن أصرخ ، أريد أن أبكي...أتركني...لا

تجبرني على الصمت !

هتفت بها صبا بقهر وهي تضرب ظهر مروان

بقبضتها وصارت تعافره كي يبتعد عنها ،

فضمها مروان بقوة محبطاً كل محاولاتها ،

بينما صبا فقد شعرت بألم شديد بقلبها الذي كان

يترنح بين ضلوعها إثر ضربة أفقدته رشده

....

أغمض مروان عينيه لوهلة وهو يدفن وجهه

في تجويف عنقها، ثم لم يلبث أن هتف برفق ،

وهو يربت على ظهرها المشنج :

-اصرخي ، قولي كل شيء تريدين قوله يا صبا

، لن أقل لك أصمت...لعك ترتاحين حبيبتني!



لم تلحظ صبا كلمة مروان الأخيرة التي هتف
بها بعفوية... فحالها لم يكن بالجيد كي تدقق
في كلماته....

حالها كمن أدرك ما حدث له بعد جهل...

حالها كمن أنتفض بعد سكون غريب!

حالها كمن تلقت ضربات مبرحة تركت آثار

ستظل باقية حتى النهاية!

لم تشعر بأن ساقاها تحركا مع مروان الذي

جذبها برفق وهو يضم خصرها بذراعٍ بينما

الآخر فقد كان مضموماً بقوة غريبة ، إلى أن

شعرت به يدفعها نحو السرير برفق ، فانتفض

مكانها بفزع ، وهتفت بوجل :

-ماذا ستفعل؟



لم يغضب... ولم يثر ، بل ابتسم لها ابتسامة
أربكتها ، ثم أمسك وجهها بين كفيه وهتف أمام
عينيها بقوة :

لن أضرك... ثقي بيّ؟

أسبلت جفنيها باضطراب ، ثم ازدردت ريقها
بصعوبة ، فاتسعت ابتسامته التي بالرغم من
روعها إلا أنها شعرت بأن شيء ما ينقصها!
جلست صبا على طرف الفراش بتردد ، ثم
أطرقت برأسها أرضا قبل أن تشهق بفرع حين
رفعها مروان فجأة من خصرها ، ليجلسها بين
قدميه...

فتخضبت وجنتاها ، وتشنج جسدها بنفورٍ رغماً
عنها..



ضمها مروان إلى صدره برفق ، ثم لف ذراعيه
حول خصرها وهمس بجوار أذنها بحنان :
-لدي اقتراح رائع ، ستروين ليّ كل ما يؤلمك
وسأسمعك دون أن أتكلم...لكن لا تبتعدي!
تسارعت أنفاسها وازداد أحمرار وجنتاها حد
الأحترق بخجلٍ ممتزج بالخوف...بالرغم من
اعترافها أمام نفسها أن مروان ليس هاني ،
مروان لن يضرها...

لكن خوفها يسيطر على عقلها بسلطان
الذكريات القذرة!

انفجرت شفتا مروان حين لاحظ تشنج جسدها
وصمتها الغريب :



-أنا مروان..مروان يا صبا لا تفكري في شيءٍ

حين أقترب منكِ سوى أنني مروان...مروان

فقط...تكلمي!

شعرت صبا برغبة عنيفة تجبرها على البوح

بكل شيءٍ يؤلمها!

تجبرها أن تتحدث بصوت يسمعه أذناها!

رغبة تجبر كلماتها بدفع حاجز الصمت

والصراخ عالياً بصوتٍ يخترق عَنان السماء !

-أقبح شعور يشعر به المرء هو الإهانة...شعور

مؤلم كان يرافقني طوال وجودي معه...كان

بداخلي وقتها رغبة عنيفة في قتله ، أتمنى أن

أنحر عنقه بكل غلٍ...

كل مرة كان يدخل تلك الغرفة البغيضة عليّ

ليمارس عنفه، لم يكن عنفه الجسدي يؤثر بي



كما أثر بي عنفه في إلقاء كلام لا أستطيع أن
أهمس به لنفسي سراً... لم يقاربني ولم
يغتصبني... بل كان يمارس عليّ سياسة القذف
بحجرٍ ناري لا يفعل أي شيء سوى زيادة نيران
الغضب بداخلي!... كنت قوية أمامه... أحاربه
بالرغم من تقيده ليّ كالأسرى إلا أنني كنت أرد
له الكلمة بمثلها بالرغم من... من شعوري
بالقهر و الذل يوخزان صدري دون رحمة...
كان بداخلي شخصان... إحداهما يهمس ليّ
بخوف يحثني على الخنوع... والآخر كان
يصرخ بأعلى صوت... أريد حقي الذي أهدره
ذاك الهمجي عديم الرحمة، وجزء صغير يبكي
ناعياً خسارته... يبكي بخوف من القادم وقهرا



على الحاضر...وندا على ضعفٍ أعطيت له
روحي ليعيث بها فساداً!

صمتت لتلتقط أنفاسها وهي تشهق بخفوتٍ،
جسدها يرتجف بين ذراعي مروان الذي كان
ينظر إلى الأمام بلامح غريبة وعينين
غائرتين...

كل كلمة تفوهت بها كانت تقطر ألماً...
نبرتها كانت تفضح ألمها!
حتى جسدها خالف أوامرها وأنتفض بين
ذراعيه اللذين كانا يحتضان خصرها برفقٍ!
لن يتكلم...سيصمت وسيسمع ما تريد قوله...



ازدردت صبا ريقها بصعوبة محاربة غصة
مسنة ، ثم هتفت بتحشرج وهي تعتصر جفنيها
بقوة فتسدل دموعها أكثر على وجنتيها :
-عابد كان...كان كأبٍ لم أره...يعاملني بحنان
ولا يقسو عليّ...أتعلم أنه لم يصرخ بوجهي
من قبل!...لم يرفع يده عليّ...كان يخاف عليّ
بشكلٍ غريب...يمنعني من الإحتكاك بأي شخصٍ
أيا كان...كانت حياتي معه هادئة...كان
عائلي وأبي وزوجي...وفجأة فارق عابد الحياة
ووجدت نفسي وحيدة...امرأة وحيدة حُكِمَ
عليها بأن تتزوج شقيق زوجها المتوفي...بعد
أن أثبتوا أنني أعاني من اضطراب
نفسي...ألقوني بين يديه ليزيد جروحي
ويضفي الحامض عليهم...لا...لا أعرف كيف

أعبر عن... عن شعوري حين أحتجزي في
غرفة باردة حد الصقيع سوى أنني كنت مزيجا
جمع بين القهر و الذل والألم، فزادت قوتي
أمامه.... قلبي يؤلمني يا مروان ، روعي
تنزف بغزارة.... الألم لا يتحملة أحد!.... ألم
يزداد بعد كل ثانية تمر... كان يجب أن أهرب
إلى مكان بعيد لا يعرفني به أحد، أرمم جروحي
و أروي بذرة زرعها بداخلي كي يزداد
محصول قوتي، أنا أريد أن أخفي عن
البشر... أريد أن أخفي نفسي إلى أن أشعر
باستعدادي لمواجهةهم...

أنهت جملتها بنبرة حزينة أوجعته ، أوجعته كما
أوجعته كلماتها المتألّمة، أوجعته بقدر غضبه



الغريب الذي شعر به وهي تتحدث عن، عابد
بنبرة مشتاقة...

لا... لا تحكم بنفسك يا مروان، لا تتسرع
وتغضب فهي ليست في حالة جيدة... ولا تنس
أنك أنت من طلبت منها أن تتكلم... فلماذا
الغضب الآن... كن عادلاً...

هتف مروان بصوتٍ خفيض وهو يزيد من قوة
ضمه لها :

-ها هو صدري أحتمي به... أخفي نفسك
بي... فأنا لن أسعى سوى لترميم
جروحك.. ستأويك أحضاني و سيربت كفي على
كتفك بدعمٍ... فقط لا تخافي مني!
-أنا لا أخاف منك يا مروان... أنا أعاني من
أضطراب إثر ما حدث لي... تتداخل الأمور

ببعضها وهذا أيضاً ليس بيدي!... ليس بيد

أيقونة الغباء!

هتفت بحملتها الأخيرة وهي تبتم ابتسامة

باهتة من بين شفتيها ، فالتوت شفتا مروان

بشبه ابتسامة ، وهو يتميل بها دون شعور

منهما... وعم الصمت لدقائق شعرا بها دهرأ...

صبا تبكي بخفوت وقد جفت دموعها قليلا،

شاعرة بشعور غريب يتسلل ليسكن روحها

فيمنحها السكينة والراحة التي شعرت بها بعد

أن باحت بما يجيش بصدرها...

جسدها الذي خانها مرة أخرى حين فضح

نفورها.. فضحها مرة أخرى حين هدأ تماماً بين

ذراعيه وصار يتميل معه ببطءٍ لذيذ...

تكلم مروان أخيراً قاطعاً صمتهما بمرح كاذب :



لم تسأليني من أين أحضرت لكِ ملابس كي

ترتيديها!

جملته كانت إشارة واضحة بالاكْتفاء بهذا القدر

من الألم اليوم... أنتهت فقرة البوح والتي لا

تعلم متى ستقام مرة أخرى كي تعترف بكل ما

تشعر به..

لم ترد أن تعترف لنفسها بأن البوح له اليوم

أراحها... أراحها لدرجة أنها تمنى أن يتركها

تتكلم أكثر...

لكن... الاكْتفاء بهذا القدر ضروري !

افتعلت ابتسامة باردة ، وهتفت مجيبة على

سؤاله :



-بالتأكيد أحضرتها لي بعد أن حيكّت خيوط
خطتك حتى الملابس أحضرتها...وكانك كنت

واثق من قبولي بالزواج منك!

التوت شفتاه بشبه ابتسامة ، ثم همس بجوار

أذنها بحرارة وهو يغمض عينيه :

-لم أكن أثق بقبولك...بل كنت واثق بي

وبتمسكي بك....

أسبلت جفنيها مجفلة وازداد احتقان وجنتيها

فكادت تطلقان نارا ساخنة، ثم عضت على

شفتيها وهي تستند إلى صدره

بتلقائية...فابتسم مروان وصار يتمايل بها

برفقٍ أذاب نفورها لتبقى ساكنة على صدره

الرحب الذي شعرت به يربت على جروحها...



صدره الذي ما أن أستندت إليه حتى شعرت
براحة غريبة تطرق باب قلبها المتعب ، فهول
ليتشبث به باحتياج شديد...شديد جداً...
تثاقل جفناها وهي تتشبث بذراعيه رغماً
عنها...ومن ثم غاصت في سُبَاتٍ عميق مرة
أخرى مسندة رأسها إلى صدر مروان الذي
ابتسم بشفقة حين شعر بانتظام أنفاسها...
لم يبعدها....

لم يبعد ذراعيه عن خصرها بل ضمها أكثر
وكأنه يريد زرعها بين ضلوعه ليحميها من
جروحها....ثم دفن وجهه في تجويف عنقها
شاعراً بوجيب دقاته يرتفع أكثر بعد كل دقيقة
تمر وهو على هذا الوضع....



إلى أن أبدها عنه على مضض كي يطمئن على
جميلة.. فوضع رأسها على الوسادة برفقٍ ، ثم
أبعد شعرها عن وجهها الباهت، وجهها الذي لم
يبد له سوى وجهٍ بريء كلما نظر له شعر
بشيء غريب...

صوتها يشجي قلبه كنغمة جميلة لا يسمعها
سواه!

تعلقت عينا مروان بوجنتها التي تحملت صفعته
ليلة أمس ، فعبس وضافت عيناها بضيقٍ
غريب...

ثم لم يلبث أن أخفض وجهه وقبل وجنتها برفقٍ
وكانه يعتذر عن صفعه لها بالرغم من أنها
تستحقها...!!!



انتصب مروان واقفاً ، ثم خرج من الغرفة وهو
يفكر بصبا وبأمه التي بالتأكيد تحترق الآن
خوفاً عليه!

=====

-هل يمكنني الكلام معكِ قليلا يا تمارا؟!، أعلم
أنكِ غاضبة مني بعد ما صدر مني ليلة أمس...
رسالة تركتها معلقة مدة لا بأس بها...
تركتها معلقة كي لا تعطيه فرصة للتحكم
بها..بعد شهرٍ اقتربا من بعضهما بشكلٍ
غريب..

بعد ذاك اليوم الذي أنتهى بطريقة تناقض
بدايته!

يومها طلب منها رقم هاتفها دون أي
مقدمات...فقبلت...



قبلت دون أن تبذل أي جهدٍ لمنعه !
لا تصدق حتى هاته اللحظة أنها فعلت هذا!
أعطت لشاب رقم هاتفها وتواصلت معه بشكلٍ
دائم...

لم تفعلها لغرضٍ دنيءٍ أو عابث...
بل فعلتها بصفاء نية....

الأمر بالنسبة لها ليس بتلك الخطورة كما
يعتبرها البعض!

بالنسبة لها الصداقة بين الشاب والفتاة ممكنة
طالما أنها لم تتعد حدود الأدب...
هذا ما فعلته مع رائف حين طلب رقم هاتفها
ليتحدث معها ويطمئن عليها سبب غير
صحيح...



هي تعلم ذلك أن أسبابه كانت وهمية...ربما كان يريد أن يتسلى بها وهذا ما أوضحه بكل برود حين جرحها بكلماتٍ سامةٍ كان يجب أن تتوقعها فهي المخطئة !

يوم لحق بها ليطاب طلبها، كان خجولا بعض الشيء...بدأ الحوار أمام بوابة النادي بجمود يشوبه التردد :

-أردت أن أعتذر لك عن الطريقة التي حدثت بك بها!

يومها نظرت له مبتسمة ببشاشة ، ثم هتفت وهي تهز كتفها ببساطة :

-لقد اعتذرت بالفعل يا كابتن...وأنا قبلت اعتذارك...لا تقلق..



ابتسم رائف ابتسامة باهتة ، ثم أطرق برأسه

وهتف بصوت ثابت لم يجذب

انتباهها.... فعيناها كانتا معلقتان بظاهر كفه

المشوه رغماً عنها.

لم تنظر إلى ظاهر كفه كي تنتمر عليه بداخلها

وتسخر من جروحه كما ظن يومها بل كانت

تشعر بشفقة غريبة نحوه...

لكن رائف لم يفسر نظرتها كما فسرتها لنفسها

حين لاحظ نظرها المعلق بكفه ، فأخفى ذراعه

وهتف بحدة فضحت طبعه الحاد :

- هل هناك خطب ما؟؟... هل تشوهات كفي

تشعرك بالنفور؟.. ألاحظ أنك تنظرين لها

كثيراً...



لم تجفل تمارا ولم تشعر بأي حرجٍ وقتها ، بل
هتفت بهدوء وهي تعقد ساعديها مبتسمة
ببشاشة :

-لماذا لم تسع لتعالج حروق ذراعك؟
انعدد حاجبا رائف باستغراب من جرأتها
الغريبة...طريقتها في الكلام هادئة وكأنها
تتحدث عن شيء بسيط...لا عن حروق ذراعه
الذي بالتأكيد عرفت بأن الحروق ممتدة على
طول ذراعه بأكمله....

هتف رائف باقتضاب بعد أن تمالك نفسه
وارتدى قناعة البارد :
-هذا أمر يخصني...



ثم صمت وبدا التردد يعلو محياه ، فضاقت عينا
تمارا بتوجس تحول إلى دهشة حين هتف رائف
بتردد وكأنه يخجل :

-هل...هل يمكنني أخذ رقم هاتفك كي أطمئن
عليك؟

ساعتها...ازداد انعقاد حاجباها أكثر ، وفغرت
فمها بذهول...فاختلس رائف نظرة سريعة لها
وهو يلعن عقله الذي أتى له بهذه الفكرة كي
يعرف أي معلومة.....عن جود؟

جود؟

نعم جود فبعد أن رحلت بسرعة قبل أن يلحق
بها...سأل عليها في النادي...فعلم أن تمارا هي
صديقتها...لم يكن متأكداً أنها هي تمارا...لكن
من تكن تمارا نادر سواها؟



فليعلم منها وينتهي الأمر....

لعت تمارا شفيتها ، ثم هتفت ببساطة :

-يمكنك...-

وقتها لم تكن تدرك كنه تلك النظرة التي ظهرت

في عينيه...

وكأنه كان يريد منها أن ترفض، نظرة من لم

يرق له قرارها...نظرة جذبتها نحوه لتعرف

دواخل هذا الشاب المثير للفضول....

اعطته رقمها وتبادلت الحديث معه قليلا...ثم

رحلت ورحل هو....

لم يحدثها بعد يوم أو اثنين...بل لمدة قصيرة..ثم

بدأ هو..

ومرت الأيام سريعاً...

بدأ الحديث بينهما يتكثف بشكل غريب...



انجذبت إلى شخصيته الغامضة...

إلى رجولته التي ظهرت كثيرا في بعض

الحوارات المتبادلة...

صدقه وعدم شعورها بأنه من ذاك النوع

العابث....

لم تخبر جود بشيء... وكان هذا غريبا عليها

بعد أن كانت تقص لها كل شيء... لكن دور

رائف بترته....

لأنها تعلم... ستمنعها جود لو علمت بأنها

تصادق رجال، فجود محتدة قليلا في هذه

الأمور وهي تعلم السبب...

لكن... ما لم تتوقعه أن يجرحها بكلماته بهذا

الشكل....



باتت تعرف أن رائف أنسب طريقة يتبعها حين
يغضب هو تجريح من أغضبه بطريقة مؤلمة
حقاً... وهذا لا يدل سوى على مدى تألمه...
نظرت تمارا إلى رسالته بعينين فارغتين ، ثم لم
تلبث أن حركت أصابعها على شاشة الهاتف
لتبدأ في الكتابة ردا على رسالته...
"أنا لستُ غاضبة يا رائف ، فما قولته ليلة
أمس لم يكن كذبا... أنا أستحق كل كلمة قولتها
في فورة غضبك الصعبة... أنا فتاة ليس لها
حاكم كما قولت... لأنني أعطي رقمي للرجال و
أسمح لهم بالتجاوز... أليس هذا ما قولته؟... أنا
فتاة عديمة الكرامة والأدب لأنني سمحت
لـ"أمثالك" بالتجاوز... لقد تعلمت الدرس... لا
يجب أن أتصرف بعفوية وصفاء نية كي لا يفهم



أحد مثلك أنني فتاة عابثة...شكراً على نصيحتك

التي أتت عنيفة بعض الشيء..."

ثم وضعت قلب أحمر وخرجت من المحادثة

وهي تنظر إلى الهاتف بعينين دامعتين....

لم تتصور أبداً أن يستغل رائف نقطة سماحها

له بأخذ رقمها والتحدث معه على مدار شهر

رأته بها قليلاً...لكن حديثهما لم ينقطع جرحها

بكلماتٍ سحقت كرامتها حين كانت تقص له

بعض الأمور كما اعتادت...ومنها أنها قبلت

دعوة صديق لها بالخروج بعد انتهاء

محاضراتها...فثار و غضب بشكلٍ لم تتوقعه...ثم

صار يرسل رسائل كثيرة كانت حروفها غير

مرتبة و اشية بمدى غضبه...لم يعطي لها

فرصة للرد...بل خرج من المحادثة وأتصل بها



مباشرة... فنظرت إلى شاشة الهاتف التي كانت

تتراقص باسمه....

لنتسع عيناها بصدمة مما يحدث ثم فتحت

الهاتف ووضعت على أذنها، فوصل صوته

الغاضب لها وهو يهدر بصوت أروعها :

- أنتِ فتاة غير محترمة.... كنت أكذب نفسي

كثيرا بعد أن أعطيتني رقم هاتفك بكل بساطة

وكانك معتادة على هذا... سمحت لي بالكلام معك

وبوحت لي بأشياء كثيرة... لكن اليوم ثبت لي

أن أول إنطباع كان صحيحا.... أنتِ غير

محترمة... لا تشبهين شقيقاتي لأنك لم تجدي

من يربيك، مات والدك ووالدتك وتركك شقيقك

وفر... فبقيت وحيدة تفعلين ما يحلو لك دون

أن يمنعك أحد ويعلمك أصول الأدب....



ومن ثم أغلق الهاتف... فازداد شحوب وجهها

وازدادت كثافة الدموع على وجهها..

يومها لم تتوقف عن البكاء الهستيري الذي كان

يزكي نار أهانتها وجرحها أكثر وأكثر....

أغمضت تمارا عينيها ثانية... ثم الأخرى...

ثم شهقت شهقة عنيفة وهي تدفن وجهها في

الوسادة تبكي ألما وندماً على ثقتها... وقهرا

على كرامتها المهذرة....

في مكان آخر... كان رائف جالساً في مقهى

المشفى يشعر بالتعب، ينظر إلى الأمام بلامح

باهتة....

نظر إلى هاتفه حين تعالى صوت رنة مميزة

لوصول رسالة، فرمش بعينه..



ثم لم يلبث أن تسارعت أصابعه لتفتح الرسالة
التي ما أن وقعت عيناه عليها حتى قمتا
وتشنج فكه...

لم يحتج لقرأتها مرتين...

فاتصل بها مباشرة علّه يصح قليلا مما
فعله... لكن لا رد...

فاتصل مرة تلو الأخرى والإجابة.. هذه المرة
أنته صادمة حين عاد إلى المحادثة مرة أخرى
كي يرسل لها ما يريد قوله... ليجد أنها قامت
بحظره!

فاتسعت عيناه... وأحمر وجهه..
ثم همس بصوت لا يكاد يسمع:

- غبي!



-أمي...لو سمحتِ اهديني...لم يحدث أي

شيءٍ يضرني..

قالها مروان بصدقٍ ، وهو يربت على كف أمه

التي أرتفع صوت بكاءها وهتفت برفضٍ شديد :

-لا..لا ، لقد جننت يا مروان...كفاك يا

ولدي...ماذا فعلت لك كي تعذبني بهذا الشكل،

تزوجت يا مروان...تزوجت من خلف

ظهري...تزوجت يا فرحتي الأولى

والأخيرة...حرمتني من فرحتي

بك....وتزوجت من امرأة سبق الزواج لها من

قبل...امرأة لا تناسبك ولا تليق بك...أنت قاسي

وأناي...لن أسامحك على كل هذا...ألا يكفيني

حزني عليك بسبب ما حدث أمام عينيك؟....



كل كلمة نطقت بها أمه كانت تصفه صفة تلو الأخرى... صفة لم يكن عرضها إعادة رشده بل زيادة همه.. وحزنه على حالة أمه التي كانت تبكي بطريقة غريبة... وكأنه قدم نفسه للموت.. أمه شديد الخوف عليه منذ صغره، خوفها كان يخنقه أحيانا، كان خوف غريب زاد أكثر بعد ما حدث له، فحالته بعدها كانت يرثى لها....

زفر مروان بتعبٍ ، ثم هتف وهو يدلك جبينه :
-تقبليها يا أمي، فأنا لن أتركها أبدا...-

-يا ويلتي يا ويلتي على حظك يا ولدي... ماذا أصابك؟.. هل تسمع نفسك يا مروان... لن تترك من ما هذه الثقة التي تتحلى بها؟؟؟... لن

أقبلها... أنا غير راضية عن زواجك ولن أحبها



لأن هذه المرأة ستزيد جروحك... أتمنى من كل

قلبي أن ترحل للأبد...

- لا يا امي لا... لا تقولي هذا..

هتف بها مروان بصوت حاد، وهو ينتفض

واقفاً، فنظرت أمه له بعينين حراوين ، وهتفت

ببكاء :

- أخرج... أخرج....

ثم أخفت وجهها بين كفيها وارتفع صوت

بكاءها.. فتأوه مروان وجلس بجوارها بسرعة

ليجذبها بين أحضانه....

فارتفع صوت بكائها أكثر وهتفت من وسط

دموعها وهي تتشبث بقميصه :



-اتركها يا مروان لقد أنقذتها وأنتهى
الأمر.. أطلقها وأتركها ترحل لتجد من يرعاها،
لكن أنت لا.. أنا لا أتمنى لك زوجة مثلها...
أغمض مروان عينيه بقوة ، وأختلج فكه وهو
يهز رأسه هاتفاً بأسف وهو يربت على ظهر
أمه بحنان :

-لن أستطيع يا أمي لن أتركها...هي أصبحت ليّ
ولن تصبح لغيري...أنا من سيهتم بها ويرمم
جروحها...

لم تعقب والدته على حديثه، فنبرة مروان
اسكتتها!

كانت تظن أن سليم سيساعدها بعد أن أخبرته
بما حدث...لكن رده أتى غريباً :



- مروان لم يعد طفلا كي أركض خلفه يا عمتي ،

مروان أصبح رجلا خطط ليحصل على من

يريدها، م الذي يمكنني فعله، فمروان تزوجها

وانتهى الأمر هل سأجبره على تركها من أنا

لأفعل هذا؟؟... لن أتدخل يا عمتي كل ما

سأفعله.... هو حمايته وإبعاد هاني عنه وعن

زوجته بأي طريقة ممكنة....

ثم ودعها وأغلق الخط ، فنظرت والدة مروان

إلى الهاتف بحسرة وانسدلت دموعها على

وجنتيها حسرةً على ابنها الذي تزوج من امرأة

لا تليق به...

أبنها الذي أخبرها بأنه لن يتركها وعليها أن

تتقبلها...

لكن أي أم تلك التي سترضى بأمر كهذا؟



أي أم؟

=====

- لا أظن أن امتناعك عن تناول الطعام سيفيدك

في شيء!

هتف بها بحمود وهو يحضر كوب قهوته ،

فنظرت له بعينين متورمتين وتكور فمها

بحزنٍ...

كم يوم مرّ وهو على هذه الحالة ؟

لا يتحدث معها ، لا ينظر لها... ولا يهتم بها من

الأساس!

أصبحت تكره بروده و جموده الذي أستخدمه

كي يعاقبها...

يعاقبها على ما فعلته بطرق قاسية...

فغضبه منها يؤلمها...



نظراته التي تحولت من غاضبة إلى

عاتبة...تؤلمها!

حتى نبرته الجافة...تؤلمها وتضغط على

جرحها بقوة فيئن بألم!

لم يعد يأخذها بين أحضانه كما كان يفعل....

أصبح بارداً يأتي إلى الشقة متأخراً بعد سفرهم

وينام معطياً إياها ظهره...

كانت تسمع دائماً صوت خطواته تقترب وتقف

عندها...

ثم يعود ويتحرك ليبدل ملابسه ويلقي جسده

على الفراش بقوة....

يأكل وحده ويفعل كل شيء بنفسه دون أن

يطلب منها أي شيء...



فتنسى أن تأكل مرة و تأكل عدة لقيمات كي
تبقىها حية مرة أخرى، حتى شحبت ملامحها
وذبلت عينيها...

أطرقت مليكة رأسها أرضاً ، ثم هتفت بصوت
مبحوح :

-أنا لم أمنع الطعام...أنا فقط لا أشعر

بالجوع...هذا كل شيء!

سمعت صوت ضحكته المتهكمة، فازداد
شحوبها أكثر ، وعضت على شفتيها بقوة....
هتف سليم بجمود ، وهو ينظر لها بطرف
عينية :

-لقد نقص وزنك وذبلت ملامحك ولا أظن هذا
جيد...أو طريقة جديدة لإجباري على نسيان
ما فعلته...هذا أول شيء، كما أنك تعانين من



نزلة برد ولم تأخذي لها أي شيء وحتى أن
حرارتك ارتفعت ليلاً.. فأعطيتك دواءً لخفض
الحرارة، اهتمي بنفسك لو سمحت.. فأنا لا أشعر
بأي رغبة بالاهتمام بك... يكفيني ما نالته...
دمعت عينا مليكة، وازداد ضغطها على شفثيها
حتى أدمتها!

لا تتذكر أي شيء مما قاله... هل أهتم بها ليلاً
بالفعل؟

كانت تظن نفسها تتوهم نتيجة لمرضها الذي
ازداد شدة في هذا اليوم بالفعل...
أهتم بها؟

نعم... أهتم لأنه ليس مثلها!

ازدردت مليكة ريقها ببطء، ثم لم تلبث أن
تحركت باتجاهه لتقف بجواره، مدت كفها بتردد

لتضعه على كتفه ، لكن سليم سبقها وتراجع
خطوة إلى الخلف وهو يزفر بعنفٍ؛ فأخفضت
مليكة ذراعها وأطرقت برأسها أرضاً...
لينظر سليم إلى رأسها المحني بعينين
عاتبتين...

حتى الآن لم يهدأ غضبه منها...
كلما نظر لها شعر بألم كرامته... وتذكر الموقف
الذي وضعت به بكل سذاجة...
انعقد حاجبا سليم بتوجس ، حين تعلق عيناه
بكف مليكة الذي كان يتلمس بطنها بعينين
شاردتين دامعتين....

فلم يمنع نفسه من الهتاف بنبرة غامضة :
-لماذا تضعين كفك على بطنك؟؟؟... هل تؤلمك؟



أجفلت مليكة من هتافه الذي أتى على حين غرة
منها ، فرفعت رأسها له لتتنظر إلى عينيه، فنظر
إليها هو الآخر بابتسامة ساخرة تجمدت ، حين
هتفت مليكة بتلعثم :

-لماذا لم تقل أنني حامل مثلاً؟

تلبدت ملامحه ، والتوى فمه بابتسامة لم
تفهمها، ابتسامة لم تكن سعيدة، لا كانت
مستاءة...استياء أنتقل إلى نبرته حين هتف
ببساطة وهو يمد كفيه :

-لأن هذا مستحيل!

=====



الفصل السابع عشر



كلمة واحدة وقعت فوق رأسها كمطرقة قسمتها

إلى نصفين، كلمة سحبت الدماء من وجهها

وصفعت وجنتها بقوة!

كلمة "مستحيل" أظهرت مدى قبحها...

هي تعلم ماذا يقصد بكلمته!

لكن هو... هو كيف عرف؟

كيف؟؟؟



خطان رفيعان تسقطا ببطءٍ شديدٍ على وجنتيها
وهي تغمض عينيها بقوة كي لا تنظر له، فكيف
ستنظر له بعدما أكتشف مخططها اللعين؟
من هي كي تناطحه بجرأة وهي المذنبه؟
هي...هي لم تكن هي بدونه!
هي...لم يرها أحد جميلة سواه!
هي...لم تشعر بالأمان الذي شعرت به وهي بين
ذراعيه من قبل....والآن كل ما تشعر به صقيع
دب في أوردتها فجأة...

هي ، من هي أمام نظرتة العاتبة؟!
نظر سليم إلى رأسها المحني بعينين متألمتين
وملامح غريبة ، ثم لم يلبث أن سحب كرسيّاً
وجلس وهو يقول بنبرة لم تكن ساخرة لا كانت



مجروحه ، نبرة لکمتها بصدرها عليها تشعر

بألمه :

-أتظنين أنني غافلاً يا ابنة عمتي؟ ، لم أكن

يوماً كذلك...

كنت أعرف كل شيءٍ فعلته كي لا تحسلي على

طفلٍ مني..منذ اليوم الذي أتخذتِ به قرارك

وبدأتِ بالتنفيذ علمت، أتصورين مدى ألمي

يومها، لا أظنك ستشعرين لأنك عديمة

الأحاساس ولا وجود بداخلك أي ذرة تدل على

هذا...شعوري وقتها ، كمن طُغنت رجولته وهو

يرى زوجته تعمل جاهدة كي لا تحمل

منه!...ذهبتِ إلى طبيبة بعد أول علاقة جمعنا

خوفاً من أن تكوني قد حملتِ مني..أليس كذلك؟



أنهى عبارته بضحكة ساخرة مفتعلة أصابتها
في الصميم، فرفعت كفها لتخفي وجهها
الشاحب كالموتى، وتهز رأسها برفضٍ دون أن
تقوى على الرد ، فاندفع سليم نحوها فجأة ،
لتجد ذراعيها بين قبضتيه اللتين قبضتا على
ذراعيها بقوة مؤلمة؛ فتأوهت بصوتٍ مكتوم
وأغمضت عينيها بقوة أكبر ، حتى تجعد
جفناها..

أخفض سليم وجهه الغاضب لها، ثم هتف
بصوت حاد فاتر يضم بين أحضانه طيف من ألم
لم تستشف سواه :

-أليس كذلك يا ميكة؟؟...ذهبت إليها للتأكدي
وبالتأكيد كنتِ تظنين أنني لن أعرف ، ما أعرفه
أن زوجتي العزيزة تتناول أقراص منع الحمل



دون أن تخبر زوجها بذلك... زوجها الذي علم
بما تفعله صدفة أصابت كرامته بسهم مسموم
تسلل ببطءٍ ليسم قلبه الذي كان يدافع عنك
بكل ضراوة وكأنه معمي لا يرى ولا يسمع
سوى ما يريد!

أرتفع صوت نحيبها بشكلٍ مثير للشفقة، لكن
سليم لم يتأثر ولو بدمعة واحدة !
فالآن وقت الحساب !

الآن فقرة الألم التي كان يحاول إبعادها بشتى
الطرق!

لكن عبثاً؛ فما فعلته لم يكن بالهين أبداً...
أي رجلٍ مكانه سيتحمل ما تفعله !
لم يكن خطأها معها بهذه البشاعة كي ترد له
الصفعة بأضعافها!



صفعة تلو الأخرى تلقاها منها بصدرٍ رحب
وقلب مولى بحبها ، لكن رغماً عنه بات يتأوه
بعد كل صفعة... قلبه الذي كان يتلقى كل صفعة
تصفعها له لم يعد يتحمل أكثر من ذلك....
الجروح تزداد بداخله ، و روحه تنزف دون
توقف...

كل تصرف يصدر منها يصيب كرامته بسهم
مسموم تسلل ببطء ليتمكن من قلبه الذي يبكي
الآن ناعياً خسارته...
ناعياً حظه الذي أوقعه في حبال امرأة لم تكن
هينة...

امرأة تعلم جيداً كيف تصفعه بكل هدوء..
تصفع قلبه الساذج الذي يبكي الآن... وكأنه
يشعر بالألم بعد طول تعذيب !



ألم يكن هو سبب معاناته ؟
ألم يكن هو من اختارها ؟
لماذا يبكي قلبه بعد ما كان السبب في ألمه؟!
أغمض سليم عينيه للحظة !
لحظة سمح لنفسه بأن يظهر الألم على ملامحه
و يختلج فكه...

لحظة تراخت فيها قبضته على ذراعها..
لكن أيا منهما لم يشعر بشيء سوى الألم
المتبادل..

وإن كان ألم سليم يتعدى ألمها بمراحل !
فأي مقارنة تلك التي تقارن بين ألمه وألمها !
هو من تحمل منها ما لن يتحملة أي رجلٍ غيره
!



هو من تجمعت بعينيه العبرات حين علم بما

فعلته !

هو من ارتعش جسده بانفعال لوهلة...

ارتعاش شعرت به مليكة التي كانت تبكي

بحرارة حتى تورمت عيناها..

رفعت مليكة رأسها مجفلة ، فوجدت سليم

مغمض العينين محمر الوجه بشكلٍ لم تعهده من

قبل...

شعور غريب أكتنفها وهي تراه يجاهد لكي

يتنفس بانتظام!

شعور جعلها تصرخ فجأة بصوتٍ مبحوح وهي

تضرب إحدى ذراعيه بقبضتها الأخرى :



- كل ما فعلته كان من حقي ، أي امرأة تلك التي
من المفترض أن تقبل بك؟... أي امرأة لديها
كرامة ستقبل بك؟

كنت بنظري وقتها مجرد شاب غر ، يعيث
بالحياة فساداً تائراً بفساد جده!... كنت بنظري
رجل بغيض أكرهه من كل قلبي و أشعر بالتقزز
من مجرد لمسة ظناً مني بأنك كأي شاب فاسد
لديك علاقات تغضب بها ربك!..ع..

- من منا أغضب ربه بفعلٍ كالذي أقدمت عليه ؟
صرخ بها سليم مقاطعاً عبارتها التي لم تنجح
سوى في زيادة غضبه وتألم روحه !
انتفضت مليكة بخوف من صرخته العالية ، و
ذابت الكلمات على شفيتها حرجاً من نفسها
التي سولت لها بأن ما ستفعله هو الصواب !



هي كأي امرأة شعرت بأن زوجها ليس بالزوج
الذي يشعرها بالأمان وهو يجبرها أن تبقى في
مستنقع شديد السواد وهي تخشى الظلام ،
فليس ذنبها أنها أختارت أن تتشبث ببصيص
النور الذي كان يلوح لها باغراء !

شعرت مليكة بصقيع يعصف بجسدها فجأة حين
أبتعد سليم عنها ملقياً ذراعيها بنفور ، فازداد
امتقاع وجهها وزادت كثافة دموعها....
جلس سليم على الكرسي بملامح منهكة ،
وكتفان تهدلا بتعبٍ وكأنه يحمل فوق كتفيه
هموم ثقيله...

ملامحه وحدها كانت كنصل خنجر حاد طعن
صدرها !



ملامحه تخلت عن قناع برودها وأظهرت مدى
تألمه !

يجب أن توضح له ، لن تصمت ستبرر حتى لو

كان تبريرها مجرد هراء لن يفيد بشيء....

أطرق سليم برأسه أرضاً شاعراً بشيء ثقيل

يجثم على صدره قبل أن يسمع صوتها الباكي و

هي تقترب منه بخطا بطيئة إلى أن وجدها تجثو

على عقبيها أمامه فنظر إلى عينيها بعينين

تقدحان حمماً بركانية و ترسمان ألماً لم تره في

عينيهِ من قبل :

-نعم أنا آخذ أقراص لمنع حدوث أي حملٍ منك ،

لماذا لم تسأل نفسك؟..لماذا لم تقل أن ما فعلته

بالرغم من قباحتته وأنا أعترف ، أنه من حقي

بعد أن رأيت منك معاملة غريبة في بداية



زواجنا...جمود و برود غريب كان يشعرني
بأنك رجلٌ ليس بالسهل أبدا ، رجل كان معلمه
الأول سالم الأمير ، فهل كنت تريد مني أن
أعطي لك الفرصة لتذلني ؟
دائما كنت أقول لنفسي بعد أن تزوجت منك أن
الحل الوحيد للخروج من هذه العلاقة ، هو
الخروج وحيدة كي لا أظلم أي طفلٍ معي...
كل كلمة كانت تنطق بها كانت كسهم طائش
يصيبه بعشوائية مؤلمة، كلماتها كانت صحيحة
وهذا ما أوجعه ، لكن بالرغم من كل ذلك ، ليس
من حقها أن تخفي عنه..
ليس من حقها أن تحكم عليه في أول مرحلة في
علاقتهما !



وكأنا سمعت مليكة جملته الأخيرة بشفتي
عقله ، فهتفت بصدق وهي تتشبث بذراعيه :
-غيرت معاملتك معي أعترف، ظهرت حقيقتك
أمامي و عرفت أنك تمتلك قلباً حنوناً لا تظهره
سوى في بعض المواقف، كل فكرة أخذتها عنك
كانت مجحفة في حقك، قولتها لك من قبل...لقد
تأثرت بسالم بالفعل، غضبك لا يحتمل، حتى في
خوفك عنيف، وفي ألمك تتبع أسلوب الهجوم
لتحمي نفسك من أي نظرة شامتة..

من حقي يا سليم ان أخاف على نفسي وعلى
روحي، أنا آسفة جداً ، لكن علاقتنا غير
صحيحة بالمرّة !..علاقة مؤذية وأنت لن تتحمل
أي جرحٍ آخر، نعم أنا أعترف أنك لن تتحمل أي



جرحٍ آخر...أبحث عن روحك ، أبحث عن

شقيقك ، أبحث عن مليكة أخرى..

أبحث عن شقيقك !

أبحث عن مليكة أخرى !

أبحث عن روحك !

أبحث عن روحك فروحك تائهة يا ابن الأميرية

!

أبحث عن روحك وضمد جروحها بنفسك !

فأنتَ الوحيد القادر على هذا !

نظر سليم إلى عينيها الدامعتين بعينين غائرتين

فضحت معاناته...

فضحت عتابه لها...

، ألمه مما فعلته !

، تأثير كلماتها عليه !



فضحت... عبرة وقفت على طرف عينيه خشيةً

منه !

عبرة أختفت فجأة كما ظهرت فجأة ، ثم جسد

انتصب واقفاً...

شفتان أنفرجتا لتتهف بقسوة :

-حديثك لن يفيد ، كلماتك لن تشفع لكِ عندي يا

أبنة عمتي ، الجروح التي تسببتي

بها... سأنظفها بنفسي ، سأتوقف عن الدوران

في فلكك ، لقد تعبت وخارت قواي !

ومن ثم خرج سليم من المطبخ بل من الشقة

بأكملها ، فأغمضت مليكة عينها بألم، ثم لم

تلبث أن شهقت بصوت عالٍ وأنخرطت في بكاءٍ

عنيف، وهي تضم قدميها إلى صدرها !

=====



ابتسامة جميلة زينت ثغره وهو يداعب وجنتها
الملتئة ، عواطف غير مألوفة تحركت بداخله
بعد كل قبلة يقبلها لها، كل كلمة يحاول فهمها
وكانها ابنته بالفعل...

لقد أحب الصغيرة، أحبها بطريقة غريبة وكأنه
هو من رباها !

علم مؤخراً بأنها تعاني من مشكلة في النطق
وبالطبع تركتها صبا ولم تسع لمعالجتها...
هو سيفعل، سيأخذها معه إلى أي مكان يذهب
إليه، سيهتم بها كما يهتم بأمها..

أمها التي كانت كأنثى شرسة كلما حاول
الاقتراب منها فتتشب مخالباها المستحدثة
وتشتعل عيناها ، أمها التي باتت تألفه نوعاً بعد
مرور أسبوعين من يوم زواجهما...



باتت تتعامل معه بشكلٍ طبيعي، أحياناً تمزح
حتى لو كان مزاجها ثقیلاً...
باتت تبتسم، تتحرك بحيوية، حيوية اندفعت
بأوردتها فتورد وجهها، وعادت ينابيع العسل
تتدفق بعينها مرة أخرى بعد طول جفاف، وكم
أسعده هذا!

ابتسامتها كان هو سببها، حنانه معها أثر بها
بشكلٍ لا يمكن تجاهله، مرحة كان يهدد
روحها الدامية، نظراته العميقة كانت تسعدها
حتى لو كان نفورها حائل بينهما..
ترنو عيناه لها بلمعة غريبة!
تتراقص روحه على سيمفونية تعزفها ضحكتها
!

صوتها المميز يشجي قلبه قبل أذنيه !



لكن هناك حاجز ضخم يحيل بينهما وكما أقسم
لنفسه أي حاجز بينهما سيتخطاه، أقسم على
أمتلاك قلبها!!

تأفف مروان بتذمر وهو يصف شعر جميلة
برفق ، ثم نظر إلى باب الحمام وقال بصوتٍ
عالٍ :

-لقد تأخرت كثيراً يا صبا ، سأتأخر على موعد
عملي وبالتالي لن ألحق طبيب جميلة...

والرد كان صمتاً زاد من تذمره أكثر، فجز على
أسنانه بغيظ قبل أن يجلس جميلة في وضعية
مريحة كي لا تقع ، ثم وقف أمام باب الحمام
وطرقه وهو يقول :

-يا صبا بالله عليك أخرجي...



أنتظر مروان ردها الذي أتى بعد دقيقة مضطرباً

:

-أذهب أنتَ ، أنا لن أخرج الآن...هل تشعر

بالجوع..

-ما قلة الذوق هذه يا امرأة ، أنا لم أكل منذ

الأمس، أنا جائع أتوسل إليك أريد أن أكل...

أرجوك...

ضحكة عالية ندت عنها ، فالتوت شفثاه رغماً

عنه وتألقت عيناه....

أستند مروان إلى الحائط، ثم دنا نحو الباب

وهتف بخبثٍ:

-أعلم أنك نسيتِ ملابسك بالخارج يا صبا، لذا

أخرجي وسأغض عيناك لا تقلقي...



رمشت صبا بعينيها بينما تخضبت وجنتاها
بحمرة قانية إثر كلماته التي تعرف مكنونها
جيداً..

استندت بكفيها إلى الباب الذي كان درعاً واقياً ،
ثم عضت على شفثيها بقوة حتى أدمتها شاعرة
بخجلٍ مريعٍ يعصف بها، خجل أزداد أكثر حين
هتف مروان بعث وهو يطرق الباب بمراوغة :
-أخرجي يا صاحبة الحسن والدلال ، لقد سئمت
الانتظار ، دقيقة وسأفتح الباب بنفسي ولن
تكون العواقب محمودة ، أنا أمارس أقصى
طرق السيطرة على نفسي!

رعشة سرت بجسدها، وطيف من النفور
يتراقص على جفنيها، فابتسم قلبها ممتناً لذاك



الباب الذي كان يخفيها ويخفي تعابير وجهها
وعينيها التي من المفترض خارج إرادتها...
انتفضت بفرع وهي تتراجع إلى الخلف حين
فُتح الباب فظهر مروان بابتسامته العابثة
وعينيه اللتين عادتتا إلى لونهما الطبيعي...
أحمر وجهها بشدة وهي تربط رباط رداء
الحمام بشدة كادت تكسر خصره، شعورها
بالنفور و الخوف يجثمان على صدرها مرة
أخرى ، خوف عاد يخنقها من جديد...
تدمع عيناها ، وترتجف شفاتها...
وحده قلبها هو من تحرر من قيود النفور ،
وخيوط الخوف...



وحده قلبها هو من يصرخ بصوت بدا بعيداً
بعيداً جداً وكأنه على قمة جبل شاهق وهي تقف
عند القاع بل أعمق وأعمق...
صوت تشوش أكثر حين أقرب مروان منها
بعينين التهمتا كل جزءٍ ظاهر من جسدها ،
صوت صار يختفي ويختفي كلما أقرب مروان
أكثر...

صوت أختفي تماماً عائداً بكتفين
ثقلين... ندوب روحها تتصدى وبشدة...
دموعها تتكاثف وبغزارة...
ارتعاد جسدها يزداد بشكل هستيري...
فما كان منه سوى ضمة حنونة احتوتها وربتت
على ندوبها...
ضمة امتصت نفورها وهددت روحها....



ضمة حمائية ، ضمة تصفعا برفضٍ ليترد

نفورها الحائل بينهما...

أغمضت صبا عينيها ببطءٍ ، ثم لم تلبث أن

وقفت على أطراف أصابعها لتدفن وجهها في

تجويف عنقه ، شاعرة بقلبها يتراقص بسعادة

رفضتها تلقائياً...

سعادة شعر بها مروان وظفر لنجاحه...

صمتت ولم تثر ، تقبلت عناقه ودفنت وجهها

بعنقه ، توراي نفورها وخوفها في لحظة لن

تُعاد مرة أخرى...

لذا فسعادته في هاته اللحظة لن تعاد...

وجيب دقاته الذي ارتفع بشكلٍ جنوني ، لن يقل

جنونه حتى لو بعد الف عام...



أخفض مروان وجهه خلسة ، لتتذوق شفتاه

مذاق عنقها بقبلاتٍ رفيقة...

رغماً عنها تصلب جسدها وأبتعد وجهها قليلا

عن عنقه، نفورها كالزئبق يظهر ويختفي ...

لكن هو...

سيقيده...

هو سيقيدها هي شخصياً لو شعر بالرفض يلمع

بعينها كما يرى دائماً...

الصبر...الصبر يا مروان...

جملة يرددها دائماً كلما تعرض لموقف كهذا،

فيصمت ويصبر نفسه...

لكن هذه المرة ضمها أكثر ، و أنفرجت شفتاه

اللثان كانتا تقبلان عنقها بشغفٍ رائع ، ليهتف



بصوتٍ متحشرج ، فلفحت أنفاسه الساخنة

بشرة عنقها :

-لا تخافي مني ، لن أوذيكِ ثقي بيّ ، انسِ

نفورك، انسِ الماضي ، انسِ صبا القديمة ،

تأملي صبا التي تقف بين ذراعيّ الآن، صبا

التي سأربيها بنفسي....ستكونين ابنتي...لا

تقلقي الأب لا يؤذي أبنته...

ازدردت صبا ريقها بصعوبة، و التمعت عيناها

بدموع تساقطت على وجنتيها...

يا إلهي..

ماذا يفعل !؟

أي سياسة تلك التي يمارسها عليها؟

سياسة تجبر نفورها على الاختباء ، تكظم

خوفها...



تدفيء قلبها بعد طول صقيع...

تربت على جروحها ، فيتحسن حالها..

سياسية تجذبها نحوه...

سياسة جعلتها تنصهر بقبلاته بعد أن تواري

نفورها مرة أخرى....

حين لاحظ مروان سكونها ، أبعدها برفقٍ

يناقض زمجرته حين أنقض على شفيتها بنهم

شديد، فبقت صبا كما هي لم تتجاوب معه ،

تشعر برهبة تضاهي شعورها الآن بالكمال..

شعرت بنفسها ترتفع عن الأرض وذراعين

قويين ضمت خصرها بشدة، بينما شفتاه

ترتشفان حلاوة شفيتها....

أرتفع وجيب قلبه أكثر وأكثر وازداد شغفه حتى

كاد أن يزهق أنفاسهما...



دوامة أبتلعتهما معاً ، قربتهما و أسعدت
قلبهما...وزادت تشتت صبا أكثر...
أبتعد مروان عنها ببطءٍ وهو يتنفس بصوتٍ
عالٍ مثلها ، بينما أنامله فقد تسلفت إلى رباط
الرداء فشحب وجه صبا و هتفت بخوفٍ وتوسل
، وهي تتشبث بقبضته :

-أرجوك ، ليس الآن أرجوك..

لو كان أحدهم سكب دلواً من الماء البارد، لم

يكن ليشعر بمثل هذا الصقيع أبداً...

صقيع دب بأوردته ليجهض على شغفه...

يطفيء توهجه...

يلجمه ويذكره بأن الأصح هو التريث...

لكن مشاعره تتدفق بشدة...رغماً عنه تهفو

شفتاه إلى لقاء شفتيها...



رغماً عنه ، يطلب قلبه أن يظهر حبه لها..
-أسفة ، أرجوك لا تغضب مني ، لم أتأهل بعد ،
أرجوك لا تغضب مني....

هتفت بها صبا بنبرة مرتعشة ودموع لم تتضب
، الذعر الذي ارتسم على محياها عاث بروحه
فساداً ، فلانت ملامحه وتخطى مشاعره
الهُوجاء ، ليقترّب منها فازدردت ريقها
بصعوبة ، وتفاقم شعورها بالخوف بداخلها..
رفع مروان أنامله ليمسح دموعها ، ثم هتف
بتحشرج :

-لا تعتذري ، لا حاجة للأعتذار يا صبا..أنا أقدر
حالتك فلا تخافي مني إلى متى سأقولها؟



قال جملته الأخيرة بمزاح وهو يحرك إبهامه
على وجنتها بحنانٍ زاد دموعها أكثر ، وربت
بحنان مؤثر على جروحها...

لقد أدمنت حنانه ، ابتسامته ، مزاحه ، ترفقه
بها..

أدمنت حنانه على ابنتها ، حبه لها..
أدمنت مروان في فترة قصيرة وهذا مؤشر غير
مُبشر...

زفر مروان بقوة ، ثم أخفض كفه ببطء إلى أن
وصل إلى كفها ، فرفعه إلى شفتيه ليقبل ظاهره
برفقٍ ، فالتوت شفاته بشبه ابتسامة حزينة ،
وارتفع كفها هي الأخرى لتربت على وجنته
كأول بادرة منها في علاقتهما !



صعق مروان من فعلتها ، فنظر إلى عينيها
مستفهماً عما فعلته، فقالت صبا بخجلٍ وهي
تسحب كفها لكن مروان وضع كفه الآخر على
كفها ليبقيه كما كان :

-أعلم أنني أضغط عليك بطريقة لا تحتمل ،
أسفة وشكراً كثيراً لتفهمك !
التوت شفثاه في ابتسامة جميلة ، و انفرجتا
ليهتف بمرحٍ وهو يغمز بعينه بعبتٍ :
-أنتِ على الرحب حبيبتي....

ثم دنا منها ليقبل جبينها قبلة عميقة ، جعلتها
ترمش بعينيها مرتين وتبتسم شفثاها
المرتعتشان إثر المشاعر التي تدفقت فجأة
لتبعثر روحها وتعيث بها فساداً...



أبتعد مروان عنها ، ثم سحب نفساً عميقاً قبل

أن يقول وهو يتراجع للخلف كي يخرج :

-سأرحل أنا وجميلة لا تقلقي عليها...

-ألم تقل أنك جائع؟

قالتها صبا بسرعة وهي تعض على زاوية

شفتيها ، فنظر مروان لها بغموض ، ثم هتف

بعبتٍ وقح :

-أشبعتنى شفتين بطعم الكريز...

ثم خرج وأغلق الباب خلفه ، تبعه باب

الشقة....

فرمشت صبا بعينيها عدة مرات غير قادرة على

تحمل عواطفها المتخبطة و خجلها الذي كاد أن

يبتلعها ..



رفعت أناملها المرتجفة لتمس بها شفيتها
المتورمتين ، ثم أخفضتهم بسرعة وكان أناملها
تخجل من لمس شفيتها...
كما خجلت هي وازداد أحمرار وجنتاها، فقررت
أن تخرج لترتدي ملابسها ، و تبدأ في طهي
الطعام قبل عودة مروان وجميلة..



-الوطن يا أولاد هو عرضنا ، عرضنا الذي لن
نقبل بأن ينتهكه عدو، الوطن لا يقتصر معناه
على البلد التي نعيش بها ، الوطن يمكن أن
يكون شخص ، يمكن أن يكون وطنك هي
أمك...أبيك.. شقيقتك....

عبارة كان يقولها بحماس وهو يتحرك بين
الطلاب الجالسين أمامه يستمعون إليه



بانتباه...فحصه الأستاذ مروان ، تعتبر لحظة
مسروقة من الزمن، لروعة مواضيعه وبساطة
شرحه...

نظر مروان إلى وجوه الطلاب بابتسامة واسعة
منتظراً أن يتفاعلوا معه ، فرفع ولد كفه
بتهديب كإشارة للنقاش، فأوماً مروان برأسه
له، وأستند إلى الحائط وهو ينظر بتركيز إلى
الطالب الذي وقف مكانه وهتف بتهديب :
-وأنت يا أستاذ ، أعلم أنك تمتلك وطنين ، فألى
أي منهما تنتمي أكثر وتخاف عليه...
طيف من الألم ظهر في عينيه، اختلاجة بسيطة
لم يلحظها أحد...



حزن أحبب سعادته إثر كلمات الطالب العفوية ،
حزن أبعده قسراً ليجيب الطالب بابتسامة باهتة

:

-نعم ليّ وطنين ، إحداهما ضمني بين أحضانه
حتى صرت شاباً وهي "مصر" ، والآخر كان
حلم يلوح ليّ دائماً...وهو بلدي الحبيب فلسطين
، لن أكذب عليك يا عبد الله ، أنا أحب البلدين
بقدرٍ متساوٍ...فلسطين تحمل ليّ ذكرى حزينة
بعدها مكثت بها قرابة السنتين...لكن الحادث
الذي تعرضت له كان

قاسياً...

رمش الطالب بعينه عدة مرات، و عض على
شفتيه مانعاً فضوله، فابتسم مروان له وهتف

مشاكساً :



- أعلم أن فضولك لن يرحمك ، وبما أن شرح
الدرس انتهى ولم ينتهِ الوقت بعد ، سأقص
عليكم الحادث ، لأنكم رجال وستشعرون بما
شعرت به... لكن أولاً اجلس يا عبد الله...
جلس الطالب وانتبهت الطلاب إلى مروان الذي
سحب كرسيه وجلس عليه ، ثم أطرق برأسه
أرضاً يستعيد كل لحظة مرت عليه وقتها ،
فغامت عيناه بالدموع ، و شعر بغصة تحتل
حلقه فمنعته من التحدث ، لكنه حاربها وقال
بإيجاز بعد أن أدرك صعوبة التكلم عن هذه
النقطة خصوصاً :

- في يومٍ كنت أدرس إلى مجموعة طلاب... كنت
أهتم بهم ، أقوم بتأمين طريقهم أثناء الذهاب
والعودة بحافلة كنت أتبعها دائماً بسيارتي



القديمة كي أطمئن عليهم ، حدث في يومٍ أثناء
العودة إنفجار هائل وصل إلى الحافلة فأنقلبت
بالطلاب حتى سيارتي لم تسلم ، لكن سيارتي
كانت تبتعد عن الحافلة بمسافة ليست بالقصيرة
، شب حريق مفرع وتوفت الطلاب كلها ،
وتأذيت أنا بشدة ، جروح عميقة لا زال أثرها
باقياً حتى الآن....

تحشرجت الكلمات في حلقه ، وأغلقت الشفتان
أبوابها كإشارة لنفاذ قدرتها على البوح ، فصمت
مروان وازدرد ريقه بصعوبة محارباً غصته ،
ودمعه التي تجمعت على طرف عينيه لكنه
تمالك نفسه...

فتلك الذكرى تنتهك روحه و تزيد ألمه...
كم الألم الذي يشعر به الآن لا يحتمل....



الذكرى تتجسد أمام عينيه مرة أخرى بتفاصيلها
، فتصرخ روحه مطالبة بالنسيان ، فانصاع لها
وهز رأسه بعنفٍ وهو يقول :

-عذراً ، لن نتابع ال....

بُتِرَت عبارته حين تعالى رنين هاتفه ، فأخرجه
من جيبه ووضعهُ على أذنه يستمع إلى الجانب
الآخر بملامح عادية تحولت إلى مشتعلة حين
هدر بصوت عالٍ وعينين جاحظتين :

-خرجت!!!

=====

-مهلاً مهلاً ، اخفضا صوتكما وتكلما بطريقة
مفهومة...

هتف بها أمجد وهو يمسح صفحة وجهه بكفه
بنفاذ صبر، فهتفت مروج بتبرم وهي تحاول



أسناد نفسها كي تجلس بشكل معتدل لكن جميع
محاولاتها باءت بالفشل ، فرغ رائف قدمها
المجبرة بملامح مكفهرة، بينما رفعها أمجد من
خصرها كي يعدل جلستها :

-رائف ، يرفض أن يبتاع لي ما أريده من
مأكولات للتسلية هل يرضيك هذا؟؟...أنه
يعايرني لأنني لا أستطيع أن أجلب أشيائي
لنفسي..

زم أمجد شفته بغيظ ، ثم نظر إلى رائف فوجده
مكفهر الملامح مقطب الجبين ، فقال أمجد
باستنكار :

-أعوذ بالله ، ما هذا الوجه يا أبنّي، هل أجلك
يا أبنّي لتصبح تعبير وجهك بهذا المنظر، لماذا لم
تحضر لها ما تريده...



-لأنني لستُ امرأة يا أمجد...-

قالها رائف بنبرة غليظة وهو يتأفف بملل ،
فحدجه أمجد بقوة قبل أن يقول بصرامة شديد :

-تأدب يا ولد واحترم نفسك....-

أمتقع وجه رائف من تعنيف أمجد وكأنه طفلٌ
صغير يعنفه والده وهذا ما يغضبه، لكنه دائماً
يتمالك نفسه كما فعل الآن فأمجد يستحق

الأحترام...-

نظر أمجد له بقوة ، فأطرق رائف برأسه قبل
أن يهتف أمجد :

-هل تراني امرأة؟؟...بالتأكيد لا فلا يوجد امرأة
بشارب..هذا أول شيء، ثانياً كم مرة قولت لك
كن رقيقاً مع شقيقاتك؟..قولتها كثيراً أليس



كذلك يا رائف، لكن الكلمات تدخل من أذن

وتخرج من الأخرى...

أبتسمت مروج ابتسامة مشرقة وهي تتابع

المشهد بتسليّة، بينما رائف فقد كان في مكانٍ

آخر... يفكر بتمارا فيظهر الحزن على ملامحه،

وهذا ما لاحظته أمجد ، فهتف بصرامة وهو

يهب واقفا :

-سيجلب لك ما تريدينه يا مروج ، تعال خلفي يا

رائف...

تحرك رائف خلفه بلامح متجهمة ، إلى أن

وصلا إلى غرفة أمجد فولج أمجد وخلفه رائف

الذي ما أن أغلق الباب حتى هتف دون مقدمات

وكأنه حسم أمره :

-أنا سأسافر غداً...



أرتفع حاجب أمجد بتوجس ، وضافت عيناه
بتفحص إلى دقائق شاعراً بأن رائف يخفي شيئاً
ليس بالهين ، لذا أنفجرت شفتاه ليهدف
بغموض :

-لماذا !

ضم رائف شفتيه لثانية واهتزت حدقاته
بوضوح فارتفع حاجب أمجد أكثر ، بينما هتف
رائف بتلثم :

-أريد أن أسافر فقط...

-لا يوجد سفر قبل أن تقول لي ما هو الهدف
من السفر ، لا تخفي عني شيئاً ، هل تعرف فتاة
؟

قالها أمجد بصرامة وهو يحدج رائف بتفحص،
رائف الذي شعر بحاجته للتحدث، يحتاج أن



يلقي الحمل من على صدره ، أن يبوح بما فعله
و يعترف ، يحتاج إلى حكمة أمج ، يحتاج إلى
غضبه الذي سيلقيه عليه بعدما يعلم كل شيء ،
شقيقه ويعرفه...

لكن التخبط الذي يعيش به الآن ، ليس بالجيد..
يشعر وكأنه في دوامة تدور وتدور دون أن
تتوقف....

حيرة ، حزن ، خوف من فقد تمارا...
أنفجرت شفتا رائف وبدأ في التحدث ، فاستمع
أمجد له بملامح صارت تشتعل وتشتعل حتى
عيناه اشتعلتا برفضٍ بعد أن قص رائف عليه
كل شيء بتلعثم وملامح مبهوتة...
حين انتهى ، أنتفض أمجد واقفاً وهدر بصوتٍ
غاضب :



- هذا غير صحيح.. هذه ليست مبادئ رجل ربيته
، هذا خطأ وأنا لن أصمت لك... هذا يعتبر كذب
وتدليس وأنا لن أقبل بأن تفعل هذا بفتاة، ألم تر
شقيقتك بها؟؟، هل ستقبل أن يحدث نفس
الشيء مع مروج أو لجين ، تلك الفتاة التي
عايرتها بما حدث لها لا تستحق هذا، وأنا يا
رائف الذي سيجبرك على الذهاب لها لتعذر ،
وبعدها ستبتعد عنها نهائياً...

ازدرد رائف ريقه بصعوبة ، شاعراً بالندم
يزداد أكثر، فلاحظ أمجد حزنه وعينيه اللتين
التمعتا بدمعٍ صدمه ، فلانت ملامحه ، ورقت
عيناه ، ليقول بصوت أقل حدة :

- هل تحبها؟



احمرت أذنا رائف واهتزت حدقاته بوضوح ،
فراقب أمجد انفعالاته بعينين ثاقبتين ، ثم لم
يلبث أن اتسعت عيناه مشدوهاً ، حين هتف
رائف بصوت متحشرج ، مختنق :

-نعم...-

همّ أمجد بالتحدث ، لكن دمعة رائف التي
سقطت على وجنته اسكته...-

وما صدمة أكثر ، نبرة رائف حين هتف
باختناق :

-لكن ، أنا لا أنسابها... أنا لا أناسب أي فتاة يا
أمجد...-

رقت عيناً أمجد، وحن قلبه إلى رائف الذي كان
يشعر بنار تحرق صدره... وحرزن شديد خنقه
بخيوطٍ وهمية، بالإضافة إلى شعوره بالنقص



الذي يشعر به دائماً ، شعورٌ كان رفيقه طوال
رحلة اقترابه منها...

شعور قاتل ، فاتر ، أدمى روحه ، وجعله يشعر
بأنه كـ"رائف" لا يليق بها....

لا يليق بأحد...

انفجرت شفقتا أمجد ينوي التحدث بعد أن شعر
بألم شقيقه، لكن رائف سبقه وخرج من الغرفة
بأكملها صافقاً الباب خلفه...

فتنهذ أمجد بتعب.. وجلس على المقعد وهو يفكر
بحالهم...

دموع..دموع تساقطت على وجنتيها

الشاحبتين...

صوت شهقاتها كان عالياً بشكلٍ مثير للشفقة...



جسدها هزل أكثر، و عيناها ذبلتا من فرط

البكاء..

بينما روحها فقد كانت تصرخ ألماً حد الموت...

ألماً أحرق قلبها الذي كان يبكي وحيداً بعد أن

غادره حبيبه منذ ثلاثة أيام...

رحل... ولم يعد...

أبتعد وعلى ما يبدو لن يقترب مرة أخرى...

تعب ولم يعد لديه قدرة !

ألم ألم، روحها تنزف بغزارة و قلبها يلومها...

يقول لها "لقد ضاع منك ، أنتِ أنتِ من طردته

" هي من ظلمته وظلمت نفسها...

الألم لم يعد يحتمل ، والصداع يعصف برأسها..

هناك شيء غير مريح، سليم ليس بخير...



مهما حدث بينهما لم يكن ليتركها وحيدة لمدة
ثلاثة أيام....

قلبها يخبرها سليم ليس بخير..

جففت دموعها بظاهر كفها المرتعش، ثم رفعت
هاتفها لتبدأ أصابعها في كتابة الرسالة

رقم... أي رقم

لقد فقدت القدرة على العد منذ يوم خروجه...

(سليم ، أين أنت ؟ ، أرجوك أرجوك رد عليّ ،

الخوف يكاد يقتلني ، والخواطر تتلاعب بي

بطريقة بشعة ، أنا آسفة ، عد وسأعتذر لك ،

لن أغضبك لن أجرحك..

رد عليّ وطمئني وبعدها أبتعد كما تريد ،

أرجوك أرجوك ، أنا خائفة)



ضغطت زر "إرسال" بأصبع مرتعش ، وعينين

امتلئت بالدموع...

تشعر بالاختناق...

أختناق جعلها تشهق مرة أخرى بصوت عالٍ،

وتضم قدميها إلى صدرها عليها تشعر بالراحة

لكن عبثاً...

=====



الفصل الثامن عشر



لم تكن تتوقع أن تتدهور حالتها إلى هذه الدرجة
، كل كلمة تدوي في أذنيها كالناقوس حتى
كادت أن تصاب بالصمم !
كلماته التي كانت تصفها بكل قوة على حين
غرة منها ، فلم تدرك الصفحة بل شعرت
بألمها..

لم تدرك قسوته بل أدركت عظم خطأها الغير
قابل للنقاش...



هي أخطأت تعترف..

وما أسوأ من أعترا في كهذا...

يصعب عليها أن تعترف بأنها أخطأت ، ليس

غروراً أو تكبراً...

بل بحكم العادة ، بحكم طبعها العفوي...

بحكم نشأتها التي لا تتذكر من كان معها بها، لم

ينصحها والدها ، ولم تعلمها أمها ما هو

التصرف الصحيح...

لم تجد ذراعاً واقياً يحميها من ضربات الزمن

التي تلققتها هي دون أي مقاومة..

سقطت مرة ، مرتين ، ثلاث!

لا تتذكر..

كم مرة تعثرت بصخرة أوقعتها أرضاً؟؟

لا تتذكر...



ما تتذكره أنها كانت وحيدة في غابة حالكة لم
ترَ أي مهاجم ، لم تدركه إلا بعد أن تتلقى منه
الضربة القوية..

ماذا فعلت بحياتها كي تعاصر كل هذه المشاكل؟
ماذا فعلت هي كي يتركها شقيقها عرضة
للألم؟؟؟

أين هو ، لقد اشتاقت له...
رغماً عنها يهفو قلبها لرؤيته ، فهو حبيبها
شقيقها الأكبر قطعة من روحها حتى لو كان ما
فعله يجبرها على كرهه...
سحبت تماراً نفساً عميقاً وهي تؤرجح قدميها ،
تتأمل المارة بعينين دامعتين... غافلة عن رائف
الواقف بعيداً عنها بمسافة لا بأس بها...



يرمقها بنظرات حزينة ، متألّمة لألمها الظاهر

على محياها..

هو يعلم أنه ضغط على جرحٍ لم يشفَ فيئن

مطالباً بالرحمة!...

هو يعلم أنه اختار نقطة ضعفها ليؤلمها بها ،

وهذا هو...

قبل أن تجرحه، يجرحها...

مبدأ سار عليه منذ ذاك اليوم الذي وشِم به

بحروق يده، وتلطخت روحه بدماء النقص..

أقترب رائف منها بساقين مترددتين ، إلى أن

وقف أمامها مباشرة...

فاهتزت حدقتا تمارا حين وقعتا على وجهه

الباهت..

ومن ثم انتفضت!



انتفضت واقفة والتمعت عيناها ببريقٍ غريب ،
ومن ثم لوح طيف من الاحتقار في حدقتها
الدامعتين...

فشعر رائف وكأنه تلقى لكمة قوية بمعدته !
نظرتها صفعته كما صفعها دون أي رحمة...
نظرتها ألجمت لسانه ، وحجبت كلماته ، فتولت
هي زمام الأمور لتتهف بقسوة :

-لماذا أتيت؟ ، كي تبث كلماتك السامة...أجبنى
لماذا أتيت ، ألم تقل أنني عديمة أخلاق و لم
أجد أحد ليربيني ، أصبت الهدف يا رائف، ها
أنا أعترف لك، أنت أصبت الهدف ، هنيئاً لك...
أغمض رائف جفنيه بقوة وهو يهز رأسه
برفضٍ غير قادر على تبرير موقفه ، فنبرتها



بالرغم من قسوتها إلا أنه شعر بها تنزف المأ ،
حتى عينيها القاسيتين كانتا دامتين...
لم يظن أن كلامه سيجرحها إلى هذه الدرجة...
تلك الطريقة القاسية التي تعامله بها...
قاتلة صعبة عليه هو..

مجرد كلمات بسيطة منها ، ألمته...

فماذا عنها هي؟

-أسف!

كلمة واحدة ، كلمة قالها بصدقٍ شعرت به ،

كلمة خرجت من بين شفثيه بتحسرج..

كلمة لم تزد لها سوى ألماً...

لم تربت على جرحها لا...

عضت تمارا على شفثيها المرتعشتين بقوة

حتى كادت تدمتها ، لا لن تتقبل اعتذاره...

فهل يجدي الندم بعد فوات الآوان !
ألم يقل أنها فتاة غير مهذبة بل أبشع...

فلماذا الآن !

لماذا يريد أن يزيد ألمها باعتذاره..

كانت تخوض تحدياً كبيراً معه...

شخصيته كانت صعبة ، لم تستطع التأثير

عليه...

لم تستطع أن تخفف حدته وطبعه الغريب...

حاولت وحاولت وكانت جميع محاولاتها تكلل

بالفشل...

فتخلع رداء الفشل عنها عنوة ، وتبدأ من

جديد..

لكن الآن ، لقد تعبت وخارت قواها...



ستبتعد عنه ، فهو بالرغم من صغر سنه إلا أنه
يحمل ألماً بقلبه لم تره من قبل..

وهي... لا تحب هذا النوع..

لا تحب هذا النوع الذي يحتاج إلى امرأة خارقة
تستبدل شخصيته بأخرى...

وإن كانت هذه المرأة موجودة على سطح
الأرض من الأساس ، فهي لا تظن أنها المرأة
القادرة على هذا !

يكفيها هذا القدر من الجروح ، فهي منذ بداية
علاقتها تتغاضى عن حدة طبعه ، ولسانه
الذي يشبه السهم لا يضل طريقه أبداً....

ضحكة ساخرة ندت عنها ، وشفقتان انفرجتا
لتهتف باستهزاء وهي تلوح بكفيها ساخرة منه

:



- على أي شيءٍ تعتذر يا كابتن ؟؟ ، أنت لم تقل
سوى الحقيقة ، حقيقة صفعني كي أعلم من
خطأي....

شكراً لك ، لقد تعلمت الدرس جيداً ، فأنتم
كـ"رجال" كل الفتيات عديمات الأدب ، عاهرات
!، ألم تقصد هذا المعنى الحقير !

أحمر وجه رائف بشدة ، وبرزت عروقه
واشية برفضه ، بينما انقبضت قبضتاه بقوة كي
يتحكم في غضبه الذي ظهر جلياً على وجهه...
انفرجت شفثاه بعد أن شعر بغضبه ورفضه
يتفاقماً بداخله ، لكن تمارا سبقته وهتفت
بسخرية :

- لا ، لا أريد أي تبريراتٍ ، فأنت فتى ساذج لا
قيمة له لن أهتم بتصرفاته مرة أخرى ، ظننت



نفسك رجلاً لكن أنت في الحقيقة لم تكن سوى
فتى يرتدي ثوباً لا يليق به !
لو كانت تجلده بسوط سميك لم يكن ليشعر بمثل
هذا الألم..

لقد جرحته ، وسحقت رجولته!
لا لن يصمت ، هو لا يحب أن يجرحه أحد
فليحترق الكون مقابل حماية نفسه من التعرض
للألم..

هذا يكفي ، سيبتز هذه العلاقة "العقيمة" قبل
أن تبدأ...

وكان له حق في ذلك!
أي جرأة تلك التي يتصرف بها ؟
أي وقاحة تلك !
هو من سيقطع علاقته معها !؟



بأي وجه حق؟!

لكن الصفة هذه المرة أصابته في الصمم حين

هتفت تمارا بصوت عالٍ :

-لا أريد أن أرى وجهك مرة أخرى يا معقد يا

عديم الأخلاق ، لا أريد أن تكون أنت وأمثالك

بحياتي ، أخرج من حياتي كلها...

ثم رحلت بقدمين ركضتا بعيداً وهي تبكي

بصوتٍ مسموعٍ إثر ما فعله..

أما رائف فقد كان ينظر إلى طيفها بعينين

غائرتين ووجهٍ محتقنٍ جراء الإهانة التي

تعرض لها للتو..

انفرجت شفثاه ليهمس بنبرة مرتعشة وهو

ينظر إلى السماء :



-فلتعرفي أنتِ سبب دخولي حياتك ، فأنا لن

أقوى على قولها صريحة لك !

ومن ثم استدار على عقبيه شاعراً بشيءٍ يجثم

على صدره وبحزن خائق يعصف بروحه ..

لقد فقدها !

هي من رفضته وهذا كان متوقفاً بالنسبة له !

كان متوقفاً وكم مؤلم هذا على روحه وشعوره

بالنقص !

شعوره الذي كان يتفاقم بداخله فينسحب الهواء

من حوله...

ألم ، ألم حاد يشعر به حتى عيناها خالفت أوامره

فانخفضتا إلى ذراعه..

يرمقه بنظرة كارهة تحتضن ألم ازداد أكثر

وأكثر...



لقد انتهت علاقتهما قبل أن تبدأ !

فهل سيكون بعد النهاية أمل جديد !

من يعلم !؟

=====

جلست بجوار نافذة غرفتها تستمع إلى

الموسيقى الصادرة من المذياع..

تبتسم برقة وهي تفكر فيما حدث صباحاً...

بل تفكر بما حدث لها طوال الفترة التي قضتها

مع مروان والتي دون مبالغة..

كانت رقيقة !

رقيقة بشكلٍ أذاب الثلج الذي كان ينتشر بغزارة

حول روحها...

مروان الذي كان يعاملها كابنته..



يدلها ، يمزح معها ، حتى قبلاته التي كانت

ترفضها باتت تهفو لها!

خطوة وراء خطوة يتقدمها مروان فيقترب منها

اكتر وتتعلق به بشكلٍ لم تكن تتمناه !

لكن !

قلبها ، قلبها يتراقص على ألحان يعزفها مُعلمه

!

ألحان متقنة ، تطرب قلبها وترضي شغف

روحها !

سيمفونية لم تسمعها من قبل ولن تسمع أي

شيء يضاهي روعتها !

عن أي روعة تتحدث ومروان لا يتبع معها

سوى سياسة رقيقة.. تجبرها على الانصياع له

!



أبتسمت صبا برفق وهي تدندن مع كلمات

الأغنية التي باتت تسمعها منذ فترة...

ولست بالغافل حتى أرى جمال دنيائي ولا

أجتلي

القلب قد أضناه عشق الجمال والصدر قد

ضاق بما لا يُقال

أغمضت صبا عينيها بهدوء ، ثم أسندت رأسها

إلى حاجز النافذة وهي تراقب الطريق بعينين

عسليتين مبتسمتين !

لا تصدق ، لا تصدق كم السعادة التي تشعر بها

الآن !

لا تصدق أنها تفكر بمروان وحياتها التي أنقلبت

رأساً على عقب منذ دخوله دون سابق إنذار..



ثانية..

لنقل الحقيقة ، هي من دخلت حياته دون سابق
إنذار كما قال لها يوم كان يضمها إلى صدره
بقوة..

يومها ، دنا منها وهمس فوق جبينها بنبرة
جعلتها ترتعش

"دخلت حياتي دون سابق إنذار... كان أول لقاء
بيننا بين موجات البحر ، وها أنا الآن أجذبك
قسراً لبر الأمان "

يومها تنهدت تنهيدة طويلة ، ثم مرغت وجهها
بصدره لتغوص في ثبات عميق بين ذراعيه
وتحت تأثير قبلاته التي كانت تشعر بها تتسلل
خلسة لتخترق عمق نومها..

قبلات كان يختلسها هو بنهم شديد..



ويدونها لممتلكاته كلما قبلها في صحتها..
فيرتفع وجيب دقتها ، وتطير روحها في سماء
تتلون بألوان الطيف !

انتفضت صبا مجفلة على صوت طرق عنيف
مرفقاً بجرس الباب، فهبت واقفة بقلق وسحبت
اسدالها كي ترتديه بسرعة شديدة وهي تتحرك
نحو باب الشقة بقلق جعلها على وشك السقوط
من فرط الخوف الذي شعرت به يدب بأوردتها
فجأة...

فتحت صبا باب الشقة بعد أن أخفت شعرها
بإحكام...

ثم لم تلبث أن تسمرت صبا مكانها حين وقعت
عيناها على تلك المرأة التي كانت تبكي بحرارة



والتي هي نفس المرأة التي من المفترض أنها
تهتم بوالدة مروان..

شعرت صبا باختناق غريب حين تلاعبت بها
التوقعات التي قُطعت حين هتفت المرأة بخوف
وهي تربت على صدرها :

-أدركينا يا ابنتي ، لقد سقطت أم مروان أرضاً
ولا أعرف ماذا أفعل ، لن أستطيع أن أتصل
بمروان لو علم سيخاف عليها ومن المحتمل ألا
يقوى على قيادة سيارته من فرط الخوف ،
ساعديني يا ابنتي...

لوهلة شعرت برهبة غريبة ، بخوف يزداد فكاد
يطبق على نفسها..

لوهلة شعرت بشجاعتها تتراجع وقواها تخور..



لكن صوت غريب دوى بأذنيها كالناقوس

صارخاً بأن تتحرك..

بأن تتصرف في غياب مروان..

ألم تكن هائمة منذ دقائق بروعته ، بجمال طبعه

وترفقه بها....

ستكون نذله بل أقل من ذلك لو تخلت عن

والدته ..

لا لن يحدث لن تخذله..

والله لن يحدث..

فمروان لا يستحق هذا...

شعرت صبا بشيء من القوة تندفع في أوردتها،

فهتفت بسرعة وهي تزيح الباب قليلا :

-ادخلي ، سأرتدي ثيابي ثانية واحدة...-



انفرجت شفتا المرأة كي تعارضها فحال والدة
مروان لن يتحمل مرور مزيد من الوقت لكن
صبا سبقتها حين أغلقت الباب وخلعت الاسدال
بسرعة فبرقت عينا المرأة حين وقعتا على ما
ترتديه صبا تحت الاسدال...

كان قميصاً رقيقاً يتعدى ركبتيها قليلا، يظهر
ساقها وكتفيها...

فالتوت شفتاها بامتعاظ لوهلة ظناً منها أن
صبا ترتدي مثل هذه الأشياء ..

لا تعلم الحقيقة ، لا تعلم أن صبا ترتدي مثل
هذه الأشياء بعد خروج مروان وتقوم بتبديلها
قبل موعد رجوعه...

وما شأنها من الأساس ، هي زوجته وليست
فتاة تجلس معه دون أي روابط!



أنتهت صبا من ارتداء فستانها البسيط وقامت
بلف حجابها بسرعة ، ومن ثم دست النقود
الذي تركها مروان لها صباحاً بحقيبتها...
ثم تحركت نحو الباب بسرعة وهي تهتف بلهفة
:

-هيا يا أم إبراهيم...

تحركت أم إبراهيم خلفها مباشرة وهي تنظر
إلى صبا بتوجس ، فهي لم ترها سوى مرات
قليلة جداً..

وصلتا معاً إلى شقة والدة مروان التي وجدتها
صبا تتنفس بصعوبة حتى أنها سمعت صوت
أنفاسها المتحشجة قبل أن تقترب منها ،
فركضت صبا نحوها بخوف بعد أن أدركت
خطورة الأمر ، أمسكت بمرفق والدة مروان



التي ما أن نظرت إلى صبا حتى زاد تشنج
جسدها وظهر الرفض على ملامحها المتعبة ،
فشحب وجه صبا وتخضبت وجنتاها بحمرة
حرج ، لكنها أجبرت نفسها على التماسك ،
فهتفت بثبات وهي تساعد أم إبراهيم في حمل
والدة مروان :

-أرجوكِ خالتي ، لا ترفضني مساعدتي ، فأنا لن
أتركك حتى لو قمتِ بضربي...أرجوكِ...
لم يكن بيد والدة مروان أن ترفض فالألم كان
يشتد وهي لم تعد تقوى على التحمل فاستسلمت
لهما إلى أن وصلوا جميعاً إلى سيارة أجرة
أجلستها صبا بها ، ثم استدارت إلى حارس
البناية وقالت بسرعة :



-لا تخبر مروان بشيء ، فقط أتصل به بعد ساعة وأخبره أن زوجته خرجت لا تعطيه أي تفاصيل...

أوماً لها الرجل بطاعة ، فاستقلت صبا السيارة بجوار والدة مروان التي مالت برأسها إلى صدر صبا دون شعوراً منها فهي على الأرجح دخلت في مرحلة الوعي واللاوعي ، فنظرت صبا إلى رأسها لدقيقة..

دقيقة تذكرت فيها كل شيء فعله مروان معها ، فيتوارى خوفها من مخالطة أي شخص ، وتدب القوة بأوردتها..

رفعت صبا كفها لتربت على رأس والدة مروان وهمست بصدق يشوبه قلق عليها :
-فليحميك الله له ، وليحميه ليّ !



.....

كانت تتحرك في كل مكان بسرعة ، تسأل هذا

وتستفسر من ذاك..

الأمر لم يكن سهلاً...

لقد أصيبت والدة مروان بوعكة صحية وهي

تعلم السبب..

أخبرها الطبيب أنها لا يجب أن تتعرض لضغط

فلو حدث هذا ستكون العواقب وخيمة وهذا

مؤشر سيء..

وقتها شعرت وكأن الطبيب يتهمها بأنها

السبب..

تخيلت مروان وهو يصرخ بها..

يصرخ بوجهها بأنها هي السبب...



تخيلت مروان وهو يطردها من حياته بعد أن
كادت تضيع أمه من بين يديه وهي السبب..
عصيان مروان لأمه كانت هي سببه..
يا إلهي..

لن تتحمل أن يبتعد مروان لا...
لا ستموت روحها لو حدث هذا...
يعاود الخوف بالتسلل مرة أخرى ليسطر على
قلبها الذي كان يرتجف بخوف مع كل ثانية تمر
بعد أن هاتفها مروان فردت عليه وقتها :
-مروان !

لم تكن متأهبة لصراخه الهستيري الذي كاد أن
يصم أذنيها :

-أين أنتِ يا صبااااا؟

وقتها لعقت شفثيها بتردد ، ثم هتفت بثبات :



-أنا بمشفى (...)

عم صمت مريع وقتها حتى كادت أن تترجاه أن

يتكلم ، لكنها أجبرت نفسها على الصمت

منتظرة إجابته التي أتت خائفة بنبرة جعلت

قلبها يرق له :

-ماذا حدث ؟ ، هل أمي بخير ؟ ، هل أنتِ

بخير...

-بخير يا مروان ، لا تقلق عليها تعال لتأخذنا

لأنني أجلس أمام غرقتها بانتظارك !

-غرفة ؟؟ ، هل ساءت حالة أمي إلى هذه

الدرجة ، يا الله أنا السبب..

وقتها تكور فمها بحزن غافلة عن كونه نسب

الخطأ لنفسه هو..



بعدها أقنعته بأن والدته بأفضل حال ، فأخبرها
أنه قادم في الطريق..

وها هي تجلس في غرفة والدته بالمشفى على
أريكة اتخذتها لتتكمش على نفسها من نظرات
والدة مروان وأم إبراهيم التي لم تتوقف عن
إلقاء أسئلة لا تعلم من أين تأتي بها ، لكنها في
النهاية تتهرب من نظرات والدة مروان كي لا
يزداد شعورها بالذنب أكثر...

شعورها بأنها سبب في معاناة شخص يقتلها ،
يقلل من شأنها أمام نفسها..

يجعلها تشعر بأنها...

بأنها تحتاج إلى حزن مروان لتحتمي به..
لتخفي وجهها بصدرة وتتشبث بكفيها في
ملابسه وكأنه والدها بالفعل....



تحتاج أن تشعر بالأمان ، لا أن تشعر

بالخوف...

خرجت صبا من شرودها على صوت أم إبراهيم

وهي تهتف :

-ألا يوجد أي شيءٍ قادم في الطريق؟!-

أحمر وجه صبا بانفعالٍ واهتزت حدقتها

بارتباك ، بينما همست والدة مروان بصوت

متحشرج وهي تنظر إلى أم إبراهيم :

-اصمتِ يا أم إبراهيم لا أريد أن أنبهر بأي

سؤالٍ منك!

تذمرت أم إبراهيم وهي تضرب فمها بكفها

كأنها تجبره أن يصمت فصمت!

عم صمت مريع مرة أخرى ، فانكمشت صبا

على نفسها مرة أخرى تحت نظرات والدة



مروان التي كانت تشعر بأنها لم ترتح لها حتى

الآن....

تلك المرأة أفسدت حياتها وحياة أبنها ، لذا فهي

تساوي قيمة عدو عندها !!!!!

انقطع تفكيرها ، حين اقتحم مروان الغرفة ،

فنظرت له بتعب، وانكشيت صبا على نفسها

بخوفٍ وهي تنظر إلى ابنتها التي كانت تلف

قديمها حول خصر مروان..

أقترب مروان من أمه ثم قبل جبينها وهو يقول

بخوفٍ :

-هل أنتِ بخير يا أمي؟..

أومات برأسها دون رد ، مجرد ايماءة بسيطة

ونظرة مؤكدة على سلامتها..



فاحتضن مروان كفها بكفه الحر ، ثم قبله قبل

أن يقول بخوف حقيقي :

-لقد كدت أن أموت خوفاً عليك، الحمد لله !

كان صادقاً، فهو بالفعل كاد أن يموت خوفاً على

والدته...فهي من ربته منذ صغره وهي المرأة

الأعلى مرتبة بقلبه..

هي من هربت به لتهتم به وتحميه..

هي من امتنعت عن الزواج كي تربيته وتحافظ

عليه...

هي صديقتة الوحيدة و شقيقته

الوحيدة..والمرأة الأولى في كل شيء فكيف لا

يشعر بوجعها يقتله..



تتهد مروان دون صوت وهو يقبل جبين أمه
مرة أخرى ، فلم تستطع أن تمنع نفسها لتربت
على شعره بحنان كي تقلل من خوفه..

فابتسم مروان لها وربت على كفها هو الآخر
ومن ثم اعتدل في وقفته وأعطى جميلة إلى أم
إبراهيم وهو يهتف بجديّة :

-خذي جميلة واعتني بها الآن...-

التوت شفتا أم إبراهيم بتذمر ، ثم نظرت إلى
والدة مروان فوجدتها تنظر إلى ظهر مروان
الذي أقترّب من صبا التي كانت على وشك
الاختفاء من فرط خوفها من رد فعل مروان..
لكن رد فعله جاء صادماً حين أوقفها على
قدميها ومن ثم ضمها إلى صدره دون سابق
إنذار أو مناسبة..



لكنه يعلم، يعلم كم تحتاج إلى هذا العناق كي

تطمئن نفسها...

يعلم أنها ظنت بأنه سيثور ويصرخ بوجهها

أنها السبب..

نعم هو يعرفها أكثر من نفسه..

فهي نفسه !

وهو سيُلبى لها كل ما تحتاجه..

ضمها مروان بقوة ، فأخفت صبا وجهها كما

كانت تتمنى منذ دقائق، وتشبثت بقميصه لتدعم

نفسها...

لم تتصور أن تشعر بالأمان بالفعل حين

أحتضنها مروان...

لم تتصور أنها ستشعر بالراحة وهي تحتمي

بصدره من نظرات والدته وأم إبراهيم...



لقد أتى من يضمها كي لا تشعر بالخوف..
هو من أجبرها أن تلجأ إلى صدره حين يشتد
بها الألم..

تحتمي بصدرة كلما شعرت بالخوف يسيطر
عليها !

مروان هو دواء روحها وهي تعلم !
لكنها...

لكنها تخشى أن تتعبه، أن تهك روحه وهو لا
يستحق..

أن تكسر قلبه الذي لم ولن تجد مثله حتى لو
تعرفت على آلاف الرجال...
وحده مروان يكفي !



اقترب مروان من أذنيها ، ثم همس بصدق وهو
يربت على ظهرها بحنان كي يهدأ من ارتجافها

:

-شكراً لوقوفك بجوار أمي !

لم تجيبه سوى بحملة واحدة وهي تدفن وجهها
في صدره غير مهتمة بنظرات والدة مروان وأم

إبراهيم :

-لا تشكرني أرجوك..

ابتسم مروان ابتسامة باهتة ، ثم قبل رأسها قبل

أن يقول وهو يبعدها عنه قليلاً :

-لا تخافي ، أنا معك لا يوجد أي خيارات أخرى

، أنا معك..

كان يعلم والله كان يعلم أنها ستبكي، كان يعلم

أنها تشعر بالخوف...



خوف الفقد ، خوف من فكرة أنها السبب فيما

حدث لوالدته...

لن يسمح لها بأن تتراجع بعد أن تقدمت

وانهدمت بعض الحواجز....

تهدت صبا بصوتٍ خفيضٍ وهي تنظر إلى وجه

مروان..

جملته الأخيرة ذكرتها بمقطع صغير سمعته من

قبل "وخيار روعي صار أنت"

روحها تشدو بهذه الجملة منذ فترة ، لكن

عقلها يقف لها بالمرصاد ، يجبرها على التريث

، فالطريق لا يزال معتماً..

لم يظهر أي معالم له كي تمضي به !

بالنسبة لها ، السير في طريقٍ معتم عواقبه

ليست بالجيذة..



يكفيها الآن بأن تشعر بالراحة بعد أن أطمئنت

بوجود مروان...

أبتعد مروان عنها بعد أن ربت على وجنتها

بحنو ، ثم التفت إلى أمه التي كانت تنظر لهما

بحسرة على ابنها...

لكن مروان لم يلحظ شيء..

فقد كان خوفه على أمه مسيطراً عليه بالكاد

تمكن من إخفاءه حين كان يحتضن صبا..

خوفه كان غريباً ، فأمه تعتبر سبب قوته ،

سبب حنانه سبب شهامته!

هي... أمه...

انتبه مروان من شروده حين قالت أمه بصوت

خفيض :

-أريد أن أعود إلى البيت..-



أوما مروان برأسه دون أن يتفوه بشيء ، فقط

ينظر إلى وجه أمه بخوف !

ماذا سيحدث له لو فارقت أمه الحياة !

شعر مروان بقبضة باردة تعتصر قلبه ،

فاهتزت حدقاته ، لكنه تحكم بنفسه قبل أن يترك

الأمر لخواطره !

=====

-لا أعلم يا أمي لا أعلم..

صرخت بها مليكة بعصبية وهي تهز ساقتها

بتوتر وخوف رسم خطوطه على محياها ، بينما

داليا فقد كانت تشعر بالقلق على سليم بعد أن

علمت من مليكة ما حدث...

هتفت داليا بقلق وهي تمسح جبينها بكفها الحر

:



-اهدئي يا أبنتي ، سيكون بخير لا تقلقي !

أغمضت مليكة عينيها بشدة وهي تبكي بعنف !

لا ، هي لا تشعر بالراحة..

تشعر بالخوف على سليم وبقلبها يئن مطالباً

به...

أين هو ؟

فقط ليخبرها أين هو ويطمئنها عليه ثم يختفي..

لا تطلب أكثر من هذا!

تريد أن يطمئن قلبها لا أن تشعر بمثل هذه النار

الحارقة التي يزداد لهيبها كلما مرت ثانية

أخرى دون أن تعرف عنه شيء....

أغلقت مليكة الهاتف بتعب ، ثم ضمت ركبتيها

إليها.



تفكر بالأيام الماضية التي كانت تمر ببطءٍ شديدٍ
يزيد من خوفها أكثر..

لم تتوقف عن البكاء من يوم خروجه حتى
الآن..

حتى ذبلت ملامحها و خارت قواها..
لم تضع أي وجبة في فمها سوى بضعة لقيمات
حتى كادت أن تصاب بالغثيان...

حتى نومها بات متقطعاً ، تنام باكية وتستيقظ
فزعة

الخوف يلف خيوطه حول عنقها فتشعر بأن
أنفاسها ستتوقف وروحها تموت، فقط فلتعلم
مكانه..

تطمئن على حالة...



أغمضت مليكة عينيها بقوة وهي تخفي وجهها

بكفيها...

لا ، هذا غير جيد..

اختفاه قد طال وروحها باتت تنزف وتصرخ

مطالبة به....

الذعر سيطر على قلبها...

وفجأة توقف كل شيء من حولها..

توقف بكاءها وسكن جسدها المرتعد...

تجمد جسدها وشحب وجهها أكثر حين فُتح باب

الشقة..

لم تقم من مكانها ، ولم تنظر إلى الباب ، بل

كانت تنظر أمامها بصدمة!

هل عاد أم أنها تتوهم ؟



مرت ثانية وراء ثانية دون أن تسمع صوت
غلق الباب ، فالتفت برأسها ببطءٍ شاعرة بأنها
على وشك الإغماء...

اتسعت عيناها وأحمر وجهها حين وجدت سليم
يقف أمامها ينظر إليها نظرات لم تفهمها..
لكنها لم تهتم سوى بأنه هنا موجود هنا أمامها.
انعقد حاجباها وارتجفت شفاتها كما ارتعد
جسدها بانفعال !

شعرت بروحها تشهق كمن عادت إليه الروح ،
وبجسدها ينتفض واقفا لتركض نحوه
بتلقائية...

ومن ثم تعلقت بعنقه وهي تبكي بعنفٍ شديد ،
فلم تسمع تأوه سليم وهو يحاول إحتضانها
بذراعه السليم كي يهدأ من روعها..



لم يكن يتوقع أن تكون حالتها بهذا السوء !

أن تكون خائفة إلى هذه الدرجة..

كان يظن أن اختفائه لن يؤثر بها ، لكنها

خالفت ظنه حين رأى وجهها الشاحب كالموتى

وجسدها الذي كان يرتجف بين ذراعيه..

شعر سليم بالأسف والندم على ابتعاده عنها..

أما مليكة فقد كانت تشعر بالراحة لرؤيته

أمامها..

لكن ليس سليما وهذا ما لاحظته..

فابتعدت عنه بسرعة وأمسكت وجهه بين كفيها

لترى جبينه المضمد وبعض الجروح

الأخرى...

ثم نظرت إلى ذراعه الأخر غير الذي كان

يحتضن خصرها فوجدت كفه ملفوفاً بضمادة ،

فهمت بوجل وخوف جعل كفها يرتعش فشعر

بارتعاشها :

-ماذا ، ماذا حدث لك ؟

ابتسم سليم بسخرية ، ثم أبعدا عنه قليلا

فتشبت به بقوة تناقض شعورها بالغيثان ، ثم

هتفت بنبرة شبه باكية خائفة :

-ماذا حدث لك ، ما سبب هذه الجروح ، وماذا

أصاب كفاك ؟

زفر سليم بتعبٍ ، ثم هتف بصوت مبحوح وهو

يغمض عينيه بتعبٍ :

-مجرد حادث صغير !

أجفلت مليكة من كلمته البسيطة وشعرت

وكأنها تلقت لكمة عنيفة بمنتصف صدرها...



حادث ؟

وهي السبب !

هي السبب ، هي السبب..

شعرت مليكة بالدنيا تزداد قتامة من حولها
وبجسدها يضعف ، فمالت برأسها قليلا لتستقر
على كتف سليم الذي شعر بجسدها يضعف
فشدد ذراعه حول خصرها كي لا تقع أرضاً ، ثم
هتف بقلق لم يستطع اخفائه :

-مليكة !، هل أنتِ بخير ؟

والرد كان صمتاً مريعاً مع زيادة ثقل رأسها
على كتفه ، فرفعها سليم من خصرها بعد أن
أدرك أنها سقطت على كتفه فاقدة للوعي...



وضعها سليم على الأريكة والخوف يتراقص
على ملامحه شاعراً بأن روحه تصرخ به عاتبة
!

وبقلبه ينظر إلى جسدها المسجى باكياً...
بينما هو فقد كان تائهاً بينهما ينظر إلى جسدها
بخوف ، وتحركت ساقيه ليجلس على حرف
الأريكة ومن ثم دنا منها ليلاطم وجنتها ، فلم
تستجب ، ليشعر بخوفه يتفاقم وهو يهتف
بتحشرج مرتباً على وجنتها :
-ماذا حدث لك ، لم أكن أظن أنك ستخافين عليّ

إلى هذه الدرجة !

=====



الفصل التاسع عشر



"الأمر ليس بيدي ، فقلبي أختار وروحي لم تعد

تتحمل الإنتظار "

.....

شعر بخوف غريب يكاد يخنقه بخيوطه

الوهمية..

شعر برهبة غريبة وهو يرى جسدها مسجى

أمامه بعد أن أدرك حالتها الصحية التي ساءت

أكثر بعد قلقها عليه..

أرتفع حاجب سليم قليلاً وهو يربت على وجنتها

بحنو ، ثم اقترب من أذنها وهمس بتحشرج :

-لا تخافي أنا هنا ! ، أفيقي أرجوك..

كان صوته حنوناً بالرغم من الألم الذي كان

ممتزجاً بنبرته الحانية !



صوته كان بعيداً بعيداً جداً وكأنها تركض في
غابة حالكة لا ترى أي شيء فقط تسمع صوته
يرجوها !

تسمع صوته فينقشع الظلام رويداً رويداً لكن
صوته...يبتعد ويبتعد فتشعر بقواها تخور
وبروحها تهفو لسماع صوته...
تحارب وتحارب لكن الهوة تتسع فأصبح
ركضها مستحيلاً تلتفت حولها في محاولة
بائسة للهروب ، لكن لم ترَ أي شيء سوى هوة
عميقة تتراقص أمامها فيزداد انقباض قلبها
وخوفها الذي كان مسيطراً عليها...
ومن ثم شهقة ضعيفة ، و جفنين رفتا بهما
بصعوبة فداهما الضوء لتغمضهما مرة أخرى



وهي تهمس بأسم جعل عيني سليم تبرقا ببريق

أخاذ :

-سليم !

همسها كان ضعيفاً وكأنها تتاجيه كي

يطمئننها...

تتاجيه أن يأكد لها أنه هنا، معها بعد أن كادت

تموت خوفاً عليه..

شعورها لم يكذبها كانت تشعر بأنه ليس

بخير...

عند هذا الخاطر صدر منها نشيج خفيض وهي

تغمض عينيها بينما كفيها فقد كانتا متشابثتان

بملابسها وكأنها تدعم نفسها بنفسها ، لكنها لم

تقو..

فتعالى صوت نشيجها أكثر وهي تشهق بعنف..



فشحب وجه سليم وتلوى قلبه متألماً لألمها ،
حالتها كانت كنصل خنجر حاد مسموم بسم
يدعى الخوف ممتزجاً بالرهبة.
رهبة تجبره قسراً ألا يفسر حالتها تلك بأن
قلقها عليه سببها..

تجبره قسراً أن يتجاهل دقائق قلبها التي كانت
تقرع كالطبولٍ على صدره الذي ضمها بالرغم
من حزنه وألمه الذي لم يهدأ حتى الآن بل تفاقم
أكثر حتى بات جرحه المتقرح يئن باستمرار...
لكن الآن صوت بكاءها أصابه في الصميم..
نقطة ضعفه..

ليست هي وحدها نقطة ضعفه لا...
فهي ليست وحدها من أحتلت قلبه..



ومن قال أن قلب المرء لا يحمل سوى الحب

لمحبوبته فقط !

هراء..

كل هذا هراء ، فقلب المرء ما هو إلا بيت يضم

كل حبيبٍ بين جدرانهِ !

أهتز جسد مليكة تزامناً مع بكاءها، فرفعها

سليم بذراعه السليم ثم أجلسها على قدميه،

انكشيت مختبئة بصدرة وهي تبكي بحرارة،

فضم سليم جسدها، ثم أسند رأسه إلى رأسها

وهمس :

-لماذا تبكين الآن وما هو سبب إغماءك ؟

لم ترد مليكة عليه ، بل اكتفت بعناقه فقط..



أخفت مليكة وجهها في صدره، ثم همست بعد
فترة بصوت متقطع وهي ترفع ذراعيها بتعبٍ
لتحيط عنقه بهما:

لماذا لم تجب على اتصالاتي ، لقد...لقد
عاقبتني بطريقة قاسية ، أحسنت يا سليم ،
اختارت عقاباً كان ماهراً ، دمرني ببطءٍ
وأنا...وأنا أتخيل أبشع الأشياء ، تلاعبت بي
خواطري..تارة أشعر بالخوف من مجرد تخيل
بأنني أرهقت قلبك فتدهرت حالتك بعيداً عني ،
وتارة أنظر إلى الهاتف في انتظار أي اتصال
منك ، لكن أنت ، أنتَ اخترت أن تحرقني بنار
أشعلتها بنفسني !



أغمض سليم عينيه متألماً ، ثم همس معاتباً
بشيء من العنف وهو يضم جسدها الهزيل إليه
أكثر :

-الذنب ليس ذنبي علمَ تلوميني ؟ ، ماذا فعلت
أنا ؟

ضربتكَ ، أهنتكَ ، قلت من شأنك ؟ لم أفعل ولم
يكن هذا منهجي يا ابنة عمتي ، أنت من فعلتِ
كل شيءٍ ألمني فأخترت أن أبتعد قليلاً ، لعنني
أرى روعي ، أبحث عن نفسي كما قولتِ ، لكن
في بعض الأحيان لا يفيد التمني بشيء ، مجرد
كلمات واهية ، ترهات صنعناها بأنفسنا. نتمنى
وبدأنا لا نحبذ الشيء، أنا لا أريد أن أبحث
عن روعي ، فروحي وضعتها في صندوقٍ
محكم ، ثم وضعته جانباً ولم أنظر له بعدها ولو

لمرة...فلو بحثت عن روعي واستعدتها ، لن
أرضى عنها ،...أنتِ لن تفهمي أي شيء ، لا
زال إبتعاد شقيقي عني يؤثر بي وبشدة ، قطعة
من روعي ابتعدت عني بملء إرادتي..
أنا لم أفعل بك شيئاً ؟

ليتي أنا من جرحتك ، لكنتِ قررتِ الإنفصال
وهذا حقك...لكن أنا ، الأمر عندي يختلف لن
أسمح لكِ بالهروب ، فأنتِ مني وإليّ تهربين...
تساقطت دموعها ببطءٍ شديد وهي تستمع إلى
كلماته التي كانت بالمعنى الحرفي تقطر المأ...
جسده أرتعش تأثراً حين ذكر شقيقه...

هي تعلم أن هذه الذكرى بوجهٍ خاص ترعبه،
مما جعلها تشدد ذراعيها حول عنقه كي تمنحه
الأمان حتى لو كانت هي من تحتاجه في هاته



اللحظة التي تشعر بها وكأنها تتراقص على
جمرٍ أحرق قلبها قبل قدميها ، ثم ضمت جسدها
إلى صدره أكثر وكأنها تزرع نفسها زرعاً
بصدره..

ثم همست بصدقٍ ودموعها منمهره على
وجنتيها بالرغم من الأعياء الذي تشعر به في
هاته اللحظة :

-آسفة ، آسفة أرجوك ، انسَ انسَ يا سليم وأنا
أيضاً سأنسى ، سأنسى أنك تزوجتني بطريقة
غير محببة ، سأنسى أنك اقتحمت عالمي زارعاً
نفسك به رغماً عني...

ابتسم سليم ابتسامة باهتة وهو ينظر إلى الأمام
بعينين غائمتين شاعراً بجروحه تثور عليه
معترضة..



وهذا طبيعي فنحن في النهاية بشر... .

بشر ، نتألم ، نبكي ، يحتضر قلبنا جراء

تعرضه لضربة قاسية... .

ساد صمت غريب خائق ، فارتجف جسد مليكة

وشعرت بأنها على وشك الإغماء مرة أخرى

خوفاً وقلقاً من رده ، إلى أن شهقت مليكة حين

أستقام سليم واقفاً ، ثم أنزلها أرضاً دون أن

يحرر خصرها.. .

ومن ثم هتف بصوتٍ حاد وهو يأسر عينيها

بعينيه الشتويتين:

-أتريدين العفو؟

أومات برأسها دون أن تحيد بعينيها عن عينيه

، فاقترب سليم بوجهه من وجهها ثم هتف وهو

ينظر إلى عينيها :



-أتريدان البقاء معي؟

وكالمرّة السابقة أومأت برأسها وهي تتحكم
بنفسها قبل أن تتفلت منها ضحكة خرقاء فرحةً
بمجرد احتمال للعفو!

سعادة اندفعت بأوردتها فجأة لتعيد الحياة إلى
روحها وجسدها الذي كان يضم نفسه إلى
جسده كي تطمئن نفسها..

هتف سليم بصوتٍ خفيض وهو يضم خصرها
أكثر:

-أرحميني!

لم تفهم مكنون كلمته، فارتفع حاجبها بعدم فهم
واضطربت ضربات قلبها بخوفٍ سرعان ما
تبدد حين سلمت شفّتها على شفّتيه سلاماً حاراً
جعل عينيها تتسعان لوهلة، ثم لم تلبث أن



تجاوبت معه بشكلٍ كلي وهي تتعلق بعنقه
داعمة نفسها بعد أن شعرت بالغثيان يزداد
لكنها لم تكن لتستغنى عن هذه اللحظة حتى لو
كانت العواقب بعدها غير محمودة..

فلتستمتع الآن بعناق شفثيه لشفثيها اللتين كانتا
كالأرض الجافة اشتاقت لعناق شفثيه لتروي
ظماها...

زاد جنون سليم وهو يقبلها بعد أن شعر بها
تتجاوب معه...

فأخفض وجهه ليقبل عنقها بعشوائية ينهل من
شهد قبلاتها بعشوائية قبل أن تنتهي...
شعرت مليكة بالدوار يحتدم ، وبالسواد يعصف
بعينها ، فأبعدت وجهها بعيداً عن مجرى شفثي



سليم ، ثم تشبثت بقميصه وهي تهمس بتعبٍ

من وسط لهاثها :

-لا لم أعد أتحمل...

زوى سليم ما بين حاجبيه بتوجس، ثم نظر إلى

وجهها الشاحب بعينين متفحصتين لدقائق قبل

أن يهتف بصدمة وهو يضمها لا إرادياً :

-ألم تأكلي شيئاً منذ فترة؟؟ ، هل تنامين بشكلٍ

كافٍ ..

لم ترد مليكة عليه ، بل أطرقت رأسها أرضاً

وهي ترف بعينيها عدة مرات ، ثم لم تلبث أن

رفعت وجهها مرة أخرى وهمست بترج :

-أريد أن أنام أرجوك ، أنا لم أنم بشكلٍ طبيعي

منذ فترة..

ازداد انعقاد حاجباه وتفاقم القلق بداخله ،
فأسندها وأجلسها على الأريكة وهو يقول أمراً
إياها بصرامة :

-لا تتحركي من مكانك ، انتظريني !

وكأنه قال لها سأذهب إلى الموت ، فقبل أن
ينهي جملة وجدها تتشبث بذراعه السليم بقوة
، وتساقطت دموعها كشلالٍ انفجر لتوه ، بينما
ارتجفت شفتاها المتورمتان إثر جنونه..

هتفت مليكة بجذع وخوف ظهر بوضوح على
وجهها :

-إلى أين ؟...لن ترحل!

رمش سليم بعينه مرتين متعجباً حتى الآن ، ثم
لم يلبث أن جثا على عقبه وهو يتألم بصوتٍ

مكتوم ، ثم نظر إلى عينيها وهتف ضاعطاً على
كل حرفٍ كي تفهم :

لن أذهب إلى أي مكانٍ بعد الآن أنتِ من
ستختارين ، يا أما الرحيل أو البقاء بعد هذه
اللحظة ، هذا أولاً ، ثانياً أنا كنت سأذهب
لأحضر لك طعاماً لتأكليه!

-لا... لا أريد ، ضمنى إلى صدرك فقط لأنام
بأمان ، فأنا لم أعد أريد سوى أن تحتويني... هذا
فقط ما أريده..أعتذر عن كل شيءٍ فعلته ، حقاً
أنا آسفة...

قالت جملتها الأخيرة وهي تضع رأسها على
فخذ سليم ، ثم أغمضت عينيها براحة وهي
تضم قدميها إلى صدرها لتنام في وضع الجنين



شاعرة بأن روحها ردت لها بعد طول خوف
وتشتت...

راحة بعد خوفٍ، كان كيدٍ خفية تقبض على
عنقها تخنقها بحقيقة الفقد...

غاصت مليكة بسُباتٍ عميق مبتسمة ابتسامة
طبيعية...

بينما سليم فقد كان في حالة من الدهشة التي لم
تزل حتى الآن.. بل زادت أكثر وهو يراها تبكي
وتخاف وتتهار لأجله..

هل ستكذب عيناه عليه وهو يراها تنظر له
نظرة اشتياق؟

هل سيكذب قلبه الذي يقفز فرحاً على أنغام
السعادة بعد أن حصل على احتمال..

مجرد احتمال صغير بأنها تحبه قلب كيانه..



جعله يشعر بالفرحة والزهو..

يشعر بسعادة تنعكس على عينيه...

شعورٌ بالرغم من كل شيءٍ قاتل...

قاتل لشياطين عقله وروحه...

وقاتل لقلبٍ يقفز فرحاً بالرغم من معرفته بكل

شيء..

يعرف، يعرف أنها ستتركه وترحل وهو واثقٌ

من هذا لكن الآن سيكتفي بسعادته المؤقتة وهو

يتأمل وجهها الشاحب، فابتسم ابتسامة باهتة ثم

همس وهو يلامس بشرة وجهها بأصابعه...

-تبقى وضع النقط على حروفٍ غير قابلة

للزيادة...

=====



-أنا لا أحب أن تكون علاقتنا سرية يا جود ،

هذا غير صحيح...

هدر بها أمجد وهو يتحدث مع جود عبر

الهاتف...

جود التي ابتسمت بأشراق واحمرت وجنتاها

لتهتف وهي تضحك بتوتر شاعرة بقلبها يقفز

فرحاً :

-يا أمجد علاقتنا ليست سرية من قال هذا ؟ ،

ماذا بك بالله عليك منذ أسبوع وأنا أحاول

السيطرة عليك والتأثير على عقلك...لم

أتصورك هكذا؟

-وكيف كنت تتصورين يا جود ؟



هتف بها أمجد بغموض وهو يضرب حاجز
الشرفة برتم سريع ، بينما عينيه فقد كانتا
تلمعان ببريق مميز..

سعادة !

نعم...

سعادة انتقلت إلى قلبه الذي كان يتراقص على
لحن سعيد بالرغم من غضبه بشأن علاقته
بجود..

لكن قلبه، قلبه الذي كان يبحث عنها بين
الأوجه ، يراها في كل مكان فيبتسم ، ثم لم
يلبث أن يتقهقر جالساً بركن بعيد بعد إدراكه
بأنه كان يتوهم...

أما الآن... يحدثها يعنفها ، يخبر نفسه..
بأنه يعشقها ، يعشقها لدرجة لم يتوقعها...



يعشقها وكأنها المرأة الوحيدة على وجه

الأرض...
صادقة ، شفافة ، عفوية...
كل يومٍ يحمد ربه أنها لم تكن كما كان يسمع..
لم تهرب مع ابن خالها كما قالوا...
ألم تقل هذا يومها ؟
ألم تقل أن هذا لم يحدث وسبب ابتعادها خلاف
لن تستطيع البوح به أمام أمجد فالأمر أمرا
خاصاً...
وقتها صدقها ، صدقها قلبه وابتسم فرحاً بعد
أن ارتاح من قسوة تلك النقطة ...
فماذا سيفعل حين يعلم الحقيقة ؟
ماذا سيفعل لو علم أن جود كذبت عليه ؟
وما أدراك وما الكذب عند أمجد...
- 1200 -
علاء

حتى هاته اللحظة لم يخبرها أمجد بأن والدها
توفى وبأن يونس قد سافر خارج البلد دون أن
يخبر أحد بمكانه...

هو يعلم أنها تخشى أن تسأله، وهو أيضا
يتهرب من تلك النقطة حين تتحدث عنها
صدفة...

حتى الآن، أحتار في توقع سبب ابتعادها وهي
لا تريد البوح..

-كنت أتصورك أبسط من هذا ، لا تعرف شيئا
يسمى الغضب..لكن الآن أدركت أنك شخصا
غير سهل بالمرّة..أنت لغزٌ يصعب عليّ حله يا
أمجد..لغز مغرٍ لكنه في نفس الوقت محبب...
-مهلا مهلا ، ما كل هذا التعقيد يا جود...لا
تضخمي الموضوع ، أنا فقط لا اقبل أن تكون



شقيقتي مكانك ، لذا فأنا غير راضٍ على

علاقتنا...

هتف بها أمجد بحدة ، وهو يلتفت ليستند إلى

الشرفة بظهره..

فهتفت جود بصبرٍ وهي تبتمس بجذل :

-ننتظر قليلا يا أمجد ! ، هل أطلب منك الكثير ؟

ضاقت عينا أمجد قليلا ، وتفاقم بداخله ذاك

الشعور الغير مرحب به بالمرّة ، شعورٌ يخبره

أن جود تتهرب من ارتباطهم بشكلٍ رسمي ،

شعور يهمس له على استحياء "جود تخفي

عناك شيئاً لا تأطمئن لها " لكن قلبه يثور

معتراضاً ضارباً شعوره عرض الحائط ، فتتفرج

شفتاه ويهتف وهو يبتسم قليلا كي يخفي قلقه :

-ننتظر...مع العلم بحقيقة رفضي لكل هذا !

اسبلت جفناها بحرجٍ وامتقع وجهها بعد أن

طرق خاطر باب عقلها و حطم قلبها...

أن كان هذا رأيه بعلاقتها البريئة فماذا سيفعل

لو علم الحقيقة!

سيقتلها؟

لا لن يفعل ، ستركها ، ستركها وابتعد فهي لا

تليق به من الأساس وهي تعلم..

لكنها أرادت أن تتشبث بفرصتها التي تعتبر

وبدون مبالغة معجزة..

كل ما يحدث الآن معجزة لم تكن تتوقعها !

لكن ما يحبطها ، أن أمجد حتى هاته اللحظة لم

يصارحها بحقيقة حبه...



لكنها نسبت هذه النقطة إلى تحفظه وخوفه أن
تعرض إحدى شقيقاته لشيء مماثل وهو لا
يقبل بهذا...

فلتستمع إذاً بتلك المدة الصغيرة التي ستعيشها
معه قبل أن يعرف الحقيقة...

أغلق أمجد الهاتف بعد أن ودعها ، ثم توجه
إلى الفراش كي يجلس ، لكنه لم يكد يجلس
حتى سمع صوت صراخ مروج آتياً من غرفتها
، فانتفض أمجد واقفاً برعبٍ ، ثم ركض نحو
الباب وهو يهتف بصوت عالٍ منادياً بأسمها بعد
أن تمكن الرعب من قلبه وانقبض صدره :
-مرووووج ، ماذا بكِ...-

وصل إلى غرفتها فوجدها مفتوحة وصوت بكاء
مروج العالي جعله يهجم على الغرفة وهو



يهتف بعصية خائفاً من صراخها وبكاءها

الهستيري :

-ماذا حدث ؟ هل وقعتِ و...-

بُتِرت عبارته حين وقعت عيناه على مروج التي

كانت جالسة على سريرها تخفي وجهها بين

كفيها وفي حجرها هاتفها مفتوحاً على صورة

على ما يبدو..

ارتعب أمجد من بكائها الهستيري وارتعاش

جسدها ، فركض نحوها ، ثم ضمها إلى صدره

وهو يسألها برعبٍ محاولاً السيطرة عليها وهي

تتلوى بين أحضانه :

-ماذا حدث يا مروج ، اهدئي يا مروج ستؤذي

نفسك بهذا الشكل...-



لم تهتم مروج بكلماته وهي تصرخ بهستيرية
ضاربة صدر أمجد بكفيها كي يبتعد عنها لأول
مرة ، لكن أمجد لم يهتم إلى هذه النقطة فخوفه
عليها كان غير طبيعي ، نظر إلى هاتفها
الموجود بحجرها ،

وقتها تخشب جسده وبرقت عيناه وهو يميز
صاحب الصورة...

صاحب الصورة الذي كان يضم امرأة ترتدي
فتساناً أبيضاً بسيطاً إلى صدره مبتسماً ابتسامة
واسعة...

بينما هو فقد كان مرتدياً حلية سوداء عالية...
صاحب الصورة الذي كان يعتبره يوماً شقيقه..
صاحب الصورة الذي أهده يوماً إحدى نجماته
فأطفاها...



صاحب الصورة الذي ذبح شقيقته بسكينٍ ثلم
دون أن يرف له جفن...

صاحب الصورة الذي كان السبب في حادث
شقيقته..

صاحب الصورة كان مالك !

وفوق الصورة عبارة زادت من سكير عينيه
"عقد قران الفنان مالك على الطيبة مي، في
انتظار حفل زفافهما"

شعر أمجد بالدماء تندفع بأوردته وبنار حارقة
اشتعلت بصدرة غضباً...

فابعد مروج عنه ، ثم أمسك وجهها بين كفيه
وهدر ضاغطاً على حروف كلماته :

-لا تبك عليه ، لا تقهري نفسك عليه ، لم أتعب
بتربيتك كي تعلقي حياتك على رجل خائن ،



ليس لديه مبادئ... لا تقهري نفسك ، ارفعي
رأسك كما فعلتِ حينِ غدر بكِ أول مرة ، لن
تقف حياتك عليه ، هل سمعتِ ؟

قال جملته الأخيرة بصوت شبه صارخ واشياً
عن غضبه في هاته اللحظة فعيناه قد ازدادت
قتامة وأحمر وجهه بانفعالٍ ، بينما مروج فقد
كانت تبكي بقهر وهي تهز رأسها رفضاً لا
تصدق..

لا تصدق أنها ارتشفت من نفس الكأس
مرتين...

وفي المرتين كان مذاقه العذاب و الألم الذي
كان ينتهك روحها فتصرخ وجعاً وألماً..
ألم حاد يغزو قلبها في حربٍ لم تكن عادلة
أبداً...

حرب خاضتها دون أن تفهم قوانينها..
دخلتها دون أن تشعر، إلى أن أنغرز سيف
الغدر بظهرها في حركة مباغته لتسقط أرضاً
فاقدة للروح...

لم تقاوم ولم تبدِ أي رد فعل إلى أن أجبرت
نفسها على الصمود ، التحدي..

التمرد حتى على شقيقتها...

لم تكن تعلم أن الحرب لا زالت مستمرة وهي
تتلقى الطعنة الثانية لكن هذه المرة أصابت
الهدف ، أدمت قلبها الذي خمد مكانه وهو ينظر
إلى دماءه...

ينظر إلى روحها التي كانت تصرخ وتبكي
ضاربة قلبها..

خانك حبيبك للمرة الثانية...



رباه...

النار تتأجج داخلها والألم يحتدم...

الألم الذي كان كمنصل خنجر يجرح روحها

بعشوائية فيزداد جنون صراخها في حالة

هستيرية لم يرَها أمجد من قبل...

منظرها أروع أكثر ، فكل ذراعيها اللذين كانتا

تضرب بهما بعشوائية...

بينما قدمها المجررة كانت تحركها بعنفٍ ، فتتأوه

تارة وتصرخ الأخرى وهي تضرب ظهر أمجد

بقوة...

فضمها أمجد أكثر ، ثم هتف بتحشرج :

-اهدئي بالله عليكِ ، لا تفعلي بي وبنفسك

هذا...



أغمضت مروج عينيها بقوة وهي تبكي بصوت
عالٍ حتى بات صوت شهقتها يوخز قلبه دون
رحمة ، فازداد غضبه أكثر وهتف دون تفكير
وهو يضمها إلى صدره أكثر :

-والله لو أتى إليّ راعياً لن يرى طرف منك ،
أقسم بالله لو قبل يداي وقدمي لن أسمح له
بالأقتراب منك مرة أخرى ، لم أتحدث عن عدم
التوافق بينكما في بداية علاقتكما ، لكنني صمت
لأجلك أنتِ ، لكن الآن لن أتركه يجرحك مرة
أخرى...

سكن جسدها فجأة ، وخفت صوت صراخها
حتى بات كعويلٍ...



فزفر أمجد دون صوت وهمّ بالتحدث لكن مروج

سبقته حين هتفت بنبرة باكية وهي تتشبث

بقميص أمجد :

-أنا أتألم يا أمجد ، ساعدني !

-انسه، ألم أقل لك أنكما لم تكنا مناسبين

لبعضكما ، فارق السن الذي يعادل فارق السن

بيني وبينك، حالته واولاده ، وأنت لم تتخطِ

حاجز العشرون سوى من عام..

-بعض الندوب يظل أثرها باقياً حتى الموت يا

أخي !

همست بها مروج وهي تبكي بقهر ، فربت

أمجد على ظهرها بحنو ، ثم قال بحنان :

-لا تقولي هذا يا صغيرة ، لن يحدث ، سيأتي

من يعوضك عن كل هذا...وأنا أثق بهذا ، لكن



مالك ، لم يعد مناسباً لكِ وأنا لن أسلمك له

أبدأ...ذاك الرجل لا أعرفه..

لم ترد مروج عليه بل اغمضت عينيها واسندت

رأسها إلى صدره تبكي بصمت إثر الألم الحارق

الذي أشعل النيران بقلبها...

شعر أمجد بثقل رأسها على صدره ، وبانتظام

انفسها فعلم أنها غفت هرباً من واقعها ،

فوضع أمجد رأسها على وسادتها ، ثم دثرها

جيداً...

همّ بترتيب الفوضى التي فعلتها مروج لكن

صوت وصول رسالة إلى هاتف مروج أوقفه ،

فنظر له بتفكير ، ومن ثم مد كفه ليسحبه ، ثم

ضغط على الرسالة فوجدها من مالك ، لتستعر

عيناها و تلتمعان غضباً..



تسابت مقلته على كلماته التي شعر بها

كحطب يزكي نيران قلبه أكثر

"لقد فعلت ما رأيته صحيحاً يا مروج ، أنا لم

أعد مناسباً لك ، اكتشفت مؤخراً أنني سبب كل

جرح تعرضت له... لا أريد أن أعرف ما هي

نظرتك لي الآن ، لكن ما أريده هو أن نصبح

اصدقاء"

ابتسم أمجد بعصبية، ثم نظر إلى أنحاء الغرفة

في محاولة فاشلة للسيطرة على نفسه، لكن

غضبه دفعه دفعاً لحذف الرسالة وكان شيئاً لم

يكن ، ثم وضع الهاتف على الكومود ، والتفت

ليتابع عمله في ترتيب الغرفة...

وهو يهمس بغضب ناظراً إلى وجه مروج

الشاحب :



-حسابك معي أنا يا مالك ، صمت لك مرة لكن

الآن ، لن أصمت ولن أرحمك !

=====

-أفتحي فمك يا مليكة ، أنت لستِ بطفلة لتفعلني

هذا !

قالها سليم بتعبٍ وهو يمد كفه بالطعام لقم مليكة

، فنظرت مليكة إلى كفه ، ثم نظرت إلى وجهه

الجامد بالرغم من ظهور التعب عليه ، تشعر

بأنه لم يغف عنها بعد..

أشاحت بوجهها ، ثم هتفت بنبرة شبه باكية

متلعثمة :

-لن أكل يا سليم ، فلتخبرني أولاً كيف تعرضت

إلى الحادث...!

زفر سليم بارهاق ، ثم هتف بجمود وهو يقرب
الطعام من فمها أكثر غير قادراً على إدارة
وجهها :

-اضطربت أنفاسي بعد خروجي من هنا ، كان
يجب عليّ الانتظار قبل أن أقرر قيادة السيارة ،
باغتتني سيارة ولم أستطع تفاديها فأنحرفت
بالسيارة حين شعرت أنني على وشك الأغماء ،
فاصطدمت بسيارة مقابلة وحدث الحادث ، هل
ارتحت الآن ؟

-لا لم أرتح يا سليم ، لن أرتاح قبل أن تخبرني
هل عفوت عني ؟، أرجوك رد عليّ ، لا تمارس
هذه السياسة عليّ ، يكفيني الفترة التي أختفيت
بها...



هتفت بها مليكة بعينين دامعتين وشفقتين
مرتجفتين بينما كفيها فقد كادت أن تحطم
أصابعهما ، فرقت عينا سليم لها وانفرجت
شفته ليتهف :

-العفو لن يأتي بهذه السهولة يا مليكة ، وهذا لا
يثبت أنني سأتركك ترحلين ، فكما قولت لك أنتِ
مني وإليّ تهربين يا ابنة عمتي ، وأنا لا يوجد
نية لي لتركك !

انغرست ابتسامة خرقاء على شفتيها وشعرت
بكلماته تهدد روحها وتربت على جروحها
بحنو ، سعادة اندفعت بأوردتها فجأة كما
انسحبت فجأة حين سألته بتردد :
-وهل يوجد لديك نية للعفو ؟



ابتسم سليم ابتسامة باهتة ، ثم أقحم اللقمة

بفمها قسراً ، وهو يقول ساخراً :

-لا تتهيني عن أمر أنتِ تفعلين أبشع منه ،

دعيني أسألك ، هل لديك نية لترك أقراص منع

الحمل ؟

بهتت ملامحها وشعرت بالطعام كأنه غصة

شطرت حلقها إلى نصفين ، فسقطت دموعها

وارتعش جسدها وهي تطرق برأسها أرضاً ،

فأجاب سليم بدلاً منها :

-سأجيبك أنا ، لا ، ليس لديك أي نية

لتركه.. وهذا يدل على شيءٍ آخر أنك لم تحبيني

بعد ، فلا يوجد امرأة تحب زوجها وتفعل ما

تفعله...



أجفلت مليكة من حديثه القاسي ، وانتفض قلبها
ثائراً رافضاً أن يظنها لم تحبه بعد ، فانفجرت
شفتاها بعد أن أعلن عقلها الأفراج على كلماتها
، لكن سليم سبقها حين رفع كفه في وجهها كي
لا تتحدث ، ثم بدأ في أطعامها بصمتٍ فنظرت
إلى وجهه بعينيها الدامعتين ، شاعرة بقلبها
يبكي حزناً ، وبأذنيها تكذب نفسها حين توهمت
أنها سمعته يهمس بأذنها أثناء نومها
"يوما ما سترحلين ، وأنا أثق بهذا "
تلك الجملة تعتبر الجملة الوحيدة التي سمعتها
بوضوح وتركت بداخلها أثراً عميقاً...
مما جعلها تكتفي بهذا القدر من الطعام غير
قادرة على تحمل نظراته العاتبة وعينيه



الغاضبتين بمزيج من الألم والعتاب ، فألقت
نفسها على صدره كي تحمي نفسها به..
فلتنعم بعناقه والنوم على صدره الآن فالأيام
السابقة كانت صعبة بشكلٍ غريب.
مرغت رأسها بصدره ، ثم همست بنبرة
مرتعشة :
-أسفة..

لكن سليم لم يجب عليها ، وكأنه لم يسمع أي
شيء ، فأخفت وجهها أكثر بعد أن أدركت عمق
حزنه وعتابه لها..

كلمة واحدة لو قالتها ستمحي كل هذا...
كلمها تبث بها حقيقة حبها له..
لكن عقلها سخر منها قائلاً "لن يكون هذا
بالشيء الرائع "



ولماذا لن يكون هذا بالشيء الرائع؟..

لا تعرف

=====

- هذا عيب يا ابنة صبا ، هل أمك هي من

ألبستك هذا الفستان الوقح...

قالها مروان وهو ينظر إلى جميلة التي كانت

تقف على قدميها المكتنزتين الظاهرتين من

فستانها القصير...

صدر من جميلة صوت فكا هي وهي تصفق

بكفيها وتهز وسطها بطفولية ، فضحك مروان

وهتف :

-وما معنى هذه الحركة بالضبط يا ابنة صبا ،

ترقصين ! ، ليت أمك هي من تقف أمامي الآن



مرتدية هذا الفستان القصير...للغاية ،

وتتراقص أمامي....

أبتسم مروان لجمال التمني وهو يغمض عينيه

متخيلاً صبا بفستانٍ قصير تتراقص أمامه كما

فعلت جميلة...

شعر مروان بفراشات السعادة تطير بسماء

روحه ، فاتسعت ابتسامته ، ثم لم يلبث أن فتح

عينيه على وسعهما حين هتفت جميلة وهي

تصفق بكفيها بفرحة :

-ماما...

ضاقت عينا مروان لاعناً لسانه الذي صرح

بأمنيته علناً..

ثم التفت مروان إلى صبا فوجدها واقفة عند

باب الغرفة محتقنة الوجه ، وكما لاحظت خضبت



وجنتاها بحمرة خجل ، فعلم مروان أنها

سمعتة..

حمم بتوتر ، ثم هتف بعصية مصطنعة :

-إلى أين ستأخذين جميلة بهذا الفستان الوقح !

ازدردت صبا ريقها بصعوبة ، ثم أطرقت

برأسها أرضاً وهي تعدل فستانها البسيط

وهتفت بتلعثم:

-سأذهب لوالتك كي أطمئن عليها...

أقترب مروان منها وهو يجوب بعينه على

فستانها البسيط ، ثم وقف أمامها وقال مماًزحاً

وهو يداعب وجنتها:

-ما سر تلك الملابس الرائعة يا زوجتي ،

أتريدين نيل إعجاب أمي بملابسك ، أم تريدين

أبهاري أنا مثلاً !



ازداد أحمرار وجنتاها ، وشعرت بالكلمات
تذوب على شفثيها ، فتراجعت خطوتين إلى
الخلف وهي تحدث جميلة متهربة من سؤاله :
-هيا يا جميلة...

لم يسمح لها بالتهرب ، حتى لو سألتها بطريقة
ثانية..

لا لم يكن سؤالاً هو في الحقيقة كان كعصا
ضربت رأسها فجأة حين هتف مروان بغموض
:

-ألم تتحرك مشاعرك نحوي !

شحب وجه صبا وشعرت بشيء يلکم قلبها فجأة
، شاعرة بقلبها ينظر إلى مروان مصدوماً من
سؤاله الذي كانت تخشى أن تسأله لنفسها ،
فانفرجت شفثاها وهتفت بتلعثم :



-لا أعراف !

أوما مروان برأسه دون هدف و التمتع عيناه
بأحباط وهو يلتفت ليحمل جميلة ، ثم مر بجوار
صبا التي كانت تنظر إلى تحركاته بعينين
حزينتين..

هتف مروان وهو يبتسم لها بصدق وكأنه لم
يسألها منذ دقائق عن حقيقة مشاعرهما فكان
ردها محبطاً له :

-لا داعي للذهاب إلى أمي سأمر عليها ، ثم
سأخرج أنا وجميلة..

أقرب من وجنتها ليطلع قبلة حانية على
وجنتها ، ثم خرج وأغلق الباب خلفه...
فنظرت صبا إلى طيفه بعينين حزينتين ، شاعرة
بالحزن لأجله...



همست بنبرة شبه باكية :

-ليتني أدرك حقيقة مشاعري ، لم أكن لأصمت

!

=====

الفصل العشرون

=====



نظرت له بظرفِ عينيها وهو يلملم ملابسه دون
أن يطلب منها مساعدة، فابتسمت خلسة بحزن
وهي تفرك أصابعها بتوترٍ كبير...

لا تجرأ على إلقاء سؤال بسيط لتستفسر عن
وجهته بالضبط بعد مرور عدة أيام منذ عودته!
سحابة من الحزن لم تتوقف عن الأمطار حتى
هاته اللحظة!

لم تتصور أن الصدع الذي أحدثته بنفسها
أصبح رأبه مستحيلاً وهذا ما تراه!

سليم لم يعد كما كان!

تغير...ربما!

لا ليس ربما، هو تغير بالفعل، شيء بداخله
أنطفئ حتى لو كانت روحه لم تعرف النور!
لكنها تشعر بأنه أنطفئ وهي السبب!



كانت وبكل صراحة ترى حبه لها يتوهج بعينيه
الشتويتين، لكن الآن أنطفئ الوهج وانمحي
البريق من عينيه اللتين باتتا تنظران لها
بعتاب!

لن تنكر أنها أقدمت على تصرفاتٍ لن يتقبلها
رجل مكانه، وبالإضافة إلى ذلك، جمالها الغير
موجود من الأساس..

لم يرها أحد مثلاً للجمال بعينيه، بل كانت دائماً
مثلاً للبساطة...

تسخر منها هذه وتمزح معها تلك بأنها من
المفترض أن تكون أكثر جمالاً مما هي عليه،
فجمالها مقارنةً بجمال داليا والدتها لا يقارن،
فداليا جميلة بشكلٍ يخطف الأنفاس!
وكم أحزنها هذا!



لكن هو ، هدهد روحها المترددة ، و بدد

أنوثتها المنقوصة !

لن تتكر أن نظرته لها دائما كانت تعيد لها بعضاً

من ثقة لم تكن موجودة من الأساس !

ابتسامته ثم همسة ، ثم قبلة شغوفة تخبرها على

استحياء أنها أجمل النساء بعينيه ، لكنها كانت

تغطي أذنيها رافضة السماع ، تغض عينيها

كي لا ترى !

أدركت بعد فوات الآوان بأن سليم بكل عيوبه،

يحبها ويعاملها وكأنها ملكة..

ملكة على عرش قلبٍ كانت تظنه لم يعرف شيئاً

يسمى الحب...



أخطأت تعترف ، لكن هو لا يريد أعرافها ،
أخبرها بكل صراحة أن اعترافها لن يجدي نفعاً
، فماذا يريد إذن؟

أغمضت مليكة عينيها بقوة وهي تغطي فمها
بكفيها كي تتحكم في خوفها من فكرة إبتعاده
مرة أخرى ، فظهر على وجهها وكأنها تتألم...
لمحها سليم بطرف عينيه فهتف بصوت أجش
وهو يغلق حقيبته ببطء :

-ماذا بك؟ هل يؤلمك شيء!

"نعم.. أنت"

ودت لو تصرخ بها بجنون يماثل جنون فوضى
المشاعر التي عاثت بروحها فساداً!



ودت لو تصرخ بوجهه بكل كلمة تجيش
بصدرها لعلها ترتاح من خوفها ، من قلقها ،
من حبها له !

حبها له أصبح داءاً ليس له علاج!

ألم المرض يزداد كلما أشتد بها !

الأنات تزداد والجروح تتكاثر بداخل قلب بكرٍ لم
يدخله سواه ، كان هو أول رجل بكل شيء... كل
شيء ، كان سليم !

سحبت مليكة نفساً عميقاً دون ان تفتح عينيها،
ثم هتفت بصوتٍ متقطع بعد أن أبعدت كفيها عن
فمها :

-إلى...إلى أين ستذهب ؟

انعقد حاجبا سليم بتوجس ، وضافت عيناه وهو

ينظر إلى رأسها المحني وكفيها المنقبضتين



بقوة، فالتوت شفتاه بشبه ابتسامة باهتة ، ثم
تحرك بقدمين حافيتين فوق البساط فلم تسمع
صوت قدميه لتزيد من أغماض عينيها ظناً منها
بأنه تجاهل سؤالها، ثم لم تلبث أن شهقت
شهقة صغيرة مجفلة حين أحتضن كف سليم
الخشن كفها الصغير ، ففتحت عينيها بسرعة
تمائل سرعة دقات قلبها الذي كان يتراقص
فرحاً..

نظرت مليكة إلى كفه بعينين غائمتين ، ثم
رفعت عينيها له وهتفت بصوت متحشرج
محاربة غصتها :

-ما معنى هذا بالضبط ؟ ، هل ستتخلى عني!



-من قال هذا ، أنا؟؟...أنسيتِ يومِ قولتُ لكِ
أنني لن أسمح لكِ بالهرب أو بالإبتعاد ولكن أن
أردتِ سيختلف الأمر !

هتف بها سليم وهو يحرك إبهامة بحنانٍ على
ظاهر كفها ، يبتسم لها ابتسامة لم تسعدها ،
فابتسامته كانت باهتة ، مفتعلة وكأنه يغضب
نفسه غصباً ليبتسم ، فانحنت عيناها ألماً ، ثم
هتفت باختناق وهو تشير بذقنها إلى الحقيقة :
-هل ستسافر ؟

اتسعت ابتسامة سليم بشكلٍ زادها ندماً وحرناً ،
ثم مال نحوها وهتف بثباتٍ ، وهو يسحب كفه
بيطءٍ :

-نعم يا مليكة ، لكن مع تعقيب صغير ، ستأتين
معي وقبل أن تسألي إلى أين ، سنذهب إلى



مروان ، سنقضي يومين هناك ثم سنعود إلى

البلدة مرة أخرى !

شعرت مليكة بصقيع يدب بجسدها فجأة حين

أبعد سليم كفه وكأنه كان يحتضن جسدها

بأكمله وليس كفها فقط !، وهذا لم يزد لها إلى

حزناً وهي تشيح بوجهها تزامناً مع هتافها

باختناق أكثر :

-أذهب أنت ، أنا لن آتي معك إلى مكانٍ لا

أعرف به أحد !

نظر سليم إلى جانب وجهها بعينين غائرتين

مدققاً بملامحها الحزينة ، يتأمل ثغرها،

وعينيها حبيبتاه اللتين كانتا ترجوه أن

يسامحها ، وجهها الذي جفت الدماء به وأصبح



كصحراء لا تصلح للزراعة...حزينة ، لكنها

جميلة بالرغم من كل شيء...

بالرغم من ألمه ، حزنه وغضبه منها ، لكن

جمالها لم يقل بعينيه...

لاحظ سليم كفها يرتفع لتمسح وجنتها في حركة

خاطفة، فانعقد حاجباه باستغراب، ثم لم يلبث أن

أعتدل في جلسته ، ثم أقرب منها ليدير وجهها

له ، فوجد عينيها ممتلئتين بالدموع ، ليهتف

بقلق لم يستطع إخفائه وهو يحتضن وجهها

بين كفيه :

-لماذا تبكين ؟ ، هل أزعجك أحدٌ؟..

هزت مليكة رأسها بعدم تركيز ، ثم أغمضت

عينيها بقوة وهي تهتف بصوتٍ شبةً باكٍ :



-أنا ، أنا لم أعد أتحمّل ! ، أعلم أن خطأي لن
ينمحي بتريرٍ قولته لك ، لم أعد أتحمّل أبتعادك
بهذا الشكل ، فرضت نفسك عليّ حتى صرت
جزء لا يتجزأ منها ! ، نعم ، لقد صرت جزء لن
يتجزأ من نفسي ، لكنني لم أدرك هذا سوى
مؤخراً ، بعد فوات الآوان ، لكن الفرصة لا
زالت أمامي ، بكيثُ ندماً وتألّمت ولا زالت..
أخبرني فقط ما هو الطريق الذي يجب عليّ أن
أسلكه كي أثبت لك أنني آسفة حقاً ، أرجوك لم
أعد أتحمّل !

اختلج فكه وهو يتأمل ملامحها بعينيه القاتمتن
، يجوب بهما على ملامحها الحزينة بسرعة
قياسية وكأنه يحفظ خطوط وجهها ، يربت على



وجنتها بحنانٍ يناقض نبرته التي كانت تحمل
شيء من العنف بالرغم من روعة كلماته :
ليس أمامنا سوى طريقٍ واضحاً ، أن نبدأ
صفحة جديدة ، أي طريقٍ آخر لمسار علاقتنا
لن يزيدنا سوى ألماً... عذراً مني ، فالففو ليس
بيدي أقسم لك....

لم أقولها لك من قبل بشكلٍ صريح ، لكن الآن
سأقولها لأنها لا تنفي حزني وغضبي منك ، أنا
أحبك ، أحبك منذ كنتِ شابةً مراهقةً أراقبك
دائماً ، كنتِ تحت حمايتي دائماً ، أراقبك من
بعيد دون أن تشعرني بشيء ، مرة وراء مرة
وأنا أتعلق بك أكثر ، أكنتِ تتخيلين أن يتعلق بك
شاب في بداية نضجة وأنتِ مجرد مراهقة ، أن
يكبر وحبك بداخله يزداد أكثر من مجرد نظرات



خاطفة ، أن يصبح حبك عشقاً أسطورياً داخله
؟ ، أن أبذل ما بوسعي كي أتزوجك ، كنت
تزعمين أنني ظلمتك بطريقة زواجي منك، لكن
أنا لم أر نفسي سوى رجل كان يريد امرأة
بعينها وحين سنحت له الفرصة اغتتمها!...
أنا لا أريد أن أكون بنظرك مجرد رجل ، أنا أريد
أن أكون رجلك ، رجلك أنتِ !

رجلك أنتِ!

ومن قال أنه غير ذلك ، من قال أنه بنظرها

مجرد رجل !

هو بنظرها الدرع الواقي الذي يحميها من

نفسها !



وهذا ايضاً أدركته مؤخراً، سليم لم يكن سوى
رجل سعى ليحصل على حب عمره ، على من
صاح قلبه مطالباً بها، فاستجاب له و تزوجها !
نظرت مليكة إلى عينيه بعينين دامعتين،
وشفتين ارتعشتا كما جسدها الذي كان يرتعش
بوضوح فاضحاً مشاعرها المضطربة بينما
رفت بعينيها كي تتحكم بدموعها ، فانخفض
كف سليم ببطءٍ ليحرك كفه صعوداً ونزولاً على
ظهرها كي يهدأ من ارتجافها ، وانغرست
ابتسامة حقيقة على شفتيه وهو يهز رأسه لها
محفزاً كي تتحدث ، فانفجرت شفتاها وحلت قيد
كلماتها لتبدأ في التحدث دون أن تحيد بعينيها
عن عينيه :



- فلنبداً صفحة جديد ، دون ضغوط، دون أن
ننظر إلى الخلف، فلنبداً أنا أريد أن ابدأ ، أريد
أن أشعر بالسكينة وهذا لن يحدث إلا بتحقيق
هذه الخطوة !

اتسعت ابتسامته، وربت كفه بحنان على ظهرها
، ثم هتف وهو ينظر إلى عمق عينيها ضاغطاً
على كل حرفٍ :

- وأنا موافق !

ومن ثم انتصب واقفاً دون أن يترك معصمها ،
فقامت هي الأخرى وهي تنظر له بعدم فهم ،
فابتسم لها وهو يجرها خلفه ...

كففت دموعها بظاهر كفها وهي تهوول خلفه
كي توأكب خطواته السريعة شاعرة بوجيب
دقتها يرتفع أكثر وأكثر وهي تنظر إلى ظهره



بعينين مبتسمتين ، ثم نظرت إلى مرفقها الذي
كان يقيده بكفه السليم فابتسم ثغرها وأحمرت
وجنتاها قليلاً شاعرة بروحها تعود إليها مرة
أخرى...

وقف سليم أمام طاولة الزينة، ثم ترك مرفقها
مرغماً وهو يبتسم لها بهدوء، فبادلته
الابتسامة بمثلها بالرغم من الدمع الندي الذي
ظهر في عينيها، التفت سليم إلى الطاولة ليلتقط
فراشها من على الطاولة !

فاتسعت مقلتاها وازداد أحمرار وجنتاها وهي
تطلع إلى كفه الممسك بالفراشة، فانفلتت منها
ابتسامة خرقاء وهي تقول بتلعثم :

-ماذا ستفعل؟؟-



-سأمشط لكِ شعرك ، اشتقت لملمسه على

أصابعي !

هتف بها سليم وهو يلوح بالفرشاة بابتسامة
حقيقية، فرمشت بعينيها وهي تبتمس ابتسامة
جذلة، بينما شفتاها فقد كانتا ترتجفان لكن هذه
المرّة من فرط السعادة التي كانت تحتل سماء
روحها...

جذبها سليم نحو الفراش وجلس هو قبلها ،
فنظرت إليه بانتظار ، لتجد نفسها تجلس بين
قدميه كطفلة صغيرة مطيعة...

فك سليم عقدة شعرها التي كانت تعقده
بعشوائية، ثم وضعها جانباً، فتهتت مليكة
براحة ، ثم أغمضت عينيها المقترحتين، بينما



بدأ سليم في تمشيط شعرها برقة وهو يهتف

بصوتٍ أجش :

-لماذا قصصتِ شعركِ ؟ ، أتذكر جيداً أنكِ كنتِ

تمتلكين شعرا طويلا جدا أسود كسواد الليل !

هتفت مليكة بصوت خفيض وهي تطرق برأسها

قليلًا لتتظر إلى قدميها المحتميتين بدرع قدميه

:

-أبي ، أمرني بأن أقصه ففعلت !

-لم؟

هتف بها سليم بقليل من الانفعال وهو يمشط

شعرها برفقٍ تارة ، وتارة الأخرى تحتل

أصابعه مكان الفرشاة لتتخلل نعومته، بينما

أجابت مليكة :



-لأنه لا يحب الشعر الطويل كان كلما نظر إلى

شعري قال ليّ أنه لا يحب طوله !

انعقد حاجبا سليم بعدم رضا ، وهتف بنفس

النبرة :

-ليس مبرراً قوياً لأن تقصي شعرك يا مليكة ! ،

في كلا الحالتين أريد أن أمركِ أمراً بالألا تقتربي

من شعرك مرة أخرى فهذا أيضاً من ممتلكاتي !

ضحكت مليكة بصوت مسموع وهي تعض على

شفتيها بينما تألقت عيناها ببريقٍ خاطف لو كان

رآه سليم لكان سامحها على كل فعلٍ فعلته ،

نظراتها كانت كمن وجد ضالته بعد طول

عناء....

ضمها سليم إليه برفقٍ ، ثم همس بأذنيها بعد

أن انتهى من تمشيط شعرها :



-ستسافرين معي أليس كذلك؟؟

أومأت برأسها وهي تستند بظهرها إلى صدره ،
ثم قالت بنبرة رسمت ابتسامة كاملة على شفتي

سليم :

-نعم سأسافر معك، فأنا ليس لي سواك !
وماذا كان يريد بعد جملتها التي ربتت على
جرح رجولته ، احتضنت قلبه المتلهف لها !
فانخفضت شفتاه لتقبل عنقها ، لتميل برأسها
إلى الإتجاه المعاكس وهي تغمض عينيها ،
بينما هو فقد كان يتذوق حلاوة قبلاها كأول
يوم سلمت شفتاه عليها ، وكان الوضع مماثل
لما هما به الآن !
نفس الجلسة !



نفس المشاعر وإن كانت مشاعر مليكة البادية
عليها أضفت لتلك اللحظة لمسة جميلة !
قبلة رقيقة على عنقها، تبعثها قبلة رقيقة بين
خصلات شعرها الناعم كما قبلته، ومن ثم
انقضاض على شفيتها بعد أن أدارها له !
فسلمت له... كما سلم لها !
رحبت به شاكرة !
ورحب بها هو متهداً بعد طول عناء !

=====
-ماذا تفعلين يا بنت ؟-

قالتها أم إبراهيم وهي تربت على كتف صبا
بشيءٍ من العنف، فشهقت صبا مجفلة وهي
تنتفض لتستقيم واقفة بعد أن كانت جاثية أرضاً
تحيك إحدى عبايات والدة مروان..



نظرت أم إبراهيم إلى وجه صبا الممتقع،
وارتجافها فضاقت عيناها تفحصاً وهي تمنع
النظر بها بعدم راحة ، قبل أن تجذب العباءة من
بين كفيها بعنفٍ ليؤخذ سن الإبرة أصبع
صبا...

فتأوهت صبا بخفوت وهي تدلك أصبعها برفقٍ
عاقدة حاجبها بألم...

فالتوت شفتا أم إبراهيم وهتفت وهي تسند
ذقنها إلى سبابتها :

-سلامتك يا عيوني ، هل ألمك سن الإبرة؟!
نظرت صبا إلى أم إبراهيم نظرة غريبة وبرقت
عيناها، فرفعت أم إبراهيم حاجبها بتوجس
وهي تتراجع إلى الخلف ، بينما صبا فقد
انفرجت شفتاها لتهتف بشيءٍ من الجزم :



-أنا لا أحب هذه الطريقة التي تمتلكها بعض

النساء حين يجلسن أمام الأبواب ذات

التخصص الواحد، وهو الذي بالطبع السخرية

الممزوجة "بالنم"!

ازداد ارتفاع حاجب أم إبراهيم حتى كاد أن

يصافح مقدمة رأسها، وامتقع وجهها جراء

تقريع صبا ، فنظرت صبا لها بتحدٍ مستحدث،

ورفعت ذقنها بشموخ، ثم مرت بجوار أم

إبراهيم التي كانت تحت تأثير الصدمة وهي

تنظر إلى الأمام، فابتسمت صبا وهي تسحب

العباءة مرة أخرى بسهولة، ومن ثم استكملت

طريقها نحو الغرفة ...

استدارت أم إبراهيم لتتنظر إلى ظهر صبا بغيظٍ،

تزامناً مع هتافها من بين أسنانها بصوتٍ



مسموع دون أن تنتبه إلى مروان الذي كان
يتابع الحوار منذ البداية مختبأ بزاوية غير
مرئية:

-آه يا مدللة مروان، أقسم بالله لأخرب بيتك
بيدي...وهل يجد أحدٌ دلالة ولا يتدلل، سامحك
الله يا مروان، لو لم تكن لين معها لم تكن
لتدلل بهذه الطريقة...

-رائع يا أم إبراهيم رائع، ماذا ينقص لتقوليه،
أنني أتدلل أنا الآخر...زوجتي وأدللها ما شأنك
أنت بالضبط!

هتف بها مروان بصوتٍ منفعل وهو يقف خلفها
مباشرة، فصرخت أم إبراهيم بفرع وهي تلتفت
له بسرعة مجفلة، فوجدت مروان ينظر لها
بعينين متفحصتين مشتعلتين، قبل أن يقترب



منها خطوة ليهتف بتأكيد وهو يلوح بسبابته

محذراً :

-إلا صبا يا أم إبراهيم، إلا صبا...لن أسمح لأحد

بأن يجرحها بكلمة، هل هذا واضح أم أكبر لك

بأذنك !

اشتعلت عينا أم إبراهيم ، وظهر الرفض جلياً

على ملامحها، فعقد مروان ساعديه منتظراً

ردها الذي أتى عنيفاً بالرغم من صوتها

الخفيض كي لا تسمعهما والدة مروان :

-ثانية، لقد أخذتني زوجتك على غفلة

وأخرجتني فلم أتدارك، أما أنت فعفوا يا نور

عيني ، هل تحذرنني يا مروان ؟

صمتت لوهلة ، ثم حممت لتهتف بصوتٍ

غليظ وهي تعيد جملة مرة أخرى :



- "إلا صبا"... أقسم بالله لم أكذب حين قولت

أنها مدلتك !

-زوجتي تتدل علي كما تشاء وأدللها أنا كما

أشاء، فهي زوجتي !

هتف بها مروان وهو يهز كتفيه ببساطة

مبتسماً ابتسامة حقيقة، فهتفت أم إبراهيم

بتهور غير مدركة بأي شيء تفوهت :

-ماذا تقول يا ابني، ألم يكفك مرض أمك

بسببها، هل يوجد رجل يتزوج من امرأة لا يعلم

ماذا حدث لها أثناء احتجاز شقيق زوجها لها!!

تجمدت الابتسامة على شفتي مروان،

واستعرت عيناه بشكلٍ أروع أم إبراهيم التي

عضت لسانها لآعنة غيابها...

بينما مروان فقد شعر بالغضب يتفاقم بداخله
وشعوره بالغيرة يزداد أكثر، فصدح صوته
بصوتٍ عالٍ أجفل أم إبراهيم التي امتقع وجهها
بشكلٍ مثير للشفقة :

-لا أريد أن أسمع مثل هذه الترهات مرة أخرى
هل سمعتِ أم لا !

خرجت صبا من إحدى الغرف مهرولة إثر
صراخ مروان الذي بث بداخلها قلق جعلها
تركض للخارج فوجدت مروان ينظر إلى أم
إبراهيم بغضبٍ، فعقدت حاجبيها بتوجس
وتحركت نحو مروان الذي ما أن رآها حتى
استدار ليخرج من الشقة بأكملها، فخرجت
خلفه وهي تحاول ضبط حجابها على شعرها
بإحكام إلى أن وصلا إلى شقتهما، ففتح مروان



الشقة وترك بابها مفتوحاً، لتدخل صبا وتغلقه

خلفها بهدوء...

لم ينظر مروان لها، بل دخل إلى غرفتهما،

فلحقت صبا به بعد أن وضعت حجابها على

ذراع الكرسي باهمال وهي تنظر إلى ظهر

مروان بقلق تغلب عليها فتبعته إلى الغرفة

وأغلقت الباب خلفها...

جلس مروان على طرف الفراش، ثم أطرق

برأسه أرضاً وهو يتنفس بصوتٍ مسموع

وأشياً عن مدى غضبه...

فلم تنتظر منه أن يتحدث، لتهتف بتساؤل وهي

تجتو على ركبتيها أمامه :



-ماذا حدث؟، وما سبب صراخك بوجه
المرأة...لماذا يا مروان...لم أعهدك عصبي إلى
هذا الحد...

رفع مروان عينيه إليها فهالها احمرارهما،
فعلت أن سبب غضبه سبباً ليس بالسهل أبداً
وعلى الأرجح هي السبب الرئيسي....
وهذا الخاطر جعلها ترتبك قليلاً ويظهر الخوف
على ملامحها بسهولة، فزفر مروان بتعبٍ، قبل
أن يرفع يده ليتلمس شعرها برفقٍ يناقض قتامة
ملامحه واشتعال عيناه، لكنها شعرت بالراحة
تغزو قلبها حين ربت على شعرها برفقٍ وهتف
بصوت ثابت دون أي أنفعالٍ كي لا يرهبها :



- لا تهتمي يا صبا، لم أستطع السيطرة على
أعصابي فصرخت بوجهها دون أي إعتبار
لفارق السن بيننا، سأذهب لأعذر لها !
هم بأبعاد يده كي ينفذ كلامه، لكن صبا لم تسمح
له فقامت بسرعة لتجلس بجواره، ثم أمسكت
كفيه بكفيها وهتفت بجراءة بعد أن تمكنت من
جمع شتات نفسها :

- أعلم أنني السبب يا مروان، لذا فأنا آسفة،
آسفة لما تعرضت له بسببي وما حدث لوالدتك،
يمكنك التخلي عني و..

بُتِرَت عبارتها حين استدار مروان لها بكامل
جسده بعنفٍ، ثم هتف بعنفٍ وهو يضغط على
أسنانه بقوة :



-اخرسي !، ما هذه الترهات التي تفوهت بها
للتو...لا فراق بيننا سوى الموت هل سمعتِ أم
لا؟؟

كان عنيفاً في تحذيره ، غاضباً من كلماتها التي
كانت كأفعى لدغته فصرخ بوجهها مطالباً إياها
بأن تصمت، فصمتت..

صمتت وهي تحارب تلك الابتسامة التي كانت
تريد الظهور على شفيتها في موقفٍ غير
مناسب بالمرّة!

لكنها في النهاية فشلت، فابتسمت ابتسامة
خرقاء ، فكلمات مروان عاثت بروحها فساداً ،
لتطير عصافير روحها في سماء وردية لونها
مروان نفسه!

نظف جروحها المتقيحة بنفسه!

اتسعت عينا مروان مبهوتاً من ابتسامتها غير
متداركاً بأن ثغره خانه وابتسم متجاوباً مع
ابتسامتها...

فخانتة شفتاه خيانة أجمل، حين مال نحوها في
لحظة خاطفة ليحتكر شفيتها تحت سلطة
شفتيه، فاتسعت عيناها لأول وهلة قبل أن تحمر
وجنتاها بخجلٍ وهي تتشبث بقميصه القطني
بكفين مرتعشين...

بينما مروان فلم يكن يشعر بشيء وهو ينهل
من شفيتها، ويعبث بازرار فستانها الأمامية فلم

تعترض!!

فتجراً أكثر..

وقتها...

شعر بجسدها يرتجف وبعينيها تلمعان بدمع

رفضت أن يسقط على وجنتيها..

فابتعد مروان عنها قليلا وهو يهمس لها

بصوت مبجوح مستفسراً :

-هل أخرج؟؟-

هزت صبا رأسها بإشارة لم يفهمها، لكنه فهم

الخوف الذي كانت تشعر به بالرغم من مرور

مدة لا بأس بها بينهما...لكنها تمتك عذر يجعله

يصبر عليها...

فهو ليس حيواناً يلهث وراء شهوته فيأخذ ما

يريده منها دون أن يلتفت لما تعانيه روحها من

ندوب يجب أن يعالجها أولاً قبل أن يفكر بخطوة

كتلك تهفو روحه لها قبل جسده..

لكنه سينتظر!



يجب عليه أن ينتظر...

لذا فابتعد مروان عنها ببطء، ثم وقف وهو

يقول بصوتٍ متحشرج :

-سأبدل ملابسي قبل أن آتي لنام، فالوقت

تأخر...

أومات صبا برأسها دون هدى، وهي تتحاشى

النظر إلى عينيه خجلاً وحرصاً، فابتسم مروان

لها، ثم أخذ ملابسه وولج إلى الحمام...

أعدلت صبا في جلستها وهي تهندهم ملابسه

التي عاث بها مروان فاسداً ومست شفتيها

بإحدى سبابتها بارتعاش. شاعرة بوجيب دقتها

يرتفع، وبصوت انفاسها يتحول إلى شهقات...



فانتفضت واقفة وخرجت من الغرفة بأكملها
متجهة إلى غرفة جميلة كي تطمئن عليها أثناء
نومها...

كانت ستتجاوب معه!!

كانت ستقبل به لو كان أنتظر قليلاً...

أطرقت صبا برأسها وهي تهمس بعدم تركيز :

-كنت سأقبل به لو كان أنتظر قليلاً!

رمشت بعينيها عدة مرات وهي تفتح باب غرفة

جميلة ثم مدت رأسها كي تتأملها فوجدتها نائمة

في سلام بعد أن جلبها مروان إلى الشقة حين

غفت عند والدته التي ذهبت إليها غصباً بالرغم

من توضيحه لها مرة تلو الأخرى بأن ذهابها

هناك ليس له أي فائدة!

لكنها ذهبت فهي والدة مروان...



والسر هنا... يكمن في "مروان"!

مروان.. وأين ابتسامتها حين يغيب مروان!
ابتسمت صبا بارتباكٍ وهي تتأمل جميلة بعينين
احتلتها بريقٍ من نوع آخر..
فوضى مشاعر ما تشعر به الآن فوضى مشاعر
تشبه الدوامة تدور بها وتدور حتى كادت
تبتلعها...

عادت صبا إلى بهو الشقة لتجلس على الأريكة
إلى أن يخرج مروان...
تفكر بمشاعرها المضطربة تبتسم تارة... وتمس
شفتيها بتردد تارة أخرى إلى أن تعالى صوت
وصول رسالة... فتعلقت عيناها بهاتف مروان
الذي تركه على الطاولة...



ترددت قليلا وهي تنظر إلى الهاتف وكأنه
وحش مخيف.. وبالرغم من ذلك دفعها فضولها
ففتحت الرسالة...

واحد..

اثنان..

وبهتت ملامحها وامتقع وجهها...
بينما دقائق قلبها التي كانت تتراقص
الآن.....سكنت...

وتعالى صوت صفير مزعج بأذنها، فرفت
بعينيها كي تتأكد مما رآته، وكانت النتيجة مثل
سابقته...

رسالة كانت كدلو من الماء البارد سكب عليها
فجأة؛ فذب الصقيع بأوردتها!

=====



"أهلا بالفارس "مروان"... لا تتعجب كثيراً من
اللقب الذي منحك إياه ، فمن مثلك لا يليق به
سوى هذا اللقب، وقبل أن ترهق تفكيرك
بهويتي...أنا هاني الأجدب الذي قمت بسرقة
اشيائه الخاصة...أولهم صبا...وآخرهم
غادة...وللمرة الثانية سأقول لك لا تتعجب..لقد
علمت بما فعله...أتظن أن دعمك لغادة لتحصل
على طلاقها مني سيؤثر بيّ؟، لا تترك العنان
لخيالك كثيراً يا ابن الأميرية، فكما سرقتهما
سأسرق الأقرب إلى قلبك لأحطمه..سأسرقها
أمام عينيك...ولا أقصد سوى صبا...
أما أنتَ فلن أكتفي بكسر قلبك...
سأقتلك يا ابن الأميرية...



ملحوظة صغيرة يا... مروان "مذاق شفتي صبا
كالفراولة.. صراحة ليس شفتيها فقط... هنيئاً لك

”

ارتعد جسدها الهش بشكلٍ مثير للشفقة ، بينما
ارتعشت شفاتها بقوة وهي ترمش بعينيها
بسرعة..

شحب وجهها حتى حاكى وجوه الموتى ،
وارتفع صوت أنفاسها تزامناً مع دموعها التي
تسابت على وجنتيها لتحرقها حرقاً..
خوف عصف بروحها المرتجفة خوفاً من
الماضي...

وقلبها الغاضب حد الجنون...
وعقلها الذي تسمر مكانه غير متداركاً بعد
مكنون كلمات ذاك الحقيير..



قال أنها الأقرب إلى قلبه...

قال أنه... أنه سرق زوجته!

قال أن مروان يدعم عادة... يساعدها!

أشتعلت عيناها بجذوة غضب لثوانٍ أو هكذا

تظن..

ثم أنكسرت عيناها بشكلٍ مخزٍ حين صفع عقلها

قلبها بقوة دافعاً جملة هاني الآخيرة بوجهها

وكانه يلقيها بوجه قلبها الذي كان يشعر بالغيرة

على ممتلكاته... لتخمد نيران غيرتها وتشتعل

نيران خيبتها وخوفها...

جملته الحقيرة التي لا تدل سوى على حقارته

قتلتها قتلاً...

يا إلهي..

لماذا؟



لقد نسيت تلك الفترة القذرة وتابعت حياتي بكل

إصرار...

"مذاق شفتي صبا كالفراولة، صراحة ليس

شفتيها فقط... هنيئاً لك"

تلك الجملة التي سحبت الدماء من وجهها

ودفعت الصقيع بأوردتها مما جعلها تشهق

شهقة كبيرة وتخفي وجهها بين كفيها...

فلم تشعر بمروان وهو يهرول نحوها مفزوعاً

من حالتها الغريبة ظناً منه أنه السبب...

فجثا على ركبتيه أمامها ، ثم هتف بجزع وهو

يحاول أبعاد كفيها عن وجهها :

-صبا... حبيبتي ماذا أصابك؟ ، ردي عليّ

أرجوك حبيبتي...



لفظ حبيبتى الذى خرج من بين شفثفه حنوناً ،
جعل صوت بكاءها يرتفع أكثر وارتعاش
جسدها يزداد، فشعر مروان بشيء حاد يوخز
صدره دون رحمة..فطوق جسدها بذراعفه ، ثم
همس بجوار أذنيها بنبرة معتذرة :
-أسف لن أقترب منك مرة أخرى إلا بأمرٍ
منك... أهكذا تريدن؟...صبا..ردى على...

هزت صبا رأسها بهستيرية وهي تحاول أبعاد
مروان عنها، لكن مروان كان متشبثاً بها
بقوة..

يضمها بين ذراعفه محتوياً مخاوفها...
بينما هي فقد كانت متشبثة بهاتفه بقوة تحاول
إخفاءه بمعجزة..

تعتصره بين كفيها لتخفيه..

لكن كل محاولاتها باءت بالفشل حين لمح
مروان ضوء هاتفه بين كفيها، فأبعدها عنه
ببطءٍ وعيناه معلقتان بكفيها اللتين كانتا
تعتصران الهاتف بشكلٍ جنوني..

فمد كفيه ببطءٍ ليسحب الهاتف من بين يديها
برفقٍ ، فتشبثت بالهاتف أكثر وهتفت بصوتٍ
متقطع وعينين خائفتين :

-لا يا مروان.. أرجوك لا...-

فجأة تجمدت ملامح مروان وقتمت عيناه
الخضراوان بشكلٍ مخيف ، ثم هتف ببطءٍ
مخيف:

-اتركي الهاتف...-



هزت رأسها بنفي ، فما كان منه سوى أن جذب
الهاتف بعنفٍ ورفعهُ أمام عينيه ليرى ما رآته
على هاتفه ، فصرخت صبا بقهرٍ وهي تحاول
أخذ الهاتف عنوة :

-لا..لا..

-اخرسي...

هدر بها مروان بقوة وهو يقيد كفيها معاً بكفه
الحر ، فأغمضت صبا عينها بقوة وهي تشهق
بقوة..

ضغط مروان على أسنانه بقوة وهو يقرأ كل
كلمة بملامح متبلدة..

أما عيناه فقد كانتا المرآة الوحيدة التي كانت
تعكس مشاعره، لكن صبا خشت أن تنظر
لهما..فترى كرهه لها...



ملاح مروان التي تحولت إلى الاشتعال حين
وصل إلى جملة هاني الأخيرة، فضغط بقوة
بكفه على كفيها دون شعورٍ منه...
تأوهت صبا بألم وهي تغمض عينيها بقوة أكبر
حتى تجعد جفناها...

الخوف يغزو قلبها محتلاً في حربٍ غير
عادلة...

اجتث براعم السعادة التي كانت على وشك
الظهور لتشكّل أجمل مشاعر..

أجتثت كشجرة وحيدة على طريقٍ حالك شديد
السواد... وحين أتى بصيص من الأمل لينيره
اختطفه وركض بعيداً...

صرخة خائفة صدرت منها حين صرخ مروان
بغضبٍ وهو يلقي الهاتف بعشوائية...



صرخة رغم ارتعاشها إلا أنها اخترقت أذني
مروان عنوة ل تمنعه من أي تهوٍ مشين..
تهوٍ سيقطع الخيط الرفيع الذي يسير عليه
بحرصٍ ليوازن بين قلبه وعقله..
ليلجم وحش غضبه الذي صرخ بوحشية
متحرراً من وثاقه، فجاء دور الطرف الآخر
ليكبل غضبه بقهر..

غضب، حزن، مشاعر حانية طفت على سطح
موجة عاتية كادت تغرق تلك المنكماشة على
نفسها بخوفٍ جعل جسدها يرتعد ارتعاداً...
فأغمض عينيه بقوة وهو يتنفس بصوتٍ
مسموع..

عيناه مخيفتان، بثت الخوف والذعر
بداخلها.. فرفعت ركبتيها بضعفٍ، ثم دفنت



وجهها بينهما ، فاختلج فكه بتعاطف واهتزت
حدقاته حين همست بصوتٍ مرتعش :
-أرجوك، لا أريد أن أرى الجانب المظلم منك ،
أرجوك...يكفيني جانبك الحنون الذي رأيته منك
طوال الفترة الماضية، لو أردت أن
ننفصل...فلنفعل ، لكن لا تشوه صورتك
بداخلي..أرجوك..

كلماتها البسيطة هزت شيئاً ما بداخله ، تصدت
لغضبه الهائج ل تمنعه بقوة، رغم وهن
نبرتها...

لا يستطيع الصمود أمام خوفها كثيراً..
دموعها تتساقط على وجنتيها وكأنها تسقط
على قلبه لتخمد الحريق المندلح به...



تربت على جرحه وخوفه عليها بكفٍ

حنون، تندمل جروحه..

ترتسم ابتسامة باردة على شفثيه، وتتحرك

شفثاه لتقول جملة لم تكن تريد سماع سواها :

-الذنب ليس ذنبك ، الذنب ذنبه هو..فمن فعل بكِ

ما فعله لا يستحق سوى القتل...وأنا على

أستعداد تام...سواء كنت أنا القاتل يا صبا

أو...المقتول..

رفعت وجهها بسرعة وهي تنظر إلى ملامحه

تتحقق مما تفوه به للتو...

لم تكن تتوقع أن تسمع منه تلك الكلمات

الداعمة.

عدة كلمات كانت دليل كافي لتبرهن لها صحة

مشاعره...



كلمات عكست صورتها بداخله لتعززها أمام
نفسها...

بالرغم من عينية القاتمتين وكفيه المنقبضين
دليلاً على غضبه، إلا أنها لم تر سوى تلك
النظرة الحنونة التي يخصصها بها...حتى لو كان
غضبه هو السائد...

لكن كلمات هاني تعود لتتراقص أمام عينيها
وتسحق قلبها المسكين بقوة ، فيرتعش جسدها
ويدب الصقيع بأوردتها ، فتتحرك شفاتها
المرتجفتان لتتهف بصوت باكٍ :
-أنا خائفة...

فما كان من مروان سوى ضمة أخبرتها أنه
بجوارها، حتى لو بقلبه فقط..
بقلبٍ نصف واعٍ بما يحدث...



فجملة هاني الأخيرة طعنت رجولته، جملة التي

كانت مكنونها فجاً قدراً مثله..

أي رجلٍ هذا الذي سيتحمل ما قاله هاني...
هدده بسرقة صبا وقتله...
وسرقة صبا سبقت قتله لأن سرقة صبا وحدها
تعتبر خمود جسده وأستسلام قلبه..
فليقتله أولاً...
ووسط مشاعره المتضاربة، وغضبه الهائج..
فرض سؤال نفسه بداخله..
سؤال غامض..
"لماذا لم تعقب صبا على نقطة عادة؟"
الغافل لا يعلم أن خوفها طغى على تلك النقطة
بالذات لتطمسها مؤقتاً...
ومؤقتاً تلك وحدها تحمل معاني كثيرة..



تلك التي مرغت وجهها بصدرة كهريرة مطيعة،
تحاول تخطي رعبها الداخلي من كل شيء...
رعب كان كسكين ثلم يتلذذ بطعن قلبها دون
رحمة..

وليت كل منهما واجه الآخر واعترف بما يدور
بخلاهما... ليت "عقلهما" يعيد تشغيل زر
الإدراك ليفحص كل شيء...
لكن الخوف والغضب هم من تحكموا...
فتدخل العناق الدافئ ليكون برداً وسلاماً على
قلبهما...

في بعض الأحيان يعشق القلب جرح نفسه..



ينظر إلى العيش بسلام بعينين غير راضيتين،
ومن ثم تتراقص عيناه حين يجد إحدى الطرق
تؤدي إلى مبتغاه...

عثرة.. وراء الأخرى والدماء تسيل بغزارة
لتحذره من متابعة الطريق...
لكن هو يرى حلمه يتراقص أمام عينيه فيثيره
ليركض نحوه معصوب العينين...
أعمى النظر، عديم الشعور بالجروح الناتجة
عن تهوره...

ليس كل علاقة قائمة على الكذب والخداع تبقى
للنهاية..

لكن قلبها الأجدب لا يرى هذا.. وكأنه قام بوضع
نفسه بزجاجه وألقى نفسه بين موجات عاتية



تقذفه هنا وهناك، وهو لا يبالي سوى بحلمه
الذي يتراقص أمامه باغراء...

البر بعيد والعدول عن قراره بات مستحيلاً..
فليواجه عواقب تهوره، فالقدر يخفي له هدية
مكافأة على تهور وإهدار كرامته كنهاية
الخدمة..

هنيئاً لكِ عزيزتي المنافقة..

لم يكن الكذب أبداً إحدى الطرق الصحيحة لعلاج
جرحِ صدأ بل هي طريقة تضيف الحامض على
الجرح الملتهب؛ فيتألم ويعض أصابعه ندماً
على كل لحظة أوهم بها نفسه..
علقها بأمل وإهٍ كاذب كصاحبته...
لم تترفق بحالها وهي تتعلق به كل يومٍ أكثر..



تعشق شهامته أخلاقه العالية التي تشعرها

بالهوة الشديدة بينهما...

لكن قلبها الأجدب يتخطى هو اجسها ويصفق لها

مشجعاً، فيخبو عقلها وراء ساتر الندم منتظراً

انتهاء المسرحية ليسدل الساتر...

جود الفتاة المسكينة كما قالوا قديماً، كذبت

وقامت بتصديق كذبتها لتجعلها أمراً عادياً..

تحاول إقناع أمجد بالانتظار قليلاً تخلق مبررات

واهية، فيغضب أمجد بسبب نغمته على أطار

علاقتها الرخيص..

مسكين أمجد لا يعلم حقيقة حبيته الخادعة..

وبوضع الف خط تحت الخادعة، فكذبها عليه ما

هو إلا دليل صريح لصحة ماضيها وقبح

وصفها...

فتاة عابثة، هربت مع ابن خالها ساحقة كرامة
والدها ويونس سحقا..

أهدرت كرامتها مقابل ثمن رخيص وهو الحب
الغير نظيف يا سادة..

لا تتعجب سيدي..

فهذا النوع خصوصاً هو السائد هذه الأيام..
شباب عديم الرجولة يوهم فتاة بحبه، فتتعلق
المغفلة به دون أن تترك المساحة لمبادئ
زرعها والدها بها واهتمت أمها لتكبر الثمرة
وحين حان وقت الحصاد..

أكتشف كل منهما أن حصادهما فاسد.

وحصد كل منهما ذلاً وقهراً ويا ويلتاه من قهر

أب على زينة بيته وقلبه وهو يرى

حصاده.. فاسداً..

العيب منها... أم منه..

ألم يعلمها أن الفتاة يجب أن تحافظ على نفسها

لتهدي من يستحقها جوهرة لم يخدشها يد

حيوان معتدٍ على حقوق غيره..

تهالك جسد الأب بقهرٍ، وأنجرحت كرامة الأب

ليس كل حب يندرج تحت هذا العنوان...

فالحب الصادق يطفو بصاحبه إلى النور، لا أن

يأخذه إلى الدرك...

الفارق بينهما شاسعاً وكاذب من قال لا...

العلاقة النظيفة، الصادقة لا يهدمها أي

شيء...

خرجت جود من عملها وهي تتلفت حولها

بلهفة، تضم حقيبتها اليدوية إلى صدرها

مبتسمة ابتسامة واسعة..



فاليوم سيأتي أمجد ليراها، هو من أخبرها أنه
سيسافر ليأتي لها...

فتراقص قلبها وأشرق ملامحها...

وكما يحدث دائماً ، ترد عليه بكلمات بسيطة
عفوية... هادئة تخبره بسعادتها على استحياء..

فيبتسم هو مرغماً بالرغم من عدم رضاه

بعلاقتهما...

-جود...جود، انتظري..-

صوت مألوف جعلها تقف مكانها تبحث عن

صاحبه عاقدة حاجبها بتوجس..

إلى أن وقعت عيناها على جاسر زميلها الذي

طُرد من العمل بعد اتهامه بالسرقة..

وبالرغم من سماجته إلا أنها لم تصدق وقتها

أن جاسر فعل هذا، فأخلاقه لا غبار عليها...



ضحكة ساخرة ندت عنها وهي تنهر نفسها بأن
من يراها لا يصدق ما أقدمت عليه بتهور...
انعقد حاجباها بتوجس حين تداركت أن جاسر
هنا أمام مقر عملها وعمله السابق بعد
طرده...

نظرت جود له باستفسار وهي تعقد ساعديها
بجمود ، فحك جاسر مؤخرة رأسه ، ثم هتف
بارتباك :

لن أتحدث عما حدث ليّ هنا، أنا فقط أريد أن
أخبرك بأنني لم أفعل ما سمعته.. كما أنني أتيت
لأخبرك بأنني مُصر على الزواج منك، بالرغم
من شعوري بأنك تخفين سراً ليس بالهين... لكن
أنا.. أنا لن أراجع صدقاً.. وقبل أن تسخري من
وقاحتي وجرأة سارق مثلي... أنا أريدك منذ



فترة كبيرة وأنت لا تقبلين لذا..فأنا أعرض

الزواج عليك مرة أخرى !

عقدت جود حاجبها بتوجس وهي تتلقى كلماته

الغريبة..

تنظر له بتعجب وكأنها تنظر إلى مخلوق

فضائي يتفوه بأشياء لا تعرفها...

ماذا يقول هذا الأجدب ؟

عن أي زواج يتحدث؟؟

أيظنها ستقبل به زوجاً !!

سارق ؟

سارق؟

وأنتِ خائنة ، خائنة لعرض والدك..

خائنة إلى أمانة لم تعرف قيمتها...

ألم تخونني ثقة والدك وحب شقيقك ؟



نعم ، فعلتِ فلماذا الرفض الآن ؟

خيانتك لكرامتك أمام لقبه المستحدث !

لكن... لا لا...

مستحيل، ستعيش على ذكرى أمجد حتى بعد

رحيله الذي تشعر به قريباً ، قريباً جداً...

حدسها يخبرها وقلبها يُعد نفسه لتقبل تلك

النكسة..

شعرت جود بألم حاد يعصف بروحها حين

صارحت نفسها بتلك النقطة...

شعور جعل وجهها يشحب وشفثاها ترتجفان

بشكلٍ غير ملحوظ ، لكن جاسر لاحظ...

فانعقد حاجباه باستغراب وهو يراقب تعابير

وجهها التي كانت تدل على ألمها !

لكن، لماذا ؟



لم يقل لها ما يؤلمها؟

ألهذه الدرجة وجوده غير مرغوب به؟!

أكيد يا مغفل..

فمن أنتَ أمام النظرة التي تخصصها لذاك الذي

رآه يوماً ينتظرها أمام مقر عملها !

نظرة أصابته في الصميم، أخبرته بكل صراحة

أن تلك التي يحبها تحب غيره..

لم يفكر حتى بهوية أمجد كشقيق لجود أو قريب

لها مثلاً....

بل كان متأكداً مما توقعه...

وبالرغم من كل هذا ، سحق كرامته غير مبالياً

وهو يصير على ملاحظتها كي توافق...

تعطيه فرصة..



لكن القدر لم يمنحه هو الفرصة تلك حين
سقطت على رأسه مصيبة أودع بها كرامته
وسمعه...

ظلم!

نعم ظلم حين عانده القدر... والتصقت به تهمة
لم يفعلها... والله شاهد عليه...

أطرق جاسر برأسه وهو يهزها بقلّة حيلة ،
ومن ثم تراجع خطوتين إلى الخلف متأبهاً
للرحيل...

فانتبهت جود له ، لتهتف بسرعة وكأنها تقذف
الكلمات بوجهه قذفاً :

- هل ستقبل بالزواج من فتاة هربت مع شاب
ساحقة كرامتها وكرامة أهلها قبلها ؟؟ ، هل
ستدعمني حين تتكاثر الأقاويل أمام أهلي ؟؟ ،



هل ستقبل ان تكون أم أولادك امرأة غير عاقلة،

لم تحسب حساباً لربها قبل أهلها، هل

ستسامحني؟..

وكان رده هو الصمت...

صمت خيم حولهما وكل منهما ينظر إلى الآخر

مصدوماً...

جود اتسعت عيناها مبهوتة من جرأتها

واعترافها الخطير لجاسر !

رباه.. لماذا أخبرته ؟

لترى تلك النظرة التي رمقها بها..

نظرة أصابتها في الصميم ونكات جرحها...

نظرة متقرزة وعينين مبهوتين من وقاحتها بل

من جرم ما تفوهت به...



فبالنهاية الشاب لا ينظر أبداً لفتاة قدمت شرفها

قرباناً لحبٍ مزيف...

لرجل حقير تلاعب بمبادئ بُنيت بمعايير

ناقصة...

نظرة دفعت الدموع بعينيها ورسمت الحزن

على شفيتها...

نظرة جعلت الذكريات تتدفق بغزارة، فيرتفع

صوت صراخ روحها ويبكي قلبها نعيّاً عما

أضاعه...

نظرة...

اتبعتها ابتسامة باهتة، ومن ثم أعطى لها ظهره

وأبتعد...

فانسابت دموع القهر على وجنتيها، واهتزت

حدقاتها...



تشعر بألم حاد يوخز صدرها...

صفت نفسها...

صفتها لتستفيق من حلم نسجت خيوطه

بنفسها...

صفت عقلها المتتحي جانباً تاركاً المساحة

لقلبها...

وكل صفة أحييت ذكريات دفنتها بنفسها لتتابع

حياتها....

نظرت إلى هاتفها الذي ارتفع صوت صفير منه

منبهاً إياها بوصول رسالة، فتحرك أبهامها

المرتعش ليفتح رسالة كانت من أمجد..

رسالة رسمت ابتسامة باهتة على شفثيها حين

وتسابت عينيها لتقرأ



"أسف يا جود ، لن آتي اليوم...لقد أتى مالك
ليّ بنفسه، وأنا لا أنوي ترك حق مروج..أسف

صغيرتي..

'أمجد'

رسالته البسيطة منحت لها الفرصة لتتفرد

بنفسها..

لتجردها من رداءها المزيف....

لتعيث بأوراق الماضي مرة أخرى فتتناثر

بروحها دون رحمة...

=====

تمنحك الحياة فرصة لتتجو بروحك من جحيم

جذبك بردائه الكاذب...

فتطير محلقاً بسماء جديدة، احتضنت جروحك

لتربت عليها بشفقة...



طائر حزين أوقعه حظه السيء بأرضٍ لم تكن

بأرضه...

فتوالت عليه الطعنات ليصرخ بضعف..

وهذا بالضبط ما شعرت به جود بعدما هربت

من براثن ذاك القدر الذي هوت على رأسه

بأقرب شيء كان في منوال يديها

ضربة لم تكن بالخطيرة منحتها فرصة

للهرب...

لكن القدر لم يتركها حتى بعدما أدمت رأسه...

ليهددها بأداة حادة لمعت أمام عينيها ليخدش

بها عنقها ويغرز أظافره بمقدمة عنقها ليطبعا

معاً ندبة لم تزل حتى الآن..

فشعرت بألم حاد وبأنفاسها على وشك

التوقف...



الخوف يقتلها وهو يكبل ذراعيها...

لكن جرح رأسه جعله يترنح قليلاً لتبتعد فوراً

وتركض بأقصى سرعتها..

شعرها منسدل على رأسها بعدما أبعاد ذاك القدر

حجابها بكفيه الحقيرتين...

ملابسها غير مهذبة فقد تمكن من قطع أجزاء

منها، تضم فستانها بكفين مرتعشتين شاعرة

بالقهر يحرق قلبها...

دموعها كانت تغرق وجهها البريء بغزارة ،

فدنسته بإثم لم تدرك عظمة إلا بعدما تجرعت

من كأسه أضاعفاً..

ركضت هنا وهناك وهي تتلفت بين الحين

والآخر لتطمئن نفسها...



تعثرت مرة تلو الأخرى ، فأدمت ركبتيها وتلوث
جسدها بالدماء...تضم ذراعيها لتحتضن جسدها
وهي ترى أعين المارة تلتهمها...
نظرات مختلفة بين متقرزة ومشفقة..
متعجبة من حالتها الغريبة التي لا تشير إلا
لشيئين...

الأول أن تلك الفتاة تعرضت إلى اعتداء عنيف..
والثاني أن تلك الفتاة غريبة الأطوار فطريقة
ركضها أقرب إلى الجنون...
خوف، قهر، صدمة ألجمت لسانها..
خانها من خانت أهلها لأجله...
خانها من ظنته سيحارب العالم بأكمله
ليحميها...



خانها من كان يردد كلمات حبه بأذنيها كأفعى

خبیثة تعد نفسها لتسمها...

خانها من قال لها أنه رجلها سندها بهذه

الحياة..

خافلة...

والله خافلة ارتشفت ما قدمه لها بسهولة..

دون مقاومة ودون تفكير...

لا تتذكر ما حدث لها بعدها سوى أنها شعرت

باصطدام جسدها أرضاً جراء تهور تلك

الصغيرة التي كانت تقود سيارة على ما يبدو

أنها ضربتها للتو!

سواد شديد غشى عينيها وصوت تمارا يتردد

بأذنيها وهي تتحقق من نبض جود :

-ماذا حدث لك يا أنسة..يا إلهي ماذا فعلت ؟



وبعدها لم تشعر جود بأي شيء...
حتى هاته اللحظة... لا تعرف ماذا حدث بعدما
غابت عن الوعي...
ما لاحظته أنها نائمة على فراش ناعم...
جروحها مضمدة وجسدها ملف بملابس
معطرة..

وبعدها ظهرت تلك الصغيرة المتهورة التي
احتوتها مرحة واعتبرتها شقيقتها بالرغم من
عدم معرفتها بها، لكن وجه جود البريء لم
يضعها موضع شك، كما أن تمارا كانت
صغيرة... لا تعلم هل تتصرف بشكل صحيح أم
لا..



وبحكم أن تمارا تجلس وحدها سمحت لها
بالجلوس معها... شهر بعد الآخر وجود ممتعة
عن التحدث و التفوه بحرف...
كانت الصدمة لا زالت ملتهبة...
لا تصدق كان الخوف والرعب دائما هو
المسيطر على جود إلى أن قررت الاعتراف بكل
شيء حدث لها لمارا التي أثبتت لها حكمتها
بالرغم من صغر سنها..
تتذكر جيداً جملة تمارا التي كانت تدعمها بها
"عودي إلى ربك واستغفري ، الندم ليس
عيباً... العيب هو المكابرة يا جود... وبالنسبة لي
لن أتركك ترحلين.."
كانت جملتها تربت على قلبها المنكمش بحنان،
فينظر لها بعينين خائفتين..



أخبرتها بأنها لن تسمح لها بالرحيل...
وهذا ما حدث بعدما أدركت جود أن عودتها إلى
يونس ووالدها باتت مستحيلة...
فهي بالنسبة لهما، جسد تحت تراب
العار...وها هي الآن تبكي بقهر كرامة أهانتها
بنفسها...

تضم ركبتيها إلى صدرها وهي تشهق بعنفٍ
جراة تذكرها لتلك الذكرى القذرة..
الرعب يدب بأواصلها فيرتعش الجسد كما
القلب !
والقهر كنصل خنجر حاد يوخز صدرها دون
رحمة..

يخبرها بجرأة أنها لا تصلح لأمجد..
الاعتراف واجب...



لكن...

هل يفيد اعترافها الآن أم تراها تتوهم...
هل سيصفح لها أمجد أم أن علاقتهما سيحكم
عليها بالإعدام بمجرد اعتراف كهذا!!
أزداد ألمها أضعافا وهي تضم ركبتيها أكثر ،
وتساقطت دموعها بغزارة....
تود الصراخ عالياً، عالياً لتريح صدرها
المشتعل.. لكنها تبتلع صرختها لتسكب على
قلبها فتحرقه بنيران القهر والذل والمهانة...
الإهانة التي جلبتها لنفسها !
ليتها لم تفعل ما فعلته ليتها...
مالت جود بجسدها قليلا لتدفن وجهها بين
الوسائد عليها تحصل على قليلٍ من الراحة..



لكن تمارا اختارت تلك اللحظة بالذات لتقتحم
غرفتها وتقول بإصرار ونبرة لم تعهدها :
-أنا سأتزوج يا جود..

=====

جرت حدقتاه على كلماتها البسيطة التي خطتها
بخط يديها بسرعة، يعتصر الفراش بكفه
الأخر..بينما عيناه فقد كانتا قاتميتين..
كلمات كانت...كانت باردة حد الصقيع..
"لا تقلق عليّ ، سأخرج لعدة ساعات وسأعود
"

جعد مروان الورقة بقوة، ثم ألقاها أرضاً وهو
يصرخ بغضب ضارباً الفراش بقوة :
-غبية... غبية، ألم ترَ الرسالة وتهديده..."



وذكره للرسالة دفع الخوف والرعب بأوردته
ليمسح وجهه بكفيه وهو يهز ساقه بعصبية..
خوفه عليها و غضبه منها يتضاربان بداخله
وهو تائه بينهما.

خوفه عليها يقتله و غضبه منها يتفاقم فوالله لو
كانت أمامه الآن لصفعها دون تفكير...
جز مروان على أسنانه بقوة وهو يفكر أين
ذهبت ؟؟؟؟

رباه...صبا ليس لديها سواه..
فأين ذهبت تلك المجنونة التي ستصيب قلبه
بالتوقف من فرط الخوف والقلق عليها؛ فهاني
لا يمزح بشأن تهديده...
زمجر مروان بغضب وهو يهرول نحو غرفة
جميلة ليتأكد من وجودها...



والصدمة كانت وجود جميلة بغرفتها نائمة على
سريرها، فجن جنون مروان وهو يبحث عن
هاتفه بهمجية إلى أن وجدته ملقياً في ركن
قريب، فطلب رقمها بسرعة وهو يتلفت حوله
بخوف و غضب زاد أكثر حين تعالى صوت رنين
هاتفها من غرفتهما، فشحب وجه مروان بشدة
وتوقف قلبه عن النبض !

تركت هاتفها هنا وخرجت رغم معرفتها بتهديد
هاني !

ازدرد مروان ريقه بصعوبة محارباً غصته
شاعراً بالهواء ينسحب من حوله وهو يدور
حول نفسه بعجز...

أين ذهبت ؟

أين ؟



-تبا...تبا

هدر بها مروان بغضب وهو يضرب الحائط

بجواره...

لا يعرف لماذا ساقته قدماه إلى شقة أمه وهو

يهول نحوها كالمجنون...

يطرق باب شقتها بجنون ويرن الجرس

بإصرار؛ ففتحت أم إبراهيم له وهي تتذمر مما

يفعله لكن مظهر مروان جعلها تصمت...

مروان الذي ركض نحو غرفة أمه التي ما أن

وقعت عيناها على مظهره حتى شعرت بالقلق

الذي تفاقم أكثر حين هتف مروان بخوف:

-هل تعلمين أين ذهبت صبا يا أمي؟؟

انعقد حاجبا والدته ، وانفرجت شفتاها لتهتف:

-لا يا مروان، هل حدث شيء لها؟



- يا إلهي... لماذا يا صبا التهور لماذا؟
ظهر القلق جلياً على وجه والدته التي تعجبت
من نفسها وهي تحاول فهم ما حدث من مروان
الذي كان يدور بالغرفة كالمجنون...
لم تكن عدة ساعات تلك التي ستقضيها صبا
بالخارج..

إلا لو كانت صبا عرضة للخطر.
ووسط الخوف الذي كان يخنق مروان دون
رحمة وكأنه يجثم على صدره كحملٍ ثقيل،
تعالى صوت رنين جرس الباب...
فركض مروان نحوه بسرعة سابقاً أم إبراهيم،
ليفتح الباب بعنفٍ تزامناً مع صراخة بصوتٍ
مخيف :

- أين كنتيننتت ي...-



بُتّرت عبارته حين تدارك أن من يقف أمامه هو
سليم و زوجته مليكة التي تراجعت بخوف من
صرخة مروان لتحتمي بظهر سليم الذي نظر
إلى مروان بتقييم ، ثم فتح ذراعيه وهتف
بسخرية :

-أخبرني يا حبيب قلبي بما عندك؛ فوجهك
وصرختك لا يدل على خير...ليتني لم آت..

=====

وكما قالوا قديماً قلب المرء دليله ، لكنهم لم
يدركوا أن القلب ما هو إلا كائن ضعيف لا يدرك
أي شيء ، أحياناً أداة يحركها العقل فينفذ
أوامره رغم أنفه، وأحياناً يثور مطالباً بالراحة..
بالبكاء نعيّاً على حظه البائس في حرب الحب !



حرب الحب التي وبالمعنى الحرفي شعارها
الغدر..

وهي أدرى محاربو تلك الحرب بهذا ، فهي
أكثرهم إصابة والدليل الأكبر قلبها الذي فتح
ذراعيه وبدأ بالبكاء بصوت عالٍ، نطأت جرح
روحها التي كانت كمن تلقى ضربة أفقدته
رشده فصار يترنح بتثاقل مميت!...

دمعة تذرّفها العين ، وبسمة فقدتها الشفتين
الجزينتين...

نظرة شاردة أحتلت عينيها ودموع لم تتضب
حتى الآن..

دمعة تتبّعها الأخرى فتشعر بها تحرق وجنتيها
الشاحبتين حرقاً ، لتغمض عينيها وهي تسير



في غرفتها الصغيرة بعرج بسيط بعدما طمئنها

الطبيب بأن كسرهما قد خف...

فبدأت تتحرك بصعوبة ومن ثم إعاقة صغيرة

وهي تتحرك في أي مكان..

لم تأبه بألم قدمها التي كانت تن ألم فلم يتم

تعافيتها بشكل كلي، لكن هي لا تريد أن تشعر

بألم جسدي..

فألمها الروحي يذبحها بسكينٍ ثم....

كُسرت روحها ، وأعلن قلبها الأستسلام..

لا يريد، لا يريد معذبه فقد اكتفى...

الجروح صارت صعبة، ودماء كرامتها وجرحها

تغرق صدرها الذي كان كحريقٍ مرعب اندلع

به.. فضربته بين الحين والآخر بقهرٍ وكأنها

تأمره بأن يهدأ، فيزداد لهيبها أكثر..



ومن ثم بدأ صوتها يرتفع شيئاً فشيئاً فبدأ
كنواحٍ مزعجٍ لأذنيها فكممت فمها بكفها
وانحنت على نفسها تبكي بصوتٍ مكتوم،
قهر...كرامة مهدورة..قلب انشطر إلى
نصفين...

صرخة صغيرة لم يسمعها سواها وهي تسقط
على ركبتيها أرضاً تخفي وجهها بين كفيها،
تتحب بصوتٍ بدأ يعلو شيئاً فشيئاً...
فلم تجد الواقعة خلف الباب تستمع إلى بكاءها
بدأ لتفتح الباب بهدوء يناقض ملامحها
المتألّمة...

فلم تهتم مروج لها وهي تخفي وجهها أكثر...



أقربت لجين منها ناهية المسافة بينهما، ثم
جلست بجوارها وهي تهتف بحزن محاولة
أحتضانها :

-ألن تنسي يا مروج؟...هو مضى بحياته....
وأنتِ تقفين مكانك دون أن تجبري نفسك على
تخطي ألمك؟

أبعدت مروج كفيها عن وجهها ببطءٍ ، ثم
نظرت إلى لجين نظرة أوجعت قلب الأخيرة التي
ضمت رأس مروج نحو صدرها مربتة على
ظهرها بعاطفة أموية، فلفت مروج ذراعيها
حول خصر لجين وهمست بصعوبة وضعف :
-لا..لا أستطيع أن أمحي صورته وهو يضمها
إليه مبتسماً بسعادة، أل هذه الدرجة تغلبت



طبيعته عليه!... على مالك الذي كان يتغنى

بحبه ليّ منذ سنوات ليست بالبعيدة!

هو... هو خائن... خان قلبي الذي لم تطأه قدم

رجل سواه... أستغل صغر سني وقلت خبرتي

ليجعلني أهيم به عشقاً بالرغم من زواجه

السابق، يوم عقد قراننا يختفي... لأعلم أنه عاد

إلى والدة حمزة!

شعور حارق عصف بقلبي وقتها... لكنني كنت

أملك القدرة الكافية لأتخطى فعلته، ويعود بعد

موتها ليدور حولي!!!

لكن الآن... لن أقول سوى أنني سأخذ ثأر

قلبي... والله لأحرق قلبه...

كانت كلماتها تخرج من بين شفثيها تتشح

بالقهر والألم، فانعقد حاجبا لجين بألم، ثم لم



تلبث أن رمشت بعينها بعدم فهم ، لتبعد مروج

ببطءٍ ، ثم تقول بحذر :

-وكيف ستأرين لقلبك ؟

-سأزوج صديقه !

هتفت بها مروج بابتسامة باهتة وهي تلوح

بكفيها بضعف، فشهقت لجين بصدمة وهي

تقول بسرعة متمنية أن يخيب ظنها :

-لا تقولي أنك تقصدين...

قطعت مروج جملتها حين هتفت مؤكدة لها بأن

توقعها صحيح :

-إياد..

اتسعت عينا لجين مصعوقة، وفغرت شفيتها

بصدمة، فابتسمت مروج بسخرية ومن ثم



أشاحت بعينيها عن عيني لجين.. فهتفت الأخيرة

بعنفٍ :

-لا... لا يا مروج يكفي ما حدث له

بسببك... أنسيتِ اشتباكه مع مالك بالأيدي

بسببك وبعدها قاطع كل منهما الآخر وأنتِ

تعلمين السبب....

اتسعت ابتسامه مروج الساخرة بدرجةٍ موجهة،

ثم هتفت بصوت متهدج :

-لا أعلم سوى أنه يحبني حد الجنون... لذا

فانتقامي من مالك ليس انتقاما، بل فرصة

لأحيا... لأجد نفسي مرة أخرى... لعلي أراها

سالمة... هائئة...



هزت لجين رأسها بعدم تصديق وهي تبتم
بعصبية ، فرمقتها مروج بعينين غائرتين
متألمتين...

انفرجت شفتا لجين ثم هتفت بقوة ناهرة إياها :
-أنا لن أصمت...لو لم تتراجعي عن قرارك
الأهوج ، سأخبر أمجد...

لم تكن تتوقع أن تستند مروج إلى ذراعها بقوة
وهي تهب واقفة، ثم تتحرك نحو فراشها
بصعوبة ، لتلقي بجسدها على الفراش وأخفت
جسدها بالغطاء في حركة واضحة لإنتهاء
الحديث بينهما، فنظرت لجين لما يحدث بعينين
غاضبتين، فما ستقدم عليه مروج ما هو إلا
انتحار فعلي...



فبالرغم من علمها بصحة حديثها بخصوص

"إياد" إلا أنها تخشى مروج..

نعم تخشاها...تخشى عليها من نفسها!!...!

=====

أريد أن أحبك، يا سيدتي

في زمنٍ..

أصبح فيه الحب معاقاً..

واللغة معاقة..

وكتب الشعر، معاقة..

فلا الأشجار قادرةٌ على الوقوف على قدميها

ولا العصافير قادرةٌ على استعمال أجنحتها.

ولا النجوم قادرةٌ على التنقل....

"نزار قباني"

.....



وسط السواد الذي كان يحيط به...

وسط الرماد الذي كان يزكم أنفه...

ابتسم...

نعم ابتسم وهو يتأمل صورتها بعينين جامدتين

وقلب ارتفع وجيب دقاته...

شفتان التوتا بشبه ابتسامة حالمة..

وأنامل ارتفعت لتلمس الشاشة...

عيناه تجريان على ملامح وجهها الشرسة

والبريئة!

مالكة قلبه ذات المزيج المبهر....

ومن ثم عبوس شديد تلاه زمجرة خسنة وهو

يغلق الهاتف بقوة ويلقيه بعشوائية على

الطاولة...

حك لحيته الشقراء وهو يغمض عينيه مفكراً...



لماذا أبتعد؟؟

لماذا تركها له وهو يريد لها وبشدة!؟

أعترف لها..

فرفضت..

ترجأها أن تسمعه فكان جوابها أنه خان صديقه

وتعدى على حرمة..

غافلة.. نعم كانت غافلة...

بل غبية..

ألم تعلم أنه يحبها منذ رآها وهي ذات السادسة

عشر !!!

حين رآها تتشاجر مع امرأة تكبرها في السن..

وقتها كان ذاهباً إلى مالك بصحبة شقيقه الأكبر

والأخير كان صديق مالك فعلا...

لكن هو.. إيد، كان يصغره سناً لكن يفوقه عقلاً
و تركيزاً وذكاءً..

رأها تصرخ بكرامة طفلة ارتدت رداء يفوقها
عمراً، تدافع عن حقها...

فتعلق قلبه بها قبل عيناها لكنه، لم يدرك
وقتها...

حتى هاته اللحظة لا يقوى على اقتلاعها من
قلبه العليل بمرضٍ خبيثٍ يسمى "العشق حد
الجنون"

مرض طاف الكرة الأرضية بأكملها ليجد له
دواءً...

وانتهى به الحال هنا في "مدريد" عاصمة
أسبانيا التي احتوته بين أحضانها في خضم
آلامه...



يومان وسيعود إلى وطنه ليتابع عمله...
ومن ثم انعزال تام عن كل مباحج الحياة، عن
كل وسيلة تخبره على استحياء بأخبارها...
أمتنع عن تقصي أخبارها كي ينساها، لكن قلبه
ضرب بمخططه عرض الحائط وصار يصرخ
منادياً باسمها..

في كل وجهٍ لامرأة يراها..
في كل بسمة ترسم على شفثيه...
في كل لحظة ينعزل بها ليبيكي على الديار
الزائلة...

-سيد إباد شقيق سيادتك ينتظرك بالأسفل منذ
فترة طويلة.

انطلقت تلك الجملة التي ألقثها خادمته الأجنبية
لتخترق طبقات شروده عنوة...



فزفر بقوة وكأنه يطرد حياة ويستنشق

أخرى...

وقف على مضض وهو يهندم ملابسه برتم

بطيء، ومن ثم عبث بخصلات شعره الشقراء

القصيرة ببرود سيطر على محياه...

ومن ثم تحركت ساقاه وهو ينظر أمامه بعينين،

قاسيتين باردتين...

ملامحه كانت شعار للشراسة..

غامض حد القلق، لكن من يقترب منه... يعلم أن

طبعه هذا ما هو إلا أشواك يوخز بها من يتعدى

على جراحه قسراً...

إياد صابر عمران... الرجل العاشق حد الجنون..

والمجروح حد الصراخ ألماً...



وصل إِياد إلى الطابق الثاني بملامح باردة تبعث

الصقيع لذاك الواقف أمامه يطالعه بنظرة

أدركها إِياد، فالتمعت عيناه السوداء وان ببريقٍ

شرس وهتف بصوت حاد قاطع :

-لو كان ما تحمله لي خيراً يخصها فلتصمت !

وكان أمره مطاعاً من شقيقه الذي يشعر

بشقيقه -إِياد-...

يعلم ما يدور بخلده ويرهق قلبه؛ فصمت...

لكن هل سيصمت قلب إِياد حين يعلم أن الطريق

بات متاحاً أمامه لينال مبتغاه !

=====



الفصل الحادي والعشرون



أن تشعر بالعجز يسيطر عليك في وقتٍ لا
يحتاج سوى التحرك لهو شعور قاتل..
أن تشعر بقلبك على وشك التوقف خوفاً ورعباً
على أقرب شخص لك،



أن تشعر بالدمع العزيز يوسع جفئك من فرط
الخوف لهو أقسى شعور يمر به الإنسان..
وعلى وجهٍ خاص لو كان هذا الإنسان هو رجل
قطع الغرفة ذهاباً وإياباً وهو يغرز أصابعه
بخصلات شعره يكاد يقتلعها من جذورها...
يتصل بعدة أرقام تارة ويترك المنزل تارة أخرى
ليبحث عنها في الطرقات عله يجدها سالمة !
قالت أنها خرجت وستعود بعد عدة ساعات...
فلمَ لم تأتِ حتى هاته اللحظة!
الشمس على وشك الغروب والساعات القليلة
طالت، فسقطت كل حصونه وتماسكه المصطنع
ليطفو خوفه وغضبه على سطح موجات عاتية
أخبرت أمه ببساطة أن ابنها عاشق لتراب
زوجته حد الجنون..



والإلِمَ كل هذا الخوف الذي كاد أن يقتله !!
وأخبرت سليم بأن مشاعر مروان التي صارحه
به بكل وضوح صحيحة !
فهو يعلم تلك المشاعر التي يمر بها مروان
الآن..

سليم الذي ما أن علم بأبعاد الموضوع بعد أن
ضغط على مروان بقسوة كي يتمكن من
مساعدته؛ فأخبره مروان عن رسالة هاني التي
كان مكنونها أنه سيعود ليأخذ صبا ويبتعد!
وحين طلب سليم أن يرى رسالة هاني رفض
مروان وصرخ بوجهه هائجاً وهو يلکم الحائط
بغضب :



-لن ترى أي رسالة يا سليم...أريد أن أجد
زوجتي الآن، فلو لديك أي طريقة ستساعدني
أخبرني...أو فلتصمت تماماً...

لم يعقب سليم على طريقته الوقحة في مخاطبته
، فهو يقدر ما يشعر به في هاته اللحظة، فما
كان منه سوى أن سحب الهاتف منه في حركة
مباغثة وهو يهتف بسخرية :

-فلنرى الرسالة أولاً كي أتمكن من مساعدتك !
وقتها حاول مروان أن يختطف الهاتف من
سليم عنوة، لكن سليم راوغه وهو يبتعد عنه
هادراً بوجهه بنبرة قوية :

-تعقل يا مروان، أنا أعلم وقاحة ذاك الرجل
وأتوقع ما تخشى أن أعرفه وأراه...فلتهدأ!



كان يعلم ، كان يعلم أن مروان يأبى أن يرى
كلمات هاني التي يعلم حقيقتها !
كرامته تأبى أن يرى سليم كلمات هاني الوقحة
عن زوجته وغيرته تحرقه حرقاً...
حتى لو كان سليم أقرب شخص لقلبه؛ فالوضع
يختلف عند صبا خصوصاً...
ولم يتوقع سليم وقاحة هاني التي ظهرت من
خلال كلماته المقرزة !!
وبالتأكيد تنحصر القذارة بجملته الأخيرة التي
جعلت عينا سليم تتسعان بصدمة ويحمر وجهه
بانفعال ، فصبا تعتبر عرض شقيقه...
وبعدها بدأ بالبحث عن صبا هو ومروان...
والقلق ينهش صدر مروان المسكين الذي كاد
من فرط الخوف أن يتوقف قلبه..



وكللت كل النتائج بفشل محاولتهم !
يتفاقم قلق مروان أكثر ويجن جنونه وهو
يصرخ بغضب محدثاً مجهول عبر الهاتف :
-أبحث عنها بمشفى (...), لم يبقَ لنا سواها
بالمدينة...

ومن ثم أغلق الهاتف وهو يزفر بقوة...
ووسط المشاعر المتضاربة، والقلب المرهق
والخائف حد الموت...

ارتفع صوت جرس الباب ، ف شعر مروان به
مرعباً ، شعر بقلبه يتوقف خوفاً وترقباً وهو
يندفع نحو باب الشقة ناهباً المسافة الفاصلة
نهباً..

وفتح الباب!



ومن ثم وقعت عيناه على ملامح صبا الشاحبة
!

لكن هو لم يرَ ملامحها الشاحبة، لم يرَ سوى
نفسه وهو يبحث عنها كالمجنون بكل مكان، لم
يشعر سوى بقلبه المسكين الذي كان في حالٍ لا
يحسد عليه...

الخوف يكاد يخنقه بخيوطه الوهمية...
لم يرَ سوى حالته وهو يجعد رسالتها بغضب
وخوف قاتل ، لم يرَ سوى...
سوى كفه يرتفع عالياً ويهبط على وجهها
الناعم بصفعة قوية تردد صداها بأنحاء الشقة
بأكملها...

صفعة أجفلاته هو قبلها...



شهِق قلبه متألماً قبل أن شهق شفيتها بألمٍ
وهي تظل وجنتها مصدومة، عيناها الدامعتان
تكاد من شدة صدمتها أن تنخلع
شهقة خرجت من بين شفتي مليكة التي كانت
تهدهد جميلة بعد أن أتى بها مروان باكية...
بينما سليم فقد أندفع نحو مروان ليجذبه قسراً
بعيداً عن صبا وسبق كل هذا فور صفة مروان
لصبا، صرخة أمه باسمه مبهوتة مما فعله :

-مروان!!-

أما صبا فقد كانت كمن قُتِل في حربٍ كان يثق
بأنه هو الفائز!!

تشعر بألمٍ حادٍ جراء صفة مروان، لكن ألمها
الروحي كان أقوى...

عتاب قلبها الباكي حزناً وألماً وصدمةً مما فعله

مروان كان شديداً

دموعها تهطل على وجنتها بغزارة وصوت

شهقاتها وبكاءها يرتفع شيئاً فشيئاً، ليصم

أذني مروان الذي كان ينظر لها بوجهٍ ممتقع

وعينين متسعيتين بذهولٍ...

يشعر بقبضة باردة تكاد تعتصر قلبه !

يختلج فكه بقوة مع كل شهقة بكاء تخرج منها

، فتتفرج شفتاه ليهمس بصوتٍ خفيضٍ محدثاً

سليم الذي كان يقبض على ذراعه مانعاً إياه :

- اتركني..

- لا، ستتهور وبعدها ستشعر بالندم بعد فوات

الآوان !



همس بها سليم بقوة وهو يزجر مروان بعينين
غاضبتين ، فنظر مروان له بعينين حراوين
وهتف بنبرة غريبة :

-لقد تهورت وضربتها بالفعل، فاتركني.. أرجوك
!

لم يجد سليم بدأً لتلبية طلبه...
فتركه مرغماً وهو يتأهب لأي رد فعل سيقدم
عليه مروان...

فوقف بجوار صبا كحامٍ لها !!
صبا التي ما أن لمحت مروان يقترب منها حتى
تراجعت خطوتين إلى الخلف وهي تشهق
بعنفٍ، ثم استدارت على عقبيها لتهبط درجات
السلم راکضة...



فركض مروان خلفها وهو يصرخ باسمها بقوة

:

-صبا، انتظري !

لكن صبا لم تسمع سوى صوت الصفعة التي

تلقتها تدوي في أذنيها كالناقوس..

فيزداد شعورها بالألم والإهانة...

وتتدفق الذكريات بقوة في وقتٍ غير مناسب..

مشهد ترى نفسها به وهي تتلقى صفعة من

هاني بعد رفضها لأسلوبه القذر...

ومشهد آخر ترى نفسها به وهو ينتهك جسدها

بلسانه قبل كفه...

ومشهد كف مروان وهو يصفع وجنتها بقوة

ليكون ختاماً لقصة قصيرة بائسة ظلمت بها...



وصلت صبا إلى شقتها وهي تتعثر بدرجات

السلم بينما صوت بكاءها لم يهدأ...

ونداء مروان المستمر باسمها كان هستيرياً،

يأمرها بعدم الخروج، لا يأمرها بل يترجأها

وهو يقول :

-لا تخرجي ، لا تبعدني...انتظري !!

لم تكن لتخرج من الأساس ، فهي كانت تنوي

الهروب إلى شقتها لتبكي كما تشاء...

وحين وصلت إليها فتحت بابها بسرعة، وهمت

بغلقه من الداخل كي لا يتمكن مروان من

ملاحقتها لكن مروان دفع الباب بقوة وهو يكرر

جملته :

-صبا انتظري !



لكن هي لم تنتظر، بل ركضت نحو غرفتها وهي
تعض على شفتيها بقوة لتكتم صوت بكاءها...
أغلق مروان باب الشقة بقدمه، ثم ركض خلفها
بقوة إلى أن تمكن من القبض على مرفقها،
فأدارها له، ليهاله كم الدموع التي كانت تغرق
وجهها بغزارة، ووجنتها التي كانت شديدة
الاحمرار...

شعر بها تعافره لتسحب مرفقها وهي تتحاشى
النظر إلى عينيهِ ، فشدد قبضته وهدر بوجهها
بقوة :

-أين كنتِ؟؟-

أنتفض جسدها الضعيف بفزع إثر صرخته
العنيفة لتتلون ملامحها وعيناها بخوف !!



ازدرد مروان ريقه محارباً غصته وهو يشدد
على ذراع صبا أكثر تزامناً مع صراخه :
-أين كنتِ يا صبا ، لا تتبعي هذا الأسلوب
معي !

رفعت عينيها الدامعتين له لتتنظر إلى عمق
عينيهِ، ومن ثم هتفت بإدراك متأخر وهي
تتلمس وجنتها المكدومة بأصابع مرتعشة :
-لقد، لقد صفعتني، أنا لا... لا أصدق ، أنتَ
صفعتني؟؟

كانت تتحدث بصوتٍ مرتعش وهي تربت على
وجنتها بشكلٍ أوجع قلبه، فجز على أسنانه وهو
يشيح بوجهه محاولاً تمالك أعصابه ومشاعره
المتضاربة والتي كانت تميل إلى الألم لأجلها
والغضب من نفسه..



ليطفو غضبه فوق كل هذا ، ويعاود استجوابها
بقسوة وهو يدفعها إلى الخلف، لتصطدم
بالحائط :

-سألتك سؤالا واضحا، أين كنتِ ؟ ، ولماذا
خرجتِ من الأساس، أين كان وعيكِ وأنتِ
تخرجين وحدك دون أن تخبريني ساحقة قلبي
وخوفي بقدميكِ سحقاً، ماذا فعلتِ أنا لكِ لترهقي
قلبي بكل هذا، أرهقتِهِ بحبه لكِ، وخوفه الدائم
عليكِ ، لم ترِ حالتي وأنا أبحثُ عنكِ كالمجنون
بكل مكانٍ خوفاً من أن يكون ذاك القدر قد نفذ
تهديده بعد أن سهلتِ عليه خطته، أليس لديكِ
عقل يا صبا... لماذا لم تخبريني قبل أن تقدمي
على فعلٍ كهذا!



لم تشعر صبا بنفسها وهي تلکم مروان بصدرة
بكفها الحر ، وتصرخ بوجهه من وسط دموعها

:

-وهل أخبرتني أنتَ بأنك تساعد عادة؟؟، هل
أخبرتني أنك تقابلها بشكلٍ مستمر، هل أخبرتني
قبل أن تقوم بمساعدتها، وقبل أن تسأل ولماذا
تسألني من الأساس سأقول لك، أن لا يحق لك،
مجرد مساعدتك لعادة لا يحق لك، ألا تعلم أن
عادة ترضخ لهاني بشكلٍ مخزٍ، لو أمرها بأن
تقتلك ستفعل!!، لم تفكر بأن عادة من الممكن
أن تكون الطريق الوحيد لهاني ليصل إليك وليّ
أيضا؟؟..فأنا أعرف جيداً معنى أن تكون امرأة
تحت رحمة رجل...كما كنت أنا تحت رحمته!!



أحمر وجه مروان بشكلٍ غير طبيعي، بينما
عيناه فقد التمعتا بشرٍ وهو يصرخ بوجهها
قابضاً بكفه على فكها لتصمت :

-اخرسي، اخرسي يا غبية...ماذا تقولين؟؟، أي
مقارنة تلك ، خوفي عليكِ أمام غضبك بشأن
غادة، فلتحترق غادة وليحترق غضبك تبا لهما
ولكِ أيضاً...لا يوجد أي شيء يُقارن بما كنت
أشعر به وأنا أتخيل ما قد يمكن أن يكون قد
حدث لكِ، قلبي وحده كاد أن يقف...أين كنتِ يا
صبا؟

صرخ بجملته الأخيرة بوجهها ، فسقطت
دموعها أكثر وهي تنظر إلى عينيه نظرة
أصابته في الصميم ، نظرة أخبرته أنه هدم كل
درجة أعدها بنفسه ليصعد لها...



انقطع الخيط الذي كان يسير عليه بحرص ،
حين غاب العقل ورجحت كفة القلب، فكانت
النتيجة أنه سقط من صرح أحلامه الشاهق إلى
الأرض ويرى حصاد محاولاته يضيع بسبب
خوفه عليها وتهورها هي...

هي التي كانت تشعر بأنها بكابوس خائق تتمنى
لو تستيقظ منه على ابتسامة مروان الرائعة
وتسمع نبرته الحانية بأذنيها....

لكن الآن مروان يصرخ بوجهها، يهزء بها
وبغضبها... ويصفعها !

ويهزء بها وحدها جعلت ذراعها الحر يرتفع
ليخلص صاحبه ، ثم هتفت بنبرة رغم برودها
إلى أنها كانت متشحة بالألم :

-كنت في زيارة إلى قبر... عابدا!!-



أمام مجمع تجاري ضخم كان يقف مرتبكاً بعض
الشيء وهو يتلفت حوله بطريقة ملفتة
للنظر...

شاعراً بشيء غير طبيعي...
منذ عودته إلى وطنه وهو يشعر بذاك الألم
الذي يعصف بقلبه كلما تذكر أنه تركها
ورحل...

تنازل عن حقه وسحق قلبه مرغماً، لئلا يتعد تاركاً
لها حرية الاختيار الذي لم يكن موجود من
الأساس...

ربما كان يجب عليه أن يحارب أكثر ليحصل
عليها !!

ربما كان يجب عليه أن يلجم عقله ويترك لقلبه
العنان لكن..

في بعض الأحيان يتصرف القلب بحماقة أهم
شيء عنده أن يحصل على مبتغاه...
يسير وراء حلمه معصوب العينين لا يسمع ولا
يبصر سوى ما يريده...

وهذا ما لم يكن ليسمح به بقاموسه...
أياد صابر لا يترك القيادة لقلبه ، فعقله وحده
سيتولى المهمة...

مشاعر غريبة تدفقت بداخله وهو ينظر إلى
أوجه المارة بابتسامة باهتة ، ينظر إلى ساعته
تارة..

ويراقب المارة تارة أخرى...



خصلات شعره الشقراء العابثة تصافح مقدمة

رأسه من الحين للآخر، فيزيحها هو متأففاً

وتتعلق به الأنظار وكأنه كائن فضائي ليس

بشراً مثلهم !

لم يكن بالوسامة المطلوبة، لكن هيئته تمنحه

شيء من الوقار...

بشترته المخملية تضيء على ملامحه لمسّه

ساحرة كلون شعره...

وعلى بعد مسافة ليست بالقصيرة، كانت تقترب

منه بخطوات بطيئة بسبب عرج قدمها التي

كادت أن توقعها أكثر من مرة مع فستانها

الوردي الطويل الذي التف حول قدها ليعطيها

مظهر هادئ نوعاً...

كانت تبحث عنه هو شخصياً...



عن إباد الذي ما أن لمحتة واقفاً أمام المجمع
حتى شعرت بقلبها ينقبض بشكلٍ أروعها...
أتراها ستتراجع عن مخطئه؟؟
لا تظن...

فمن المستحيل بعد تلك المحاولات المضنية
لمعرفة خط سيره أن يفكر بالتراجع حتى..
محاولات مضنية!!

نعم، فقد علمت بأنه على وشك العودة من
إحدى الصديقات التي كانت قريبة إباد بشكلٍ
غير مباشر وكادت أن تصرخ فرحاً حين علمت
أنه لم يتزوج حتى الآن!
لم تكن فرحة بالمعنى المعروف..
فهي كانت تخشى أن تفسد خططها وفرصتها
لتنجو من حب مريض عقيم...



بحثت هنا وسألت هناك...

أسبوع بأكمله تحاول جمع أكبر معلومات عنه

والتي لم تكن سوى أنه يأتي إلى ذاك المجمع

ليرى شقيقته وابنها الصغير..

لا تعلم لِمَ لا يذهب لها ويصطحبها بنفسه، لكنها

تعلم أن هناك سر خلف هذا التصرف الغريب،

لكنها لا تهتم...

فقط ما يهمها هو الفوز بتلك المباراة الغير

نظيفة...

فهي تتوي العبت بحياة رجل أحبها بصدقٍ

فكانت النتيجة أنه أصبح كبش فداء..

رجل مرت من أمامه بعد أن سحبت نفساً لتدعم

نفسها، ومن ثم اصطنعت الصدمة وهي تهتف

بعدم تصديق، تؤدي دورها بإتقان :

-إباد، كيف حالك؟؟

هي كانت تؤدي دورها بإتقان في مسرحية
مبتذلة وهو كان كمن تلقى ضربة قوية بصدرة
وهو يسمع صوت لم تزل نبرته من أذنيه..
صوت أطرب قلبه المشتاق لسماع نغمات
يعزفها صوتها !

متعطش لقطرات الماء التي كان يرتشفها من
نبرتها البريئة عطشا موحشاً...
أرتفع وجيب دقاته بشكل جنوني وهو يحملق
بالأرض مبهوراً دون أن يقوى على رفع وجهه
لينظر لها..

يظن نفسه يتوهم فهو دائماً كان يسمع صوتها
يرن بأذنيه، فيبستم ويجبر نفسه قسراً على
إبعادها عن مجرى تفكيره...



يا الله !

لم تكن بلده مصدر للسعادة له أبداً..
كلما عاد لها يفر هارباً وهو يجر أذيال الخيبة
والخذلان جراً...

والآن يسمع صوتها بأذنيه.. وترى عيناه
ملاحها المتمردة حين رفع وجهه لينظر إلى
وجهها بعينين غريبتين..

بينما هي فلم يفت عليها تقلبات وجهه وانقباض
كفيه بشكلٍ ملحوظ، فشعرت بالقلق يدب
بأوردتها هامسا لها

"اهربي، تراجعى"

لكنها أجبرت نفسها على المتابعة ورسمت
ابتسامة هادئة أظهرت طابع الحسن خاصتها،
ومن ثم هتفت بـود :



-كيف حالك يا إياد؟

رمش إياد بعينه مرتين بعدما أدرك أنه كان
محدثاً بها بوضوح، ثم أشاح بوجهه محاولاً
أخماد مشاعره الجامحة وهو يكرر بداخله
"أنها هنا، تبتسم لك، وتساك عن حالك
!..فلتبتسم وتبادلها السؤال بأضعافه!"
وكان هذا هتاف قلبه بجنون، قلبه الذي كان
يتراقص فرحاً واشتياقاً طال..طال جداً...
لكن عقله لم يترك المجال لقلبه الغبي ليتصرف
ويهدر كرامته أمامها..
فنظر لها بعينين غريبتين، ووجه متصلب..
وصمت!
فارتفع حاجبها بتوجس وهي تحاول فهم رد
فعله الغير متوقع والغريب!!



هل أختلطت بها الأمور ونست ملامح إياد

وذهبت إلى آخر !

لكن لا هو إياد..

تتذكر جيداً نظرتة الغامضة بشكلٍ مثير للفضول

!

لكن هي وللمرة الثانية تقنع نفسها بأنها لا

تهتم...

فترفع أنفها بعزة ، وتهتف بكبرياء وهي

تتراجع إلى الخلف ببطءٍ متأهبة للرحيل :

-على ما يبدو أن سيادتك لا تعرفني، لذا

فسأرحل !

مغرورة !

ألم تتخلى عن غرورها الغير مناسب بيئتها

ومكان نشأتها !!



ضحكة ساخرة انغرست على شفتي إياد، و
انفرجت شفتاه ببطء، ثم هتف بصوتٍ أجش
غريب:

-من ذا الذي لا يعرف مروج حبيبة الفنان
وزوجته على الأرجح !

أرتد وجهها إلى الخلف مجفلة وكأنه لكمها
بمنتصف وجهها، وهذا بالفعل ما شعرت به
بعدما ألقى جملته بمنتهى البرود، جملته التي
كان مكنونها أنه لا يعلم عنك أي شيء...

شعرت مروج بأن مخططها على وشك الفشل
قبل أن يبدأ، فضغطت على أسنانها بغيظ وهي
تهتف بقوة :

-أنا لست حبيبة أحد ولا زوجة أحد ، أنا مروج
الأمير فقط..



-جيد، تشرفت برويتك..

هتف بها إيد بكل ببرود وهو ينظر لها بعينين
التمعتا في لحظة خاطفة وهو يراقب امتقاع
وجهها وارتباكها فابتسم بتبld، مكبلا مشاعره
بشق الأنفس.

يخشى أن يتشقق قناعه المتبld؛ فيكشف عن
وجهه الحقيقي، ولم يكن ذاك الوجه هو المحبب
له ، فما رآه طوال حياته ليس بالقليل...
ليس لديه أي استعداد لزيادة جرحه الملتهب
ألماً جديداً، فصوت أنين قلبه لا يتوقف وعويل
روحه لا يعرف الصمت...

فلم يرَ سوى التعامل بتبld هو الحل الرئيسي
ليحمي نفسه من نيران لو شبت بروحه
ستحرقه حرقاً.



ازدردت مروج ريقها ببطءٍ ، ثم أطرقت برأسها
وهي تفرك أصابعها بتوتر واضح، فسمحت له
بأن يسقط قناعه المقيت وترتسم ابتسامة حانية
على شفثيه وهو ينظر إلى رأسها المحني..
لا يصدق حتى هاته اللحظة بأنها واقفة أمامه
تتحدث معه ، تفرك أصابعها وتنظر حولها

بحيرة !

هل يحلم؟؟

مروج تقف أمامه الآن وتتحدث معه وجهاً

لوجه !

لكن..لم يشعر بشيء غير مريح !

لماذا الآن يراها صدفة أمام مجمع صخم لم يكن

يتوقع أن يراها أمامه قط !



قلبه يصرخ به مصعوقاً من رد فعله ، فيقابله
عقله بالصفعات ليفيق من غيبوبة العشق
والأشتياق التي أنسته ما فعلته تلك المتمردة!!
هي..اتهمته بالخيانة وهو لم يكن بالخائن..
هي، طعنت قلبه طعنة غائره لم يزل أثرها من
قلبه حتى الآن !

ويعود السؤال مرة أخرى، هل يحلم !
لكن ضربات قلبه الغير منتظمة وفرحته
الداخلية بها تثبت العكس بالرغم من كل شيء ،
فينظر إليها نظرة لو رأتها لكانت تراجع عن
لعبتها الحقيرة..

كانت تخلت عن انتقامها وتركت نفسها لذاك
الرجل الذي كاد أن يصرخ عالياً بفرحة
لقياها...



فرحة إشباع رغبته لرؤيتها !

رغبة كانت تتفاقم بداخله طوال فترة ابتعاده...
ولكي يثبت له القدر أن وجودها حقيقي، تأوهت
مروج بألم بعد أن اصطدمت كرة إحدى الأطفال
بقدمها، فانعقد حاجباها بألم حقيقي وهي تنحني
لتلمس قدمها الغير سليمة، فانعقد حاجباه ووجد
نفسه يهتف باندفاع :

-اعتدلي ، لا تنحني بجسدك !

نظرت له مبهوتة وهي تعادل بسرعة كما قال،
ثم تتراجع إلى الخلف وهي تقول بعدم فهم :
-عفواً !!

أغمض إياد عينيه بقوة وهو يعض على لسانه
لائماً إياه على تهوره، ثم انفرجت شفتاه ينوي
التحدث..



لكن صوت المرأة الذي أتى من خلفها اسكته :

-إياد، هل تأخرت عليك ؟

التفتت مروج لتتظر إلى تلك المرأة التي كانت

تتظر إليها مبهوتة لا تصدق هي الأخرى أن

مروج هنا...

وهذا ما فهمته مروج كما اكتشفت أن تلك

المرأة والتي على الأرجح أنها شقيقة إياد وتعلم

كل شيء...

لكن مروج لم تعلم أن تلك المرأة ما هي إلى

ضلع مكمل لمثلث خطير لن تستطيع الفرار

منه...أبداً...

=====

-كنت في زيارة إلى قبر...عابد!!

هل الكلمات تقتل؟؟؟



هل النظرات تصفك على وجهك بحقيقة أنت

نفسك تدركها... لكنك كنت تتعمد دائماً أن

تتغاضى عن كونك رتبة ثانية !

وأي رتبة تلك يا رجل ؟

لقد ذهبت إلى قبره حين شعرت بالخوف والقلق

يغزو قلبها!

خرجت من بين أحضانه دون أن تعتذر حتى

لتتشبت بذكراه !

هو كاد أن يموت خوفاً عليها ودمعت عيناه

بقهرٍ وخوفٍ أحتل قلبه الذي وقع أسيراً له،

فكاد أن يتوقف من فرط الخوف !

بينما هي، كانت تبكي على أطلال زوجها

السابق!

ترتشف الأمان من جسدٍ احتضنه التراب..



أما هو...فما هو إلا رجل فرض قلبه عليها
فكانت النتيجة أنها سحقت قلبه دون أي اهتمام!
تراجع خطوتين إلى الخلف وهو ينظر إلى
عينيها الحمراءوين مبهوتاً، ثم أنفجرت شفاته
بصعوبة وكأنه يسحب كلماته سحباً لينقلها إلى
لسانه الذي أبي أن يهدر كرامته أكثر من ذلك،
فأطرق رأسه أرضاً وهو يزفر نفساً حارقاً
شعرت به يجذبها قسراً ليخبرها بأنها أصابت
الهدف !

وها هو يقف عاجزاً عن الصراخ كما كان يفعل
منذ دقائق...

عاجزاً عن لومها عن افراغ غضبه...



والسبب أن زوجته أخبرته أنها حين شعرت
بالخوف، ركضت إلى قبر عابد متسللة من بين
أحضانها...

ألم يكن حديثها كناية عن هذا !

لم تقصد، والله لم تقصد سحق كرامته..

إلا مروان !

مهما حدث بينهما، يبقى مروان هو فرصتها
الوحيدة للتنفس.. فبدونه، ينقطع النفس وتخدم

الروح !

ووسط فوضى المشاعر التي كانت تشعر بها
انتفضت مجفلة على صوت صفق باب الشقة
بعد أن خرج مروان متنازلاً عن المواجهة...
بل منسحباً...



وصوت صفق الباب كان كالوحش المخيف
الذي جعل قلبها يتألم وروحها تصرخ باسمه
قبل لسانها!

حتى عيناها سبقت ساقها حين شعرت
بدموعها تحرق وجنتيها حرقاً...
والخوف يشعل فتيله بقلبها؛ فيأمر ساقها أمراً
بالركض نحو باب الشقة لتلحق به بلامح
شاحبة...

لكن... كان يجب أن تأخذ قرارها بملاحقته
مبكراً قليلاً... وهل ستظل دائماً هكذا!
تأخذ قرارها بعد فوات الآوان!
أحذري يا صبا... فهناك فرص نمتلكها بين يدينا
لا نقدر ثمنها... وياليتنا مثلك!
فالفرصة لم تزل!

وبين أفكارها المتضاربة، ونداء العقل البعيد!
صرخ القلب منادياً باسمه ، فلبى لسانها النداء
ليتردد صرختها بأنحاء البناية :

-مرووووان!

ولم تجد أي ردٍ على صرختها سوى تردد
صداها، وتلك الأقدام التي كانت تهبط من
الطابق الذي يعلوها، ومن ثم تعالي صوت سليم
بقلق وهو يقف بجوارها :

-لماذا تصرخين؟، أين مروان؟

نظرت صبا له بعينين حمرأوين كالدم، وشففتين
مرتعشتين، بينما ساقها فقد كانت تشعر بهما
كالأسفنج الرخو...



أما سليم فقد كان يشعر بالشفقة على حالتها
وخوفها الظاهر بعينيها، فاقترب منها ليقول
برفق وهو يمد كفه أمامه :

- ادخلي، لا تقفي هكذا، سأذهب خلفه لا تخافي
عليه، هل خرج مروان فعلاً؟!!

أومات برأسها بضعفٍ، وهي تخفض وجهها
أرضاً لتبكي بصوتٍ مسموع، فزفر سليم بتعبٍ
، ثم هتف:

- ادخلي إلى شقتك يا صبا لترتاحي !
تحركت صبا بضعفٍ نحو باب الشقة وهي
تكفف دموعها بظاهر كفها، جرت قدميها جراً
لتصل لباب الشقة الذي لم تلبث أن وصلت إليه
لتلتفت إلى سليم وتهتف بصوتٍ مرتعش :
-سليم، أخبره أنني لم أقصد ما فهمه !



أرتفع حاجب سليم بشكلٍ غير ملحوظ، ثم لم
يلبث أن قال بجديّة وهو يتأهب لهبوط درجات
السلم :

-سأفعل ولكن بشرطٍ واحد، لا تخرجي من البيت
قبل عودته!

لم تجد رداً مناسباً أكثر من هز رأسها بموافقة،
وزيادة أمطار عينيها..

بينما جسدها هددها بالانهيار !
فأغلقت باب الشقة لتركض إلى غرفتهما تنوي
الانهيار هناك...

على الأريكة التي كانت الشاهد الوحيد على
إحتوائه وحنانه لها الذي كان يظهر كلما جذبها
لتجلس بين قدميه ويبدأ في تدليلها !



وعندما وصلت افكارها إلى هذه النقطة، شعرت
بألم حاد يغزو قلبها وكأنه طُعن بنصل خنجر
حاد.. تلذذ بدماء خوفه وندمه... وتخبطه !
أما بالخارج، تابع سليم هبوط درجات السلم
وهو يتحدث في الهاتف بصوتٍ هاديء :
-مليكة، أذهبي لها لا تتركها وحدها!

=====

نظرت حولها برهبة ظهرت بمقلتيها اللتين كانتا
ترمقان كل شبرٍ بانبهار تام..
فكها مدلى بحماقة، وحاجباها منعقدان بشدة...
فالتوت شفثاه بشبه ابتسامة قتلها في مهدها
بنفسه ليعاود ارتداء قناعه الجامد مرة
أخرى...



لكن عيناه فضحتا ما يدور بداخله وهو ينظر
لها بطرفٍ عينية كي لا تلاحظه...
لكن شقيقته كانت تراقبه بابتسامة خبيثة وهو
تثرثر مع مروج التي كانت على وشك الرحيل
حين أتت، لكنها لم تكن لتتركها تهرب وهي
تري شقيقها يختلس النظرات لها بطريقةٍ
أوجعت قلبها، فهي تعلم إياها وما يشعر به تجاه
مروج بوجهٍ خاص...

فتشبثت بمروج وترجاتها أن تبقى معهم
قليلاً...

ولم تجد مروج الحمقاء بدأ لقبول عرضها ففي
الحالتين، تلك الفرصة ستساعدها على تنفيذ
خطتها...



وبالرغم من قلقها وخوفها مما هي مقدمة عليه
بكل سذاجة ، وتوجسها من تشبث شقيقة إياد
بها...

قبلت صاغرة... لا بل ممتنة وهي تسير بجوار
إياد الذي كان يتنفس بصوتٍ مسموع وكأنه في
سباقٍ شاق..

لا تعلم أن وجيب أنفاسه ارتفع كما ارتفع وجيب
دقاته بشكلٍ مبالغ به فكاد أن يصرخ فرحاً و
يفتح ذراعيه محتضناً ذرات الهواء وكأنه
يحتضنها هي...

لكنه تماك زمام أموره ليعبس بوجهه وهو
ينظر إلى مشيتها المستفزة والتي لم تكن سوى
أنها تتمايل بجسدها بمشيتها رغماً عنها...



أو هكذا يظن من فرط شوقه وغيرته التي كانت
تحرقه حرقاً وهو يحمل بكفيها أثناء حديثها
معه يبحث عن أي خاتم يخنق بنصرها !
يخنق ؟

نعم، فأي خاتم سيراه بأصبعها ليدل على أنها
أصبحت ملك غيره خائق حد الموت !
وحين أصبح شكه يقيناً بأنها لم تتزوج حتى
الآن...

تنفس الصعداء وهو يغمض عينيه براحة...
والآن يزفر نفساً حراً وهو يراها تراقب أنحاء
المجمع التجاري بعينين ملمعتين ، فابتسم قلبه
بحنان ، والتمعت عيناه... لكن وجهه لم يتخل
عن عبوسه أبداً...

وحين طال الصمت بينهم، هتفت شقيقة إِياد
ببراءة مصطنعة وهي تتقر بأصبعها على سطح
الطاولة :

-إِذَا، فانتِ لم تتزوجي بعد يا مروج؟
أجفلت مروج من سؤالها الصريح والفضولي
جداً في أول لقاء بينهما، لكنها بالرغم من
صدمتها، وغضبها الداخلي من تلك اللزجة التي
تنظر إليها نظرات غريبة وتتنظر إلى إِياد نظرات
ذات مغزى، وجدت أن سؤالها يعمل كعامل
مساعد لها أثناء بناء الهدف من الصفر، فهل
ستفسده أم ترد عليها بكل هدوءٍ؟؟
وكما قال معجم الخداع والكذب، تابعي وأنا
سأمنحك كل المفردات المرادة، فلبى لسانها



أمره، وأرتفع أنفها بكبرياء لتهتف بعدم اهتمام

يناقض الألم الذي ظهر جلياً بعينيها :

-لا سيدتي، لم أتزوج حتى الآن، لا أعتقد أن

سني مناسب لتلك الخطوة من الأساس...

ضحكة ساخرة ندت عن إباد وهو يهز رأسه

بستهزاء، فنظرت له بطرفٍ عينيها تحاول كظم

غيظها من بروده وغموضه الذي أثار غضبها

حد الجنون وهي تلاحظ تجاهله لها ونظراته

التي لم تتمكن من كشف أي شيءٍ منها أبداً،

مجرد نظرات تخبرها بكل وضوح...

ماذا تفعلين هنا؟

أتظنين أن بأمرٍ منك، سأركض نحوك وأنا

أشكرك على كرم سيادتك !

هراء!



فكرامتي لن تتحمل أي تجريح!

هذا ما كان يفكر به إياد وهو يبادلها نظرتها

المتعجبة من ضحكته بأقوى منها...

فارتعش قلبها بشكلٍ غريب وهي ترمش بعينيها

لتطرق رأسها بعدها...

- يبدو أنك لن ترحلي؟

قالها إياد ببرودٍ وهو ينظر إلى ساعة معصمه

نظرة ذات مغزى رافعاً حاجبه، فامتقع وجه

مروج بحرجٍ، بينما شقيقته نظرت له بعتاب

وهي تلاحظ امتقاع وجه مروج وحركتها

المتوترة..

مروج التي كانت تستحضر جانبها القاسي ليرد

له كلماته اللاذعة أضعاف أضعافها...

لكن... لم تشعر بالعجز أمامه الآن؟



أما إياد فقد شعر بأنه أخرجها بشكلٍ مبالغ به،
فهتف بصوتٍ هاديءٍ موضحاً قصده :
-لقد تأخر الوقت كثيراً وهذا ليس محبباً بالنسبة
لك.. هيا بنا سأقوم بتوصيلك و...
-لا، سأعود إلى بيتي بنفسي، شكراً لك...
قالتها مروج بسرعة مرتعبة من عرض إياد
الذي ما هو إلا إعلان صريح لأمجد ورائف بما
ستفعله، كما أنها لم تكن لتوافق من الأساس أن
يقوم بتوصيلها رجل إلى بيتها بسيارته !
انتصبت مروج واقفة وهي تعدل فستانها
بسرعة، ثم أعادت خصلة متمردة كانت تداعب
وجنتها برقاً وراء أذنها، كل هذا أمام عيني
ذاك العاشق الذي لم يتحكم بنفسه وهو يبتسم
ابتسامة واسعة ولحسن حظه لم ترها مروج...



كما لم ترَ الفرح الصاحب الذي كان يلون

مقلتيه...

هتفت مروج بابتسامة هادئة وهي تصافح

شقيقة إياد مودعة :

-تشرفت بروئيتك !

ابتسمت لها الأخرى بدورها، وهتفت بحبٍ

صديق :

-سأكون على تواصل معك دائماً..

ابتسمت مروج لها بهدوء، ثم نظرت إلى إياد

الذي كان ينظر لها نظرة دفعت الصقيع

بأوردتها، نظرة لم تستطع تفسيرها

لكنها لم يكن أمامها الوقت الكافي لتحليل نظرتة

فهي بالفعل تأخرت، لذا انفرجت شفتاها لتقول

بنبرة مدروسة :



-إلى اللقاء يا إياد، أراك لاحقاً...

ومن ثم استدارت على عقبيها متأهبة للرحيل،

لكن صوت إياد الذي دوى خلفها منع تحركها :

-انتظري، سأقوم بتوصيلك إلى الخارج لتستقلي

سيارة أجرة...

وبالفعل قام بتوصيلها إلى الخارج وهو ينظر

أمامه غير مهتماً بها...

هي التي كانت تشعر برهبة غريبة وهي تسير

بجواره جانباً لجانب، ترى ملامح وجهه عن

قرب...

وتلمح عيناها خصلات شعره المتمردة التي

كانت تصافح مقدمة رأسه بشكلٍ جذاً جذاً!

جانب وجهه وحده كان مثلاً للبرود والجمود

الغريب...



يبدو أن وجهه رُسم على هذا التعبير الجامد...

شعرت به يقف فانتبهت لطريقها وانتبهت أين

هما؟

أنه يقوم بإيقاف سيارة أجرة بنفسه...

غريب هذا الرجل..

لا تفهم تصرفاته الغريبة منذ بداية اللقاء...

لكن هناك شيء يجذبها نحوه وآخر يحذرهما بالأ

تتابع ما تتوييه !

وكالعادة يبدأ عقلها وقلبها في الشجار ليسبب

لها صخب حاد...

- ادخلي!

انتفضت بشكلٍ غير ملحوظ على هتاف إياد

القوي وهو يزرها غاضباً بعدما لاحظ أنها

محط لأنظار مجموعة من الشباب...



فرمته مروج بنظرة قوية وهي تقول بقوة :

-يمكنك الرحيل الآن !

زم إيد شفتيه بملل وهو يتأفف بصوتٍ

مسموع، ثم مال بجسده ليفتح لها باب المقعد

الخلفي ، ثم أشار برأسه إلى السيارة دون أن

يضيف كلمة أخرى..

استفزها أسلوبه المتعجرف، فعقدت ساعديها

أمام صدرها وهتفت بكبرياء وهي تميل بكتفيها

قليلا :

-أنا لا أحب هذا الأسلوب !

وأثناء حديثها كانت غافلة عن نظرات مجموعة

من الشباب مصوبة نحوها، لكن إيد كان

ملاحظاً نظراتهم منذ البداية، فأغمض عينيه

بنفاذ صبر من عنادها الذي يشبه عناد البغال



هذا، ثم لم يلبث أن انفرجت شفتاه ليهدر

بوجهها فاقداً أعصابه :

-أعجبك نظراتهم يا أستاذة أم ماذا؟، قلت لك

اركبي...هياااا.

اتسعت عينا مروج بذهول، وتدلى فكها حتى

كاد يعانق الأرض...

تنظر له بحاجبين منعقدين صدمة وذهول مما

قاله للتو...

بماذا يهذي هذا المجنون ؟

أنه أول لقاء بينهما منذ فترة طويلة..

وهي من خطت لهذا اللقاء..

ليأتي هو ويأمرها بكل فظاظة وقلة ذوق بأن

تركب السيارة وترحل..

وما زاد ذهولها هو ما فعله إياد الآن بعد أن
امتقع وجهه لثانية، ومن ثم ارتدى قناعه
المتبدل ورمقها بنظرة ساخرة وهو ومن ثم نظر
إلى مجموعة الشباب نظرة قاتلة...
هي نفسها خافت من نظرتة الحادة وملامحه
الغامضة..

وحدها عيناه هي من فضحت ندمه عما قاله
وفضح نفسه...

لكنها لم تتعمق في فهم ما تقصده عيناه..
-بعد أذن سيادتك، ادخلي لتعودي إلى بيتك لقد
تأخر الوقت...-

قالها إياد بنبرة جافة وهو يدس كفه بجيب
بنطاله، ليخرج ورقة نقدية أعطاها للسائق وهو
يميل نحو النافذة وقال :



-خذ هذه النقود وقم بتوصيلها إلى (...)

ومن ثم اعتدل في وقفته و استدار على عقبه

ليرحل بعد أن أغلق باب المقعد الخلفي بعد

دخولها...

فأطلت مروج برأسها من النافذة لتتهف بقوة

كي يسمعها قبل أن يبتعد :

-هااي أنت أنتظر لماذا دفعت للسائق معي

أموالي؟!!

وقف إياد مكانه وهو يضغط على أسنانه بغية

ونفاذ صبر، ثم لم يلبث أن نظر لها من فوق

كتفه...

ومن ثم تابع طريقه دون يلتفت لها...

فزمت مروج شفيتها بقوة وهي تتأفف بقوة...

غريب هذا الرجل..



جاءت لتخذه خدعها هو بغموضه وبروده

اللامتناهي...

تحرك السائق بالسيارة، بينما تعالي رنين هاتف

مروج، لتشعر بخوف مفاجئ يعصف بقلبها..

تسارعت أصابعها لتلتقط هاتفها..

تراقص اسم لجين على شاشة الهاتف، فتسارع

إبهامها لتجيب إتصالها...

وما أن وضعت الهاتف على أذنها حتى جاء

صوت لجين الباكي يخترق أذنها بقوة :

-مروج، لقد أتى مالك إلى هنا ودخل إلى أمجد

وبعدها بدقائق تعالي صراخ أمجد...وتشابكا

معاً...

صرخة مرتبكة انفلتت من بين شفتي مروج،

فأجفل السائق..



هتفت مروج برعب :

-لماذا؟، ماذا حدث؟

-ما سمعته أنه جاء ليبرر وما أن ثار أمجد

عليه، صار مالك يهذي بكلماتٍ غريبة..

-أنا آتية...لن أتأخر...

هتفت بها مروج وهي تهز قدمها بتوتر

وعصيبة...

ثم أغلقت الهاتف بأصبع مرتعش، ومن ثم

أخفت وجهها بين كفيها لتجهش في بكاء

عنيف...

ألن يرحمها مالك؟

يكفيها ما رآته منه، يكفيها روحها المشوهة

وقلبها المعطوب!

لقد فقدت قوتها بالفعل!



منذ متى كانت تبكي مروج بهذا القهر والألم !
وهل يستحق حب كهذا أن يبقى إلى الأبد، هو لم
يكن بالقوة التي تجعله يتحمل صفعات القدر!
وهي لم تعد بتلك القوة التي جعلها تبتلع
صفعات مالك وتصمت...

=====

قبل فترة....

طرقت لجين باب غرفة أمجد بتردد، فتعالى
صوت أمجد سامحاً لها بالدخول...
دخلت لجين وهي تزدرد ريقها بصعوبة..
رفع أمجد عينيه عن هاتفه لينظر إلى حركاتها
المتوترة وعينيها الزائغتين، فأغلق هاتفه
ووضعه على الطاولة أمامه...
ثم نظر لها وهتف مبتسماً بهدوء:



-هل تريد أن تخبرني بشيء حبيبي؟
ابتسمت لجين ابتسامة متوترة، ثم هتفت بتردد

:

-آ...آ

-ماذا حدث يا لجين لقد قلقتيني!
هتف بها أمجد وهو يقترب منها بسرعة عاقداً
حاجبيه بقلقٍ حقيقي، فهتفت لجين بسرعة
وهي تربت على صدر أمجد :

-مالك ينتظرك بالخارج، هل أخبره بأنك لست
موجوداً؟!؟

تجمدت ملامح أمجد و اشتعلت عيناه ببريقٍ
مخيف، فارتعبت لجين وانفرجت شفتاها تنوي
التحدث، لكن أمجد سبقها حين قال بغموضٍ :



-أدخليه يا لجين، أنا أعلم بقدومه... ولا تدخلني
إلى هنا مهما حدث..

رمشت لجين بعينيها بعدم فهم، ثم لم تلبث أن
أومأت برأسها بطاعة وخرجت من الغرفة...
زم أمجد شفثيه بقوة وهو ينظر إلى باب الغرفة
بغموض...

كان منتظراً هذا اللقاء، وها قد أتى وأصبح
مالك بين يديه..

دقيقة وكان مالك يقف أمام أمجد مطرقاً رأسه،
فنظر أمجد إلى رأسه المحني مبتسماً بسخرية..

كان الصمت يلفهما بشكلٍ مخيف...
مالك يشعر بالندم يقتله قتلاً، يخجل من النظر
بعيني أمجد...



لقد خذلتك كثيراً يا صديقي، لكنني كنت أخذل
نفسي قبلك..

كان أول من قطع هذا الصمت المريب هو أمجد
حين هتف دون مواردية :

-لقد كنت أعتبرك شقيقي يا مالك، لم يكن ليّ
سوى اثنين إحداهما هربت به والآخر تخلّيت
عنه بعد أن تركته، أعتبرتك أنت ثالثهم، لم أكن
أتوقع أن يكون لي صديق فأنا دائماً أخشى أن
يكون ليّ صديق تأتي طعنة الغدر منه..وها قد
تحقق ما كنت أخشاه...أنا أمجد الأمير لم أكن
يوماً ظالماً وهذا ليس غروراً، بل هي ثقة
بضميري الذي لا تمتلك مثله، لدي القدرة على
مسامحة أكبر عدو ليّ، وبعدها أعامله وكأنه
من أهلي، لكن أنت فعذراً مني حين يصل الأمر



إلى ابنتي فلتحترق أنت وليحترق الجميع يا
مالك..

كانت نبرة أمجد قوية مخيفة، يرتعب لها قلب
أي أحد يقف أمامه !

نظراته وحدها بثت الرعب والندم بداخل مالك
الذي كان يتمنى أن تتشق الأرض وتبتلعه...
هل الكلمات تقتل ؟

نعم أن كنت تدرك أنك تستحقها بالفعل !

وهذا ما ألم مالك...

مالك يدرك أنه أخطأ..

مالك... ليس لديه فرصة للندم..

مالك.. خسر مروج للأبد وبالرغم من ألمه

وحزنه إلا أنه يرى أن هذا هو الحل الأمثل...



عقله يقنع، وقلبه يبكي وهو تائهة بين الأثنين،
يحاول إتقان دور النذل الخائن وهو يحتضر
ألماً...

تابع أمجد تقريره بنبرة حادة، قاسية:

-تركها أول مرة وركضت لترد زوجتك الأولى
إلى عصمتك بعد أن مهددت لك طريقاً للشهرة،
أغرقت الأموال يا مالك لتسحق قلب شقيقتي
وتلهث وراء حلمك كالمغيب، لم أكن أعرف ما
هو سبب عدم حضورك يوم عقد القران إلا بعد
زيجتك الأخيرة، استحضرت جملة قالها شقيقي
يوماً "لا تفكر بمشاعرك، عقلك وحده آلة
زمنية متي أردت أن تبحث عن حدث،
سيساعدك"، يوماً سخرت منه وقلت له بكل
صراحة "لا دخل لك بي، أنت تفكر بعقلك



وبغموضك هذا وأنا أفكر بقلبي ومشاعري"،
وها أنا قد أتبع نصيحته وبحثت وراءك إلى
أن وصلت إلى شقيقة زوجتك التي أخبرتني بكل
شيء، بدءاً من عودة علاقتكما بعد طلاقكما
الأول إلى اليوم الذي أقنعتك به أنها ستمنحك ما
تريده لتحقيق حلمك، وبالتأكيد كان الثمن هو
قلب شقيقتي، تباً لكما....

هدر بها أمجد بقوة وهو يلکم مالک بكتفه بقوة،
لكن ما استفزه أكثر هو استسلام مالك، فجن
جنون أمجد وهتف بعد أن فقد عقله المعتاد :
-قبلت بك زوجاً لها والفرق بينكما يعادل الفرق
بينها وبينني، قبلت بك وأنت فقير، قبلت بك وأنا
أشعر بأن أصلك ترك بك بصمة لن تمحي، قبلت



بك لترد ليّ المعروف بما فعلته بها، عديم
الأصل لا أعرف أصلك لكنني منحتك إياها !
لم يكن أمجد يفضل التطرق إلى النقطة الأخيرة،
فهو مهما حدث لم يكن ليجرح أحد بشيء ليس
له ذنب به، فالتمعت عيناه بندم حقيقي، بينما
شعر مالك بالإهانة تصفعه بقوة، لينظر له
بعينين كجمرتين، ويهتف هو الآخر ضاغطاً
على جرح كان قد على وشك الشفاء :
وماذا عنك أنت يا ابن الأصول، والدك نصاب،
مختلس ليس لديه مبادئ وكانت النتيجة أنه
أنجب نسختين متشابهتين إحداهما أنت والآخر
شقيقك الذي تركته هناك ليصبح نسخة منهم،
هل تظن أن أصلك يفرق عني كثيراً، أم تريد أن
أخبرك بأن والدتك تركت أباك لأنه ارتكب



جريمة شنعاء حين أوشك على اغتصاب فتاة،
أم أخبرك بأنك هربت من بلدتكم آخذاً لجين
ومروج ورائف وتركت شقيقك الرابع
هناك... أنت لست أفضل مني يا ابن...
لم يكمل مالك كلمته حين عاجلة أمجد بلكمة
عنيفة أطاحت بفكه، وهو يصرخ بوحشية
وعيناه تكادان أن يخرج منهما ناراً وحمماً
بركانية :

-اخرس، اخرس يا نذل يا عديم الضمير..
تأوه مالك بصوتٍ مكتوم وهو يمسح قطرات
الدم بظاهر يده، بينما أمجد فقد تحول إلى
شخصٍ آخر، يقبض على قميص مالك بقوة
وعيناه تكادان تقدحان حمماً بركانية..



لقد نكأ مالك جرح ظنه شُفي منذ قديم الأزل،

لكن ما يشعر به الآن يثبت العكس..

دليل وبرهان واضح يخبره أن حقيقته ليست

أفضل من مالك بل أسوأ..

لم يكتفِ مالك بهذا القدر بل هتف بكل تبجح

وهو ينظر إلى عيني أمجد المشتعلتين :

-أبتعدت عن شقيقتك كي لا أوذيها لكن أنت

تقترب من أفعى سامة تتلاعب بك لأنك مغفل!

ماذا يقصد وعن يتحدث هذا المجنون!؟

عن جود؟

شحبت ملامح أمجد بشكلٍ ملحوظ بينما خمد

الحريق بعينيه ليحل محله شيء آخر...

أما مالك فكان كالمعمي يضرب دون حساب،

فكل شيءٍ في الحرب مباح...



لذا فلم لا يشهر خنجره ويغرزه بظهر صديقه
في لحظة غاب فيها العقل والقلب وكل شيء..
وكي يسجل هدفاً على خصمه الذي كان ينظر
إليه بذهول وعدم فهم، تابع ما يقوله بخبثٍ :
-سأتي لك برقم من يخبرك بحقيقة حبيبة

القلب...يا مغفل !

شعر أمجد بالنيران تحرق صدره، ف جذب مالك
من ياقة قميصه بشدة، ثم هدر بوجهه بصوت
قوي :

-اخرررس، أنا أثق بها أكثر من نفسي،

مستحيل أن تخدعني...

ضحكة ساخرة ندت عن مالك وهو يهز
رأسه بأسف مرتدياً رداء النذالة والخسة في
أقذر صورها...



أما أمجد فقد شعر بأنه على وشك الجنون وقبل
أن يفكر بشيء كانت مروج تقتحم الغرفة وهي
تهتف بأسم أمجد مرتعبة :
-أمجد!..

نظر أمجد بقوة، ثم هدر بوجهها أمراً :
-اخرجي يا مروج..

-نعم أخرجي يا مروج لا تقفي هنا وسط عديم
الأصل وأبن السارق!

قالها مالك بابتسامة ساخرة كاظماً ألمه بشق
الأنف منذ وقعت عيناه على مروج وهي
تتشبث بذراع أمجد كي تبعده عن مالك.. ليس
لأجل مالك، بل لأجل شقيقتها!



نظرت مروج له نظرة غريبة تجمع بين الألم و
الإنكسار والقرف ، تقزز انتقل إلى نبرتها وهي
تلقي جملتها بوجهه :

-كم حقير أنتَ؟!!

الجملة آلمته، لم يكن بالحقير يوماً...

لكن الأشياء لا تظل كما هي...

أغمض مالك عينيه متألماً للحظة...

لحظة حاول جمع شتات روحه بها...

يلملم ما بعثره القدر بقلبه..

لكن أمجد لم يتحمل أن يبقيه أمامه، فدفعه إلى

الخارج هادراً :

-أخرج من بيتي لا أريد أن أراك مرة أخرى،

اذهب إلى زوجتك الجديدة !



ابتسم مالك ابتسامة غريبة، ثم هتف وهو يوجه
حدثه لمروج الواقعة مكانها تنظر إلى ما يحدث
بحاجبين منعدين وشفقتين مرتعشتين أماً
ورهبة :

-سأذهب إلى زوجتي، التي اختارتي واخترتها،
لا أعتقد أنك ستحصلين على فرصة جديدة
للزواج..

كان يريد أن يجرحها أكثر، ففكره وتنتزع
حبها من قلبها كما يفعل هو...

لكنه لم يدرك أنه أيقظ تمرداً وكبريائها...
فما أن اندفع مالك خارجاً من الغرفة اندفعت
خلفه ودموعها تتساقط رغماً عنها...
وقفت على بداية الدرج وهتفت بصوتٍ قوي
بالرغم من دموعها :



-لقد حصلت على رجل يستحق معنى الكلمة

بالفعل يا مالك...

توقف مالك بمنتصف السلم شاعراً بأن شيء ما

لكمه بمنتصف صدره فجأة، ليغمض عينيه

متألماً، لكن مروج لم تهتم، بل تابعت بصوت

أقوى وهي تخبره بأسم الرجل الذي لم يكن

سوى :

-إياد صابر، أتذكره ؟

شعر مالك بنيران تنهش قلبه إثر سماعه إلى

أسم إياد...

ألم عاصف وهو يدرك من هو إياد صابر..

وحقيقة مشاعره نحو مروج الذي يعرف...أنها

حقيقية جداً...



لقد تهورت، تهورت وكشفت أوراقها قبل أن
تبدأ اللعبة..

أدخلت رجل بحكايات لا يعلم عنها شيء من
أول لقاء بعد اختفائه..

أوقعته بمشاكلٍ ستبدأ بالهطول فوق رأسه..
وإياد لم يكن ينقصه..

تلك النظرة التي التمعت بعينا مالك كانت غريبة
وهو يهمس لنفسه بغل :
-نعم، أعرفه...

وبعدها انطلق وخرج من المنزل بأكمله،

فشعرت بأن قدميها كالهلام..

يا إلهي، أنها تتعذب !

=====



النفوس القذرة ليس لديها سوى هدف واحد،
هو إفساد أي علاقة ناجحة..
نفوس تترك ما بين يديها من ذهب نفيس
وتتظر بجشع إلى ما بيد غيرها..
وها هو يخطط لينال منه، يخطط ليخبره أنه
ليس بالضعيف ليقوم بلي ذراعه...
سيعمل على إفساد علاقتهما حتى لو كان الثمن
موته..

مما عرفه مؤخراً، لقد انجرفت صبا إلى طريق
ممهد، صنعة مروان لها بنفسه..
لذا فلما لا يتلاعب هو بأساس ضعيف لم يُبنى
جيداً..

فيهدم ذاك الطريق ويبدأ هو ببناء ما يريد..

أبتسم هاني بغلٍ، وهو ينظر إلى صور عادة
ومروان وهو يرافقها إلى إحدى الأماكن، يخطط
ليرمي أول ورقة رابحة...

وسيكون تأثيرها، رائعاً... جداً..

ومن ثم نظر إلى الجهة الأخرى ليتأمل صور
صبا وهي مقيدة بينما هو فقد كان يقبل عنقها
في صورة، يقبل وجنتها في الأخرى، يلمس
كتفها في أخرى... وبالتأكيد هذه الخطوة ستكون
رفيقة الورقة الأولى..

والآن...

سيبدأ العد التنازلي!!

=====

الفصل الثاني والعشرون



=====
"إن المرء يشتهي الثمرة المحرمة إشتهاء

مُضاعفاً"

-دوستويفسكي

=====
القلب يكره الخداع...

والعقل يرفض التلاعب...

وفي كلا الحالتين يكره المرء ما يتقنه بكل

إبداع..

يكره ما يتقنه ويحب ما يفتقر إليه...

يحب أن يخدع ولا يُخدع...

يحب أن يضرب ولا يُضرب..

يحب أن يكسر ولا يُكسر...



يحب أن يسير في طريقٍ ممهد لا يعوقه للركض
خلف ما يشتهي..

وفي نفس الوقت تصنع روحه الخبيثة طريق
وعد، أعدده بكل إتقان ليكون مقصلة تقتلع رأس
ذاك المسكين الذي تريد التلاعب بقلبه الذي
سبق وقدمه لها منحنيًا أمامها...
لكنها رفضت...

والآن تطلب منه أن يمنحها إياه مرغماً..
أو تنتزعه هي بنفسها..
تقتلعه من بين ضلوعه..
فلن يهتمها تألمه أو جروحه التي تغرق قلبه
بوحشية..

ستبعد الغبار عن روحها وتبدأ في استنشاق
هواء جديد...



تتقن دورها في مسرحية مبتذلة كانت هي

البطلة اللعوبة...

وكان هو البطل المخدوع...

كانت هي الأميرة ذات المظهر الجميل والروح

المعطوبة..

ذات الابتسامة الصافية..

والقلب الحزين...

وكان هو من يظن نفسه فوق مستوى

الخداع... لم يفضل يوماً أن يلعب دورا مبتذل

كهذا...

كان يفضل أن يبقى خلف ساتر الهدوء

واللامبالاة متخفياً...

تحكمه أغلال من حرير...



يمكنه التخلص منها إن استطاع أو الاحتفاظ

بها...

أن كان الساتر نفسه يخشى أن يكشف عن

روحه المعطوبة، عن قلبه المجروح...

لكن هي...لن تتركه محتمياً بساتره كثيراً...

ستحرق الساتر أمام عينيه لتعريه من ثوبه

المزيف...

وبعدها ستشعل فتيل الغدر بداخله..

فيحرقه حرقاً...

يشوه روحه الغير سليمة من الأساس...

لكنها لن تدرك إلا بعد فوات الآوان أنها أحرقت

نفسها قبل أن تحرقه...

ويا ليتها أنتظرت قليلاً....



نظرت إلى شاشة هاتفها وهي تبكي بصمتٍ تام،
تنظر إلى رسالة شقيقة إيد نظرة فارغة...
تضم ركبتيها بذراعٍ، والأخر يحتضن الهاتف..
وجهها شاحب بشدة حتى كاد أن يحاكي وجوه
الموتى، وشفاتها زرقاوتان..

أما عيناها فقد كانتا كوردة ذبلت وسط أزهار
الربيع....

تقرأ رسالة غالية -شقيقة إيد- مرة تلو
الأخرى...

تشاور نفسها....

أتابع مخططها أم....

لا تعتقد أن التراجع اختيار مباح..

فهي اختارت هذا الدور من الأساس والآن هي

على المسرح...

تشاهدها الجماهير منتظرة...
فهل ستتراجع معتذرة محتفظة بقلبها المهزوم..
أم تأخذ حقها...
لكن، ما ذنب إِياد؟
كان هذا رأي ضميرها...
فجاء رأي عقلها مناطحاً بالألتراجع...
فيتناطحان بحلبة مهترئة..
أما قلبها فقد كان منزوياً وحده..
يبكي ناعياً حظه...
تاركاً للعقل ساحة القتال...
فسحب العقل نفساً ملاً به صدره...
ثم أمر أصابعها أمراً بأن تجيب على رسالتها
مرحبة..



فماذا ستستفيد وهي في كلا الحالتين ليست

باقية على شيء...٤

رسالة غالية التي كان محتواها

"هل تحبين أن تأتي معي إلى زفاف صديقة ليّ

؟!، أعرف أن علاقتنا لم تطور إلى هذه الدرجة

التي تجعلني أطلب منك طلباً كهذا؟، لكن

تواصلنا المستمر معاً منذ مقابلتنا الأولى

جعلتني أطلب منك هذا الطلب "

نعم هي محقة بكل كلمة..

لقد كانتا على تواصل مستمر منذ ذاك اليوم

الذي قابلت به إياد...٥

والذي بالمناسبة منذ ما يقارب الثلاثة أسابيع

تقريباً...٥



لم تتوقف عن متابعة تمثيلها حتى بعد لقاء

مالك الأخير...

تحطمت... نعم..

أنهارت باكية حتى ذبلت عيناها نعم..

شهقت باكية بقهر فتاة صفعتها قسوة الحب في

بداية حياتها...

وضعت نفسها ضمن محاربين معركة لم تكن

تفقه عنها أي شيء..

فتوالت عليها الطعنات وأنغرز سيف الغدر

بقلبها ساحقاً إياه...

وبالنهاية، لم تتراجع عن المضي قدماً بما

خطت له...

تحرك أصبعها لتكتب لها ببطءٍ شديد..

عيناها مثبتتان على حروف كلماتها



"لا أعتقد أن هناك شيء سيمنعني، سأخذ الإذن

من شقيقي وأتي معك "

وبالتأكيد لم تكن لتخبر أمجد عن وجهتها
الحقيقة، فقط ستخبره أنها ستخرج قليلاً مع
إحدى صديقتها الغير موجودات من الأساس،
لكن ولحسن حظها لم يكن أمجد بالمنزل من
الأساس...

ورائف كذلك، لذا فلم لا تخرج دون أن يعرفا؟

ستتهور والتهور هو المفضل لديها...

تتهدت مروج بحزن كان كالحمل الذي جثم على

أنفاسها حتى كاد يخنقها...

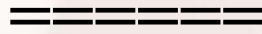
تحاول الخروج من شرنقة الحزن..

لكنها لا تقوى..

الألم يحتدم...



أما على الجانب الآخر فقد اتسعت ابتسامة
غالية بحماسٍ وهي تكتب بسرعة لتصف
لمروج المكان التي ستنتظرها به...
وبداخلها تشعر بأنها تبلي حسناً في مساعدة
شقيقتها الذي يرتدي ثوب اللامبالاة..
وإن كان هو يدعي عدم الإهتمام..
هي ستساعده بطريقة غير مباشرة...



-حسناً أنا لست متفرغاً لكِ يا غالية لأكون أنا
السائق الخاص بسيادتك !
قالها إياد بتأفف وهو يقود سيارته بوجه
عابس، فزمت غالية شفيتها وهتفت بسخرية
وهي تلوح بكفيها :



-وسيادتك ليس ليّ غيرك لينفذ ليّ ما أريده بعد

أن تم طردي من بيت العائلة المحترم !

اشتعلت عينا أياد بلهيبٍ غريب، واشتدت أنامله

حول مقود السيارة، ثم أشاح برأسه ونظر من

النافذة تزامناً مع هتافه بصوتٍ خشن :

-ألم أقل لك لا تتحدثي عن تلك النقطة أمامي،

ألم أخبرك بأنك تؤلميني كلما ذكرتني بهذه

النقطة، أخبرتك أنني أكره أن أراك منبوذة،

وحيدة....

أنحنت عينا غالية بحزنٍ حقيقي، بينما غشت

مقتليها طبقة رقيقة ندت عن قرب بكاءها،

فزمت شفيتها بحزنٍ، ثم أطرقت برأسها أرضاً..

هي نفسها لا تحب أن تتذكر تلك النقطة...

فلا أحد يعلم ألم النبذ ممن اعتبرتهم أوفياء

يوماً...

شعوراً قاتل، لا يشعر به سوى من تلقى طعنة

غدر بظهره، لكنه تابع طريقه وخنجر الغدر

يزين ظهره

يبتسم، يمرح، يتشبث باللامبالاة وهو بداخله

حريق موحش..

شعرت غالية بكف إباد تحتضن كفها بحنان

دافيء، فرفعت عينيها الدامعتين لتتنظر إلى

عينيها الغائرتين... فابتسم إياد لها ابتسامة

صغيرة، ثم هتف بصدق وحنان :

-أنا آسف !

انعقد حاجبا غالية بتوجس، ثم انفرجت شفتاها

لتهتف بتعجب :



- عما تعتذر يا أياد؟، أنت لم تقل ما يؤلمني...
ابتسم إياها ابتسامة أجمل، ثم عاد بنظرة إلى
الطريق وهو يجيبها بصوت أجش :
-لأنني لم أكن معكِ يومها، لم أدافع عنكِ كما
كنت أفعل دائماً، لم آخذكِ بين ذراعيّ مرتباً على
كتفيكِ، لقد استغلوا ابتعادي يا غالية، آسف لكِ
جداً...

دمعت عينا غالية بتأثير، و ارتعشت شفاتها،
بينما زفر إياها نفساً حاراً، ثم تابع القيادة
بصمتٍ...

فهو بالرغم من جموده الخارجي إلا أنه يشعر
بمشاعره المتداخلة تتصارع بداخله..
فلم تعد حلبة المصارعة تتحمل هذا العدد...
صراخ وحشي يتعالى بداخله..



فيرتفع قلبه على أصابعه على استحياء ليأمره

بأن يسد أذنيه

فيكفيه هو أن يتألم ويشعر بألمه..

لا ينقصه صراخ مشاعره..

لا ينقصه صراخ قلبه مطالباً برويتها..

فقلب المرء لا يهوى سوى المحرم ..

لقد حرم ذكراها على قلبه... لكنه لم يستطع أن

يقاوم كثيراً..

خارت قواه، وتخاذل قلبه..

لتأتي هي وتزيد شوقه لرويتها أضعافاً..

ألا يكفيها أن قلبه يحترق بنار حبها؟!!

ألا يكفيها؟...

أنه الخاذل والمخدول؟؟؟

-توقف عند المنعطف القادم يا إياد، مروج

تنتظرنني هناك...

قالتها غالية بصوتٍ هادئٍ يناقض ارتعاشها

الداخلي من رد فعل إياد الذي تخشب جسده،

واتسعت عيناه مبهوراً...

بينما تسارع نبض قلبه بشكلٍ مبالغٍ به..

حُبست أنفاسه لدقيقةٍ غير متداركاً..

لقد كان يجبر بخاطر قلبه منذ ثوانٍ..

يصبر نفسه على شوقه لها..

لتأتي غالية وتقول ما قالتها..

ووسط مشاعرة المتضاربة، طفئ سؤال منطقي

على موجات قلبه العاتية محارباً، فانتقل إلى

لسانه :

-ولماذا تنتظرك مروج من الأساس..



ازدردت غالية ريقها بارتباك، ثم هتفت ببساطة

:

-لقد كنا على تواصل مستمر منذ تقابلنا ذاك

اليوم و...-

قطع إياد حديثها بعبارة غريبة، لم تفهمها لكن

نبرة إياد أخبرتها أنه لم يعد كما كان... إياد لم

يعد ساذجاً :

-لا تظني نفسك بأنك تساعدينني يا غالية، لم

أعد إياد الساذج..-

ثم أشاح بوجهه ليضغط على مكابح سيارته

ويقف أمام المكان الذي أخبرته به غالية...-

ثم لم يلبث أن مال ليفتح "تابلوه" سيارته

ليخرج منه نظارته الشمسية التي وضعها على

عينيه كي تخفي فرحتها لرؤيتها..-



تخفي لمعانهما..

تخفي.. لهفتها...

وأمام نافذته كانت تقف البظلة اللعوبة مرتدية

فستان أحمر بسيط جداً ضيق من عند خصرها،

ثم ينزل باتساع رقيق حتى كاحلها...

أكامه طويلة لكنها شفافة..

شعرها الذي بالكاد يلامس كتفيها، تركته حراً..

أما وجهها فقد خلا من أي مسحوق تجميل..

فهي لم تكن تفضلهم يوماً..

رهبة... رهبة غريبة شعرت بها حين تعالى

صوته الأجش خادشاً أذنيها :

-اركبي...

ذاك الرجل تشعر وكأنه يلجم لسانها...

لا تستطيع أن تناطحه ولا تعلم السبب...



أهو رهبة من شخصيته الغريبة، أم ماذا ؟
ازدردت مروج ريقها بتوتر، ثم تقدمت نحو
السيارة لتجلس بالمقعد الخلفي..
لم تكن تعرف أن إياد سيأتي معها..
ولم تكن تريد أن تراه بصراحة..
لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه..
فها هو إياد يدير المحرك مرة أخرى ليكمل
قيادة السيارة وهو ينظر لها عبر مرآة السيارة
خلصة...

فيدرك أنه عاشق لتلك المتمردة الصغيرة التي
تبدو من فرط البكاء قد ماتت عينيها..
لكن إياد لم يكن ليترك نفسه لخواطره...
فزاد من سرعة السيارة وحلق الصمت فوقهم..



مروج تشعر بالتوتر... وإياد يتمالك نفسه بشق

الأنفس...

ربما وجيب دقائق إياد يبالغ قليلاً إلا أنه كان

الأصدق!!!

توقفت سيارة إياد أمام المكان المنشود..

فالتفت غالية بجسدها إلى مروج وقالت بحماس

:

- هيا لقد وصلنا في سلام، أنزلي يا مروج !

ازدردت مروج ريقها ببطءٍ شديدٍ شاعرة بشيءٍ

غير مريح..

قلبها يخبرها أن ثمة شيء ما غير صحيحة..

سيحدث شيء غير مرحب به...

وقلبها لا يكذب...



ترجلت مروج من السيارة وأغلقت الباب
خلفها، فاتبعها غالية..
وكانت المفاجأة إنهما وجدا إياد يترجل من
السيارة ويغلق الباب خلفه بهدوء...
فنظرت غالية له باستفسار تزامناً مع هتافها :
-لماذا لم ترحل؟!
نظر إياد لها بعينين تخفيهما النظارة، ثم هتف
ببساطة :
-لن أتركك وحدك كما أنني لم أخبرك أنك لن
تتأخري كثيراً بهذا الزفاف سنرحل سريعاً...
نعم، أنه يبعدها عن طريقه بكل الطرق
المتاحة..فهو لم يكن ليرافق غالية من الأساس،
كان سيتركها الآن ويأتي لها بعد أن تهاتفه...



لكن الآن هو لا يريد لظهورها أن يعطي لقلبه

الأمل...

ففي النهاية

هو لن يضحى بكرامته مرة أخرى ليعبر عن

حبه ويلبي ما يطلبه قلبه...

سيبعدها عن طريقه وإن كان علاج قلبه هي...

نظر إباد إلى مروج التي كانت تفرك أصابعها

بتوترٍ وحدقتيها مهترتين بشكلٍ واضحٍ..

فاهتز قلبه تجاوباً معها، وبرقت عيناه ببريق

غريب..

لكنه تمكن من الاحكم بشعوره وغمغم بعدة

كلمات تحثهم على التحرك..

فتحركوا جميعهم نحو قاعة فخمة مزينة من

الخارج بأنوار وورود رائعة...



نظرت مروج بطرف عينيها إلى إياد وهو يسير
بجوارها رافعاً رأسه بشموخ وتلك النظارة
المستفزة تخفي عينيه...

خصلات شعره تطير بفعل الهواء الشديد الذي
أشد قليلاً وخصوصاً في هذا الوقت..
لم يكن يجب عليها ارتداء فستان خفيف مثل
الذي ترتديه..

لكنه كان الأنسب والأفضل عندها..
لم يكن لديها وقت كافي لتشحن إحدى فساتين
صديقتها الوحيدة..

انعدت حاجبا مروج بتوجس حين خطت إلى
الداخل..

تشعر برهبة غريبة من فخامة المكان..



لم ترَ مكانَ كهذا من قبل ولم يكن بمخيلتها أنها

ستأتي إلى مكانٍ كهذا يوماً...

جلسوا جميعاً على مائدةٍ مستديرةٍ مغطاةٍ

بفراشٍ مخمليٍّ جميلٍ...

وتعالَت أصواتُ الأغاني الهادئة من حولهما...

دقيقةً..

والثانية..

ومن ثم الخامسة وشعرت مروج بعدم الراحة

وهي مطرقة برأسها أرضاً تلعن نفسها وتلعن

عقلها الذي حثها على الموافقة..

يا إلهي كيف تأتي إلى مكانٍ كهذا مع اثنين من

المفترض أنهما غرباء عليها!

ما تفعله مروج الآن قد تخطى حدود الجنون

وبشدة...

تملمت مروج في جلستها وهي ترفع رأسها
لتجد عينا إباد مرتكزتين عليها..
فأجفلت واحمرت وجنتاها فيما بدا كخجلٍ أو ما
أشبهه..

لكن إباد لم يجفل، بل أنفجرت شفتاه ليهدف
دون موارد :

من سمح لك بأن تأتي مع غالية إلى هنا...
سؤاله كان صريحاَ حد الوقاحة، فشحبت
ملامحها وازداد احمرار وجنتاها شاعرة
بالغضب والحرص يكادان يخنقها خنقاَ..
أما غالية فقد شهقت مجفلة، وهتف بصدمة :
-إباد !!

رفع إباد كفه بوجه غالية دون أن ينظر إليها
فيما وشى كأمرٍ لها لتصمت...



ومن ثم خلع نظارته بكفه الآخر، وتابع تحقيقه

دون أي خجلٍ :

- لا أعتقد أن أمجد يعرف أنك هنا، مع شقيقة

أياد صابر خصوصاً... فكيف أتيت إلى هنا ؟

يا إلهي إنها من فرط الغضب و الحرج تكاد

تبكي...

يدفعها عقلها دفعا لتبتث سمها بوجهه لكن

لسانها قد شل تماماً..

نبرته كانت غريبة، وكأنه غاضب ومستاء

بالرغم من بروده الظاهر...

وإن كان هو نفسه واثقاً بما قاله..

سترده عليه رداً يسحب ماء وجهه..

ولكن فلتقف أولاً كناية عن قرب رحيلها ومن

ثم تهتف بصوتٍ مبجوح :



- لا أعتقد أن من الذوق الرفيع أن تطردني

بشكلٍ غير مباشر و...

- اجلسي مكانك..

هدر بها إيادِ امرأةٍ إياها، فشعرت بالغیظ يتفاقم
بداخلها، فمالت بجسدها على الطاولة الفاصلة

بينهما، ثم هتفت من بين أسنانها :

- لقد صمت لك حين حدثتني بمثل هذه الطريقة

من قبل، لكن الآن فأسمح لي بأن أقول لك أنك

قليل الذوق و عديم الدم و..

ولثاني مرة يهدر بوجهها امرأةً بنبرة مخيفة

وهو يزرها بقوة ووجهٍ محتقن جراء إهانتها

:

- قلت اجلسي مكانك يا...مروج...



عضت غالية على شفيتها بتوتر وهي تلاحظ أن
إياد ومروج أصبحا محط للأنظار، وإضافة إلى
ذلك تخشى أن يفقد إياد أعصابه على تلك
المجنونة..

فهبّت واقفة، ثم أمسكت مروج من مرفقها
وقالت بنبرة مرحة :

- لا تتشاجرا الآن، سأذهب لأسلم على العروس
وسأخذ مروج معي...-

ثم همت بتنفيذ ما قالت، لكن إياد ضغط على
أسنانه بغيظ، ثم هتف بصوتٍ أعلى :
- فلتجلسا أنتما الأثنان... الآن..-

وكان أمره مطاعاً، فقد جلستا فعلا بعد أن
زجرهما إياد محذراً..



فجلست غالية متشبثة بمرفق مروج التي كانت
تتأفف ممتعضة وهي تنظر إلى إياد نظرة قاتلة
بعد أن فقد أعصابها ونست هدفها من الأساس
بسبب أسلوبه الفج..

وما زاد استفزازها ابتسامته الباردة وهتافه
بصوتٍ جامد :

-لم أكن أقصد ما فهمته، لكنني وبكل صراحة
أشعر بتعجب شديد من وقاحتك..

شعرت بمروج بالدماء الحارة تندفع بأوردتها،
فهتفت بصوتٍ عالٍ غطى على صوت الأغاني
الهادئة بشكلٍ مستفز...

-لا هذا كثير، أسمع يا أنت و..

-أخفضي صوتك هذا حين تتحدثين معي...



قالها إياك ببرود وهو يبتسم لها ابتسامة ليس
لها معنى..

فشعرت مروج وكأنها على وشك الجنون،
فجزت على أسنانها بقوة حتى اصطحكت،
وأحمرت عيناها بشكلٍ مخيف..

أما هو فبرغم بروده الظاهر إلا أنه كان يشعر
وكانه يحلق فوق سماء وردية..

ربما قد استفزه أسلوبها قليلا، إلا أنه لن ينكر
أنه حتى هاته اللحظة لا يصدق أنها أمامه...
-عذرا مني يا غالية، أنا سأرحل فشقيقك يبدو
أنه لا يطيقني!

قالتها مروج بغضبٍ ظهر بوضوح بنبرتها...
تشعر بأن أذنيها تكاد أن تخرجان نارا من فرط
الغضب والغیظ...



هتفت غالية بسرعة وهي تربت على ذراع

مروج :

-لا يا مروج، إياد لم يقصد ما فهمته، هو فقط..

قطع إياد حديث غالية، حين هتف بنبرة حادة :

-لست بحاجة إلى تبرير غالية، نعم أنا أخبرك

بأنك كذبت على أمجد وخرجت مع امرأة لم

ترها من قبل، ركبت السيارة مع رجل أعترف

لك بحبه يوماً وسحقت قلبه ربما يريد أن ينتقم

منك ويؤذيك مثلاً، أنت لست فتاة صغيرة يا

مروج، وأنا لم أعد أياد صابر العاشق...لقد

تغيرت بينما أنت كما أنت...

ربما قسى عليها قليلاً، لكنه قسى على قلبه

قبلها..

صفعه بقوة أمراً إياه بالألا يتدخل..



سيضرب دون أي اهتمام...

يعيد ذكريات سبق ودفنها، مثل ذكرى اعترافه

بحبه لها...

امتقع وجه مروج بشدة حتى حاكى وجوه

الموتى، بينما ارتعشت أصابعها بوضوح

فأخفضتهما تحت الطاولة، وأطرقت برأسها

أرضاً..

تشعر بشيء غريب يتحرك بداخلها..

وبكرامتها تصرخ محتجة..

ماذا يفعل لك لماذا صمت؟؟!

خيم الصمت القاتل حولهما وانخرط كلا منهما

بعالمه الخاص..

وإن كان عالم إياد هو الأصدق..

يهمس إلى نفسه سراً وهو يطالعها مختلساً...



يهمس بعبارة صادقة

"لم أعد إياد صابر العاشق، بل إياد الغارق
ببحرك، يحارب موجاتك العاتية.. أخشى أن
اقترب منك وأبتك حبي تغرزين سكين غدرك
بظهري "

كان هذا هو حديثه الداخلي، ف شعر بأنه على
وشك الإختناق..

ليهب واقفاً وهو يسحب هاتفه ونظارتته، ثم
أشار برأسه وهتف :
-هيا سنرحل..

لم تعترض غالية فقد شعرت بأن الجو قد توتر
بشكلٍ مخيف، فحبذت الرحيل..
نظرت غالية إلى مروج المنكمشة على نفسها،
ثم مالت نحوها وهمست بلطفٍ :



-سأبارك للعروس بعدها سنرحل....

أومات مروج لها بهدوء، فابتسمت غالية لها،

ثم ابتعدت...

راقبت مروج غالية وهي تتحدث بلطف مع

العروس، ثم احتضنتها بحرارة..

وأثناء مراقبتها لاحظت اقتراب مجموعة من

الفتيات نحو غالية مبتسمات بصدقٍ ثم بدأن

يجذبن غالية نحو ساحة الرقص..

فتعالى صوت ضحكة غالية وهزت رأسها

رافضة تزامناً مع هتافها وهي تحاول تخليص

ذراعيها :

-لا يا بنات، شقيقي معي سيقتلني لو رأني، كما

أنني لا أحب الرقص..



لكنها لم تتمكن من إقناعهم، فقد دفعوها نحو
ساحة الرقص فعلا وبدأن في حثها على الرقص
معهن ومع العروس....

حاولت غالية بشق الأنفس أن تحييم عما
يريدونه لكن لا حياة لمن تنادي، فاضطرت أن
تريحهم على مضض وهي مثبتة عينيها على
إياد الذي كان مشغولاً في التحدث مع أحد
الرجال بعيداً عن طاولة مروج معطياً إياها
ظهره..

فلمعت برأسها فكرة ذهبية والفكرة كانت بالطبع
هي أن تبعث إحدى الفتيات إلى مروج لتجذبها
إلى ساحة الرقص...

مروج التي كانت تراقب الأجواء مبهورة..



ربما مراقبتها إلى غالية واصدقاءها لم تجعلها
تنتبه لاقتراب إحدى الفتيات نحوها إلا بعد أن
انحنت لتهمس لها بأن غالية تحتاجها...
فأومات مروج برأسها، ثم قامت متجهة نحو
غالية التي ما أن رأتها حتى جذبتها نحوها،
فعدت مروج حاجبها ثم هتفت بعدم فهم :
-ماذا؟

أبتسمت غالية لها وهي تهز ذراعيها بحركة
طبيعية، ثم هتفت بصوت عالٍ لكي تسمعها :
-سنرقص...

اتسعت عينا مروج بصدمة، ثم هتفت :
-لا، لن أرقص..

لم تأبه غالية إليها، بل أمسكت كف مروج
وصارت تحثها على التقدم والبدء..



لا تعلم أن مروج تحارب رغبته بالرقص بشق

الأنفس...

فهي لم تكن لتعرض جسدها أمام كل هذه

الأنظار...

طلبتها يوماً من أمجد لكن الآن... لا...

أدركت عظم ما تطلبه...

وتربيتها لم تكن لتسمح بهذا العبث من

الأساس..

أدركت أن جسدها إن لم تحترمه وتصونه..

ستكون العواقب وخيمة..

لذا، فتخشب جسد مروج وهتفت برفض قاطع :

-لا.. لن أرقص...

لكن ولسوء حظها لم تسمعها غالية، فجذبتها

أكثر وهمّت بأن تقنعها..



إلا أن عيناها قد تعلقتا بإياد الذي كان ينظر

إليهما مصعوقاً..

شفتاه مفتوحتان، وعيناه متسعتان يكاد الشرر

يتطاير منهما..

فشعرت بابتسامتها تبهت، ووجهها يحمر دون

سبب..

وبالطبع لم ترَ مروج إياد، فقد عقدت حاجباها

بتوجس من تغير حالها..

لكن غالية لم تترك لها الفرصة لتسألها..فقد

جذبت مروج من ذراعها بقوة، وهي تهتف بها

:

-سنرحل، هيا بنا...-

نظرت مروج إلى غالية بتوجس، ثم زفرت

بنفاذ صبر...-



وصلتا معا عند إياد الذي رمق شقيقته بنظرة
نارية، ثم هتف من بين أسنانه :

-تقدماني...

أومات غالية برأسها، ثم جذبت مروج وخرجتا
من القاعة وإياد خلفهما يضغط على أسنانه

بغيط....

وأثناء سيرهم نحو السيارة لم يرَ أي منهم ذاك
الذي كان يراقبهم بعينين مشتعلتين...

ذاك الذي ما أن رأى أياد ومروج يدخلان معاً
إلى حفل الزفاف الذي دُعي إليه بمناسبة أنه
شخصية معروفة...

نار اشتعلت بصدرة وهو يرى نظرة إياد
المهتمة نحو مروج...



نظرته المشتعلة حين وقعت عيناه على مقعدها

الفارغ..

لم تكذب الصغيرة..

مروج وجدت رجل غيره بالفعل...

لكنه لن يسمح لها بأن تكون ملك لإياد بالذات..

فلتكن لأي رجل آخر لكن إياد لا...

شعر مالك بانتفاخ أوداجه.

فتقدم نحوهم بخطا سريعة إلى أن وصل إليهم،

كان إياد قد أغلق الباب خلف غالية، ثم قام بفتح

الباب لمروج وهم بدعوتها إلى الدخول..

لكن ذاك الذراع الذي امتد ليجذب مرفق مروج،

والصوت الذي صدح قطع كل شيء :

-تعالى معي، لن تركبى معه !



أجفلت مروج وهي تنظر إلى ذراعها، ثم رفعت

عينيها المتسعيتين إلى مالك، وهتفت بذهول :

-من أين أتيت؟، ألن تتركني وشائي !

نظر مالك إليها بقوة، ثم جذبها نحوه أكثر،

وهتف :

-سأتركك وشأنك، ولكن ليس مع هذا !

ثم أشار بسبابته إلى إيد الذي قد كان مصدوماً،

ينظر إليهما بعينين غائمتين وفكٍ متشنج، يشعر

وكانه على وشك الجنون وهو يرى كف مالك

محتضناً ذراع مروج التي لم يكن لها أي رد

فعل على جراته...

إذا، فلم تتدخل يا مغفل.. فلتقف وتكتم نيران

غضبك وغيرتك..

وقهرك...



لكن رد فعل مروج الذي أتى بعد أن تداركت

الموقف، أنعش ضربات قلبه الثكلى:

-أبعد يدك عني ايها النذل !

كانت صادقة، صراخها الحاد كان صادقاً..

وجهها المحمر غضباً كان صادقاً...

عيناها المشتعلتين بالرغم من الألم الدفين

الواضح بهما كان صادقاً...

فشعر بقلبه ينتفض ثائراً..

وبالغضب يتفاقم بداخله حين صرخ مالك

بوجهها ثائراً :

-اصمتِ تماماً، لا أريد أن أسمع صوتك..

-تباً لك ولما تتمناه يا مالك اترك ذراعي...-

-لا لن أتركك وأقسم بالله إن لم تأتي معي الآن

سأحملك رغماً عنك...



هدر بها مالك بوجه مروج التي دمعت عيناها
بقهر..

والآن قد حان وقت تدخل إيد الذي مد كفه، ثم
قبض على ذراع مالك بقوة، وبالكف الآخر
جذب مروج ليخفيها خلف ظهره، ومن ثم هتف
بصوت خشن :

-هذه ليست رجولة، وللأسف لن أسمح لك بأن
تمسها...

ارتفع حاجب مالك بسخرية، ثم هتف باستهزاء
:

-يا الله، سأبكي من فرط رجولتك، أسمع يا أنت،
أنا لم أحبك يوماً بشعرك الذي يشبه شعر
الفتيات هذا وبرغذك، ستتركني أخذها



وسأرحل، فأنت لست أهلاً للثقة، سبق وأظهرت

نذالتك، والآن فأسمح لي...

لم يتدارك أياد قبضة مالك التي أرتفعت في

الهواء لتطيح بفكه وتتهمر الدماء من أنفه

بغزارة..

تأوه أياد بصوتٍ مكتوم، بينما صرخت مروج

باسمه وهي تتلمس ظهره :

-أياد، يا إلهي !

أما صرخة غالية فقد كانت أقوى حين أقترب

مالك من إياد ثم مد ذراعه ينوي استكمال ما بدأ

به مستغلاً شعور إياد بالغثيان فقد اهتزت

الرؤية أمامه..

يحاول أن يكون واعياً بشق الأنفس...

لكن لكمة مالك كانت قوية جداً...



والمفاجأة كانت مروج التي ما أن رأت مالك
يحاول ضرب إياد مرة أخرى، وقفت أمام إياد
وصرخت بوجه مالك صارخة :
- أرحل يا مالك وأحفظ ماء وجهك، أنت من اخترت
الأبتعاد والغدر، فهل يجب عليّ أن أقف مكاني أبكي
على الاطلاع، أرحل يا مالك..

- أنا لن أرحل قبل أن تأتي معي، وبما أنك تقفين
أمامه لتحمي ذاك الذي يتألم كالنساء، سأخذك
قسراً..

وأتبع ما قاله فعلاً، فجذبها من مرفقها وهو ينظر
إلى إياد شزراً، إياد الذي مد كفه ليسحب مروج بعد
أن تدارك نفسه..

لكن ما أوقفه مكانه..

هو صوت الصفعة الذي دوى بقوة أجمته...

=====



الفصل الثالث والعشرون



”لستُ أنا من يرسم أنا القماش، يدُّ خفية

تلوّن شخصاً عليّ

أطلقت روعي في دائرة فقدان

وبدايتي ازدهرت مثل النهاية"

-فرنادو بيسوا...

.....

شعور القهر الذي شعر به الآن فاق كل الحدود...

صوت الصفحة الذي تردد صداها بشكلٍ موحش،

فأعلنت الحرب على أذنيه وصار صوتها يتردد

بهما بشكل جرح كرامته..

وجهه الذي اتجه إلى اتجاه معاكس بعد أن صفع

كفها وجنته..

صفحة، أخبرته بأنه وصل إلى الدرك..

أخبرته أن الروح الخبيثة تمكنت منه..

ليقف الآن يطلب منها ألا تحتك بإياد أبدأ..

أي جرأة تلك التي حثته على ملاحقتها والتبجح

أمامها..

ألا يخجل؟



ألا يمتلك ذرة دم واحدة؟!
ألهذه الدرجة كانت سيطرته على روحه الخبيثة
ضعيفة..

روحه المشوهة، كانت تتخذ روح مالك الرائعة
ساتراً لها، لكن حين وُضِعَ في اختبارٍ حقيقي..
أخفق في الأول ولهت خلف أحلامه سحراً قلب
مراهقة كان ذنبها الوحيد أنها أحبته..
لن ينكر أن أي شابٍ مكانه لم يكن ليترك فرصة
مثل تلك الفرصة التي عُرِضت عليه أن يهدرها..
صاح ضميره ناهراً إياه..

صارخاً

"لكن أي شاب يعشق.. لم يكن ليفعل هذا!"
شعوره بالذنب يتفاقم بداخله غالباً شعوره بالإهانة
جاء صفعتها له..

شعور بالذنب يكاد يذبحه بسكينه التلم..

وها هو يقف أمامها.. محتقن الوجه..

ينزف بداخله دون أن يقوى على الصراخ..

هو لم يعد يريد أن يدور في فلكتها، فلم لا يتراجع

منسحباً بكل هدوء!؟!

لماذا يصر على ترك بصمة سيئة له بروحها!؟!

لماذا يصر أن يتوالى عليها بالطعنات أمراً إياه بالألا

تتألم، بالألا تطلب المساعدة من آخر..

والآخر هذا كان ينظر إلى مروج مبهوتاً مما فعلته..

يشعر بأن تفكيره قد شل وهو يعيد المشهد بعقله..

فيصيح قلبه منتصراً، يقيم الأفراح بسرعة البرق..

لكن عقله تردد، يشعر بأن هناك شيء مفقود..

القصة ليست مكتملة، عقله يهمس له على

استحياء بأن نوايا مروج باتجاهه ليست سليمة..

لكنه لم يصدق..

فقط ما يصدقه..

أن مروج... تتألم..

بالرغم من ملامحها الشرسة وهي تنظر إلى مالك،
نظرتها قاتلة، نظرة أرسلت الرعدة بقلبه هو..
مروج التي تقدمت نحو مالك، ورفعت سبابتها
بوجهه، لتصرخ بطريقة ألت إياد وبشدة :
-أفق لنفسك، لقد انحدرت إلى طريق قدر، أفق
لنفسك يا أبا حمزة وقف أمام المرأة، جرد نفسك
من ثوبك الحكيم، وأنظر إلى نفسك، أنظر إلى أين
وصلت، وإلى ما آل إليه حالك، ما فعلته بي لن
أسامحك عليه أبداً وها أنا أقولها بوجهك يا أكثر
أهل الأرض بغضاً على قلبي، لن أسامحك على
قلبي الذي سحقته بقدمك دون أي اهتمامٍ لاهتأ
وراء أحلامك، وحين شعرت بأن قرارك كان خطأ،
عدت لتدور حولي مرة أخرى، علقنتي بأمل ضعيف
وبدا قلبي يستند عليك ليقوم من وقعته متعثراً،



لكنه وللأسف كان اختياره لك وللمرة الثانية خطأ

يا..أبا حمزة...ارحمني ...

قالت كلمتها الأخيرة بنبرة مقهورة، قالتها بكل ذرة

قهر تمتلكها، قالتها وهي تبكي بحرقة..

قالتها وهي تخفي وجهها بكفيها، أما مالك فقد

شعر بأن كلمتها سقطت على قلبه كالمطرقة..

لا لا، بل كمقصلة قسمت قلبه إلى نصفين..

شعور وكأنه شخص لا يعرفه..

شخص تفوح منه رائحة الغدر، حتى بات هو نفسه

لا يتحملها..

وبين مروج ومالك، كان هناك عاشق يراقب ما

يحدث بعينين متألمتين!

قلبه يترنح بين ضلوعه ذبيحاً..

وروحه تصرخ به، مترجية، متوسلة أن يهرب..

يهرب ويرحم نفسه...



لم تكن كلمات مروج القاسية بتلك التأثير الضخم
الذي كان يتخيله حين كان يتمنى أن يسمع تلك
الكلمات بنفسه...

يتمنى أن يرى الكره والغل يتراقص بعينيها..
لكنه لم ير سوى ألم حاد صارخ يكاد يسمع صوت
صراخه بأذنيه...

أنتفض قلبه متألماً، حين صرخت مروج بوجه مالك
الذي كان يقف مكانه متسماً :

-أكرهك، أكرهك وأكره كل لحظة كانت السبب في
حبي لك، حبك لي كان كالوحش..ظهرت أنيابه
فظننته يبتسم، لكنه كان...كان ينوي التهام قلبي
دون أي رحمة، أكرهك يا مالك، أكرهك..

كانت كلماتها تقطر ألماً، جسدها كان ينتفض بشكلٍ
مثير للشفقة، فلم يشعر إياها بنفسه وهو يتحرك
نحوها بعينين تخلتا عن برودهما للحظة..



لحظة رمق فيها مالك بنظرة قاتلة، خطيرة تمنى لو
تحرقه مكانه..

ولم يكن الأخير في حالٍ يسمع له بأن يقبض على
عنق ذاك المتعجرف الذي أمسك مروج من
مرفقها، ثم سحبها خلفه تزامناً مع هتافه بنبرة
ساخرة لم يستطع التحكم بها :

-هيا لنغادر يا مروج، لا أعتقد أن شجاركما الغريب
هذا سيفيد بشيء... على ما يبدو أن كل منكما قد
زهد الآخر؛ فكنت أنا محطة للتسلية!

كانت نبرته ساخرة، حتى شفتاه التوتا بابتسامة
ساخرة وهو يرمق مروج بنظرة ذات مغزى، مروج
التي شعرت وكأن أحد سكب عليها دلوا من الماء
البارد بعد جملة إياد الساخرة..

لقد علم..

بل الأصح لقد فهم؛ فهو ليس بالغبي..



وألا لما قال بأنه كان محطة للتسلية؟!!

دفعها إيد برفق لتجلس بالمقعد الخلفي وهي تبكي بصمتٍ، ومن ثم أغلق الباب خلفها ونظر إلى عالية وقال أمراً وهو يخرج منديلاً ورقياً من جيبه ليكتم به نزيف أنفه الذي لم يتوقف حتى الآن :

-اركبي....

أطاعته عالية بوجهٍ شاحب، فركبت بجوار مروج بدلاً من أن تجلس بالمقعد المجاور إلى إيد... إيد الذي أقترب من مالك الواقف مكانه متشنجاً، ينظر إلى إيد بعينين حراوين..

فابتسم إيد له ابتسامة لم يفهمها مالك الذي كان يراقب اقتراب إيد نحوه بخطا فهد شرس... ومن ثم وقف على بعد خطوة واحدة منه، ثم هتف بنبرة خطيرة :

- أنت تعلم بالتأكيد أنني لا أحب العنف ولا أميل له،

لكن وللأسف أنا مضطر الآن فهذا حقي !

لم يفهم مالك قصد إيد الذي رفع ذراعه في

الهواء، ثم أطاح بفك مالك بقوة جعلت مالك يئن

بوجعٍ مكتوم، بينما أقترب إيد منه، ثم هتف

بامتعاض :

- هذه لأجل قلبي الذي كان ضحية لكما...

ومن ثم ابتعد عنه ليستقل سيارته وهو يكرز على

أسنانه بقوة حتى اصطكت، يشعر بالحريق المندلع

بداخله يزداد وحشية..

وقلبه يصرخ بقوة ضارباً عقله

"لقد كنت ضحية يا إيد...لثاني مرة تخوض معركة

غير شريفة"



شعر إياد برغبة شديدة في الصراخ بقهر رجل
اكتشف لتوه بأنه كان مجرد جسر عبرت عليه
لتقهر آخر..

أغمض إياد عينيه متألماً لثانية، ثم رفع عينيه
لينظر إلى مروج عبر المرآة الامامية، فتلاقت
عينهما في حوار قصير، حوار كان كافياً بأن يشعر
مروج بعظم خطأها...

فنظرت إياد أخبرتها أنها آذت شخص لم يضرها
بشيء..

شخص انفرجت شفتاه، ليهتف بصوتٍ أوجع قلبها

:

-شكراً لك، لقد فوزتِ بالجولة وانسدل الستار معلناً
عن نهاية مسرحيتك المبتذلة، ويزداد شعورك
بالذنب أكثر، أنا أكره قلبي الذي لم ولن يحب
سواك..

لم تشعر مروج بنفسها وهي تخفي وجهها بين
كفيها لتشهق وتخرط في بكاء عنيف كان كالسوط
الذي سقط على قلبه ليزداد ألمه أضعافا...
قلبٌ أنهكه حب سرطاني.. إن تم اقتلاعه سيكون
بموته..

وهذا ما زاد ألمه أضعافا والحقيقة المرة تتراقص
أمام عينيه...

لقد كنت دمية حركتها مروج كما تريد يا مغل
ضحكة ساخرة متحشجة ندت عنه وهو يدير
محرك السيارة..

أما غالية فقد كانت تبكي بقهر على شقيقها الذي
تعرف ما يشعر به حق المعرفة..وكم كانت تشعر
بالكره لمروج الآن...

لم يكن يعلم أيا منهم أن هناك طرف آخر كان يشاهد
ما يحدث بذهول..



ينظر إلى سيارة إيد وإلى مالك بعينين متسعيتين،

ثم غمغم بذهول :

-أليست تلك الفتاة التي صفت الرجل

للتو...شقيقة رائف الأمير؟..

صمت قليلا، ثم أردف بنفس الدهول :

-يجب أن أخبر رائف بما حدث حين يعود من

سفره...

وها قد بدأت خطوط الختام..

بدأت النهاية تلوح بالأفق..

سيتحول كل شيء بشكلٍ غريب..

ستقلب حياتهم رأساً على عقب..

فقد...حان وقت اللقاء والانتهاء !

مرت الدقائق ببطءٍ شديدٍ وكل منهما يغوص في

عالمه الخاص.

وإن كان عالم إيد أكثر حزنا وجرحاً..



وإن كان إياد هو من يريد أن يصرخ محتجاً...
يريد أن يطرحها ضرباً على ما فعلته به..
يريد أن يأخذها بين احضانه ليحتوي ألمها، وبنفس
الوقت يريد أن يطبق على عنقها ليخرج روحها
بيديه..

تلك اللعوبة تلاعبت به وبقلبه..

علقته بأمل كاذب..

لم يكن يتدرك بعد أنها موجودة بالفعل..

عيناها تنظران إلى عينيه فتأسران قلبه..

ابتسامتها التي اكتشف الآن أنها كاذبة...

خادعة...

أوقف إياد سيارته امام منزل مروج دون أن يطلب

منها الإذن بأنه سيقوم بتوصيلها حتى باب البيت،

فالمخادعة تبكي بحرقة وهي تخفي وجهها بين

كفيها..



ضحكة ساخرة أخرى انفلتت من بين شفتيه وهو

يحدث نفسه بألم :

-أنها تتألم عليه !

فبكى قلبه ناعياً حظه، بكى ألماً..

لكن عقله دفعه ليقول بكل هدوء مصطنع :

-وصلنا، يا مروج..

رفعت مروج رأسها ببطءٍ، لتتظر حولها بعينين

تائهتين، فلاحظت أنه أوصلها أمام باب المنزل..

شعرت مروج برعبٍ شديدٍ وهي تميز أن إياد قام

بتوصيلها أمام باب المنزل ؟

حاولت التحدث مرة تلو الأخرى إلا إنها كانت

منهكة، تشعر وكأنها تدور في دوامةٍ شديدة،

رأسها يدور والسواد ينتشر رويداً رويداً...

أزدردت مروج ريقها بصعوبة، ثم فتحت باب

السيارة دون أن تضيف أي كلمة أخرى..



لم ترَ إِياد وهو يطالعا بعينين متألمتين وفك

متشنج..

ولم تره وهو ينظر إلى عالية الجالسة في صمت تام

رامقاً إياه بنظرة ذات مغزى، فأومات متفهمة

ومتحسرة عليه..

ترجلت مروج من السيارة وهي تحاول الصمود

حتى باب منزلها..

وفي نفس الوقت ترجلت عالية ودارت حول

السيارة لتسند مروج بوجهٍ واجم، مروج التي

نظرت لها بجفنين مسبلين لا ترى أمامها سوى

صور مهتزة، فهمست بخفوت وهي تتحرك مع

عالية :

-أنا، أنا لا أقوى على الوقوف..

لم تسمعها عالية جيداً، فمالت بأذنها نحوها وقالت

بنبرة قاسية نوعاً :



-ماذا تقولين؟

كانتا قد وصلتا إلى دخلة المنزل، فلم تتمكن مروج
من حمل نفسها أكثر، فاستسلمت لدوامتها وسقطت
مغشياً عليها أرضاً وصوت ارتطام رأسها بحافة
درجة السلم كان قوياً حتى أن غالية ارتعبت
وصرخت وهي تجثو بجوارها أرضاً :

-مرووووووج....

لم تكذ تمر ثانية حتى وجدت إياد أمامها شاحب
الوجه مرتعباً وهو يقول :

-ماذا حدث يا غالية، لماذا تصرخي...

بُتِرت عبارته حين وقعت عيناه على مروج الملقاة
أرضاً بشكلٍ أعتلج قلبه له، فسقط على ركبتيه
أمامها ثم رفع رأسها بحرص على ركبته وهو
يهتف بقوة :

-مروج، مروج..



فُتِحَ باب المنزل الداخلي بعنفٍ وخرجت من لجين
التي ما أن رأت مروج ممددة أرضاً، حتى صرخت
باسمها...

تحول رعبها إلى هلع، حين رفع إيداء كفه ليجدها
ملطخة بالدماء، فصرخت لجين برعبٍ، وهي تربت
على وجهها محاولة استخدام مهنتها لكنها فشلت
من شدة خوفها، فبكت بقوة وهي تنظر إلى إيداء
الذي كان ينظر إلى الدم بعينين غائرتين شاعراً بالأم
حاد اعتصر قلبه، فتدخل عقله هذه المرة صارخاً به
"تحرك يا غبي، أنها تنزف "

أنفض إيداء ليستقيم واقفاً، ثم وضع ذراعيه تحتها
ليحملها بقوة بين ذراعيه ضامماً إياها نحو صدره،
ومن ثم ركض نحو السيارة وهو يقول صارخاً بقوة

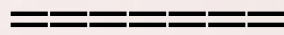
:

- أركبا سريعاً..



كان يقصد غالية ولجين التي كانت تبكي بشدة وهي
تهرول خلفه مسرعة، شاعرة بالخوف يطبق على
أنفاسها وخصوصاً أن كل من رائف وأمجد غير
موجدان وهذا أشعرها بالرعب أكثر..
وضع إياد مروج برفقٍ في المقعد الخلفي وهو
يلهث بشدة..

يلهث مرتعباً، خائفاً ولأول مرة يتخلى عن قناعه..
ولأول مرة يشعر بأن قلبه يهدده بالانهيار..
دار إياد حول السيارة بسرعة ليجلس خلف المقود
ومن ثم إنطلق بسرعة البرق



- لا داعي لكل هذا القلق يا أستاذ أنت تبالغ كثيراً
أخبرناك أننا قمنا بتقطيب الجرح...
قالها الطبيب بحنقٍ وهو يحدث إياد الذي كان ينظر
إلى الطبيب بقوة، وحين انتهى الطبيب مما قاله،



قال إِيَادِ بِصَوْتٍ بَدَأَ مَخِيفاً وَهُوَ يَشِيرُ إِلَى قَمِيصِهِ
الَّذِي قَدْ تَلَطَّخَ بِالدَّمَاءِ :

-أَنْتَ تَرَى مَنظَرَ الدَّمِ...بِشَعَاءٍ وَمَنْ يَرَاهُ يَرْتَعِبُ، لَذَا
فَسَأَعِيدُ سَوَآلِي مَرَّةً أُخْرَى، هَلْ أَنْتَ مُتَأَكِّدٌ أَنَّ
الإِصَابَةَ تَقْتَصِرُ عَلَى عِدَّةِ قَطِيبَاتٍ فَقَطْ..

شَعْرَ الطَّيِّبِ بَغِيظُهُ يَزْدَادُ أَكْثَرَ، فَهَتَفَ بِحَنَقٍ :
-أَتُرَانِي تَخْصُصُ جَامُوسَ يَا أَسْتَاذٍ؟، بِالطَّبْعِ مُتَأَكِّدٌ،
مَا قَلَّةَ الْقِيَمَةِ هَذِهِ !

بَرَقَتْ عَيْنَا إِيَادِ بِشَكْلِ مَخِيفٍ، فَابْتَلَعَ الطَّيِّبُ لِسَانَهُ
وَهُوَ يَرِاقِبُ اقْتِرَابَ إِيَادِ مِنْهُ ثُمَّ هَتَفَ مُوَبِّخاً :
-مَا هَذَا الظَّرْفُ يَا دَكْتُورَ، أَنَا فَقَطْ أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ
سَبَبَ إِغْمَائِهَا..

شَعْرَ الطَّيِّبِ بِأَنَّهُ عَلَى وَشَكِّ ضَرْبِ إِيَادِ فَهُوَ يَبْدُو
لَهُ شَخْصٌ مُسْتَفْزٍ وَمَجْنُونٌ، فَابْتَسَمَ لَهُ بِبُرُودٍ، ثُمَّ
هَتَفَ بِخَبَثٍ غَيْرِ مُتَدَارِكاً مَا تَفَوَّهُ بِهِ :



-لم لا تقول أنها حامل مثلاً..

عم الصمت حولهما بشكلٍ مخيف، إياد ينظر إليه
نظرة بثت الرعب بقلب الطبيب الذي كان يريد أن
يراوغه ليس إلا فهو يظن أنه زوجها فقلقه عليها
كان غير طبيعي..

انفرجت شفتا إياد ليهتف بنبرة خطيرة :

-من تلك التي أخبرتني أنها حامل لتوك !

ازدرد الطبيب ريقه مضطرباً، ثم هتف بحرج وهو
يحك مؤخرة رأسه :

-كنت أمزح..

نظر إياد له بوجوم دون أن يظهر عليه أي رد فعل،
فشعر الطبيب بالقلق يتفاقم بداخله أكثر، أما إياد
فكان يحاول التشبث بتحضره فلو ترك نفسه لأطبق
على عنقه خانقاً إياه، سيفرغ فيه كل غيظه وقهره

وخوفه، فقط ما استطاع أن يفعله هو أن شتم
بالإسبانية، فأحمر وجه الطبيب وهتف بتلعثم :
-فهمتك....

-لا يهمني، فأنت ثقيل الظل...

قالها إياد بالإسبانية ببرود شديد وهو ينظر إلى
الطبيب من مقدمة رأسه حتى أخمص قدميه،
فتململ الطبيب في وقفته، ثم غمغم بصوتٍ خفيض

:

-أنه يليق بتلك المجنونة التي كادت تضربني

بالداخل، هي مجنونة، وهو مخيف..

لم يكن يعلم أن إياد قد سمعه بالفعل، فانتفض

مجفلاً حين هتف إياد بنفاذ صبر :

-سمعتك، لماذا أشعر بأنك تخصص أطفال؟

أجابه الطبيب مازحاً، وهو يبتسم له بسماجة :

-كنت أتمنى، لكنني أصبحت تخصص جاموس..



جز إِياد على سنانه مغتاضاً، يشعر وكأن الأكسجين
سُحب من حوله بعد وصلة المزاح السخيف من هذا
الطبيب الشاب، حاول إِياد أن يتمالك نفسه فلسانه
يلح عليه بأن يبصق كلمه بوجهه صارخاً "تبا لك
ولثقل ظلك "

لكنه تمالك نفسه ببراعة، وأغمض عينيه ليرتدي
قناع البرود ويهتف :

-هل أستطيع أن أراها!؟-

أوماً الطبيب الظريف له بنعم، فرمقه إِياد
بامتعاض، ثم استدار على عقبه متجهاً إلى غرفة
مروج!

=====

ربما ما تشعر به الآن ندم !
ربما ما يحرق قلبها أنها أهدرت كرامتها..



سحقت كبرياءها لتعشق رجل لم يكن مناسباً من
الأساس..

تشعر بأنها فقدت مهارتها في الغوص بين أمواج
القهر والخذلان..

فالجو أحتدم والموجات أصبحت عاتية، ووسط كل
هذا شعرت بأنها تنزلق في جُب عميق كان سواده
موحشاً..

أشباح الغدر تمد كفوفها السوداء لتقبض على
عنقها....

فتصرخ دون صوت، تطلب العون..

تبحث عن من ينقذها منهم..

فلجأت هي إلى طرف ثالث..

تلاعبت بمشاعره وهي تعترف..

أعجبها طريقة حبه لها وهذا أيضاً تعترف به..



شعرت بأنه هو من سيقوم بنكأ جرحها ليقوم
بتنظيفه،

لكنها في المقابل كانت تخفي وراء ظهرها سكين
الغدر التي كانت دوماً تشعر به مغروراً بظهرها
هي، فتقوم وتطعنه به دون أي رحمة..

بكت مروج بصوت خفيض وهي تغمض عينيها كي
لا تنظر إلى عيني لجين العاتبتين، تخشى أن تعريها
من ثوبها المزيف لتتركها بثوبها الأصلي..

لقد حذرتها لجين لكنها لم تستمع..

تحركت تجاه هدفها معصوبة العينين...

لا تسمع..

لا تبصر...

ولا تشعر..

وها هي، أستقر بها الحال لمدة على سرير المشفى
النظيف تشعر بألم مبرح في مؤخرة رأسها فعلى ما



يبدو أن قوة الاصطدام كانت قوية، أخبرتها إحدى
المرضعات بحسدٍ واضح منذ قليل بأن زوجها
يحبها وبشدة..

فقد دخل إلى الاستقبال حاملاً إياها يصرخ بهم
ليتحركوا..

أخبرتها أنه صرخ بوجههم محذراً بأن أصابها أي
مكروه سيكون عقابهم شديد..

وجملة المرضضة الأخيرة، سقطت على قلبها كدلو
من الماء أخذ حريقها :

لم يكن وضعك سيدتي بهذه الخطورة التي تجعله
يصرخ بهذا الشكل وكان هذا واضح لنة، على ما
يبدو أن زوجك يحبك وبشدة كما قلت لك، فأرعبته
دمائك على ملابسه..

ورغماً عنها، وجدت نفسها تقارن بين إيد ومالك..
وكانت وجه المقارنة هو حادثان متشابهان..

ذاك الحادث الذي أودى بها ممدّة على أرض طريق
السيارات الصلبة غارقة في دماؤها لكنها كانت
واعية وهي تسمع صراخ مالك لكنه كان مضطرباً،
كان غريباً وكأنه يخشى الاقتراب منها..
آخر ما سمعته هو صراخه بأن تسامحه..
بأن تغفر له..

فظنته يطلب منها العودة لا تعلم أن اعتذاره كان
مقدمة لسلسلة غدر متواصلة..
بينما إياد لم يتركها كما فعل مالك يوم الحادث...
حملها بنفسه وركض بها، يصرخ، يطلب منهم أن
ينقذوها..

ويهددهم بأنه لن يسمح بأي مكروه سيلحق بها..
هو صرخ خائفاً عليها..
والآخر تراجع مستسلماً...

رافعاً راية الاستسلام، راية كانت ترفرف في سماء

القهر ملطخة بدمائها هي..

انتبهت لشرودها حين تعالي صوت طرق على باب

الغرفة، فسمعت لجين وهي تسمح للطارق

بالدخول...

الطارق الذي لم يكن بالطبع سوى إياد الذي دخل

الغرفة مطرقاً الرأس محمماً بحرج حتى أذنيه فقد

احمرتا بدون سبب...

شعرت مروج بقلبها يتوقف فجأة ويعود لقرع

طبوله بصدرها بلا سبب..

بينما ألقى إياد السلام عليهما، واستأذن من لجين

للجلوس، فابتسمت لجين له ببشاشة، ثم هتفت :

-تفضل بالطبع..

ومن ثم رمقتها بنظرة ذات مغزى، نظرة كانت

كالسهم الذي نفذ إلى روحها مخترقاً إياها، فاطرقت



برأسها وهي تتحاشى النظر إلى إياد الذي جلس
على المقعد المجاور للفراش، ثم هتف بنبرة مهتزة

:

-كيف حالك الآن؟

ازدرت مروج ريقها بصعوبة، ثم همست بصوت

شبه باكي :

-الحمد لله، أريد أن أشكرك..

أرتفع حاجب إياد بشكلٍ مؤلم، وهتف بضحكة

ساخرة لم يستطع التحكم بها وبكلماته اللاذعة :

-لا، انا من يجب أن أشكرك على هذه المسرحية

الذيذة التي كان ليّ دوراً بها دون أن أعلم..

شعرت مروج بألمها وندمها يتفاقم بداخلها أكثر،

فقالت تنن بألم ضميرها :

-إياد، أنا حقاً آسفة، آسفة جداً..



تهدجت أنفاسها في جملتها الأخيرة وهي تطرق
برأسها لتبكي بصمتٍ، فنظر إياها نظرة متألمة
يشعر بالألم يشب حريق بروحه، فيغمض عينيه
لثوانٍ، ثم هتف بنبرة قوية تضاهي ما يشعر به
الآن من ألم :

-ماذا دهاك!؟-

توقفت مروج عن البكاء، لترفع رأسها وتتنظر له
بعدم فهم، ومن ثم رفعت عينها إلى لجين التي
كانت تراقب الحوار بعينين دامعتين..

أردف إياها بنفس النبرة وهو ينظر إلى عمق عينها
:

-ماذا دهاك لتسحقي كرامتك نفسك بهذه الطريقة،
ماذا دهاك لتسحقي كرامتك وتقدمين على أفعال
متهورة، ماذا دهاك لتهدري فرصة منحها الله لك
لتعودي إلى رشدك، بل ماذا ينقصك لتفعلي ما فعلته

به وبى وبنفسك قبلنا؟، ردي عليّ أتعشقين التمرد
لأجل التمرد؟، سنك الصغير لم يتم أستغلاله بشكلٍ
صحيح ، لا زلتِ طفلة ألبست نفسها ثوب الكبار
عنوة، تتلاعبين بأدوات جارحة أهدرت دمائك أنتِ
قبل أن تلوثيها بدماء غيرك..

وماذا أن كان هو نذلّ؟، هل سيقف الكون بعد هذه
الحقيقة؟، وماذا أن كان الغدر هو شعاره؟ هل
ستقفين أمامه منتظرة طعنته عن طيب خاطر، أنتِ
مدللة يا مروج وأن لم يتم التحكم بكِ ستسقطين في
فخ الخطيئة دون أي مجهودٍ...

كلماته كانت كما الصفعات التي توالى على وجهها
دون أي رحمة، كلماته كان مكنونها أنها أهانت
نفسها كما كانت تقول منذ دقائق قبل دخوله !
خسرت نفسها وشعورها بالاعتزاز أمام نفسها !



خسرت كبرياءها وأكبر دليل هو ما تشعر به الآن
وهي مطرقة برأسها شاعرة بحرج شديد من إيد
الذي مال نحوها وأردف بنبرة حمائية نوعا :
- عاقبي نفسك عما فعلته، فكري فيما تريدنيه قبل
أن تنفذي، ضعي نفسك مكان من يراك بعد كل فعله
تريدين أن تفعليه، حاولي أن تتحكمي بوحش
تمردك وحكمي عقلك، ليس هناك رجل على وجه
الأرض يستحق أن تتحني له المرأة متخيلة عن
كرامتها قربانا لحبٍ عقيم يا مروج، ولا تعتقدي
بأنني أقول هذا لأجل نفسي لا فما فعلته أنتِ بي
وفهمته اليوم يجعلني أشعر بالكره نحوك، لكن...
صمت لبرهة يحاول جمع شظايا قلبه الباكي، لينظر
إلى رأسها المحني ويقول بنبرة صادقة وأن كان
يشعر بالحريق يزداد لهيبه بداخله :



- سأكون بجوارك دائما في حالة عزمك على أن
تصبحين فتاة أخرى، مروج أخرى عاقلة... سأكون
بمثابة "صديق" وحين تقعين في أي مشكلة
ستجديني بظهرك وسأدعمك!

ومن ثم وقف!

فوقف قلبها وارتفع رأسها لتتظر له نظرة مشتتة،
تشعر وكأنها بحلم، لم تكن تتوقع أبداً أن تسمع هذه
الكلمات الراقية منه !

هل لديه نية فعلا في مساعدتها؟!

ولم لا؟؟

نظر إياد لها نظرة أخيرة، ثم أقترب من باب الغرفة
وهو يقول بتهذيب موجهاً حديثه إلى لجين :
- سأوقف لكما سيارة أجرة لتعودا إلى البيت آنسة
لجين، ولا تقلقي سأكون بسيارتي خلفكما لأطمئن
عليكما..



غمغت لجين بكلمات شكر صادقة وهي تبتم
رغماً عنها..

ذاك الرجل يشعرها دائماً بأن هالة من الاحترام
تحيط به..

توقف إيد عند باب الغرفة وأطرق برأسه مغمضاً
عينيه، يشعر بأن عنقه محاط بخيوطٍ وهمية تكاد
تخنقه !

لذا، فلم يشعر بنفسه وهو يندفع خارجاً كاظماً ما
يشعر به بشق الأنفس !

ولم يعلم أي منهما أن حديث إيد ما هو إلا فرصة
جديدة لاستكمال المسرحية..

لكن هذه المرة.. ستكون صادقة!!

سنبدأ من النهاية!

فاستعدوا للعد التنازلي !

=====



جميعنا نسلك طريقاً لم نكن نتوقعه..
نتعرض إلى صدمات موجعة، تصفع كل صفة
وجهك لتشعر وكأنك على وشك الموت...
تشعر وكأن النهاية تتراقص أمام عينيك..
نيأس، نشعر وكأن خبايا القدر وحشاً يرعبنا
بعينيه...

نتعثر، ثم نقف..

نبكي، ثم نبدأ من جديد..

نبعد غبار اليأس والحزن عن روحنا بروح نصف
حياة..

دوامة سحيقة أغرتك في البداية بشكلها الغريب...

ومن ثم بدأت تنغمس بها رويداً رويداً..

فلم تشعر بأنها ابتلعتك كلياً..

منحتك روح اليأس وسلبت منك أعز ما تملك..

الكرامة، العزة، الكبرياء...



وهذا ما كانت تشعر به صبا وهي تبكي بصمتٍ

تام..

جالسة بجوار والدته مروان مخفضة عينيها

أرضاً...

لا تعلم لماذا طلبت والدته مروان أن تراها...

لم تكن تحبذ رؤية أحد الآن..

لكنها لم تكن لتتجاهل والدته مروان...

شيء خفي لا تعرف كنهه يجثم على صدرها خانقاً

إياها بشكلٍ غريب..

ربما شعورها بالقهر والذل..

قهر لم تكن لتشعر به لو لم تكن غبية..

سانجة، مجرد لعبة صغيرة بين أيدي حقيرة..

صوت والدته مروان الواهن أخرجها من دوامتها

عنوة...



-لقد سلمت بالأمر الواقع يا صبا، فمن الواضح أن
وجودك بحياة مروان شيء لا خلاف عليه، لذا
فاسمعيني جيدا يا صبا...-

قالتها والدة مروان بملامح باردة، ونبرة واهنة
متهكمة، بينما عيناها فقد فضحتا عدم تقبلها لصبا
كزوجة أبنها من الأساس..
لكنها كانت صادقة..

لقد سلمت فعلا بالأمر الواقع وتقبلت صبا كزوجة
مروان..

فما رآته اليوم من مروان ما هو إلا دليل واضح بأن
مروان لن يترك صبا أبداً..

لذا، فهي لن تترك أبنها يتألم أمام عينيها..
ستساعده وأن كانت سعادته على حساب سعادتها..
هي لا تتقبل صبا كزوجة لمروان...نعم..
لكن مروان يحبها، فلذة كبدها يتألم بحبه لها..



فهل ستقف خالية اليدين تنظر إليه عاجزة..

والله أبداً لقد رأى مروان ما لم يتحملة أحد..

أنها تريد مروان الحقيقي..

مروان المبتسم دائماً...

المرح..

وليس هذا العصبي والكئيب...

أما صبا فقد كانت تشعر بالتوتر يكاد يبتلعها..

صمت والدة مروان زاد من خوفها أضعافاً بالرغم

من أن مقدمة حديثها لم تكن بالسيئة لتشعر بكل

هذا القلق..

وحين انفرجت شفتا والدة مروان، شعرت صبا

وكأنها على وشك الموت رعباً..

هتفت أم مروان بنفس النبرة :

-هل تريدني أبني يا صبا كما يريدك أم أنك تريدني

الانفصال والابتعاد عنه؟



شعرت صبا بالسؤال يصفعها على وجهها..
وجهها الذي امقع بشدة حتى كاد يحاكي وجوه
الموتى..

سؤالها يدوي في أذنيها كالناقوس..
لا تتجراً على التفكير بالجواب من الأساس..
فالبرغم من نداء العقل البعيد البعيد جداً بأن الابتعاد
هو الأفضل...

إلا أنها ذهبت إلى قلبها راجية..
تطلب منه أن يمدّها بالقوة اللازمة لتجيب على
سؤالها..

فأبتسم قلبها له ولبي لها طلبها على الرحب، فأمر
لسانها بأن يرفع الحواجز، وتجيب بصوتٍ مرتعش
ولكنه صادق :

-لا... لا أريد أي انفصال، ربما تقولين بداخلك أنني
أنانية، لكن مروان هو طوق نجاتي...



لمعت عينا أم مروان بشكلٍ ملحوظ، بينما التوت
شفتاها بشبهِ ابتسامةٍ لم تقوَ على كظمها..
ولسوء حظ صبا أنها كانت مطرقة برأسها أرضاً،
فلم ترَ ابتسامةَ والدة مروان..
فما كانت تشعر به الآن يكفيها...

لعلت ام مروان شفتيها، ثم هتفت بصوتٍ لطيف
نوعاً وهي تربت علي ركلة صبا بحنان فطري
بعدها لاحظت ارتعاش جسدها الضعيف :
-حسناً، هذا سيسهل عملنا كثيراً، لكن أرفعي
وجهك أولاً..

رفعت صبا وجهها المحتقن، ثم ضمت شفتيها
المرتجفتين، ورمشت بعينيها لتمنع دموعها التي لا
تنضب أبداً، فأشفقت أم مروان عليها، ثم هتفت :



-ستظلمين معي لمدة أسبوع لن تذهبي إلا شقتك
وستهتمين بنفسك خلال هذه الفترة، وهذا صراحةً
عقاب لكما أنتما الأثنان....

فغرت صبا شفتيها بعدم فهم وهي تحملق بأم
مروان ببلاهة بينما انعقد حاجباها بشدة..

ومن ثم انفرجت شفتاها لتهتف بتلقائية :

-أنا لا أفهم شيء، أي عقاب هذا ؟

هزت أم مروان رأسها بقلة حيلة، ثم سحبت نفساً
عميقاً، قبل أن تهتف موضحة :

-عقاب على تهورك وتركك لمنزل زوجك دون

علمه، عقاب على عدم فهمك لتهديد ذاك الحقير

الذي يدعى عم ابنتك، وعقاب له على صفعه لك

فأنا لم يرضيني ما فعله...لذا فحين يعود إلى هنا

سأخبره بأنك لا تريدين الذهاب معه..



رمشت صبا بعينيها غير مدركة ما تقوله والدة
مروان التي كانت تكتم ابتسامتها بشق الأنفس..
فعلى ما يبدو أن صبا لا تحبذ ما قالتها بالمرّة...
لكنها لن تتركها ترحل مع مروان..
ربما ما يمران به هو اختبار إن تجاوزاه معاً
ستكون نقطة البداية..
وربما انفصالان عن بعضهما أن أخفق كل
منهما في هذا الاختبار..
صبا تحتاج إلى التفكير وحدها..
دون تأثير مروان وعصبيته الغريبة..
ومروان يحتاج أن يدرك خطورة الأمر...
كان يجب عليه توقع كل ما يحدث حين أصر على
زواجه من صبا بحياتها الغريبة..
هو ليس بالشاب التافه، سيهرب من مسؤوليتها
فهو بالرغم من كل شيء لا يريد أن يتركها..



فليتحمل ما يحدث وما سوف يحدث إذا...

نظرت أم مروان إلى صبا نظرة قوية، ثم هتفت

بنبرة لا تحتاج إلى نقاش :

-هيا قومي، وادخلي إلى غرفة مروان بدلي

ملابسك بما ستجديه على الفراش هناك، ولا

تخرجي من الغرفة حتى لو صرخ باسمك... أفهمتِ؟

انعقد حاجبا صبا بشدة، بينما زفرت والدة مروان

بحنق، ثم هتفت مشجعة :

-هيا يا صبا، أسرعي قبل أن يأتي مروان..

ازدردت صبا ريقها بتوتر، ثم هزت رأسها وهي

تحقق بالأرض غير مدركة بعض ما المطلوب منها

بالضبط..

ولماذا تساعدها والدة مروان وهي لم تكن تتقبلها

من الأساس؟؟

أيعقل أنها تريد إفساد العلاقة بينهما أم ماذا؟!!



رمقتها والدة مروان بتفحص، ومن ثم هتفت وهي
تربت على ذراع صبا في حركة ذات مغزى :
-لست أنا يا زوجة ابني من تحيك القصص لتخرب
بيت ابنها، ثقي بيّ كما تثقين بمروان !، هل تريدان
دليل أكبر من هذا ؟

شعرت صبا بالراحة تتسلل إليها تدريجياً...
لكنها ما زالت تتأرجح بين الخضوع لما تريده
والدة مروان، والعودة إلى شقتها في انتظار مروان
لتبدأ النيران في الاشتعال من جديد...
لكن شيء ما بداخلها يخبرها أن الأبتعاد هو
الأفضل..

فليهدأ قلبه وكرامته أولاً لتعود العلاقة بينهما كما
كانت !
ضحكة ساخرة ندت عنها، فلاحظتها أم مروان التي
التزمت الصمت ولم تعلق على رد فعلها...



بينما حسمت صبا قرارها بأن تنفذ ما قالتها أم

مروان...

فهي ليس لديها ما تبكي عليه...

كاذبة، كاذبة يا صبا..

أن كان هذا هو حالك لأن علاقتكما البدائية تهدد

بالانهيار!

زفرت صبا بتعب، ثم انتصبت واقفة تنوي الذهاب

إلى غرفة مروان وهي ذابلة العينين فاقدة الروح..

تشعر بشيء وهمي يجثم على صدرها يكاد أن

يخنقها..

خوفها... يسيطر على قلبها بسلطته..

أما أم مروان راقبت رحيل صبا بعينين قلقتين على

مروان، وقلب أم يخبرها بأن ابنها يتألم..



تتهيدة تعب انفلتت من بين شفيتها، ومن ثم رفعت
عينها لتتنظر إلى السماء وتهتف وهي تضع يديها
على قلبها :

-يا رب، أحفظه ليّ، أنا لا أريد سوى راحته فإن
كانت صبا هي مرسى سفينته التائهة، فستكون
ابنتي وقطعة من روحي، أرح قلب ابني يا رب



الفصل الرابع والعشرون

=====
"أن كانت الحقيقة قاتلة، فالكذب مباح!!!"

=====
-أنا لا أفهم، ماذا حدث يا لجين؟؟

هدر بها أمجد بعصبية على غير عادته، فازدردت
لجين ريقها بتوتر، وهي تمنعه من الصعود إلى
مروج، أمجد الذي ما أن عاد من سفره أخبره أهل
الحي بما حدث وبأن شقيقته خرجت من بيتهم
محمولة بين ذراعي رجل لا أحد يعرفه، وها هو
يحاول فهم ما حدث لكن لجين ترفض، فجن جنون
أمجد وهو يضرب حاجز السلم بيده، هاتفاً :

-فلتخبريني الآن ماذا حدث يا لجين!!

شعرت لجين بأن أمجد به شيء غريب عيناه
حمران ووجهه شاحب بشدة، عيناه السوداوان

تتضحان أماً، فاقتربت منه وربتت على كتفه قائلة

بهدوء محاولة امتصاص غضبه :

-أمجد اهدأ منذ متى وأنت تصرخ بهذا الشكل، لم

تكن هكذا، هل حدث شيء ألك؟!!

أسودت ملامح أمجد بشكلٍ مخيف وبرقت عيناه

ببريقٍ غريب، فنظرت لجين إليه مبهوتةً، تشعر

وكأنها تقف أمام سليم وليس أمجد؟؟

دائماً كانت تقول أن الاثنان كلٌ منهما يناقض

الآخر...

فأمجد دائماً هادئ يتصرف بحنان وطيب خاطر مع

الجميع، أما سليم فدائماً مشتعل، غاضب، سريع

الانفعال، والآن ترى نظرة سليم التي لم تنساها أبداً

بعيني أمجد الذي ضغط على أسنانه بقوة وهتف

محذراً :

-لجيبين، أخبريني حالاً ماذا حدث!

أومات لجين برأسها بسرعة وهي تحاول تهدئته،
ثم رمشت بعينيها لتقول ما حضرته منذ خروج
مروج من المشفى كي لا ينكشف أمر مروج أنها
كانت تتلاعب بإياد؛ فيغضب أمجد ويعاقبها، لذا
فسحبت لجين نفساً عميقاً، ثم هتفت بهدوء :
-لقد تعرفت مروج على غالية صابر، شقيقة إياد
صابر لو تتذكره، أصبحتا صديقتان و...و طلبت
منها غالية أن تأتي معها إلى حفل زفاف إحدى
صديقتها فوافقت مروج وذهبت، ولم تكن تعلم
مروج أن إياد سيكون معهم، ولم تتأخر هناك أقسم
لك، لكن حدث ما حدث وأعرض مالك طريق
مروج ظناً منه أنها على علاقة بإياد، فتشاجر إياد
ومالك مع بعضهما حتى أن إياد قد تلقى ضربه من
مالك، لم تكن مروج قادرة على الوقوف على
قدميها، فعرض عليها إياد بذوقٍ راقٍ ليقوم



بتوصيلها إلى هنا، وحين أوصلها ساعدتها شقيقته
لتوصلها إلى باب الشقة...

صمتت لثوانٍ تراقب رد فعل أمجد بعينين مهترتين،
فنظر أمجد لها بعينين غريبتين وفكٍ متشنج،
فأسرعت تتابع ما قالت به بصدقٍ :

-وسقطت مروج مغشياً عليها في دخلة المنزل
ولسوء حظها يا أمجد أن رأسها اصطدم بحافة
إحدى درجات السلم، فنزفت ولم يكن أمام السيد
إياد سوى حملها والذهاب بها إلى المشفى وتم

تقطيب الجرح !

شعرت بعينا أمجد تتضحان ألماً، فهي تعلم أنه يتألم
لأجلها، لكنها لم تتوقع أبداً أن ينظر أمجد لها هذه
النظرة، وهو يزيحها ليصعد إلى غرفة مروج هاتفاً
بصوتٍ أروعها :

لم لم تأخذ أذني؟؟؟، كلكم تعتبرون أمجد خرقة
بالية، شخصية ضعيفة تتصرفون من رأسكم دون
الأهتمام بي، يبدو أن الحنان لا يجدي نفعاً...
شعرت لجين بقلقٍ شديدٍ يكتنفها جراء ما قاله
أمجد، شاعرة به يتألم والسبب لا تعلمه، فأطرقت
برأسها أرضاً وجلست على أقرب مقعد...
سؤال واحد يدور بعقلها، هل تنهور وتستعين
بسليم، فهو مهما حدث شقيقهم، وأن كان أمجد
غاضب منه ومن نفسه فهي تعلم من سليم عند
أمجد خصوصاً، لكنها لم تلبث أن استبعدت الفكرة،
فبالتأكيد سليم أصبح مثل سالم وأن استعانت به
سيصل سالم لهم، وهي لا تريد هذا !
طرق أمجد على باب غرفة مروج بهدوء نوعاً، ثم
فتح الباب وأطل برأسه فوجدها نائمة تضم قدميها
إلى صدرها تتأوه بهذيان، فتقدم أمجد نحوها، ثم



جلس بجوارها على الفراش وربت على شعرها
بحنان لم يستطع كظمه، ينظر إلى وجهها الشاحب
بعينين حزينتين، ومن ثم مال ليطلع قبلة على
وجنتها هامسا بصوتٍ لا يكاد يسمع :

-أمجد يتألم يا مروج!!-

جملته خرجت من بين شفثيه كأسدٍ يحتضر،
فاخترقت الجملة أذني مروج وحاولت فتح عينيها
باستماته، لكنها لم تقوَ، فأغمضت عينيها مجبرة
وهي تتأوه بخفوت، فانعقد حجاباً أمجد بقلبي
حقيقي، ومال بجذعه نحوها لينظر إلى الضمادة
التي تلتف حول رأسها، فزم شفثيه متألماً، ثم ربت
على وجنتها هامساً بصدقٍ :
-شفاك الله وعفاك يا حبيبة أمجد!



ومن ثم طبع قبلة صغيرة على وجنتها مرة أخرى،
ثم خرج من الغرفة متجهاً إلى غرفته وهو يجر
أذيال الخيبة..

يحمل على كتفيه هموم كثيرة، وقلبه مثقلاً بآلام
كانت تشتد قوتها حتى علم الحقيقة القاتلة وواجهه
نفسه بها، فكانت المواجهة قاتلة، قتلته بسكين ثلم،
أدمت جرح لم يشفَ من الأساس، طُعنَت كرامته
واهتزت من مكانها!

خدعته، من أحبها خدعته!!

كسرت قلبه دون أي اعتبارٍ....

ألقي أمجد جسده على الفراش مغمضاً عينيه بقوة،
يتذكر ذاك اليوم الذي ذهب فيه إلى ذاك الحبيب
الذي يقولون أنها هربت معه..



ضاغظاً على كرامته، ساحقاً قلبه الذي كان يصرخ
به معترضاً محتجاً عما يفعله، فأمره بالألا يتدخل
وضغط عليه أكثر، فكاد ينفجر!
منذ أسبوعين تقريباً...

كان أمجد يصعد درجات السلم بتردد وقلق شديد،
يشعر بغصة مسننة تحتل حلقه وهو ينظر إلى
درجات السلم بوجهٍ شاحب..

كيف طاوعه قلبه على هذه الخطوة الصعبة!!
كيف صدق ما قاله مالك وبحث عن ذاك الشخص
الذي يقول أنه هو من هربت جود معه!!
وعند هذا خاطر شعر أمجد بأنه على وشك
الصراخ ألماً وغضباً!

قلبه، قلبه يخشى الحقيقة ويريدها بنفس الوقت!
أن كانت جود خدعته، سيزداد ألمه أضعافاً، لا يريد
أن يتخيل رد فعله، يكفيه ما يشعر به!



جود، جود تخدع وتكذب!!

وما زاد جنونه أنه سألها!

كان الغرض من السؤال ليس اتهاماً...

لو كانت أخبرته بالحقيقة، كان من الممكن أن

يسامحها!

فمن هو ليحاسبها؟؟

لكن هي، قالت لا!

فصدقها ولم يأت بسيرة هذه النقطة مرة أخرى!

ليعود مالك ويفتح عينيه موبخاً، ساخراً من حماقته

!!

ضغط أمد على أسنانه بقوة، ثم طرق على باب

الشقة المتهاك، و أطرق برأسه منتظراً!

لقد أضطر إلى السفر من مدينته إلى أخرى عبر

القطار، ولم ينم منذ يومين تقريباً..



وللعجب أنه لا يشعر بأي إرهاق، فالحريق المشتعل
بداخله يكفي!

مرت دقيقة وهو يقف أمام باب الشقة متخشباً،
يتمنى ألا يفتح صاحبها!

لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، فها هو
المسبوق بالذكر يفتح الباب بهدوء، ثم يطل برأسه
مستفسراً، فرفع أمجد عيناه لينظر إليه، ليرفع
الرجل حاجبه بتوجس فقد شعر بأن وجه أمجد
مألوفاً له، فانفرجت شفتاه وهتف مستفسراً :

-خير، ماذا تريد؟

سحب أمجد نفساً عميقاً، ثم هتف بهدوء شديد :

-هل يمكنني التحدث معك قليلاً؟؟

ارتفع حاجب الرجل أكثر حتى كاد حاجبه أن يصافح

مقدمة رأسه، ثم هز رأسه وهتف بعدم فهم :

-بشأن!



ضغط أمجد على أسنانه أكثر وهو يحاول تمالك
أعصابه بشق الأنفس، يترجى لسانه أن يهتف بما
يريده، يكاد يتوسله، لكن قلبه يصرخ رافضاً،
فأرغم عقله لسانه ليقول بنبرة مهتزة :

-جود ابنة عمك!

لاحظ أمجد بوضوح امتقاع وجه غريمه الذي
التمعت عيناه لثوانٍ، وارتفع كفه ليتحسس رأسه
وكفه الأخرى تحسست قدمه، ومن ثم هتف بحقدٍ
ونبرة سوداء:

-ماذا بها تلك (...)??

ضغط أمجد على أسنانه بقوة أكبر حتى اصطكت،
وأظلمت عيناه وهو يهتف بصوتٍ حاد :

-احترم نفسك لو سمحت!



اتسعت عينا الرجل بدهشة وهو يطالع أمجد المائل

أمامه، يشعر وكأنه كائن فضائي، ومن ثم هتف

بصوتٍ أشد سواداً ملوحاً بكفه ساخراً :

-هل أنت الضحية الجديدة التي وقعت بغرامها

وضحكت عليك تلك البنت الخبيثة ؟

شعر أمجد بالدماء الحارة تندفع بأوردته وبقلبه

ينتفض ثائراً متقرزراً مما قاله ذاك المتخلف الذي أن

تمكن من تحطيم فكه وقطع لسانه لفعل..

نظر الرجل إلى أمجد بعيني ضاقتا بتفحص، فلاحظ

الغضب يعتري ملامح أمجد ليبتعد عن الباب وهو

يمد كفه يدعوهُ إلى الداخل بنبرة خبيثة :

-تفضل لنتحدث بالداخل!

حبس أمجد أنفاسه مهدئاً نفسه...

جلس على المقعد المقابل إلى مقعد الرجل، فنظر

إليه الأخير وقال بغموض :



- ما بها تلك الفاجرة ؟؟

اشتعلت عينا أمجد بشكلٍ أرب ذاك الرجل الذي
شعر بخطورة الأمر، فبلع لسانه وهو ينظر إلى
أمجد مستفسراً، فاعتدل الأخير في جلسته، ثم هتف
بجمود دون موارد :

- ما هي كنه العلاقة بينك وبين جود؟؟، هل هربت
معك بالفعل ؟؟

وما أقسى على رجل عاشق أن ينحني منسكراً
مقابل معرفته لحقيقة قاتلة!!

شعر أمجد بالكلمات تحرقه حرقاً، تسقط على قلبه
حارقة إياه، فضغط على شفثيه منتظراً رد ذاك
الرجل الذي وضع قدمه فوق الأخرى بحذر، ثم
هتف بتسلية :

- اممم، جود وعلاقتي بها، لماذا ؟؟



- لا أعتقد أن السبب سيهمك بشيء، فتفضل أخبرني

بالحقيقة!

هدر بها أمجد بنبرة حادة، استحضرها من نصفه

الآخر، ببساطة أمجد الآن كان مرتدياً روح سليم

الحازمة، فارتعب الرجل من مظهره شاعراً

بالخطر، فهتف بحذر :

-نعم، لقد هربت معي تاركة كل شيء خلفها، وحين

طلبت منها أن نتزوج عرفياً رفضت وتمنعت

الخبیثة وطلبت مني أن نتزوج رسمياً وإلا لن

أحصل منها على شيء، وحين وجدتني أراجع

عرضت نفسها عليّ بكل رخص، لكنها غدرت بيّ

وضربتني على رأسي وهربت (...)، رخيصة!!!

كل كلمة نطق بها الرجل كانت قاتلة، كل كلمة كانت

كنصل خنجر حاد طعن قلبه دون أي رحمة..



خيوط الخداع التفت حول عنقه خانقة إياه، وقلبه

النابض يحتضر، والحريق يزداد لهيباً بداخله..

لقد خدعته فعلاً!

تلك المخادعة ضحكت عليه وأخبرته حين سألها

بأنها لم تفعل أي شيء!

ازدرد أمجد ريقه بصعوبة محارباً غصته، ثم هتف

متشبتاً بأخر أمل :

-وما هو دليلك أيها الحقير ???

-أسمع يا أنت، أنا لا أسمح لك لقد أخبرتك بكل

شيء، فليس لي أي دخل أن كانت تلك الفاجرة

تلاعبت بك و...

قاطعته أمجد هادراً وهو يهجم عليه قابضاً على ياقة

منامته :

-قلتُ لك ما هو دليلك ???



نظر الرجل إلى أمجد الذي كان يخيم فوقه بلامح
سوداء، فانفلتت من بين شفثيه ضحكة ساخرة،
وهتف مستهزئاً :

-تذكرتك، انتَ أمجد الأمير، ذاك الشاب الخجول
المؤدب الذي كنت ألقبه بالشاب المطيع، أهلا بك يا
سيد، الآن ليس عليّ أن أتعجب من تمكنها في
خداعك، فأنا أعلم جيداً أنك تمتلك قلباً كالعصافير،
لا تحزن يا حبيبي، خدعتك الماكرة، ومع ذلك
سأعطيك الدليل القاطع عما قلته، لا تغضب يا جميل
!

نبرته الساخرة أججت النار المشتعلة بداخله، أزكت
غضبه وألمه، فلم يشعر بنفسه وهو يزمجر
غاضباً، ثم لكمه بقوة بفكه، ثم شدد بقبضته
الأخرى حول ياقة قميصه خانقاً إياه حتى كادت



عيناها تتخلعان من مكانهما، ثم هتف أمام عيني
الرجل الذي كان يتأوه متألماً :

-لا تحاول استفزازي يا حقير، أقسم بالله أن
أكتشفت أن ما قُلته ليس صحيحاً، ستتمنى الموت
وتبكي ندماً، هات ما لديك الآن، كي لا يغضب
الجميل يا (...)

السبة التي أطلقها أمجد لم يكن يتوقع أن يتفوه بها
يوماً، لكن سيطرته على نفسه انفرطت من بين
يديه، فلم يعد يميز ما يقوله وما يفعله، فقط ما
يريده هو الحقيقة..

فدفع الرجل بقوة وهو يبتعد عنه بجسده، ثم أشار
برأسه قائلاً بنفس النبرة :

-هيا أذهب وأحضر ما لديك، وأي حركة غدر لن
تكون العواقب هينة...



أعدت الرجل في جلسته متأوهاً، ثم نظر إلى أمجد
نظرة قاتلة، ومن ثم تحرك بصعوبة وهو يضغط
على أسنانه مغتاضاً، فربت عقله داعماً يخبره بأنه
سينال منه بما سيعطيه له، فالحب المتوهج بعيني
أمجد سيجعله يتألم وبشدة، وهذا أسعده وبشدة
وخفف من ألمه..

غاب الرجل الذي كان وسيماً ن متوسط الطول
يمتلك عضلات كبيرة..

نظر أمجد إلى الغرفة التي أخفى بداخلها ضاغطاً
على نفسه وبقوة، يحاول تمالك غضبه لكن
هيهات، فحين خرج الرجل من الغرفة بعد دقيقة
حاملاً صندوقاً صغيراً، شعر أمجد بخوف غريب
يسيطر عليه...

حتى الآن... يثق بها لآخر لحظة..



وضع الرجل الصندوق أمام أمجد بقوة، ثم هتف
بسخرية وهو يمسح أنفه وفكه بظاهر يده :
-تفضل سيدي، ها هو الدليل، كل ما بداخل
الصندوق ملكاً لها، فحين فرت مني هاربة بعد أن
ضربتني، وجدت أشياءها مبعثرة بالغرفة ولم تأخذ
سوى بطاقة هويتها، حتى هاتفها تركته وستجده
بالداخل...

نظر أمجد إلى الصندوق بعينين غائمتين وقلب
يخفق بشدة حتى انه نظر إلى صدره يسأل قلبه ...
يا الله...

سيموت من فرط ما يشعر به الآن...
وفجأة انتصب أمجد واقفاً، فارتد الرجل إلى الخلف
مجفلاً واعتري القلق ملامحه من مظهر أمجد
المخيف...



أمد الذي أنحني ليحمل الصندوق، ثم أسرع
متجهاً إلى باب الشقة شاعراً بذرات الهواء تتسحب
من حوله..

يشعر بأنه يضم بين ذراعيه وحشاً مخيفاً...
وماذا أن كانت الحقيقة قاتلة؟، فهل الكذب هو
السييل الوحيد لتجميل صورة مشوهة؟؟؟
خرج أمد من الشقة بل من العمارة كلها يكاد
يركض..

بينما الرجل فقد ابتسم بسخرية، ثم جلس على
الأريكة وغمغم بقرف :

-تلك (...) لا تستحق أي ستر فأي فتاة مكانها

تستحق القتل حتى لو كانت ابنة عمتي !!

وهو ألا يرى نفسه مذنب؟؟؟

أبعد يديه مدعياً البراءة؟؟؟

أين الرجولة التي يتشدد بها أمثاله وهو يوهم فتاة
بحبه لها؟؟

يجذبها إلى الدرك دون أن تشعر لتدمن الوقاحة؟؟؟
هي أخطاء وهو أخطأ، الخطأ بينهما مشتركاً..
فليته حتى ندم عما فعله بفتاة تعتبر من لحمه
ودمه..

لكن تلك الأفعال لا تعتمد أحيانا على صلة الدم...
وبالرغم من تلقيه العقاب عما فعله ببنات الناس
بأنه فقد إحدى قدميه في حادث سيارة عنيف ألا أنه

لم يتعظ !!

فمتى إذا ستكون التوبة؟؟؟

لا أعلم...

تحرك أمجد بقدمين شعر بهما كالأسفنج الرخو
يدور الشوارع متشرداً، يحمل الصندوق المخيف
بين ذراعه وجانب صدره...

ينظر إلى أوجه المارة بعينين غائرتين!
ويا ترى ماذا بداخل الصندوق المخيف يا أمجد
ولماذا لا تريد أن تقوم بفتحه ???
لا زالت الصدمة قوية عليك وعلى قلبك الغارق بها
!!!

نعم، الصدمة كانت قوية فترنح قلبه ذبيحاً مترجياً
إياه أن يلقي بالصندوق بعيداً، ويتخذ من انكارها
دليلاً...

فتدخل العقل رادعاً قلبه بقوة، ليجلس أمجد على
سور عالٍ بمنطقة قليلة الحركة، يلهث بعنفٍ وهو
يضع الصندوق على ركبتيه، ينظر إليه مرتعباً
خائفاً...

مد أصابع مرتعشة ليفتحه برهبة، نظر إلى
محتوياته بعينين غائرتين، فكان أول ما وقعت
عيناه عليه هو هاتفها..



فلم يشعر بنفسه وهو يسحبه بكفٍ مرتعش، ومن
ثم أعاد تشغيله فعلى ما يبدو أن ذاك الرجل كان
يقوم بشحنه دائماً..

تسارعت أنامله المرتجفة كحال قلبه المسكين
يتفحصه، ليس أنتهاكاً ولا اتهاماً إنما هو لا يريد
سوى الحقيقة، فضغط على الرسائل ويا ليته لم
يفعل..

فما رآه سقط على قلبه ساحقاً إياه..
كانت هناك رسائل متبادلة بين جود وذاك الرجل..
فر الرسائل بعينين حمراوين حتى وقعت عيناه على
حوارٍ متبادل بينها وبينه

"أشتقت لك يا مهاب جداً، لقد كان أبي يتشاجر
معي كي أوافق على أمجد الأمير، وأنا رفضت فمن
أمجد هذا الذي يقارن بك يا حبيب الفؤاد "



أتسعت عينا أمجد شاعراً بالألم المبرح يعصف
بقلبه وهو يقرأ كلماتها، تسارعت مقلتاها ليقرأ رده

على رسالتها

"أمجد الأمير؟؟، يا الله ذاك الشاب المهذب حد
السذاجة؟؟، هذا الذي يدعى أمجد أشعر به مثل
النساء كلما نظرت إليه وهو يدافع عن أخوته وكأنه
أمهم!"

أتسعت عينا أمجد بصدمة أكثر، وتشنج أصبعه
على شاشة الهاتف، لكن عيناها تابعت قراءة ردها

التالي

"أنا لا أحب أن أتحدث عن أحد في غيابه يا مهاب،
أنا حتى لو لم تكن موجوداً بحياتي لم أكن لأوافق
عليه، اهتمامه بأخوته وخوفه الشديد عليهم غريب
وهذا لا يدل سوى على أن أصله مخيف كما أن
شخصيته ضعيفة جداً"

ضحكة عالية، عالية جداً انفلتت من بين شفتي
أمجد، ضحكة متحشجة متألمة كانت كالسوط الذي
حط على قلبه لاسعاً إياه !

ضحكة ساخرة لونت شفتيه بلون أسود قاتم
فأفسدت لوحة الحنان والطيبة بوجهه..
ضحكة كانت كالماء الساخن الذي انسكب على قلبه
حارقاً إياه...

يا الله!

أنه أصبح أضحوكة!

جود تقول أن شخصيته ضعيفة!!
من ملكت قلبه منذ قديم الأزل...

ذبحته بسكين الخذلان بعد أن أعطاها الأمان؟؟
أغمض أمجد عينيه بشدة مستمراً في الضحك
بهستيرية حتى أن الأنظار تعلقت به متوجسة من
مظهره الغريب...



تحكم أمجد في ضحكاته بصعوبة وقد دمعت عيناه
من فرط الضحك، ومن ثم نظر إلى باقي محتويات
الصندوق بعينين غائرتين متألمتين، فتعلقت عيناه
بقرط لامع ملون بعدة ألوان...

فشعر بقلبه يتلوى الماء، هذا هو القرط الذي كانت
تظهره من حجابها بطريقة لافتة !
كان يعشق هذا القرط، يحبه..

بين يديه الآن !

سقط منها بعد أن باعت نفسها !
بعد أن سحقت كرامتها وعزة نفسها دون أي
أهتمام !

يتلمسه بأنامله وهو يتنفس بصوت عالٍ..
ودون شعور منه، صرخ بهياج ضارباً حافة
الرصيف بقوة :

-لماذا؟؟؟، لماذا؟؟-



كانت حالته يرثى لها، حتى أن بعض المارة كانوا
يظنونه مجنوناً، فقد شخصاً عزيزاً عليه وهذا ما
حدث بالفعل..

لقد فقد ثقته بها، وترك قلبه يسقط بهوة ابتلغته...
وما يزيد ألمه أضعافاً أنه سألها..

وأنكرت هي بدورها!!

صفعته على مؤخرة رأسه ساخرة..

وتلاعبت بقلبه راقصة على ألحان الخداع بمهارة
تستحق الإعجاب...

تخفي وراء ظهرها سكينها الخفية، وفي لحظة
توهان، أخترق سكينها قلباً كان مشرداً يجوب
الشوارع بحثاً عنها..

وحين أتت الضربة أتت منها!

أخفى أمجد عينيه بكفه يحاول تمالك أعصابه
والسيطرة على جرحه النازف..



وفي تلك اللحظة... كان يفكر...

أن كان الحب خان !

والعقل ضحية للخذلان!

أما هو بين هذا وذاك يفكر في الأوهام !

أوهام صنعها بنفسه..

فأين الصدق، أين الحب الصادق !!!

زمجر أمجد بوحشية وهو يلقي الصندوق بجانبه،

ثم قبض على القرط بقوة مغمماً بقهر رجل :

- أقسم بكل لحظة أحببتك بها لأرد لك ما فعلته بيّ،

كل كلمة كاذبة ونظرة خادعة ومشاعر لم تكن

سوى وهم، سأحرق قلبك كما حرقت قلبي!!

ومن ثم انتصب واقفاً وأغلق الصندوق بشيء من

العنف ووضع هاتفها بجيب بنطاله وغادر المكان

تاركاً قلبه خلفه يبكي ندماً وألماً...

وها قد أجتت مشاعره كشجرة يتيمه...



فأصبح الطريق أسوداً ليس له بداية ولا نهاية !
تحرك فاقداً للروح يجوب الشوارع يبحث عن
نفسه..

عن الصدق والحقيقة والنية الصافية بأوجه
المارة..

يشعر وكأنه قدم نفسه قرباناً إلى مقصلة الحب
الخادعة...

يا الله يا أمجد، كم كنت مغفلاً..
ضحكة ساخرة ندت عن أمجد وهو ينظر إلى الأمام
بعينين غريبتين..

ومن ثم وقف فجأة، ودس كفه في جيب بنطاله
ليخرج هاتفه الذي لم يتوقف عن إزعاجه منذ
اسبوع تقريباً، فهو لم يرد عليها منذ ألقى مالك
كلماته بوجهه..



وحين فتح هاتفه وجد رسائل عديدة على هاتفه

منها قرأها بمشاعر متباعدة

"لماذا لا ترد عليّ يا أمجد أنا أشعر بالقلق عليك"

"أمجد أرجوك رد عليّ، أنا أحتاجك وبشدة"

"أمجد تمارا سوف تتزوج بعد أسبوعين، وزوجها

لا أشعر بالراحة له"

"هل هنت عليك يا أمجد، تترك صغيرتك تكاد تموت

خوفاً عليك"

"يا صاحب القلب الطيب رد عليّ أرجوك"

رسائل كثيرة كانت عيناه تجريان عليهم بمشاعر

تحولت من البرودة إلى الاشتعال، فقام بحظر رقمها

وهو يضغط على أسنانه بقوة...

قاطعاً كل خيوط ضعيفة تربطه بها...

الخادعة تترجاه وتندعي القلق...

التوت شفتا أمجد ساخراً ثم تابع طريقه..



ولم يكن يعلم أن شيطانه سوف يسول له بأن يسافر

إلى مدينتها ليراقبها...

لكنه لم يحصل على أي شيء سوى زيادة ألمه

أضعافاً بروئيتها..

الألم كان يزداد اضعافاً كلما رآها..

يكاد يجن جنونه وهو يرى من لعبت به بسهولة

تتحرك هنا وهناك..

لو كان بإمكانه أن يصفعها لكان فعل..

لو كان بيده أن يواجهها بتلك الكاذبة لكان فعل..

لكن أخلاقه تدخلت لتردع كل هذا..

دفعته دفعاً ليعود إلى بيته إلى ورشته التي أهملها

بسببها..

فليحترق الحب، ولتحترق هي..

فالتحترق كل أوهامه..

ويفقد ذاكرته لينسى ما فعلته...



عاد أمجد إلى أرض الواقع وهو يتنفس بسرعة
كبيرة، يود لو يتصل بها ملقياً كل كلمة يكظمها
بداخله بوجهها...

لكنه أختار النوم بدلاً من ذلك، فأغض عينيه
مرغماً وهو يكتك كل صرخة ألم يريد إطلاق
سراحها!!

نم يا أمجد، فغداً يجب أن تستيقظ مبكراً لتعود إلى
حياتك المعتادة..



وقف يطالع أوجه الاطفال البريئة بعينين
مبتسمتين، بعضهم يعرفه وبعضهم لا..
وبالطبع هذا يعود إلى سفره الطويل..
يراقب انفعالتهم بوجهٍ باسم، عاقداً ذراعيه متكأً
على الحائط يبتسم لمراوغة الصغار وهم يلعبون
بطلاقة، فهتف إياد بصوتٍ عالٍ مازحاً :

- أنتَ تغش يا صغير، أخفي عينيكَ بأكملها يا ولد!
قهقهه الصغير بمرح، ثم هتف وهو يركض نحو إياد
بسرعة :

- تعال وألعب أنتَ يا مستر أيدو، ماما غالية أخبرتنا
أنك تحب اللعب مع الأطفال!

وقف الطفل أمامه ممسكاً بقماشة كان يخفي بها
عينيه، فنظر إياد له ثم هتف برفض :

- لا، لن ألعب لقد كبرت على هذه الأفعال يا أولاد!
لم يهتم الولد بما قاله، بل ألتفت إلى زملائه، ثم
صاح بحماس :

- هلموا بسرعة إلى هنا، سنشجع مستر إياد على
اللعب...

اعتدل إياد في وقفته مبهوراً وهو يرى أطفال في
مختلف الأعمار يركضون نحوه يرددون بحماس :
- سيلعب مستر أيدو، هاي هاي...



حمم إياد بحرجٍ وهو يلاحظ تعلق نظرات العاملات
به يصيحون مع الأطفال بحماس، فحاول إياد
الهرب لكنه وجد نفسه محاطاً بعدد هائل من
الأطفال، فنظر إليهم ثم إلى غالية يخبرها رفضه
بصمتٍ، فمدت غالية كفيها بقلّة حيلة ، ليضغط إياد
على أسنانه بقوة، ثم لم يلبث أن جثا على ركبتيه
أمام الأطفال، وهتف بهدوء :

-أنا آسف احبائي، لكن أنا لا أقوى على اللعب الآن،
مستر أيدو مرهق وبشدة، أريد أن أنعم ببعض
الراحة...

صدرت من الأطفال همهمات إحباط وهما يتراجعون
إلى الخلف ليعودوا إلى لعبهم لكن بحماس أقل،
فطالعهم إياد نادماً يود لو أن يمنحهم عمره كله..



أقربت غالية منه بخفة وهي تراقب ملامحه
المرهقة بحزنٍ، إلى أن وقفت أمامه ثم قالت وهي
تنظر إلى الاطفال مثله :

-حين أنشأت تلك المدرسة وحملتني مسؤوليتها،
كنت أشعر بالفرحة وأنا أراك تفعل الخير لمن يود
الإلتحاق بمدرسة راقية لكن المال لا يساعد، دائماً
كنت أفخر بمعدنك الأصيل يا أخي، وحين أخبرتني
بأنك ستسافر والمدرسة ستكون تحت أنظاري أنا
أقوم بإدارتها وفعل كل شيء بها، تحملت المسئولة
وفعلت كل ما بوسعي كي أحافظ على ما وصلت
إليه...وها أنت عودت يا أخي، فأتمنى أن تلتفت إلي
مصالحك وتهتم بنفسك...

ضافت عينا إياد مدققاً بما تقوله شقيقته فما قالته
يحمل معاني مختلفة، وخصوصاً مروج، فالتفت
إياد إليها ثم هتف بصوتٍ غامض :



-ماذا تقصدين!؟-

-انساهها يا أخي، وحاول البحث عن أخرى..
ابتسم إِياد إليها ابتسامة باهتة، ثم هتف بنبرة
صادقة :

-ليتني أقوى، لم يكن هذا حالي...-

تألّمت غالية بشدة وهي ترى حلق إِياد يتحرك
بصعوبة وكأنه يحارب عصاة تحتل حلقه، سيرتها
أحيت جرحه المتقرح فأغمض عينيه لدقائق، ثم
هتف مغيراً الموضوع :

-أترك قلبي وشأنه، أخبريني لقد علمت أن هناك
عجز بمعلمات الروضة، هل هذا حقيقي؟؟؟
ابتسمت غالية له بتعاطف شاعرة بألم شقيقها، ثم
أومأت برأسها وهتفت :

-نعم، ونبحث عن معلمات حتى لو ليس تخصصها
الروضة...-



زفر إياد بقوة وهو يطرق برأسه وغمغم بجدية :

-حسناً سأبحث لكم لا تقلقي..

أومات غالية له، ثم تركته وابتعدت وهي تهتف

بصوتٍ عالٍ :

-إياد، العم صلاح غاضب لأن الأطفال كسروا له

القلّة التي كان يحب أن يشرب منها..

ارتفع حاجب إياد بتوجس، ثم هتف بغباء :

-ماذا؟؟؟، أي قلّة؟

قهقهت غالية بقوة وهي ترى ملامح إياد الذي كان

عاقداً حاجبيه بعدم فهم، ثم لم يلبث أن ضرب كفه

بالآخر متجهاً إلى العم صلاح محدثاً نفسه :

-لا إله إلا الله، حزين لأن القلّة كُسرت؟

وحين وصل إلى العم صلاح الذي كان يسند ذقنه

إلى كفه وعلامات البؤس تعترى محياه، لم يستطع

إياد التحكم في ابتسامة حقيقية سمعها ذاك الرجل

الطيب الذي رفع وجهه إليه، ثم هتف بعتاب حزين

:

-تضحك على أجزائي مستر أيدو؟؟

اتسعت ابتسامته إيداد حتى شملت وجهه، ثم هتف

مناكفاً :

-ما بالكم كل المدرسة تناديني بهذا الأسم، مستر

أيدو وكأنتي من سلاحف الننچا، أنا رجل مهم

عازف بيانو رائع ويتحدث الإسبانية بطلاقة...

قلب العم صلاح شفتيه بامتعاظ مصطنع، ثم هتف

بحزن شديد وهو يهز رأسه :

-ها قد بدأ مستر أيدو في أخبارنا بمواصفاته وكأنه

يتقدم لخطبة ابنتي، وما شأني أنا يا مستر أيدو

بمميزاتك أنا حزين على القلّة الآن، أتركني وشأني

!



قهقهه إياد بقوة لأول مرة حتى أنه بدا وسيماً وهو يعيد رأسه إلى الخلف مغمضاً عينيه، فنظر العم صلاح له بابتسامة صغيرة سعيداً بأنه تمكن من إخراجهم من حالة الحزن التي كانت تسيطر عليه اليومين الماضيين..

هتف إياد مازحاً وهو يجلس بجوار العم صلاح :
-لا تحزن يا عم صلاح، سأتي لك بقلة جديدة، لكن أخبرني هل يوجد أحد يشرب بتلك الطريقة القديمة ؟

-أنا يا ولدي، أحب طعم الماء بها، تعيد لي الذكريات والحنين إلى من تركنا وغادر، زوجتي رحمها الله كانت مثلي!
قالها العم صلاح وهو يبتسم بوجهٍ بشوش، فنظر إياد له بابتسامة صغيرة يتأمل ملامح وجهه

البشوشة شاعراً بالراحة تتسلل إليه تدريجياً، فمال

على العم صلاح وربت على ركبته مغمغماً :

-لا تحزن يا عم صلاح، سأعوضك يا عم لا تحزن،

كم عم صلاح أملك أنا يا رجل يا طيب...

أبتسم العم صلاح بمحبة، ثم ربت على فخذ إياد

وهتف بصدق :

-دامت ابتسامتك يا مستر أيديو يا حبيب الكل!

بادله إياد الابتسامة بمثلها، ثم انفرجت شفثاه يهمّ

بالتحدث لكن رنين هاتفه منعه، فدس كفه في جيب

سترته ونظر إلى أسم المتصل الذي ما أن وقعت

عيناه عليه حتى شعر بوجيب دقاته يرتفع، وبعينيه

تتراقص فرحاً، لكن جروحه عادت لتسخر منه

مضاعفة الألم بشكلٍ مبالغ به، لكنه تحكم بألمه

بأعجوبه ورد عليها بنبرة طبيعية :

-السلام عليكم، كيف حالك اليوم؟؟



أبتسمت مروج ابتسامة باهتة، ثم هتفت بتهذيب :

-الحمد لله، بات الجرح أقل ألماً!

"وأنا جرحي يزداد ألماً كل يوم يا صاحبة

الابتسامة الخادعة"

قالها بداخله وهو يبتسم ابتسامة متألّمة، ثم هتف

بنبرة صادقة متجاهلاً قلبه الذي كان يخفق بجنون

:

-سعيد جداً بأنك بدأتِ بالتغير يا مروج وبقبولي

صديقاً لك!

ابتسمت مروج على الجهة الأخرى بحرجٍ شديد

منه فهي حتى هاته اللحظة تشعر بالحرج منه،

يخرجها ذوقه الرفيع وتسامحه الغريب..

وحين بدأت تحبو نحو أول خطوات التغير أتصلت

به تطلب رأيه ودعمه بالرغم من شعورها بالضيق

من نفسها لأنها تحدثه دون أي خجل..



أنتظر إِيادِ ردها بصبرٍ يحسد عليه كاظماً ابتساماً
تترجاه أن تزين شفثيه وهو يرى العم صلاح يغمز
له بصبيانية ويشير بإبهامه محفزاً فهز إِياد رأسه
بقلة حيلة، ثم لم يلبث أن تحفرت خلاياه حين هتفت
مروج بتردد :

-أنا سأبحث عن عمل لأحمل مسؤولية نفسي، لقد
تحمل أمجد كثيراً، لقد كنت غافلة عن أمجد و عما
يعانيه كي يستطيع أن يصرف علينا!
التمعت عينا إِياد بإعجاب، ثم هتف بدعمٍ ونبرة
صادقة :

-رائع، رائع يا مروج أنا سعيد لأجلك جداً..
لماذا يتصرف بهذه الطريقة التي تجعلها تود البكاء
بشدة.

تشعر بالندم يتقافز بداخلها عما فعلته به....

أطرقت مروج بوجهها الممتقع منتظرة أن يتابع هو
الحديث...

وكأنه قرأ أفكارها ويشعر بما تشعر به، فقد
أنفجرت شفتاه وهتف بجدية بعد أن لمعت فكرة
ذهبية بعقل فشجعه قلبه ودعمه عقله :
-لدي فرصة عمل لك إن كانت مناسبة سأقوم

بالاتفاق معك!

رفعت مروج رأسها بسرعة تبتسم بارتباك لكنها
نست جرح رأسها فارتطمت رأسها بظهر السرير
لينفلت منها تأوه مكتوم، فلم يشعر إياد بنفسه وهو
ينتفض قائلاً باندفاع :

-على مهلك!

وما زاد الطين بلة هو تعليق العم صلاح الذي كان
يراقب الحوار منذ البداية مسنداً وجنته إلى كفه
مطلقاً صغيراً عابثاً :



- ألعب يا مستر أيدو يا كبير، الله أكبر اسم الله عليك

يا مستر أيدو، محترف !

عض إياد على شفتيه محذراً وهو يشير إلى

الهاتف، فأخفى العم صلاح فمه مغمما بحنق :

-صمت صلاح، فلتكمل يا مستر!

أما على الجهة الأخرى، فقد تخضبت وجنتا مروج

بخجل ممتزج بالحرص بعد أن التقطت هتاف العم

صلاح العابث، فشعرت بالحرص يكاد يبتلعها، لتهتف

بارتباك تحاول إضفاء الجدية بنبرتها لكنها فشلت :

- ماذا قلت؟؟، هل لديك فرصة فعلا؟؟؟

عاد إياد إلى جديته محذرا العم صلاح الذي أوما له

بطاعة، ثم هتف بعملية :

-نعم، لدي فرصة عمل، نحن نحتاج إلى معلمات

للروضة هناك عجز كبير، فلم لا تأتي لتعملي

بالمدرسة !

عض العم صلاح شفثيه وهمس بصوت سمعه إياد

فقط :

-المدرسة يا مستر أيدو يا خبيث، الأمر يزداد

خطورة على فكرة وهذه المدرسة شريفة !

زجرة إياد بقوة وهو يتحكم بابتسامته بشق

الأنفس، فحرك العم صلاح حاجبه مغيظاً إياه، ليعود

إياد إلى مروج التي هتفت بارتباك واضح وصله

عبر نبرتها :

-أعمل بالمدرسة عندك ؟، لا أعتقد أن الفكرة جيدة

بالنسبة لنا و...

قاطعها إياد بوجهٍ متصلب بعد أن شعر بأنها تشير

إلى مشاعره، فشعر بعقله يصرخ محتجاً :

-سبق وقلت لك أبعدي مشاعري ولا تهتمي بها

كثيراً، فأرجوك لا تشعريني أنني حملاً ثقيلاً على

كتفيك فأنا بالرغم مما حدث أجبرت نفسي على

النسيان، فلمَ تصرين أن تضعيني في خانة الرجل
الذي لا يفكر سوى بما يريده، أنا أردت أن أعرض
عليك مساعدة..

شعرت مروج بالدماء تُسحب من وجهها حتى
شحب، وبشيء بداخلها يخبرها أن تتعامل بروح
صافية، لا أن تتعامل بطبعها القديم...فهو صريح
صراحة فجة إلا أنه محق، فأول ما تطرق عقلها له
نفس النقطة..

بينما صمت إياد على الجهة الأخرى يضغط على
أسنانه بقوة منتظراً ردها..
فقط من تمكن من الهمس بامتعاض من رد إياد هو

العم صلاح :

-هل هذا اسلوب تعلق به "فتاة" يا ابن الحاج

صابر، هل أنت بغل أم جلف؟؟



سمعه إياد، فأدار رأسه بسرعة وبرقت عيناه
محذراً للمرة التي لا يعرف عددها، فبسط كفيه على
صدر إياد وهمس بدلع مصطنع :

-لا تنظر إليّ هكذا مستر أيدو أنا أذوب بسرعة بالله
عليك لا تعلقني بحبائك الخائنة يا خائن !

سمعته مروج التي كانت تكاد تموت من فرط الحرج
والقلق مما قاله، فلم تستطع أن تكتم ابتسامتها

التي انتقلت إليه عبر الهاتف ليسقط قلب إياد أثيراً
إلى هذه الضحكة الرائقة، فابتسمت عيناه والتوت

شفتاه رغماً عنه، بينما لم تستطع مروج منع

نفسها من الهتاف :

-من هذا السكر!

انمحت الابتسامة من على شفتيه، وهتف بجمود :

-إنه العم صلاح!



اتسعت ابتسامة العم صلاح العابثة، وهندم ملايسه

البيسطة قائلاً بمرح :

-أخبرها أنني سنجل يا مستر أيدو لو سمحت!!

ابتسم إياد له ابتسامة فاترة، ومن ثم هتف محدثاً

مروج بنبرة جادة :

-سأنتظر ردك، وأن رفضتِ سأساعدك على إيجاد

فرصة عمل أخرى، الأمر يعود إليك...

ازدردت مروج ريقها على الجهة الأخرى، وهتفت

بتهديب :

-سأخذ أذن أمجد أولاً، وبعدها سأفكر بعرض

سيادتك، شكراً لك جداً..

غمغم إياد بكلمات مبهمة، ثم أغلق الهاتف وشرد

بعيداً..

حيث قلبه النابض بعشقٍ سرطاني!.

وعقله الرافض...



وهو بين هذا وذاك محتاراً..

يتخذ أي طريق ؟

القلب؟؟

لا يظن أنه الاختيار الأمثل..

العقل؟؟؟

لا يظن أيضاً أنه الاختيار الأمثل!!!

هو من أوقع نفسه بتلك الهوة السحيقة حتى بات لا

يقوى على الفرار !

وهناك بزواوية مظلمة جرح ينزف بغزارة يريد من

يرعاه فماذا يفعل !؟

قطع شروده هتاف العم صالح بعد أن استشعر حزن

إياد، فهتف مناكفاً :

-لا تكن قفل يا ولدي مع الجنس الناعم!

ابتسم إياد ابتسامة باهتة، ثم هتف بشرود :



-أنا أبحث عن من معها مفتاح القفل يا عم صلاح،

فهل يوجد أمل؟؟

نفس السؤال وجدت مروج نفسها تردده بحياء؟؟

فلم تجد الإجابة معنفة نفسها...

أما هو فسيظل الأمل بعيداً بعيداً جداً!!

والعم صلاح أيضاً كان يبحث عن إجابة لكنه لم يكن

يعرف أبعاد المشكلة، فصمت ممتنعاً عن الرد!!

=====

نظرت صبا إلى نفسها بوجنتين مشتعلتين..

لا تصدق أنها ارتدت هذا الفستان الغريب..

كان الفستان باللون السماوي الدافئ يلتف حول

قدها الصغير بطريقةٍ مثيرة، بالكاد يتعدى ركبتيها

فظهرت ساقاها البيضاء مرتدية في إحدى

ساقها خلال صغير كلما تحركت يصدر صوتاً

جميلاً..

أما شعرها فقد تركته حراً مصففة إياه ببساطة..

وشفتاها كانتا مطليتان بأحمر شفاه قانٍ..

فبدت كعروس حقيقة وهي تنظر إلى نفسها في

المرآة مغممة بذهول :

-لقد كنا نتشاجر في الصباح كيف سأواجهه وأنا

بهذا الشكل !؟

هزت ساقها بتوترٍ شديد وهي تميل بجسدها تارة

وتنظر إلى طول شعرها في المرآة شاعرة بالقلق

ينتابها من رد فعل مروان..

أما بالخارج فقد كانت أم مروان واقفة على باب

الغرفة منتظرة أن تخرج صبا إليها شاعرة

بالحماس يزداد بداخلها، وحين طال غيابها

بالداخل، طرقت الباب وهتفت بحنقٍ طفولي :

-اخرجي يا بنت، أريد أن أراك بالفستان !



انتفضت صبا بالداخل مجفلة فقد كانت شاردة
بصورتها في المرآة، فازدردت ريقها بتوتر شديد
شاعرة بالهواء ينسحب من حولها...
ومن ثم سحبت نفساً عميقاً مشجعة نفسها كي
تتخطى القلق والخوف اللذين كانا يجثمان على
صدرها...

واقتربت من باب الغرفة تحاول التحرك بخطوات
ثابتة واثقة يرافقها صوت الخلخال الذي كان يلتف
حول ساقها برقة..

فتحت باب الغرفة ببطءٍ، فاعتدلت أم مروان في
وقفها مستندة إلى أم إبراهيم التي ما أن وقعت
عيناها على صبا حتى اتسعتا مبهوتة..

فقد بدت صبا رقيقة جداً، جميلة جداً..
الكحل بعينيها زاد لون عينيها العسليتين جمالاً..
فنظرت أم مروان لها بإعجابٍ، ثم هتفت :



-دوري حول نفسك يا صبا أريد أن أرى الفستان
بأكمله...

أومأت صبا برأسها مضطربة، ثم نفذت ما طلبته
منها..

تدور حول نفسها فيطير الفستان حولها، ويصدر
خلخالها صوتاً رائعاً..

فاتسعت ابتسامة أم مروان وهتفت بإعجاب حقيقي

:

-أنتِ جميلة جداً يا بنت، بالتأكيد لم يصمد مروان
أمامك..

أحمر وجه صبا بشدة بعدما فهمت ما تشير إليه أم

مروان، فقهقه عقلها ساخراً بعبارة وقحة

"لا تقلقي يا خالة، لم يتعد الأمر عدة قبلات

رائعة"

وبالتأكيد لن تقول هذا...

فاكتفت بالصمت وهي تطرق برأسها منتظرة أن

تبادر أم مروان بأخبارها بما ستفعله..

وبالفعل انفرجت شفتا أم مروان وهي تتبادل مع أم

إبراهيم ابتسامات خبيثة، وهتفت :

-سليم أخذ مليكة ليقوما بجولة وسيقضيا ليلتهما

بفندقٍ قريبٍ من هنا، لذا فقد غيرنا الخطة تماما

أريد منك أن تتحركين بالشقة بأكملها حين يأتي

مروان، لا تتحدثي معه تماما تجنيبه، ولو امرك

بأن تأتي معه إلى الشقة ارفضى وأخبريه أنك

تريدين المبيت هنا...

ازدردت صبا ريقها بقلق، ثم لم تلبث أن أومأت

برأسها، فاتسعت ابتساماة أم مروان وهتفت

بحماسٍ :

-أريده أن يحترق بنارك ولا يطولك يا صبا، أنتما

الاثنتان تحتاجون إلى اختبار مشاعركما...



وقبل أن تجيبها صبا كان صوت وقوع أقدام
بالخارج صادمًا لها، فأسرعت أم مروان وهي
تعطيها طرحة صغيرة تخفي بها شعرها، ثم هتفت
بسرعة وهي تجلس على أقرب كرسي :
-أذهبي إلى الشرفة وقومي بجمع الملابس
بسرعة...
أخفت صبا شعرها وذراعيها بالطرحة بسرعة
وركضت نحو الشرفة قبل أن يفتح مروان باب
الشقة..

بينما أغلقت أم إبراهيم باب غرفة مروان التي كانت
تحتلها صبا وذهبت إلى المطبخ مسرعة تاركة أم
مروان وحدها..

وبعد دقيقة كان مروان يفتح باب الشقة بوجهٍ واجم
وأغلق الباب خلفه..

ومن ثم نظر إلى امه التي كانت ملامحها هادئة
بشكلٍ زاد قلقه الذي يخفيه بمهارة يحسد عليها،
فهتف بنبرة جامدة :

-أين صبا ؟

ابتسمت أم مروان له ابتسامة هادئة، ثم هتفت
بمراوغة :

-لا تقلق لم تخرج، ماذا تريد منها؟؟؟

زفر مروان بقلة صبر وهو يلقي بميدالية مفاتيحه
على الطاولة المجاورة إلى الباب، ثم أرتفع صوته
منادياً على صبا التي كانت تجمع الغسيل بسرعة
وأصابع مرتعشة وحين أرتفع صوت مروان
اضطربت وسقطت عباءة أم مروان من الشرفة إلى
الشارع، فضربت وجنتها بكفها، واعتدلت بسرعة
وركضت نحو الباب تريد الخروج متناسية تماماً
بأن فستانها قصيراً..



وحين ظهرت أمام مروان الواجم، شعر مروان
بقلبه يسقط بقدميه...

وعيناه تبتسمان إعجاباً بتلك الحورية التي ظهرت
فجأة..

فاغراً شفتاه بشكلٍ مثير للشفقة..

فقد كانت، جميلة حد احتباس الأنفاس..

شفتاها تدعوه ليقبلهما..

خلخالها وقع أثيراً له..

لكن كل هذه المشاعر انمحت في ثوانٍ حين وجدها

تركض نحو باب الشقة لتقوم بفتحه، فجن جنونه

وصرخ بها بعدما لاحظ طول الفستان :

-إلى أين تظنين نفسك ذاهبة يا صبا بهذا

الفستان...تباً..

ثم أغلق باب الشقة بكفه بقوة، فانتفضت صبا

وأحمر وجهها بعدما تذكرت ما ترتديه، فازدردت



ريقها بارتباك وهمست بصوتٍ مرتعشٍ موجهه
حديثها إلى أم مروان التي كانت تراقب الموقف
بتسلية :

-لقد وقعت العباءة من الشرفة يا خالة...-

اتسعت ابتسامه أم مروان بلا هدف، حتى أن صبا
شعرت بابتسامتها تستفزها، فزمت شفيتها بحنقٍ
متحاشية النظر إلى مروان الذي كان ينظر إليها
بعينين تبرقان، يدقق بكل تفصيله بها، مبتلعاً ريقه
بصعوبة، ثم لم يلبث أن صرخ بها غاضباً بعد
جملتها الأخيرة :

-الله الله يا سيدة صبا، كيف تفعلين هذا؟؟-

شعرت صبا باللعبه تروق لها، فهتفت ببراءة إلى أم
مروان متخطية ألمها، حزنها وجرحها النازف :
-وقعت مني يا خالة ماذا أفعل أنا ؟؟؟، لم أكن

أقصد!

زمر مروان بعصبية بعد أن أدرك بأنها لا تحدثه،
فهدر بعنفٍ ساخر :

-أنتِ تفهمين قصدي، كيف تقفين بالشرفة بهذا
الفيستان ال...
لم يتابع وصفه كلامه مسموعاً، بل تابعه محسوساً
بداخله وهو يجردّها من فيستانها ال..رائع جداً..
فشعر بأعصابه على وشك الانفلات.

زفر بعنفٍ وتابع بنبرة قوية جاذباً إياها من مرفقها
كي تواجهه :

-أنا أحدثك يا صبا، فردي عليّ بعد أذن سيادتك..
رفعت صبا رأسها إليه بعينين حزينتين، فانخفضت
عيناه إلى وجنتها المسكينة التي قام بصفعها..
شعر بغصة مسننة تحتل حلقه وبألم قوي يعتصر
قلبه...

هتفت صبا بنبرة هادئة وهي تسحب مرفقها من

قبضة يديه وابتعدت :

- سأذهب إلى غرفتي كي أنعم بقليلٍ من الراحة يا

خالة....

أوما مروان برأسه مستحسناً وهو يقول :

- جيد، أردي عباءة فوق هذا الفستان وهيا لنذهب

إلى شقتنا!

اتسعت ابتسامة أم مروان وهي ترمق صبا بنظرة

ذات مغزى، فأومأت الأخيرة بخفة، ثم وقفت مكانها

معطية ظهرها له وهي تهتف ببراءة :

- لا أنا سأظل هنا مع خالتي، أذهب أنت !!

اتسعت عينا مروان بشدة، وارتفع حاجبه ليهتف

معتراضاً :

- ماذاااااا؟؟؟، والله لن يحدث ستأتين معي الآن يا

صبا !



نظرت صبا إلى أم مروان مستجدة، فانقلبت ملامح
أم مروان إلى الجدية وهي تقول بصرامة وبلكنتها
المحبة :

-أرحل من هنا يا ولد، ألم تضربها أمامي، أعتبرني
أمها وأخذتها لتجلس عندي بعد أن تشاجرت مع
زوجها، هيا أرحل يا ولد من هنا لن تذهب معك!
دمعت عينا صبا بتأثير حقيقي وهي تنظر إلى أم
مروان التي كانت تتحدث بجدية شديدة، فشعرت
صبا بأنها تود أن تحضنها...

شاكرة إياها على كلماتها حتى لو كانت كاذبة...
يكفيها أنها داعبت النقص بداخلها...

أما مروان فقد ضم شفته بقوة غير راضٍ أبدا عما
يحدث..

وفجأة، صدح صوت أغنية من المذياع...



لا تناسب الوضع من الأساس إلا أنه ابتسم رغماً
عنه وهو يراقبها وهي تهز رأسها متفاعلة بخفة..
حتى أم مروان لم تلحظها، هو فقط من لاحظ بقلبه
قبل عينيه..

"بتعدي في حته أنا قلبي بيتكسر مية حته
افضل في مكاني إن شاء الله لسته الصبح بفكر فيك
تقابلني في سكة قصادي تفوت ببقى أنا على تكة
ومش مطبوط حد يقولي اعمل ايه يحكمني عليه"

لاحظت أم مروان نظرات ابنها إلى صبا نظرة
فهمتها جيداً، وقد شعرت بأن هذه الأغنية ستساعد
على أشعال الجو بشكل أقوى، فانفرجت شفتاها
لتقول إلى صبا التي كانت واقفة مطرقة برأسها
أرضاً..



تشعر بكم الألم الذي يحيط بها، فأى امرأة مكانها لم

تكن لتقوى على الوقوف من الأساس :

- اذهبي إلى المطبخ يا صبا لتجلبى ليّ الشاي..

ازدردت صبا ريقها بصعوبة، وهي تحاول ألا تبكي

فالمشاهد تتوالى عليها مشهد وراء الآخر، وما

يهون عليها الآن هو دعم أم مروان لها...

تحركت صبا نحو المطبخ وصوت خلخالها يرفها

كعروس...

فتعلقت نظرات مروان بجسدها وهي تمارس فنون

الغنج دون أن تشعر...

بينما الأغنية تزيد الجو اشتعالاً وهو يجلس على

المقعد بجوار أمه..

متأملًا مشيتها !

"ليه يا حبيبي من يوم ما قابلتك



و انت في كوم والدنيا في كوم
ليه عمري اللي فات والماضي قابلك
كان فاضي وملهوش ولا أي لزوم
عملتلي إيه يوصلني لي اللي أنا فيه
الله الله يجزيك"

شعر مروان بغيظه يتفاقم بداخله أكثر بسبب كلمات
الأغنية ومشيتها المستفزة وهي تتهدى نحوهما
ممسكة بكوب الشاي بحرص..
يود لو يأخذها بين أحضانه فيخفيها عن كل
الأعين..

يود لو يترجاها أن تترفق به وبقلبه..
يود لو يخبرها أنها جميلة جدا...



زفر مروان نفساً مكتوماً، ثم استدار بسرعة
ليضغط على زر إيقاف المذياع هامساً بغیظ من بين
اسنانه "أصمت أنت ولا تزيد الجو اشتعالاً، تبا"
سمعتة أمه فلم تتمكن من كتك ضحكة انفلتت من
بين شفثيها، فامتقع وجه مروان وزم شفثيه بغضب
طفولي مختلساً النظر إلى ساقبيها الظاهرتين من
الفستان، فهمس بصوتٍ أعلى :

-تبا لهذا !

تخضبت وجنتا صبا بخجلٍ وهي تلعن نفسها
بداخلها، ثم صارت تحرك ساقها بارتباك في
محاولة بائسة لإخفاء ساقبيها، لكنها زادت
الأمرزسوءاً فقد تحرك الخلل مصدرأً صوته مما
جعله ينتفض صائحاً بصوتٍ أفرع صبا :

-هذا يكفي، أنا جائع !

فغرت صبا شفثيها الحمرأوين، ثم هتفت بعدم فهم :

-ماذا؟؟؟؟-

أما أمه فقد أحمر وجهها خجلاً من جملة مروان
البريئة..

اقترب مراون من صبا وهو يضغط على أسنانه
مغتاظاً، ثم مال ليهمس في أذنها بانفاس ساخنة :
-أغلقي فمك وتعالى معى إلى شقتنا وإلا سأقبلك

أمام أمى، وأنا أتحدث بجدية الآن!

شهقت صبا بخجل وهى تخفى وجهها بكفيها، فقلب
مروان شفثيه بحنق، ثم دلف إلى غرفته وهو
يغمغم بسخرية :

- كان غيرك أشطر يا بطة، ستأتين معى ولا مفر
للهرب...

أختفى داخل غرفته إلى دقائق، فنظرت صبا إلى أم
مروان تطلب منها المساعدة وقد بدأت تشعر بالقلق
بالفعل فهى تخشى رد فعل مروان حتى هاته



اللحظة، فأشارت لها أم مروان كي تقترب، فاقتربت
منها صبا وأعطتها أذنها لتبدأ أم مروان في أخبرها
بما ستفعله، فأومأت صبا بفهمٍ اعتدلت في وقفها
بسرعة حين خرج مروان ممسكاً بيده عباءتها
التي كانت ترتديها حين أتت، فنظرت إليه
باستفسار، لتشهق بفرع حين جذبها من مرفقها،
ثم لم يلبث أن أعطاها العباءة بيديها وهتف :
-ارتي هذه وأخفي شعرك أما طلاء شفتيك فلي
تصرف آخر معه !

حسناً أنه ينوي قتلها من فرط الخجل، أن ملاحظاته
تزداد وقاحة بالرغم من وجود أمه التي نظرت إلى
أبنها مصدومة !
أرتدت صبا العباءة فوق الفستان، ثم أخفت شعرها
وتحركت قبله..



فلحق مروان بها وهو يضغط على أسنانه محاولاً
التحكم باعصابه...

وفي خلال دقائق كانت صبا بداخل شقتها تهزول
نحو المطبخ، فلحق مروان بها بسرعة وهو يغلق
باب الشقة بقدمه، ومن ثم قبض على مرفقها مديراً
جسدها له وقبل أن تتدرك ما يحدث، هبط بوجهه
ساحقاً شفثيها بشفثيه فهمت صبا معترضة وهي
تضرب صدره، لكنه لم يأبه بها، بل لف ذراعه
حول خصرها وأبعد حجابها بأصابع مرتبكة...
رغماً عنها، سكنت تاركة إياه يثار من شفثيها،
قبلته كانت عنيفة وكأنه يعاقبها...

يخبرها بأنه غاضب وبشدة..

أبتعد مروان عنها ببطءٍ وهو ينظر إلى عينيها
بعينين متوهجتين..

تحيط بهما موجة من المشاعر المتقلبة..

وقلبهما يضرب كلُّ منهما صدر صاحبة بشدة حتى
كاد يخرق عظامهما فاضحاً كم المشاعر التي
تحيط بهما..

وكان أول من قطع هذا الصمت المخيف هو
مروان، حين اقترب منها ضامماً خصرها نحوه
أكثر، فارتفع وجيب دقتها أكثر وترقبت عيناها،
لتجده يقبل وجنتها التي قام بصفعها فيما بدا
كاعتذار، انتقل إلى شفثيه ليقول هامساً بصوتٍ
أجش :

-أنا آسف لم أكن أقصد أن أضربك، لقد كنت خائفاً
عليك جداً!

رمشت صبا بعينيها لا تقوى على الرد، تشعر
برغبة شديدة في البكاء...
تريد أن تلقي كل حزنها على صدره..

كل خوفها..

تريد أن تربت على جروحه ويربت هو على

جروحها !

حين لاحظ مروان امتقاع وجهها وأرتعاش جسدها،

تأوه نادماً ثم مال مرة أخرى ليقبل وجنتها قبلة

أقوى، هامساً بحرارة :

-أسف!

وكأنه أعطى لها الأمر بأن تبكي، فانفجرت في

البكاء وهي تهجم على عنقه تتعلق به بذراعيها،

فضمها مروان إلى صدره حاملاً إياها من خصرها

فارتفعت قدماها عن الأرض...

أغمض مروان عينيه متألماً وهو يربت على

ظهرها هاتفاً بتحشرج :

-لا بأس، ابكي حبيبتى ابكي !



أرتفع صوت بكائها أكثر وهي تتشبث بعنقه ملقبة
كل ما تشعر به، تريد أن تبقى هكذا حتى تحترق
النجوم..

وتخمد الروح مغادرة الحياة..

لقد وقعت، وقعت بفخ يطلق عليه فخ الحب!
فما هو تفسير ما تشعر به وما تقوم بفعله!!
الألم يتفاقم بداخلها وهي تشعر به يربت على
جروحها بحنان سلب قلبها...

هو من يحتاج أن تربت على كرامته النازفة معذرة
لا هو..

دائما هو الطرف الأفضل بهذه العلاقة!
هو الطرف الأجل والأروع وتبقى هي الأضعف!
هتفت صبا من وسط بكائها مغمضة عينيها بشدة :
-أسفة...-

قالتها بصوتٍ مرتعش وهي تدفن وجهها بين عنقه
وكتفه...

فربت مروان على ظهرها داعماً، وشدت ذراعيه
حولها وهو يهمس بتحسرج :

-حسناً، لقد تأسفنا وسامحنا بعضنا، هلا بقيتِ معي

اليوم ؟؟؟؟

توقفت صبا عن البكاء وهي تفكر في الرد، لكنها
شعرت بالتوتر يسيطر عليها، فزمت شفيتها بقوة
تفكر بذهنٍ مشوه، وقبل أن تقرر كان قد تعالى
صوت رنين هاتف مروان تزامن مع صوت رنين
هاتفها، في نفس الوقت ونفس اللحظة..

فشعرت صبا بالخوف يمتلكها، هناك شيء سيء

سيحدث...

وقد صدق حدسها!!!

=====



الفصل الخامس والعشرون..





- كما قولتُ لك يا أمجد، أنا أريد أن أعمل !
قالتها مروج بهدوء وهي تنظر إلى أمجد الواقف
أمامها متوجساً من طلبها، فهتف بعدم فهم :
- أي عملٍ هذا يا مروج وأنتِ طالبة جامعية ؟،
ولماذا تبحثين عن عمل أصلاً؟!
اهتزت حدقتا مروج بوضوح وهي تزدرد ريقها
بتوتر، ثم هتفت بارتباك وهي تشيح بعينيها عن
عيني أمجد الثاقبتين :
- هناك فرصة عمل بمدرسة كمعلمة!
التوت شفتا أمجد بابتسامة غريبة، ثم هتف
بغموضٍ وهو ينظر إلى مروج نظرة ذات مغزى :
- ومن صاحب هذا العرض الرائع؟؟



ازداد ارتباك مروج أضعافاً، وهي تفرك أصابعها
بقوة، تشعر بالقلق من رد فعل أمجد الذي يتجنبها
منذ عاد إلى المنزل!

هناك شيء غريب، أمجد تغير..

به شيء غير طبيعي وهي تعلم، ربما صمته
الغريب أو ملامحه المتعبة بثت بها القلق عليه!
وربما حدث شيء أخافه وهو لا يريد التفوه به،
وهذا هو أمجد يكتم مشاعره مرغماً كي يهتم بهم،
يضغط على جروحه بقوة كي يتابع حياته دون أن

يسمح لنفسه بالانهيار!

وما تخشاه أن يأتي يوماً ينهار فيه أمجد متخلياً

عن تماسكه، عن تسامحه..

سامحاً لجروحه بالصراخ!

أرهقه الظلم طفلاً، وصفعته الحياة مراهقاً، وذبحه

الغدر شاباً بسكينه التلم!



انفجرت شفتا مروج، وهي تبتسم بارتباك :
-مستر إياد صابر، عرض عليّ العمل بمدرسته
كمدرسة للأطفال لأن هناك عجز عندهم !
أعجبتة صراحتها وأدهشته !!
أدهشته لأن مروج "المتمردة" لم تكن لتعترف بأن
إياد هو من عرض عليها !
ربما لأنها تخاف وتتخذ من التمرد ساتر يحميها
ويخفي خوفها!
لكن ما يشعر به منذ عاد إلى هنا أن مروج تتوهج
!

لا يعرف السبب حقاً، لكن الألم بعينيها لم يعد
صارخاً، وجهها بدأ يعرف الابتسامة، وروحها
بدأت تعرف التهذيب وأحترام رغبته !
وهذا ما لاحظته أمجد وأثار توجسه!



سحب أمجد كرسيًا بكفه دون أن يحيد عينيه عن
عيني مروج، ثم جلس عليه وأشار إلى الكرسي
الآخر، قائلاً بهدوء غريب :

-هاتِ الكرسي واجلسي أمامي، أريد أن أتحدث
معك قليلاً بما أنني سأنتظر آذان الفجر كي أصليه
ثم أذهب إلى الورشة!

أومأت مروج برأسها بسرعة، ثم سحبت الكرسي
وجلست أمامه، منتظرة رده، مترقبة لرد فعله
ورأيه هو خصوصاً..

وأمجد لم يكن بنيته أن يصمت كثيراً!
سيتحدث معها، لعله يقوى على فهم دواخلها الآن،
فابنته كبرت، ولم يعد يعرف بماذا تفكر، لذا فما
تفوه به الآن كان أقرب إلى تحقيقٍ صريح:



-ماذا يريد إياد صابر منك يا مروج، ولماذا عرض
عليك أنتِ بالذات هذا العرض وأنتِ طالبة
جامعية...وصغيرة بالسن يا ابنة الأميرية!
ضغط أمجد على جملته الأخيرة وهو ينظر إلى
عمق عينيها نظرة ثاقبة، ملامحه يعترىها هدوء
غريب..وكانه يسحب منها المعلومات دون أي
مجهودٍ يُذكر...

أما مروج فقد كانت تشعر بالارتباك يجتاحها وهي
تفرك أصابعها بتوتر، وتهز ساقتها بعصبية كطفلة
تخشى الاعتراف لوالدها بخطيئة قامت بفعلها...
تفكر!

هل الكذب هو السبيل الوحيد لتنتزع نفسها من
اتهام أمجد الصريح، ونظراته الثاقبة التي تضم بين
حناياها عتاباً وضحاً!



ربما..ربما يا مروج لو كذبتِ آخر كذبه لن يحدث
أي ضرر...

لكن ضميرها العائد من رحلة طالت جداً، صرخ بها
مغفأً..

يتوالى على عقلها بالصفعات ليصمت!
يردع غباءه ويحاول تطهيره من سموم مؤذية..
فوقفت مروج كالمسولة، لا تدري أي الطريقين
تسلك !

وكانت الأحقية لضميرها الذي أنتفض مستيقظاً يوم
عنفها إياد عما تفعله بنفسها...

اختارت ضميرها، أو بمعنى أصح اختارت إياد!
كفة إياد رجحت، وكفة العقل كانت خفيفة، لم تتحمل
عاصفة الألم وحرب الجروح...

ولم يكن أمجد بالغافل عن تقلبات مروج الواضحة،
واهتزاز حدقتها من حينٍ إلى آخر!

يمارس كل فنون الصبر منتظراً ردها، وحين هتفت
 مروج بصدقٍ تحفرت خلياها وأصغت أذناه بتركيزٍ :
 -صدقني يا أمجد، أنا أحتاج إلى هذه الوظيفة، أو
 أي وظيفة أخرى، إياد لا يريد مني أي شيءٍ يا
 "أبي"، وأنت تعلم أنني لا أقول لك هذا اللقب إلا
 وأنا متذبذبة، تلقيني الحياة هنا وهناك كورقةٍ
 سقطت من شجرة في جوٍ قاسٍ، بل أنا من كنت
 أريد منه، أريد أن أنتقم من مالك به هو، أنا من
 جرحته يا أبي دون أي حرجٍ، كنت أظن أن مشاعر
 إياد نحوي ستساعدني كثيراً لأنتقم من مالك
 واطعنه بظهره، لكنني لم أدرك سوى مؤخراً أنني
 طعنت إياد وليس مالك أبداً، كنت متهورة نعم،
 حقيرة وليس لدي أي مبادئٍ نعم، لكنني كنت
 متخبطة، بين غدر مالك قديماً، وما فعله حديثاً،
 اعتذرت من إياد عما فعلته، وقبل اعتذاري بكلٍ

تهذيب، يخبرني بأنه موجود بجواري دائماً، وحين
أخبرته بأنني أبحث عن عمل، عرض عليّ العمل
بمدرسته...

كانت تتحدث بعينين دامعتين وهي تعض على
شفتيها المرتجفتين من حينٍ إلى آخر، بينما أمجد
كان يسمع اعترافاتها مبتسماً ابتسامة زهو!
أنها تعترف بما فعلته، دون ضغط، دون صراخ،
دون خصام!

تعترف وتقر بخطاؤها، خلعت عنها ثوب الغرور
والتمرد، وتركت نفسها بثوبها الأصلي، طفلة
المطبعة، والجميلة والرقيقة!
سعيد هو بهذا التغيير الطارئ عليها، سعيد هو
لندمها واعترافها بأنها أخطأت!

لكنه لن ينكر أن عرض إياد سيقابله بالرفض، لأنه
يخشى على إياد قبل أن يخشى عليها من نفسها!،



ويخاف أن تتأثر مروج بمشاعر إياد وهي في حالة
إنكسار و احتياج عاطفي، وهو ليس بالغبي ليعرف
هذا...

أعتدل أمجد في جلسته، فنظرت مروج إليه
مترجية، خائفة مما سيقوله أمجد..

خائفة وقلقة، تشعر بأن صمت أمجد غريب، وحين
قرر أمجد كسر الصمت المحيط بهما، اهتزت حدقتا
مروج خوفاً وقلقاً :

-جميل كلامك يا مروج، وسعيد باعترافك هذا، لكن
أريد أن أخبرك بشيء، ما فعلته لا يدل سوى على
أنني لم أعرف أربك جيداً، لم أعرز بك قيم الصدق
وعدم التلاعب بقلوب البشر، لم يفعل لك إياد أي
شيء لتتلاعب بي به وبمشاعره، ربما لو كنتِ صديقة
مع نفسك بأن مالك لا يليق بك من الأساس منذ

البداية، لم يكن هذا حالك، ولم يكن التلاعب بإياد
هو السبيل الوحيد للشفاء...

صمت أمجد لبرهة يراقب امتقاع وجهها وارتعاش
شفتاها، ومن ثم اتسعت عيناه مبهوتاً حين انفجرت
مروج في بكاء عنيف أربك أمجد الذي كان يشعر
بأن مروج تشبه جود في خداعها، لكن مروج
أقل...

أما مروج فنار الندم والألم كانت تتهشها، تحرقها
حرقاً، فأتى أمجد ليقول ما قاله، ليزداد سعي
حريقها، وتشعر بألم مبرح يعصف بصدرها!
أنها نادمة وبشدة، تشعر بأنها حقيرة وفتاة لعوب
إلى أبعد حد!

ماذا لو لم يكن مالك موجوداً بحفل الزفاف؟؟
هل كانت ستستمر بلعبتها المبتذلة؟؟؟
والجواب كان نعم!

وهذا ما زاد من بكائها أكثر وهي تدفن وجهها بين

كفيها، ليميل أمجد نحوها ويجذبها من مرفقها

هامساً بتحشرج وقد تغلبت عليه عاطفته :

-تعالى وابكى بين ذراعى يا بنت !

ألقت مروج رأسها على صدره محتضنة خصره

بذراعيها بقوة، تبكى وتبكي تاركة العنان لقلبها

المتألم قبل عينيها، صوت بكاءها كان عالياً،

وارتعاش جسدها بين ذراعى أمجد كان هستيرياً،

حتى أن أمجد شعر بالشفقة عليها، فضم رأسها

بقوة، ثم همس مربتاً على ظهرها بحنانٍ أبوي :

-كفى حبيبتى، لا تبكى أرجوك لا تبكى...-

ازدردت مروج ريقها مبتلعة غصتها، ثم هتفت من

وسط شهقاتها بترج :



-أرجوك وافق يا أمجد، أرجوك لا تخف أقسم بالله
أنا نيتي هي العمل فقط، أرجوك يا أمجد، أرجوك يا
أبي!

صوتها المنكسر طعنه بقوة، صوتها نفذ إلى قلبه
مترجياً إياه ليوافق، هو يشعر بالراحة تجاه إياد
وهذا الشعور لا يكتنفه كثيراً، والغريب أن عقله
نفسه لا يرى في الأمر ما يجبره على الرفض!

لماذا لا يوافق ???

ربما وجدت مروج نفسها التائهة، تشبثها بالعمل
هناك غريب نوعاً..

ولا ينكر أنه يشعر بالقلق..

لكن شيء بداخله يهمس له بأن يوافق ويراقبها
دون أن تعلم..

سيقابل إياد نفسه ليري هل مشاعر إياد هي

المسيطرة أم لا..



سيوافق، لعلها تعود إلى رشدها..

وأن فعلت ما يغضبه، سيكون عقابها قاسياً!
أما مروج فالتربق والخوف كان كل منهما الآخر
يوخزها بقوة!

التربق وحده كان أشد ألماً، تنتظر رده، مترجية

ربها أن يوافق!

أبعدها أمجد عنه، ثم هتف بنبرة صرامة، ضاغطاً
على كل حرف:

-موافق يا مروج، ولكن أحذري أنك تحت عيناى،
أن فعلت ما يؤلمك ويؤذي غيرك سيكون رد فعلي
غير مرضٍ أبداً...أبداً يا مروج!

لم يغفل أمجد عن البريق الذي تألق بعيني مروج،
كما أنه لم يغفل عن ابتسامتها المرتجفة التي
انغرست على شفثيها حتى أنه ابتسم بالتبعية...

شاعراً بالراحة تتسلل إليه عنوة!



فربت على وجنتها برفقٍ، وهتف بتساؤل :

-هل ستذهبن اليوم إليه ???

زاغت عينا مروج بحيرة، ثم هزت رأسها قائلة :

-لا أعرف، ربما ذهابي اليوم سيكون لأجل مقابلة

عمل عادية، من المحتمل أن يحتاجوا بعض

الأوراق !

أنقلبت ملامح أمجد بشكلٍ ملحوظ، وتجمدت عيناه

وهو يقول بصوتٍ صلبٍ محذراً:

-احذري يا مروج، نحن نستخدم أوراقنا بحذر شديد

كي لا يصل سالم لنا!

اهتزت حدقتا مروج بوضوح، وارتعشت أناملها

وهي تقول برهبة حقيقية :

-هل من الممكن أن يصل لنا فعلاً يا أمجد؟

الجمود على وجهه لم يزل، وبريق عيناه كان

غريباً، والنبرة التي تحدث بها محذراً كانت قلقة :



-بالتأكيد سالم لا يحب أن يخرج أحدهم عن طوعه
وأنا فعلت، وليتني استطعت أن آخذ سليم معي...
لون الألم ملامح أمجد حين أتى بذكر سليم، وشعر
بغصة مسننة تحتل حلقه فابتلع ريقه بصعوبة وهو
يطرق برأسه أرضاً، وحين لاحظت مروج الحزن
الجارف بعينيه، ابتسمت بشجن، وهتفت :

-لا أعرف شكله ولا أتذكره من الأساس، لكن
بالتأكيد هو يشبهك إلى حد كبير!!، أليس كذلك؟؟؟
التوت شفتا أمجد بابتسامة متألمة، وتألمت عيناه
وهو يقول بنبرة مرتجفة وهو يشرد بعينيه بعيداً :

-بالتأكيد يشبهني أنه توأمي يا مروج، سليم هو
توأم القلب والروح والجسد، بدأت حياتنا معاً
وكبرنا ونحن نحمل نفس الملامح مع اختلاف
واضح فيها، لم نكن مثل ذاك النوع الذي يكون فيه
التوأمين متطابقين، ملامحه تحمل شيء من



خشونة رجل صلب، وعينين شتويتين كانت تمنحه
جمالاً أسراً، أتصورين أنه كان يقول أنه يغار مني
لأنني أملك طابع حسن وهو لا !، وكي يعبر عن
غيرته كان يقول لي أنني أشبه الفتيات !
صدرت منه ضحكة متحشجة متأثرة وقد دمعت
عيناه، يشعر بتيار الحنين يجرفه، حرب الذكريات
المستعرة لا ترحمه..

تضفي الحامض على جرحه الملتهب، فزادت مروج
من ضغطها على جرحه أكثر لتقول بعينين دامعتين
:

-أحكي لي موقفاً لن تنساه أبداً!

اهتزت حدقتا أمجد بوضوح، وانتفض صندوق

الذكريات بعد طول خمود...

المواقف كثيرة، والذكريات ليست بالقليلة أبداً!



وكان أول ما طرأ على رأسه موقفاً لم ولن ينساه
أبداً

(-أمجد لا تزيد غيظي منك، من لقمك :

صرخ بها سليم بوجهه غاضباً، وجهه محتقن
وعيناه تلمعان بشر، فابتسم أمجد بهدوء وهتف
محاولاً امتصاص غضبه :

-اهدأ يا سليم، أنه شجار طبيعي و...-

قاطعته سليم هادراً بنبرة تخطت سنوات عمره

الصغير :

-من ضربك يا أمجد؟-

وقبل أن يجيبه أمجد كان قد هجم عليها مجموعة

من الشباب المراهقين يقفون أمامها مبتسمين

بسماجة، ومن ثم هتف أكبرهم ساخراً :

-أهلاً بكما يا أولاد الأميرية...-



رمقهم سليم بعينين مشتعلتين غاضباً، ووجهه
أحمر بشدة وهو يلاحظ القلق الذي اعترى ملامح
أمجد، فعلم أن هذا السمج هو من ضرب شقيقه،
ولم يكن يحتاج إلى اعتراف الشاب حين هتف
مبتسماً ابتساماً مقبلة :

-أعذر منك يا سليم، ضربت شقيقك لأن هدوءه
وتأدبه هذا يثير حنقي!

ازداد سعيير الغضب بعيني سليم، وأسودت ملامحه
الفتية وهو ينظر إلى أمجد بعينين غاضبتين، ومن
ثم ركض نحو الشاب بخفة، وفي لحظة خاطفة كان
سليم يلقي جسده كله عليه ليطحه أرضاً مزمجرأً
بغضبٍ أسود وهو يقبض على ياقة قميصه بكف،

والآخر قبض به على عنقه خانقا إياه بقوة حتى
جحظت عينا الشاب مستغيثاً...

ولم يشأ أياً من الواقفين من الشباب من نفس سنهم
التدخل، فكيف وهما أحفاد سالم الأمير، الاسم وحده
مرعب..

وحده من استطاع أن يسيطر على نفسه هو أمجد
مدرکاً أن توأمه فقد أعصابه، فأحتضن خصره من
الخلف محاولاً إبعاده عن الشاب صارخاً بترجٍ :
-اتركه يا سليم، أرجوك اتركه يا أخي، أنا أسامحه
!

هدر سليم بوجه الشاب متجاهلاً ترجي أمجد :
-هل تعرف ماذا فعلت ؟؟؟؟؟، ضربت أخي توأمي يا
(...)



أحمرت وجنتنا أمد بخجلٍ حين سب سليم الشاب
بلفظ خارج لا يعرف من أين أتى به، لكنه تحكم في
حنقه وشدد ذراعيه حول سليم يحاول إبعاده
صارخاً :

-ابتعد عنه يا سليم ستقتله !

صرخ به سليم بعنفٍ وهو يلکم الشاب بقوة لا
تتناسب مع سنة :

-اتركني، سأقتله ليتعلم أن شقيق سليم خط
أحمر...منطقة خطر...

صمت متابعاً سيل اللكمات العنيفة مزجراً بغضبٍ
وصراخ أمد يعلو ويعلو خائفاً على سليم بعدما
لاحظ تقدم الباقية مشهراً إحداهما مديته، فلم يكن
أمامه سوى أن يصرخ :



-سليم، سليم أنهم يمتلكون سلاحاً أبيضاً أبتعد عنه
قبل أن يطعنوك به!

وكان أمجد صرخ بشيء مخيف، جعل سليم ينتفض
بسرعة وهو ينظر إليهم متفحصاً وقد سحبه أمجد
بعيدا عن الشاب وطوق عنقه هادراً بغضب :

-لِمَ يا سليم؟، هل جننت...قلت لك أنا أسامحه !

لم يكن سليم منتبهاً إلى ثرثرة أمجد الغاضبة، فقد

كانت عيناه مثبتتان على ذاك الشاب الذي قام

بضربه وهو يقوم متعثراً، ومن ثم نظر إلى أحدهم

نظرة ذات مغزى محركاً شفثيه بشيء لم يفهمه

سليم لكنه شعر برائحة الغدر تفوح منهم..

وقد صدق حدسه حين أقرب منهما شاباً آخر

مخفياً كفيه خلف ظهره، فانتبهت حواس سليم

بشدة وعرف أنه يحمل مدية بالفعل، قبض سليم

على ذراع أمجد الذي انعقد حاجباه متوجساً، ثم لم



يلبث أن شهق متفاجئاً حين طوقه سليم بذراعيه

ودار بجسده صارخاً بالشاب بهياج :

-توقف، أي نقطة دم ستسقط مني سيكون الموت

بانتظاركم من سالم الأمير، تريدون قتل أخي يا

(...)

ارتبك الشاب الذي كان يحمل المدينة حين أنقلب

الوضع وأصبح سليم مكان أمجد حاضناً أمجد بقوة

يحميه...

تهديد سليم كان له تأثير بداخله، خوف...ربما..

تراجع الشاب خطوتين إلى الخلف مرتعباً..

ومن ثم ترك ساقيه إلى الريح راكضاً.

فنظر إلى الشاب الذي قام سليم بضربه وقال من

بين أسنانه بغيظ :



- غبي... هيا سنرحل..

رحلوا جميعهم وهم يسندون جسده الضئيل يكادوا
يركضون راكضاً...

أما سليم وأمجد، فقد كان الأخير مشدوهاً مما حدث

!!

لقد حماه بجسده كي لا يصاب!!

أبعده سليم عن أحضانه بسرعة، ثم هتف بغيظ

باطنه خوف شديد :

-لم أعرف سوى الآن أن وجودك معي يجعلني

كأمك أخاف عليك من الهواء يا مرهف الحس !

حينها ابتسم أمجد ابتسامة واسعة، ثم ربت على

وجنة سليم بحنانٍ وتابعا رحلة عودتهما إلى

القصر، سليم يضم أمجد من عنقه وأمجد يقول

مقهقها :

-لا تكن عنيفاً يا ولد!

عاد أمجد إلى أرض الواقع وقد فرت من عينيه

دمعة سقطت على وجنته ببطءٍ ليكون نهاية

الطريق عند ذقنه !

حرب الذكريات صعبة...

مؤلمة بشكلٍ لم يتخيله !

وهذا ما يشعر به أمجد الآن...

لكنه تحكم بنفسه وانتصب واقفاً ويقول بسرعة

موجهاً حديثه إلى مروج الجالسة أمامه تبكي

بصمت :

-سأذهب لأصلي الفجر بالمسجد، وبعدها سأذهب

إلى الورشة...



ثم فتح باب الشقة مغمضاً عينيه بقوة يحاول

استعادة تماسكه...

جرحه لم يشفَ بعد...

ولن يشفى!

خرج أمجد مسرعاً بعدما التقطت أذناه صوت آذان

الفجر...

بينما مروج أطرقت برأسها أرضاً تحاول لملمة

شنتات نفسها!

ومن ثم نظرت إلى هتافها المستكين بجوارها،

فامتدت أناملها وتبحث عن شيء معين حتى وجدت

مبتغاها..

حيث رسالة إياد يشرح لها كيف ستصل إلى

المدرسة أن قبلت العمل هناك!

خطوة، ثم الثانية!



تقترب بقلبٍ يرتجف خوفاً وهلعاً!

لا تصدق أنها أتت إلى هنا بعد طول غياب !

أنت وسحقت عقلها بقوة...

سحقته وصرخت به أمره إياه بالألا يتدخل !

تنازلت وأتت إليه بنفسها، ربما سيكون هذا آخر

لقاء بينهما، إلا أنها لن تتراجع !

خوفها من أنسحاب أمجد من عالمها لم يرحمها..

خوفاً كان كنصل خنجر حاد طعن قلبها في حركة

مباغثة..

أجبرت ساقاها على التحرك تجرها جراً...

تشعر وكأنها تسير على جمر مشتعل يحرق قلبها

حرقاً قبل قدميها !

تخشى أن يصدماها القدر بحقيقة صادمة...

حقيقة أدعت أنها كذبة وليتها اعترفت !



أعلنت الحرب دون أن تعد أسلحتها لتدافع عن

نفسها بضراوة...

مستغلة طيبة ونقاء قلب أمجد، أمجد الذي اكتشفت

انه قام بحظرها من هاتفه..

وفعلته تلك أججت قلقها وصارت وحوش الخوف

تنهش صدرها دون رحمة !

بكت... نعم...

ندمت على كذبتها التي كانت كعبوة موقوتة ضبطها

قلبها الأحرق وحين أتى وقت الانفجار فر هارباً..

تاركاً إياها تحترق...

تصرخ..

تتلوى ندماً بنار أشعلتها بنفسها !

لقد أتت إلى الحي الذي فرت منه هاربة وهي

مدنسة بدماء الخطيئة..

وعادت إليه وهي مدنسة بدماء الغدر...



عادت ولم تعد جود القديمة..

بل أخرى..

تدافع عن حبها بكل ذرة قوة تمتلكها..

أن تأتي إلى هنا وحده يعتبر إنجازاً عظيماً..

وبالرغم أنها أنتظرت أن ينتهي آذان الفجر لتأتي

إليه، ففي هذا الوقت الحي لا يعج بالبشر..

ستحدثه وتعود إلى حيث أتت..

أتت وبنيتها الاعتراف..

ستخبره أنها كذبت عليه..

ويا ليتها أبكرت قليلاً..

وقفت جود أمام ورشة أمجد تنظر إليه وهو يضرب

على الحديد بقوة كبيرة، مطرقة بيد واليد الأخرى

يسند بها قطعة حديد كبيرة وسميكة...

عروق ذراعيه بارزة بشدة، ووجهه يتصبب عرقاً...



يضرب بقوة، فينتفض قلبها المراهق ليرقص
فرحاً..

ومن ثم يعود إلى سكونه ترقباً للحظة الفراق...
لو يعلم، لو يعلم أنها أحبته بصدقٍ دون أن يعلم...
لن يحاسبها، لو يعلم أنها نادمة وبشدة...
سحبت جود نفساً عميقاً تدعم به نفسها، ثم تحركت
إلى الداخل بساقين شعرت بهما كالإسفنج الرخو...
ومن ثم ارتفع صوتها المرتجف :

-أمجد !

تشنج جسد أجد بوضوح، وبرقت عيناه بذهول
دون أي يلتفت لها، ذهول تحول إلى غضبٍ مستعر
وهو يتابع عمله دون أن يلتفت..
قلبه يهمس له سراً بأنه يتخيل، لكن عقله أقر
بوجودها...



وتحول شكه إلى يقين حين هتفت جود بصوتٍ

أعلى :

-أمجد، لماذا تتجاهلني؟؟؟

أنها هنا، هنا فعلاً في ورشته، تسأله لِمَ يتجاهلها

؟؟؟

هنا..

الخادعة هنا..

من لعبت بقلبه بكل برود هنا !

تعاتبه !!

أي بجاحة هذه !

انتقلت جملته الأخيرة إلى شفثيه يحملها لسانه

ولونتها نبرته المهينة بلونٍ أسود :

-أي بجاحة هذه !؟

وقع قلب جود بقدميها مرتعبة، تعقد حاجبيها بعدم

فعم، أو هكذا أدعت...



بينما أمجد كانت وحوش الغضب تتراقص أمامه..

فالقى بمطرقتة بعنفٍ، ثم ألتفت لها لينظر إليها

بعينين حمراوين !

يقيم فستانها الأسود، وحجابها الملفوف حول

رأسها بإحكامٍ، وأن كان حجابها القصير قد استطال

كثيراً حتى غطى كتفيها...

وجهاً خالي تماماً من أي مسحوقٍ...

تطالعه بعينين دامعتين، تترجاه سراً..

عيناها الحزینتین تترجاه ووجهها الشاحب شعر به

يتوسله...

لكنه لم يرأف بحالها، بل التوت شفثاه مبتسماً

بسخرية، ثم هتف بأسفٍ مصطنع :

-ألا تعرفين أنني علمت بحقيقتك أستاذة جود؟!!!

الشهقة التي انطلقت منها، كانت دليلاً صريحاً يؤيد

ما وصل إليه...



شهقة مذعورة كانت بمثابة دليل إدانة !
والدموع التي سقطت على وجهها الشاحب
كالموتى شعر بها تحرقه هو حرقاً...
تآمرت عليه شهقتها وقتلته دموعها !
كبريائه الرجولي يوخزه وبشدة..
وبريق الشر بعينيه شوه لوحة من الحنان حافظ
عليها كثيراً...
لكن هي أتت وأفسدت اللوحة بلونٍ غريبٍ حول
لوحة الحنان والهدوء إلى لوحة كريمة..
لهتت جود بقوة وهي تنظر إليه مشدوهة، تحرقها
نار الألم حرقاً..
فانفرجت شفتاها لتقول بتلعثم :
-والله، والله كنت أنوي أن أخبرك يا أمجد، أقسم
بكل ذرة حب أحملها لك بأنني كنت سأعتر...
-اخروسي !

صرخ بها أمجد بغضبٍ مستعر، وهو يضرب طاولة

أدواته بقدمه، فاصدرت صوتاً مزعجاً..

بينما جود فارتدت إلى الخلف مجفلة، خائفة من

هيئته الغريبة عليها، يلهث بعنفٍ وهو يطالعها

متخصراً..

لكنها ضغطت على نفسها أكثر لتقول بصوتٍ باكٍ :

- أرجوك أسمعني، أنا كنت أخشى أ...-

-قولتُ لكِ اخرسي، لا أريد أن أسمع صوتك لا أريد

!

هدر بها أمجد وهو يتقدم نحوها بملامح سوداء،

يضغط على أسنانه بقوة..

فانتفضت قلبها بين ضلوعها مفزوعاً، تنظر إليه

وقد وقف على بعد خطوتين منها يرمقها بعينين

غريبتين....



وليزداد خوفها ودهشتها، هتف بنبرة غاضبة

مشيراً بسبابته نحوها :

-أنتِ، أنتِ فتاة لعوب...ضحكت عليّ ووقعت أنا

كالأحمق مؤدياً دوري في عرضٍ سري، ما يزيد

غضبي أنني سألتك، وأنكرتِ، أنكرتِ يا جود...وأنا

صدقتك !!!!!

نظرت جود له بعينين دامعتين وشففتين مرتجفتين،

تشعر بأن قواها تهدد بالانهيار...

والألم المبرح يتوالى عليها بالطعنات..

ولكي يزداد ألمها أضعافاً، تابع أمجد بنبرة مرتعشة

مشيراً بسبابته إلى نفسه :

-وأنا، أنا كنت أبله، رجل قليل الخبرة، صدقك، أنا

تلاعبت بيّ يا جود، أنا من طعنته خدراً، أنا أمجد

الأمير، شخصيته ضعيفة ويشبه النساء !!، ألم يكن

هذا رأيك بي سيدتي الخادعة؟؟.....

لو كان يصفعها على وجهها لم يكن لتتألم هكذا..
لم تكن لتشعر بأنها حقيرة أمام نفسها...
كلامه طعنها بسكين الحقيقة..
لكنها لم تستطع أن تصمت...
فوجدت نفسها تهتف بارتجاف تبتلع غصتها
بصعوبة:

-أعترف أنني أخطأت بحقك يا أمجد، أعترف أنني
لا أستحقك، لا أستحق نقاءك، لا أستحق قلبك من
الأساس، وهذا ما دفعني بأن أكذب عليك، صدقني
أنت بالنسبة ليّ نجمة من السماء أطلعها من حين
إلى آخر، وفجأة وجدت النجمة بين ذراعي،
تسألني...والإجابة ما هي إلا إقرار بانتهاء العلاقة
قبل أن تبدأ من الأساس...لا تلوم شخص يتأرجح
بين ماضيه وحاضره خائفاً..



تألمت ملامح أمجد بوضوح، ولمع الدمع العزيز

بعينيه وهو يقول بنبرة أسد يحتضر :

- وهذه النجمة كان لديها فرصة للعفو، ضاعت من

بين يديك ويا أسفاه على قلبٍ كان بحبك غارقاً...

بكت، وبكت حتى أرتفع صوت بكاءها بوضوح،

تشعر وكأنها في كابوسٍ مخيف...

يخنقها بقوة، ويرهبها بقبحه !

لقد طعنها في مقتل...

لا تصدق أنها تقف أمامه خائفة تكاد تخر على

ركبتيها لتقبل قدميه، تكاد تتوسله بأن يعفو..

أن يرحمها من ألمها...

لكن هو من يرحمه؟؟..

هو من سحق كرامته وذهب إلى غريمه متسفسراً

عن كنه العلاقة بينهما قديماً...

هو من قرأ بعينيه رسائلها العاشقة إلى غريمه...



هو من أحب بكل صدقٍ وكانت مكافأة نهاية

الخدمة...

هو خداعها..

اشتعل قلب أمجد متألماً غاضباً، فأشاح بوجهه وهو

يضغط على أسنانه بقوة، هاتفاً نبرة مشتعلة :

-أخرجي من هنا قبل أن يراكِ أحد...سيدة جود...

هزت جود رأسها بلا رفضاً، تضم ذراعيها إلى

نفسها مرتجفة...

وانفرجت شفتاها لتقول بتوسلٍ وهي تبكي بقهر :

-اسمعي، أرجوك اسمعي...أنا أحبك أقسم بالله

أحبك يا أمجد...ليس كذباً أو خدعاً بل أنا

أحبك..أليس هذا الاعتراف كافياً لتعفو عني، عن

صغيرتك؟؟؟

ازدرد أمجد ريقه بصعوبة، وقبض كفه بجواره
بقوة متحملاً ألمه وهو يقول بقسوة دون أن ينظر
إليها :

-ماذا تريدان أن تقولي؟؟؟، أنك كنتِ
رخيصة... حين هددك بأنه سيتراجع ولن يتزوجك
عرضتِ نفسك عليه بكل رخص؟؟؟، أم تريدان أن
تخبريني بأنكِ غدرتِ بأهلك وبي معاً !

صمت لبرهة ليغمض عينيه بقوة شاعراً باندلاع
حريق هائل بداخله، ومن ثم أردف ساخراً سخرية
متألماً :

-وبماذا سيفيد اعترافك الآن؟، للأسف لا أستطيع
أن أصدقك...
على ما يبدو أن من أخبره بما حدث لم يخبره بشكلٍ
صحيح...



فهي لم تعرض نفسها على "مهاب"، بل حين
وانتها الفرصة فرت هاربة قبل أن يتمكن من النيل
منها...

لكنها لن تتحدث ولن تصحح له أي شيء..
هي تستحق هذه الصورة بنظره...
وتستحق أكثر من هذا!

تحركت جود نحو باب الورشة منسحبة..
فقد خارت قواها والانهيار يلوح بالأفق!
مرت بجوار أمجد الذي كان مشيحاً بوجهه ينظر
أمامه بجمود يناقض حريق الألم المشتعل
بداخله...

وقفت بجواره لثوانٍ تنظر إلى جانب وجهه وهي
تبكي بحرقة...
تتأمل لحيته الخفيفة، ملامحه الحزينة وكأنها لن
تراه مجدداً...



شعرت جود بهذا الخاطر يعتصر قلبها بقوة..

فركضت نحو باب الورشة، وقبل أن تخرج..

همست بصوتٍ مسموعٍ دون أن تلتفت له :

-أخبر قلبك أنني أحببتك يوماً وسأظل أحبك حتى

ألفظ أنفاسي، لقلبك وليس لك، وأنا لم أغرض

نفسي على أحد، أنا هربت !

ومن ثم رحلت مهرولة وصوت بكاءها يصله

واضحاً..

فاغمض عينيه متألماً، بينما تعالى وجيب دقاته

يقابل جمالتها بالموافقة..

فأطاح أمجد بالطاولة المتحركة بقدمه وهو يصرخ

:

-تباً، أحبها حتى بعد ما حدث!!!

استقلت جود سيارة أجرة وهي تشهق بعنفٍ، تسند

رأسها إلى النافذة شاعرها بالدنيا تضيق...



وبالأم يحتدم...

فأغمضت عينيها بقوة تبكي نعيًا على قلب تركته

خلفها جديباً مقهوراً من خيبتها...

صوت الأغنية المنبعثة بالسيارة زادتها ألماً فضمت

ذراعها إلى نفسها تبكي بصمت..

روحت لفين وساييني لمين

ده انا كلي حنين .. وفي قلبي غرام

نفسى الاقايك بقى .. وافرح بيك

ده انا مستتيك ترجع لي قوام

وكل يوم يفوت .. كل يوم يعدي

بصحي فيه واموت يجي مليون مرة لوحدى

لو سامعنى صوت .. قرب خد بايدي

يلي دايمنا ناسيني





ترجلت مروج من سيارة الأجرة بتردد...
تنظر إلى المدرسة من الخارج بعينين قلقتين، ثم لم
تلبث أن حثت نفسها على التحرك وهي تتلفت
حولها برهبة..

إلى أن وصلت إلى العم صلاح الذي كان ينددن
بصوتٍ نشار وهو يرتشف كوب شاي، فتحنحت
مروج، ثم هتفت بثبات :

-صباح الخير، أريد الأستاذ إياد صابر..

رفع العم صلاح عينيه لها مدققاً النظر بوجهها
الصافي وهيئتها البسيطة بدءاً من فستانها الوردي
البسيط وذاك الوشاح الصغير الذي تعقده خلف
عنقها بالطريقة الإسبانية، وشعرها القصير يتدلى
من الخلف..



فبدت مراهقة وملاحها محببة، فابتسم العم صلاح
لها وهتف ببشاشة :

-مستر أيدو بغرفة الموسيقى، من حضرتك يا عسل
؟؟؟

عقدت مروج حاجبها بتوجس حين سمعت لقب
إياد الغريب، لكنها تغاضت عن هذه النقطة فتوترها
يكاد يقتلها، لترد على العم صلاح بابتسامة صغيرة
:

-أنا مروج، هل أنت العم صلاح "السنجل"!!
ضاقت عينا العم صلاح بتفحص وهو يعتصر
ذاكرته بقوة كي يتذكر متى قال هذه الجملة!!!
نعم...قالها يوم كان إياد يطيب خاطره على قُلته
الحبيبة!

تهللت ملامح العم صلاح وهتف مازحاً وهو يشير
بسبابته نحوها :

- على مهلك !!

تخضبت وجنتا مروج بخجلٍ غريب وهي تهز
رأسها بنعم، فصفق العم صلاح بحماس، ثم هتف
وهو يهب واقفاً :

- أهلاً أهلاً بالسكر، تعالي معي سأقوم بتوصيلك إلى
غرفة الموسيقى !

ثم تحرك أمامها وهو يبتسم ببشاشة بثتها قليل من
الأمان وهي تتبعه بقدمين مسرعتين..

تتفحص تفاصيل المدرسة التي بدت لها جميلة،
رقيقة، دافئة جدا تحمل شيء من روح إياد، ربما
بالغت في هذا التعبير لكنه مجرد شعور...

تشعر بالغرابة نوعاً من التغير الغريب بها...
باتت أكثر تفهماً، أكثر تعقلاً..

ربما رضخت إلى أجبار الواقع المرير بأن
تتوقف...



لكنها تبقى مروج المتمردة التي تحاول السيطرة
على نفسها بشتى الطرق!

وصلا معاً إلى غرفة الموسيقى، فالتقطت أذناها
صوت عزف رائع يناسب كلمات الأغنية التي كان
يغنيها أحد الطلاب..

باب الغرفة كان مفتوحاً، وحتى النوافذ كانت
مفتوحة، فنظرت إلى العم صلاح تسأله ماذا تفعل؟
ففهمها العم صلاح ليميل نحوها ويهمس بمرح :
-سنقف هنا نستمع إلى هذا العرض حتى ينتهي
مستر إياد من العزف وينتهي محمد من الغناء، لأن
مستر أياد لا يجب أن يقاطعه أحد أثناء عزفه،
سنقف هنا بصمت...

أومات مروج برأسها متفهمه وقد أعجبتها الفكرة
بأن تقف وتتأمله وهو يعزف بمهارة لاحظتها..



وما زاد إعجابها أكثر هي جلسة إيداد الوائقة على
مقعد صغير بدون ظهر، وأنامله تداعب آلة البيانو
بحرفية..

ظهره مشدّد بشموخ معطياً إياها ظهرها، وإحدى
قدميه تضرب الأرض ببطء فبدأ لها مندمجاً جداً..
يلتف حوله مجموعة من الأولاد المراهقين على
الأرجح بالصف الأول الثانوي...

يستمعون إلى عزفه بإندماج وإلى صوت محمد
العذب وهو يغني أغنية لمستها...
مغمضاً عينيه بهدوء وصوته يصدح بالغرفة
مندمجاً مع عزف إيداد..

حبيته بيني وبين نفسي
وما قلتوش ع اللي في نفسي
ما اعرفش إيه بيحصل لي



لما بشوف عينيه
ما بقتش عارفة أقوله إيه
ما اعرفش ليه خبيت عليه
بضعف أوي وأنا جنبه
وبسلم عليه

ابتسمت مروج بشجن وهي تراقب حركات إياد،
واهترزاز جسده بوضوح..
تظن أن الاغنية أثرت به..
لا تعلم أن اهترزاز جسده ما هو إلا ذنبية عصفت
بكل خلية بجسده حين شعر بها خلفه !
أنها هنا، تقف خلفه مباشرة وهذا ما أخبره به قلبه
!!
يشعر بها روحها تحوم حوله وقلبه يخفق بشدة
حتى ألمه...



فأغمض عينيه بقوة وهو يتابع عزفه...

فتابع محمد غناءه بإحساس عالٍ

كل حب الدنيا ديا في قلبي ليك

دا أنت أغلى الناس عليا روعي فيك

كل حب الدنيا ديا في قلبي ليك

دا أنت أغلى الناس عليا روعي فيك

دا انت لو قدام عنيا اشتاق إليك

النار الحارقة التي اشتعلت بين جنباته، نار ازداد

سعيها وكلمات الأغنية تنكأ جرح قلبه المتقيح!

تؤلمه كلمات الأغنية التي تعبر عن حالة!

ويؤلمه حاله المثير للشفقة نتيجة لحبٍ أسود

سيطر على روحه بالكامل!

تألمت ملامح إياد بشدة وشعر بوخز عنيف بقلبه
وهو يتناول الضفة من محمد ليتابع هو غناء هذا
المقطع كما اتفقا وقد هدأ عزفه على البيانو

كل حب الدنيا ديا في قلبي ليك
دا أنت أغلى الناس عليا روعي فيك
كل حب الدنيا ديا في قلبي ليك
دا أنت أغلى الناس عليا روعي فيك
دا انت لو قدام عنيا اشتاق إليك

صوته لم يكن يقل جمالاً عن صوت محمد، فشعرت
مروج بقلبها ينتفض متأثراً بصوته الأسر..
أنتفض متأثراً بنبرته التي كانت تقطر الماء..
ونفس الوخز الذي داهمه شعرت به بقلبها الذي
كان يبكي شفقة وندم عما فعلته به..



وكان ختام الأغنية مقطعاً أشارك به إياد ومحمد
بالغناء وقد توقف إياد عن العزف
تاركاً العنان إلى صوته ليعبر عن ألمه الذي يكتمه
مرغماً..

معبراً عن ألم قلبه رهقه حب عقيم..

على بالي ولا أنت داري بالي جرا لي
والليالي سنين طويلة سيبتها لي
يا انشغالي بكل كلمة قلتها لي
على بالي ولا أنت داري بالي جرا لي
والليالي سنين طويلة سيبتها لي
يا انشغالي بكل كلمة قلتها لي

انتهت الأغنية، وأنتهى العزف..



بينما عمت حالة من الهرج في الغرفة من الشباب
المراهقين وهم يصفرون بصبيانية ويهتفون في

صوت واحد :

-مستر أيدو، مستر أيدو...

كان هتافهم حماسي وهم يهجمون على إياد
ليجذبوه بعيداً عن كرسيه، ومن ثم صاروا يصفقون

أمامه ويقولون بمرح :

-سلم صوتك وعزفك يا فنان !

قهقهه إياد بسعادة وهو يلاحظ حب الأولاد له، ثم

هتف مازحاً وهو يضرب محمد الواقف بجواره

مبتسماً على رأسه :

-الفضل يعود إلى هذا العفريت، صوته شجعتني على

الغناء بعد توقف طويل !

لم يكن إياد قد رأى مروج بعد، لكنه كان يشعر بها

خلفه...



يحثه قلبه المجنون على الإلتفات ويأمره علقه
بالصبر...

دخل العم صلاح إلى الغرفة تاركاً مروج وهو
يرقص بذراعيه قائلاً بمشاغبة :

-أحسنت أحسنت يا مستر أيدو، الله عليك يا مستر
أيدو، حبيب الملايين...

ابتسم إيداد بإشراق وهو يقهقه ومن ثم التفت إليه
وهو يهتف مشاغباً :

-هذا يكفي يا عم صلاح لا تبالغ ف..

بُتِرت عبارته حين وقعت عيناه عليها...

وتوقف نبض قلبه لثوانٍ حابساً أنفاسه...

لم تفقد تأثيرها عليه...

ولم يتوقف قلبه عن الرقص فرحاً كلما وقعت عيناه

عليها.

عيناه اللتان كانتا تتضحان ألماً منذ دقائق لمعت
بفرحة رؤياها..

وشفتيه المبتسمتين بقت كما هي..

أما مروج فقد تخضبت وجنتاها بحمرة خجل حقيقي
وهي تسحب الوشاح إلى أذنيها بأصابع مرتبكة..
تشعر بعينيه تخرقها...

تخبرها سراً أن هذا الرجل لا يستحق ما فعلته...
سيطر إياد على مشاعره بقوة، ولملم شتات نفسه
باعجوبة..

ومن ثم نظر إلى الطلاب والعم صلاح فوجدهم
مبتسمون بسماجة وكلا منهم يغمز بعينيه،
فزجرهم إياد بقوة..

ثم تحرك باتجاهها وهو يتوعد العم صلاح بعينيه،
فرفع العم صلاح كفيه مستسلماً وهو يهمس
بصوتٍ مسموع :



-عينيك أنتَ من كانت تبرق بالقلوب مستر أيدو

ولست أنا !

أوما الطلاب جميعهم موافقين، فبرقت عينا إياد

بشر ثم هتف من بين أسنانه :

-كلكم أوغاد!

شهق العم صلاح بصدمة مصطنعة، ثم هتف وهو

يشير إلى نفسه :

-تشتمني يا مستر أيدو، بعد هذا العمر تشتمني هل

أصبحت لقمة سهلة بعد أن كُسِرت القلّة خاصتي

!!!

تسمّر إياد مكانه عاقدا حاجبيه بشدة وهو يرمق

العم صلاح بعدم فهم، بينما لم تستطع مروج التحكم

بضحكتها، شاعرة بدفء غريب يتسلل إليها وهي

تراقب مشاغبات إياد والعم الصلاح رغم توترها...

اقتربوا الطلاب من العم صلاح وهم يكتمون
ابتسامتهم بشق الأنفس حتى لا يغضب إياد...
لكن العم صلاح أبتعد عنهم منتفضاً وهو يضم
طرفي سترته بمسرحية، ثم
قال بصوتٍ باكٍ يتصنع الخوف :
-لا لا ابتعدوا، كلكم أوغاد!!..

التوت شفتا إياد بابتسامة صغيرة، ثم تقدم نحو
مروج وقد استعاد ملامحه الجامدة، يبتسم لها
ابتسامة مرحبة..

ثم هتف بتهذيب :

-أهلا مروج، هل وافقتِ على عرضي؟؟

أومات مروج برأسها بهدوء، فهتف إياد بتهذيب

متجاهلاً قرع الطبول بصدرة فرحاً :

-جيد، هل تريدان أن نبدأ الآن؟؟

اتسعت عينا مروج متفاجأة وهتفت بعدم تصديق :



-بهذه السرعة!!!، ألا تحتاج إلى أوراق أو شيء

من هذا القبيل؟؟

هتف إياد بجديّة وهو يمد كفه أمامها يدعوها

للتحرك :

-لا تهتمي كثيراً...أي شيء سأحتاجه سأبلغك به

كما أنك طالبة جامعية وعملك هنا ليس

مثبتاً...تعالى معي لأعرفك على بعض الزملاء ثم

سأخذك إلى طابق الروضة!

كانت تستمع إلى كلماته بتركيز شديد وهي تسير

بجواره تلح عليها رغبة شديدة بالاتسام ببلاهة...

أما هو فكان يحترق بنار حبه وهو يسير بجوارها

يسألها عن حالها بعد أن لاحظ الضمادة لا زالت

ملتفة حول رأسها تظهر تحت الوشاح الذي أثار

حنقه كثيراً فقد أظهر عنقها بوضوح وكأنها تريد

أن تلفت نظر من يراها..

تلح عليه رغبة عنيفه في خنقها لكي تحترم
نفسها..

هو يعلم أنها ليست محجبة...

لذا فأجبر نفسه على الصمت شاعراً بأن قربها
وتواجدها في محوره سيجعله يفقد أعصابه دائماً..
وقفا متجاورين أمام مجموعة من المعلمين
والمعلمات، ليقول إياد بجديّة مشيراً بيده إلى مروج

:

-هذه الأنسة مروج، ستعمل معنا كمعلمة للروضة!
نظروا لها جميعاً بعينين فضولية، رحب بعضهم بها
وبعضهم رمقها بضيق وقد شعروا بأن هيئتها
غريبة عنهم كثيراً..

وهذا ما لاحظته إياد، ف شعر بالضيق يخنقه...
لينظر إلى مروج بطرفٍ عينيّه فوجدها تبتسم
بكبرياء مقابلة نظراتهم بتعالٍ...



وقبل أن يبتسم على هيئتها، هتف أحد الواقفين
بابتسامة لزجة موجهاً كلامه إلى مروج :
-مرحبا بكِ مروج، تبدين صغيرة في السن
وجميلة...

اشتعلت عينا إياد بغضبٍ أهوج، وضغط على
أسنانه بقوة يحاول التحكم في غيرته وغضبه بشقِ
الأنفُس، لكنه لم يستطع وخصوصاً حين احمرت
وجنتا مروج وأطرقت برأسها أرضاً، فحدجه إياد
بنظرة نارية لاحظها الواقفين، وانفرجت شفثاه
ليعنفه :

-اسمها آنسة مروج !
وفي نفس الوقت كانت قد هتفت مروج بشراسة بعد
أن تحكمت في خجلها :
-اسمي الآنسة مروج يا أستاذ !



تحكم إياد في ابتسامة خرقاء كادت أن تلون شفثيه،
ليحدج الرجل الذي كاد أن يموت حرجاً، ثم حث
مروج على التحرك بجواره بملاح جامدة وكان
شيئاً لم يكن...

نبرته المحذرة أمام ذاك اللزج داعبتها..
وغضبه أثار حيرتها...

أما إياد فقد كان يسب ويلعن في نفسه بعد أن
انفلتت أعصابه مع أول موقف....

وفجأة تعالى رنين هاتف مروج، فأخرجته بسرعة
وما أن وقعت عيناها على أسم لجين حتى أجابت
عليها مبتسمة ابتسامة واسعة أظهرت طابع
الحسن خاصتها..

فشتم إياد بداخله وهو يراقبها دون أن يستطيع منع
نفسه...



شحبت ملامح مروج فجأة، وارتعشت يدها
الممسكة بالهاتف فوقفت مكانها لا تقوى على
التحرك..

وما أن لاحظ إياد حالتها حتى اقترب منها بقلق
تحول إلى خوف شديد عليها ما أن صرخت بعينين
دامعتين :

-أي مشفى هذه؟؟؟، ماذا حدث لأمجد؟؟؟-

=====



الفصل السادس والعشرون



بين الماضي والحاضر تأرجحت روحه تائهة..

بين الماضي والحاضر كان يقف حائراً!

هاجمته وحوش قاتلة..

جثمت على أنفاسه خانقة إياه وهو يتذكر كل

كلمة ألقاها في وجهها...



تذكر نظرتها المنكسرة..

تذكر ألم قلبه المبرح الذي عصف به...

تذكر ضحكتها، عبثها الخجول وهي تتدلل عليه

لتثنيه عن إصراره بأن يربط بينهما رابط

رسمي...

تذكر ذاك البغيض مهاب وهو يبتسم له

بتشفٍ....

وتذكر...سليم..

خُيل له بأنه يطالعه ساخراً متألماً من سذاجته!

قديماً كان من يراهم يتعجب بأنهما توأمان

للإختلاف الشديد بينهما....

ودائماً ما كان يتعرض أمجد للسخرية بسبب

هدوءه وتسامحه، فكان سليم بجواره دائماً



يغذي طبعه الناري في كل شخص يحاول

التعرض لأمجد!

وهو كأمجد لا يميل للعنف أبداً أو استخدام القوة

!

تعامل مع مصاعب الحياة بسطحية وهو

يعترف...

بالرغم من المغامرة الشديدة التي قام بها حين

هرب بأخوته خوفاً عليهم وقد واتته الشجاعة

على التمرد وكسر قوانين بالية...

متجاهلاً عمداً أنه ترك نصفه الآخر مرغماً...

يسمع صوت صياحه الهستيري وقد قام بربطه

سالم بعمود يتوسط ردهة القصر...

يصرخ بوحشية والدموع تسيل على وجهه

المحتقن :



-أمجد..اهتم بهم يا أمجد، واهتم بنفسك يا
أخي..لن استسلم لظلمه يا قلب توأمك، أخوتي
أمانة برقبتك.....

وقتها كان أمجد يخرج من قصر الأميرية
مهرولاً يحمل رائف على ذراع ومروج على
الذراع الآخر بالرغم من أنهم قادرون على
السير والركض أيضاً، أما لجين فقد كانت تسير
خلفه وهي تبكي بحرقة مرعدة بقهر طفلة
أرغمتها قسوة الحياة بأن تترك شقيقها :
-هل سنتركه يا أمجد؟؟، ألا تخشى أن يحرقه
كما قام بحرق ذراع رائف؟، سيفعلها جدي يا
أمجد، وأخي سليم تتتابه نوبة أختناق شديدة
بشكلٍ مستمر...لن يكون أحد بجانبه لينقذه يا
أخي !!

ساعتها أنقبض قلب أمجد بشكلٍ مؤلم، ودمعت
عيناه بقهر شاب لم يتعدَ عمره الثامنة عشر...

يشعر بوخز مؤلم بقلبه...

ينظر خلفه بعينين دامعتين وقلب اختلج

معتراضاً...

يطالب بنصفه الآخر...

لكن نصفه الآخر وقع في قبضة الظلم...

سليم كان ضحية...

وهو يعترف...

سليم كان ضحية يا أمجد وأنت أكبر ظالم..

أكبر ظالم له....

هربت بأخوتك خوفاً من سالم وتركت سليم،

ركته وأنت متأكد بأنه سيعاني...

ولم يعرف لمَ اختلطت صورة سليم بجود....



ولم يعلم أيضاً لم أسودت الدنيا من حوله وهو

يسقط بحمل المطرقة على أصبعه....

ومن ثم سقط أرضاً وهو يشهق بصوتٍ

مسموع...

يشعر بأن أنفاسه تُسرق منه عنوة..

وجدران الورشة تكاد تطبق على أنفاسه....

وصورته تلوح إليه من البعيد وكأنه يحلم..

سليم كان يلوح له باكياً...

والدم يكاد يغرقه...

فشعر أمجد بأنه يود الصراخ لكن صوته كان

محتجراً بفمه المفتوح بأقصى اتساع ليسحب

أكبر كم من الهواء وقد انقلبت عيناه بشكلٍ

مخيف...



الأصوات المزعجة تزداد من حوله صارخة
باسمه لكنه لا يعي أي شيء...
لا يعي سوى صورته وهو يبكي بحرقة
وبجواره تقف جود بملابس ممزقة...
تطلب منه أن يسترها...
تبكي وتترجاه وهي تتكلم حول نفسها...
ومن ثم عم السواد بشكل كامل بعد أن فشل في
أخذ نفسه بشكل منتظم...
هناك طنين مزعج يكاد يصم أذنيه...
طنين مخيف بصوت أجراس تحته على
الأقتراب من حافة الاستسلام...
أجراس امتزج صوتها بصرخة لجين وهي
تخترق الجمع المهول في ورشة أمجد بعد أن



رآه أحد الشباب أثناء مروره وهو يسقط

أرضاً...

-أخيييي...-

وبعدما لم يتذكر أي شيء...-

ولا يريد أن يتذكر!

لا يريد...

هناك جرح متقيح يئن وجعاً يترجاه بأن يرحمه

!

رمش أمجد بعينه بصعوبة، فداهمه الضوء

لأول وهلة فأغمضهما بسرعة وهو يحرك

ذراعه بصعوبة شاعرا بثقل غريب به...-

فلاحظ أنه مجبر...



فانعقد حاجباه بألمٍ وهو يحاول فتح عينيه لكنه
لم يقوَ، فرفع ذراعه السليم ليتلمس قناع
الأكجسين الذي كان يغطي أنفه وفكه...
فازداد إنعقاد حاجبيه وهو يهمس بصوتٍ غير
مسموع من الأساس :

-ماذا حدث لي؟، ولماذا اشعر بألمٍ مبرح

بصدري؟؟؟

وقبل أن يحاول فتح عينيه، سمع صوت رجل

خشن يهدر بالخارج بنبرة ارعبته :

-مروووووج، تحكمي بنفسك...-

شعر أمجد بأن ألم صدره يزداد أكثر، والصداع

يكاد يفتك برأسه...-

فابتلع ريقه بصعوبة وهو يحاول إبعاد القناع

عن فمه...-



لكن فاجأته كف ناعمة تمنع ما كان ينويه...

فازداد قلق أمجد أكثر وهو يحارب نفسه بأن

يفتح عينيه لكنه لم يقو...

القلق ينهشه نهشاً وهو يشعر نفسه بين الوعي

واللاوعي متأرجحاً...

فجاء صوت صاحبة اليد باكياً، فارتاح قلبه بعد

أن تعرف على هويتها :

- لا ترهق نفسك يا اخي، لقد داهمتك نوبة

اختناق حادة، ولم تشعر بأن المطرقة الثقيلة قد

سقطت على أصبعك بقوة فكسرتة، فتم تجبير

ذراعك...

صمتت لجين لثانية وهي تحاول التحكم بيكائها

وهي تربت على كف أمجد بحنان فطري، ثم

أردفت بمرح مصطنع :



-هيا قم يا أخي، ارعبتنا عليك، قم لتمنع تلك
المجنونة من الشجار بالخارج، لقد جن جنون
السيد إِياد بسببها...

شعر أمجد بأنه ليس على ما يرام...
ليس جسدياً بل روحياً....

بغض النظر عن ألم قلبه جراء ما فعلته جود
ومواجهتهم المؤلمة...

لكن هناك سؤال يخنقه...
سؤال قفز في عقله فجأة

"لماذا عاود شعوره بالذنب تجاه سليم مرة
أخرى؟؟، ولماذا عادت صورة سليم وهو يبكي
تغرقه الدماء بوحشية تتراقص أمام عينيه؟"
ابتلع أمجد ريقه بصعوبة، ثم فتح عينيه ببطء
شاعراً بثقل غريب بهما، إلى أن فتحهما على



اتساعهما فنظر إلى سقف الغرفة بعينين

حراوين بشكلٍ غريب....

ثم رفع ذراعه السليم ليبعد القناع عن فمه،

فاعترضت لجين قائلة :

-ماذا تفعل يا أخي؟، انتظر الطبيب !

لكن أمجد لم يهتم باعتراضها، فابعد القناع

نهائياً، ونظر إليها بعينين ملأتها الدموع،

فانعقد حاجبا لجين بدهشة من حالته الغريبة،

ثم لم تلبث أن اتسعت عيناها مصعوقة حين

هتف بصوت متقطع :

-لقد عادت صورة سليم تداهمني مرة أخرى!

أرتجف قلب لجين رجفة ألم وهي تشيح بوجهها

بعيدا مما زاد من دموع أمجد وهو يهمس

متألماً :



-هل...هل عاد ذاك الكابوس لك؟؟؟

تمنى أن تنكر، تمنى أن تقول له لا...لا...

لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه...

فقد أجهشت لجين في بكاء مرير وهي تهز
رأسها بنعم، فأغمض أمد عينيه شاعرا بقلبه
يتلوى ألماً ووجعاً...

ذاك الكابوس الذي سأل عليه لجين زاد سعيه
قلقه وخوفه أكثر؛ حيث أن الكابوس يشبه ما
رأه اليوم!

وشعوره بالذنب يضغط على جرحه الملتهب...
ربت لجين على ذراعه بحنان وهي تقول من
وسط بكائها :

-لا تخاف عليه يا أخي، فليحفظه الله...



نظر أمجد إليها بعينين غريبتين، وهمس

بشفتين مرتجفتين :

-سليم سيقع بمشكلة وأنا أعرف، ذاك الشعور

الملازم بصورته وبكابوسك بت أشعر بأنه

يرتبط بسليم وبضرر شديد له، شعوري بالذنب

تجاهه يكاد يقتلني، ومجرد التفكير بأنه بات

مثل سالم يزيد قلقي وخوفي وذنبي أكثر

وأكثر...

ازدادت دموع لجين أكثر وهي تربت على صدر

أمجد الذي كان يهبط ويرتفع بعنفٍ، فاشفقت

عليه لتهتف بجدية :

-أمجد، اهدأ قليلاً أرجوك..

أوماً أمجد برأسه بصعوبة، ثم أغمض عينيه

بإرهاق تاركاً العنان لصراخ جروحه...



يفكر ويفكر ودوامة التفكير تدور به بقوة....

بالخارج...

وقف إياد متخصراً وهو يطالع مروج بعينين

متسعيتين...

يرمش بعينه بسرعة وهو يراها تصرخ بوجه

المرأة :

-لن أسمح لك، لماذا تتعمدين إهانتني؟؟؟

نظرت المرأة لها بعينين مشتعلتين، ثم اقتربت

منها بسرعة وفي لحظة خاطفة كانت تجذبها

من مقدمة ملابسها صارخة :

-أنتِ يا بنت قليلة أدب وبتُ لا أطيق وجهك

هذا، ألا يكفيك أنني ركضت وراء شقيقك خوفاً

عليه المسكين...قليلة أدب!!



جز إياد على أسنانه بغيظ وهو يحاول إبعاد
المرأة عن مروج دون أن يلمس إحداهما، لكن
مروج كانت عنيدة جداً تصرخ بهستيرية
وعينين دامعتين...

تفاهم غضب إياد أكثر وهو يرى دموعها فحاول
أن يتفاهم مع المرأة المتشبثة بملابس مروج
بالرغم من خطأ مروج ألا أنه لن يتحمل أن
يراها تهان أمامه، فاقترب من المرأة بلامح
قلقة وانفرجت شفثاه يهم بالتحدث لكن مروج
سبقتة وهي تصرخ بوجه المرأة بشراسة :
-انا أعلم أنك لا تحبيني لأنني رفضت أن أتزوج
أبنك المتخلف هذا و...

-مروووووووووج، اصمت!



هدر بها إِياد بصرامة وهو يجذبها من مرفقها
بعنفٍ بعد أن تخلى عن عقله فالموقف يشتعل
ومروج فقدت السيطرة على نفسها بسبب
خوفها ومشاعرها المضطربة..

أجفلت مروج برعب وهي تنظر إليه بوجهٍ
ممتقع، بينما المرأة اتسعت عيناها بصدمة
وهي ترى إِياد يجذب مروج من مرفقها بحزم
فاضطرت لتركها وهي تنظر إلى إِياد
مصعوقة...

ونفس الصدمة أعترت ملامح بعض شباب
الحي وهم يرون إِياد يجذب مروج من مرفقها
وهو يعنفها بصوتٍ صارم ونظرة حادة بعد أن
حاولت مروج الاعتراض :

-قلت لكِ تعقلي وإلا والله لن يعجبك تصرفي!



انخرست...

لم تقوَ على التفوه بأي كلمة من الأساس وهي

تراقب ملامحه الغاضبة...

فجلست على المقعد الذي أجلسها عليه

بسكون..

فحدجها إيد بنظرة جمدت الدم بأوردتها،

فأطرقت برأسها أرضاً وهي تتشج بصوتٍ

خفيض...

فاندesh إيد من رد فعلها، لكنه تصنع عدم

الأهتمام وهو يتلفت خلفه لينظر إلى الحشد -

الذي كان يراقب المشهد من البداية- نظرة

باردة...

شاعرا بغيظه يتفاقم أكثر من هذا الموقف

السخيف...



وليكمل المشهد خرج أحد الأشخاص من إحدى
الغرف بملامح جامدة، ومن ثم صرخ بهم :
-لا أريد أن أرى أحد هنا إلا من له صلة قرابة
بالمريض الملقى بالداخل، هذه مشفى حكومية
وليس مكان لشجار النساء المجانين هذا !
برقت عينا إياد بغضبٍ واضح، وأحمر وجهه
وهو يلوح بسبابته أمام وجه ذاك الشخص
المستفز :

-احترم نفسك ولا تُعجب بلسانك !!.
التفت الرجل إلى إياد الذي كان يقف أمامه
متخصراً، لينظر إليه نظرة استخفاف، ثم هتف
بسخرية :

-وما دخلك أنتَ أنا أتحدث عن النساء، فهل أنت
منهم !!

جز إِيَادِ عَلَى أَسْنَانِهِ بِقُوَّةٍ حَتَّى اصْطَكَتْ، وَبِرْقَتِ

عَيْنَاهُ بِشَكْلِ مَخِيفٍ...

ثُمَّ هَتَفَ مِنْ بَيْنِ أَسْنَانِهِ :

-شَكَرَا عَلَى هَذِهِ الْمَرْحَةِ الرَّائِعَةِ سَيِّدِي...-

ثُمَّ ابْتَعَدَ عَنْهُ بِخَطَوَاتٍ وَاثِقَةٍ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ

بِعَيْنَيْنِ مُتَبَلِّدَتَيْنِ..

أَمَّا أَهْلُ الْحَيِّ أَنْسَحَبُوا ببطءٍ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى

إِيَادِ وَمَرْوَجِ نَظْرَةَ غَرِيبَةٍ...

يَلْقَوْنَ عَلَيْهَا عِبَارَاتَ الْمَوَاسَاةِ، مِنْ ثَمَّ اخْتَفَوْا

مِنْ أَمَامِهَا تَمَامًا، وَتَعَمَّقَتْ مَرْوَجٌ فِي رِحْلَةٍ

بِكَائِهَا أَكْثَرَ وَهِيَ تَخْفِي وَجْهَهَا بَيْنَ كَفَيْهَا...

نَظَرَ إِيَادِ إِلَيْهَا بِطَرْفِ عَيْنِيهِ خَلْسَةً، فَرَقَ قَلْبُهُ

لَهَا بَعْدَ أَنْ أَلَمَهُ بِكَائِهَا..



فهي منذ علمت بأن أمجد مريض وتم نقله إلى
المشفى اصابتها حالة هستيرية من البكاء
والصراخ، حتى أنه كاد يأخذها بين أحضانه
ليهدئها، لكنه بدلا من ذلك صار يحدثها بحنو
لتهدأ وحاول أن يفهم منها عما حدث على وجه
السرعة بعد أن لاحظ مراقبة المعلمين
والمعلمات لما يحدث...

وحين علم منها سبب بكاءها؛ أتى معها إلى
المشفى بسيارته وهو يحاول تهدئها..
وحين أتوا إلى هنا قابلها الجمع المهول أمام
غرفة أمجد، وحين حاولت أن تدخل له
شاكستها تلك المرأة التي كانت تتشاجر معها
بخبثٍ، قائلة وهي تنظر إلى إياد نظرة ذات
مغزى :



-وجدتِ بديل...-

وقتها لم يصدق ما فعلته مروج وهي تهجم
على المرأة صارخة بكلمات غير مفهومة
ولحسن حظهم أنهم كانوا يتشاجروا بعيدا عن
غرفة أمجد...

صرخ بها أن توقف لكنها لم تهتم...
حاول التصرف بحزم معها لكنها مارست دور
الفتاة الشرسة..

-إياد !-

همسها المتألم أخرجته من شروده،
فاقترب منها بسرعة وهو يجلس على المقعد
المجاور لها...وهتف بحذر بعد أن لاحظ شحوب
وجهها :

-هل تريدان أن تدخلني لأمجد؟؟-



رمشت مروج بعينيها بسرعة، ثم همست بألم
وهي تتلمس جانب رأسها :

-الجرح يؤلمني!

انعقد حاجبا إياد بعدم فهم، فوجدها تفك عقدة
الوشاح من مؤخرة رأسها ثم ألقته بجوارها
ومن ثم رفعت كفها تتلمس مكان الجرح
برأسها، فانتبه إياد ونظر إلى جرحها بتوتر
وقلق من تألمها، ثم لم يلبث أن اتسعت عيناها
معاً صدمة فقد كانت الضمادة ملطخة بالدماء
مكان الجرح، فهتف إياد بصدمة يشوبها خوف
واضح :

-مروج...جرحك ينزف؟، هل انحلت القطيبات

؟؟



نظرت مروج إلى كفها الملطخ بالدماء، ثم نقلت

نظرها إلى إيد المرتعب وقد تخلى عن بروده

معها، لتهمس بألم واضح :

-لا أعلم لا أعلم، لكنه يؤلمني !

توتر إيد بشدة وهو ينظر إلى الدم بالضمادة

وبكفها، يشعر بألمها يعتصر قلبه، فأسرع عقله

ليضغط على زر الإدراك بسرعة، فانتصب إيد

واقفاً، ومال نحوها ليقول بسرعة :

-تعال، نحن بالمشفى سنستشير طبيب !

قامت مروج من جلسها وهي تترنح فهم إيد

بمساعدها بدافع مشاعره....

وهذا ما منعه من الاقتراب منها!

مشاعره !

مشاعره تتحكم به الآن وهذا غير جيد بالمرّة !



لكن تأوه مروج بصوتٍ مكتوم أربكه، فاقترب
منها بسرعة ومس مرفقها بتردد وهو يقول
بصوت هارب منه :

-تماسكي يا مروج، لا تخافي!

نظرت مروج له بعينين حراوين، ثم أومات
برأسها بصعوبة، ثم صارت بجواره..
وبعد دقائق كانت مروج تجلس أمام الطبيبة
التي تتفحص جرحها بعناية بينما مروج تقبض
على كف لجين التي أتت مهرولة حين أخبرها
إياد وطلب منها أن تبقى بجوارها...

أما إياد فقد كان يقف عند باب الغرفة مشيحاً
بوجهه بعيداً عنها وأجبر أذنيه بالألّا تنقل له
صوت بكاءها وتألّمها !

ماذا تفعل هنا إياد؟؟



سؤال سألته لقلبه موبخاً...

فلم يتلقَ أي جوابٍ مرضٍ...

تحدثت الطبية بعملية موجهة حديثها إلى إياد :

-لا تقلق سيدي، على ما يبدو أن زوجة سيادتك

لم تهتم بالجرح بشكلٍ صحيح...

أرتفع وجيب دقات قلب إياد بصخب وهو يسمع

بأذنيه كلمة زوجتك من الطبيبة بعفوية !

فأشاح بوجهه أكثر ممتعاً عن الرد مكتفياً بوقع

الكلمة عليه..

أما مروج فقد اتسعت عيناها بشدة وهي تهمس

بصوت لا يكاد يسمع محدثة نفسها :

-لماذا كل من يرانا معاً يظنه زوجي؟؟؟

سمعتها لجين التي كانت تنظر إلى مروج

المرتجفة نظرة غريبة....



وحين همست مروج بجمالها تحكمت لجين
بضحكة ملحة، فعبست بوجهها واشاحت
بوجهها...

=====

احتضنت مروج أمجد بقوة وهي تقول باكية :
-ارعبتي عليك!

ربت أمجد على رأسها بحنان، ثم نظر إلى إياد
في المقعد الأمامي من سيارته بعد أن عرض
عليه إياد بكل احترام بأن يقوم بتوصيله، فوافق
أمجد بهدوء..

وها هو يجلس في المقعد الخلفي محتضناً
مروج أما لجين فقد جلست بجوار مقعد السائق
الذي كان يحتله إياد بلامح جامدة !



فضاقت عينا أمجد بتفحص ملاحظاً تغيره
وجمود ملامحه وعلى حسب ذاكرته القوية
فإياد لم يكن هكذا !
تهد أمجد بتعبٍ، فاغمض عينيه قليلاً عليه
يحصل على الراحة، فألم صدره لم يزل...
شاعرا بقلبه يبكي ألماً وندماً على حبٍ عقيم !
الصمت المخيم عليهم جميعهم كان مزعجاً،
حتى أن لجين تملمت قليلاً شاعرة بالضيق من
هذا الصمت المقيت، لكن ما أثار دهشتها هو
إياد الذي كان يتصنع البرود وهو يختلس
النظرات إلى مروج من الحين إلى الآخر عبر
مرآة السيارة...
تعاطفت معه ومع حبه الصادق نحو شقيقتها
المجنونة...



وفجأة قطع صوت رنين هاتف إياد الصمت

الخائق حولهم، فأجاب إياد على المتصل

مبتسماً ابتسامك حقيقية :

- أهلا حنين، هل هناك شيء؟؟

رغماً عنها لم تستطع أن تتحكم مروج بفضولها

وهي تتابع حديث إياد باهتمام شديد...

ابتسمت حنين على الجهة الأخرى وهي تجيب

عليه مشاكسة :

-أيدو حبيب قلبي، أردت أن أذكرك بأنني لن

أتركك اليوم إلا وأنت تمسك "بالطبله" وتبدأ في

تلك الإيقاعات التي تتقنها لأنني أشتقت إلى

جنونك يا أيدو !

سقط قناع البرود واللامبالاة عن وجه إياد،

واتسعت ابتسامته الحنونة ليقول بمرح :



-حسنا نينا، سأفعل لك ما تريد، رغم أنني

كبرت على تلك الأشياء !

وبعدها تبادل مع تلك ال "نينا" بعد الحوارات

التي لم تخلو من مزاح إياد بصوت خفيض حتى

لا يزعج أمجد الذي كان شاردًا يركض بعالم

آخر غير مهتماً بما يقوله إياد...

لكن الاهتمام ظهر جلياً على ملامح مروج وهي

تحاول تذكر أين سمعت أسم حنين تلك ؟؟؟؟

أشاحت مروج بوجهها لتتظر من نافذتها،

فقابلتها عينا لجين المتفحصة، فرمشت مروج

بعينيها تدعي عدم الاهتمام...

أغمضت مروج عينيها بشدة تفكر...

أنها سمعت عن حنين تلك من قبل...لكن أين

؟؟؟



اتسعت عينا مروج قليلاً وهي تتذكر أسم

مدرسة إياد التي أثارت إعجابها صباحاً

"حنين غالية"

إذاً فعلى ما يبدو أن حنين تلك لها أهمية كبيرة

تضاهي أهمية غالية!!!!

انتبهت مروج بأن السيارة قد وقفت أمام

منزلهم، ففتحت باب المقعد بسرعة وفعلت

لجين مثلها كل منهما تنوي مساعدة أمجد، لكن

إياد سبقهما وهو يترجل من سيارته ليساعد

أمجد الذي لم يبد أي اعتراض فأوصله إياد إلى

باب المنزل، ثم لم يلبث أن هتف إياد بتهذيب:

-عذرا سيد أمجد مضطر أن أرحل فقد انتهت

مهمتي!

نظر أمجد له نظرة غريبة، ثم لم يلبث أن ابتسم

له بوهن وهو يهتف بعتاب مهذب :

-لم يا إياد، البيت بيت "صديقك"

ابتسم إياد بسخرية، وابتلع طعاماً مر كالعقم، ثم

هتف باعتذار :

-عذراً، فأنا مرتبط بموعد هام!

أوماً أمجد برأسه متفهماً، ثم ربت على كتف

إياد بابتسامة هادئة شاكراً إياه فابتسم إياد

ابتسامة سريعة وبعدها رحل...

تاركاً أمجد الذي أغلق الباب وتحرك نحو

غرفته دون أن يقول أي كلمة لشقيقتاه اللتين

نظرتا إليه نظرة حزينة..

وحين أختفى من أمامهما، هزت لجين رأسها

بحزن مغممة :



-لا أعرف ماذا أصابه ليمرض بهذا الشكل؟،

الألم واضح بعينه !

أومات مروج برأسها وقد سيطر عليها حزن

شديد على أمجد، فهتفت بنبرة مرتعشة وهي

تنظر إلى غرفة أمجد المغلقة بقلق :

-ألن يعود رائف؟؟؟

زمت لجين شفتيها قليلا وهي تبعد حجابها عن

رأسها بارهاق، ثم هتفت :

-لا لن يعود الآن، أمامه شهران تقريبا، فقد تم

قبوله في نادي كبير بالبلد، وأنا لن أخبره

بمرض أمجد حتى لا يقلق عليه!

أومات مروج برأسها بصعوبة، فلاحظت لجين

حركتها لتسألها مشفقة :

-هل لا زلت تتألمين حبيبتى؟؟؟



همست مروج بشرود وهي تتلمس رأسها :

-نعم قليلاً..

ربتت لجين على وجنتها برفقٍ، وهتفت بسرعة

وهي تبتعد مهرولة :

-سأتي لكِ بمسكن حبيبتى...

شردت مروج مجدداً وهي تفكر في وشاحها

الذي تركته على المقعد بالمشفى...تحاول أن

تتذكر هل تركته هناك فعلا ام أخذه أحد ؟

لا تعلم بأن وشاحها كان بين يدي إيد في هاته

اللحظة يطالعه بعينين مبتسمتين!!!

=====

أبعدها مروان عنه بعينين متسعيتين، ثم لم يلبث

أن أخرج هاتفه بلامح سوداء ونظر إلى صبا

المرتبكة نظرة ذات مغزى، فأخرجت هاتفها هي



الأخرى لتبتعد وترد على الهاتف كما فعل

مروان...

وما أن وضع مروان الهاتف على أذنه، أتاه

صوت غليظ يقول بسخرية :

-أردت أن أقول لك...أستقبل

هدية" هاني"يا...مروان !

ومن ثم أغلق الخط دون أن يضيق كلمة أخرى،

فبرقت عينا مروان بغضب أهوج وراقب صبا

التي أقتربت منه بوجهٍ شاحب وجسد مرتعش،

فعلم أنها تلقت نفس المكالمة...

المشاعر المتضاربة بداخله تسيطر عليه

بشدة..

غضب، خوف، قلق...

وكل منهم يتفنن في الضغط عليه بشدة !



وقفت صبا أمامه بعينين دامعتين، ثم هتفت

وهي ترتعش :

-مروان...ماذا سيفعل؟؟

لم يرد مروان عليها، فقد كان في حالة غضب

شديد يخشى عليها منه !

أما هي فقد كانت تشعر بالخوف يقتلها، ورد

فعل مروان غامض حتى هاته اللحظة !

وفي نفس اللحظة تكرر المشهد مرة أخرى،

تعالى صوت وصول رسالة لهاتفهما..

فأسرع كل منهما ليرى هاتفه...

وفي ثانية..

تعالى الرعب والغضب والخوف على وجههما!

وانفلتت من بين شفتي صبا صرخة مرتعبة

أججت غضب مروان أكثر وهو يقلب بصور



صبا وهاني بأصابع مرتعشة من فرط

الغضب...

صورة تلو الأخرى وهو يلهث بعنفٍ، يتحاشى

النظر إلى صبا التي جلست أرضاً تضم ركبتيها

إليها وهي تهز جسدها بخوف...

عض مروان على شفثيه بقوة حتى أدماها وهو

يمعن النظر بالصور بعينين حمرأوين ..

ثم لم يلبث أن ألقى الهاتف بالحائط فارتطم به

وسقط على الأرض مهشماً بوحشية تزامناً مع

صرخة مروان المستعرة وهو يلتقط أول ما

طالته يداه فوجده كوب زجاجي ليضربه بالحائط

وهو يصرخ...

لكن هذه المرة امتزجت صرخته بصرخة صبا

المرتعبة وهي تحتضن جسدها



بذراعيها...فتسمر مروان مكانه وهو يلهث

بعنفٍ..

يحاول لملمة غضبه الأهوج وهو يرى خوفها

وارتعاش جسدها..

فاقترب منها مروان بسرعة ودنا نحوها ينوي

تهديها لكنها صرخت برعب وهي تخفي وجهها

بكفيها :

-لا... لا تضربني أرجوك أرجوك، لم يكن بيدي

أي شيء، كنت مقيدة تحت رحمته...كنت..كنت

أموت رعباً وتقززاً منه وهو يمارس عليّ

ساديته، أنت تعلم أنني كنت أنوي قتله ذاك

اليوم أنتقاماً منه...أرجوك يا مروان لا

تضربني، الصور حقيقية لكن ما ذنبي أنا..ما

ذنبي ؟؟؟؟



احتضر قلب مروان بألمٍ شديد وهو يرى حالتها
المثيرة للشفقة، لكن هو ما حركه نحوها
ليضمها ليس شفقة لا بل رعباً وخوفاً وألماً
عليها....

تخطى غضبه مرغماً كي يهدأ من روعها...
أجم وحوشه المستعرة، ليضم جسدها
المرتعش بذراعيه، فأخفت صبا وجهها بصدرة
وهي تنتحب بقوة، متشبثة بقميصه بقوة وهي
تتحدث بهستيرية :

-ابعدته عني، وصفعته مرة تلو الأخرى، لكن
هو كان يرد كل صفقة بصفعة بل صفتين
وأكثر، كانت يداي مقيدة بعمود السرير...و...و
-اصمت، اصمت لا تخافي سأخذ حقك منه...لا
تخافي اهديني !



همس بها مروان بنبرة متألّمة وهو يربت على
رأسها عليها تهذا قليلاً..

لكن كما يقولوا المصائب لا تأتي فرادى..
فقد تعالى صوت طرق عفيف على باب الشقة
أجفلهما معاً..

فتركها مروان بسرعة شاعراً بالقلق..
ومن ثم فتح الباب بسرعة لتظهر أمامه أم
إبراهيم وهي تلطم خدها بقوة صارخة :
-لقد خُطِفت جميلة يا مروان !

وقع قلب مروان بين قدميه وامتقع وجهه وهو
يحدق بأم إبراهيم التي لم تتوقف عن لطم خدها
بعينين غريبتين، ثم لم يلبث أن شعر بكف صبا
تربت على كتفه بكفٍ مرتعش، فالتفت لها



ببطءٍ، لتمنحه صبا ابتسامة غريبة وهي تغمغم

بصوتٍ مثير للشفقة :

-خطفها يا مروان، خطفها يا مروان ولم يكتفي

بما أرسله، خطف قلبي يا مروان!

ومن ثم أسبلت جفنيها وخانتها ساقاها ليميل

جسدها بما وشى بقرب سقوطها مغشياً

عليها...

فأسرع مروان بلف ذراعه حول خصرها

صارخاً باسمها :

-صباااااااااا...

حملها مروان من خصرها برعبٍ، ثم ربت على

وجنتها بقوة هامساً بنبرة مرتعشة من فرط

الخوف والرعب :

-صبا، صبا!



وحين لم يأتِه أي ردٍ، أسرع بحملها بين ذراعيه
ثم خرج من الشقة متجهاً إلى شقة أمه التي
كانت تصرخ به :

-تعال يا مروان هنا !

وصل مروان إلى شقة رقية وهو ينظر إلى وجه
صبا الشاحب بفكٍ متشنجٍ وقلبٍ يضرب بصدرة
بقوة.....

ماذا يحدث؟؟

ألم يكن غارقاً بسحر شفيتها منذ دقائق...
يعتذر...يقبلها، يغدقها حناناً...

وفجأة أنقلب كل شيء، صور بذينة اشعلت النار
بداخله...ومن ثم اختفاء جميلة...طفلته...
طفلته التي يشعر بأنها قطعة من قلبه...



وضعها مروان على الأريكة برفق يناقض
الصخب الموجود بداخله، ثم مد ذراعه إلى
امه "رقية" التي مدت كفها بسرعة بزجاجة
عطر، فقربها من صبا بسرعة محتضناً
رأسها...

فرمشت صبا بعينيها وهي تحرك شفيتها بكلام
غير مفهوم، لكن مروان لم يتهم سوى بأنها
بخير..

فتركها واستدار على عقبيه خارجاً من الغرفة
وهو يصرخ بأمر إبراهيم الواقفة بجوار باب
الشقة ترتعش:

- أخبريني الآن ماذا حدث بالضبط ؟؟؟؟
ازدردت أم إبراهيم ريقها بصعوبة، ثم أومأت
برأسها برعب وبدأت في أخباره..



قبل دقائق...

اقتربت أم إبراهيم من امرأة كبيرة في السن
تعمل في "سوبر ماركت" بجوار البناية، تحمل
جميلة على ذراعها وهي تغمغم بحلق :

-أمها تتدلل وأنا أهتم بابنتها !

زفرت أم إبراهيم بغیظ، ثم أنزلت جميلة أرضاً
لتسير بجوارها، وحين وصلت إلى المرأة تركت
جميلة تجلس على أمام السوبر ماركت تصفق
بعث طفولي..

غابت أم إبراهيم داخل السوبر ماركت تثرثر
كأي امرأة أصيلة غافلة عن جميلة التي قام
بحملها رجل ضخم جدا وترك مكانها ورقة
بيضاء كبيرة..



"أن أردت صغيرتك يا مروان تواصل معي على

رقم (...)

هاني"

لظمت أم إبراهيم وجنتها بقوة وهي تهرع نحو

البناية قاصدة شقة مروان بعد أن أخبرت رقية

على الهاتف... رقية التي لم تسلم من صراخها

وغضبها...

وها هي تقف أمام مروان المتحفر ترتعش

بخوف وندم، ثم لم تلبث أن انتفضت مكانها

حين مد مروان كفه وصرخ :

-هاتِ الورقة...-

مدت أم إبراهيم كف مرتعشة تعطيه الورقة

بسرعة، فخرج مروان من باب الشقة المفتوح



وقد تجمع الكثير من الجيران يراقبون ما يحدث

بفضول، فهدر مروان فيهم بغضبٍ :

-فليلزم كل منكم شقته !

ثم غادر بعد أن بحث عن هاتفه الآخر...

يتوعد هاني بصوت مسموع وهو يضع سلاحه

بحزام بنطاله بعد أن جلبه من غرفته...

وفي خلال دقائق كان مروان يطير بسيارته

ساحقاً عجلتها سحاً...

أما صبا فقد كانت متجمدة تنظر إلى الفراغ

بشروود تام، دموعها تتساقط ببطءٍ شديد

وجسدها يرتعش، فاشفقت عليها رقية التي

كانت تبكي بألم على ضياع الصغيرة، ربتت

على ذراعها بحنان وهتفت :

-لا تخافي يا بنيتي، مروان لن يتركها...



نظرت صبا لها بعينين حراوين، ثم التوت
شفتاها بشبه ابتسامة غريبة، فتوجست رقية
وتأهبت لأي رد فعل سيصدر منها...
وفي لحظة سريعة، كانت صبا تقف على
قدميها، وتسير نحو باب الغرفة وهي تمسح
دموعها بسرعة...

انتفضت رقية واقفة وهتفت بجزع :

-إلى أين يا ابنتي ؟؟؟؟

التفت صبا لها وهتفت بتماسك :

-إلى شفتي سأنتظر زوجي، بعد اذنك يا خالتي

أريد أن أكون بمفردي!

ثم تركتها وخرجت من الشقة وهي تتحكم

بدموعها بشق الأنف حتى لا تنكشف، وفي

طريقها نظرت إلى أم إبراهيم نظرة ألم وقهر



ولوم جعل أم إبراهيم تخفي وجهها بين كفيها
وتبكي بصوت عالٍ...

أغلقت صبا باب شقتها بهدوء شديد، ثم تحركت
نحو هاتف مروان الذي قام بتحطيمه منذ
دقائق، جثت على ركبتيها وأخرجت شريحة
الهاتف منه، وبكفها الآخر التقطت هاتفها الذي
سقط من يديها منذ دقائق فوجدته سليماً، ومن
ثم وضعت الشريحة في هاتفها هي، فظهرت
أرقام كثيرة تخص مروان، لكنها كانت تبحث
عن أسم معين، وما أن وقعت عيناها على
مبتغاها....

أسرعت واتصلت بصاحب الرقم...

ثانية، ثم الثانية ولم تكد تمر الثالثة حتى

وصلها صوت ناعم مرتبك :



-مروان، كيف حالك؟؟

ظهر الضيق جلياً على وجهها، لكنها أجبرت نفسها على الهدوء والتريث، فهتفت ببرود:

-أنا صبا يا عادة!!

عم الصمت على الجهة الأخرى مما أخبرها بصدمة عادة، فالتوت شفتا صبا بابتسامة

ساخرة وهي تهتف باستهزاء:

-لماذا صمتِ يا عادة؟؟، آسفة حدثتك من هاتف

"زوجي" لأنني لا أعرف رقمك!!

ازدردت عادة ريقها بتوتر، ثم هتفت بلطف:

-كيف حالك يا صبا؟؟؟، أشتقت لك...

اتسعت ابتسامة صبا الساخرة، وهي تتحرك

نحو غرفتها، ثم هتفت:



-الحمد لله، أردت أن أقول لك أنني أنوي

زيارتك، هلا أخبرتني بعنوانك؟؟؟

لونت الصدمة ملامح وجه عادة ، بينما صبا فقد

كانت تبتسم بسخرية وهي تبحث عن

"مدية" مروان في جارور صغير..

تحكمت عادة بصدمتها وخوفها، لتتهف بترحيب

شديد :

-بالتأكيد، لكن أريد أن اسألك سؤالاً، هل مروان

يعلم برغبتك تلك؟؟؟؟

جزت صبا على أسنانها بقوة وهي تتحكم في

ضيقها فهي ليست في حال جيد يسمح لها

بالغيرة وهذه الأشياء التافهة الآن، لذا فلهجتها

الواثقة كانت ضرورية وهي تهتف :



-بالتأكيد حبيبتي، أخبرته وهو وافق أن لاحظتِ
أنا أحدثك من هاتفه وهو نائم بجواري الآن، لا
تقلقي أنا لا أفعل أي شيء من وراءه !!
امتقع وجهه عادة بحرج شديد وهي تحك مؤخرة
رأسها، ثم أبعدت خصلات شعرها الكستاني
للخلف، وهتفت بترحيب :

-اهلا بك حبيبتي، عنواني لا يبعد عن بناية
مروان كثيراً فهو أختار لي شقة قريبة منه كي
أكون تحت أنظاره !!!

مسحت صبا وجهها الشاحب بنفاز صبر وهي
تحدث نفسها بغیظ

"أقسم بالله أن نطقت اسمه مرة أخرى بهذه
الطريقة سأفقد أعصابي الغير موجودة من
الأساس "



لكن خوفها وقهرها على ابنتها منعها مما تفكر
به، يكفيها النار المشتعلة بقلبها ألماً على
صغيرتها، فسحبت صبا نفساً عميقاً وهتفت
ببرود شديد :

-العنوان يا غادة أن سمحتِ !

أخبرتها غادة بعنوانها بسرعة، فودعتها صبا
بكلمات غير مفهومة، ثم أمسكت هاتفها بيد،
واليد الأخرى كانت تدس "مدية" مروان في
حقيبة يدها، وتبعتها بجهاز صاعق كان قد
أبتاعه مروان لها كحماية لها، ومن ثم سحبت
حذاء رياضي وارتدته على عجلة، وبدلت
عباءتها وذاك الفستان المسكين إلى فستان
واسع يسهل لها الحركة، وبعدها خرجت من
الشقة وهي تعدل حجابها مغممة بقهر :



-حسناً، كان يجب أن أتغير قليلاً، فمروان لن
يحمل همي ومشاكلي وحده...كفى حماقة
وتصرف بمنتهى الغباء، سأستعيد ابنتي وأخذ

حقي !!!

ثم أغلقت باب شقتها بهدوء، ثم نظرت إلى
هاتفها وهمست بأسف حقيقي :
-آسفة مروان، أعلم أنك ستغضب مني وبشدة،
لكن ليس أمامي سوى هذا الحل، يجب أن
أتصرف ولا أبقى ضعيفة !!!

لا تعلم كيف وصلت إلى عنوان غادة بهذه
السرعة إلا أنها شعرت بالضيق يعاود مداهمته
لها وهي تدرك أن بناية غادة، تبعد عن بنايتهم
بشارعين فقط !!

لكنها أبعدت هذا الشعور عنها قسراً وصعدت
إلى شقتها وهي تتحسس حقيبتها بكفٍ مرتعش
وعينين تحبس دموعهما بإصرار...

دقيقة... ثم الثانية وطرقت الباب بوجهٍ جامد...
وبعدها فُتح الباب وظهرت غادة وهي تنظر إلى

صبا بأسفٍ شديد، فانعقد حاجبا صبا بقلق
شاعرة برائحة الغدر تفوح حولها، ثم لم تلبث
أن دفعت نفسها دفعاً لتدخل إلى الشقة بملامح
واجمة، لكن ملامح غادة غير مبشرة، فقد
شعرت بثمة شيء ما خطأ..

فتحسست حقيبتها للمرة التي لا تعرف عددها،
وسحبت نفساً عميقاً لتهتف بلطف مصطنع
وهي تنظر إلى غادة من مقدمة رأسها حتى
أخمص قدميها :



-مرحبا عادة، لم أرك منذ وقتٍ طويل !!
التمعت عينا عادة بأسفٍ ودموع مجدداً،
فازدرت صبا ريقها بتوتر شاعرة بالخطر،
فهتفت بصوت جامد نوعاً كي تبدد خوفها :
-ألم تحصلي على الطلاق من هاني بعد؟؟؟
-لا للأسف يا "بطة"، أنا لم اطلقها بعد لا زالت
تحت قدمي!!!

صوته المقيت دوى بأنحاء الغرفة حولها،
فانقبض قلبها واتسعت عيناها برعبٍ واضح،
فقد كانت تتوي التأثير على عادة لتخبرها
بمكان هاني أو أي معلومة عنه..
لكن أن يأتي هاني بنفسه، وتسمع صوته الذي
كان كسوط حط على جسدها لتنتفض بتقرز،
ويقع قلبها بقدميها....



أقترب هاني من صبا وهو يبتسم ابتسامة
مقرزة، فجزت صبا علي أسنانها بقوة تحاول
التحكم بخوفها، ثم لم تلبث أن صرخت بعنف
صرخة مشتركة مع عادة حين جذب هاني عادة
من شعرها بقوة، ثم ألقاها نحو صبا وهو يقهقه
قائلاً :

-هيا يا (...)، قفي بجوار صبا كي أراكما بجوار
بعضكما!!

أسرعت صبا مندفعة لتسند عادة التي كانت
تتاوه بألم، ثم لم تلبث أن نظرت إلى هاني
وهتفت بجرأة دبت بها فجأة :

-جبان، وستظل جبان، أين ابنتي؟؟
نظر هاني إلى قدها الذي أمتلأ قليلاً نظرة
ذكورية وقحة، ثم هتف بعث :



-لا تقلقي عليها، فأنا أريد أم البنت!

ثم أقترب منها بخطوات فهد شرس، ثم لم يلبث

أن جذبها من خصرها فجأة، فصرخت صبا

وهي تدفعه ب صدره بقوة :

-ابتعد يا حقير !!!

قهقه هاني بعث وهو يتحسس خصرها باصابع

عابثة وهتف :

-لن أبتعد!!!

الحقيقية، أين الحقيقية يا صبا، لم تتمكن من

البحث عن الحقيقية التي بالتأكيد سقطت منها

من هول المفاجأة..

حملها هاني من خصرها بسرعة، ثم أخرج

قماشة من جيبه وأطبق بها على أنفها بسرعة،

فسقطت برأسها على كتفه مغمضة عينيها،



ومن ثم خرج رجل ضخم من إحدى الغرف
ليفعل المثل مع غادة التي كانت تحاول الهرب
وهي تبكي بقهر...

لكن سبق السيف العذل كما قالوا...
فقد غابتا كل منهما عن الوعي تماماً...
واخذهما هاني في سيارته وهو ينظر إليهم
مبتسماً بتسلية..

ربما سوء حظ صبا جعل الحقيبة تقع منها،
لكنها ليست غبية..

فهااتفها الذي كان صغيراً نوعاً، وضعتة في
مكان تقدسه المرأة الأصبيلة - أثناء إخفاء
الأموال- كي لا يصل له أحد وكتمت صوته حتى
لا يصدر أي صوت!



ربما تمكن مروان في حال حدث لها أي شيء
في الوصول إليها !!!

=====

الفصل السابع والعشرون

=====

العقاب نجاة...

والأمل أحياناً آفة تفسد محصول الصبر..
والابتسامة سيف غادر ينحر القلب بسكينٍ
ثلج...

أما الضمير فهو مرآة النفس..



أحياناً يكون وجوده غير مرحب به وسط دُجنة

الليل الذي لا يزول...

والقلب... يبحث عن حبيبه، يجوب الطرقات

باحثاً عن رجل كان أمانها يوماً..

فأنت هي وتخلت عن أمانها بسبب غبائها...

فعلتها الفادحة التي نكأت جرحه..

أدمت كرامته..

فكان القرار هو التخلي..

وهي لا تلومه..

صدقاً لا تلومه..

من يستحق اللوم هي..

هي من باعت نفسها دون مقابل..

هي من دفعت نفسها إلى الدرك.

محتجزة به... لا تقوى على الفرار...



أحكم القدر طوقه من حولها...

ومن ثم...

أخرج من جعبته أسوء عقاب عما اقترفته في

حق أهلها وحق نفسها وحق الرجل الوحيد

الذي أحبها بصدق...

جسدها يُهان بنظرات قذرة..

وأذناها تصرخان أعتراضاً على كلمات خادشة..

عينان حزينتان أصبحتا لوحة للخوف والترقب..

أنها تموت ببطء، وهذا أسوء عقاب..

لقاءها القاسي مع أمجد قتلها...

ذبح قلبها في غمضة عين..

بكت... صرخت.. لامت نفسها...

نعم...



إنه نفس الشعور الذي يكتنفك حين يأخذك سحر
البدايات فتجرف إلى طريق وعر... وأنت تدرك
قسوة وعورته..

ومن ثم سقطة، وأنفجار الدماء من جسدك..
سقطة عقبها خمود..

سقطة لم تكن سوى كلمة النهاية...

وحين تأتيك فرصة لتسرق فرصة واحدة قبل
الاستسلام تسرع نحوها لاهثاً...

ترتشف كل كلمة... كل نظرة..

فالنهاية تقترب، والساتر أوشك على الانسداد..

أما هي في وقفاتها على خشبة المسرح تشعر
بأرضه تهتز من تحتها...

أما هو فيقف أمامها متماسكاً...



يزين ظهره سكين الغدر الذي قامت بطعنه

به...

وها هي سقطت ولم يكن بنيتها الوقوف...

يكفي هذا...

يكفي...

انتفضت جود شاهقة حين اقتحمت تمارا

المطبخ هاتفة بحنق :

_جود، لماذا تبكين؟؟؟

مسحت جود دموعها بظاهر كفها، ثم اغتصبت

ابتسامة باهتة على شفثيها لتقول بنبرة

متحشجة :

_لا شيء، أشتقت إلى يونس وأبي فقط..

وكانت محقة !

فهي فعلا كانت تتوي زيارتهم..



تنوي الاعتذار...

لكن صورتها المدنسة وهي تهرب من بيتها

فجر يوم غاب يونس فيه ليصلي الفجر

بالمسجد..

وأبيها يصلي بغرفته..

و أميرتهم الصغيرة..

كانت تهرب، تهرب لتذبح عنقهما بسكين العار

والخطيئة..

ليتها لم تهرب...

ليتها أدركت أن نظرة يونس لمهاب كانت

حقيقية...

لكن هي...

سيطر عليها حماس البدايات..



ونشوة حقيرة دفعتها قسراً لتسقط من سرح

أحلامها الشاهق إلى القاع..

قاعٌ كانت تخشى الاصطدام بأرضه فاحترقت

بناره !

ضاقت عينا تمارا الذابلتين بعدم تصديق،

فهربت جود من نظرتها وهي تداعب حافة كوب

القهوة التي باتت تتناوله بشكلٍ مبالغ به، غير

مهمة بالضرر الناجم عما تفعله..

زفرت تمارا بقلّة حيلة، ثم أقتربت منها لتطبع

قبلة هادئة على وجنة جود، ثم ابتعدت وهي

تقول بفتور :

__ سأذهب أنا الآن، زوجي العزيز ينتظرني

بالأسفل...



رعشة اشمزاز عصفت بجسدها، ودموع القهر

تتراقص على جفنيها...

فتماسكت، أغمضت عينيها بهدوء شديد وهي

تفكر...

تمارا لا تحب زوجها هذا الذي يدعى محمود...

بل لا تطيقه من الأساس..

إذا لماذا ألقيت نفسها بجُـبٍ عميق ستخرج منه

فاقد لروحها ???

هي تريد أن تثبت إلى أحدهم بأنها لا تهتم...

لكنها تهتم وتهتم وتهتم !

أنها تهذي باسمه ؟

"رائف"

تحلم به...

وتقول اسمه بعفوية وسط حديثها عن

محمود...

محمود القدر الذي يتعمد أن يلمح لها تلميحات

قدرة...

يعلم جيداً أن الاعتراض غير مباح بالمرّة...

يعلم ويعلم ويعلم..

أنها تخشى أن تتخلى عنها تمارا أن أعترفت

لها بما يفعله زوجها الذي عُقد قرانه عليها منذ

فترة...

وها هي صديقتها تنتظر حفل الزفاف بفتور...

مرحها تواري خلف غيمة مقبلة..

وعيناها تسافران إليه...

إلى من أحبته فطعن كبريائها...



فتحت جود عينيها بتثاقل، ثم قامت من مكانها

ببطء شديد..

تتجه نحو شيء وقعت عيناها عليه فاشتعلتا

ببريقٍ مخيفٍ...

مدت كفها لتلتقط من يعاقبها على خطأها...

مقص !

مقص قربته من خصلات شعرها الذي يصل إلى

نصف ظهرها، ومن ثم في طرفة عين كانت

خصلاتها تسقط إلى الأرض بعد أن حملتها

ذرات الهواء بحسرة...

خُصلة...

ثم الثانية..

ومن ثم أصبح شعرها الطويل يتعدى أذنيها

بقليل...



دموعها تنهمر على وجنتيها الشاحبتين دون

توقف...

وقلبها يحتضر ألماً...

تلهث بعنفٍ غريبٍ بدا كشهقاتٍ مستتجد...

وعيناها الحزینتان تحولتا إلى جمرتين

مشتعلتين...

اليوم... هو يوم العقاب...

اليوم يوافق ذكرى التخلي...

يوافق سخافة التمني..

نفس اليوم الذي هربت مع حبيبها المخادع...

نفس اليوم الذي ودعت فيه حياة السكينة..

خلعت ثوبها الشريف لترتدي بدلاً منه ثوب

العار!

وبالرغم من أنه لم يمسها...



لكن العار كلمة لا تحتاج إلى علاقة محرمة...

العار عار وكفى!!!!

نظرت جود إلى شعرها المتساقط أرضاً نظرة

فارغة..

ثم نظرت إلى المقص لثانية..

ومن ثم شهقت شهقة عنيفة وهي تسقط على

ركبتيها أرضاً لتقبض على شعرها بقوة صارخة

ببكاء مقهور تتخذه وسيلة بعد كل مرة تقص

بها شعرها وتنتفض الذكريات لتتراقص

أمامها...

صرخة باكية مقهورة عقبها همسها المتحشرج

"هذه المرة ليست لأجل العقاب على تهوري ،

بل قربانا لقلبك يا أمجد"



ثم جمعت خصلات شعرها التي كانت تغرق
أرض المطبخ، وضعتهم في كيس أسود، ثم
قبضت بكفها على المقص بقوة كبيرة فجرحت
باطن كفها وتسللت الدماء بخبث لتغرق كفها...
الألم بكفها كان شديداً...

لكنها لم تهتم...

فأي ألم جسدي هذا الذي يقارن بألم الفراق...

ألم الندم...

أي ألم !!!

=====

رمشت بعينيها بصعوبة، شاعرة بألمٍ مبرح
يعصف بكل عظام جسدها..

أما رأسها فقد كانت تشعر بصداع فظيع...



وذاك الطنين المزعج يعاود مداهمتها من حين
إلى آخر كلما استسلمت لضعف جسدها وألم
رأسها..

أرهفت السمع جيداً كلما ازداد الطنين بأذنها !!
إنه بكاء امرأة !!!
بكاءً حارقاً، متألماً...

وهناك صوت تأوه مثير للشفقة يعلو من حين
إلى آخر، فانقبض قلب صبا التي بدأ إدراكها
يعود إليها شيء فشيء...

بدءاً من صورها... حتى... هاني!!!!!!
وعندما وصلت أفكارها إلى هذا الخاطر انتفضت
من وضعها صارخة بأول اسم نقله لسانها :
-مروان!!!!-



ومن ثم شعرت بالصقيع يدب بجسدها فجأة
حين أدركت أنها كانت نائمة أرضاً على أرض
الغرفة الخشن...

لكنها لم تهتم بألم جسدها أو برعبها، بل جالت
بعينيها في أنحاء الغرفة بحثاً عن مصدر صوت
بكاء مؤلم..

فوقعت عيناها الحمرأوين على جسدٍ ضئيل
متكوم في ركنٍ بعيد عنها في الغرفة المخيفة،
وحين امعنت النظر في ذاك الجسد وربطت
الخيوط ببعضها.. أدركت أن تلك المرأة التي
تبكي بألم و متكومة بشكلٍ مثير للشفقة هي
غادة!!!!

المسكينة على ما يبدو تلقت معاملة سيئة...



اخفضت صبا نظرها إلى هيئتها فوجدت فستانها
كما هو وحجابها كما هو حتى حذائها الرياضي
لم يمسه أي شيء..

وما زاد دهشتها أنها ليست مقيدة بالحبال مثل
غادة التي كانت تتحب بشكلٍ أرعش قلبها
شفقةً عليها...

لم تستطع أن تمنع نفسها من الاندفاع نحو
غادة التي كانت تغمغم بنبرة مرتعشة من وسط
شهقاتها :

-قولتُ لك يا أبي أنني لا أريد أن أتزوجه،
زوجتي له يا أبي ورحلت بعدها... أنه يعذبني يا
أبي، تعال وخذني معك يا أبيبي... آآآآه...
ما تفوهت به ألم صبا بشدة وجعل دموعها
تدفق دون توقف، وصوت تأوها أجفل صبا



نفسها وهي تربت على جسد عادة المرتعد
هاتفه بجزع :

-عادة...عادة ردي عليّ، ماذا فعل بكِ ذاك
ال(...)

لم تستطع عادة أن تنظر إليها بل تابعت بكاءها
وهذيانها وهي تضرب رأسها بالأرض بلحنٍ
رتيب :

-أنا أكرهه، أكرهه يا أبي، ألا يكفيك قهرتِ
وذلي...أنا أكرهه أكرهه وأكره نفسي وأكره
جسدي...وأكره كل البشر...كلهم...

أشفقت صبا عليها بشدة وهي تحاول السيطرة
على ارتجاف جسدها الهستيرى، تحاول التحلي
بالعقل والمنطق بدلاً من غيابها المعتاد
وانهياراتها الغير مرغوب بها...



فهي في موقفٍ لا تحسد عليه، يكفيها بأنها
وبكلِ غباءٍ وضعت مروان في موقفٍ لا يحسد
عليه..

من جهة يبحث عن ابنتها... فلذة كبدها...
ومن جهة أخرى خُطفت زوجته بسبب
غبائها...

ازدادت الدموع كثافة على وجنتيها وهي
تحارب شعورها بالخوف والقهر يجثمان على
صدرها..

فاقتربت أكثر من عادة لتحتضن جزعها
بذراعيها تحاول أن تعدل جسدها... لكن ما أن
ضغطت على ذراعيّ غادة حتى صرخت الأخيرة
بألم وهي تهمس بتأوه :



-لا يا صبا، لا تلمسي جسدي لا يوجد به جزء

سليم !!

عقدت صبا حاجبيها بشدة وهي تخفض عينيها

إلى جسد غادة فهالها ما رأته !!

ملابسها ممزقة بشكلٍ موحش، وذراعيها

البيضاوين يزينهما علامات زرقاء تدل على

صعوبة ما تعرضت له وكم العنف الذي تعرضت

له، فهتفت صبا بصدمة وقد شعرت بقلبها

يتلوى ألماً :

-بماذا ضربك الحيوان؟؟؟؟

تأوهت غادة بألمٍ شديد، ثم همست من وسط

بكائها شاعرة بالظلم والألم :

-بمعدن حزامه وخرطوم غليظ....



ارتعشت شفتا صبا بشدة وهي تنظر إلى جسد

غادة الخامد على أرض الغرفة الباردة...

غادة التي كانت كالجثة!!

كمن تم تحضيره ليتم دفنه!!

قدميها يربطهما حبل سميك بشدة لاحظتها،

وكفيها يربطهما حبلًا مماثلاً لكن ما ألمها أنهما

مربوطتان خلف ظهرها بشكل مؤلم لمن

يراها...

وما زاد من صدمة صبا هو أن نصفها العلوي

تقريباً مربوطاً بحبلٍ طويل التف حول جذعها

عدة مرات..

ومن ثم تم القاءها على أرض الغرفة لتستقر

على ظهرها في وضعٍ غير مريح بالمرّة، فقد

كانت تنام بالمعنى الحرفي على ذراعيها!



منظرها...

بكاءها الذي يقطع نياط القلب...

ووجها الذي يملأه الكدمات الموحشة...

ونظرة الإنكسار بعينيها...

كانوا كنصل خنجر حاد اخترق قلب صبا فجأة

فأدماه..

كان كل منهم يثير خوفها... رعبها، ارتعاشها...

يعزز طبيعتها المرتعبة والخائفة دائماً..

يثير مقلتيها للدموع وقد نضب نهر العسل

بيهما...

الخوف... والقهر... على نفسها وعلى ابنتها

وعلى مروان..

يكادا أن يصيبها بالاختناق!!!

وفجأة...



شعرت صبا بقبضة وهمية تصفعها على وجهها
موبخة..

انتبهي، وتصرفي بذكاء امرأة حكيمة..

فأنتِ من أوقعتِ نفسك بهذه المشكلة..

وعليكِ تكبيل خوفك ووحوش القهر بداخلك..

تحلي بالشجاعة لأجل ابنتك..

اقهري الخوف لأجل نفسك...

اجبري نفسك على التصرف بحكمة

لأجل... مروان !

فأنتِ تحملين اسمه وأن حدث أي شيء

سيتحمله هو..

وأهم من كل هذا... هو أنكِ في اختبارٍ صعب

جداً...

أما أن تثبتِ لنفسك أنكِ تغيرتِ بالفعل ..



أو....

ينسدل سائر النهاية معلناً عن إنتهاء المسرحية

بموت البطلة حية..

و انكسار البطل !!!

اغمضت صبا عينيها لبرهة تلملم شتات نفسها،

ثم لم تلبث أن فتحتها ونظرت إلى غادة التي لا

زالت تضرب رأسها بالأرض، فأسرعت صبا

تمنعها هاتفة بحزم :

-توقفي يا غادة، أنتِ تؤذنين نفسك، توقفي!

ثم أمسكت برأسها ووضعتها على ركبتيها،

فنظرت غادة لها من وراء غيمة دموعها

هامسة بصوتٍ ينضح ألماً :

-أريد أن أذهب إلى أبي يا صبا، بثّ لا أطيق

نفسي، أريد أن أموت...خارت قواي ولم يعد



لدي أي طاقة لتحمل أي تصرف سادي

آخر... تعبت... تعبت...

انهمرت دموع صبا بشدة وهي تشعر بكلمات

غادة تتكأ جرحها الصداً دون رحمة..

وبالرغم من تعجبها بعدم ربطها أو تعذيبها مثل

غادة، إلا أنها شكرت ربها بأن إحداهما تعي ما

يحدث فتلك المسكينة غادة تكاد تكون جسد بلا

روح...

رفعت صبا كفها المرتعش لتمسد على شعر

غادة هاتفة بثبات يناقض وحوش رعبها

وخوفها :

- غادة، أرجوكِ تماسكي... أرجوكِ!!



لم يأتيها أي رد من عادة التي أسبلت جفنيها
بألمٍ شديد ودموعها تغرق وجهها الشاحب،
فأرتعبت صبا فقد ظنت أنها ماتت...
فأسرعت تفحص نبضها الذي كان ضعيفاً
جداً... جداً فشعرت بأنها النهاية...
لم تستطع صبا أن تتحكم في نفسها أكثر من
ذلك، فقد انفجرت في بكاءٍ عنيف وهي تكتم
فمها بكفيها...
الخوف على جميلة يقتلها...
والندم الشديد على ما أقدمت عليه بكل غياب
دون تفكير يخنقها..
"يا لعذابك يا مروان بسببي !!!"



جملة همست بها بآلم وخوف وهي تكتم فمها

بكف وكفها الآخر كانت تمسد به على شعر

غادة بحنان يناقض ارتعاشه!!

في إحدى الغرف الأخرى...

نظر هاني إلى ساعة معصمه بعينين مشتعلتين،

ثم نظر إلى مساعده وقال :

-لقد مرّ أربعة وعشرون ساعة على اختفائها

بالضبط!، هل وصلت لكم أي معلومات عن

مروان ???

نظر الرجل له بعينين تبرقان بشرٍ، ثم هتف

وهو يقهقه، فاهتزت عضلات جسده الضخم :

-لا...زوجها المغفل كان يظن أن تدخل الشرطة

ودعمها له سيساعده...لكن عندي سؤالاً

فضولياً...



مط هاني شفّتيه بمللٍ وهو يختلس النظرات إلى
الغرفة التي قام بحجز صبا وغادة بهما، يتوق
لرؤيتها...وبشدة..

زفر هاني نفساً مشتعلًا، ثم نظر إلى مساعده
وأوماً برأسه سامحاً له، فقال مساعده بنبرة
ساخرة نوعاً :

-لقد أمرتنا بضرورة خطف بنت شقيقك، وأكدت
علينا بأننا أن لم نأتِ بها ستقتلنا، هلا أخبرتني
بعد أذنك...لِمَ لم تأمن مكان البنت جيداً، فقد
وصل مروان لها بالفعل وتمكن من إنقاذها؟؟
برقت عينا هاني بشيطانية وهو يزم شفّتيه
بحزنٍ مصطنع، ثم هتف ساخراً :



-لم يكن هدفي من الأساس جميلة، هدفي كان أم

جميلة، كما أنني لن استفاد من جميلة أي

شيء... فقط أردت أن اوشمه بختم هاني!....

صمت هاني لبرهة وهو يبتسم ابتسامة سمجة،

ثم أضاف بتشفٍ :

-فكر أنت... ما هو شعورك حين تُخطف منك

طفلة تعتبرها ابنتك في طرفة عين، ومن ثم

زوجتك... إهانة كبيرة في حق أي رجل بالتأكيد!

ابتسم مساعده بخبثٍ، ثم غمز بعينه هاتفاً :

-والآن ماذا سنفعل معهما؟؟؟

برقت عينا هاني ببريقٍ مخيف، ثم استدار

وتقدم نحو الغرفة المنشودة وهو يهتف بنبرة

شريرة:



-سأدخل لهما وستقوم بتصوير الحدث كي يصل

له في بث مباشر كما أخبرناه في رسالة،

وبعدها سنلقيهما في الصحراء حيث السكون

والصمت القاتل...فليهنأ بهما إذاً لكن

ك"جتين"

ثم فتح الباب ودلف...

شفتيه تبتسمان ابتسامة مقيته، والبريق بعينيه

مخيف قاتل...

انتفضت صبا الجالسة مكانها مجفلة من دخوله

المفاجئ...

وكرد فعل بدا عفويأ وجدت نفسها تحيط جسد

غادة الواهن بعد أن فشلت في فكه بحماية

شديدة..



فلم يكن منه سوى قهقهة بغیضة اصابتها

بالنفور...

أما هو...

الشيطان الخبيث يبتسم...

وابتسامته لم تكن سوى نارٍ حارقة...

نارٌ جعلتها ترفع رأسها بتماسكٍ وتهتف بعنفٍ

صديق :

-ماذا تريد مني ؟؟؟-

لم يمنحها أي ردٍ كإجابة...

بل أشار بكفه إلى مساعدته..

فرفع الأخير هاتفٍ وصوبه نحوها هي وغادة

وهاني المبتسم بتشفٍ

فانعقد حاجباها بتوجسٍ وجل، تحاول فهم ما

يحدث..



فأتى التفسير قاتلاً..

شفرة سكين اجتثت قلبها حين هتف هاني

بتشفٍ :

-مرحبا مروان، ها هي زوجتك...

بهتت ملامحها وارتعشت شفتاها وقد وصلها ما

ينويه...

أنه يريد ذبح كبريائه...

ذبح كرامته...

يريد حرقه بنار حارقة..

نار اشتعلت بداخلها وهي تنظر إلى الهاتف

بتشتت وعينين متبلدتين...

أما على الجهة الأخرى...

حيث الزوج الغاضب...



الزوج الذي يجلس كالنساء يشاهد مقطعاً
مصوراً لزوجته وهي في قبضة آخر...
يغطي فكه بقبضته القوية...
عيناه حمراوان بشكلٍ مُخيف...
أما ملامحه... فكانت سوداء...
سوداء حد الخوف...
يجز على أسنانه بقوة شديدة...
شاعرا بناره الموحشة يزداد لهيبها...
والقهر يمارس سطوته على قلبٍ أرهقه الألم
والخوف والقلق...
وقعت عيناه المهترتان عليها...
جالسة في ركنٍ بعيد تنظر إلى أحقر رجل على
وجه الأرض نظرة باردة...
تدعي الصلابة...



لكن هو يعرفها، يعرف من سكنت الفؤاد منذ أبد

الدهر..

خائفة...

هي خائفة وهو يشعر بها...

وحين أمعن النظر في الجسد المستكين بين

ذراعيها اتسعت عيناه بصدمة وألم...

أنها عادة !

عادة المسكينة التي لم ترَ في حياتها سوى

الذل...

جسدها مستكين بسلام لا يتناسب مع الطريقة

السادية التي تم ربطها بها...

زمجرة غاضبة خرجت منه وهو يضرب ساق

الطاولة أمامه بعنفٍ، فتراجعت واصطدمت بقدم

الضابط الذي كان يتابع ما يحدث بصبر...



مقدراً ما يمر به...

لكن تدخله كان ضرورياً، فهتف بحزم :

-اهدأ يا مروان لو سمحت...

هل يمزح؟؟؟

هل يمزح معه أم ماذا؟؟؟

عن أي هدوء يتحدث؟؟؟

زوجته مخطوفة... يراها من خلف شاشة جامدة

تواجه ثعلب ماهر.

فكيف يهدأ...

الهدوء في هاته اللحظة درب من الخيال...

اقترب هاني من صبا الجالسة أرضاً ببطء، ثم

جثا على عقبه أمامها ومد كفه ليلمس وجنتها

هاتفاً بصوتٍ عالٍ :



لماذا أنتِ هادئة يا صبا؟؟؟، تكلمي، ابكي،

اصرخي كي يسمعك زوجك؟؟

زمجرة متوحشة خرجت من أثين...

خرجت من صبا التي أبعدت وجهها بعنف،

وأخرى خرجت من بين شفتي مروان عقبها

سبة بذينة...

أما هاني فقد اتسعت ابتسامته وهتف بتسل :

-شرس...

-وأنتَ (...)

هتفت بها صبا بشراسة وهي تخدش وجهه

بأظافرها كقطة شرسة، فقبض هاني على

رسغها بقوة أمتها، ثم هوى بكفه الآخر على

وجهها بصفعة تردد صداها في أنحاء الغرفة

كلها...



- لا أعتقد أنك أتيت بي إلى هنا كي تصفني
؟؟؟، أهي عادة أم رغبة في ضربتي؟، ماذا تريد
يا هاني؟....

ارتفع حاجب هاني بإعجاب، ثم غمز بعينه
وهو يجيبها بوقاحة :

_ لا أنكر أنني أريدك... وكلمة أريدك وحدها
تكفي، لكن حقيقة هدفي الأول هو كرامة زوجك
المصون لذا....

وبعد ال "لذا" كان الأصعب على مروان...
مروان بوجهٍ خاص؛ حيث اقترب الثعلب من
شفتي الضحية ينوي اقتناصهما...
وقد حدث فعلاً...

حدث ومست شفتاه شفتيها...
فشعر مروان بأنه على وشك الموت...



أنفاسه حُبست وعيناه خرجت من

محجريهما....

ومن ثم صرخة قهر انفلتت من بين شفثيه...

صرخة إثر حريق أشتل بصدرة وأطاح

بقلبه...

صرخة قهر رجل أهينت كرامته...

قهر الرجال كالجحيم..

وهو يحترق في جحيمه...

والتمعت الدموع بعينيه...

من فرط الغضب الألم والقهر...

ومن ثم...

صرخة.. صرخة رجل آخر...

صرخة متألّمة وسبه خادشة انطلقت من بين

شفثي هاني النازفتين !



عضته !

حين لامست شفثاه شفثيها شعرت صبا بالإهانة

والقهر يخنقان روحها...

وما زاد تقززها ورفضها وقهرها أن زوجها

يرى ما يحدث..

مقهور، مكسور وهي تعلم...

قهرها أمام قهره دفعها لتنتقم...

احتجرت شفثيه بين اسنانها تضغط عليهما

بقوة وقهر وذل وهو يئن بألم...

مذاق دمائه بفمها أمتعها...

فتشبثت بشفثيه أكثر تضغط وتضغط وتضغط

حتى أن مساعده لم ينجح في أبعادها...

مذاق دمه المدنس مغر...

هي تنتقم الآن بطريقة سهلة..



تنتقم لنفسها ولزوجها وحبیبها الذي كان يراقب

رد فعلها العنيف...

لهتت بعنفٍ من فرط الانفعال والقهر والغضب

الأهوج...

حررت شفتيه بابتسامة متلذذة متشفية...

تراقب الدماء على شفتيه وتسمح دمائه من

فمها بتقرز...

تألم هاني بصوتٍ مسموع وهو يكلم فمه

الدامي بينما سيل من الشتائم الخادشة للحياء

صرخ بها بتألم وحشي..

اتسعت ابتسامة صبا المتشفية ابتسامة أدهشت

مروان الذي كان يتحرك في الغرفة كأسد

حبيس...

هتفت صبا بتشفٍ وهي تمسح شفتيها بعنفٍ :



-ها قد ثارت لنفسي في نفس ذات اللحظة... وأن

اقتربت مرة أخرى ستكون الضاربة الثانية لن

تتحمل ألمها...

نبرتها القوية كانت مجرد قشرة..

قشرة تخفي تحتها نهر من الدموع..

وخوف هائل..

رعب قاتل...

وألم شعرت به برأسها حين ضربها هاني بعصا

غليظة على رأسها فامتزجت صرختان يفصل

بينهما أميال وأميال...

صرخة صبا المتألمة عقبها إغماءة ودماء

ظهرت من حجابها الفاتح...

وصرخة أخرى...قوية..

متألمة...



صرخة ممتزجة بدمعة ساخنة أحرقت

وجنته....

صرخة مروان التي شقت سكون الليل

"سأقتللك"

ومن ثم أنقطع البث فجأة فتوقف نبض قلبه...

صورتها الأخيرة تتراءى أمام عينيه

الدامعتين...

يتصور أسوأ التوقعات عن خطوة هاني

القادمة...

هتاف جاد جاء من خلفه...

ضابط آخر غير الذي كان بالغرفة يهتف بجدية

شديدة :

-لقد تم تحديد مكان الهاتف وشريحة صبا

ومروان في مكان واحد !





تلك الابتسامة التي تزين وجهها كلما رآته

أمامها غريبة!!

راحة غريبة تسيطر عليها كلما تحدثت معه..

كلما سألها عن حالها..

كلما وبخها..

كلما عنفها على عصبيتها المبالغ فيها..

حتى عصبيته كلما تمردت على شيء ما

تشعرها بالتسل..

زمت شفيتها بقوة حتى تمنع نفسها عن

الابتسام بوهن وهي تقف امامه كتلميذة

مهذبة..

فنظر لها نظرة غاضبة، ثم صاح بوجهها موبخاً

:



- أنتِ مُصرّةٌ مسِ مروجِ علي التصرف

بتهور!!!

عضت شفتيها بتوتر سيطر عليها حين أدركت

أنه غاضب بالفعل، فازدردت ريقها، ثم رفعت

ذقنها بثبات مصطنع لتهتف :

- أعترف أنني أخطأت مستر إياد، كان يجب عليّ

أن أتصرف بتعقل !

زفر إياد بغیظ وهو يهز ساقه بعصبية، يحدجها

بنظرات كانت ترعبها، لكنها تمسكت بقشرة

الصلابة التي تتخذها كدرعٍ واقٍ، لكن إياد لم

يعد يتحمل دور مدير المدرسة الصارم، فقد كان

يشتعل غضباً، فضرب سطح المكتب بقوة

فانتفضت مروج مكانها وهي تنظر إليه بذهول



من انفعاله، أما هو فقد انفرجت شفتاه ليهتف

بغضبٍ :

-لقد حذرتك من والد أمير بالذات يا مروج

وأخبرتك بأنه رجل عصبي لا يطيق حتى

نفسه...لكن أنتِ برأسك اليابس هذا عاندتِ معي

وكسرتِ كلمتي كما أريد أن أكسر رأسك اليابس

هذا، هل أنتِ طفلة بالله عليك لتفعلني ما فعلته،

جعلتِ من لا يسوى يتعدى عليكِ بكل قلة أدب

بسبب عنادك...

احتقن وجه مروج بحرج من تعنيفه لها،

فأطرقت برأسها بخجلٍ وهي تشبك اصابعها

خلف ظهرها فبدت كطفلة تتلقى من والدها

تعنيف شديد عما فعلته...



هي تعترف أن تصرفها كان متهوراً نوعاً مع
علمها بأن والد أمير رجل عصبي وبشدة...
لكن في لحظة غضب وقليل من فقدان السيطرة
على النفس تهورت حتى وصل الشجار إلى
تعدي بعد أن قبض والد أمير على ذراعها بقوة
وصار يصرخ بطريقة ارعبتها...
قبل نصف ساعة...

كانت مروج تشرح إلى طفلٍ في كتابه بأسلوبٍ
سلس وهي تداعب خصلات شعره، ثم ختمت
شرحها البسيط قائلة بابتسامة حنونة :
-رائع جداً، لقد فهمت ما أشرحه لك بسهولة..
ابتسم الطفل بسعادة وهو يصفق بكفيه وقال :
-شكراً جداً...



ثم أبتعد عنها وهو ينظر إلي كتابه شاعرا بفخر
طفولي..

أما مروج فقد كانت تشعر بتعب غريب وهي

تسند رأسها إلى كفها تفكر...

لقد مر على عملها هنا شهر تقريبا..

فأصبح يومها مشغولا دائما...

بين دراستها وامتحاناتها التي توشك على

البدء...

وبين عملها هنا في المدرسة..

تشعر بأنها باتت مسؤولة عن أشياء كثيرة

فجأة..

وما يزيد الضغط عليها هو تغير أمجد وتوقعه

على نفسه فجأة..



تعلم أن الانتكاسة التي تعرض لها سببها شيء
ليس بالسهل...

تهدت مروج بتعب، ثم لم تلبث أن عقدت
حاجبيها باستغراب حين سمعت صوت طرق
على باب الغرفة، فنظرت إلى ساعة معصمها
لتجد موعد انتهاء اليوم الدراسي لم يأت بعد،
فدفعت نظارتها الطبية بسبابتها بعد أن أجبرها
أمجد على ارتدائها...

فتحت الباب بحزم، فأطل عليها رجل طويل
يمتلك عضلات مبالغ بها، فرمشت بعينيها بعدم
فهم لسبب وجوده في القسم المنفصل الخاص
بالروضة، فهتفت بتهذيب مستفسرة :
- هل هناك شيء ؟؟؟، ماذا تريد ؟؟



نظر لها الرجل بعدم رضا عن أسلوبها البارد،
فأبعد نظارته الشمسية بحركة مختالة، ثم نظر

لها باستخفاف وهتف بتهكم :

طريقتك مُهذبة جدا يا آنسة....

اشتعلت عينا مروج واعتدلت في وقفها بتحفز،

فأضاف الرجل بلهجة لم تعجبها :

-أريد أمير، أنا والده..

رفعت مروج شفيتها بامتعاض وقد تذكرت

تحذير إياد بشأن هذا الرجل، لذا فلم تجد بدا من

التعامل بتهذيب كي لا تخالف أوامر إياد :

لم يأتِ موعد رحيله بعد سيادتك، لكن إن

رغبت بأن تأخذه فلتأخذ الإذن من مستر إياد

أولاً...



لوى الرجل عنقه، ثم هتف بلهجة مهينة جعلت

بركان الغضب بداخلها ينفجر :

-أنا لا آخذ الإذن من أحد يا...أنتِ، أريد أمير

حالا...

صرخ بجملته الأخيرة بوجهها، فانفلتت

اعصابها وتغلبت عليها طبيعتها العصبية،

فصاحت بوجهه وهي تلوح بكفها :

-هذه مسؤولية يا أستاذ، طلبت منك أن تأخذ

الإذن من مستر إياد أولاً، لا أعرف لماذا

تتصرف بقلة ذوق؟؟

امتقع وجه الرجل وجحظت عيناه بشدة،

فازدردت مروج ريقها بتوتر شديد من هيئته،

ثم لم تلبث أن شهقت شهقة أشبه بصرخة



متألمه حين قبض الرجل على ذراعها بقوة
صارخاً بنبرة جعلت الرعب يدب بأوردتها :
-أنتِ قليلة أدب...وغير محترمة...-

شحب وجه مروج بشدة ودمعت عيناها بحرج
حين خرج جميع زملائها مصدومين مما
يحدث..

حتى أن بعض زميلاتها شهقن صدمة حين
وقعت أعينهم على والد أمير وهو يقبض على
ذراع مروج بشدة وكانت الأخيرة شاحبة الوجه
دامعة العينين تشعر بالإهانة...

جز والد أمير على اسنانه، ثم هدر بوجهها
الشاحب :



-قلتُ لكِ أريد أمير... لكن أنتِ من مثلتِ عليّ
دور المعلمة الحازمة... ها أنتِ جعلتني اهينك
أمام طلابك و زملائك...-

تدخلت زميلة لها تقول بغضبٍ صادق بعد أن
شعرت بخوف مروج من هيئة والد أمير :
-هذا لا يصح سيدي، ابعدي يدك عنها...
نظر والد أمير إليها بطرف عينيه، ثم أعاد نظره
إلى مروج التي كانت تعافر كي تخلص ذراعها
من قبضته الحديدية، ثم لم تلبث أن صرخت
بوجهه باكية :

-ابعدي يدك عني...-

وأثناء صراخها كانت قد ركضت زميلتها نحو
بهو المدرسة الرئيسي وهي تعض على شفيتها
بخوف حقيقي..



وحين وصلت إلى بهو المدرسة أبصرت إياد
الذي كان يتحدث مع مجموعة من الطلاب،
فركضت نحوه مهرولة تكاد تقع...
وما أن وصلت إليه هتفت برعب :
-مستر إياد، والد أمير يتشاجر مع مروج
وتعدى عليها...

انتفض جسد إياد وبرقت عيناه بشكلٍ مخيف، ثم
صرخ وقد اشتعلت مراجل الغضب بداخله :
-ماذا؟؟؟، تعدى عليها...

لم تكذ ترد المعلمة حتى وجدته يركض نحو
الواجهة الخلفية للمدرسة حيث الجزء
المخصص للروضة، وفي خلال دقيقة كان قد
وصل إياد إليهم فالتقطت أذناه صراخ مروج
الباكي :



-ابتعد عني قلت...

وفي لحظة تراجع العقل واشتعل الغضب
بصدره... غضب ممتزج بغيرة حارقة وهو يرى
قبضة ذلك الرجل يقبض على ذراعها بقوة..
فاندفع نحوه هادرا بصوت مخيف :

-ابعد يدك عنها...

أنصدم والد أمير من رد فعل إياد الذي أقرب
منه بوجهٍ محتقن غضباً، وفي لحظة خاطفة
كان إياد يقبض على ذراع الرجل بقوة حتى أن
عينا الرجل قد برقتا واحتقن وجهه بالدم...
فحرر ذراع مروج التي كانت تبكي دون شعور
وهي تنظر إلى ظهر إياد الذي كان يخفيها
كلياً...



وبالرغم من خوفها وشعورها بالتوتر مما حدث
إلى أن وجود إيد ربت على قلبها المذعور مما
تعرضت له وبث بأوردتها الطمأنينة...
ابتعد الرجل عن مروج بدفعة من إيد الذي هدر
بوجهه معنفاً :

- هل فقدت عقلك يا أبا أمير؟؟، كيف تتعدى

عليها؟؟؟؟

حاول والد أمير أن يرد عليه رد يحفظ به ماء
وجهه فقد كان في موقفٍ لا حسد عليه، لكن
تدخل مروج -بعد أن مسحت دموعها بكبرياء-
أخرسه :

-لم أفعل له ش...-



بُتِرَتْ عبارتها حين استدار إِياد إليها ليحدجها
بنظرة اخرستها، نظرة أخبرتها بغضبه وبما لم
يستطع قوله..

عيناها صرختا بوجهها لتخرس...

فأطاعت أمر عيناها وأطرقت برأسها بصمتٍ...
عاد إِياد بنظره نحو والد أمير الذي كان يشعر
بالحرج والندم الذي صار يتسلل إليه عنوة...
جز إِياد على أسنانه بقوة يحاول كظم غضبه
الأهوج والتحلي بشخصية المدير الحازم.. فهتف
بصوت مخيف بينما باقي المعلمات قد شرعوا
في إدخال الأطفال المرتعبة من الموقف
والصراخ :

- هل تعلم فداحة ما فعلته ؟؟؟، لقد تعديت على

امرأة... على موظفة....



احتقن وجه الرجل بحرجٍ وقد أدرك فعلا فداحة
ما فعله، لكن غضبه أعماه، ولم يدرك بأنه أوقع
نفسه في خطأ لا يغتفر...

ازدرد الأخير ريقه بتوتر، ثم انفرجت شفتاه بهمّ
بالتبرير، لكن إياد تركه فجأة، ثم التفت إلى
المعلمات هادراً بحزم :

-فليذهب كلن منكن إلى عمله...-

لهجته كانت قاطعة، لا تقبل أي نقاش فأسرعن
في إطاعة أمره بالرغم من فضولهم الشديد
لمعرفة ماذا سيحدث..

أما مروج فقد كانت تشعر بالخوف والحيرة
والقلق ينهشان صدرها، وما كان يؤلمها هو
شعورها بأنها أهينت، وحين صرخ بهم إياد



ليعودوا إلى عملهم ترددت، لم تعلم هل أمره
هذا يخصها أم لا...

ولم تكذ أن تلتفت لترحل حتى أتاها هتاف إياد
الصارم ؛

-تعالى إلى مكتبي !

أرتجف قلبها بطريقة غريبة، وشعرت بالدموع

تلسع جفنيها وهي تنظر إليه نظرة

حزينة...مضطربة، حتى أنه قد شعر بألم شديد

يغزو قلبه حين شعر بخوفها ورأى دموعها

تداعب جفنيها، لكنه تحكم بنفسه وأعاد ما قاله

مرة أخرى :

-إلى مكتبي يا مس مروج بعد اذنك !!

أسرعت مروج بالتحرك نحو مكتبه وهي تمسح

دموعها بظاهر كفها بعد أن أبعدت نظارتها



الرخيصة عن عينيها الحمراءوين...تهرول في
الرواق الواسع، شاعرة بشيء غريب
يكتنفها...

ربما خوف...أو قلق...

أو شيء ثالث لا تعرف كنهه...

سحب إياد نفساً عميقاً عنه يهدأ الحريق
المشتعل بداخله، عنه يجثم على بركانه المتفاقم
ليمنع انفجاره..

ومن ثم نظر إلى الرجل الذي كان يجز على
اسنانه غضبا وغيظاً من نفسه..

هتف إياد بنبرة حادة :

-سيد ممدوح لقد تخطيت حدودك، وما فعلته لن
يمر على خير...من فضلك خذ أمير وابعثه مع



السائق الخاص بك، ثم ألحق بي بمكتبي لنناقش
ما حدث...

ثم حدجه بنظرة جمدت الدم بممدوح الذي أشاح
بوجهه بحنقٍ وعض على شفثيه السفلى بتوتر،
بينما استدار إياد مبتعدا بعد أن أمر إحدى
المعلمات بأن تقف بدلاً من مروج، واتجه نحو
مكتبه....

عادت مروج إلى أرض الواقع حين هدر إياد
بوجهها بنبرة ارعبتها :

-أنا تعبت منك ومن عنادك، إلى متى
ستتصرفين كطفلة متهورة؟؟؟، وبمناسبة
التهور...

قطع جملته بعمد وهو يستقيم واقفاً، ثم دار
حول مكتبه ليقف أمامها مباشرة، فشعرت



مروج بالارتباك من قربته والترقب انتظاراً، لكن

ما فعله إياد بعد وقوفه ادهشها...

فقد أقترب بوجهه منها في حركة مباغته، فارتد

وجهها إلى الخلف وطالعته بعينين متسعيتين

صدمة، أما هو فلم يجفل بل نظر بعينيه

الغاضبتين إلى عمق عينيها هاتفاً بغيظ وغضب

:

لماذا لم تصفِعه على وجهه حين تطاول

عليك؟؟؟، ألم تتصرفي بتهور وتطاولتِ عليه

بلسانك؟؟؟، لماذا لم تستخدمي تهورك في

موضعه الصحيح؟؟؟، لماذا سمحتِ له بلمس

ذراعك؟؟؟؟

كلامه أربكها، غضبه المتوهج بمقلتيه أجم

لسانها، سؤاله الأخير أصاب قلبها برعشة

غريبة، أما عيناها فقد اهتزتا وارتعشت
شفتاها، فاشاحات بوجهها عن وجهه الغاضب،
ثم هتفت بحشجة باكية :

-تفاجأت برد فعله كما أن خطأي ليس بهذه
البشاعة يا إياد، لم أقل له سوى أنه قليل
الذوق...كما أن طريقته معي كانت مُهينة، لقد
شُلت أطرافي وتوقف عقلي عن العمل حين
قبض على ذراعي...بغض النظر عن أي شيء..
صمتت تلهث بشدة وهي تمسح أنفها الأحمر
بمنديل جراء إصابتها بنزلة برد ليلة أمس، ثم
ازدردت ريقها وأضافت بنفس النبرة التي آلمت
قلب إياد الذي كان يطالعها عابساً :
-أنا آسفة، وسأعتذر له !



استعر لهيب الغضب بعيني إياد الذي لم يتراجع
عن وقفته القريبة منها، خنوعها أغضبه...
لم يعجبه نبرة الأنكسار بصوتها..
حتى عرضها الثمين بأن تعتذر لممدوح كان
رافضاً له وبشدة، لذا فهتافه الصارم رداً على
جملتها كان ضرورياً :

-لن تعتذري إلي أحد يا مروج، حين يأتي
الأستاذ زفت...أقصد ممدوح لن تتحدثي أبداً..
صمت قليلاً وهو يراقب سقوط دموعها دون
توقف عابساً، ثم أضاف بصرامة:
-أريني إياه !

لم تفهم ماذا يقصد، فرفعت عينيها له
باستفسار، فراقب إياد احمرار وجهها عابساً،
حاجباه منعقدان، وشفثاه مضمومتان بشدة



يحاول كظم سيل الشتائم الموجهة لذلك

المتعجرف الذي يدعى ممدوح...

حين لم يوضح إياد ماذا يقصد، سألته مروج

بتوجس :

-ماذا تقصد؟؟

عض إياد باطن خده بقوة يمنع نفسه عن أفعال

غير جيدة بالمرّة، وبدلاً من تنفيذ ما يفكر به،

رد على سؤالها موضحاً دون أن يرف له جفن

:

-ذراعك، أريني إياه !

اتسعت عيناها العسليتان مبهوتةً، وارتفع

حاجبها بشدة حتى كاد أن يصافح مقدمة

رأسها، ثم لم تلبث أن هتفت برفض مرتبكة وقد

احمرت وجنتاها :



-لا، لا يصح مستر إِيَاد، فأنا...

-قلت أريد أن أرى ذراعك مس مروج، فأنت
كنت ترفعين كميّ سترتك حتى منتصف ذراعك
حين كنتِ في الفصل وقد لمحت بالفعل أثر كدمة
برسغك، وها قد أنزلتِ كميّ السترة حتى لا
يلاحظ احد..أريني إياه..

كانت نبرته حادة، لا تقبل النقاش، إلا أن خجلها
منعها، أو ربما حرجها من الكدمة الزرقاء التي
كانت تزين رسغها...

أطرقت برأسها أرضاً، فطالعتها من علو
بسترتها الجينز التي كانت بلون كحلي باهت،
وفستان لم يتعد ركبتيها باللون النبيذي تحته
بنطال من نفس لون السترة، شعرها جمعته



بمشبك للأعلى فتدلت أطرافه البنية على

الجانبيين...

أنها تبدو كطفلة، وهو يبدو كمن أخرجه قسراً
من أحد القصص الخيالية بملابسه الغريبة، فقد

كان يرتدي بنطالاً ضيقاً من اللون الجملي

وفوقه قميص أسود ملتصق بعضلاته،

وللصدفة البحتة كان يرتدي نظارة طبية هو

الأخر، لكن الفارق بالتأكيد شاسع..

فنظارته بإطارها الأسود اللامع باهظة الثمن،

بينما خاصتها فقد كان ثمنها رخيص

جداً... لكنها لم تكن مستاءة...

خرجا من شرودهما عنوة حين تعالى صوت

طرق قوي نوعاً على باب غرفة المكتب، فعاد



إياد إلى مكانه بهدوء شديد أثار دهشتها، ثم

ارتفع صوته ليسمح للطارق بالدخول...

اعتدلت مروج في وقفها بعد أن مسحت

وجهها ووقفت بشموخ كاذب..

دخل ممدوح إلى الغرفة بلامح هادئة نوعاً،

وتقدم نحوها متحاشياً النظر إلى مروج التي

كانت تشتعل غضباً وغيظاً منه..

جلس ممدوح على الكرسي الموجود أمام مكتب

إياد الذي كان يرمقه بنظرات لو كانت تقتل

لقتلته، فلاحظ ممدوح أن غضبه مختلف، لكنه

لم يهتم، فاعتدل في جلسته، ثم قال بوجهٍ

عابس دون أن ينظر إلى مروج :

-أنا آسف آنسة مروج !



ارتفع حاجب مروج وتدلى فكها مشدوهة من
اعتذاره...

هل يتحول هذا الرجل أم ماذا؟؟؟
أما إيد لم يبدُ عليه أنه تفاجأ بل أن ارتفعت
شفتاه العليا بشبه ابتسامة ساخرة، أما ممدوح
فقد أطرق برأسه أرضاً ثم أضاف موضحاً :
_ أنا لم أقصد أي إهانة يا آنسة، لكن سيادتك
أثرتِ عصبيتي المبالغ بها، أنا أعتذر لكِ مرة
أخرى على تطاولي عليكِ لقد فقدت أعصابي !
كان يتحدث بحرج شديد بالرغم من عبوس
ملامحه فهو كان في موقف لا يحسد عليه،
وبالرغم من غضب مروج ومن شعورها بأنها
تعرضت إلى إهانة شديدة إلا أنها لم تجد رداً
مناسباً.. وقبل أن تتفرج شفتاها كانت قد



اختلست نظرة سريعة إلى إياد الذي بدا لها أنه

ينتظر ردها :

- لا بأس سيدي فأحياناً الغضب يعمينا ويجعل

منا متهورين، لكن سيدي لا تجعل غضبك

يفقدك احترامك لنفسك، فأنتَ بالفعل تعديت على

امرأة...حاول أن تتحكم في غضبك...

ردها أعجب إياد، فقد أخرجته بكل أدب وهذا ما

أعجبه، أما ممدوح فقد شعر بالدماء تُسحب من

وجهه، ولسعت كلماتها رأسه كالنحل..

فازدرد ريقه بحرج، ثم نظر إلى إياد الجالس

على مقعده صامتاً، فغمغم ممدوح بصوت مهتز

:

-أستاذ إياد، أنا أعتذر لك على ما بدر مني، أنتَ

تعلم أنني شديد الغضب وسريع الأنفعال..



-لا يوجد لدي أي رد، فأستاذة مروج قالت ما
كنت أنوي أن أقوله...وبعد أذن سيادتك حين
تأتي إلى هنا توجه إلى مكثبي مباشرة...
أوما ممدوح برأسه بخرج، ثم انتصب واقفاً
وتقدم نحو باب الغرفة ليخرج..
وحين أغلق باب الغرفة خلفه بهدوء، استدارت
مروج على عقبها بسرعة بعد أن أدركت بأن
وقت خروجها قد فات كما أن أمجد لن يأتي
اليوم ليعيدها إلى البيت كما يفعل كل يومٍ منذ أن
عملت هنا خوفاً عليها من طول المسافة وهدوء
المنطقة المحيطة بالمدرسة...
أسرعت من خطاها تنوي أخذ حقيبتها



..ومن ثم نزلت إلى الدور الأرضي لتخرج إلى
الشارع الرئيسي تفكر هل تستقل سيارة
جماعية أم سيارة أجرة وحدها "تاكسي"..
رجحت الأولى ورفضت الثانية نظراً لمصروفها
وأنها تريد أن توفر منه الكثير كي تصرف على
نفسها..

زمت شفيتها وهي تقف على الرصيف تفكر...
فلم تشهر بوقوف إيد خلفها، فتأملها الأخير
ملياً، ثم هتف على حين غرة منها فشهقت
مفروعة:

-بالتأكيد لن تعودي وحدك...-

استدارت مروج خلفها بلهفة لم تدركها، فهي
في الأونة الأخيرة باتت تتلهف لرؤيته وتبتسم
تلقائياً كلما ذكر أمجد سيرته أمامها..



هتفت مروج بدهشة ترد على جملته :

-سأستقل سيارة جماعية، لماذا أتيت خلفي ???

نظر إياد إليها ببرود عاد يعترني ملامحه مرة

أخرى وكأنه يريد أن يداري أنفعاله و غضبه

جاء ما حدث..

رد إياد ببساطة :

-أتيت لأقول لك بأنني سأقلك حتى قبل الحي

الذي تسكنين به بشارعين حتى لا يراك أحد

ويبدأ في إطلاق الشائعات، ولا تقولي لا

فبالتأكيد لن أتركك تعودين وحدك !

بالرغم من فرحتها بخوفه عليها حتى لو كان

يتشبث بالبرود، إلا أنها رفعت ذقنها وقالت

برفض قاطع أثار دهشته :

-عذراً، لن أقبل بعرضك مستر إياد فالمسافة
بعيدة جدا جدا...كما أنني لا أريد أن أجذب
الانتباه لنا يكفي ما حدث...

لم يفهم إياد ماذا تقصد بجملتها الأخيرة، لكنه
تغاضى عن هذه النقطة أو الأصح خشى أن
يكون توقعه صحيح، فهتف بجدية :

-مروج لا تعاندي معي، لقد أتصلت بأمجد
وأخبرته بأنني سأقوم بتوصيلك إلى مكان قريب
جدا من الحي وهو وافق لأن المسافة كبيرة جدا
يا مروج ووجودك في سيارة جماعية وحدك
شيء غير محبذ...

لا تعلم لماذا أصرت على رفضها، ولا تعلم أيضاً
لماذا تشعر بالسعادة كلما شعرت بأنه يخاف

عليها بالفعل، تشعر بأنها حمقاء بلهاء تتصرف
كالمراهقات...

أما هو فقد كان ينتظر إجابتها، يضع كفيه في
جيبه بنطاله، وخصلات شعره الشقراء تداعب
جبينه وإطار نظارته، فبدا أسراً..

تعليق أحق مثلها قالته بسرهما وهي تختلس
نظرة سريعة له...

ثم لم تلبث أن عادت خطوتين إلى الخلف وهي
تقول بحزم أعاظه :

-أسفة، أنا لا أوافق...

ثم استدارت وابتعدت وهي تسير بتمایل دون
قصد وهو يعلم، لكن مشيتها تلك زادت من
غيطه أكثر فشد خصلات شعره بقوة وهتف
بحنق صبياني :



- لماذا تسير بهذه الطريقة؟؟؟، ما هذه الميوعة،

أكره الدلال والميوعة إن كانت هذه صفات

تظهر لشخصٍ غيري..

قالها وهو يقترب من سيارة ينوي الرحيل،

لكن قلبه الذي انقبض فجأة كان له رأياً آخر..

فزم شفتيه بحنق وأغلق باب السيارة مرة

أخرى بعنف... تباً لقلبه وخوفه....

صعدت مروج بحذر فساقها لم تشفَ حتى هاته

اللحظة بشكلٍ تام، ثم جلست على الأريكة فكان

حظها أنها جلست بجوار النافذة، فأسندت

رأسها إلى الزجاج وأغمضت عينيها وهي

تحتضن حقيبتها وكتبها بقوة...

أنها في حالٍ متقلب منذ أسبوع...

تحاصرها الأقاويل القذرة بأنها على علاقة

بشباب غني...

كلمات تُقال بظهرها فتخرقه وتحرق أذناها

حرقاً...

لقد حدث ما ظنته...

بدأت الاتهامات تتكرر وتتزايد واللسان لا

يرحم..

دوما كانت تقول أن اللسان هو مصدر السموم

التي يملكها البشر..

كذبة، إهانة، سبة... تفشي الفتنة بين

البشر... النهش في عرض الفتيات...

نشر الأكاذيب دون تأكيد..



وها هي قد بدأت تسوء سمعتها بين أهل الحي،
ونظرات الاحترام التي كان يشيعها بها شباب
الحي، تبدل بعضها إلى الامتعاض والاحتقار...
لو كان رائف موجودا، لكانت في خبر كان
الآن..

فهي تعرف طبعه الحار، وعصبيته المبالغ
بها...

بعكس أمجد الذي لم يبالي بما يقوله حتى أنه
قال لها بأنه يثق بإياد ثقة عمياء ويثق بها
أيضاً..

وبغض النظر عن الثقة، فأمجد لا يلتفت إلى ما
يُقال من خلف ظهره حتى لا يحتدم الأمر..



فهو كشاب أتى لهما ومعه ثلاث أطفال بمختلف

الأعمار، يعتبر مختلفاً عنهم، ليس من أهل

حيهم....

أما بخصوص إياد فهي لا تعلم حقاً، هل تحركت

مشاعرها تجاهه أم لا...

تأوهت بألم وهي تشعر بالألم حارق في قدمها، ثم

تبعه نفس الألم مكان الكدمة في ذراعها، وقبل

أن تقرر أن تفرد ساقها، شعرت بجسد شخص

ما يحتل الكرسي المجاور لها بالأريكة، فزمت

شفتيها بقوة وهمست وهي تحدث نفسها

"ها قد أتى أحد ليجلس بجواري، للأسف لن

أستطيع أن أفرد ساقى..."

صدر منها تأوهاً خافتاً وهي تدلك جبينها بكفٍ

والكف الأحر كانت تمسح أنفها بالمنديل..



فجز الجالس بجوارها على أسنانه بغيظ
وغضب وهو يختلس لها نظرات سريعة،
فيشتعل صدره ويتافقم غيظه..
فلم يجد بدا مما كان ينتويه، تبالها..
صفر الهاتف في جيب سترة مروج ففتحت
عينيها بتذمر وأخرجته بنصف عين لتقرأ
رسالة إياد

"بالله عليك ماذا تفعلين؟؟، لماذا تتأوهين أنا لا
أعرف، كما أن مظهرك المرهق وميوعتك تلك
تجعلك فريسة سهلة في طريق غير آمن
وسيارة ضيقة، ركبتاي محشورتان بظاهر
الأريكة التي نجلس خلفها..منك لله"
عقدت مروج حاجبيها باستغراب شديد من
رسالته، صارت تعيد قراءة الرسالة مرة تلو



الأخرى كي تفهم، وحين فشلت أسرعت تكتب
له بلهفة لم تخفِ عن الجالس بجوارها في

السيارة

"ماذا تقصد؟، أنا لا أفهم!"

التوت شفتا إياد بامتعاض، ثم رد

"أنا أجلس بجوارك يا عملي الأسود، بجوارك

بالضبط بالسيارة الجماعية التي أصريت أن

تركبها، جنّت خلفك لأطمئن على سيادتك لأن

أمد وصاني عليك وسيادة رأسك اليابس

المبجل أبي الانصياع...قرف"

اتسعت عينا مروج بصدمة، وتدلى فكها ببلاهة،

أيجلس بجوارها بالفعل؟؟

أم أنه يكذب..



حانت منها نظرة مختلصة إلى ذاك الذي يجلس
بجوارها، فوجدته يرتدي نفس ملابس إياد
بالفعل، كما أن ساعة معصمه المميزة
موجودة..

فاتسعت عيناها أكثر حتى كادت أن تخرج من
محجريهما...

لا تصدق أنه جاء خلفها وركب السيارة
الجماعية التي بالتأكيد ليس معتاداً عليها..
شعرت مروج بصخب دقائق قلبها وأرتعشت
أصابعها وهي تحاول أن تكتب
"لم يكن عليك أن تأتي خلفي يا إياد، فأنا
معتادة على هذه الوسيلة، وأخي أمجد أيضاً
يعلم أنني أستقلها"



زفر إياد الجالس بجوارها متخشباً حتى لا
يلمسها يفصل بينهما مسافة قصيرة جداً، أنه
يحدثها كتابةً لأنه لا يريد أن يعلم أحد بأنها
معه، فلربما يعرفها أحد في هذه السيارة وأساء
لسمعتها..

رد إياد بحنق

"لكنه لا يعلم بأنه شقيقته تجلس بالسيارة
وتغمض عينيها بميوعة وتسد رأسها الذي
أتشوق لكسره إلى زجاج السيارة، تتأوه
بخفوت مائع مثلها، تاركة الراح والغادي
الفرصة لتأملها، مائعة "

رفعت مروج حاجبها بدهشة من رسالته
الغريبة، ثم اختلست نظرة سريعة إليه وهي
تكتب



"إياد.. لماذا تتحدث معي بهذه الطريقة وكأنني

أجبرتك بأن تأتي خلفي لتستقل نفس السيارة

وتجلس بجواري كي تحميني من العفاريت يا

حرام؟؟؟، وتحدثني على "الواتساب" أيضاً

وأنت تجلس بجواري"

لوى إياد شفتيه بامتعاض، ثم رد وهو يضرب

بأصابعه على الشاشة بغيظ

"اصمتِ ولا تستفزيني وإلا والله سأضرب

ساقك التي تضايق ساقي المحشورة دون أن

أهتم بوجعك، مائة"

عضت مروج على شفتيها بغيظ شديد، ثم ردت

"إياد، لقد ثبت لي أنك شهم، هي أخرج من

السيارة وأرحل"



انعقد حاجبا إياد عابساً، ثم رد وهو يختلس

نظرة سريعة نحوها

"وأترك لك الفرصة لتتأوهين بميوعة؟، والله

أبدا عيب هذا يا أبله مروج المائعة "

اتسعت عينا مروج مبهوتة وقبضت على

الهاتف بقوة تحاول ألا تلتفت له ثم تصفحه على

وجهه الوسيم بشكلٍ مقرف..

سحبت مروج نفساً عميقاً، ثم همت بالرد على

رسالته بفضاظة..

لكن صوت غليظ خلفها و أصابعه تنقر كتفها

بعنفٍ :

-يا آنسة خذي أجره الركاب بالخلف وارحميني

!



شهقت مروج متفاجئة من طريقته الفظة،
فحدجها إياد بنظرة مخيفة بطرف عينيها،
فازدردت ريقها بسرعة ورفعت كفها تتوي أخذ
الأموال، لكن كف إياد سبقتها حين سحبها من
الرجل بخشونة، ثم هتف بتهذيب :
- سأخذها أنا يا آنسة...

رمشت مروج بعينيها ببلاهة، فتأفف إياد
بصوت عالٍ وهمس بصوت سمعته جيداً
"أريد أن أكسر رأس أحدهم"
انتبهت بأنها كانت تنظر إلى الخلف حيث الرجل
المتجهم، فتزحزحت سترتها وفتحة فستانها
ليظهر عنقها بأكمله وبداية صدرها، فاسرعت
بالاعتدال وأغلقت سترتها بسرعة...



أما إياد فقد كان يشعر بأعراض ذبحة صدرية
وهو يسمع همس شبان مراهقان في الكرسي
الخلفي عن مروج...

- هذه البنت تبدو غريبة، لكنها جميلة... جميلة
جداً...

فهمس لنفسه

"لن أغضب، لن أفقد أعصابي، لن أضربها "
هتف أحد الشابين من خلفه :

-لنا باقي يا كابتن...

تأفف إياد بصوتٍ مسموع، ثم هتف وهو ينظر
له من فوق كتفه بامتعاض واضح :

-كم!؟

رد الشاب ببساطة :

-لنا (...)

أوماً إياد برأسه، ثم ضبط الأموال وأخرج لهم
ما يخصهم، وبدلاً من أن يعطيه أمواله بهدوء،
وجد نفسه يلقي الأموال بحجره بحركة بدت
عفوية، ثم هتف بفضافة :

-تفضل يا روح الكابتن!

طالعه الشاب بدهشة، فلم يهتم إياد به بل التفت
إلى مروج التي كانت عاقدة حاجبها بتوجس
من أفعاله المستفزة...

مد إياد كفه نحو مروج، ثم هتف بخشونة
ووجه عابس :

-أجرتك يا آنسة بعد أذنك !

أومات مروج برأسها وهي تلملم شفيتها حتى لا
تبتسم، ثم أخرجت أجرتها وأعطتها إياه،



فأخذها منها بخشونة، ثم أعطى الأموال إلى من
يجلس أمامه..

وبعدها عاد إلى هاتفه وأرسل لها
"وتشهقين أيضاً، ماذا ينقص بالله عليك، أن
تعلقي على مؤخرة رأسك" "مغفلة للخطف" يا
بنت تماسكي لِمَ أنتِ مائعة (وجه ممتعض)
قرأت مروج رسالته وهي تحترق من الغيظ،
فردت

"أنا لستُ مائعة يا إياد، لا أسمح لك"
"وأن سمحتِ هل ستصبحين أكثر سخاءً
فتكشفين بكل حماقة عما كشفتِه منذ قليل..."
رفعت مروج حاجبها بتوجس، ثم نظرت إلى
الرسالة بعدم فهم، وقبل أن تسأله عما يقصده
وجدته قد حذف الرسالة...

فارتفع حاجبها أكثر وكتبت

"لماذا حذفتم الرسالة"

"مروج، ما رأيك بأن تصمت نهائياً، فجرعة

الميوعة التي رأيتموها منذ قليل فعلت الواجب

معي وتعكر مزاجي "

ثم خرج من المحادثة ووضع هاتفه في جيب

بنطاله بحنق...

بينما مروج فالتوت شفاتها بشبه ابتسامة وهي

تهز رأسها بتعجب مما يفعله...

وبعد نصف ساعة...

توقفت السيارة أمام شارع ما حين أخبره الرجل

المتجهم الذي يجلس خلف مروج وإياد بأنه

سينزل هنا..



فتحرك الرجل محني الظهر بجسده البدين، ثم

توقف بجوار إياد، ليهتف فجأة بغیظ :

-فالتبع فخذك يا كابتن أريد أن أمر...-

اتسعت عينا إياد بعدم فهم، ثم نظر إلى الرجل

الذي كان يرمقه بغیظ، فهتف إياد بعدم فهم :

-وما دخل فخذني بالموضوع أنا لا أفهم؟؟؟-

أجابه الرجل بامتعاض واضح :

_ أنت تفرد فخذك يا كابتن وأنا أريد أن أمر...-

نظر إياد إلى قدمه عاقدا حاجبيه، ثم رفع رأسه

إلى الرجل وهتف مصححاً :

-أنها قدمي يا حاج وليس فخذني، تركت القدم

بكل اجزاءها وأخترت هذا الجزء بالذات... لا إله

إلا الله...



لوى الرجل شفتيه بامتعاض، ثم تابع تحركه
إلى أن وصل إلى باب السيارة ففتحه ثم نزل،
فهتف إياد بسرعة وقد تذكر أنهم من المفترض
أن ينزلا هنا :

-انتظر يا حاج لا تغلق الباب..

ترك الرجل الباب وهو يغمغم بكلمات غير
مفهومة، فتحرك إياد وهو ينظر إلى مروج
الغارقة في هاتفها، فهتف بصوت عالٍ كي تنتبه
:

-أنا سأنزل... لا تتحرك بالسيارة!

استدار السائق له وقال باستغراب :

-تفضل يا كابتن لماذا تصرخ؟؟

انتبهت مروج بأنهم قد وصلوا، فأسرعت بجمع
أشياءها وهي تقول بسرعة :

-لا تغلق الباب يا أستاذ لو سمحت..

غمغم إياد بقلّة صبر محدثاً نفسه :

-سمعتني الحمد لله...

نزلاً خلف بعضهما، فتحرّكت السيارة مبتعدة،

فتحرّك إياد بعيداً عنها وأوقف سيارة أجرة

أخرى "تاكسي" ثم مال نحو نافذة السائق

وأخرج منها ورقة نقدية ثم مدها نحوه وهو

يقول :

-أوصل الأنسة للعنوان (...)

أوماً السائق له بابتسامة بشوشة، فإشار إياد

إلى مروج دون أن ينطق بحرف، فاستقلت

مروج السيارة، وانطلقت بها وهي تبتسم

بسعادة...

أما إياد فقد كان يحك مؤخرة رأسه مغمماً :



-لا زلت مغتاظاً منها...أريد أن أضربها...-

=====

الفصل الثامن والعشرون

=====

الخوف وحش مخيف..

الخوف كالسرطان خبيث...يتشعب ببطء مميت..

وحين يشتد القلق يزداد سيطرة على قلب

ضعيف..مهزوم..

وهي...ذاقت كل أنواع الخوف...



أكثرهم ما عايشته منذ دقائق..

انقلبت السيارة بهما معاً...

صرخة زوجها باسمها كانت كالناقوس...

تلاها صرخة ألم عنيفة نقلتها شفتاه؛ فازداد

الطنين بأذنيها وأسبلت جفنيها بألم شديد وهي

تهمس بضعف :

كنت أريد أن أخبرك أنني أحبك... لييتني أبكرت

قليلاً..

والرد كان لا شيء..

واللاشيء وحدها كانت قاتلة...

وقبل الاستسلام، التقطت أذناها صراخ أحدهم

وهو يحاول فتح باب السيارة :

-الرجل ينزف بغزارة، حالته صعبة جداً....

الآن مرحباً بالاستسلام..



مرحباً بالهروب إن كان الواقع مرعباً..

ألم قلبها تفوق على ألم جسدها..

ألم روحها التي تركتها وركضت نحوه...

ركضت تريد حبيبها..

تريد ملكها..

لكن... الملك استسلم لدوامة الموت..

أو ربما هكذا تظن..

فجسده الساكن والدماء التي أغرقت وجهه ما

هي إلا دليل إدانة..

لقد استسلم الحبيب..

استسلم هو وادعت هي الإستسلام..

أغمضت عينيها بألم شديد...

وتراخى جسدها وهي تهمس بضعف شاعرة

بوخز عنيف بكل جسدها..



شاعرة بأنفاسها تختنق..

وروحها تغرق في بحار دماؤه :

-لا تتركني يا سليم، ليس لي سواك !

لكن...هباءًا

هي من رفضته قبلاً...

تتلوى على نار حارقة الآن...

يصرخ قلبها خوفاً وهلعاً وهي ترى..

تسمع..وتشعر..

تشعر باقتراب النهاية..

تشعر وتخشى التصديق، الأصوات تداخلت..

لكن صراخه قبل الاستسلام للإغماء تردد

بأذنيها..

فتغمض عينيها أكثر وهي تبكي بقوة..



تشعر بقبضتان تحملان ثقل جسدها إلى

الخارج..

على الأغلب رجال الأسعاف..

لكنها لم تهتم بل تعلقت عيناها بجسده..

جسده الذي حملة أثنان من رجال الأسعاف إلى

سيارة أخرى...

بسرعة كبيرة وإحداهما يصرخ بالآخر :

-أنه يلفظ أنفاسه، تحركوا بسرعة..

واختفى جسده من أمامها...

ملابسه الملتخة بالدماء..

وجهه الحبيب...دنسته دماء خبيثة، مخيفة

صراخ الرجل يتكرر، فتزداد الدنيا سوادا من

حولها..

الآن هي..



لا تشعر.. لا تسمع.. لا ترى..

تجمد جسدها وأغمضت عينيها بقوة غريبة..
بينما المرافق لها في السيارة يضع على أنفها
قناع الأكسجين في محاولة بئسة لاستقرار
أنفاسها..

لا يشعرون بالدوامة التي ابتلعتها..

تدور.. وتدور.. وتدور..

فتشبهق من حينٍ إلى آخر بخوف..

ترى صورته وهو يميل نحو أذنيها هاتفاً بعث

:

- لن نذهب إلى "الفندق" الآن، سأخذك إلى

مجمع تجاري ضخم، نشترى منه ما تريديه

وأشترى أنا ملابس لي، وبعدها سنتناول

المنتجات أيضاً..



تبتسم بحبٍ يلمع بعينيها، وتتعلق بعنقه وهي

تهمس بدلال مستحدث، تقبل وجنته، وتعبث

بخصلات شعره :

-حسناً سيد سليم، هيا بنا..

ثم همت بالابتعاد، لكنه أحكم ذراعيه حول

خصرها، ثم مال بوجهه نحو وجهها بسرعة

ليخطف شفثيها في قبلة خاطفة للأنفاس..

أصابعه تداعب خصرها، وشفثاه تدلل شفثيها

الشهيتين..

كانت تشعر بالفرحة تكاد تدفع قلبها الذي ارتفع

وجيب دقاته ليرقص بسعادة....

أدركت أنها تحب هذا رجل..

أدركت أنها وقعت به...



فتعلقت بعنقه أكثر، بينما هو فكاد أن يفقد عقله
وأنفاسه معها وهو يرى بريق عينيها..

فتحرك بها نحو الفراش..

فتمنعه هي بدلال، ومن ثم همست بخجل بعد أن
حرر شفتيها :

-لا، ليس الآن، سنخرج أولاً..

لمحت الرفض بعينيه، وتشنج جسده الملاصق
لجسدها، وعيناه وحدهما كانتا عالم آخر... عالم
كادت بالتسليم له سعيدة..مكتفيه بحبه، لكنها
تمسكت برغبتها، وهتفت بدلال سرق قلبه :
-أرجوك يا سليم..

زفر سليم بسخط، ثم أشاح برأسه في محاولة
بائسة للتحكم في أنفاسه، فعضت على شفتيها
بخجل صادق...



ثانية، ثم الأخرى وبعدها أوما برأسه بموافقة..
فقفزت تصفق بكفيها وهي تركض نحو الحقيبة
لتبدل ملابسها...

وفعل هو المثل..

وبعدها بدقائق كانا يجلسان في سيارة سليم
الذي كان يمازحها من حينٍ إلى آخر، فتبتسم
هي بسعادة وترد مزاحه بمزاح آخر..
وقتها كانت تشعر بأن سماء عالمها المعتمة،
تبدد ظلامها وأصبحت وردية..

ابتسم قلبها المجروح، وتوقف نزيف روحها..
بينما انفرجت شفتاها لتهتف بسعادة :

-لا أريد العودة إلى البلدة، لنبقى هنا يا سليم..



نظر لها سليم بسرعة وعلى شفثيه ابتسامة
سعيدة، ثم عاد بأنظاره إلى الطريق مرة أخرى
وهو يهتف بهدوء :

-سنستقر في إحدى المدن حين أعرف مكان
أخوتي يا مليكة، لكن في هذه الأيام يجب أن
نعود إلى البلدة، عمتي وحدها وسالم صمته
وسكوته مرعب... لا أريد أن أمنحه الحرية
بغياي..

زفرت مليكة بإحباط، ثم أومأت برأسها، وهتفت
بتفهم بالرغم من إحباطها :
-حسناً، سننتظر حت....

بُتِرت جملتها حين تعالى رنين هاتف سليم،
فأخرجه الأخير من جيب سترته، ثم نظر إلى

اسم المتصل، وما أن وقعت عيناه على الأسم
حتى اتسعت عيناه وتعالى نبض قلبه المرهق،

تسارعت أصابعه لتجيب الأتصال...

أجاب سليم بسرعة ولهفة غريبة :

-هل علمت عنهم شيء؟؟؟

أجاب الطرف الآخر بهدوء :

-أجل، وجدتهم عن طريق شقيقك رائف، وقعت

أوراقه تحت يداي حين تقدم إلى نادي كبير

بالبلد...

اتسعت عينا سليم أكثر وتسارعت أنفاسه بشكلٍ

واضح، حتى أن مليكة شعرت بالقلق من حالته

الغريبة، أما سليم فقد غامت عيناه بدموع

الفرحة، وتراقص نبض قلبه الهادر على الحان

الفرحة والأشتياق...

هتف سليم بسرعة وهو يقبض على المقود

بقوة غافلاً عن الطريق من فرط السعادة :

- ما هو عنوانهم... أخبرني بسرعة...-

أجاب الطرف الآخر بابتسامة :

-تفضل يا سليم، العنوان هو(.....)بمدينة(....)

ازدرد سليم ريقه بصعوبة، لا يصدق أنه عرف

مكانهم بعد سنين طوال قضاها بحثاً عنهم، ما

يشعر به الآن لا يعبر عنه سرد..

ولا تمنحه أي فلسفة لغوية ما يشعر به..

سعيد...ربما..

الأشتياق يقتله...ربما..

سعيد بمعرفة مكان نصفه الآخر ربما..

سيراهم...ويأخذهم بين أحضانه..



رائف الصغير صاحب الذراع المشوه وذكرى

ألمه وعذابه لا تفارقه..

لجين الهادئة، أكثرهم قرباً له منذ صغرهم..

مروج الصغيرة... أصغرهم وأجملهم..

توأم روحه... سيراه ويأخذه بين أحضانه،

أشتاق لعناقه..

لعاطفته الحنونه، وهدوءه المريح..

أشتاق لسماع صوته، لضحكته..

لكن...

ليس كل ما يتمناه المرء يدركه...

تدخل القدر رادعاً فرحة القلب، وأشتياق الروح

التي تهفو لرؤية أحبائها..



تدخل القدر حين شرد سليم عن الطريق،
فاصطدمت سيارته بشيء صلب، فشهب مجفلاً
مدركاً بأنه يقود السيارة..

أما مليكة فقد صرخت بعنفٍ وهي تخفي وجهها
:

-أحذر يا سليليم..

لكن سليم فقد السيطرة على السيارة..
فتعالى صوت احتكاك عنيف يوازي عنف ما
يشعر به الآن... لا ليس بعد الوصول إلى
مبتغاه...

سيموت بعد دقائق بعدما عرف مكانهم..
فلينتظر قدره قليلاً... يأخذهم بين أحضانها
لدقيقة..

ثم يعود إلى قدره..



صور كثيرة تراقصت أمام عينيه..

صور أمجد... لجين... رائف... مروج..

لكن هباءً، فقد أنقلبت السيارة بهما وانطلقت

صرخة عنيفة من سليم :

-ملييييييييييكة....

وبعدها تراخى جسده، وأسبل جفنيه مرغماً..

يقترّب... يقترّب من النهاية... وكم مرعب هذا!!!

وها هما..

مليكة يركضون بسريرها في رواق المشفى

وأصوات غريبة تחדش أذنيها..

تفتح عينيها الواهنتين لتتظر إلى سقف المشفى

الأبيض بعدم تصديق، ثم تغمضهما شاعرة

بدوار عنيف يداهما..



أما الآخر، سليم فقد كانت حالته أصعب

وأصعب..

حتى أن الأطباء توقعوا موته..

أسرعوا بدفع سريره نحو غرفة العمليات..

بجواره طبيب يفحص نبض قلبه..

وأمامه مجموعة يركضون نحو الغرفة...

دقائق من الفوضى عمت على المشفى..

اختفى سليم داخل غرفة العمليات..

أما هي فقد كانت حالتها ليست بالصعبة...

فدخلت إلى غرفة أخرى وآخر صورة له تداعب

جفنيها..

صورته وهو يتسم له بحب...

فتزداد دموعها ويزداد ألمها..

أهذه هي النهاية؟؟



هل سيتركها قبل أن تعترف له بأنها تحبه..

قبل أن تعتذر له عما فعلته؟

ستموت أن فعلها..

الاستسلام الآن هو المناص الوحيد... من قسوة

واقعها، وألم قلبها الصارخ..

الاستسلام هو السبيل الوحيد للهروب..

بعد ساعة

جلست أمام غرفة العمليات بجسد مرهق،

وعينين حمرأوين..

وجهها شاحب حتى كاد أن يحاكي وجوه

الموتى..

ذراعها ملفوف بجبيرة بعد أن أثبت الطبيب بأنه

كُسِرَ كسراً مضاعفاً، أما كاحلها فقد تم لفه



بضمادة عادية ورأسها تم ربطه بضمادة بيضاء

بعد أن تم تقطيب جرحها...

وتحت عينها اليمنى كدمة زرقاء كبيرة زادت

من مظهرها صعوبة..

مالت الممرضة نحوها وهتفت بشفقة :

-فلتأتي معي سيدتي، حالتك ليست بالجيذة..

لم تنظر مليكة لها ولم تكلف نفسها عناء

التحدث..

أخبرتهم أنها تريد الجلوس هنا في أنتظار

زوجها لن تتحرك من أمام الغرفة ولن يقنعها

أحد..

ستبقى حتى يخرج وتمطره صراخاً وتقبيلاً

بفرح..

سيخرج سالماً...



كانت تشعر وقتها بأن نبضها يحتضر...
وعيناها تلح عليها بشدة لينفجر نهر الدموع..
يكسر حاجز المنع بقوة وتتحرر دموعها متخذة
وجنتيها مجرى دموعها...
مرت ساعة أخرى وبعدها ساعة فانقبض قلبها
بنبضاته الثكلى، وتكدست الدموع بعينيها خشية
من خير لن تتحمله..
ثلاث ساعات وهي تجلس أمام غرفة العمليات،
جسدها يئن وعيناها غائمتان بدموع تحتجزهما
بقوة وإرادة..
قدميها متخشبتان بطريقة مؤلمة..
الإنظار يمنحها متسعاً للتفكير..
يمنحها متسعاً لتوقع أسوأ النهايات...



الإنتظار وحش شرس نهش صدرها وقلبها

بأظافره فارتعش جسدها رعباً وخوفاً..

دقيقة ثم الثانية..

وفُتِحَ باب الغرفة، خرج الطبيب بوجهٍ شاحب،

وعينين مرهقتين..

فوقع قلبها بين قدميها اللتين تخلتا عنها

فتشبثتا بالأرض أكثر، لا تمنحها القدرة على

الوقوف..

هل اقتربت النهاية؟؟؟

ازدردت ريقها بصعوبة وهي ترى الطبيب

يقترُب منها بوجهٍ شاحب، فابتهلت بسرّها

واغمضت عينيها بقوة...

تعالى صوت الطبيب فتعالى نبض قلبها الصارخ

:



-للأسف، حالة المريض خطيرة جدا...دخل
بغيبوبة وسيتم وضعه في غرفة العناية
المشددة...-

امتقع وجهها بوضوح فكاد أن يماثل لون الثلج،
وارتجفت شفتاها المكدوتان لتهتف بارتعاش
واضح :

-لا أفهم، أي غيبوبة هذه ؟؟، ماذا حدث له ؟؟؟
زم الطبيب شفتيه بشفقة، ثم اخفض رأسه
نحوها ليهتف موضحاً بسلاسة :

-المريض تعرض إلى إصابات خطيرة، وأقواهم
إصابة رأسه، كما أنه وللأسف اصطدم صدره
بمقود السيارة وقوة الاصطدام غير مبشرة
بالمرة، وهناك جروح متفرقة بجسده، وما زاد



خطورة حالته أنه أُصيب بنوبة قلبية من قبل،
ادع له..

ثم تركها ورحل، تركها بعينين متسعيتين تنظران
إلى الأمام دون حراك...

تركها جسد بلا روح، جسد يئن ألماً كل ثانية...
تباطأت ضربات قلبها، وتخطت دموعها

الحاجز، فانهمرت على وجهها بغزارة وارتعش
جسدها بأكمله !

غيوبية!

وإصابات خطيرة !

هل قال أن حالته خطيرة؟؟؟

هل اقتربت النهاية؟؟؟؟



هزت مليكة رأسها برفضٍ عنيف، هزتها
بهستيرية وهي تخفي وجهها بكفها شاهقة
شهقة بكاء عنيفة !
ألم حارق عصف بقلبها الذي كان كمن تلقى
ضربة عنيفة أفقدته رشده...
فترنح بين ضلوعها ذبيحاً..
نازفاً..

شعرت مليكة بالبرودة تدب بأوردتها فجأة،
فازداد أرتعش جسدها أكثر و ازدردت ريقها
بصعوبة وهي تنظر حولها بشرود غريب...

أين سليم؟؟

أين زوجها؟

هل ما تعرضت له الآن ما هو إلا مزحة

وسيخرج سليم من مكان ما..



يخبرها بابتسامة عابثة تسلب عقلها

"كنت أمزح معك "

لكن هذا لن يحدث..

لن يحدث ولن يخرج سليم مبتسماً..

سليم أمامها الآن..

يفصل بينهما جدار زجاجي خبيث..

يمنحها فرصة لرؤيته..

تقف خلفه متخفية..

صوت أنفاسها اللاهثة تكاد تكون شهقات..

وجسدها الهش يرتعش بطريقة مثيرة للشفقة،

فدمعت عينا الممرضة الواقفة بجوارها كي

تدعم جسدها، وهتفت بشفقة :



-أنتِ ترتعشين بشدة، فلتأتي معي سيدتي

لترتاحي بغرفتك، هذا لا يصح الطبيب

سيغضب...

والرد كان شهقة..

شهقة أجفلت الممرضة، شهقة انفلتت من بين

شفتي مليكة وهي تتلمس سطح الزجاج البارد

بأنامل كفها السليم، شهقة مستغيث..

شهقة جسد طُعن قلبه بغتة فسقط أرضاً

صارخاً..

شهقتها المتألّمة عقبها همسها المرتعش بعدم

تصديق :

-هل هذا زوجي؟؟، هل هذا سليم؟؟؟

تلمست الزجاج برهبة..



عيناها الحمراء وان مثبتتان على جسده المسجى
على الفراش..

قناع التنفس يكاد يبتلع جسده..

والكثير من الأسلاك تتصل بجسده، وجهه
انطمت ملامحه تحت وطأة كدمات عنيفة..
ذاك الجهاز المربع الذي تتحرك خطوطه برتابة
أرعبها...

ما أن وقعت عيناها عليه حتى شعرت بقبضة
باردة تعصر صدرها..

لماذا؟؟

لماذا هو من سكن فراش مخيف..

سكن فراش خبيث يخبرها باقتراب النهاية..

يصرخ بوجهها منتشياً..

أخذه هو وتركها هي..



تقف على قدميها..

تري..

تسمع..

تشعر..

تدرك..

تبكي..

أما هو، فقد سقط في دوامة تقف في منتصف

الوعي واللاوعي..

هو...يسمع لكن لا يرى..

هو ليس معها على أرض الواقع..

بل في عالم آخر بعيد..

عالم يبعد عن مرارة الواقع وقساوة الماضي

بمسافة شاهقة..



عالم اختطفه من بين يديها بغتة ليخفيه وراء

حاجز يفصل بينها وبينه..

اغمضت مليكة عينيها بقوة وهي تقبض على

ملابسها المتلطخة بالدماء..

تضرب صدرها برتابة وهي تهز رأسها..

لا... هذا ظلم..

فليفق، فليفتح عينيه ويخبرها أنها معه..

شعرت مليكة بالدنيا تزداد قتامة من حولها..

فتشبثت بذراع الممرضة وهمست بإعياء :

-أريد أن أذهب إلى الغرفة..

أومأت الممرضة بسرعة، وبدأت في تنفيذ

أمرها..

تحركت بها بحذر، تحدثها بشفقة..

تحاول تطيب خاطرها..



لكن هي...بالرغم من ابتعادها..
إلا أن عيناها قد تعلقتا بزجاجِ الغرفة..
فقد غادر قلبها صدرها وركض نحوه..
تركها ليرعاه....

تركها ليبيكي ألماً وقهراً !

=====

بخطوات رتيبة تحرك بها نحو الدرج المؤدي
إلى غرفته، يسير بخطا ثابتة..
عيناها مثبتتان على نقطة ما..
وجسده تصلب بجمود يماثل جمود ملامحه..
خطوة تلو الأخرى ووصل إلى أول درجة...
فتعالى صوت رخيم من خلفه قطع خطواته
وأشعل النار بقلبه بوحشية :
-إياد..لماذا تأخرت اليوم !



جز إيد على أسنانه بقوة، وقبض كفه بجواره
وهو يرفع رأسه باختناق ينظر إلى السماء
بيأس..

لا ينقصه الآن المزيد من المشاعر السلبية..
هو من الأساس يتجنب الاحتكاك بأي شخص له
علاقة بهذا البيت..

يكتفي بدور الساكن الغريب، والمشاهد من
بعيد....

سحب إيد نفس عميق عله يهدأ من النار
المشتعلة بداخله، ثم لم يلبث أن أجاب بصوت
صلب :

-مشغول !

رفع الأخر حاجبه مستاءً، ثم هتف بسخرية
وهو يلوح بذراعيه :



-مشغول بالتأكيد فحبيبة القلب معك بعملك،
أخبروني أنها أضحت فاتنة، هل هذا صحيح؟!
أغمض إيد عينيه بشدة، شاعرا بغيظه يكاد
يقتله، لديه نزعة سادية لضربه وقتله الآن..
لكنه عوضاً عن هذا، التفت له مبتسماً بسماجة،
ثم اقترب منه وهتف باستخفاف :
-لا دخلك لك يا منذر..فلتهتم بنفسك!
التوت شفتا منذر بابتسامة باردة، ثم عقد
ذراعيه وهتف بسخرية شديد وهو ينظر إلى
شيء ما خلف كتف إيد :
-حسناً سأهتم بنفسي، هيا أذهب إلى مدالتك،
بتُ أخاف من لمسها فيزداد كرهك ليّ بسبب
شقيقتاك..



عقد إيداجبببه بعءم فهم؁ فتخطاه منذر
متركاً نحو بعبته بخطوات ثابتة؁ يضع كفيه
بجببب سرواله..

عبناه حءتان تمءلكان نظرة ثابتة؁ خطوة ثم
الثانية والواقفة عند باب الببب المفتوح تكاء
تبكب خوفأ؁ أما إباء فقء التفت ببسرة لبرى ما
بببب إلبه منذر؁ فوبء حنبب تقف عند باب
المنزل مطرقة الرأس ومنذر بقف أمامها بوجه
غامض..

هتف منذر بببرة رخبمة وهو ببببب إلى ساعتة
نظرة ذات مغزى :

- تأخرت بالخارج حنبب؁ أين كنت؟
ازءرءت حنبب رببها ببعبوبة؁ واحءقن وعبها
وهب بببب بببرة مهءزة :



-أسفة منذر، كنت في أنتظار عمر ابن خالي

ليأخذني معه بسيارته !

تحولت ملامح منذر الباردة إلى أخرى مشتعلة،

واتقدت عيناه بنار مستعرة وهو يميل نحوها

في حركة مباغطة، ثم هتف بفحيح مخيف :

-وهل أتيتِ معه بسيارته ؟

ازدردت حنين ريقها بصعوبة، وأخفت فمها

بكفها وهي تومئ برأسها، فجز منذر على

أسنانه بقوة حتى اصططكت، ثم انفرجت شفتاه

يهمّ بتقريعها، لكن تدخل إياد العنيف ردع

غضبه..

وقف إياد أمام منذر يخفي حنين وراء ظهره،

ثم عقد إياد ساعديه أمام صدره وهتف بشراسة

:



-وما دخلك أنتَ بها، مع من أتت أو لماذا
تأخرت لا تهتم بها، أين كانت نزعك الحمائية
حين طُردت غالية من البيت في غيابي، كنت
تشاهد من بعيد وتخشى التدخل !
زمجر منذر بغضب مشتعل، واحمر وجهه بشدة
وهو يهدر بوجه إياد :

-قلت لك أنني حاولت أن أحميها من أبي لكن
أنتَ لا تصدق، أخبرتك أنني وفرت لها مكان
آمن هي وزوجها وحاولت بشتى الطرق التأثير
على أبي لكنني لم أقو...لكن أنتَ لا تصدق !،
تريد أن تحملني ذنبك وتظهر أنتَ الأخ المتألم
والحزين على شقيقته...



ازداد السعير بعيني إياد وأنفجر الغضب بداخله
كبركان، فانفجرت شفتاه ليهدر بوجه منذر
بنفس قوته :

-أنا لم أحملك ذنبي يا ابن عمي، أنا ألومك على
صمتك حين تعرضت غالية للظلم من أبيك!
ألومك على خنوعك أمامه وشخصيتك الضعيفة
و...

بتر منذر جملة إياد حين باغته بسؤال غريب :
-أين كنت ؟

رفع إياد حاجبه بعدم فهم، وهتف بتوجس لا
يخلو من غضب تراقص بمقلتيه :
-نعم؟!!

ابتسم منذر بعصبيه وهو يحك ذقنه، ثم هتف
موضحاً باستخفاف :



-أين كنت وقتها، كنت خارج البلد، في أسبانيا
تمارس حياتك براحة، تنتزه هنا وهناك، لم تكن
تعلم ما حدث هنا...لم ترَ ماذا فعلت أنا ولم
تشاهد الحروب التي حدثت بهذا البيت، بأي حق
تحملني سبب طرد غالية من البيت...بأي حق..
جز إيد على أسنانه بقوة، وكور قبضته أمام
وجهه وكأنه على وشك لكمه، فاتسعت ابتسامته
منذر، وفتح ذراعيه بطريقة مسرحية، قائلاً

بهدوء :

-تعال، أنا أنتظر لكمك منذ عودتك، هيا يا
صاحبي اضربني !
وكان أمره مجاباً، فقد هجم إيد على منذر في
حركة خاطفة فاقدًا زمام أمره، فأطاح بفك
منذر بعنفٍ غريب...



تراجع وجه منذر إلى الخلف متأوهاً بصوت
مكتوم..

وتسلل خيط رفيع من الدماء بجانب شفيته،
مسحه منذر بعنف وهو يعتدل واقفاً..
ينظر إلى إياد الواقف أمامه يتنفس بعنفٍ...
فهتف منذر بنفس الهدوء :

-حسناً، لن أحاسبك على هذه الكلمة...
زجره إياد بقوة وهو يزمجر بغضبٍ أهوج، ثم
لم يلبث أن تحرك راکضاً نحو الدرج...
التهم الدرجات بسرعة شاعرا بغضبه يتفاقم
بداخله أكثر...

وإياد صابر من يعرفه بطبيعته التي تميل إلى
السلام والهدوء وتجنب العنف، يعرف أيضاً أنه
حين يغضب لا يرى أمامه..



أخفتي إياد من أمام عيني منذر اللتين تخلتا عن
برودهما لتلتمعان بأسفٍ شديدٍ على صديقٍ بات
يكرهه..

إياد صابر يكرهه وكم مؤسف هذا !
في الداخل..

كان إياد يتحدث في الهاتف بالإسبانية بجسد
متشنجٍ وعينين لم تفقدا شراستهما والنار
المشتعلة بهما :

-قلت لكم سأعود إلى مدريد خلال أسبوعين...
أجاب الطرف الآخر بهدوء يناقض تقلبات إياد :
-حسنا سيد إياد سنكون في انتظارك...
ثم ودعه بتهذيب، فأجابه إياد بكلمات غير
مفهومة، وأغلق الهاتف ليلقيه على الفراش
بعدم اهتمام...



يدور بالغرفة كأسد حبيس..

منذ عاد إلى الوطن وهو يشعر بالاختناق

يداهمه..

عن الراحة..ربما...

منذ وطأت قدماه أرض المطار داهمته رائحة

الوطن المعتقة المحملة بالكثير من الذكريات

وهو يشعر بالتردد من قراره بأن يعود إلى

الوطن..

عاد ليرى شقيقته منبوذة من العيلة..

يتحدث عنها هذا، ويتهم عليها ذاك، فيزداد

اختناقه ويتلوى قلبه ألماً على شقيقته..

أما الأخرى فقد بدت له حزينة، فاقدة روحها

ربما حزناً على غالية..

وربما حزناً على حالهم..



أما منذر..

ابن العم، وصديق أمس..

كلما وقعت عيناه عليه يشعر بنيرانه تستعر

وبعقله يضرب إنذار الخطر مسرعاً..

يفقد أعصابه وتتفلت منه زمام أموره..

وهذا ليس بالجيد..

ربما يتوجب عليه الإبتعاد مرة أخرى..

وعند هذا خاطر ظهرت صورة مروج أمام

عينيه، صورتها وهي تشهق مجفلة، وهي

تلمم شفثيها كي لا تبتمس..

فتبدد غضبه والتوت شفثاه بابتسامه حقيقة..

ومن ثم القى بجسده على السرير هاتفا :

-فلتبعدى صورك عني يا مروج

الآن... ابتهدي!..



لكن هباءا فهي بطلّة أحلامه التي ستؤدي به
إلى التهلكة..

فقط لو تبتعد قليلاً، سيأخذ قراره الأخير
ويبتعد..

لكن قربها مُهلك، وبعدها قاتل !
إن كان في قريبها يتلوى على نار حارقة، فماذا
سيفعل أن أبتعد !

=====

الوقوف بين نارين مخيف !
وهو يقف بين الوعي واللاوعي محتاراً..
هل ضل الطريق وتغيرت الدنيا من حوله أم أن
ما يراه ما هو إلا خيال اخترعه ليجد عالم آخر
أقل قسوة يضمه، يحتويه، بعد أن لفظته الحياة



بغته، وعاجله القدر بضربة قوية قصمت ظهره
إلى نصفين..

هو هنا..

حيث العالم البعيد والإدراك القريب..

يسمع صوتها حوله..

بكاءها يصله واضحاً، يخترق غيمة ضخمة

تحيط به بهذا العالم الغريب..

فيصله صوت بكاءها الحاد وكأنه سكين يطعن

قلبه من حين إلى آخر..

أرهف سمعه بحاجبين منعقدين، فسمعها تهمس

بجوار أذنيه :

-فالتستيقظ، لِمَ أنتَ نائماً، لم أكن أعرف بأنك

جبان !



عقد هو حاجبيه بعالمه الخاص، يلتفت حوله

بعدم فهم، هل تحدثه هو ؟

ومن هذه؟؟

أهذه زوجته؟؟؟

التفت خلفه ليجد شقيقه يبتسم له ابتسامته

الصادفة، فهتف سليم بتوجس :

-هل تزوجت يا أمجد؟؟-

لم يرد الآخر، بل اتسعت ابتسامته وهو يشير له

باصبعه، فاقترب سليم منه بذهنٍ مشتت أذناه

متعلقان بهمسها، وعيناها تائهتان..

جلس بجوار توأمه بوجهٍ شاحب، فمال أمجد

نحوه ثم كور قبضته في دعوة صريحة لتقابل

القبضتين في حركة اشتها بها، قلبى سليم

النداء وتقابلت قبضته بقضبة أمجد الذي أخذ



يربت على قلب سليم دون أن ينبس بحرف،
فازداد إنعقاد حاجبا سليم بحيرة...
أما في أرض الواقع، فقد كانت مليكة جالسة
بجواره تبكي بصوت خفيض، تهمس له بصوت
مرتعش عله يسمعها :

-كنت أريد أن أعترف لك بشيء، أنا أحبك،
أحبك يا سليم..فلتفق وسأغنيها لك، لكن لا تبقى
ساكناً هكذا..استيقظ لتذهب إلى اخوتك، ألم تكن
تبحث عنهم..سأساعدك في البحث، هيا قم يا
سليم !

والرد كان صوت الأجهزة الذي كانت بمقام
لكمات تلکم قلبها الملکوم، فيزداد ألمه ويرتفع
صراخه أكثر !



عيناها الذابلتان مثبتتان على جسده الساكن

بشكلٍ مخيفٍ...

جسده الساكن وكأنه يخبرها بأنها باتت

وحدها..

ووجهه الذي فقد ملامحه إثر الكدمات، وابتلع

القناع نصفه !

كم مرّ عليه هنا !؟

لا تعرف، لا تعرف أي شيء سوى أنها هنا

وحدها..

تراه أمامها بهذا الضعف وهذه الحالة الصعبة..

فيحتضر قلبها، وتنهمر دموعها بغزارة في

مجرى بات معمرا بالدموع !

أصابعها المرتعشة تقبض على كفه بقوة وكأنها

تخشى الفراق !



الآن أدركت معنى الفراق..

إن كان الشعور بقربه مميت هكذا، فماذا عن

معاشته !

دمار شامل!

أم نار حارقة ستحرق كل خلية بها !

أغمضت مليكة عينيها بشدة وهي تقبض على

كفه دون شعور منها، ثم تابعت أعرافها بنبرة

مرتعة :
مرتعة :

- أنا آسفة، آسفة على ما فعلته وما قولته لك

من قبل، أخبرتني أننا سنفتح صفحة جديدة،

فلماذا بدأتها بالدم يا سليم، لماذا بدأتها بالفقد

؟، لماذا منحنتي الأمان ثم سلبتني مني بغتة ???

والرد كان الصمت القاتل، فازدادت كثافة

دموعها وارتعاش جسدها الواهن..



أما هو في عالمه البعيد، المنفصل..

وجد نفسه وحيداً فجأة..

أختفى توأمه، وابتعدت الغيمة، ليصبح العالم

من حوله صافياً، السماء من فوقه صافية..

والنهر الذي يتراقص صافياً..

يسمع همسها؛ فيتضاعف الألم بداخله ويزداد

شعوره بالخواء !

ربما البقاء بهذا العالم راحة !

مناص من واقع مرير !

وربما التحليق في سماء التخلي هو الاختيار

الأنسب والأقرب !

اعتدلت مليكة بجلستها بصعوبة، ثم جلست

على ركبتيها أرضاً، تنظر إلى وجهه دون

غيره..



تراقب، ترى..

تجلد ذاتها دون سبب !

لماذا لم تخبره بحقيقة مشاعرها لماذا؟؟

تتهدت مليكة تهيدة مثقلة، ثم أسندت جبينها

إلى كفيهما المتعانقين !

هي تتمرغ بقسوة الواقع..

وهو يركض بلا هدف معين في فراغ يحيط به..

يركض.. ثم يقف !

يعاود الركض، فيتعثر !

يلهث متعباً، فيزداد الألم اضعافاً..

يعاود الوقوف فيباغته شيء خفي ليسقط

ارضاً..

دوامة مُميتة تدور به..

أين أمجد ؟



ألم يكن بجواره الآن؟
لماذا تخلى عنه مجدداً!
وتلك التي كانت تبكي منذ قليل إلى أين ستذهب
وتتركه وحده!
أنه يخشى الظلام والوحدة!
هز سليم رأسه في عالمه مردداً بنبرة مهتزة:
-لا تتركوني وحدي، أنا أخاف الفراق!
لكن مليكة لم تكن لتسمع ما يقوله..
هي على أرض الواقع تحارب خوفها بضعف،
وهو بعالمه يحارب خوفه بخوف أكبر!
طرفاً المعادلة متساويان في الضعف!
ورمانة الميزان هو من يتشبث بالنصر أكثر هو
أم هي !!!



خرجت مليكة من الغرفة تعرج على قدمها،

تمسح وجهها بكفها السليم..

بينما عيناها تتفحصان السكون من حولها !

أنها هنا وحدها منذ ليلة أمس !

ليس لديها أي وسيلة للتواصل مع أحد!

لا مروان..

ولا أمه..

ولا حتى أمها..

حتى سالم..

هاتف سليم تحطم تماماً، وهاتفها هي مفقود!

ماذا ستفعل الآن ؟

ماذا ستفعل وحدها في مكانٍ لا تعرف به أحد !؟

تحركت نحو غرفتها بقدم تئن وجعاً..

والألم برأسها يحتدم، فهمست بألم :



-الرحمة يا الله !

دلفت إلى غرفتها بالمشفى وأغلقت الباب
بضعف، اتجهت نحو فراشها لتجلس على
طرفه..

تفرك أصابعها بتوتر شديد !

وماذا بعد؟؟

لا شيء..

ليس هناك بعد..

بل هناك..

ماذا ستفعل ؟

إنها تحتاج إلى ملابس وسليم ايضاً!
وقعت عيناها على هاتف موجود بالغرفة،
فأسرعت نحوه دون تردد، ضربت الأرقام
بسرعة، ثم انتظرت الرد بتوتر شديد، إلى أن



أجاب المتصل، فاسرعت مليكة تقول بثبات

تحسد عليه :

-أمي كيف حالك، أريد رقم خالتي رقية زوجة

خالتي يا أمي !

عقدت داليا حاجبها بتوجس، ثم أجابت بحيرة

:

-ألم يكن معك يا مليكة؟، كما أنك أنتِ وسليم

تجلسان عندها !

لعلت مليكة شفيتها الجافتين، وأجابت بنفس

الثبات :

-ضاع هاتفي يا أمي، وسليم ليس هنا أخذني

في نزهة إلى أحد الأماكن وبعدها حجز لنا

غرفة في فندق ما، خرج منذ الصباح ليبتاع لي



واحداً آخراً، لكنه سيتأخر وأنا أريد رقم خالتي
رقية لأتصل بها بهاتف الفندق ضروري !
لم تقتنع داليا برواية ابنتها، لكنها أجبرت
نفسها على التصديق وجهزت لها ما تريده...
شاعرة بقلق غريب وانقباض غير مُبشر بقلبها
!

بالرغم من ثبات نبرتها، إلا أنها كأم استشعرت
الرجفة بصوتها..

فاندفعت تقول بعد أن أعطتها الرقم :

-هل أنت متأكدة بأنكم بخير يا مليكة !

-نعم يا أمي بألف خير، لا تقلقي علينا!

قالتها مليكة بابتسامة فاترة حاولت صبغ نبرتها

بها، ثم لم تلبث أغلقت الخط معها وطلبت رقم

رقية..



دقيقة، ثم الثانية، وأتاها صوت أم إبراهيم

تجيب :

من ؟

ابتلعت مليكة ريقها بصعوبة، ثم سحبت نفساً

عميقاً وهتفت بهدوء شديد :

-أسمعني جيداً يا أم إبراهيم، أنا مليكة ابنة

عمة مروان وزوجة سليم، لقد تعرضنا إلى

حادث ليلة أمس ونحن بمشفى (...). أريد

حقيبتنا بالمشفى، ملابسنا ملطخة بالدماء،

وسليم بالعناية أرجوك لا تتأخروا عليّ!

على الجانب الآخر كانت أم إبراهيم متسعة

العينين بصدمة من كم المعلومات، ثم لم تلبث

أن ضربت صدرها برعب :

-دماء وحادث... والسيد سليم بالعناية !



اقتربت رقية من الغرفة الأخرى مهرولة،
وجهها شاحب بشدة حتى كاد أن يحاكي وجوه
الموتى..

وقفت أمام أم إبراهيم، وهتفت بقلق :

-هل حدث شيء لصبا؟؟-

لم تجبها أم إبراهيم بل انصتت إلى مليكة كي
تفهم منها ماذا ستفعل، ثم لم تلبث أن أغلقت
الهاتف بعينين دامعتين، فأسرعت رقية تسألها
بنفاذ صبر :

-ماذا حدث يا امرأة !

-السيد سليم والسيدة مليكة تعرضا إلى حادث
سيارة وحالة السيد سليم صعبة جدا..

قالتها أم إبراهيم بحزن صادق، بينما رقية فقد
شحب وجهها أكثر، وهتفت بذهول :



-يا قلبي عليك يا سليم، هذا الولد حظه
سيء...بل لا يملك حظ من الأساس، من
سيبقى بجواره وبجوار مليكة الآن، مروان
ومشاكلته تعقدت بعد اختطاف صبا...
صمتت لبرهة تستوعب الخبر، تهز رأسها
بذهول، لا تصدق أن الأبن الذي أتى إليها
ليراها..

يتبدل حاله إلى الأسوء!

ماذا يحدث لهم؟

.....

وضعت مليكة الحقيبة على السرير بصعوبة، ثم
فتحتها بسرعة، فاقتربت أم إبراهيم منها
لتساعدها في فتح السحاب، وهي تبكي بحزن
على حالتها...



فستانها الفيروزي الذي أغرقه الدماء ببشاعة،
وجروح وجهها ورأسها وذراعها المكسور، كل
هذا أثر بأم إبراهيم، فهتفت الأخيرة بحزن :
-هل حالة وإصابته السيد سليم أقل خطورة منك
؟؟

اغمضت مليكة عينيها بتعبٍ، ثم استندت بكفها
إلى السرير وهي تهتف بارتعاش:
-لا، حالته اسوء مني بكثير...لماذا لم يأتِ
مروان ؟

رمشت أم إبراهيم بعينيها الدامعتين، ثم هتفت
بحزن :
-مروان يبحث عن صبا وجميلة، لقد خطفهما
عم جميلة !



اتسعت عينا مليكة مبهوتة، ثم التفت إلى أم
إبراهيم الواقعة بجوارها، وهتفت بصدمة :

-ماذا؟؟؟؟-

انتحبت أم إبراهيم شاعرة بالذنب وبأنها السبب
فيما حدث، لو كانت أكثر تعقلاً لم تكن لتُخطف

جميلة!

تهدت أم إبراهيم بحزن، ثم ربتت على ذراع
مليكة وقالت :

-لا تقلقي مروان وجد جميلة، بقت صبا، لا

تفكري بحاله كثيرا، يكفيك ما حدث لكما...

صمتت لبرهة تحاول التحكم في دموعها، ثم

مالت نحو الحقيبة وأخرجت لها ملابس نظيفة،

وهتفت بشفقة :

-سأساعدك على تبديل ملابسك، تعالي معي !



ثم أسندت مليكة المتخشبة مكانها..
شاخصة في الفراغ بعينين دامعتين، ووجه
شاحب كالموتى..

أهذا يعني أنها ستبقى معه وحدها ؟
لا أخ ولا أب ولا أم يهتموا به!
هي وحدها المطالبة بمنحه كل المشاعر
الصادقة !

الآن أدركت أن سليم وحيد !
أدركت أنه سقط سهواً من أخوته، وكان هو
كبش الفداء !

ظلمهم والداه والنصيب الأكبر لسليم !
ابتلعت مليكة طعم صداً بصعوبة..
بعد دقائق، خرجت مليكة من الحمام مرتدية
ملابس نظيفة..



فستان واسع باللون الرمادي، وحجاب أسود

لفته حول وجهها باهمال...

تعرج على قدميها وهي تنن بألم، فاسندتها أم

إبراهيم وهي تقول بشفقة :

-كيف ستهتمين به يا ابنتي وحدك، أنتِ بالكاد

تقفين على قدميكِ، هل أبقى معكما ؟

أجابتها مليكة بصوت واهن وهي تعدل حامل

ذراعها بحذر :

-لا سأبقى أنا معه، هناك موعد مخصص

للزيارة، سأتهم به لا تقلقي، أنه زوجي !

قالت جملتها الأخيرة بنبرة مرتعشة، فأشفقت أم

إبراهيم عليها وتبادلت معها بعد الكلمات

بمواساة..

ثم رحلت !



رحلت وتركتها وحدها..

تركتها بمفردها، تفكر..

تبكي، وتتحب كلما رأت صورته أمامها !

جسده الساكن..

عيناه المغلقتان، وأنفاسه الرتيبة !

الأسلاك الكثيرة التي ما إن تقع عينيها عليها

حتى تشعر بقبضة باردة تعصر قلبها !

يوماً ما..

سألت أمها سؤالاً!

لماذا يبغض الإنسان أن يكون وحيداً!

ففي الوحدة هدوء، وثبات وراحة !

وكانت إجابة أمها

"في بعض المواقف في الحياة تحتاج إلى

مشاعر صادقة، أخ يربت على ذراعك داعماً،



وأخت تخبرك أنها معك، أم وأب يخبرناك أنك
العالم لهم، وصديق إن بكيت من الألم يبكي
مثلك، الوحدة هدوء وثبات، هدوء يختفي فجأة
حين يسقط المرء بغتة، وتصبح وحدته
موحشة، يحتاج إلى عاطفة صادقة، لا صمت
مريع يبثه الخوف!، غالباً من عايش الوحدة
والفراق حين يقع سيتألم وبشدة "
والآن فهمت، فهمت كلمات أمها وأدركتها!
الآن أدركت أن لا أحد مما ذكرتهم أمها موجود
!

لكن هي... بجواره ستبثه كل الحب والأمان..
عله يعود بأقصى سرعة!

ربما التسرع هو أسوأ صفة يمتلكها المرء..



وهي تسرعها قتلها!

أفقدتها معنى السعادة والراحة !

تسرعت وقبلت الزواج من شاب وسيم، لديه

الكثير والكثير من المال !

يخبرها أنه يحبها، وأنه لن يتخلى عنها..

لكن هي تخلت عن قلبها مقابل الإنتقام..

الدوران بدوامة النسيان !

خدم بريق مقلتها، وانطفأت..

تتحرك معه بروح مرهقة، يعتقل خصرها

بذراعه وهو يتحرك بها، بينما هي تنظر حولها

بوجوم !

ثم هتفت بنبرة حاولت صبغها باللفظ إلا أنها

خرجت منها فاترة كابتسامتها :

-محمود، أرجوك يكفي هذا !



نظر لها بطرفٍ عينية وهو يجذبها ليدخلا إحدى

المحلات، ثم هتف بعث :

-لم يا تمارا؟، نريد أن نقيم حفل الزفاف

بأقصى سرعة، قوتي تهدد بالانهيار !

قال جملته الأخيرة بعثٍ وهو يغمز لها بعينية،

فزفرت تمارا بقلة صبر، ثم لم تلبث أن توقفت

مكانها لتبعد ذراعه عن خصرها بشيء من

العنف، فتوقف محمود يطالعها بتوجس تحول

إلى دهشة حين هتفت تمارا بحدة :

-محمود، أخبرتك أنني لا أحب التطاول حتى لو

كنت زوجي...أنه مجرد عقد قران !

لوى محمود شفثيه بملل، ثم أوما برأسه بضيق

وهو يشير بكفه كدعوة لتحرك، فابتعدت تمارا

شعرها وراء أذنها، ثم سارت بجواره بوجوم !



عقلها ينهرها معنفاً عما ارتكبته بنفسها..

يسألها !

هل تعرفينه ؟

هل تثقين به !

كل ما تعرفه أن قريب صديقتها المقربة، رآها

مرتين في إحدى المناسبات التي تخص

صديقتها..

ثم تفاجأت بعرض الزواج الذي أتى في الوقت

الخطأ..

حين اكتشفت أنها مجرد جسر عبره رائف

ليصل إلى مبتغاه..

في وقت كانت مشاعرهما متذبذبة..

لا تعرف، هل ضعفت وأحبته فعلا..

أم لا!



ولتقتل الأمل الخائب، قبلت الزواج من هذا الذي

يسير بجوارها..

أقيم عقد القران بسرعة البرق!

وأصبحت زوجة.

تزوجت في لحظة خاطفة، فهرب قلبها راكضاً..

يقسم بأغلظ الإيمان بأنه أحب رائف ولا يريد

سواه !

والآن ما يسكن صدرها فراغ !

تركها قلبها وتخلت عنها روحها جالسة بركنٍ

بعيد !

تنتظر النهاية بعينين مرتعبتين !

خرجت من شرودها حين هتف محمود بدهشة

وهو يتحدث بهاتفه :



-حقاً، هذا اللاعب لديه موهبة لامعة، رأيتَه
يلعب بمباراة الأمس باتقان...أذكر أن اسمه
رائف الأمير !

وفجأة انتفض قلبها ثائراً، ملهوفاً ما إن نطق
محمود باسمه..

حاولت التحكم في ضربات قلبها التي ملئت
صدرها بالصخب بعد أن طال السكون !
نبضات قلبها الثكلى تحولت إلى أخرى صاخبة..
وانقشعت غيمة الحزن من عينيها لتبرق
عينيها ببريقٍ غريب، ولحسن حظها أن محمود
كان منشغلاً عنها وهو يتابع حديثه بحماس :
-ماذا قلت ؟؟؟، صديقك ؟، حسناً هذا يعني أنه
سيكون في حفل عيد ميلادك اليوم !!!



وقع قلبها مغشياً عليه بين قدميها، بينما أجاب

الطرف الآخر :

-لا، لن يأتي هو قليل الاحتكاك بالبشر، منطوي

على نفسه، تعرفت عليه من فترة وأصبحنا

أصدقاء لكنه يرفض الاحتكاك بأحد كما أنه

بالمعسكر لا يخرج !

-حسناً، أراك بالأمس !

قالها محمود بنبرة طبيعية، ثم أغلق المكالمة

والتفت إلى تمارا، فلاحظ تغير ملامحها...

ليرفع حاجبيه بتوجس، فأسرعت تمارا بالهتاف

بصوت حاولت صبغه بالثبات :

-من رائف هذا وماذا به !

ارتفع حاجبه أكثر حتى كاد أن يصفح مقدمة

رأسه، ثم اجابها :



-لاعب جديد بنادي (...)، نادي معروف بالبلد،

جميع المشجعين يتحدثون عن براعته

وموهبته...كنت أتمنى أن أراه بعيد الميلاد إلا

أنه للأسف لن يأتي !

والزفرة التي خرجت من بين شفثيها، خرجت

متعبة..

محملة بالكثير من الخوف والقلق من رؤيته !

تخشى الضعف وتهاب الاستسلام..

وما أدركته في هاته اللحظة أن علاقتها بمحمود

غير جيدة بالمرّة..

ومشاعرها تجاه رجل آخر..تضعها في المساحة

الخاصة بالخيانة !

أنتِ خائنة يا تمارا والسبب الأكبر تسرعك !!!

=====



- لا تهتمي بكلامهم، أنا أثق بك !

قالها أمجد بهدوء وهو يربت على رأس مروج

بحنو، فرفعت الأخيرة رأسها، ونظرت إليه

بعينين دامعتين وقالت :

-لقد ساءت سمعتي بالحي يا أمجد، أنت لا ترى

نظارتهم لي، وكأني مذنبه !

-لا تنسي أنك تشاجرت مع جارتنا بالمشفى بكل

تهور يا مروج وهذا ما جعل موقفك صعب !

قالها أمجد بجدية شديدة، فأطرقت برأسها

أرضاً، ثم هتفت بحرج :

-هي من استفزتني أقسم بالله !

نظر أمجد إليها بعينين حائيتين، ثم قال

بابتسامة صغيرة :

-حسناً يا حظي الأسود، أتمنى أن يهديك الله !



رفعت مروج رأسها بسرعة، ثم هتفت بعفوية

غاضبة وهي تضرب صدغها بكفها :

-أنت وإياد لا تتوقفا عن قول هذه الجملة

"حظي الأسود"، ماذا فعلت أنا لكما !

رفع أمجد حاجبه بغموض، فادركت مروج أنها

تفوهت بالحماقات كما تفعل دائما، ثم لم تلبث

أن صرخت ضاحكة حين جذبها أمجد من

مؤخرة ملابسها، وقال بنبرة غامضة وهو

يهزها :

-ولماذا قال أنك حظي الأسود؟، هل مدير العمل

يمزح معكم بالعمل؟، ما هذا الإهمال؟؟

عضت مروج على شفتيها بقوة لتمنع ضحكتها،

ثم هتفت بشقاوة وهي تحاول تخليص نفسها

من قبضة أمجد :



-لا مستر إياد مدير صارم جداً، عصبي جداً،
ويحاول إقناعي بأن الهدوء الحل الأنسب لكل
مشكلة !

همهم أمجد بغموض، ثم هتف بسخرية مازحة
وهو يهزها بلطف :

-واقتنعتِ يا أميرة ؟؟

هزت مروج رأسها برفض، ثم هتفت مازحة
وهي تشير بإبهامها :

-لا لم أقتنع، هو يظن أن إقناعي سهل، إلا أنه
لا يعلم بأنني حازمة جداً، عنيدة جدا..

أتت لجين من خلفها مبتسمة بدفاء، وأضافت
هي الأخرى بمزاح وهي تلکم ذراع مروج بخفة
:



-ورقيقة جداً، جداً، تتألم بنعومة فيشتعل جنون

المسكين !!

اشتعلت وجنتا مروج بخجلٍ وسعلت بقوة وهي

تزجر لجين بقوة، فهي لم تستطع الصمت يوم

أوصلها إياد، فركضت نحو شقيقتها لتقص لها

ما حدث..

وها هي تلاعبها بعثٍ...

بينما أمجد فقد ضاقت عيناه بعدم فهم، ثم هتف

باستفسار :

-عن أي شيء تتحدثين يا لجين !

انحنى فم لجين بابتسامة شقية، ثم هتفت ببراعة

:

-أمزح معها يا أخي !



هز أمجد رأسه بعدم راحة، ثم دفع مروج

بخشونة وهو يقول بحزم :

-هيا إلى غرفتك يا بنت، امتحاناتك اقتربت..

أومات مروج برأسها بسرعة ثم هربت من

أمامه بوجهٍ محتقن!

راقبها أمجد حتى أخفت، فسقطت ابتسامته

وبهتت ملامحه وهو يعقد حاجبيه بضيق،

فتوجست لجين وهتفت بقلق :

-ماذا بك يا أخي؟

نظر أمجد إليها بعينين غائمتين، ثم هتف

بشروود وهو يجلس على المقعد المتهاك خلفه :

-لا أعلم، أشعر بالقلق على سليم..قلق شديد!!!



اهتزت حدقتا لجين بوضوح، وانقبض قلبها
بقوة، ثم لم تلبث أن جلست بجوار أمجد وربتت
على كفه قائلة بحنان :

-لا تخف أخي، إن شاء الله خير..

أوماً أمجد برأسه بشرود، ثم انتصب واقفاً
وتحرك نحو غرفته بقلبٍ مرهق وذهن
مشوش..

لا يعلم سر ذاك الحلم الذي راوده أمس وجملة
سليم التي ترددت بالحلم تتحر قلبه بسكينٍ ثم
"فزت أنتَ بالحب والمشاعر الصادقة، وبقيت
أنا بعالم الجمود والوحدة حاكماً، الآن حان
وقتكَ، أريد مشاعركم الصادقة "



عبارة قالها له في حلمه الغامض، فانتفض
أمد من نومه ساعتها وهو يتلمس عنقه
شاعراً بالاختناق..

أنفاسه اللاهثة وجبينه تعرق !
والآن تضاعفت خنقته، واحتدم الألم بقلبه !
راقبت لجين ابتعاد أمد بعينين مشفقتين، ثم لم
تلبث أن أغمضت عينيها بارهاق..

ماذا لو أخبرته بأنها قلقة هي الأخرى ؟
ماذا لو أخبرته بأن شقيقهم تعرض للخطر
بالفعل... فشعورها دائما صادق ؟

لكن في هاته اللحظة تتمنى أن يكون حدسها
خاطيء!

=====



حملها بسرعة نحو السيارة المرابطة بالقرب

من المنزل المهجور..

وخلفه مساعده يحمل جسد غادة الخامد..

وضعا الفتاتين بالسيارة بسرعة، ومن ثم أبتعد

هاني وأغلق الباب بعنفٍ...

التفت إلى مساعده وهتف بعنف :

-ستلقيهما بالصحراء وتعود، لا تتأخر عليّ !

أوما مساعده بطاعة، ثم جلس خلف المقود

وانطلق بالسيارة..

وقف هاني متخصراً يراقب ابتعاد السيارة

بعينين مشتعلتين، وجهه أسود وشفثاه

مجروحتين !



كم تمنى أن يقتلها، يوسعها ضربا كما فعل مع
غادة الخائنة التي ركضت لرجل آخر تطلب منه

العون !

كم تمنى لو نال منها ليطعن رجولة زوجها

المتعجرف هذا !

لكن هو لم يكن ينوي النيل منها بهذه الطريقة !

يكفي الضربة العنيفة التي تلقتها على رأسها،

وما سوف يحدث لها بمكان مهجور كالصحراء

!

هو كـ"هاني"، لن يتركها وشأنها..

إن وجدها زوجها سيعود لينتزعها منه مرة

أخرى..

اللعبة تروق له، ممتعة مشوقة كمذاق شفتيها..



أنها ليست المرة الأولى التي يقتطف بها شهد
شفتيها...

لكنها دائما ما كان ينتزعها منها عنوة، واليوم
انتقمت منه بشراسة!

جز هاني على أسنانه بقوة، ثم استدار على
عقبه متجهاً نحو الداخل..

نظر في ساعته بحاجبين منعدين..

لقد مرت أربع ساعات منذ وقت البث المباشر،
ولم يأتِ أي رد فعل !

ورد الفعل أتاه أسرع ما يمكن..

صوت إطارات سيارة احتكت بالأرض بعنفٍ
أجفله، فالتفت بسرعة ليري من كان يفكر به
منذ ثوانٍ يترجل من سيارته بملامح قاتمة...



تصلب هاني مكانه وهو يرى مروان يندفع
نحوه واضعاً يده خلف ظهره، ثم لم يلبث أن
تدارك هاني الموقف وبأنه موجود بالفعل،
فسحب سلاحه من حزام بنطاله وأشهره بصدر
مروان الواقف أمامه بوجهٍ أسود..

نظر مروان إلى السلاح المصوب نحو صدره
نظرة باردة، ثم رفع عينيه وحدث هاني بنظرة
ثاقبة، ثم هتف بفحيح :

_ أنزل سلاحك يا هاني وأجعل النزال رجلاً
لرجل !

لم يهتم هاني بما قاله مروان، بل هتف بتشفٍ
وهو يوخز صدره بمقدمة السلاح :
-زوجتك ليست هنا، أذهب وأبحث بعيداً!

زم مروان شفتيه وهو يهز رأسه بقلّة حيلة، ثم
لم يلبث أن سحب سلاحه هو الآخر من حزام
بنطاله، ثم أشهره هو الآخر نحوه، فسار كلُّ
منهما مقابلاً للآخر..

عيناها مشتعلتان بغضبٍ أهوج، لكن غضب
مروان فاق الحدود، فهتف من بين أسنانه :
- أعلم أنها ليست هنا، لقد جئت إلى هنا لأخذ

حقي !

عقد هاني حاجبيه بعدم فهم، واهتز السلاح بين
يديه، فاستغل مروان الفرصة وضرب يده بقوة،
فوقع سلاحه أرضاً وتأوه هاني بألم وهو يسبه،
فقهقه مروان بوحشية وهو يعاجله بضربة
عنيفة بمؤخرة سلاحه، فصرخ هاني بألم، ثم
سقط على ركبتيه ممسكاً جرحه بألمٍ شديد..



انحنى مروان نحوه ليهتف بوحشية وهو يجذبه

من شعره :

-لا تحاول اللعب معي يا هاني، صدقتي أنا ليس

بالخصم السهل...يمكنني قتلك الآن وفي وجود

الشرطة، هل تعرف ماذا فعلت ؟

ثم صمت لبرهة ليراقب تقلبات وجه هاني الذي

شعر بأنه سقط في شر أعماله، لا يوجد أحد هنا

سواه، وسلاحه ملقى أرضاً، أما ذاك الذي جذبه

من شعره بقوة شعر بالخطر يفوح منه..

فدب القلق بأواصله، واهتزت حدقاته بوضوح..

بينما أضاف مروان بشراسة من بين أسنانه :

-تعديت على شرفي، خطفت زوجتي..والآن

حان وقت العقاب!



قال جملته الأخيرة بابتسامة سوداء، فحاول
هاني الهروب منه وهو يرى أصبعه يضغط
على الزناد، لكن مروان اثبط محاولته حين جثم
فوقه فقسط هاني على ظهره، عيناه تنظران
إلى عيني مروان المشتعلتين برعب، وذراعه
يتحرك بخفة في محاولة بائسة لإلتقاط سلاحه
الملقى أرضاً...

فضرب مروان ظاهر كفه بمؤخرة السلاح بقوة
وهو يقول بابتسامة سوداء :

-لا تحاول يا جميل، أنت الآن تحت رحمتي !
وقبل أن يضغط مروان على الزناد، كان قد جمع
هاني قوته، ودفع جسد مروان من فوقه ليتبدل
الوضع، مروان ملقياً على ظهره وهاني فوقه..



فزمجر مروان بغضبٍ مستعر وهو يحاول
الضغط على الزناد بعد أن فقد السيطرة على
نفسه كما أمره الضابط..

لكمة عنيفة بفك هاني جعلت الأخير يترنح، لكنه
لم يكن بالخصم السهل ليستسلم..
فصار يحارب مروان بشراسة بالرغم من ألمه،
يجز على أسنانه بقوة وهو يرى مروان يحاربه
بعنف و غضب أهوج..

يزمجر الأخير بعنفٍ وهو يحاول تخليص نفسه
من حصار هاني الذي قبض على كفه يحاول
انتزاع سلاحه وهو يهتف بتشفٍ :
-لن تقوى على محاربة شيطان يا مروان،
سارق، مختلس، والآن.. سيصبح قاتل بكل
سرور..



قال جملته الأخيرة بعد أن أنتزع سلاح مروان
من بين يديه وأمسكه بكفه السليم وأصبعه
يضغط على الزناد بإصرار..

ثانية..

ثم الأخرى..

واخترق صوت الطلقة الصمت المحيط بهما...
سكنت الطلقة بجسد أحدهم واتسعت عين الآخر

بتشفي، الدماء انبثقت من جسد

الضحية بينما عجز المكان بأفراد الشرطة..

وما أن وقعت عينا الضابط على الجثة الخاملة

أرضاً حتى اتسعت عيناه مبهوتاً!

بينما أسرع آخر نحو الجسد الملقى أرضاً

ليتحسس نبضه، ثم يهتف بهدوء :

-توقف النبض يا باشا !



توقف النبض..

وانتهى كل شيء !!

كل شيء !!

عجز السرد عن الوصف، وترك الكاتب خطوط

القصة بأسف !

عجزت الكلمات عن الوصف، وامتنع السرد

عن البوح به..

بالشعور..

أنتهى كل شيء... وكفى !

.....

وفي نفس اللحظة كانت السيارة التي أخذت

صبا وغادة تتوقف بمنتصف الطريق بعد أن

قاطعتها سيارة أخرى..



فتوقف مساعد هاني مرغماً وهو ينظر إلى
المجموعة التي هبطت من السيارة مسرعين
نحوه..

كل منهم يشهر سلاحه بثبات...

بينما تقدم أكبرهم نحو السيارة ومال نحو

النافذة ليهدف ببرود :

-ستنزل معنا بهدوء، أو ستنزل وأنت غارق في

دمائك!

صمت الضابط لبرهة، بينما اتسعت عينا الآخر

ودب الرعب به، ثم لم يلبث أن انتفض على

صرخة الضابط الحادة :

-أفتح الباب...حالاً...

أوماً مساعد هاني بسرعة، وفتح له أبواب

السيارة، فأشار الضابط لآخر قائلاً :



-تعال، وانقلهما إلى سيارة الإسعاف !
ثم التفت برأسه إلى مساعد هاني الذي كان
يحاول سحب سلاحه، لكن الضابط اثبط
محاولته حين باغته بضربة عنيفة على رأسه،
فتأوه الرجل وقال الضابط ساخراً وهو يسحب
جسده إلى الخارج :

-خطتكم مليئة بالثغرات يا رجل، ما هذه

العصابة الغريبة !

ثم قيض يديه بقيد حديدي ودفعه نحو السيارة

الأخرى..

بينما صبا وغادة، فقد تم وضعهما بسيارة
الأسعاف كانت مثيلتها -تقف أمام المكان الذي

تشاجر به مروان وهاني- تنقل جسد أحد

الراجلين...



والسؤال هنا !

أيهما فارق الحياة...

وأيهما بقي!

ماذا لو انتصر الشر ومات الخير بطلقة غادرة !

وماذا لو انتصر الخير وفارق الشر الحياة

بطلقة مستحقة؟!!

=====

الفصل التاسع والعشرون

=====

نحن هنا!

حيث العالم البعيد والإدراك القريب !

نحن هنا!

حيث القلب المرهق والعينين المستسلمتين !

نحن هنا !



حيث الألم وأنت لا تقوى على الصراخ!
نحن هنا، نقف على مقدمة جبل شاهق

الإرتفاع!

نراقب...

نسمع...

نرى!

ونشعر!

أما هو فقد أغرته دوامة الاستسلام...

ترك نفسه لها لتبتلعه كلياً...

وها هو..

يسمع صوت بكاءها الذي لم يهدأ منذ أيام وهي

تتلمس ذراعه...

تربت على شعره بكفٍ مرتعشة...

تقترب من أذنه لتهمس بارتعاش:



-ألن تعود؟؟، لماذا أنت صامت هكذا؟..
ثم تصمت عن التحدث وتجهش في البكاء،
فترتعش نبضات قلبه الثكلى، وتئن روحه..
و في عالمه فقد شردت عيناه في الفضاء
الشاسع حوله، يسمعها ويدعي العكس !
يشعر بألمها لأجله لكنه لا يقوى على الانتفاض
متجاوباً...

العالم هنا أكثر هدوءاً، أكثر راحة، خالٍ من
الضغائن، مفعماً بالهدوء والرخاء!
هنا، لا يوجد سالم بظلمه..
ولا يوجد والده بجرمه..

هنا يشعر بالرخاء بالرغم من ألم قلبه كلما
سمع همسها المتألم وشعر بلمستها..



أغمض سليم عينيه في عالمه الخاص، بينما
على أرض الواقع كان جسده مستسلماً على
الفراش بينما العديد من الخراطيم مختلفة
الأحجام متصلة بجسده !

أقتربت منه مليكة أكثر بوجهٍ شاحب كالأموات،
ثم أسندت رأسها إلى كتفه وبكت بحرقة هامسة
برجفة :

لم أعد أتحمّل أن أراك هكذا !، أرجوك قُم، لقد
خارت قواي، لم يعد لدي أي قدرة على التحمل،
لماذا أنت بهذه القسوة؟؟، هل هذه طريقة
لمعاقبتني عما فعلته أم ماذا؟؟، إن كان هذا
عقابك فأنا أعترض عليه، فلتقم وتعاقبني
بأقصى الطرق، هيا أفتح عينيك وأنظر إليّ، هيا
يا سليم !



هي على أرض الواقع تبكي بحرقة مسندة
جبينها إلى صدره، وهو في عالمه يتلمس كتفه
بعينين دامعتين، يربت على كتفه بحركاتٍ رتيبة
وكأنه يواسيها، هو في عالمه يحتضر قلبه
متألماً...

بينما هي على أرض الواقع كانت تحارب وحش
الفراق بضعف، خاضت المعركة دون سلاح..
دون رغبة...
دون قوة !

فهل يتوجب عليها الصراخ ألماً حين يهاجمها
منافسها بسكينه ويخترق قلبها به ؟؟؟
تابعت مليكة همسها بارتعاش ودموع لا تتضب
:



-أتعلم، إن فتحت عينيك ونظرت إليّ الآن،
سأجبرك بأن تعاقبني، حتى لو...لو كان...
غص حلقها وازدادت الدموع بعينيها وهي
تحاول بصعوبة التفوه :

-حتى لو كان عقابك هو الانفصال، سأقبل به
مقابل عودتك، مقابل رؤيتك سليماً معافياً،
أمامي !..

وحين لم يأتيها الرد كل مرة، ازدادت دموعها
أكثر وابتعدت عنه وهي تكتم فمها بكفها تكتم
صوت شهقتها الباكية...

بينما هو في عالمه المنفصل..
تأوه متألماً وهو يربت على كتفه برفقٍ..
كلماتها تتردد بأذنيه..

ونبرتها صفت قلبه بعنفٍ فانتفض متألماً !



كلماتها آلمته، فبكى بحرارة ظناً منه أنه وحيد..

لن يراه أحد..

ولن يشعر به أحد.. ولن يسمعه أحد..

هنا في غرفته الواسعة ذات الجدران الوهمية،

متاح له الصراخ... البكاء..

فلن يشعر به أحد سوى نفسه !

لن تسمع أذن أي شخص صراخه سوى أذنيه!

ولن تحرق الدموع وجنتيه على أرض الواقع،

بل ستغزوها في أرض الخيال...

لكنه لم يكن يعلم أن عيناه تمردت على منطقته

وافلتت دمه حارة سقطت من طرف عينيه

المغمضتين أمام عيني مليكة التي اتسعت

عينها مبهوتة !

هل حديث الطبيب صحيح ???



هل يسمعها؟؟

هل يشعر بها؟؟

والإجابة لا تحتاج تفكير!

فها هي دمعته أتخذت مسارها وأخبرتها أنه

يشعر بها، يسمعها!

فعضت على شفثيها تكتم تأوهاً متألماً!

=====

تحرك معهم بعينين متجمدتين، يسحبه شخص

ما بصرامة، بينما الأصوات العالية تتداخل من

حوله!

لكن هو لم يكن مهتماً بما يقول هذا ولم يتعامل

معه ذاك بشيء من العنف!

بل كان جُل تركيزه على القيد الحديدي بكفيه!



ينظر له بعينين متلبدتين، ثم تتخفض عيناه إلى

قميصه ليرى الدماء تلتطخه بشكلٍ مخيف !

فيرفع عينيه ويزدرد ريقه بصعوبة !

هل قتله ؟؟!

هل أصبح قاتل ؟؟؟!

خرج من شروده مرغماً حين تعالى صوت

الضابط بحزم :

لقد مات القاتل فعلاً، تأكدنا من هذا؟، للأسف

أصبحت قضية قتل !

لم يظهر عليه أي رد فعلٍ يشي بأنه يسمعه!

حدقتاه ثابتتان، وملامحه شاحبة، بينما أصابعه

تتقبض بقوة!

قوة لن تصف شعوره الآن !



صمت الضابط قليلاً وهو يراقب جموده وتبلده،
فضاقت عيناه باستغراب لأول وهلة، ثم لم يلبث
أن ارتفع حاجبه وهتف بقوة ضارباً سطح
المكتب بكفه :

- مروان، تكلم !

أجفل مروان المتخشب مكانه واهتزت حدقاته
بإدراك متأخر، فارتعشت شفتاه وتحرك حلقه
بصعوبة وهو يهتف بتحسرج :

- نعم !

سحب الضابط نفساً عميقاً، ثم مسح وجهه وهو
يقول بصرامة موجهاً كلامه إلى العسكري
الواقف بجوار مروان :

- فكه يا أبنّي، واخرج من الغرفة !



أوما العسكري بطاعة وفك قيد مروان الواقف

بذهنٍ مشوشٍ وعينين غائرتين...

خرج العسكري من الغرفة وأغلق الباب خلفه،

فانتصب الضابط واقفاً واتجه نحو مروان...

هتف الضابط بهدوء وهو يربت على كتف

مروان بدعم :

-اجلس يا مروان، أريد أن أسألك بعض الأسئلة

!

تحرك مروان بخطا بطيئة نحو المقعد وجلس

بعينين غريبتين، بينما جلس الضابط على

المقعد المقابل وهتف بنفس الهدوء :

-أحكي لي كيف قتلته!



رفع مروان رأسه بسرعة وقد شحب وجهه
أكثر واهتزت حدقاته، ثم لم يلبث بأن هتف
بسرعة مذهولاً :

-هل قتلت ؟؟؟، أنا قتلت ؟

كان يسأل نفسه قبل أن يسأل الضابط الذي
أطرق برأسه بأسفٍ، بينما اتسعت عينا مروان
والتوت شفتاه بشبه ابتسامة ساخرة :
-نعم نعم، تذكرت..أنا قتلته فعلاً !

هتف الضابط بجدية :

-مروان، ركز معي، أريد أن أسمع منك أنتَ
ماذا حدث وكيف قتلته ؟، القضية لها حل فأنتَ
بالتأكيد كنت تدافع عن نفسك لكن أخبرني بما
حدث أولاً !



رمش مروان بعينيه مرتين، ثم عاد برأسه إلى

الخلف وحدث في سقف الغرفة لدقيقة !

دقيقة واحدة تذكر بها كل شيء..

تدفقت الكلمات من فمه بمساعدة عقله الذي

انتفض من كبوته

حين اتسعت عينا مروان مبوهتاً وهو يرى

أصبع هاني يضغط على الزناد ضغطة خفيفة

وشت بقرب إنطلاق الرصاصة، صرخ وعيه

صافعاً عقله كي يستفيق !

إنه جاد وسيقتله وإن لم يتصرف في خلال ثانية

سيسقط قتيلاً..

ارتفع صوت لهاتهما واتسعت الأعين وكل

منهما يحدث بالآخر..



نظر مروان بطرفِ عينيه نظرة سريعة نحو
السلاح الآخر الملقى أرضاً فوجده قريب جداً
منه...

فازدرد ريقه بصعوبة، ثم تسالت أنامله بخفه
ليلتقطه وهو يهتف من بين أسنانه كي يشغل
هاني :

-هل أقتربت منها؟؟-

اتسعت ابتسامة هاني السوداء، وهتف وهو
ينظر إلى عمق عيني مروان :

-كنت أتمنى والله لكني لم أنل سوى شهد

شفتها !

أثناء تكلمه كان قد لاحظ مروان ارتعاش يد
هاني الممسكة بالسلاح إثر ضربة ضربها له
قبل دقائق، وما أن قبض على السلاح بصعوبة،



وانتهى هاني من كلماته التي أججت نيرانه
وأشعلت جنونه فأعمى الغضب عينيه وهو
يزمجر فجأة ويضرب سلاح هاني بحركة
مباغته غير متوقعة مستغلاً ارتعاش يده، وفي
خلال ثانية كان مروان يبدل موقعه فأصبح
هاني المصدوم ملقياً على الأرض ومروان
يشرف عليه من علو...

كل هذا في خلال دقيقتين، والثالثة ضغط مروان
على الزناد بقسوة حين هم هاني بمحاربته وهو
يصرخ بوحشية بعد أن تدارك نفسه :

-سأقتلك يا مروان، سأقتلك وسأقتلها هي

الأخرى، سأقتلك يا (...)!

اخترقت الطلقة جسد هاني، واخترق صوتها

طبقات سمعه!



بينما اتسعت عيناه لأول وهلة بتشفٍ، ثم لم
يلبث أن انعقد حاجباه بشدة وهو ينظر إلى
الدماء التي أغرقت الأرض ووجه هاني أيضا

بشكلٍ غريب !

لثانية، خمد غضبه فجأة..

وتوارى عقله خلف درع الصدمة مختفياً...

تخلى عنه وتركه ينظر إلى الجسد المسجى

أمامه..

وتأمرت أذناه مع عقله فصار صوت الطلقة

يرن بأذنيه كالطينين !

هل قتله؟!!

اخترق صوت ذاك الرجل المنكفى على جسد

هاني يتفحص نبضه :

-لقد توقف النبض يا باشا !



توقف النبض !

توقف النبض وتوقف معه إدراك مروان

وأنكمش عقله على نفسه أكثر !

هل الشعور بأنك السبب في إزهاق روح شديد

القسوة بهذه الطريقة !

حتى لو كانت تلك الروح مدنسة بالخسة

والشيطانية !

حتى لو تعدت تلك الروح القدرة على عرضه

وشرفه !

فبين حرب المشاعر المتضاربة يوجد بينها

شعور غير مفهوم !

وهذا الشعور تشعب بداخله وزاد من تشوشه !

وبعدها..



لا يعلم ماذا حدث، سحبه أحدهم بخشونة وهو

يقيد كفيه بقيد حديدي...

فشعر بالثقل بيديه وازى ثقل ضرباته، وخواء

روحه !

قتلت يا مروان !!!

توقف مروان عن التحدث وقد تسابقت

الانفعالات على وجهه المحمر بعد طول ذهول،

بينما عاد الضابط بظهره إلى الخلف وهو ينظر

إلى مروان لدقيقة، ثم لم يلبث أن هتف بهدوء :

-حسناً يا مروان، قضيتك سيكون حلها هو أنك

فعلا كنت في حالة دفاع عن النفس كما أن

زوجتك كانت مخطوفة وابنتها ولدينا أدلة على

ذلك كالإثبات المباشر مثلاً..



فقط ما سيعوق كل هذا هي إجراءات
التحقيقات، الطب الشرعي وما إلى ذلك، كما أن
زوجة سيادتك...

بتر عبارته عمدا كي يثير انتباه مروان الذي
أنتفض مكانه مصعوقاً بأنه نسي صبا من فرط
الصدمة التي شلت تفكيره منذ ضغط على الزناد
حتى قبل دقائق....

نظر مروان إلى الضابط بفكٍ متشنج، ثم هتف
بجزع وقد ازداد شحوب وجهه :

-ما... ما بها زوجتي !

نظر الضابط إلى عمق عينيه نظرة ثاقبة، ثم
اعتدل في جلسته وقال بهدوءه المستفز :



-الضربة التي تلقتها على رأسها كانت عنيفة
أدخلتها في غيبوبة متقطعة، تستفيق لتتنظر إلى
سقف الغرفة وتدخل في غيبوبة مرة أخرى !
ازدد مروان ريقه بصعوبة محاربا غصته،
بينما تلوى قلبه صارخاً...

ضربة !

وغيبوبة متقطعة !

وهو...أصبح قاتل !

المعلم الوقور أصبح قاتل !

حتى لو كان قتلا على حق فأي قلب هذا الذي

سيتحمل أن يتسبب في قتل روح !

أو بشكلٍ أصح هو من يشعر بعظم الأمر !

أغمض مروان عينيه مرهقاً تسحقه فوضى

الشاعر واضطرابه سحقاً...



بينما جسده فقد شعر به كالهلام، لا يقوى على

الحراك !

هتف الضابط بتفهم وهو يقوم ليعود إلى كرسيه

خلف المكتب :

-مروان، أنت صديقي، وأعلم ما تشعر به

جيداً...وأعلم أيضاً أنك لا زلت تحت تأثير

الصدمة، لذا فأسمعني جيداً، ستظل هنا بمكتبي

ولن أسمح بوضعك بالحجز، أما التحقيقات

فستأخذ مجراها الصحيح، ولا تقلق...ستخرج

بإذن الله...

صمت لبرهة وهو ينظر إلى مروان الذي عاد

برأسه إلى الخلف ليسندها إلى ظهر الكرسي،

فأطرق الضابط رأسه وهو يزم شفثيه بأسف..

أما هو..



فلسان حاله كان يردد !

ماذا حدث لحياتك الهادئة يا مروان !؟

=====

جلست جلستها المفضلة في هذا الوقت، ثم
فتحت كتابها وهي تعدل من موضع نظارتها،
بينما كفها الآخر فقد كانت تمسك به شطيرة
تقضم منها من حين إلى آخر وقد صبت جُل
تركيزها على الكتاب الذي كانت تدرس به،
ترفع رأسها إلى السماء مغمضة عينيها لتعيد
ما قرأته... ثم تعود وتذاكر جزءاً آخراً...
الهدوء المسيطر على الأجواء حولها كان
مريحاً لها جداً...

من المفترض أن موعد الحصة الثانية لها اليوم
بعد نصف ساعة تقريباً...



فقلت لنفسها لم لا تأتي إلى الحديقة الصغيرة

الموجودة بظاهر المبنى الضخم...

كي لا يراها أحد ولا يضايقها أحد بنظراته لها

بالرغم أن عملها بالدور الخاص بالروضة

وانفصالها عن باقي المدرسين إلا أنها تشعر

بأن وجودها وسطهم غير مريح !

فأكتشفت هذا المكان الهاديء وباتت تتردد

عليه كلما وابتها الفرصة!

قضت مروج من الشطيرة قضة كبيرة وهي

تغمغم لنفسها بعينين مغمضتين :

-متى سأنتهي من هذا العذاب يا ربي !، لقد

تعبت من المذاكرة...

ثم سحبت زجاجة الماء الكبيرة الخاصة

ورفعتها لترتشف منها بسرعة...



-ماذا تفعلين هنا؟؟

اجفلت مروج شاهقة وهي تشرب الماء، فوقعت

الزجاجة منها وصارت تسعل بشدة...

بينما أغرقت المياه ملابسها وكتابها

المهترئ فاتسعت عيناها برعب واشتد

سعالها...

اقترب منها الآخر بسرعة مجفلاً من سعالها

الشديد، وجلس القرفصاء أمامها وهتف بقلق :

-مروج...هل أنت بخير؟؟

نظرت مروج له بوجهٍ محمر وهي تسعل

مختنقة، فأضاف بجزع وهو يحاول البحث عن

شيء لا يدركه :

-لم أقصد إفزاعك، ماذا أفعل الآن !



أستقام واقفاً بسرعة، ثم لم يلبث أن مال نحوها
ليبعد الكتاب عن حجرها بحرص فلاحظ أنه
تقريباً لم يعد كتاباً، ثم هتف بصرامة قلقة وهو
يراقب وجهها المحمر :

-هيا قفي...-

وقفت مروج أمامه وهي تلوح بكفها أمام
وجهها، فأضاف إياد بسرعة مانعاً نفسه بشق
الأنف على الأقتراب :

-نظمي أنفاسك يا مروج.. على مهلك

أغمضت مروج عينيها وهي تلهث بعنفٍ بعد أن
هدأت موجة السعال، وبدأت في تنظيم أنفاسها
وهي تزدرد ريقها بصعوبة، بينما ارتخت
ملامح إياد بعد أن هدأت، فاعتدل في وقفته



وارتدى قناعه المتبدل يخفي به قلقه عليها،

ليهدف بتوبيخ غليظ :

-لماذا تجلسين هنا مس مروج ؟؟، أتركين

عمك وتجلسين هنا لتهربين من مهامك !

نظرت مروج إليه متسعة العينين وهو تمسح

وجنتها بكفها، بينما كفها الآخر كانت تتحسس

به فستانها الذي تبلل نصفه السفلي، فغمغت

بصوتٍ مسموع :

-يا إلهي، لقد تبلل الفستان !، ماذا سيظن

زملائي !

عقد إياد حاجبيه بعدم فهم وهو يطالعها بغباء،

وحين استمر همسها على هذا المنوال أغتاظ

منها أكثر، فهتف بصرامة وهو يلوح بعصا

رفيعة وطويلة :



-مس مروج، فلتستعيدي تركيزك وتحديثيني!
انتفضت مروج مرة أخرى على زعقته، فرفع
إياد حاجبه باستفزاز، وهتف من بين أسنانه
بعدها لم يستطع السيطرة على نفسه :
-ألن تكفي عن هذه الميوعة !

جزت مروج على أسنانه بقوة، وقبضت كفها
بجوارها بقوة تتحكم بنفسها، ثم هتفت بهدوء
مصطنع :

-آسفة مستر إياد على وجودي هنا، أما بالنسبة
لعلمي، فأنا كنت في فترة راحة...
ثم تحركت نحو حاجياتها تلملمها بعصبية بعد
أن استفزها بطريقته الباردة واستفزازه الذي
ناقض قلقه عليها منذ دقائق...



وقعت عيناها على الكاتب الذي تباللت صفحاته
وراح في خبر كان، فاتسعت عيناها مصعوقة
فهي كانت تظن نفسها تتخيل حين كانت تسعل !
جذبت الكتاب بأصابع مرتعشة وعينين دامعتين
وهي تغمغم بذهول :

-يا إلهي !

لاحظ إيد صدمتها والدموع بعينيها، انعقد
حاجباه بتوجس، ثم أقترب منها وقال بحذر :
-ما هذا الكتاب !

ردت مروج بتلقائية دون أن تشعر وهي
تتفحص مدى الضرر الذي ألحق بالكتاب :
-أنه يخص دراستي، كنت أذاكر منه فقد اقتربت
امتحاناتي، اشتريته بعد أن طلبته من أمجد



وأعطاني ثمنه من مصروفه الخاص !، يا إلهي

أنه غالي جدا !

قالت جملتها الأخيرة بحشجة باكية وهي

تعض على شفتها تمنع بكاءً طفولياً، بينما

أطرق إياد برأسه بضيقٍ وهو يرى حزنها

وحسرتها، فجز على أسنانه مغتازا من نفسه

لأنه يشعر بالضيق لأجلها !

فجأة وجد مروج ترتدي حقيبتها وتمسك الكتاب

بكفها وانطلقت راحلة من أمامه وهي تغمغم

بنفس الحشجة :

-أعتذر مستر إياد على عدم انضباطي، لن

أجلس هنا مرة أخرى !



لحق إياد بها بخطوات سريعة نوعا دون أن
يفقد هيئته وهو يرى الطلاب يتحركون
أمامه...

بينما مروج فقد كانت تشعر بالحرج مما تفوهت
به بشأن الكتاب...

شعرت بنفسها حمقاء متخلفة تغمغم بحماقة،
ففرت من أمامه هاربة وأثناء مرورها من
الفناء الرئيسي أعترض طريقها زميل لها،
فوقفت على مسافة بعيدة نوعاً ورفعت رأسها
مجفلة وهزت رأسها بتساؤل، فهتف زميلها
بابتسامة بشوشة :

- هل أنتِ مريضة مس مروج، تبدين شاحبة !
رفعت مروج حاجبيها بشراسة وقد نست حزنها
وخرجها ممتنة لذاك لتفرغ به كل مشاعرها



التي تتصارع بغباء بداخلها، لكن هتاف إياد
الذي أتى من خلفها أجمها :

- هل غيرت مهنتك مؤخراً يا أستاذ وأصبحت
دكتور أم ماذا ؟

شحب وجه الآخر وتتحنح بحرج، فوضع إياد
كفه بجيب بنطاله، بينما كفه الآخر كان ممسكا
بعصاه التي يتحرك بها بالمدرسة دائماً...
ازدردت مروج ريقها بتوتر، وابتسمت بعصبية
وهي تهتف بنبرة حاولت صبغها بالهدوء :
-بعد أذنكما، لدي حصة !

ثم تركتهم وأبتعدت وهي تغمغم بسرّها بغيظ
وهي تبعد شعرها خلف أذنها بعصبية :



-ألا يكفيه أنه كان السبب في إفساد
كتابي...يأتي الآن ويحرجني، أنني أكره وجه
المدير الحازم هذا يجعله شريراً...
اختفت مروج من أمامهما، فحك رأسه زميلها
بحرج وهو ينظر إلى إيد الواقف أمامه بملامح
خشبية وعينين جادتين، ليهتف الأخير فجأة
بلهجة صارمة وهو يشير بكفه بصرامة :
-إلى عملك يا أستاذ هيا هل ستصورني !
أوما بسرعة و اختفى من أمامه وهو يغمغم
لنفسه بتهكم :
-أقسم بالله تعجبه،كلما تحدث معها أحد يأتي
ويخرسه تماما، لا أستبعد وجود قصة حب
بينهما !



هز رأسه ساخراً وهو يتسلق درجات السلم
المؤدي إلى وجهته...

بينما أطرق إياد برأسه يتذكر ما قالته بشأن
الكتاب، فيزداد ضيقه أكثر بأنه السبب...
همس لنفسه بشرود وهو يتحرك عائداً إلى
مكتبه :

-بإمكاني إحضار آخر جديد لها، لكنها لن تقبل
به، أنا أعرفها جيداً، عنيدة وذات رأس صلب !
زفر بحنقٍ وهو يرفع كفه ليبعد خصلاته عن
جبهته، ثم توقف أمام مجموعة من الأولاد
كانوا يتشاجرون مع بعضهم البعض، فاستعاد
صرامته ومد العصا ليفصل بينهم وهو يضربهم
ضربات خفيفة هاتفاً بصرامة :



-ولد، كفى همجية أنت وهو...ابتعدوا عن

بعضكم الآن !

حين أدرك الطلاب وجود إيد وهتافه الصارم،

ابتعدوا عن بعضهم بسرعة، ووقفوا أمامه

مطرقين رأسهم بتقدير..

نظر إيد إليهم دون أن يفقد جديته، ثم هتف

موبخاً وهو ينظر إلى ساعة معصمة :

-ماذا تفعلون بالله عليكم، أنتم أطفال؟، قلتُ

الشجار ممنوع هنا...إن رأيتم تتشاجرون أو

علمت بهذا، سأقوم بفصلكم !

أحتقت وجوه الطلاب، بينما لم يتركهم إيد

ورحل بل أردف بصرامة وهو يلوح بعصاه :

-إلى فصلكم، هيا !



ركضوا من أمامه فارين، بينما ذهب إيد إلى

مكتبه وهو يفكر بها...

فتح باب مكتبه وهو يتهد، ثم أغلقه وجلس

على الأريكة وأسند رأسه إلى الخلف مغمضا

عينيه...

الأيام هنا باتت ثقيلة، يشعر بالأختناق يكتنفه

منذ وطأت قدماه أرض الوطن، يشعر بذرات

الهواء لا تكفي رأتيه..

قوته وتماسكه يهددانه بالانهيار وهو رجل

الانهيار ليس من شيمته !

هو رجل لا يقبل الضعف أمام مشاعر بغیضة

يراهها مسيطرة عليه منذ عادت مالكة القلب

بالظهور أمامه !



لعنة حبه لها لعنة ألحقت به وبات كل همه

الخلاص منها !

لعنة التفت حول عنقه لتزيد اختناقه !

يفكر، هل ما زالت تحب مالك !

هو لا يعلم أبعاد قصتهم بعد أن سافر، ولا يريد

أن يعرف..

لا يريد أن يتذكر من الأساس أنه يحب فتاة

تحب آخر !

ولا يريد أن يتذكر ضعفه أمام حبه لها !

هو رجل شعاره التماسك والتبند !

لكن أمامها يتحول إلى مراهق بنبضٍ متسارع،

ولولا قشرة الصلابة التي يتشبث بها لكان سقط

أمام قدميها مترجياً حبها !

لقد وصل إلى مرحلة لم يكن ينوي الوصول

إليها !

ألا وهي إتباع تحركاتها، الأختلاس لكل كلمة أو

موقف ليحدثها، وهذا مؤشر غير جيد..

لذا فقراره العودة إلى إسبانيا هو الحل الوحيد !

لن يتحمل أن يُجرح مرة أخرى، فجرحه القديم

لم يشفَ بعد !

وبالرغم من ألم قلبه من فكرة الإبتعاد عنها

والعودة إلى تأمل الصور المختلصة..

إلا أن الأبتعاد سيحميه من جرحٍ آخر..

صوت طرق خفيف على باب المكتب أخرجه من

شروده، فأعتدل في جلسته، ورفع صوته يسمح

للطارق بالدخول..



فُتِحَ الباب وظهرت من خلفه من كان يفكر بها
منذ دقائق..

تقدمت نحو بتردد ورأسٍ مُطرقٍ بخجلٍ غريب،
فَعقدت إِيادَ حاجبيه بتوجس، وهتف باستفسار :
-هل تريدن شيء مس مروج !

ازدردت مروج ريقها باضطراب، ثم تحركت
نحوه بعرجٍ خفيفٍ أجتذب نظره، فازداد فضوله
لمعرفة سببه..

وقفت أمامه مشبكة كفيها ببعضهما، ثم هتفت
بصوت ثابت أثار دهشته :

-أريد أن آخذ من راتبي الشهري مبلغاً واخصمه
مني حين آخذه آخر الشهر !

ضاقت عينا إياد بتفحص وعدم فهم لطلبها، ثم
لم يلبث أن تذكر كتابها الذي شارك في إفساده،

فاستقام واقفاً ليواجهها، ثم وضع كفيه في جيب

بنطاله وهتف بهدوء :

-لماذا؟؟-

لعلت شفتيها وردت بنفس الثبات دون أن ترفع

وجهها :

-أحتاج هذا وبشدة، سأبتاع كتاباً آخراً...

-بإمكاني شراءه بنفسه كتعويض لأنني السبب

في...

قالها إياد بهدوء، فرفعت مروج رأسها بسرعة

أجفلته حتى أنه عاد برأسه إلى الخلف وبتر

جملته، فتناولت هي ضفة الحوار وهتفت بجدية

أعجبته :



-شكرا لك مستر إياد، بإمكانني إحضاره بنفسني

من راتبي الخاص..فهل يمكنني أن آخذ هذا

المبلغ !

ثباتها، وأنفها المرفوع بشموخ وكبرياء أعجبه

أثاروا فخره بها وبتغيرها الملحوظ..

حتى لو كان رحيله عن أرض الوطن هو آخر

المطاف، لكن تغيرها الذي لمسها وبعض

المبادئ التي زرعها بها سيطمئن عليها...

أوما إياد برأسه بهدوء، ثم هتف برفق وهو

يتجه إلى مكتبه :

-يمكنك بالتأكد...

أخرج محفظته من درج مكتبه، وأخرج منها

ثلاثة ورقات نقدية ثم أغلقها ونظر إلى مروج

التي نظرت إلى محفظته والأوراق النقدية التي



مدها نحوها وهتف بنفس الهدوء وإن شاب
نبرته حنان أرعش نبض قلبها المضطرب :
-تفضلي يا مروج، خذي هذا المبلغ سيقي بثمنه
بالتأكيد !

اقتربت منه بنفس العرج وهي تعض شفتيها
بحرج، ثم وقفت أمامه ونظرت له دون أن تمد
يدها لتأخذ الأموال، فعقد إيد حاجبيه بعدم فهم
وهتف وهو يمد يده أكثر :

-فلتأخذي الأموال يا مروج !

-ستقوم بخصمهم من راتبي أليس كذلك، لن
أقبل أي أموال من أموالك !

قالتها بجرأة استرقت منه ابتسامة جنونة زادت
من ضربات قلبها جنونا، ثم لم يلبث أن سقط
قلبها مغشيا عليه حين هتف إيد بمشاكسة :



ما بك يا أبله، قلت لك سأقوم بخصمهم
بالفعل، أعطيتك المبلغ من مالي الخاص
وسأخصمه وأخذه من راتبك لنفسى، لا تقلقى
أنا لا أترك حقى، فأنا بخيل جدا !
التوت شفتاها بابتسامة حقيقة، فتعمق طابع
الحسن بذقتها لتخونه عيناه وتتعلقان به، بينما
مدت هي كفها بخجل ثم أخذت الأموال وهمست
شاكراً، فرد إيادٍ بود :

- أنتِ على الرحب مس مروج !
حين وجدها تتوي الرحيل وعادت خطوتين إلى
الخلف بنفس العرج، لم يستطع أن يمنع نفسه
فسأل بفضول :

-مروج، ما سبب هذا العرج !



تسمرت مروج مكانها بعينين غائمتين، بينما
أصاب إياد الدهشة من غيرها وشحوب
وجهها، وما أثار دهشته ارتعاش جسدها حين
باغتها سؤاله وباغتها ذكرى الحادث المريع
الذي تعرضت له !

دقيقة، ثم الأخرى وهي لا زالت على حالتها
التي أثارت قلقه، فانفجرت شفتاه ينوي
التحدث، لكنها سبقته وهتفت فجأة بتلعثم :
-حادث سيارة تعرضت له منذ عدة شهور !
عقد إياد حاجبيه بتوجس، ثم غمغم بذهول :
-حادث منذ عدة شهور ولم تشف ساقيك حتى
الآن !، كيف ؟؟

استشعرت فضوله، فردت بنفس التلعثم وقد
اهتزت حدقتها :



- كان حادث صعبا، وقد أُصِبت بكسرٍ مُضعف
بساقِي وأصبحت تؤلمني بشكلٍ مستمر بعدما
تخلّيت عن الجبيرة...

آلمه قلبه لا يعرف لِمَ ووجد نفسه يهتف :
- كيف حدث هذا الحادث ؟

رفعت عينين دامعتين له كانت كصفعة صفعت
قلبه، ثم هتفت بسخرية لا تتناسب مع ما قالته
بكل جرأة غافلة عن الحريق الذي اشتعل

بصدره :

- ضربتني سيارة وأنا أهرب من جرح قديم كان
يتوسل السماح... ركضت دون أن أرى أمامي
هروبا منه وفجأة وجدت جسدي يمتطي الهواء
ويحط على الأرض الصلبة لا حول لي ولا قوة !



لم يكن بالغبي كي لا يفهم مكنون ما تفوهت
به...

هو ليس بالغبي كي لا يشعر بالألم الذي نقلته
نبرتها المرتعشة !

هو ليس بالأعمى كي لا يرى الدمع المتراقص
على جفنيها !

هو ببساطة عاشق... يتألم لأجلها...
ولأجل قلبه المتيّم بفتاة تحب غيره حتى لو كان
غيره هذا خدعها مرتين !

جز إيراد على أسنانه بقوة حتى كاد يكسرها،
بينما كفه تحت سطح المكتب قد قبضها بقوة
كي يتحكم في النار التي اشتعلت بصدرة
وبقلبه...



بينما ملامح وجهه تجمدت بشكلٍ غريب،
وتبلدت عيناه وهو يراقب اهتزاز حدقتها
وارتعاش شفتيها، فالتوت شفتاه بشبه ابتسامة
قاسية، ثم هتف بنبرة غامضة :

-ربما ترك الحادث أثر ليذكرك بأن الهروب من
الجرح ليس هو الحل الوحيد، أن ألمك أصبعك
الحل ليس تجاهل الألم أو الهروب لا، الحل هو
البتير!، إن كان أصبعي هو السبب في ألمي
فوداعاه !

جملته جمدتها، ردعت دموعها التي كانت على
وشك السقوط ودوت في أذنها كالناقوس !
لماذا تشعر بأن جملته مبطنة !
تحمل أكثر من معنى !
أيقصد ألمها هي !



أم يقصد نفسه؟؟؟

هل يخبرها بأن مشاعره نحوها بُتّرت منذ زمن

!

أم يخبرها بطريقة غير مباشرة بأن علاجها هو

البتّر !

وهي بالفعل فعلت هذا...بتّرت كل جزء يخص

مالك بداخلها منذ ذاك اليوم الذي اصطدم

جسدها بالأرض !

بتّرتة قولاً وفعلاً...

حين لاحظ إيداً تخشبها واتساع عيناها، تحولت

ابتسامته القاسية إلى ابتسامة أخرى حزينة لم

ترها...

حظها العاثر أنها رأت القاسية ولم ترّ الحزينة !



لم ترَ عيناه اللتين اشتعلتا بجذوة ألم لثانية ثم

خبا الاشتعال وحل محله الجمود!

لم تسمع همسه الداخلي مع نفسه ليناطح قلبه :

-قلت لك الابتعاد هو الحل !

ازدردت مروج ريقها بصعوبة، ثم تراجع

خطوتين إلى الخلف وقالت :

-سأرحل مستر إياد، شكرا لك!

ثم استدارت على عقبيها ورحلت، رحلت

ليتشقق قناعه المتبld ويبقى وجهه الحقيقي !

وجه عاشق بائس رأى بعينيه ألم حبيبته على

رجل آخر...

أي عذاب هذا !

سحب إياد هاتفه، ثم بعث رسالة إلى غالية

"أفكر بشكل جدي في الاستقرار بإسبانيا"



أتاه الرد في خلال ثوانٍ

"لماذا يا إياد؟؟، ألم تقل أنك ستبقى بالوطن

!!"

سحب إياد نفساً عميقاً، ثم هم بالرد لكنه لم
يلبث أن خرج من المحادثة ثم اتصل بها بدلا
من تبادل الرسائل كتابةً...

أتاه صوت غالية الحنون قائلة :

-ماذا بك يا إياد؟-

أغمض إياد عينيه، ثم أسند رأسه إلى ظاهر

الكرسي وهتف بصوت أجش :

-لم أعد أقوى يا غالية، أحاول إقناع نفسي

بأنني أتعامل معها كموظفة عندي لكنني لا

أقوى، كنتُ ببعدها أحترق شوقاً، والآن بقربها

أحترق ألماً...



عقدت عالية حاجبها بألم وقد دمعت عيناها

تأثراً بنبرته المتألّمة...

فهتفت برفقٍ حنون :

-كان يجب عليك ألا تقربها منك إلى هذا الحد يا

إياد، أنت تعلم أنها مضطربة منذ ذلك اليوم، كما

أنني لم أفضل أن تكون بهذا القرب منك خوفاً

عليك، لكن هذا لا يدفعك إلى ترك الوطن... هذا

ليس صحيحاً... منذ متى وأنت بهذا الضعف؟؟،

لم تكن تترك لمشاعرك السيطرة عليك !

أعدت إياد في جلسته منتفضاً وقد برقت عيناها

ببريقٍ غاضب، ثم هدر فجأة في وجهها متخلياً

عن عقله وقد فاض به الكيل :

-منذ رأيته أمامي بعد طول اشتياق، بعد أن

تجسدت أمامي لحم ودم وليس صورة تحتجزها



شاشة هاتفي، منذ أن رأيت ابتسامتها بقلبي
قبل عيناى، منذ أن تفوهت باسمي فسقط قلبي
مغشيا عليه من فرط الفرح، منذ أن أجبرت
نفسي على إتخاذ البرود والجمود قناع لأخفي
مشاعري كي لا تستغلها، منذ أن علمت بأنني
كنت مجرد بيدق تحركه في لعبة حقيرة دون
شعور مني... منذ أن رأيت دموعها بسبب
حبيبها... منذ شعرت بألمها، منذ حملتها بين
ذراعي نازفة وقتها شعرت بأنني على وشك
الموت... أتسألين لماذا تركت لمشاعري
السيطرة عليّ، لأنني يأسست... فقدت الأمل في
وجودها بفلكي تدور وتدور بكامل إرادتها،
ولست أنا من يدور في فلكها ناسكا دون أن
تشعر بيّ...

صمت يلهث بعنفٍ وهو يجز على أسنانه بقوة
حتى اصطكت، بينما عيناه فقد احمرتا وأحمر
وجهه من فرط الانفعال...

بينما غالية على الجانب الآخر كانت تبكي
بصمتٍ وقد ألمها قلبها عليه....

ألهذه الدرجة يتألم بحبها؟؟؟

سحب إيداً نفساً عميقاً عنه يهدأ من الحريق
المشتعل بداخله، ثم أضاف بنبرة أقل غضباً
نبرة متشحة بالسخرية :

-كنت أنصحها منذ دقائق أن ألمك أصبعك
اقطعيه، أنصحها بما لم أقو أنا عليه، حاولت
لكني فشلت وكانت كل محاولة فاشلة تثبت لي
أن إقتلاع حبي لها من قلبي بموتي !



صمت وصمتت هي بدورها تبكي، لا تعرف ماذا

تفعل؟

كيف تساعدك وهي تسمع كلماتك التي تقطر

ألماً!

بأي حق تلومه على قراره بالابتعاد مرة أخرى

!!

بأي حق ???

أغمض إيد عيني بهتبع، ثم هتف بهتكم :

-ألا زلت معترضة على ابتعادي !، ما هو الحل

إذا !

-تقدم لها !

قالتها غالية بحزم، فانتفض إيد في جلسته

مصعوقاً، ثم هتف بعدم تصديق :

-ماذا تقولين ؟؟؟؟



أجابت غالية بنفس الحزم :

-تقدم لشقيقتها وأخطبها، هي لم تعد صغيرة
ومر فترة لا بأس بها على ذاك اليوم الذي
قابلت به...قابلت به مالك، تقدم لها وأسعى لضم
قلبها!

اتسعت عينا إياد أكثر حتى كادا أن يخرجنا من
محجريهما، وتعالى نبض قلبه فرحاً بما قالت
غالية، بينما تحشرجت أنفاسه وهو يهتف
بتحشرج مصدوم :

-لا أعتقد أن هذا مجدٍ غالية، كبريائي يمنعني !
-عذراً إياد لما سأقوله الآن، تبالك ولكبريائك
اللعين، إلى متى ستظل تتألم هكذا؟؟؟، خذ
خطوة جدية نحوها....



صرخت بها غالية حانقة، فزم إيد شفتيه ثم قال

بإمتعاض :

- ما هذا الأسلوب الوقح يا بنت، أنا أخوك، أكبر

منك...

- وأخي الكبير سيقتله كبريائه اللعين يا

عزيزي... سلام...

قالتها بسخرية أعاظته، ثم لم يلبث أن أبعدها

الهاتف عن أذنه وهو يغمغم بغيظ :

- وقاحة وقلة أدب !

ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه بشدة...

لماذا لا يقبل باقتراح غالية؟؟

هل اتخاذ خطوة جدية نحوها هو الحل؟؟

لِمَ لا !

=====



الفصل الثلاثون



بعد مرور أسبوعين..

.....



بخطواتٍ حثيثةٍ تحركت باتجاه غرفته

بالمشفى..

تنظر حولها بتشتتٍ، ضائعة، تشعر وكأنها فاقد

للروح، فاقدة للجسد...

تفتح باب الغرفة بهدوء، فتخدش عينيها

دُجنتها، تعقد حاجبيها بتوجس وجل، تخطو

نحو الداخل بساقين مرتعشتين..

خطوة، ثم الأخرى و...

وقفت !

تتحس الجدار بأصابع مرتعشة حتى ضغطت

على متحكم النور، فاتضحت الرؤية أمامها..

تنقل نظرها إلى جسده الممدد على الفراش

كخرقة بالية..



العديد والعديد من الأسلاك البغيضة تتصل

بجسده وكأنها أفعى تصيبها بالرعب..

تتقدم نحوه بارتباك، ثم تجلس على المقعد

المجاور لفرشه...

تأمل وجهه المكدوم بعينين دامعتين، ووجه

شاحب...

- يبدو أنك عشقت الابتعاد عنا يا سليم، كل هذا

نوم؟؟؟، تتشبث بالخيال وتتركني وحدي على

أرض الواقع !

تقولها بنبرة مرتعشة فضحت خوفها، قلقها

رعبها..

رعبها من وحدتها، خوفها من أن يلفظ أنفاسه

في أي وقتٍ...



تقترب منه أكثر، لتسند جبينها إلى كتفه،
تحتضن كفه بكفها الصغير، فتشعر وكأنها على
وشك الموت...

لماذا يتعمد إثارة رعبها؟؟؟

أهذا هو عقابه؟؟

أن تموت كل يوم ألف مرة، تحترق على نار
هادئة، عقابها أن تبكي دائما دون أن تجف
عينها..

أخبروها منذ أسبوع أنه تعرض لانتكاسة
مرعبة وهي غير موجودة..

حيث إن نبضات قلبه الثكلى توقفت تماماً!
صفير مزعج دوى في أنحاء الغرفة يومها،
فأتى طبيبه يهرول نحو الغرفة حيث مريضة
الذي استسلم لدوامه الموت في طرفة عين...



صعقة ثم الأخرى في محاولة بائسة لإنعاش
نبضاته..

يحارب هو الموت بكل وهن وحيداً، تجذبه
دوامة الموت المغرية، وهو يتشبث بالحياة
بوهنٍ شديد، يسترق السمع عنه يسمع صوتها
يرجوه البقاء، فيبقى لأجلها..

يسمع بكاءها المقهور فينتفض قلبه ليعاود
نبضه، يبحث عن رأسها المستندة على كتفه،
لكن..

هي ليست هنا؟

هذا ما شعر به وقتها وهو يحارب الموت !
صعقة..

ثم الأخرى..

وعاد النبض مرة أخرى..



لم تكن بجواره وقتها...
تخلت عنه في وقتٍ كهذا وهذا من حسن حظه
وحظها بالتأكد، فهي لو كانت موجدة لكانت
ماتت قبل أن تزهق أنفاسه..
حين أخبروها بما حدث، شعرت وكأن نار
مستعرة شبت بصدرها ، وبألم لا يحتمل بقلبها
وكانها على وشك الموت !
تزدرد ريقها بصعوبة وكانها تبتلع علقماً، ثم
ترفع رأسها لتتنظر إلى وجهه الشاحب...
تغمض عينيها بألم، وهي تتابع حديثها بنبرة
تثير الشفقة :

-أريد أن أدافع عن نفسي بما أنك تسمع وتشعر
بكل ما يدور حولك، أنا لم أتركك وحدك يا
سليم، كنت يومها عند زوجة خالي "رقية"،



كانت مريضة بسبب ما حدث لمروان، وصبا
كانت في حالة صعبة جدا، حتى مروان كان في
حالة سيئة جدا حين ذهبت له في "قسم
الشرطة"، بالتأكيد تريد أن تسألني كيف ذهبت
له وحدي وبالتأكيد أنت غاضب، سأخبرك بكل
شيء فليس بيدي سوى البوح والثرثرة عليك
تشفق عليّ وترحمني من ألمي..

تصمت لثوانٍ، تلعق شفيتها المرتعشين وهي
ترفع كفها لتمسح دموعها بظاهر كفها، بينما
كفها الآخر يحتضن كفه البارد بقوة...

ورد الفعل لم يكن موجودا، فطفقت تسرد

بتحشرج باكٍ :

- علمت بما حدث لمروان وصبا، كنت وقتها في
حالة تخبط وتشتت بسبب الحادث، ثم فكرت، لو



كنت موجوداً لكنت حاربت بكل ما أوتيت به من
قوة لتساعده، ففعلت أنا ما يتوجب عليّ فعله،
تحركت ووكلت له محامي كبير بالأموال التي
تركها بحسابي، دفعت "حساب" المشفى التي
استقبلت صبا وزوجة خالي، زرت مروان بعد
أن استغلّيت اسمك وعلاقتك فسمحوا لي بأن
أراه، وليتني ما فعلت، لقد كان... كان منطقياً،
مشتتاً كطفلٍ ضلّ الطريق، لم يتحمل فكرة أنه
قتل، لا يصدق أنه قتل ذاك الذي يدعى هاني،
رغم أملاكه الحق بما فعله؛ إلا أنه قد تأثر
نفسياً، أتصدق أنه عنفني وأمرني بفضاظة أن
أرحل وألا آتٍ إليه مرة أخرى لأن المكان غير
مناسب ليّ!

تقول جملتها الأخيرة بضحكة متحشجة،

فابتسم هو الآخر في عالمه الموازي، يسمعها

بتركيز، نائماً على جانبه في ركنٍ قصي وقد

تلون عالمه بدُجنة مخيفة...

تتنهد مليكة بثقلٍ وهي تربت على شعره بحنان،

بينما شفتاها لا تكفان عن الثرثرة :

-الأخرق لم يلحظ تدهور حالتي ولا يدي المعلقة

بحمالة الذراع، لم يلحظ تورم وجهي و تورم

عيناي كمن خرجت من مصارعة عنيفة للتو،

صار يأمرني بكل فظاظة بأن أرحل، إلى أن

أنتبه لحالتي...

تتسع ابتسامتها المرتعشة وهي تتذكر ما حدث

بعد ما لاحظ مروان حالتها



انعقاد طفيف أصاب حاجبي مروان وهو يمعن
النظر في وجه مليكة، ينظر إلى ذراعها، ثم إلى
قدمها المضمدة بقماشة بيضاء، يزدرد ريقه
بتوتر وخوف تمكن منه...

لقد تعجب من تخلي سليم عنه، حتى أنه كان
يشعر بألم غريب كمن تخلي عنه أباه..
لكن...

وآه من كلمة "لكن" وما تحمله من مصائب!
كلمة تتكون من ثلاثة كلمات متلاصقة علمياً،
بينهم مسافات شاسعة عملياً...

تلك القبضة الباردة التي اعتصرت قلبه أجبرت
لسانه على السؤال بتحشرج :

-ماذا حدث لك؟؟؟، وأين... أين سليم؟؟؟



الشحوب الذي أصاب وجهها فوق شحوبه، كان

كصفعة قوية لظمت وجهه معنوياً...

يتراجع خطوتين إلى الخلف وهو يهز رأسه

برفضٍ أمام دموعها، تصطدم قدمه بالمقعد

خلفه، فيلقي جسده عليه بعد أن خائته قدماه..

يخفي وجهه بين كفيه منتظراً إجابتها

المميّة...

والإجابة جاءت تحملها نبرة باكية، وأنفاس

متقطعة كان كسكينٍ ثلم، طعن قلب الجالس

أمامها دون رحمة :

-لقد تعرضنا إلى حادث سيارة عنيف، خرجت

منه كما تراني...



ويرافق جملتها إشارة بسبابتها المرتعشة إلى
نفسها، ثم تتابع بحشجة وهي تشير بإبهامها
إلى اللاشيء وكأنها تشير إلى شخص وهمي :
-أما سليم، فقد...فقد دخل في غيبوبة وللأسف
يرفض التجاوب معي ومع أي شيء...

لو كانت قتلته لكان أفضل مما يشعر به الآن...
لو كانت كذبت عليه وأخبرته أنه تخلى عنه،
لكان أهون مما قالته الآن...

-ما..ماذا تقولين ؟؟؟؟، غيبوبة؟؟..

يقولها بتحشرج متألم وهو يحدق بها بصدمة
وقد التمعت عيناه بدمع متأثر...

يختلج فكه، ويزداد شحوب وجهه وهو يشيح
به بعيداً عن مرمى عينيها...



وهي...مقدرة لكل رد فعل يقوم به، هي تدرك

مكانة سليم عند مروان..

تُقدر، وتشعر بألمه لأجل ابن عمه..

تسحب نفساً عميقاً، ثم تجلس على المقعد

المقابل له..

تتمسك بقشرة الصلابة والقوة رغماً عنها،

تأمره بكل فظاظة وخوف حقيقي عليه وكأن من

تجلس أمامه سليم لا مليكة :

-أسمعني جيداً يا مروان، لقد وكلت لك محامياً

معروفاً، أخبرني أن القضية ليست بهذه

الصعوبة، سيحاول أن يخرجك من هذا المكان

بأسرع وقت، القضية دفاع عن النفس، قتلته

وأنت تمتلك كل الحق يا مروان، ضع هذا بأذنك



كي لا ترهق نفسك أكثر من ذلك، كما... كما أنني
أريد أن أطلب منك طلباً واتعشم بأن تفهمني...
زوى ما بين حاجبيه متوجساً وقد شعر بأن
القادم لن يسعده أبداً، وقد صدق حدسه القلق
كنبرتها :

-أريدك أن، أن تفكر فيما حدث بعيني مروان،
مروان معلم اللغة العربية الوقور، مروان الذي
لا يحب الظلم أبداً، أريدك ألا تعاقب صبا عما
أصابك ولحق بك، هي ضحية مثلها مثلك،
ظلمها الزمن وذبحها القدر بسكينه الثلم، لا
تبتعد عنها يا مروان بعد خروجك، إنها وحيدة،
يتيمة الأب والأم، فلا تجعلها يتيمة الحبيب
أيضاً، صدقتني هي ضحية، ومظلومة أكثر منك!



نبرتها كانت مشفقة، تحاول تطيب جرحه

وتنظيف تقيحاته، تنظف عقله الباطن من

هو اجسه البغيضة..

تحاول، وتعافر هو اجسه التي سيطرت عليه في

الأونة الأخيرة..

صبا هي المذنبه الوحيد بخنوعها..

هي من أوقعت نفسها في هذا الجب العميق

وهو حاول مساعدتها فسقط به وللعجب

طواعية !

تتسابق الهواجس برأسه كالخيول..

وقلبه يتم دهسه تحت وطأة أقدامهم القوية..

فأنت مليكة بكلامها لتكون برداً وسلاماً على

قلبه، ورياح عاصفة أعاققت ركض هو اجسه

برأسه...



يخفض مروان رأسه بتعبٍ نال منه، ثم يهتف

وهو يمد يديه بقلّة صبر :

-أنا أحاول أن أستعيد مروان نفسه يا مليكة، أنا

تائهة، غير مستقر نفسيًا وذهنيًا....

-أعلم، أنا فقط أردت أن أنصحك، فصبا لم تعد

تتحمل أكثر...أصبحت مسخ امرأة تحتاج حباً

صادقاً يضمد جروحها !

تقولها بخبثٍ عاشقة تعلم نقاط الضعف، تضغط

عليها بهدوءٍ متقن، تخبره بأسلوبٍ بسيط بأن

صبا ليست بخير وأنها غير مذنبية..

تحارب هواجسه بشراسة امرأة..

تتجرع من كأس الفقد جرعات مقتنة !

تبتلع مليكة ريقها بصعوبة عند خاطرها

الأخيرة، لكن ملامحها ظلت كما هي...



أما مروان، فقد فهم ما ترمي إليه مليكة، فهم
أنها تضغط على نقاط ضعفه بكل مهارة،
فتراجع هواجسه مفصحة الطريق لقلب عاشق
متعب، مرهق يحتضر ألماً..
إلا أنه يظل عاشقاً!
كم تشبه سليم وهي تتلاعب على أوتاره بحكمة
وهدوء...

بابتسامة متألّمة، وعينين حراوين وجد نفسه
يغمغم :

-كم تشبهين سليم الآن؟، وكأني أرى سليم
أمامي!

وكان مروان تفوه بالكلمة السرية، فقد التمعت
الدموع في عينيها الغائرتين، وارتعشت شفاتها



اللتين ارتفعتا بشبه ابتسامة متألّمة، تبعد

اتهامه الباطل عنها بنبرة مختنقة :

-لا أحد يشبه سليم يا مروان، أنه مزيج مختلف

من كل البشر، حنون، عصبى، مجروح منذ

زمن بعيد، وعاشق صادق لم أشعر به سوى

الآن، بعد أن عاقبني بسقوطه أمامي...

كلماتها البسيطة كانت كحطبٍ زاد من سعير

النار بداخلها أكثر..

والألم لا يبارح صدرها، يغزوه في حربٍ غير

العادلة، والتحرر في يدٍ من غادر الواقع وتشبث

بعالمه الموازي طواعية....

سحبت نفساً عميقاً، ثم انتصبت واقفة فقواها

تهدد بالانهيار، تبتسم ابتسامتها "المنقوصة"



وتمارس دور زوجها بكل إخلاص تلميذة

لمعلمها :

لن تبقى هنا كثيرا، يومان أو ثلاثة وستخرج
لترى أحبابك، وزوجتك التي ترفض التحدث مع
أحد، حتى أمك حاولت أن تخرجها من حالتها
بالرغم من ألمها عليك إلا أن صبا لا
تستجيب...

ينعقد حاجبا مروان بقلبي صادق واندعاش
متوقع فيما يخص أمه..

كان يظن بأن أمه ستطرد صبا بعد ما أصابه،
لكن ما قالتها مليكة الآن آثار دهشته...
ترتفع شفتاها بابتسامة صغيرة وهي تقرأ
الدهشة على وجهه، فتضيف بلطفٍ :



-لا تقلق، زوجة خالي لم تظلم الفتاة، أدركت
أخيراً أن ما أصابك هو قدرك، وهي مظلومة
مثلك...

تمنحه نظرة مطمئنة، ثم تتقدم نحو الباب
بعرجٍ، وقبل أن تخرج، التفتت إلى مروان الذي
كان يتبعها بنظراته الشاردة..

تهتف بهدوء لا يتناسب مع ما تقوله :

-سالم قلب الدنيا على سليم واتصل بي صباح
اليوم يهدر ويصرخ بأن نعود فوراً وإلا ستكون
العواقب وخيمة، لم أشأ بأن أخبره بما حدث
ليس خوفاً عليه بل على أمي...

-وماذا ستفعلين؟؟؟

يقولها مروان بقلق وهو يفرك رأسه
بإرهاق...



بينما هي تجيب ببساطة أثارت دهشته،
بساطتها لا تتماشى مع شخصيتها الغير واثقة
بنفسها أبدأ..

وكأنه..

يرى مليكة أخرى :

، سأذهب إليه وحدي، وهناك سأخبره بنصف
الحقيقة..

-وهي!؟-

سؤال حذر من قبل مروان، قابلته هي بابتسامة
ساخرة وهي تقبض على مقبض الباب في
حركة وشت بتأهبها للرحيل :

-لا تشغل بالك، سأتدبر أموري، إلى اللقاء..



ومن ثم أغلقت الباب هدوء دون أن تنتظر رد
فعله، فأغمض مروان عينيه بإرهاق وهو يهز
رأسه..

ولسان حاله يردد هذه المرة...
لماذا كُتِبَ عليهم التعب دائماً!
والإجابة تائهة عن عقله..
مدفونة بين دهاليزه..

يعرفها كل مؤمن لكنه يسقطها سهواً..
"قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا"
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"
توقفت عن سرد ما حدث، ومعها توقف سليم
عن الابتسام مستمتعا بثرثرتها التي بددت دُجنة
عالمه...

يشعر ببرودة غريبة تصيب كفه المستكين

بجواره..

ينظر إليه بعينين لا تمت للصفاء بصلة، يقلبه

بارتعاش فلا يبصره..

العالم هنا أصبح موحشاً بعد انتكاسته الأخيرة..

أصبح قابضاً للروح، خانقاً للأنفاس..

يشعر بها تبتعد، وصوتها الباكي يخبره بما

أوقف قلبه :

- سأذهب الآن، سأغيب عنك يوم واحد فقط، لن

أتركك وحدك، لا تخف أنا معك حتى النهاية...

ثم...

يشعر بها تتقدم نحوه بخطواتٍ سريعة، تميل

نحوه بسرعة، ومن ثم يشعر بقبلة هادئة على



جبينه، تابعتها أخرى على ظاهر كفه وكأنها

تعتذر له عن تخليها عنه..

يسمعها تهمس بأذنه باختناق :

-سأشتاق لك كثيراً، سأحاول أن أعود في أقرب

وقت...-

تغمض عينيها لدقيقة، دقيقة واحدة تحاول جمع

شئيات نفسها، ثم تنتزع نفسها انتزاعاً...

تعود إلى الخلف بقهر أصحاب ملك سُرقت

أرضهم رغماً عنهم، تخرج من الغرفة بسرعة

وهي تمسح دموعها بعنفٍ شديد..

تنهر نفسها بصوتٍ مسموع :

-كفى بكاءً يا مليكة، فأنتِ ذاهبة إلى سالم

وحدك، دون حارسك...-



ورغما عنها، تسابقت دموعها مرة أخرى على
وجنتيها وكأنها تعاندها...

أما بالداخل..

حيث عالم سليم، كان الأخير ينظر حوله بتشتت
مؤلم..

يتلمس جبينه بشروود حيث موضع قبلتها...

فينقبض قلبه بخوفٍ غريب...

أما على أرض الواقع، فجسده كان بعيد عن
عالم الأحياء من الأساس..

مجرد جسد كان يمتلك قوة فرعون يوماً،

وأصبح الآن على النقيض !

=====

أخذ القرار وانتهى الأمر..



لن يترك نفسه لكبريائه كثيراً..

فقلبه لم يعد يتحمل نيران الشوق والألم..

نقد رصيده من المحاربة والتشبث بقشرة

اللامبالاة، رداء الحكمة والبرود؛ تمزق، لم يعد

يصلح للارتداء..

قرر وأنتهى الأمر، وها هو يضرب جرس بيتهم

بملاح ثابتة تناقض قرع الطبول بصدده..

أيقف الآن أمام بيتها؟؟، ينتظر أن يفتح وكيلها

الباب، ثم يطلب يديها؟؟؟

ترتفع شفتي "إياد" بابتسامة صغيرة حين فتح

أمد الباب مبتسماً بهدوء شديد، يضافه

بترحيب حار، صادق، ثم يدعو للدخول فيتقدم

إياد نحو الداخل مطرق الرأس...

-تفضل يا إياد، لماذا أنت واقفاً هكذا؟؟-



يقولها أمجد بودٍ وهو يربت على كتف إياد،
فيبتسم الأخير بهدوء، ثم يتحرك معه نحو
غرفة الجلوس...

يجلسا متجاورين على أريكة بسيطة جداً..
يتبادلان الأسئلة الروتينية بلطفٍ غريب
وكأنهما صديقان منذ زمن، ورُغم الثبات
الانفعالي الذي يمتلكه إياد، إلا أنه أمام أمجد
خصوصاً يفقد كل ما يمتلكه من مشاعر سلبية..
ذاك الرجل به شيء غريب، وجهه يشع بهجة
وراحة، يبعث الطمأنينة بالنفس..
يمتلك ابتسامة حنونة بالفطرة تجعل من أمام
يبتسم مثله...

-تفضل، قل كل ما تريد قوله يا إياد، أنا أسمعك

!



يقولها أمجد بنفس اللطف، فيعتدل إياد في

جلسته بارتباك تمكن منه فجأة..

أنها تلك الرهبة التي تصيب المرء حين يقترب

من حلمه..

منعشة حد الاستمتاع، ومُربكة حد الاختناق!

تلك اللحظة التي تحترق بها على نار هادئة..

والارتباك لا يريد سوى شجاعة، وهو يمتلك

منها الكثير..

يهتف إياد بهدوء ولباقة، لكنه كان غافلاً عن

عينيه، فالأخيرة خاتته والتمعت بوضوح لاحظه

أمجد فتوسعت ابتسامتها حتى شملت وجهه :

-أنا أريد أن أطلب منك يد مروج يا أمجد !

والابتسامة كانت رد فعل أمجد الأول، فيتنهد

إياد بخفوت فقد أعتبر تلك الابتسامة موافقة



ابتدائية، لكن أجد باغته بسؤال أجفله بالمعنى

الحرفي :

-هل تخطيت ما فعلته مروج بك؟؟، هل نسيت

أنها تلاعبت بك؟؟؟

هما في الحقيقة سؤالين، كلُّ منهما يحارب

الأخر في نكأ جرح كرامته..

الذكرى تعاود مداهمته من جديد، فيشعر بجرح

كرامته الدامي....

حبيبته تبكي أمام حبيبها الخائن، وهو يقف

بعيداً يراقب بقهر عاشق، ويتحكم في نفسه

بقوة حاكم...

انعقاد طفيف بحاجبيه، أتبعه سؤال متعجب وإن

اصاب نبرته تحشرج طفيف :



-ماذا تقصد بهذا الكلام بالضبط؟؟، هل تعتقد

أني أريد الإنتقام منها؟؟؟

تلتوي شفتاه بابتسامة صغيرة أثارت حيرة إياد،

بينما أمجد يراقب كل خلجة من خلجاته بعيني

حكيم، ثم يجيبه بكلمة واحدة دون موارد :
-مثلا ؟

أجفله..

صراحته أجفله، حتى أنه عجز عن الرد

لدقيقة، دقيقة كان يحدق فيها بوجه أمجد

بذهول، دقيقة وبعدها استعاد توازنه..

أدرك، أدرك أنه "أب" يخاف على طفله

المتهورة..

وهو قدر...



هو عاشق حد النخاع، فلم لا يقدم القليل من
التنازلات في سبيل حبه، ومن قال أن التنازل
ضعف، بل هي قوة في بعض الأحيان، قوة
ناسبت نبرته وهو يقرّ، يعترف بكل صدق :
-أنا أحبها يا أمجد، ومن يحب لا يخدع !
وكأنه بجملته ينثر الملح على جرح أمجد
الملتهب، يلقيه بكلمات كالحطب، تزيد من سعي
نيرانه، وترسم صورة "جود" أمامه مرة
أخرى، فيلوح طيف من ألم بحدقتيه..
لكن حلاوة أعراف إياد تغلبت على مشاعره
المجروحة..
فيبتسم...

يبتسم ابتسامة واسعة، ثم يميل نحو إياد ليربت
على ركبته وهو يهتف بارتياح :



،وأنا لا أحتاج أكثر من هذا يا إياد، فقط أريد
حبك الصادق لها، وأنا أخبرك بأنها نست مالك
ت...

-أمجد..فلننسى الماضي ولا نأتي بسيرة من به،
مالك جزء من الماضي غير موجود الآن..
يصيح بها إياد بحدة غريبة وقد تجهم وجهه
واتقدت عيناه بغضبٍ طفيف، بينما يتراجع أمجد
إلى الخلف ليستند إلى ظهر المقعد..
لا ينكر أن جملة إياد أعجبته، ولا ينكر أيضاً أن
إياد محل ثقة، وهو مبدائياً وافق...
ومن سيرفض رجل كهذا..
صادق بحبه..

أخلاقه ومبادئه تمنعه عن فعل الكثير
والكثير...



لا يحمل أي ضغينة لمروج، بل يحمل كل حبٍ

وعشق لمروج..

أما إياد فقد كان غاضبا لذكر اسم مالك في

جلسة كهذه..

لن يكذب على نفسه..

هو يرى أن دخوله مقارنة مع مالك ستكون

محسومة منذ البداية..

فالفوز سيكون لصاحب أول دقة قلب..

وهذا الخاطر.. مميت..

وقبل أن يتابع أمجد حديثه، أنتفضا معاً على

صوت اصطدام باب الشقة بعنفٍ...

عقبها دخول عاصفة هائجة تجر مروج من

شعرها بقوة..



- أعود من السفر لأجد صديقي يسخر مني
ويخبرني أن شقيقتي كانت في حفل زفاف فخم،
مع رجلين، رجلين يا فاجرة، صفت أحدهما
والآخر تدافعين عنه، وبالتأكيد أمجد لا يعرف
أي شيء فهو دائماً هكذا وردي النظرة
والتفكير... غافلاً عن قلة أدبك...

وصراخه كان يصاحبه ضربات طائشة بكفه
الأخر على جسد مروج، فتصرخ الأخيرة بألم،
تشهق بعنف وهي تهذي بهستيرية :
-لم أفعل، أقسم بالله يا أخي أن الموضوع ليس
بهذه الصورة...

تصرخ، وتدافع عن نفسها بقهر، بينما ذراعاها
فقد كانت تحمي وجهها بهما، بينما أمجد فقد



كان يحاول تخليصها من قبضة رائف، يهدر

بغضبٍ شديد :

-أتركها يا رائف...-

والاستجابة لأمر أمجد كانت مستحيلة في هذه

الحالة التي كان عليها رائف..

عروقه بارزة، ووجه محتقن بغضبٍ مخيف..

أما العاشق..

كان يحاول مع أمجد تخليصها من بين يدي

رائف وقد اعترى محياه غضب أسود حاول

التحكم به بشقِ الأنفس...

يتلقى بدلاً منها ضربات كف شقيقها حاشراً

نفسه بالمعنى الحرفي بينهما كي يحميها، لكن

رائف كان يشدد على شعرها بقوة حتى كاد أن

يقتلعه من جذوره..



كان غاضبا وبشدة، وهي كانت تتألم وتبكي
شاهقة بقوة، تشعر ولأول مرة بأنها مكسورة،
تتلقى ضربات كف رائف الطائشة بقهر..
وحين فشل كل من أمجد وإياد في تخليصها من
قبضة رائف، فقد إياد السيطرة على أعصابه
وقد أعماه الغضب..

فأطاح فك رائف بغضبٍ صارخا :

قلتُ لك اتركه هههها..

أرتد وجه رائف إلى الخلف متأوهاً بألم، بينما
إياد فقد استغل تأوه وسحب مروج فجأة من
ذراعها ليوقفها خلف ظهره، يمد ذراعيه إلى
الخلف ليحاوط جسدها دون أن يلمسها..
ملامح وجهه كانت سوداء كغضبه..



جز أمجد على أسنانه بغضبٍ وهو يجذب مروج
ليحتضن جسدها المرتعد بين ذراعيه، يلعن
رائف بسرّه، ويربت على ظهر مروج التي
كانت تشهق بقوة وهي تتشبث بقميص أمجد...
أما رائف فقد كان يشعر بالمرح بفكه
وبغضبٍ شديد من ذاك الذي تجرأ وضربه، من
هذا أصلاً ليتدخل بينه وبين شقيقته
-ماذا فعلت؟؟-

صرخة غاضبة انطلقت من بين شفتي رائف
خرجت عنيفة، لكن إياد لم يهتز ولو قيد أنملة،
حتى حين لاحظ قبضة رائف التي ارتفعت في
الهواء وكأنه سيرد له اللكمة...
وما أن لاحظ أمجد ما ينوي رائف فعله، حتى
صرخ به وقد وصل غضبه إلى ذروته :



-رأاااأف إياك أن تفعلها...سأقتلك...

ثم يندفع نحوه رائف بخطواتٍ واسعة، بينما

الأخير فقد أخفض ذراعه وهو يلهث بعنفٍ،

ويتابع هذيانه الكارثي :

-هكذا إذاً، أنت من كنت معها يا إياد بك، لقد

أخطأ صديقي حين أخبرني أنها كانت مع رجل !

يضرب بعشوائية دون أن يدرك فحاشة ما يتفوه

به بكل غباء، يفقد زمام لسانه فيكون الرد من

قبل إياد زمجرة غاضبة :

-أحترم نفسك يا ولد...

وصرخة مخيفة من قبل أمجد يرافقها لكمة

قوية بصدر رائف :

-أحترم نفسك يا عديم التربية، أنت لا تفهم أي

شيء !



-أصمت أنت بالله عليك، لو كنت رببتها لم يكن

ليحدث هذا...

يهدر بها رائف بوجه أمجد الذي أرتد وجهه

إلى الخلف مجفلاً، يشعر وكأن رائف صفعه

للتو..

لو كان صفعة لكان أفضل من تلك الإهانة التي

تلقاها من رائف للتو...

بينما شهقة مروج المصدومة كانت قوية، تتسع

عينها الحمراء وان مبهوتة، بينما شفتاها

تتفرجان لتصرخ مدافعة وهي تتقدم نحو رائف

بخطوات سريعة :

-لا تقل على أمجد هذا الكلام القذر يا عديم الدم

والعقل...



وقبل أن تقترب منه، اعترض إيداً طريقها وهو

يأمرها بغضبٍ مكتوم :

-أصمتِ أنتِ الآن، الأمر لا يتحمل غضبك

وتهورك أنتِ الأخرى...

تراجعت إلى الخلف مجفلة، متسعة العينين

وهي تحرق بإيد الواقف أمامها..

تجلس على أقرب مقعد منهكة القوى، تميل

بجسدها إلى الأمام لتبكي بصوتٍ عالٍ، فيشعر

وكأنه على وشك قتل رائف هذا...

أما عند أمجد، فقد كان أمجد مصدوماً، يحدق

برائف الذي أطرق برأسه أرضاً شاعرا

بتماديه...

أغمض أمجد عينيه بقوة كي يتحكم بغضبه

وآلمه، ثم فتحهما فجأة ليصرخ بوجه رائف :



-يا كابتن يا محترم أنتَ تحكم عليها دون أن

تعرف أبعاد الموضوع..و..

-لا أريد أن أعلم أي شيء، هذه البنت قليلة أدب

وهذا بسبب دلالك لها، لم أعد أتحمل ما تفعله..

-وما دخلك أنتَ يا حيوان يا متخلف، أنا

أكرهك..

تقولها مروج بصراخ وهي تخفي وجهها بين

كفيها، تشهق بقوة مما وشى بضيقِ نفسها..

تألم إياد لأجلها رغم غضبه مما تفوهت به،

وشحب وجه أمجد جراء كلماتها وهم باعتراض

طريق رائف الذي اندفع نحوها بسرعة البرق..

لم يتمكن أمجد من الإمساك به، وإياد تفاجأ به

يجذب مروج من شعرها بقوة ليوقفها على

قدميها..



فتصرخ هي متألّمة، تشعر بأنّها على وشك

الإغماء...

وفي طرفة عين كان كف رائف يحط على وجه

مروج في صفةٍ جعلت صغير أذناها كقرع

الطبول..

تشهق متفاجأة، تتسع عيناها مبهوتة وهي

تغطي وجنتها المكدومة بكفها..

- ما هذه البجاجة؟؟، تتبجحين بكل جرأة...

يصرخ بها رائف وهو يهزها بقوة بينما هي

مستكينة تماما تحرق في اللاشيء متسعة

العينين...

لا تسمع صراخ إياد وأمجد برائف كي يتركها،

ولم تر إياد وهو يجذب رائف من ظهره بقوة

مستغلا قوته البدنية، بينما أمجد كان يحاول فك



أصابعه بعيداً عن شعرها، لم تشعر بنفسها
وهي تركض نحو غرفتها القديمة بالدور
الأرضي حين تخلصت من قبضة رائف...
تغلق الباب خلفها بسرعة بالمفتاح، ثم تذهب
نحو دولاب صغير، تسحب منه وشاح كبير..
ومن ثم تغطي به نصفها العلوي بسرعة،
تمسح دموعها بأصابع مرتعشة، ثم تميل نحو
جارور صغير، لتفتحه بسرعة فيصدر صريراً
مزعجاً، لكن هي..

في هذا الوقت...

لا تسمع.. لا ترى، ولا تشعر..

هي في هاته اللحظة أتخذت قرارها، سترحل

وتتركهم...

لن تبقى هنا ولو لثانية واحدة..



ستذهب إلى أخيها الآخر، سليم..
ستذهب إلى جدها وبالتأكيد لن يفعل لها أي
شيء في حضور سليم...
تتضخم الحبة برأسها، تزداد حلاوة بعينيها،
فتسحب الأوراق المالية التي كانت تخفيها بعيداً
عن الأعين في هذه الغرفة..

ومن ثم...

تحركت نحو نافذة الغرفة الكبيرة، اعتلتها
لتجلس على السور...
ترفع قدميها بحذرٍ شديد، ثم تنظر إلى أرض
الشارع الخلفي الذي يكون عادةً فارغاً...
تنزل ببطءٍ شديد كي لا تؤذي قدمها التي كانت
تئن ألماً في هذا الوقت، وحين شعرت بأنها



أصبحت في الشارع بعد أن ساعدها قصر

المسافة بين النافذة والأرض..

ومن ثم ركضت هاربة دون أن تنظر إلى

الوراء..

هي لا تستحق ما يحدث لها... لا تستحق...

أما بالداخل، فالنار لم تهدأ بعد، بل يزداد

سعيها أكثر وأكثر...

أمجد يقبض على قميص رائف صارخا بهياج

وهو يهزه بقوة :

-لماذا تتصرف من رأسك أنا لا أفهم، تضربها

وأمامي...ماذا ستفعل بعد ذلك، ستضربني؟؟؟

أما إياد فقد كان يشعر بشيء غير مريح يعتصر

قلبه، عيناه معلقتان بباب الغرفة التي دخلتها

مروج للتو، يحاول إبعاد أمجد عن رائف



بصعوبة بينما عقله يهمس له سرّاً بأن مروج

ستقدم على فعلٍ ليس بالهين..

هو يحفظها كخطوط يده..

تمكن أخيراً من إبعاد أمجد عن رائف، فاندفع

الأول نحو الغرفة، يطرق عليها بسرعة هاتفا :

-افتحي الباب يا مروج لن يمسك بسوء، افتحي

يا صغيرة لا تخافي..

والرد...كان الصمت..

فتابع أمجد بقلقٍ تمكن منه وحدثه يخبره بما

يخشاه :

-مرووووج...-

وحين لم يأتَه الرد، أدار مقبض الباب بحذر..



نبضات قلبه تتسارع بشدة، وإياد توقع ما
أقدمت عليه قبل أن يعلم، فأخفى عينيه بكفه
وهو يغمغم من بين أسنانه :
- غيبة... غيبة..

كان يعلم ما أقدمت عليه، لم يكن ينتظر صرخة
أمجد الغاضبة حين دلف إلى الداخل :
- لقد هربت، هربت يا رايي الف...

والأخير، كان كمن تلقى ضربه عنيفه برأسه..
تقهقر غضبه إلى الخلف، وشحب وجهه بشدة..

من تلك التي هربت؟؟؟

شقيقته؟؟

أصغرهم!

و..وإلى أين؟؟؟

إلى أين؟؟؟





تفتح باب القصر بالمفتاح دون أن تضرب
جرس الباب كما كان يفعل سليم حين يعود من
السفر..

تتلمس "ميدالية" مفاتيحه بشروءٍ وابتسامة
حزينة..

تتجاهل نظرات العمال المندهشين من هيئتها
الغريبة..

تغلق الباب بقوة، ثم تتقدم نحو غرفة مكتب
سالم حيث ينتظرها الأخير هو وأمها..
تفتح باب الغرفة بهدوء شديد هي أبعد عنه..
وما أن ظهر سالم بجسده الذي وهن بشكلٍ
ملحوظ، حتى سمعت صوت شهقة عنيفة رافقها
ضربة عنيفة على صدر صاحبة الشهقة :



- مليكة؟؟؟، ماذا حدث لك!

لم ترد على أمها، بل تقدمت نحو الداخل بعرجٍ واضح، ثم تغلق باب الغرفة تحت أنظار سالم المندهشة لحالتها ولعدم دخول سليم معها..
- بالتأكيد تسأل نفسك لماذا أبدو كمن تعرضت لحادث؟، وقبل أن تسأل سأقول لك نعم أنا تعرضت لحادث سيارة...

انعقاد طفيف بحاجبي سالم كان رد فعله الأول، بينما داليا فقد شعرت بالخوف يخنقها، تقترب من ابنتها بسرعة وهي تبكي دون أن تشعر.. تهتف بلوعة وهي تتشبث بذراع ابنتها السليم :
- يا إلهي، لماذا لم تخبريني بما أصابك يا ابنتي، وكيف لم يخبرني سليم، أنه لم يحدثني منذ فترة طويلة...



وجملتها الأخيرة نكأت جرح مليكة، فأغمضت
عينها لثوانٍ، حاولت جمع شتات نفسها بشقِ
الأنفس..

تجبر نفسها على التشبث بثباتها الانفعالي لأجل
ما تريده :

-سليم كان معي بالحادث يا أمي...-

تقولها مليكة باختناق وهي تتحاشى النظر

بعيني أمها المتسعتين...

بينما عيناها هي فقد ثبتتهما على وجه سالم..

تراقب كل خلجة من خلجاته، ملامح وجهه التي

اكتست بتعبيرٍ غير مفهوم، واهتزاز حدقاته

ادهشها..

لم يبتسم؟؟

لم يثمت؟؟، بل تشتت..



يعتدل في جلسته بوهنٍ، ثم يهتف بنبرة مهتزة

وهو ينظر إلى باب المكتب :

-أين هو بالضبط؟؟، هل مات؟؟

-بعيد الشر..

تهدر بها مليكة بعنفٍ متألم وهي تجز على

أسنانها بقوة..

بينما أرتد وجه سالم مجفلاً من شراسة ردها..

-كفى غموضاً وتلاعباً بأعصابي، ماذا حدث

لسليم يا مليكة؟؟؟

تصرخ بها داليا بنفاذ صبر وهي تستند إلى

ركبتها بتعب..

فتشفق عليها مليكة..



اقتربت من مكتب سالم، ومالت بجسدها إلى
الأمام لتستند إلى سطح المكتب، نظرتها كانت
حادة..

بها شيء غريب مختلف، وكأنها اكتسبت قوة
غريبة...

-لو كنت تعلم مكان أمجد فلتخبرني به يا سالم!
طلبها كان صادماً بالنسبة لسالم، والصدمة
انتقلت إلى داليا التي اتسعت عيناها بصدمة
يشوبها خوف خانق...

بينما مليكة، تتابع بضراوة المحاربة في حرب
قُتل قائدها بضربة سيف واحدة :

-أريد مكانه يا سالم، لا أعتقد أنك راضٍ عما
أصاب سليم، سليم بغيبوبة منذ ثلاثة أسابيع ولا
يستجيب إلى أي شيء...حتى أنا..



غص حلقها بجملتها الأخيرة، بينما عيناها فقد
التمعتا بالدموع...

تزم شفيتها بقوة كي تخفي ارتجافهما أمام
عيني سالم المتسعتين...

وصدمته تلك كانت مفاجأة غريبة لمليكة، حيث
إنها لم تتوقع أن يشعر سالم بالصدمة لهذا
الخبير..

أما داليا، فقد اجهشت في بكاء مرير وهي تردد
اسم سليم متبوعاً بتربيته على صدرها...

ورد سالم جاء ثابتاً، لا يحمل أي تأثير كما
نبرته الأولى :



- لا أعرف أي شيء عنه هو وأخوته ولا أريد
أن أعرف، فليبقى كما هو في غيبوبته، فليشفيه
الله، بماذا سيفيده أمجد أصلا؟؟

رده كان كالحطب، زاد من سعير نيرانها
بوحشية، فتضرب سطح المكتب بعنفٍ صارخة
:

- أنا لا أحتاج إلى دعائك لأجل زوجي يا سالم،
أنه توأمه نصفه الآخر سيستجيب
له... لصوته، سيشعر به كما يشعر بكل شيء
حواله ولا يقوى على الحراك !!
وعنفها كان غريبا على سالم، حتى داليا اتسعت
عينها مبهوتة من شراسة ابنتها..
عنفها، نبرتها التي اختنقت في نهاية حديثها..



وسالم...

لا يملك أيا مما تطلبه ولن يملك ولا يريد أن

يملك..

لا ينكر تأثيره بما أصاب حفيده، الرجفة البغضية

التي أصابت جسده جعلته يزيد جرعة جموده

أكثر...

يلوح بيديه بلا اكترات كما نبرته :

-أنا لا أعلم أي شيء، فلتغربي عن وجهي الآن

!

-بل أنا من سيجعل نهارك بلا شمس يا

سالم... أقسم بالله وبكل قهرٍ وألم أشعر به

الآن...

وبردها العنيف أشعلت النيران بعيني سالم،

فهدر بصوتٍ كان منذ زمن يرعبها :



-احترمي نفسك يا بنت...ألا تخافين؟؟

والرد على إجابته كانت ضحكة ساخرة، يرافقها

نبرة هازئة :

-وممن أخاف؟؟، منك أنت، أنا زوجة سليم

الأمير أخاف منك أنت؟؟؟..

زفر سالم بقوة وهو يشيح بوجهه بعيدا عنها،

بينما هي تختم حديثها بما كانت تتمنى قوله منذ

زمن :

-حسبي الله ونعم الوكيل...-

وبعدها تراجعت...

خرجت من الغرفة كلها متجهة إلى غرفتها في

الطابق العلوي، تكرر دعائها بقهرٍ وقد أنسدلت

دموعها...

تتمنى لو كانت ازهقت أنفاسه بيديها...



تثار لألمها وألم زوجها...

لكنها توقن أن عقابه آتٍ لا محالة..

وإن لم يكن عقابه مقدرًا له على أرض

الواقع...

سيكون عنده، عند من لا يقبل بالظلم أبداً...

وكما قالت كل شيءٍ مقدرًا...

والقدر سيضع أمامها ما كانت تطالب به..

تعالى رنين هاتفها مقاطعا أفكارها، فأجابت

على المتصل ما أن عرفت هويته...

تسأل بصلاية تستحق الإعجاب :

-ماذا حدث؟؟، هل سمحواله بالخروج !

-نعم سيدة ملكية، سيخرج غدا بإذن الله!

-الحمد لله، كن معه خطوة بخطوة لا تتركه

وحده...



تقولها مليكة بنفس النبرة وهي تجلس على
طرف فراشها بتعب..

تغلق الهاتف بإرهاق، ثم تميل بجسدها لتمدد
على الفراش شاخصة في الفراغ بعينين
غائرتين..

ثانية..

ثم الأخرى، والذكريات تعاود مداهمتها..
صوته وهو يداعبها..

صوت صراخه الغاضب بوجهها حين تستفزه..
وصوت انقلاب السيارة بهما يختلط مع صوته..

صورة جسده الممدد على السرير بلا حول ولا
قوة تتراقص أمام عينيها..

فترتعش شفثاها..



ومن ثم انفجرت باكية وهي تدفن وجهها

بالوسادة...

لم تكن تتصور في أسوأ أحلامها أن تعاصر ألما

كهذا..

قلبها يصرخ ألماً..

وأنفاسها تتحسرج، فتخرج كشهقات..

ولسانها يردد الدعاء له بحرارة..

=====

أما هنا..

فلم يتصور أنه سيضطر لفعلٍ كهذا يوماً ما..

والآن يفعله مجبراً تحت تأثير خوفه عليها..

الجو هنا مفعماً بشحنات الخوف والغضب..

محملاً بنظرات الغضب المجنونة..

أمجد يدور حول نفسه بغضبٍ أسود..



ورائف يجلس على المقعد مخفياً وجهه بين

كفيه...

أما لجين التي أتت من عملها منذ ساعة تقريبا،

تجلس على المقعد تبكي بهدوء شديد..

تراقب أمجد وغضبه، ورائف وندمه..

وأياد وجنونه وهو يتحدث في الهاتف تارة،

ويسألها عن الأماكن التي من المحتمل أن تكون

قد ذهبت إليها...

وفجأة..

اتسعت الأحداق مندهشة، وحلقت الصدمة فوق

رؤوس الجميع حين وضع إياد الهاتف على

أذنه، وهتف بصوتٍ غريب :

- أهلا مالك، أنا إياد صابر !



والأسم خرج من بين شفثيه غاضباً، مجبراً
على مهاتفته..

ملاح وجهه المستعر تناقض الألم الظاهر
بعينيه...

أما على الجانب الأخر..
حيث مالك المندھش من هذه المكالمة الغريبة..
فقد أنفجرت شفثاه ليجيب بصدمة :

-إياد ؟؟؟؟، ماذا تريد؟؟؟-

يغمض إياد عينيه بقوة، يحارب غضبه بخوفه
عليها، يقمع غيرته الغير مرحب بها في هاته
اللحظة، ليهتف بوجهٍ محتقن ونبرة مهتزة :
-هل اتصلت بك مروج أو أي شيء من هذا

القبيل؟؟

-ماذا؟؟؟، ماذا حدث لها هل هي بخير؟؟



والسؤال كان بمثابة صفة مؤلمة أخبرته أنه لا
يعلم عنها شيء..

أغمض إيد عينيه أكثر، وأجابه مرغما :
-لو كنت تعلم عنها أي معلومة أو مكانٍ من
الممكن أن تكون ذهبت له سأنتظر منك اتصالاً
لتطمئني !

ثم أغلق الخط في وجهه وفي وجه صرخته
باسم إيد..

والأخير كان يهرب، يهرب من هواجسه
المجنونة..

مشاعره المجروحة..

وخوفه الشديد...

-لماذا حدثته؟؟؟؟



يصرخ بها رائف بغضبٍ وإن كان أقل مما كان
عليه..

التفت إياد إليه ببطءٍ شديد، ثم حدجه بنظرة لو
كانت تقتل لقتلته، يتخطاه ببساطة وتقدم نحو
أمد الذي كان ينظر إليه نظرة غامضة، فهمها
إياد فهتف الأخير :

_ سأذهب أنا لأبحث عنها.. لا تقلقوا..

يومئ أمد له بتعبٍ، ثم يستدير على عقبه
متجهاً نحو غرفته بلامح اعترافها الغضب بكل
تملك !

والندم كان من نصيب رائف..

لكنه وبعناد البغال رفض أن يخرج هو الآخر
بحثاً عنها، بل شرع في الدخول إلى غرفته أمام
عيني لجين لكن زعقة أمد باسمه باغتته...



فاضطر لتغير وجهته وذهب إلى غرفة أمجد

مكفهر الوجه...

في غرفة أمجد

كان أمجد منفعلا والشرر يتطاير من عينيه ،

يدور في غرفته ويده في خصره....

وقف مرة واحدة ثم نظر له وصرخ بانفعال :

-هربت يا رائف، مروج هربت يا رائف والسبب

تصرفك الفج معها...

ازدرد رائف ريقه بتوتر ، ثم أطرق رأسه وهو

يجز على أسنانه فيما بدا كغضب لكن في

الحقيقة أنه نادم وبشدة...

هز رائف رأسه ببرود كما نبرته :



-وماذا فعلت أنا يا أمجد....هي

المُخطئة....دائماً كنتُ أقول لك أن تدليلك الزائد

لها سيجعلها تقع في الخطأ..وأكبر دليل هو ما

فعلته بنا!!!

صمت رائف لبرهة ثم رفع رأسه ليهاله هيئة

أمجد الغاضبة وعينيه اللتين التمعتا بغضبٍ

أسود لم يره من قبل ، فأردف بنبرة ثابتة نوعاً

:

-كنت أسمع دائماً مثلاً شعبياً شهيراً" العيب

ليس عليها بل على من رباها" والجواب

واضح من عنوانه دلالك لها جعلها تهرب

وتضع رأسنا في الوحل!!

زمجر أمجد بخشونة وحديث شقيقه ينكأ جرح

قلبه ، فلوح بسبابته أمام وجهه محذراً :

-صُن لسانك يا ولد..من رباها رباك!!!!...يبدو

أنك قد نسيت!!

والجملة رافقتها صفة، صفة دوى صوتها

بالغرفة كلها...

تتسع عينا رائف مصدوماً، بينما أمجد يصرخ

بوجهه :

-أغرب عن وجهي الآن لا أريد أن

أراك...اخرج..ولا تعد إلى هذا البيت إلا

وشقيقتك بيدك..

همّ رائف بالأعتراض لكن أمجد رمقه بنظرة

ثاقبة ثم أشاح بوجهه بعيداً عنه!!!!

فنظر رائف إليه بعينين التمتعاً ببريق الدموع

الخفية ثم استدار على عقبيه وخرج من الغرفة



بل من المنزل بأكمله صافقاً باب المنزل
الرئيسي بقوة..



الفصل الحادي والثلاثون



ماذا تفعل ؟؟؟

كيف تركت عقلها يقودها نحو طريقٍ وعر كهذا

؟؟

كيف طاوعها عقلها على أفكارها العقيمة ؟؟؟

تقف أمام بيت من دهن كرامتها دون أن يرف

له جفن، باكية !!!

تتشبث بوشاحها بكفٍ مرتعش، وعينين

زائغتين، وجهها شاحب شحوب الموتى،

وعقلها تقريباً فر هارباً من معركةٍ قررت

خوضها بقلبٍ جامد، وجموده ما هو إلا طريقة

استنتها رُغم المنطق !



تردد، خوف، وارتباك غريب أصابها وهي تمد

كفها تتوي ضغط جرس الباب...

تعيد كفها بجوارها مرة أخرى بتيهٍ أحتل روحها

فور خروجها من الحي، ووجودها على أطراف

المدينة، حيث بيت مالك؟

وخناسها، يُعيد مشهد لم يمر عليه سوى

سويغات ليست بالكثيرة..

مشهدٌ رأت فيه رائف يصفعها، يسبّها، يجذبها

من شعرها كعاهرة، يُهين كرامتها أمام الرجل

الوحيد الذي أحبها بصدق، والذي بدأ نبض

قلبها ينبض له...

يندفع الغضب بأوردتها ونفسها تسول لها كسر

كل قانون ومبدأ يحتم عليها عدم تخطيه..



تضرب جرس المنزل بقوةٍ وكأنها تجتث كل
بادرة رفض على وشك النمو..

ثانية...

ثم الأخرى وفُتِح الباب، وأول وجه أطل عليها..
كان وجه الخائن..

مالك..

وجه رجل كان يوماً حبيبها..

والآن تلجأ له كي تتمرد..

ودون أن تشعر، سحقت قلب عاشق يدعى

"إياد" تحت وطأة تمردها المشين !

لقاء الأحداق كان عاصفة أطاح بهما معاً..

وارتعاش الشفتان كان واضحاً من قبل مروج،

بينما مالك فقد اتسعت عيناه متفاجئاً، ومن



خلفه، تعالى صوت أنثوي رقيق قطع توصلهما
بغثة :

-من هناك مالك؟؟؟؟، هل أتى "حمزة" من
المدرسة؟؟

وصوتها، أصاب مروج بالارتباك، اعتلى
محياتها حرج ممتزج بغضبٍ من نفسها...
تبعد عينيها عن عيني مالك الذي كان حرفياً
يحدق بمروج باشتياقٍ غير مُستحق البتة !
مشاعر مختلطة أطاحت بقلبه، وأهتز توازنه
ليجد نفسه فجأة يعتقل مرفقها متشبثاً به، يغلظ
باب منزله بسرعة، ويجذبها من مرفقها رُغم
اعتراضها...



يدفعها نحو سيارته لتستقل المقعد المجاور له،
ثم يجلس خلف المقود، والمُسيطر على أفعاله
مشاعر لم تهدأ بعد..

لقد أتت له بنفسها، اختارته هو خصوصاً رُغم
وجود العاشق المتيم بها، تركت "إياد" وأتت
له..

والخاطر الأخير أصابه بفرحةٍ عارمة..
وتلك الفرحة، ليست من حقه، اغتصبها عنوة
كمُحتلٍ لأرضٍ ليست من حقه أبداً !
أما هي..

كانت تهدر بغضبٍ أسود بعدما أجلسها قسراً
في سيارته، تقريباً تكاد تسبه :



-ماذا تفعل؟؟، إلى أين ستأخذني؟؟؟؟، لن
أعود إلى أخوتي، لماذا أنت صامتٌ، فلتجيبني
يا متبلد يا عديم الذوق!
والمبدأ يقول، ان تلك البنت الواد لها هو الحل
الوحيد، حيث أن لسانها يقطر سمًا، وعقلها
تقريبًا لا يعمل..

ورغم ذلك، فرحته العارمة بوجودها جواره
غطت على غيظه منها، يرمقها بطرف عينيه
بسرعة خاطفة، ثم يعود بنظره إلى الطريق،
مُجيبًا سؤالها بسؤالٍ آخر :

-ماذا حدث مروج؟؟، ماذا فعل لك أخوتك، لماذا
تركت بيتك؟؟

-وكيف عرفت أنني هربتُ من البيت؟؟؟



تقولها مروج بتوجسٍ وجل وناقوس الخطر
يدوي في أذنيها، وضميرها يوخزها بمخالبه
المؤلمة، أما هو فكان رده على سؤالها قاصمًا
لظهرها، طاعنًا لنضبات قلبها بألم تعجبته :
-لقد أتصل بي "إياد"، يسأل عنك إن كنتِ قد
أتصلتِ بيّ، أو شيئًا من هذا القبيل، ثم أغلق
الخط، وبعد تفكير عرفت أنكِ قد تهورتِ بالتأكيد

!!!

جملة طويلة ما هي إلا محض ثرثرة، وتلك
الثرثرة بدايتها اخترقت أذنيها، جمدها لدقيقة
تعاقبت بها مشاعرهما بشكلٍ ألمها..

إياد اتصل بمالك؟؟؟

سأله عنها، توقع أنها ستذهب إليه؟؟، وقد

فعلت !



هل يظنها الآن أنها عديمة كرامة، هل يظنها ما

زالت تحب مالك !

والخاطر الأخير أنكره مشاعرها التي أصابتها

حين رأت مالك..

ستكون كاذبة لو قالت أن المشاعر لم تكن

موجودة، بل كانت وكانت وكانت وأترك القوس

مفتوح إن سمحت !

لكن...

وبعد لكن تكمن الحقيقة، حقيقة مشاعرها حين

رأته، حين نظرت له، شعرت بألم يوخز قلبها،

وجرح لم تتضب دماؤه بعد يئن مطالبًا بالابتعاد

عن طعن قلبها دون ذرة رحمة..



ومشاعر الحب، العشق، طُمست، تم دفنها تحت
رُكام من حجر، وصورة رجل آخر تتراءى أمام
عينيها، عيني إياد القلقتين عليها دائما...
صورة إياد الذي جلس بجوارها في "السيارة
الجماعية" خوفا عليها، من يدافع عنها
بضراوة، من ترى في نظراته ألم عاشق أرهقه
عشقه !

والسؤال هنا يطرح نفسه !

لماذا أتت إلى مالك ؟

والإجابة ؛ لأجل التمرد تناسيتِ كرامتك !

-لماذا حزنتِ هكذا ؟، كل هذا لأجل ذاك

المتعجرف !

يقولها مالك بغضبٍ مستتر، والنبرة أججت

غضبها من نفسها ومنه ومن إهانتته إلى إياد،



فخرجت نبرتها هي غاضبة، معنفة، تحمل بين
طياتها نبرة شرسة تدافع عن رجل يستحق
عِظ الكلمة :

- لا شأن لكّ به مالك، إياد خط أحمر حين تتحدث
معي، هل سمعت ؟

وخرجت جملتها الأخيرة، غاضبة، أحمرت
لأجلها عينيها بينما الآخر فقد ارتفع حاجبه
بتوجس..

يضغط على مكبح السيارة فجأة لتقف في شارع
يمر به الناس بكثرة !

شهقت مجفلة، واندفع جسدها إلى الأمام، ثم لم
تلبث أن اعتدلت في جلستها حين ترجل مالك
من سيارته صافقاً باب السيارة بقوة..



ودون أن تشعر وجدت نفسها تترجل هي
الأخرى، تقف بجواره محتقنة الوجه..
ولسان حالها يكرر، أي غباءٍ هذا دفعك لتأتي
لمالك !

واحتمالية الفرار من برائته الآن، تحت الصفر
بكثير !

-ماذا حدث يا مروج؟، لماذا أتيت إليّ؟؟؟
قالها مالك بصرامة أثارت حنقها، زادت من
سخطها على نفسها أكثر، لكن العقل "الغائب"
تقريباً" يخبرها بأن قليل من البوح لن يؤدي،
وإلا لِمَ أتت له من الأساس :
-لقد هربت منهما، أريد منك أن تساعدني في
الهرب إلى مكانٍ مُحدد !



- هل أنتِ معتوهة يا فتاة تركتي بيتك وأتيتِ إليّ

تطلبين مني أن أساعدك!!!

قالها بذهول ممتزج بغضبٍ أزعجها، فرفعت

مروج حاجبيها بتوجس ثم عقدت ساعديها أمام

صدرها قبل أن تهتف ببساطة وقد أخذتها العزة

بالإثم:

- أتيتُ إليك كي أخبرك أنني سأبتعد للأبد لن

أبقى معهم دقيقة واحدة، أنا أصلاً لن أقبل أن

أبقى كعصفور محبوس وحين جائته الفرصة

كي يهرب يختار أن يحتمي "بقفصه"... أنا

سأرحل للأبد يا مالك للأبد!!!...

قالت جملتها الأخيرة بشرود، فلانت ملامحه

قليلاً وأخذ نفساً عميقاً ثم همس بحنان قبل أن

يجذبها من مرفقها برفق :



-مروج لا تأخذي الأمور على محمل الجد من
حيث كرامتك!!!! أنتِ المخطئة وليس شقيقك
بالتأكيد...

هزت رأسها برفضٍ ثم تقوس فمها في وضع
البكاء فرفعت كفها الحر وأبعدت غرتها الكثيفة
إلى الخلف قبل أن تهمس بخزي:

-بل مُخطئٌ ورائف لن أسامحه أبدا يا مالك..
-يا صغيرة اعترفي بما فعلته وعودي معي،
أوجد لو علم بهروبك سيموت خوفاً عليك..وأنتِ
تعلمين هذا!!

قالها مالك بحنان رغم الخوف الذي يشعر به
يكاد ينهش بقلبه وكأنه يخاطب طفلةً
صغيرة!!!!



طفلة هربت من أهلها تدعي أنها على حق

وشقيقها هو المذنب!!!!

لا تعلم أنها أخطأت وليس كل خطأ يعامل بهذه

الطريقة!!!

قُطعت أفكاره عندما هتفت بنبرة حاسمة لكنها

خرجت من بين شفيتها مرتعشة رغماً عنها :

-أنا لن أعود..لن أعود يا مالك..نقطة وانتهى

السطر والآن أتركني وحدي أرجوك...

-إلى أين ستذهبين!!؟

قالها مالك بتوجس والخوف يزداد أكثر وأكثر ،

لتردف بنبرة باردة :

-إلى جدي..



ارتفع حاجبيه مصدومًا، ثم قبض بأصابعه على
ساعدها صارخاً بهياج جعل الأنظار تلتفت لهم
بفضولٍ...:

-عفو!.. تريدان الذهاب إلى "سالم الأمير" ..ما
هذا العته بالله عليك؟!..!.. تريدان أن يموت أمجد
خوفاً عليك وحسرة على عمره الذي أضاعه كي
يحافظ عليكم من بطشه!!

لماذا تصرخ بوجهي، أنت السبب بكل هذا،
أنت السبب، لو لم تتبغني يوماً لم يكن ليحدث
هذا، لو كنت تمسكت بهروبك بعد طعنك لقلبي
لم يكن ليحدث هذا، أنت السبب يا مالك،
بنرجسيك وقسوتك والغدر الذي اختلط بكريات
دمك ليصنع منك أكبر منافق على وجه الأرض
!



صرخت بها بهياجٍ أجفله، كلماتها الغاضبة
عرتة أمام نفسه، وتألم نبرتها نقل له رسالة
واضحة..

لقد ارتكب ذنب لن يُمحي أبدًا، والمبرر أنه
يخشى عليها من الألم، وفي نفس الوقت كانت
أفعاله تتوالى عليها بالطعنات، حتى بات قلبها
جيفة عفنة، مُغطاه بدماء القهر والغدر..
والغاضبة من العالم أجمع حتى من نفسها،
كانت تلعن نفسها... وتلعنه هو...

لماذا أتت إليه هذا المتخلف، الخائن؟؟؟
لترى شعوره بالذنب يتراقص بعينه فيشعل
النيران بقلبها أكثر...

ماذا ستفعل الآن؟؟؟، من المفترض أن القطار
الذاهب إلى البلدة التي يقطن بها شقيقها



سيتحرك بعد ساعة، كما يبدو أن مالك لن
يساعدها، وهي حقيقة لا تريد مساعدته،
فلتلاعب به حتى يبتعد ثم تفر هاربة :

-أنا أريد مياه، أشعر بالعطش!

تقولها بإرهاقٍ لم يكلفها جهد اصطناعه، فيتألم
قلب المذنب ويومئ برأسه مستجيباً، يجوب
بعينه الزرقاوين المكان بحثاً عن مكانٍ يوجد
به مياة، وحين وقعت عيناه عليه، تحرك نحوه
محدثاً إياها بنبرة متألّمة :

-لن أتأخر عليك..

أبتعد ومع ابتعاده، تماسكت، تخمرت حبكتها
برأسها و...

أطلقت ساقها للرياح، استقلت أول سيارة أجرة
دون أن تلتفت خلفها، تهورت ولجأت إلى من



سحق قلبها تحت حذاء رجولته !!!، لن تترك
نفسها له، ستتابع مخططها وتهرب... لن يمنعها
أحد..

انتهى الأمر وليس بعده نقاش..
هربت المتمردة بحثاً عن شقيقتها، هربت حيث
قصر الأميرية التي تحفظ عنوانه كاسمها..
وللتمرد نتائج ليست محمودة أبداً..
أما هنا، حيث مالك الذي عاد ممسكاً بزجاجة
مياة، ما أن تدارك عدم وجودها، جن جنونه،
وصار يصرخ باسمها غاضباً، خائفاً، ومتردداً..
ماذا سيفعل الآن ???

لقد هربت، ضحكت عليه وهربت...
والشعور بالعجز مميت، قاتل، قابض للتفكير..
وتفكيره أخبره بالحل الوحيد...



والأنسب..

ألا وهو، إخبار إياد بما حدث..

اتصل المذنب بإياد بسرعة وهو يقود سيارته

بسرعة جنونية كنيبرته :

-إياد، لقد أتت مروج ليّ، طلبت مني أن

أساعدها، وحين عنفتها هربت...

والعاشق تهشم قلبه إلى اشلاء، طُغنت مشاعره

بغته، والغيرة المختلطة بالغضب أجمها عنوة

وهو يسأله بلهفة مغيراً مسار سيارته :

-هل أخبرتك عن أي مكانٍ تريد الهرب إليه !

-تريد الذهاب إلى جدها، سالم الأمير وهذه

الخطوة عواقبها غير محمودة أبداً، ستعرض

نفسها للخطر !



يقولها مالك بصراخ مهتاج، يقر، يعترف،
يخبره حقيقة ما تريد فعله مروج، يتوقع رد
فعل إياد الذي بالتأكيد هو التخلي عنها، فهو
نفسه غير مستعد ليذهب خلفها حيث بلدة
جدها، لكن رد إياد، أتى صادمًا، غير متوقعًا
بالمرة، تحمله نبرة خائفة، تحمل إصرار تعجبه

:

-لن تتعرض للخطر أبدًا، سأتكفل أنا بالأمر يا
مالك، سأكون بجوارها....

ومن ثم أغلق الخط، وأسدل معه ساتر النهاية!
نهاية مشهد مبتذل كانت بطلته تنتهج التمرد،
والبطل يتقن الطعن، وفي التهمة، ظهر المنقذ
العاشق..



من على استعداد لقطع آلاف الأميال لأجلها هي،
لأجل حمايتها..

والخطوة الأولى، كانت مكالمة عاجلة لإحدى
معارفه :

-مرحباً، أنا إياد صابر، أتذكركني؟؟؟..
والصياح المرحب من الجانب الآخر دفعه
ليهدف بلطفٍ كاذب :

_أريد عنوان "سالم الأمير" ببلدكم
بالتفصيل...ويا حبذا لو كان طريق الوصول إلى
قصره قصيراً-

=====
"لو تطلب نجمة هجبهالك

من حضن الليل

هعملك كل اللي في بالك



و ده رد جميل

للحب اللي انت ادتهو لي

وقوفك جانبي وانا بطول

هيشيك شيل"

المقطع يتكرر وكأنه يعاندها، يجذبها قسرًا نحو

ذكرى ليست بالبعيدة، رجل جميل من المفترض

أنه مديرها بالعمل يطلب منها أن يقلها حيث

منزلها، وهي ترفض بعنادٍ تبغي إغاضته، تتركه

وترحل فيقف هو محتارًا، كيف سيتركها وحدها

تعود إلى بيتها في سيارة مشتركة!!!

يذهب خلفها منساقًا خلف خوفه، قلقه، يجلس

بجوارها كحامٍ لها، يمنعها من الأحتكاك بأحد

ويعنفها..



قال لها يومها "ما هذه الميوعة يا فتاة " رُغم
غيظها و غضبها إلا أن شيء من الاطمئنان
تسلل إلى مسامها..

والآن !

هي تجلس وحدها بقطارٍ يعج بالبشر في
منتصف الليل، تطمح إلى تمرد غير متوقع،
دقائق وستكون على أرض المحطة، حيث
مدينهم الأم..

مسقط رأسهم..

ومسقط قلبها هي !

تلك الفتاة، زجت نفسها بجحرٍ عميق والرغبة
تمرد !



هربت، وركضت واستقلت قطار وحدها، قضت
ساعات به بذعر أنتى تراقب من حولها
بارتجاف..

ورغم ذلك؛ لم تعترف بأنها تهورت !
صغير عالٍ أعلن عن وصولهما اخترق أذنيها،
فاعتدلت

جالسة، وأغلق الفتى الجالس جوارها هاتفه
الذي كان يبث ذاك المقطع منذ دقائق..
تهبط من القطار بحذر فلا ينقصها أن تموت
هاربة وتحت "عجلات القطار!"..
تحركت بخطواتٍ وجلة نحو سيارات الأجرة
التي بالكاد لا تتعدى أصابع الكف، حدثت سائق
منهم وأخبرته عن وجهتها، فأخبرها أن
المسافة ليست بالبعيدة وسيقوم بتوصيلها..



و حين استقلت المقعد الخلفي، شردت فيما
يحدث لها وفيما فعلته، ربما الصدمة من
وجودها هنا أثرت عليها بشكل أكبر..
عقلها يخبرها أن الرجوع ليس مباحًا، وهي
فعليا أوقعت نفسها في مشكلة لا تعلم عواقبها
حتى الآن !

ومنقذها ليس معها !

لا إياد، ولا أمجد !

انتبهت مروج إلى نظرات السائق المتعجبة لها
من المرأة الأمامية، فارتبكت، زاد ذعرها
واحتقن وجهها أكثر..

عدلت من وشاحها الذي يلتف حول ذراعيها
دون أن ترفعه حول شعرها، وبعدها أتى هتاف
السائق بعدما توقفت السيارة :



-ها قد وصلنا إلى قصر الأميرية، ألم أقل لك أنه

لا يبعد الكثير !!!

قالها بمزاح وهو يعدل من وضع مرآته
الأمامية، فابتسمت مروج له ابتسامة ضعيفة
وهي تترجل من السيارة، تدفع له أجرته
ويبتسم هو لها مدققاً بوضوح، فاندفعت نحو
بوابة القصر بخطوات سريعة..

وسائق السيارة أتبعها بعينه متعجباً، يعيد
تشغيل محرك السيارة مغمغماً بتعجب :
-هيئتها وطريقتها بالتحدث واضحة للأعمى
أنها ليست من البلدة!!، ترى ماذا تفعل هنا في
منتصف الليل!!!!

تقدمت مروج نحو رجلين يقفان أمام باب من
المفترض أنه المؤدي إلى بهو القصر..

تراجعت، ثم تقدمت، عضت باطن خدها بقوة
حتى أدمته وهي تقف أمامهما، رمقها أكبرهما
بتفحص ضايقتها، ثم سألها بخشونة :

-نعم ؟، ماذا تريدن ؟؟؟

ازدردت ريقها بتوترٍ ظهر جلياً على ملامحها،
ثم استجمعت قوتها وتهتف :

-أريد أن أقابل جدي "سالم الأمير" !

الصدمة التي اعتلت محياهم أجفلتها، حيث
إنهما حدقا بها ككائن غريب، وأحدهما غمغم
مصدوماً :

-إياهما أنتِ؟؟، مروج أم لجين؟؟

والصدمة كانت من دورها هي هذه المرة، فمن
أين أتى كلُّ منهما بتوقعهم !!!



تراجعت إلى الخلف مجفلة حين استدار أحدهما
على عقبه ليضغط جرس الباب بإصرار،
مغممًا بنفس الخشونة وإن كان قد شابها قليلا
من الصدمة :

-ليس لنا دخل بكل هذا، سأوصلك إليه وتفاهمي
أنتِ معه !
وقد حدث !

أوصلها إلى مكتبه دون أن ينبس بحرف واحد،
أخبره أن هناك فتاة تريد مقابلته ووافق هو،
أغلقت باب المكتب خلفها بجسدٍ يرتجف فعليًا،
تلك الرهبة التي شعرت بها حين وقعت عيناها
على القصر وفخامته لا تضاهي رهبتها أمام
ذاك الذي يدعى جدها !



يُنَظَرُهَا بِعَيْنِينَ مُتَبَدِّلَتَيْنِ، حَاجِبِينَ كَثِيفِينَ،
وَمَلَامِحَ رِغَمٍ وَهَنَهَا إِلَّا أَنَّهَا تَحْمِلُ جَبْرُوتَ

مَخِيفٍ !

"مَاذَا فَعَلْتِ بِنَفْسِكَ يَا مَجْنُونَةَ !"

حَدَّثَتْ بِهَا نَفْسَهَا وَالْخَوْفَ يَكَادُ يَقْتُلُهَا، تَفَكَّرَ فِي

التَّراجِعِ، لَكِنْ..

سَبَقَ السَّيْفَ الْعَذْلَ يَا مَتَمْرِدَةَ !

"خَيْر! مِنْ أَنْتِ "

حَتَّى النَّبْرَةَ تَبَعَتْ بِالرُّوحِ رَجْفَةً وَقَشْعَرِيرَةً،

وَالْقَلْبَ مَاتَ ضَحِيَةَ الْخَوْفِ !

حَسَنًا، شَقِيقَهَا سَلِيمٌ هُنَا بِالتَّأَكِيدِ، لِذَا فَمَنْ

المُسْتَحِيلُ أَنْ يُؤْذِيَهَا، سَتَخْبِرُهُ أَنَّهَا حَفِيدَتُهُ

وَهِيَ تُرِيدُ مُقَابَلَةَ سَلِيمِ :

-أنا..أنا مروج !



انعقاد طفيف بحاجبي "سالم" أجمها، بينما

يسألها هو بعدم فهم :

-مروج من !

ازدردت ريقها بصعوبة، ثم اضافت موضحة :

-مروج الأمير، حفيدتك يا جدي، أخت أمجد

وسليم !!!

لو كانت هتفت باسمٍ لعدوٍ له لم يكن لتظلم عيناه

بهذا الشكل المخيف الذي بث بقلبها الرعب،

وبغته انتفض واقفاً، يهدر هدر بوجهها مهتاجاً

:

-وماذا تريدن؟؟؟؟، لماذا أتيت وكيف أتيت من

الأساس، هل بعثك أخاويك عدمي النخوة

والرجولة في هذا الوقت لتأخذي أموال!!!!



أغضبها ما قاله، وبقدر غضبها كان خوفها،
وبقدر ندمها كانت صرختها الغاضبة أمام
الشخص الخطأ :

-لا أسمح لك، أحترم أخوتي..آه !!

صرخت بكلمتها الأخيرة متألّمة جراء صفة
أطاحت بوجنتها، وصرخة أخرى جراء جذبها
من خصلات شعرها بقوة بقبضة جدها الذي
هدر بوجهها غاضبًا شاعرًا بارتجافها :

-أم أنك أتيتِ إلى هنا هاربة بفضيحتك تريدين

الاحتماء بسليم، فضيحة يا....

سبها فعليًا، وشدد من قبضته وهو يجذب

خصلاتها..



بينما هي تصرخ باكية، ترجوه أن يتركها غير
متدركة لأسلوبه، يضرب، يصرخ بوجهها دون
أن يأمرها بتفسير!

رعبها خنقها، وخصلات شعرها تكاد تتخلع،
وهو لا يرحم!

أما هو فقد شعر بالغضب يتفاقم بداخله حين
أخبرته عن هوايتها، ولم يحتج إلى مجهودٍ
ليصدقها، حيث أنها تشبه أمها كثيرًا، تلك التي
أخذها أخيها وهرب تقف امامه الآن..

آتية إلى القصر في منتصف الليل، بالتأكيد
وراءها نصيبة!

صراختها تعالت وهي تصارع قبضته كي
يتركها ودموعها أغرقت وجهها بأكمله...



لا تعلم من تلك التي اقتحمت الغرفة فجأة

وصرخت بسالم أمره :

-ماذا تفعل يا سالم؟؟، من تلك التي تضربها

بمنتصف الليل!

قالتها "مليكة" التي أتت من غرفتها مهرولة

على صوت الصراخ، تحاول إبعاده عن مروج

لكن دون جدوى..

ومروج صرختها تتعالى حد الجنون من فرط

الألم، ومليكة تصرخ بسالم غاضبة :

-اتركها، الفتاة ستموت بين يديك، من أنتِ؟؟؟

-مروج...أنا مروج شقيقة...شقيقة سليم وأمجد

!



قالتها مروج من وسط صرخاتها قبل أن يلقيها
سالم بخشونة لتقع أرضًا، بينما مليكة ما أن
سمعت جملتها حتى جحظت عيناها مبهوتة...

هذه مروج ؟!!!

شقيقة سليم وأمجد!!!

الطريق المتاح للوصول إلى أمجد!!!

لاحظت مليكة سالم يرفع عصاه ينوي ضرب

مروج التي كانت تصرخ بجنون، فأسرعت

تعرض طريقه نحوها، تضم جسدها بذراعاها

السليم صارخة بأمر :

-إياك يا سالم، إياك... ابتعد عنها...

لم يبعد عصاه ولم يضربها، بل حدجها بنظره

مشتعلة أخافت مروج التي أخفت وجهها بين



مروج حين أقتحم إياد الغرفة كان صادمًا، حيث
أنها ركضت نحوه بسرعة البرق، ومن ثم ألقت
بنفسها بين أحضانه، وهو أحاط كتفيها بذراعه
حامياً أمام عيني سالم الغاضبتين والذي هتف
ساخرًا وهو يجذب سلاحه من فوق سطح
المكتب :

-ومن أنت الآخر، لا أعتقد أنك رائف!
والرد جاء صارمًا، حادًا وهو يشدد ذراعه حول
مروج المرتجفة :

-خطيبها، أنا خطيبها، إياد صابر !
ابتسم سالم ببرود، ثم اقترب من إياد بغتة
فانكملت مروج به أكثر خائفة، تفاقم غضبه
وازدادت الدنيا سوادًا من حوله، وفجأة وجد



فوهة سلاح سالم تصافح مقدمة رأسه هاتفا

بسخرية :

-حسناً يا خطيبها، فلترحل الآن وتأتي في

الصباح، أتركها يا "روح والدتك الغالية"

وارحل لن تأخذها !

-إذا عليّ وعلى أعدائي !

قالها إياد بابتسامة ساخرة وهو يسحب سلاحه

من حزام بنطاله دون أن يترك مروج، ثم

أشهره بالمثل نحو سالم الذي رفع حاجبه

هازئاً، بينما أضاف إياد هادراً :

-إن أردت جذبها من بين ذراعي الآن فلتفعل

!!!

ومن هنا

تبدأ حرب النهاية !



حيث النتيجة الأخيرة لجولة بدأت وستنتهي

للتو!

والعاشق على استعداد لفقد روحه مقابل

حمايتها!

=====

انعقاد طفيف أصاب حاجبيه وهو يخطو خارج

قسم الشرطة، الهواء المحمل برائحة الحرية

انعشه..

استرق نفسا عميقا علّ الهواء يزيح غبارًا

أغرق روحه، يجوب بعينه بحثاً عن

سيستقبله، وكما لاحظ أنه وحيداً، لم ينتظره

أحد، هو وحده وانتهى الأمر!

زفر بارهاقٍ وهو يمسح وجهه بتعبٍ، يتحرك

بساقين مرهقتين نحو اللاشيء!



ليس لديه أي رغبة للعودة إلى البيت الآن،
شيء ما يخبره أن العودة إلى البيت في هذه
الحالة غير محبذة بالمرّة !

كفّ صغيرة ربتت على قدمه، ونبرة طفولية
فرحة اضطرب لأجلها نبضه :

-موان، موان !

والنبرة الطفولية رسمت على شفثيه ابتسامة
حنونة، يلتفت بسرعة لينظر إلى صغيرته التي
فتحت ذراعيها له ترجوه أن يحملها، تكرر
نداءها برقةٍ أثلجت صدره :

-بابا، بابا !

اتسعت ابتسامته حتى التمعت عيناه، ومال
نحوها ليحملها، يضمها بين ذراعيه، يستنشق
عبيرها الطفولي، ويتأوه مشتاقًا، والصغيرة



لفت عنقه بذراعيها الصغيرين، تقبل وجنته
برقة، وتمرغ وجهها بعنقه، اغمض مروان
عينية مستمتعا بعناقها الدافئ ءك... أمها !
رائحتها تحمل رائحة صبا، ابتسامتها تشبهها
جداً...

يهتف بحنانٍ مُفرط وهو يربت على ظهرها :
-حبيبة بابا، لقد اشتقت لكِ جدا، يا إلهي لقد
ازادتِ جمالاً!

يصمت لوهلة مغمضا عينيه، ثم أضاف
بتوجس، وتعجب من وجودها هنا :
-كيف أتيتِ هنا يا صغيرة ؟
-مع "جدتها" يا حبيب أمك !
صوت أمه الحنون بلكنتها المميزة داعب أذنيه،
أجبره على الابتسام بصدقٍ واشتياق، التفت



بسرعة ليجد "رقية" تقف خلفه والدموع
تغرق عينيها، عيناها تجريان على ملامحه
باشتياقٍ مؤلم، تتقدم نحوه خطوة، فتقدم هو
خطوات، يميل بطوله الفارع ليحتضن جسدها
الواهن، جميلة على ذراعٍ وبذراعه الآخر ضم
جسد أمه التي ما أن عانقته حتى انفجرت في
بكاءٍ مرير، ولسانها يكرر دون توقف :
-حمدا لله على سلامتِك يا حبيب أمك...
-اشتقت لكِ يا أمي، اشتقت لكِ جدًا !
همس بها بتحشرجٍ باكٍ، دمعها العزيز يتخذ
مساره على وجنته، يدفن وجهه بعنق أمه أكثر
حتى لا ترى دموعه، كل حصونه تهدد
بالانهيار، تحمل الكثير والكثير من المصاعب



والألم، تحمل وتحمل، ورصيده في التحمل الآن

أصبح صفر !

تعالى نحيب أمه بالمقابل وهي تربت على ظهره

بحنانٍ متألم، تقبل وجنته الباردة بحنان،

وتهتف باختناق وهي تحاول إبعاده عنها :

-اهدأ بني، كل شيء أصبح على مرام، هيا بنا

لنرحل، سنعود إلى البيت الآن !

يبتعد عنها بوجهٍ محتقن، يدعم بذراعه جسد

جميلة التي كانت تصفق بكفها بسعادة أجبرته

على الابتسام..

دلته "رقية" على سيارة ترابط قريباً منهم،

استقلا السيارة معاً، وما إن انطلقت السيارة

حتى التفتت أمه له هاتفه بلهفة وهي تربت

على ركبته :



-لا أصدق أنك خرجت بهذه السرعة، تفاجأت
بملكة البارحة تخبرني بأنك ستخرج اليوم !
ابتسم مروان بشرود وهو يداعب وجنة جميلة،
ثم هتف :

-ذاك المحامي الذي وكلته ليّ مليكة، هو من
سهل اجراءات الخروج !

-فليحميها الله ويعود لها زوجها سالمًا، لم
تتركنا طوال الفترة الماضية، حتى عادة
ساعدتها، ولم تترك صبا حتى استعادت قليلا
من توازنها !

وحين ذكرت أسم صبا عمدًا، اجتذبت انتباه
مروان، والبريق في عينيه يخبرها عن اشتياقه
لها، لكنه ينكر، يصطنع البرود :

-وأين صبا الآن؟؟



- لا تغادر شقتي!

-ولم لا تجلس بشقتنا؟؟؟، هل الأستاذة ترفض

الجلوس في شقة قاتل!

قالها مروان بسخرية وهو يضحك هازئًا، بينما

السائق نظر إليهما عبر المرآة بذعر، ورد فعله

هذا لم يعجب رقية، لم يعجبها بالمرّة، هي تعلم

أن حالته النفسية ليست بالجيدة، لكن ما ذنب

صبا بكل هذا، هي تعترف أن صبا تثير شفقتها

وحنانها، ومنذ ذاك اليوم الذي علمت به ما

حدث كادت تلغنها، تطردها من بيتها، كادت

تأمر مروان بأن يطلقها...

لكن، أبعاد الموضوع بدأت تتضح أمامها، الفتاة

ضحية، ومروان ثار لشرفه، ربما هي تكن



لصبا بعض السخط بأنها أوقعت ابنها بكل هذه

المشكلات، لكن الفتاة ظلمت كثيرا :

-تتحدث وكأنك لا تعرف صبا، اسمعني جيدا

بني، أنا سامحت الفتاة، لم أضغط عليها منذ

افاقتها، ولم أكن لأتركها وحدها بشقتكما هي

وجميلة، لذا فأخذتها لتجلس عندي، ثانيًا...إن

كنت تريد الانفصال عنها فلتفعل، ومليكة

ستوفر لها كل ما تحتاجه!

وجملتها الأخيرة كانت تحمل جدية ضابقتها،

ي ناظر أمه برفضٍ استشعرته، يزدرد ريقه

بصعوبة، ثم يهتف بتلعثم وهو يشيح بوجهه

بعيدا عنها :

لم أقل أنني أريد الانفصال، فقط أردت أن..



-مروان، لا تؤذي الفتاة، أن كنت تحمل بداخلك

ولو نقطة لوم تجاهها؛ فلتحررها، صبا لم تعد

تتحمل أي ضغط نفسي آخر !

نالت منه اهتزاز حدقتين، وشحبت ملامحه

أكثر، رجفة أصابت فكه، وضيق لون محياه

وهو يقر باختناق :

-للأسف أنا أحبها، لكن...

يصمت قليلا بحثا عن كلماتٍ لا يعرف كنهها،

ينقب عن جملة تختصر كل مشاعره..

تربت أمه على ركبته بدعم، هاتفة :

-لكن ماذا؟؟؟

-الحب لا يؤثر بعلاقاتٍ بُنيت دون أساس، الحب

صفر على اليسار أمام جرحٍ ما زالت دماؤه

تغرق روعي !



قالها باختناق أوجع قلبها، يداعب خصلات
الصغيرة، وكفه الآخر كان ممسكا بكف أمه التي
ما أن سمعت تفسيره، حتى أخفضت عينيها،
وبكت بصمت..

وهنا، المنطق يقول: ربما هذه النهاية!
وربما لا..

ربما القدر له رأي آخر، نظرة أخرى إلى
علاقتهما..

ربما ترسو سفينتهما على شاطئ ليس
ببعيد.. أو..

فلنترك ما بعد تلك ال"أو" فارغاً، هذا أفضل!
مرّت دقائق ليست بالقليلة وهما بالسيارة، رقية
تحدثه بحنان، تسأله عن حالة، تحاول التخفيف
من حزنه وحالته النفسية السيئة..



وقفت السيارة أمام البناية، ومعها توقف نبض

مروان لدقائق، سيقابلها الآن..

يراه، يتذكر قبلة ذاك القدر، تعذيبها، دماءها

التي انفجرت جراء ضربة عنيفة والحاجز كان

شاشة هاتف منعه من حمايتها، وقدمت هي

نفسها إلى الأذى طواعية !

أمام شقة أمه، توقف، تردد، زاغت عيناه بتردد

تفهمته أمه، زحزحته قليلاً، ثم تولت هي فتح

باب الشقة، تقدمت نحو الداخل وهو وراءها

يخشى الولوج، يخشى لقاء هو غير مستعد له،

يخشى نبضة خائنة تتعالى كلما رآها..

هو ببساطة، يخاف لقيائها !

-صبا ابنتي أين أنتِ؟؟؟-



على صوت أمه العالي أنتبه لوضعه، حيث أنه
كان يقف عند باب الشقة متسمراً، يحمل جميلة
بذراع، والأخر بجيب بنطاله، تقدم نحو الداخل،
يغلق باب الشقة برفقٍ !

وعيناه!

عيناه كانتا تبحثان عن محبوبته، رُغم أنفه
تسارعنا للبحث عنها..
اللهفة الصادقة تطفو على سطح طوفان ناغم،
وحبه يتغلب على سخطه...
ينتظر ظهورها بلهفةٍ عاشق...
والصدمة..

أنت قاصمة الظهر، متلذذة بدماء قلبه الصارخ

!



ألم مبرح اكتنفه وهو يرى صبا تخرج من
إحدى الغرف تترنح، تستند إلى عكاز، وتجيب
سؤال أمه بصعوبة !!! :

-ن..ع..م..

تعافر، تناضل لتخرج الحروف من بين شفثيها،
تتوقف لثوانٍ تلتقط فيها أنفاسها، ثم تستكمل
رحلتها في المعافرة دون أن ترفع وجهها...
الصدمة شلته، هشمت قلبه إلى شظايا، يبعد
عينيه عنها بصعوبة لينظر إلى أمه بدهشة
متألّمة وكأنه يسألها عما حدث لها !
وأمه، أبعدت عينيها عنه وهي تهز رأسها بقلّة
حيله..

أنزل جميلة أرضاً، ثم اعتدل واقفا وهمس
برعشة واضحة :



-صبا !!

همسته الوجلة جمدها، وقع اسمها من بين
شفتي الغائب أصابها بالدهشة، ترفع وجهها
بسرعة بعدم تصديق، وما أن وقعت عيناها
المرهقتين على وجهه الحبيب، شهقت، أرتعش
ذراعها المتشبث بعكازها، والنتيجة؛ وقع
العكاز أرضاً، ومال جسدها الواهن بضعفٍ،
والسبب...صدمة، حيث رجوع الحبيب بعد طول

غياب !

والغائب نهب المسافة بينهما بقلب عاشق
متألم، يسند جسدها الواهن، وقلبه النازف
يصرخ بألم...

"أنا عكازك !"



ولم يدرك أن لسانه نقل صرخة قلبه، بهمسة
حانية، مرتعشة، فأتى الرد منها تحمله كلمات

مُبَعَثَةٌ

”أ..نت ه..هنا؟؟؟“

همسها المرتعش، ودموعها التي بدأت في
الهطول زدات من ألمه أضعافاً، فلم يجد حلاً

سوى، العناق !!

حيث أن في العناق نجد ما ينقصنا !

وعناقهما كان متألماً، مليئاً بالمشاعر

التراجيدية، والقلب أعلن تمرده فقرعت طبوله

!

ذراعيه يدعمان جسدها المرتعش، ووجهه دفنه

في تجويف عنقها مغمضاً عينيه..



وهي، ترتعش، تتشبث بملابسه المهترئة بقوة،
تحاول، تعافر لتخرج الحروف كما كانت تخرج
يوماً، والنتيجة؛ فشل !

-ماذا حدث لك؟؟؟-

ولو كان ينتظر ردها، فلن ينل سوى الصمت..
حيث أن المختبئة بصدرة تنشج باكية، حاولت
بشق الأنفس لتوضح، تخبره، تتأسف له عما
حدث..

والأم، تراقب ما يحدث بتأثير لم تستطع
مقاومته، حين قرر مروان السؤال، تولت هي
ضفة الحديث، حيث إنها تعلم صعوبة الأمر على
صبا :



- يبدو أنك لن تتحمل الانتظار أكثر، فلنجلس
بغرفة الجلوس أولاً، وبعدها سأخبرك بكل شيء
!

وانصاع إلى أمر أمه، ابتعد عنها قليلاً، رفع
كفه ليمسح دموعها، بينما هي تتهرب بعينيها
بعيداً عنه..

وفجأة، شعرت به يحملها من خصرها بذراعه،
يتحرك بها نحو الأريكة، فالتفت عيناها
المبللتين بعشقٍ صادق، يجلسها على الأريكة
برفقٍ وأمه تتبعه بابتسامة صغيرة !
بدأت رقية بالتحدث، تفند، تبرر، وتخبره عن
معاناة زوجته المتشبهت بكفيها الآن :
_ أنت تعرف الكثير من أبعاد الموضوع، فقط ما
لا تعرفه، هو أن صبا تأثرت نفسياً بما حدث



لها، فور كل عودة من غيبوتها المتقطعة
تنهار، تبكي، وتصرخ باسمك أنت فقط، وتعود
لغيبوتها مرة أخرى، وحين أستقرت حالتها،
اكتشفنا أنها تعاني من صعوبة في التحدث،
أخبرني الطبيب وقتها أنه سبب نفسي
وستحسن حالتها مع الوقت !

أغمض عينيه مروان متألم وهو يشدد على كف
صبا البارد برفقٍ وكأنه يطيب خاطرها، وهي ما
زالت بين الوعي واللاوعي مُعلقة، تتأمل جانب
وجهه بعينين مشتاقتين، لا تصدق أنه هنا !
لقد علمت ما حدث لها، السيارة التي كانت
تستقلها مغشياً عليها، تدخل الشرطة في الوقت
المناسب، وتقطيب جرح عميق وخطير جداً،
وعرفت أن هاني قُتِل، والقاتل كان زوجها،



مروان، أخبروها أنه تم حبسه في قضية قتل،
والسبب هي..

يومها صرخت، انكتست حالتها، ودخلت
بغيبوبة استمرت لساعاتٍ طويلة، وفاقت
والصدمة وقتها كانت في عدم قدرتها على
التحدث والصعوبة في السير على قدميها،
والسبب "اضطراب نفسي"، طوال الأيام
السابقة كانت ناسكة في محراب الألم، الندم
على تهورها..

تبكي بحرقة ورقية تدعمها..

لم تكن تعلم أن مروان سيخرج اليوم، وحقيقة
لو كانت تعلم لكانت سقطت مغشياً عليها من
هول الصدمة!



والقلب الآن يتراقص فرحاً، وألماً، وخجلاً من

نفسها !

قصت رقية له كل شيء، وتوقفت عن البوح

لاهثة، تناظر وجه أبنها المتألم بتأثير، تميل

نحوه لتربت على ركبته بحنان دون أن تتفوه

بحرفٍ، ثم تنتصب واقفة، تجذب جميلة برفقٍ،

وب"شياكة" تركت لهما الغرفة وحدهما

وأغلقت الباب خلفها...

أ...ن...ا...آ..سف..ة!

قالتها بصعوبة وهي تحرق بالأرض بعينين

مبللتين، تعترف بأسفها أنها ضرته، تكمم فمها

بكفها وكأنها تمنع بكاءً على وشكِ البدأ، تظن

أن اعتذارها هو الحل، وهو سيعتبره هكذا

بالفعل، فأمام عجزها عادت افكاره السوداء إلى



حيث.. لا يعرف، وأقر القلب تأمرا مع العقل أن

تلك المرأة لن يتركها أبدا :

-لا تتأسفي، دعينا ننسى ما حدث، سنتخطى

الماضي ونبدأ من جديد، حيث حياتنا دون

ضعائن، وحب صادق لن يقل أبدا !

قالها بصدقٍ أجبرها على الابتسام، تعرف أنه

كان ينوي الابتعاد عنها وهي متفهمه لكل هذا،

لكن الآن !

تراجع عما ينويه في طرفة عين، حيث أنه لم

يتحمل ما حدثها لها..

ربما أدرك أنها مثله، مظلومة..

لكنها هي، تدرك أنه لن ينسى ما حدث بسهولة،

لكنها ستحاول وكفى !

وهو بقلبٍ عاشق تغلب على سوداويته، وقرر..



سيحاول أن يستأنف حياته معها، وينظف روحه

الملتئة بالضغائن !

وهذا ما يحتاجه بالفعل !

=====

دفنت رأسها في وسادتها قبل أن تطلق عدة

آهات مكتومة وهي تشعر بأن جدران غرفتها

تكاد تكتم على أنفاسها!!!

شعرت بباب الغرفة يفتح فرفعت عينيها اللتين

كانتا تتألمان مثلها!!!..

ظلت على وضعها حتى شعرت بها تجلس

جوارها مربتةً على رأسها بحنو :

-ماذا بك يا جود، لماذا أشعر بأنك تخفين شيئاً

عليّ!



رفعت جود عينيها ببطء ثم اعتدلت في جلستها
تزامنا مع عدة آفات خرجت من بين شفثيها
كنغمة حزينة!!..

ازدردت ريقها ببطء ثم همست بشرود :
-نعم تمارا أنا أخفي عنك الكثير والكثير...لكن
لن أتمكن من اخبارك بشيء...
-بل ستخبريني لأتني لن أترك هكذا...أنتِ
بالكاد تتناولين طعامك بشكل متقطع عدة
لقيمات صغيرة والعديد من أكواب القهوة!!..
قالتها تمارا بتوجس وعينيها تجريان على
ملامح جود الشاحبة بشفقة، تجذبها من كتفها
محتضنةً رأسها بحنانٍ لم تتدعيه قبل أن تردف
بنبرة أشد خفوتاً وهي تربت على شعر جود
شديد النعومة :



- يبدو أنك قد سئمتني مني يا جود، منذ " عقد
قراني " وأنتِ تبتعدين عني!!!، هل أزعجتك
في شيء دون قصد!!!... أرجوكِ تلك الخواطر
تكاد تفتك برأسي!!

اغمضت جود عينيها بألم ، ثم أخفت وجهها في
صدر تمارا وشعور الأمان يعود لها من جديد،
لكن أفكارها لم تتركها وحدها بل تضافرت أكثر
بطريقة كادت تفتك برأسها...

ماذا تخبرها!!

تخبرها أن هذا الذي تُطلق عليه زوجها
يضايقها وبشدة دون أي سبب يذكر!
هي تخشى أخبرها بالحقيقة المرأة فتسئ تمارا
فهمها وتحكم عليها بالابتعاد عنها بل بترك
بيتها التي تقطن به منذ خمس سنوات!!!



وإن حدث هذا فأين ستذهب ولمن؟!
عند خاطرها الأخير سقطت دموعها رغماً عنها
لتهمس بصوت واهٍ، مرتعش :
-لا أنا لستُ غاضبةً منكٍ لكنني غاضبةٌ من
نفسي...أشعر بأنني أخطأت...أخطأت عندما
رفضت عرضِ زواجٍ كعرض جاسر...
جحظت عينا تمارا مبهوتةً، وتدلى فكها حتى
كاد يعانق الأرض من شدة صدمتها، فرفعت
جود عينيها ببطء لتلاحظ تغير ملامحها، لكن
تمارا تداركت الموقف بسرعة، ثم هتفت بشيء
تهكم:

-تريدين الزواج من سارق!!؟
-ليس سارقاً يا تمارا، لقد أخبرني أنه مظلوم !



تقولها جود بيأسٍ أثار تعجب تمارا، والشك
بداخلها يتفاقم أكثر..

هناك شيء غير مريح تخفيه جود عنها، كما أن
هناك عدة تحركات مريبة تحدث حول منزلهم،
أخبرها حارس البناية بها، والآن يزداد شكها
يقيناً بأن صديقتها ليست على ما يرام، وربما
السبب هو..زوجها !!!

لا تتعجبوا لقد لاحظت نظرات محمود نحوها،
والرعب الذي يصيب جود حين تراه وتأتي
بسيرته أمامها، فقط لو تتحدث وتخبرها أن
شكها صحيح، وهي لن تتركه، ستطلق منه بعد
أن تأخذ حق جود منه، لكن جود تخشى أن
تخبرها، تظنها لن تصدقها، المجنونة !



-جود، هل يضايقك محمود ؟؟؟، لا تخشي شيء

أخبريني ؟

قالتها تمارا بحزم بعدما شعرت بأن شكها سوف

يقتلها، تريد أن تعلم ماذا أصابها منذ زوجها

بجانب جرحها العاطفي التي لا تعلم عنه سوى

بعض الرتوش..

وجود انتفضت، اتسعت عيناها مبهوتةً وهي

تحقق بملامح تمارا الصارمة، فيتضح الخوف

على ملامحها..

تتشبث تمارا بكفها ورد فعل جود يثبت صحة

توقعها، تشدد على كفها بدعمٍ كما النبرة:

-أقسم بالله لن أكذبك إن أخبرتني بما يحدث،

ماذا يفعل لك ذاك الحقير !

وأمام دعم تمارا، انهارت جود، سحبت فتيل

صمتها، وانطلقت توضح، تفسر، تبكي،

ويقشعر بدنها بتقزز :

-يمتهن جسدي بعينيه ولسانه، يت...يتعمد

لمسي بقذارة، وأنا أقسم لك، أقسم بالله لم

أتحدث معه، ولم أتلاعب كأنتي قد تبدو في

نظرك غير محترمة، هربت من أهلها مع رجلٍ

كانت تحبه، أنا...أنا كظمت ألمي بداخلي حتى لا

تظنين السوء بي وتطرديني من بيتك!

بررت، بكيت، تشبثت بيد صديقتها تطلب منها

أن تصدقها، ألم ترجوها أن تتحدث وستصدقها،

ها هي تحدثت، فلتصدقها الآن، ترحمها من

خوفها ورعبها !

والصديقة، الصغيرة كانت تلوم نفسها دون
صوت، هي تهورت لأجل حبٍ عقيم أوقعها في
جُبٍ عميق كهذا، تهورت ومع تهورها جرحت
صديقتها معها، كانت تعلم..

والله كانت تعلم أن محمود هذا ليس شخص
سوي، به شيء مرعب، والآن تعرفت على
وجهه القذر، ورُغما عنها تشعر بالألم لأجل
نفسها، ولأجل صديقتها..

فهاجس

"أنك كنت غير موفق في اختيار شريك العمر

مؤلمة"

-تمارا !!!

على نداء جود عادت تمارا إلى أرض الواقع،
التفتت لها مبتسمة ابتسامة ضعيفة، ثم هتفت
بهدوء وهي تربت على كفها المرتعش :
-لقد أخطأتِ جود، كان يجب عليك أن تخبريني
بالحقيقة، لماذا تركتني هكذا ؟؟؟، أتابع طريقي
مع رجل لم يحترمني ولم يحترم أنك شقيقتي
وليست صديقتي ؟؟؟، لماذا يا جود صمتِ؟،
أكنتِ تريدني أن أقع في فخٍ وعر كهذا !
-أقسم بالله كنت أخشى أن تكذيبني، كنت
أخشى أن يسيطر عليك ما فعلته بأهلي!
-ومن أنا لأحكم على بشرٍ مثلي ؟؟؟، لقد رأيتك
منك نقاء لم أره من قبل يا جود، أنتِ كنتِ
ضحية تهورك وقتها، لكن الآن أنتِ أصدق

امرأة على وجه الأرض، أنتِ شقيقتي وكان
يجب عليكِ أخباري بكل هذا لأطلب الطلاق !
قالتها تمارا بحزمٍ عاتب وهي توبخها فاختفت
جود رأسها أرضاً، ومع جملتها الأخيرة
انتفضت جود، وتلعثت قائلة بصدمة :

-تطلبين الطلاق ؟؟؟-

والبسمة التي زينت ثغر صديقتها لم تتوقعها،
كما النبرة الواثقة وهي تربت على وجه جود :
-نعم سأطلبه وسأحصل عليه، أتظنين أنني
سأبقى مع "خائن" وعديم الأخلاق حتى لو كان
زفافي قد اقترب، فليحترق هو

والزفاف...كرامتي فوق الجميع يا جود !
والجملة الأخيرة أصابت جود في الصميم،
فاهتزت حدقتهاها وازدادت كثافة دموعها..



تلك الفتاة، قوية، لا يكسر لها حب..

ولا تجبرها ظروف على فعل ما لا تراه مناسباً

لها..

عاشت حياتها وحيدة، ورُغم ذلك تتحلى بالخلق

وإن كانت منفتحة قليلاً!

تلك الفتاة صعبة المنال "تمارا" تستحق جائزة

الفتاة المكافحة بجدارة!

وهي، جود تستحق القتل، وعدم الراحة دائماً..

تدرك أن الله غفور رحيم..

لكن البشر يلهثون خلف منطق

"من أخطأ يُحاسب حتى تغادر روحه إلى

خالقها "

والمنطق الفلسفي يقول

"من أنت يا بني آدم لتحاسب أخيك على جرم
توقف عنه، أعلن توبته، وندم من أنت؟؟!"

والجواب..

أنا إنسان !

شردت الفتاتان في عالهما الخاص، تمارا
قررت الانفصال وألمها لا يساوي في معادلتها
سوى هباء منثور، وجود تخفض وجهها بخجل
وخرج، تشعر بالأسف على حال صديقتها
وانفصالها عن زوجها قبل الزفاف !
رنين جرس الباب قطع أفكارهم، فانتفضت جود
بوضوح أمام عيني تمارا التي شعرت بالغضب
والشفقة عليها، فهتفت برفق :
-لا أعتقد أنه محمود، سأذهب لأرى من !



خرجت تمارا من الغرفة وأغلقت الباب خلفها
مبتسمة برفقٍ، غابت عن عينيها لدقيقة كانت
خلالها جود مرتبكة، تشعر بشيء غريب
بالخارج، تغمض عينيها بذعر، تخشى أن يكون
الزائر محمود...

خوفها تمكن منها، حتى أنها كادت تبكي، لكن
صوت باب غرفتها الذي فُتح بهدوء وشى بأن
الواقف عند الباب ليست تمارا لا !
رائحة عطر رجالي اخترقت انفها، فاغمضت
عينيها بقوة تخشى النظر إلى هوية الواقف
أمامها..

تراجعت حتى نهاية الفراش، بارتباك دون أن
تفتح عينيها..
والواقف...



من كان يناظرها بعينين مشتاقتين غاضبتين في
مزيج مدهش، ارتعش فكه متأثراً، أخفى فكه
بكفه كاتمًا تأوها مشتاقاً، ثم تحرك نحوها
خطوة، عاد بعدها خطوات إلى الخلف، والحل
المناسب كان التحدث بهتاف حنون :

-جيجي !!!-

الصوت، النبرة، ولقب دلالها الحبيب أخرقوا
مسامعها، شهقة عنيفة انفلتت من بين شفثيها
حين وقعت عيناها عليه، تناظره بعينين

متسعيتين ووجهٍ شاحب، فابتسم !

ابتسم وفتح ذراعيه مرحباً بعناقٍ اشتاقه قبلها..
وهي ما أن استوعبت، ادركت، حتى ركضت

نحوه صارخة بأسمه :

-يوننتننس !-



والقت جسدها بين ذراعيه تشهق باكية، وهو
ضم جسدها بحنانٍ لم يستطع إخفاءه، يقبل
شعرها بحنانٍ، وهي تردد اسمه بهيستيرية،
تتلمس ظهره بكفين مرتعشتين :
-يونس!، يا إلهي أنت هنا !!!، تأخذني بين
ذراعيك !

_شتقت لكِ جيبي، لماذا فعلتِ بنا كل هذا يا
قلب أخيك؟؟؟، أيرضيكِ ابتعادك عنا كل هذه
السنون !!!، لماذا ولأجل من؟؟، لأجل من!!!!!!
بشراسةٍ قالها، وبغضبٍ لم يهدأ حتى هاته
اللحظة ضرب رأسها بكفه وإن كان برفق،
يعنفها، يلومها، يوبخها عما فعلته بهم
وبنفسها..



ينكأ جرحها عمداً يناقض دفاء عناقته، بكت،
نشجت بعدم تصديق وهي تتشبث بملابسه
بقوة، وكأنها تخشى أن يكون كل هذا ما هو إلا
محض خيال !

لم تشعر به وهو يسحبها نحو طرف الفراش،
جلس وأجلسها بعدما أبت أن تبتعد عنه، يمسح
على خصلات شعرها محاولاً تهدئتها...

لقد تغيرت تماماً، شكلاً..وجسداً، و شعرها

!!!!!!

شعرها الذي كانت تعشقه حد الجنون بطوله

الرائع بالكاد يلامس أذنيها !!!

صغيرته منطفئة، وكم ألمه هذا !

أما هي لم تلاحظ تغيره الجذري، ملابسه التي
يبدو أنها تحمل ماركة معروفة، شعره المصفف



بعناية، وملامحه التي ربما اكتسبت سُمره، إلا

أن وسامته زادت !

-حين علمت مكانك بعد عودتي من السفر أتيت

لأخذك فوراً، لن أتركك وحدك ثانيةً، سأخذك

معي..ربما ما زلت غاضباً حتى هاته اللحظة،

إلا أنني لن أتركك بعيداً عني مرة أخرى !

قالها يونس بحزمٍ مهتز وهو يضم جسدها

المرتعش بين ذراعيه، ومن وسط نشيجها

سألته بأمل بزغ من العدم :

-من أخبرك بمكاني ???

انعقد حاجبا يونس حين استشعر بادرة الأمل

بنبرتها، وإجابته الحذره أسعدتها :

-أمجد!!!!!!

هكذا إذا!



لم يرد أن يتركها وحدها، رغم غضبه، ورغم
حزنه منها، أخبر شقيقها بمكنها حتى لا تبقى

وحدها !!!

كما أنه لمح لي برغبة في الارتباط بك !!
قالها يونس بنفس الحذر دون أن يتوقف عن
التربيت على رأسها..

بينما هي..

اتسعت عيناها مبهوتة، وجملته تتردد بأذنيها

غير مصدقة!

من لمح لمن ؟؟؟!!!

هي بالتأكيد تحلم !!!!!

=====



الفصل الثاني والثلاثون



هي لحظة..

لحظة تفقد بها عقلك نتاج تهور..

يركض عقلك في أرضٍ وعره تاركاً إياك تحارب

بقلبك !

والقلب في الحرب كارثة !



فوهة سلاح تصافح جبهته، وفوهة سلاحه هو
تصافح صدر "الجد" صاحب النظرة الساخرة

بغضبٍ أهوج !

مزيج أخبر إياد بكل بساطة أن ذاك الرجل

"طاغية" وللطاغية حق القتل!

والطاغية على استعداد تام لتفريغ سلاحه

برأس ذاك الذي يحتضن كتفي "حفيدته

الضالة" بحمائية، والأخيرة تتشبث بسترته

السوداء خائفة، تخفي وجهها بكفته تبحث عن

أمانها !

حرب النظرات كانت محتدمة، وأمام إصرار إياد

الذي كرره بنبرة صارمة :

-لن أتركها، سأخذها وأرحل بهدوء !



كانت ضحكة ساخرة تردد صداها بأنحاء الغرفة
بأكملها، يعقب على جملته السذاجة بشرٍ لا
يتناسب البتة مع وهن ملامحه :

-بل أنت من سترحل بهدوء قبل أن تتلقى
نصيبك يا "أستاذ"، تلك الفتاة التي تحتضنها
الآن حفيدتي، وأنت تقول أنها خطيبك، لا أرى
خاتماً ببنصر كما وهذا يثبت ما توقعته، وقعت
شقيقة مدعي الفضيلة في هوة الخطيئة !
والغضب بداخل الحامي يتفاقم، تشتعل عيناه
بوضوح وملامحه الأوروبية تسود بشكلٍ
مخيف، وتلك التي ترتعش بين ذراعيه ملعونة،
لعنها عقله لتهورها، ولعنها قلبه لخيانتها
المشروعة !



وفي المنتصف يقف هو بنبضٍ واجف خائفاً
عليها، فتتسارع الحروف ركضاً على شفثيه،
وإن كانت النبرة زاعقة :

-ليس لديك حق بكل هذا، سأخذ مروج

وسأرحل، نقطة وانتهى المشهد !

منافس قوي، وحبیب مدله حد النخاع، يمتلك
قوة شخصية نالت إعجابه فأصر على العناد،
حيث لا خروج من هذا القصر، والمنافس سينال
نصيبه من رجاله وتلك الباكية التي تكرر اسمه
بهذيان سيخنقها، جالبة العار التي تناسى
وجودها على الحياة كباقي أخوتها، والآن تأتي
في منتصف الليل بنية لا يعرفها !
-أتظن نفسك بفارسٍ يأتي ليخطف الأميرة من
برائن الشرير لتنقذها وترحل !



هذا الرجل السرد في مشهده يهابه، يمتنع عن
نسج الكلمات والجمل لتوضح لك أنت القارئ
ماهية تكوينه !

والمنطق يقول : هذا الرجل طاغية !
وللطاغية حقٌ آخر أستنه هو ودونه في قانون
يخصه؛ حيث إنَّ الفتاة مثال للعار وهو سيقتلها
بيده !

لم يأبه للزعقة العنيفة من العاشق وهو يشدد
من ضمة للمرتجفة في مشهد -بالنسبة لها-
تراجيدياً حد البؤس :

-أسمع يا أنتَ، أنت لا تعلم من أنا ومن يكون
إياد صابر بالبلد، ولا تعرف أيضاً الجانب الآخر
من شخصيتي، إن كنت أنت طاغية، فأنا



ضارية... وللضواري حق النيل من الفريسة،

وإن كانت طاغية !

ذاك الولد ذكي، حار الدماء، قائد محنك بأرض

الضواري مع وقف التنفيذ ورُغم كل هذا

استفزه، أغضبه، فانفجرت شفتاه وهم

بالتحدث، لكن المقاطعة أتت من مليكة صارمة

:

- ابعده سلاحك عنه يا سالم، وأنت يا أستاذ

"إياد" بعد أذنك ابعده سلاحك هذا لا يصح!

لم يستجب لأمرها سالم كما إياد الذي تجاهل

جملتها وتراجع خطوتين إلى الخلف دون أن

يخفض سلاحه، يضيف بنبرة باترة لا تحتمل

نقاش :



- سأخرج من هنا وهي معي، وانتهى الأمر،

انسَ أنك رأيته من الأساس !

ضحكته الساخرة بخشونة أغضبته، وخافت
المرتجفة بين ذراعيه، فامتعض، وزم شفثيه
ملاً، حيث إنه يكره العناد وذاك الرجل يحمل
"عقل كالحذاء" :

- والسبب، أتراني سأتركها لك، طالما أتت لي

بكامل إرادتها لن تأخذها !

ورد إياد كان غريباً، حيث إنه مد يده في جيب

بنطاله بعد أن تخلص عن كتفيها بينما هي

تتكمش بصدرة أكثر، يخرج هاتفه، يتصل برقم

ما بملامح مكفهرة، لا ينبس بحرف، بل يجابه

بنظرات حادة، ومليكة تقف عاجزة عن حل هذه

المشكلة الصعبة !



تقف بحلية نسائية بلون وردي شاحب،
وقلنسوة الحلية تخفي شعرها عن عيني غريب

!

تصارع نفسها بألم جديد، حيث إن سليم لو كان
موجودًا لكان كل هذا طوع يمينه!

والحقيقة، لا وجود إلى سليم، لا وجود

لسطوته، غضبه، حزمه !

الوجود فقط كان لنبرة العاشق الغاضب وهو

يمد الهاتف نحو سالم مغمما باستهزاء :

-تفضل!

وامتنع سالم عن الانصياع، والسلاح بيده

يتراجع إلى الخلف عاقدًا حاجبيه بتوجس حذر..

وثبت منها بخطوات خفيفة يكتمها قماش
السجادة السميك وقدميها المغلفتين بخف سليم
!

واحد، اثنان، ثلاثة، ومباغطة !
حيث سحبت السلاح من يد جدها بغتة، فحفظت
عيناه غضبا وهم بسببها فعليا، لكن هتاف إياد
المتأفف دون أن يعير لما حدث للتو انتباهه
المشوش رُغم أنفه :

-لا تخف، إنه عمي، سيترجاك أن تتركني !
والفضول قاتل، مثير حد الاشتهاء لتذوقه،
تقبيله عبر تفاصيل مُميتة، حيث إن الواقف
أمامه ابن أخو لواء بالداخلية !
"الرقيق" يحتمي بمظلة عمه والمظلة ضخمة،
والمكانة مخيفة كنبرة عمه عبر الأثير :

-دون ديباجات تافهة، ستترك ابن أخي

وخطيبته، أنا أمرك الآن بأن تتركهم!

العم، العدو الحبيب بنفس الوقت والمزيج نكهته

لاذعة، لا يعلم لم لجا له حين تحرك نحو البلدة

التي هربت إليها مروج، يخبره عن التفاصيل،

يطلب مشورته وقد تنحى دور الشقيق الغاضب

جانبا، وتبقى إياد المتعلق بعمه حد الهوس،

والأب الروحي له، وللعجب لم يبخل عمه عليه

بأي نصيحة، بتحذير، بأمر لا يحتمل الناقد

بأن يلجا له حيث يشتد الأمر!

وهو لجا، والند المقابل له يمتقع وجهه رُغْمًا

عنه، حيث الطاغية تخاف "الحكومة" أو

بمعنى آخر "الشرطة"

والسبب، أمبراطورية الأمير المجيدة!

يغمض الجد عينيه شامتًا من بين اسنانه وهو
يلقى الهاتف حريفًا دون اهتمام، يهز رأسه
بقوة في محاولةٍ بئسة للخروج من هذا المأزق
الشاق، والحفيذة المتمردة..

الشقيقة المدللة..

المحبوبة المغدور بها !

والحبيبة لرجلٍ تتشبث بقميصه الآن؛ تبكي
بحرقه، ترتعد خوفًا، وتلعن نفسها بألف لعنة !
حيث الموقف لا تفهمه، المشاعر المحاطة بها
مليئة بالغضب والتشفي والقلق من قبل إيد
عليها !

ويجابه الجد، يغلّق الهاتف مع المجهول الذي
يدعى عمه، وجدها الذي ختم المكالمة بكياسة
لا تناسبه البتة :



- لا تقلق يا "باشا"

وفور انتهاء المكالمة سمعت صوت الهاتف
يُلقي أرضاً، وابتسامة مفتعلة هازئة من إيد
ناوشت أذنيها، والصمت المحيط، مُقلق،
مُخيف، لم يقطعه سوى صوت مليكة، تلك التي
تدخلت لتحسم الأمر وهي تأمر إيد بلطفٍ
مشيرة إلى سلاحه :

- فلنهدأ بعد أذنكم، من فضلك سيدي أترك
سلاحك أنتَ في منزل أحد أشقاء خطيبتك وأنا
زوجته، وأتعهد لك بسلامتها وسلامة سيادتك،
في خلال دقائق سينتهي كل شيء !
وجملتها الأخيرة خرجت صارمة وهي ترمق
سالم بعينين مشتعلتين، تتحداه، وذاك



المتعجرف يتحداه أيضا وأمام سطوة عمه يقف

عاجزا والذريعة "العائلة وسمعتها"

الأفكار تتابع في رأسه مفكرًا، يفند ويقمع

رغبته في تعذيبها عنوة !

سيتركهم ليرحلوا !

هكذا إذا..

مشهد مُختل من البداية..

حيث البطلة هربت مختبئة وسط الجمع في

قطار والذريعة؛ تمرد..

وهو البطل الافتراضي قطع المسافات تحت

عجلات سيارته ساحقًا الأرقام القياسية

والمسموح به، وببيديه سلاح !

وهو الجد الشرير يأبى تركهم، وسطوة إياد

تتوجب عليه تركهم، لكن قبلا يتوجب عليه أن



يعرف، لماذا أتت إلى هنا من الأساس ما

غرضها من كل هذا :

لماذا أتيت إلى هنا من الأساس !

قالها بخشونة غاضبة وهو ينظر إلى مروج

التي حثها إياد على الابتعاد والتماسك بهمس

حاسم، فابتعدت مرتعشة، بوجهٍ مرقط وعينين

حمرأوين وقفت بجوار إياد، تنظر إلى سالم

والرهبة تسيطر على جنابتها، فشعرت بكف إياد

تعانق كفها الصغير ليدعمها ويبثها الأمان وقد

فعل!

ضغطه خفيفة على كفها أخبرتها ألا تتحدث،

فهمت وأدركت أن إياد غير مطمئن له حتى

بعدها هدده عمه بطريقة غير مباشرة..



والشر بعيني سالم مُخيف، قابض للأنفاس،
والتدخل من قبل ملكية كان واجبًا، قطعت به
تواصل النظرات بين "خطيب" مروج كما قال
وسالم الذي يشتعل غضبا وهي تعلم :
-لا تقلق يا أستاذ إياي لن يضرها أحد، هذا بيتها
وبيت شقيقها سليم وبالتأكيد لن أسمح بأي أذى
يطول الصغيرة !

-أين... أين سليم؟؟

سؤال مرتعش، خائف خرج من حنجرتها
مضطربًا ببحّة واضحة، ربما هو فضول، او
تشبث بأسم شقيقها، والحزن الذي لون عيني
المدعوة زوجته قبض قلبها، بث الخوف بقلبها
أكثر، وسالم استغل صمت مليكة وحزنها ببث



سُمه، حيث مبدأه؛ إن لم تتلذذ بدماء العدو، تلذذ
بألم قلبه..

وهو سيفعل، وبنبرة شيطانية، ونظره سوداء
نقلها بين مروج المرتعشة وإياد الغاضب :
-سليم، لا تنتظري أن تريه وتعمي بحضن الأخ
البعيد والأكبر، ربما تعانقيه حين يموت، حيث
أنه بغيوبة منذ شهر تقريبا ولا أمل لعودته!
والصرخة المنهارة أتت من مليكة وليس
مروج، والأخيرة ارتعش جسدها وشعر إياد
بها، ترنح جسدها ودعمها هو شاعرا بغضبه
يتفاقم من ذاك الذي لا يحمل أي ذرة إنسانية
ولولا تهديد عمه، لكانا في خبر كان الآن..
-بعيد الشر، مما مصنوع أنت، لا تقل هذا،
حسبي الله ونعم الوكيل !



صرخت بها مليكة فاقدة أعصابها، دموعها
تسابت على وجنتيها بسرعة البرق، وألم قلبها
يفوق ألمها الجسدي، وهو "سالم" لم يهتم،
جلس على مقعده بملامح سوداء، ثم أشار إلى
إياد قائلاً باستفزاز بينما الأخير يحاول السيطرة
على بكاء مروج وارتعاشها :

-إن أردت أن ترحل فلترحل وتأخذها، وأخبرها
أنها تهورت وتهورها ستنال ثمنه، لكن ليس
الآن !

وتفاقم غضب إياد ومروج تزداد حالتها سوءاً،
وهو عاجز عن السيطرة على خوفها
وارتعاشها الهستيرى، يهمس لها بحنو وهو
يربت على ظهرها :

-كفى بكاءً، لا تخافي، إنه يكذب عليك !

هو لا يعرف عن شقيقتها الثالث هذا أي شيء،
ولم يكن يعلم أن لها شقيق آخر غير رائف
وأوجد، لكن يتوجب عليه مواساتها..
أخبرها أن جدها يكذب وشقيقتها بخير،
والاتصال الذي أتى إلى مليكة التي كانت تبكي
بألم، بقهر؛ يثبت العكس...

حيث إنها وضعت الهاتف بعد أن أخرجته من
جيب بنطالها على أذنها، ممسكة قلبها بيدها،
فالاتصال من المشفى، والصوت يقول بأسى :
-سيدة مليكة، حالة السيد سليم سيئة جدا
وتقريبا نحن بصدد موت !

وصرخت، صرخت صرخة اخترقت عنان
السماء، صرخة قهر وقلب توقفت نبضاته،



الدنيا تسود حولها، والأنفاس تختق، تهز
رأسها بهيستيرية، ولسانها يكرر برعبٍ وألمٍ :
-لا، لا سيكون بخير لا تقل هذا...

وترنح الجسد فالصدمة عليها قوية، واندفع إيد
نحوها تاركًا مروج متسمة مكانها، ترى زوجة
أخيها تسقط بين ذراعي إيد وقلنسوة الحلية
تراجع فينكشف شعرها، ويعيدها إيد إلى
رأسها غاضبًا بصره، يضعها على الأريكة
برفقٍ قلق، ثم يربت على وجنتها بتردد بينما
سالم فقد شحب وجهه في بادرة أثارت نفسه
بالاندهاش، يرى ذاك الـ"إيد" يتحسس نبضها
بكفٍ، والآخر يربت على وجنتها هاتفا بخشونة
:

-يا "مدام"...



وتجاوبت بهذيان لم يفهمه ارتعش جسدها
والجفنين تحركا بصعوبة، وهو بجوارها يلعن
مروج وما يأتي من خلفها.. لا يستطيع أن
يتركها ويأخذ مروج ويرحل حيث "رجولته"
تمنعه من فعل هذا، وانتفضت مليكة جالسة،
تكرر بهذيان محموم ودموعها لا تتوقف عن
الهطول :

- سأذهب له، هو وحده، لم يجد أحد بجواره !
وانتصبت واقفة، والترنح كان من نصيبها،
فدعمها إياد دون أن يחדش حرمتها، يهتف
بخشونة وقد تدارك ما سمعته وفهم :
- سيدتي، اهدئي، سنأخذك معنا !
رفعت عينيها له ترجوه الصدق، حيث إن الوقت
تقريبًا قارب الفجر، والذهاب إلى المشفى الآن



مستحيل وحدها، وأوماً إياك برأسه بلطفٍ، وقال

:

-بدلي ملايسك وسانتظرك أنا ومروج لناخذك

معنا، لن يمنعا أحد !

وجملته الأخيرة خرجت ساخرة وهو يرمق الجد

الشاحب بغضب، ثم زجر مروج الباكية بصمتٍ

كي تقترب، واقتربت، والصدمة ما زالت تؤثر

عليها..

هربت، وأتت إلى سالم، ضربها، وأتى منقذها،

رفع سلاحه معلناً الحرب، وحين شعر بالخطر

يزداد لجأ إلى عمه الذي أرهب سالم بنفسه،

فقرر تركهم والنيران تتفاقم بداخله، والنهاية،

شقيقهم البعيد، والمظلوم بغيوبة !

-اذهبي معها إلى غرفتها، وغطي شعرك !



قالها بصرامة و غضب وقد تحول حنانه إلى
غضبٍ أربكها أكثر..

تحركت مليكة نحو باب الغرفة ومروج وراءها
مرتبكة وإياد يهمس بجوار أذنها بفحيحٍ لا
يتناسب مع طبعه البتة :

-لا تتحدثي حتى نعود إلى المدينة، وحاولي أن
ترتدي شيء آخر غير الذي ترتديه..

وفهمت فحوى كلامه، فامتقع وجهها، واسندت
مليكة حين طلبت الأخيرة منها بنفسها :

-ساعديني يا مروج أن سمحت..

وابتعدت عن انظاره الغاضبة، التفت إلى الجد،
وحدجه بنظرة ساخرة، ثم خرج من الغرفة

بالكامل، وانتظرهما ببهو القصر...

والجد، يشعر بخواء، حزن لم يستسيغه..



حيث إن..

الحفيد الذي تربى بكنفه، على شفا الموت !

وهو حزين !

والسرد هنا يسخر منه، حيث الطاغية ملك

التناقضات بجدارة !

=====

في سيارة إياد كان الجو مفعماً بالصمت القاتل،

مليكة تجلس بالمقعد الخلفي تبكي بصمت،

تتشبث بمدالية سليم بقوة، ومروج تجلس

بجوار إياد الصامت، تلف رأسها بالوشاح وقد

أعارتها مليكة فستان يناسبها، فملابسها كانت

لافتة للنظر، بنطال ضيق أسود رسم منحنايتها،

وقميص يصل إلى حافة البنطال، والمجنونة

ركبت القطار بهذه الملابس..



ضرب إياد المقود بغضب شاتمًا بخفوت من بين
أسنانه، فانتفضت مروج من مكانها وازدردت
ريقها برهبة، أتعذر الآن أم تصمت !
إياد غاضب منها وتقريبًا لا ينظر نحوها منذ
استقلت السيارة..

وعقلها رأى أن الاعتذار واجب، فنقلت رأي
عقلها إلى شفثيها بنبرة مهتزة، ومليكة بالخلف
تراقب ما يحدث :

-أنا آسفة !

-اخرسي!

هدر بها إياد بوجهها، فامتقع وجهها، اعتقلت
قبضته رسغها، وأضاف هادرًا بينما مليكة فقد
عقدت حاجبيها بتوجس وتوقفت دموعها عن
الهطول :



-لا أريد أن أسمع صوتك، صوتك يفضبني،
وجهك يفضبني، نبرتك تثير غضبي أكثر
وأكثر، ماذا تظنين نفسك، أين عقلك وأين
حيائك؟؟؟؟، تسافرين إلى بلدة أخرى بملايس
تدعو من يراكٍ للتحرش، تستقلين قطار وحدك
وبمنتصف الليل، على ماذا كنتِ تبحثين ؟؟؟؟،
عن أغتصاب أم سرقة!!..

كلماته غاضبة، ونبرته صارخة بصوتٍ
جهوري وقد تخلى عن شخصيته الهادئة، وهي
ترتعش خوفاً وندماً، تشهق باكية وهو لا يرحم،
يتوالى عليها بالصراخ والغضب :

-لم تفكري بأخويك، لم تفكري بأمجد وحده
حتى، فكرتِ بنفسك، ذهبتِ إلى من سحق
كرامتك تطلبين مساعدته، لم تستطعي نزع حبه



من قلبك، وذهبت إليه تطلبين المساعدة، يا

عديمة الكرامة!

وبصق الكلمة الأخيرة بوجهها صارخًا وهي

تصرخ باكية تخفي وجهها بكفها الحر والأخر

يقبض عليه بقوة حتى تأوهت متألّمة ولم يكن

هو مهتمًا، لا يرى سوى خوفه، لا يسمع سوى

صوت مالك وهو يخبره أنها ذهبت له وهربت

بعدها، الحادث الذي كاد أن يتعرض وهو في

طريقه لبلدتهم، لا يرى سوى خوف أمجد،

وبكاء لجين، وخوف رائف المتهور...

لا يرى سوى جرح قلبه..

وعند خاطره الأخير ترك رسغها باشمنزاز

أوجعها، فبكت أكثر، وبالخلف فهمت مليكة أن

كلماته نابغة من خوفه وغضبه منها، ورُغم



قسوته عليها، إلا أنها لم تتدخل، فيكفيها ما
تشعر به الآن، هي وببساطة تحترق على نارٍ
وحشية وقلبها يخشى فراقه..

وفجأة، تذكرت أمر أمجد، فهتفت بارتعاش
محدثه إياد الذي كان باسطاً كفه بوجه مروج
يمنعها من تبريرها دون أن ينظر لها :
-هاتف أمجد أن سمحت، أخبره أن ينتظرنا

بمشفى (...) أرجوك !

كانت ترجوه بألم، وشهامته تغلبت على غضبه،
فنظر لها عبر المرآة الأمامية، وهتف باستفسار

:

-لمَ سيدتي ؟؟، سيقلق أن قلت له انتظرنا
بالمشفى أنا لم أخبره حتى الآن أن مروج معي

!

-زوجي يكون شقيق أمجد التوأم، هو لا
يستجيب إلى أحد بغيوبته، والآن أخبروني أن
حالته سيئة جدا، أرجوك، أرجوك..
وهمسها المتألم أجبره على الطاعة، والجالسة
بجواره تبكي بصوتٍ مرتفع، فوضع الهاتف
على أذنه وهدر بوجهها :

-اصمتِ !

وصمتت، وتحدث هو مع أمجد الذي أتى صوت
مرهقا، متلهفاً :

-وجدتها يا إياد ???

-نعم، هي معي الآن..

-أين وجدتتها؟؟؟، هل هي بخير !



قالها أمجد فرحًا وقد أرتاح قلبه، واستشعر إياد
فرحته، فأغمض عينيه وألقى ما يريد قوله
بينما مليكة بالخلف تبتهل، وتدعو بحرارة :
-هي بألفٍ خير لا تقلق عليها، أريد منك أن
تنظرني أمام مشفى (...). بعد ساعة فقد أُصيبت
أنا بجرحٍ برأسي ويجب أن أذهب إلى المشفى،
لذا فلتأتي لتأخذها من هناك !

وقلب أمجد لم يرتح، هناك شيء يشبه قبضة
باردة اعتصرت قلبه، وحدثه يخبره أن هناك
حدث جلل..

وهو لن يتحمل، والله لن يتحمل يكفيه كل هذا !
والحقيقة واضحة؛ إياد يكذب !

=====



الجو يزداد برودًا وهو يجلس على مقعد متهالك
أمام المشفى، بجواره رائف الذي أتى معه
رغمًا عنه بعد أن وجدته واقفا على "داخلة
الحي" يتحدث في هاتفه بحثًا عن مروج،
وبالجانب الآخر كانت لجين والتي رفضت أن
يأتي وحده ورغم اعتراض رائف على وجودها
معهم في هذا الوقت، إلا أن أمجد لم يبدِ رفضًا
بأن تأتي...

وها هم واقفون أمام المشفى بينما أمجد فقد
جلس بعد أن تمكن التعب من جسده، ولجين
تربت على كتفه بحنو :

- لا تقلق أخي، لقد هاتفت إياد وقال لي أنه
أقرب..



وتدخل الأخ الغاضب دائماً، ينهرها بغیظ بينما

أمد فقد كان على وشك قتله تقريباً :

-ولماذا أتصلت به من الأساس، جميعنا نعرف

أنه على وشك الوصول !

-لا تتدخل يا رائف، واخرس...

هتف بها أمد بهدوء ما يسبق العاصفة،

وانخرس رائف ..

ليس طاعةً ولا أدب، بل حين وقفت سيارة

أمامهم وترجلت من المقعد الخلفي امرأة

ذراعها مجبر بحمالة ذراع، تبكي شاهقة

والهاتف على أذنها، وما زاد من صدمته

ركضها نحو الداخل بسرعة لا تتناسب مع

عرجها، وصوتها يتردد صداه حولهم :

-لقد أتيت، لقد أتيت...



ومن ثم ترجل إباد ومروج وقد ركضت مروج
خلفها دون أن تنظر لهم حتى خلف تلك
المرأة...

اتسعت عينا رائف مبهورًا مما يحدث، بينما
أمجد فقد تجمد جسده، ورفع كفه يتلمس
موضع قلبه بأنامل مرتعشة..

واقترب إباد مسرعًا، جذب أمجد من ذراعه
بسرعة، وأمر لجين ورائف بعينيه أن يأتيا
خلفه..

وتحرك الجميع، وأمجد يتحرك مع إباد عاقدًا
حاجبيه وحدثه يخبره بشيء غريب؛ الأمر
يخص سليم !!!

قلبه يشعر بنصفه الآخر...

يشعر، ويشعر ويتألم..



وصدق حدسه، حيث صوت إياد يسأل موظف

الأستقبال بكياسة :

-غرفة "سليم الأمير" أن سمحت !

وللعجب لم يعترض الموظف طريقهم، فمليكة

أخبرته بأن يسمح لهم بالدخول...

بينما أمجد، فقد امتقع وجهه، ونبضات قلبه

تثاقلت، وصوت إياد يتردد بأذنيه..

بينما شهقة لجين المرتعبة أخرقت أذنيه،

ورائف فقد شحب وجهه حتى حاكى وجوه

الموتى...

الأخ الأكبر، وتوأم أخيهم من رباهم، بمشفى،

ويبدو أن حالته غير مستقرة..

وترنح جسد أمجد دعمه إياد، وجذبه نحو

الغرفة..



واحتضن رائف كتفي لجين وتحركا خلفهما

بخوفٍ تمكن منهم...

وأمام الحاجز الزجاجي..

توقفوا جميعهم...

وتوقف العالم من حولهم، ودمعت عيني النصف

الآخر لذاك النائم على السرير وحوله مجموعة

من الاطباء يعملون بتوتر، بينما تلك المرأة ذات

الذراع المجبر تبكي بقهرٍ وهي تتلمس الزجاج

تردد اسمه لتأكد إلى أمجد أنه سليم أخيه،

نصفه الآخر

غص حلقه، وتلوى قلبه على نيران الشوق،

والألم..

شقيقه...

رفيق الدرب، منذ كانا مجرد نطفة..



تربا معا، يحملان ملامح مشتركة..
تركة مرغما، تركة وحيداً، تركة يعاني سكرات
الفراق، تركة وسليم الآن يهدد بالترك، لكن
الآن يختلف..

حيث الفراق هنا سليم يريد به إلى الأبد...
وهو لن يسمح..

لن يسمح بأن يتركه...

ورائف تجمد، تسمر ودموعه تتسابق على
وجنتيه، حيث شقيقه ملقى على فراش الموت،
يصارع ويصارع..

وحالة الفتاتين لم يكن بالجيد، فالملقى بالداخل
يبقى شقيقهم، حتى وإن ابتعدوا عنه.. هو
شقيقهم..



وخرج الطبيب من الغرفة مرهقًا، يرفع عينيه
لهم فتصيبه الدهشة من هذا الجمع، بينما
اندفعت نحوه مليكة، تسأله بلهفه وهي تمسح
دموعها :

-كيف حاله !

-لقد ساءت حالته جدًا اليوم، لقد كنا تقريبًا
نتوقع وفاته، والآن الحالة مستقرة، يمكن

لسيادتك فقط بالدخول لدقائق !

-لا، لا لن أدخل أنا، سيدخل شقيقه، توأمه علَّه

يستجيب له !

قالتها مليكة، بحماس، ولهفة، فأوما الطبيب
برأسه، بينما أسرعت مليكة بجذب أمجد من
ذراعه، وتم تجهيزه للدخول...



ودخل أجد بساقين مرتعشتين وما زالت

الصدمة مسيطرة عليه...

يقترّب بتردد، خطوة...

ثم يتراجع خطوتين...

ينظر إلى جسده المسجى على الفراش

والأسلاك تخيفه، تقتله ببطءٍ موجه، تعذبه،

وهو بقلبِ الأخ، بكى !

من تحمل عبء أخوته كل هذه السنون، بكى

كالأطفال...

من عاش طوال عمره يتجرع الذل والفقير، يبكي

بحرارة، يبكي كطفلٍ ضل طريقه، ترك عباءة

أبيه فضل طريقه...



بكي كطفل يرى نصفه الآخر في حالةٍ يرثى لها،
قناع الأكسجين، الوجه الشاحب، والجسد تحت
سيطرة العديد والعديد من الأسلاك..

مال نحو جبين نصفه الآخر، وبكى، همس
باسمه من بين شهقات طفل لا رجل :

-أخي، سليم، أنا هنا...ماذا حدث لك يا حبة
القلب !

والرد صوت الأجهزة البغيض، وبكاء أمجد
يزداد هستيرية، فهو لا يتحمل أن يرى نصفه
الآخر في هذه الحالة..

ازدرد ريقه بصعوبة، فتحشرجت أنفاسه،
وجسده فعليًا ينتفض...

رفع كفه بتردد، ربت على شعره بحنان،
وهمس بتحشرج وكأنه يحدث طفل صغير :



-لقد أهملتك يا سليم، أغدقت بحناني على
أخوتنا ونسيتك أنت، نصفي الآخر، رفيق
عمري، وقطعه من جسدي، لقد تركتك ورحلت،
تركتك وحيد وأنا أعلم أنك يدوني ضعيف، وأنا
بدونك لا شيء، لماذا أنت صامت بهذا الشكل،
لم أكن أتوقع أن يكون أول لقاء بيننا هكذا...
يصمت قليلاً ليلتقط أنفاسه من بين دموع لا
تتوقف عن الهطول، وقلبه حقيقة وليس مجازاً
يصرخ...

مال نحو أذنه يهمس بنبرة مرتعشة باكية،

خائفة :

-أخي سليم، أنا أمجد، أخي أنا أمجد لماذا لا ترد

عليّ...



والرد لا وجود وفي عالم سليم كان نائمًا
بهدوء، يسمع نداء أخيه فيبتسم دون أن يفتح
عينيه..

يظنه حلم، بل هو حلم ما قبل النهاية، وهذا
أجمل حلم... أجمل حلم على الإطلاق...
ارتعشت نبرة أمجد أكثر وهو يكرر بصوت
خفيض يكاد لا يسمعه سوى أذني سليم فقط:
-أخي أنا أمجد!

وانهار أمجد حين أيقن عدم إستجابة توأمه،
انهار وكل الذكريات تتدفق برأسه..
تارة وسليم يضحك، تارة وسليم غاضب، يبكي،
يدافع عنه..

وصورته هو، يهرب من القصر تاركًا نصفه
الأخر..



ونصه الآخر الآن يحارب سكرات الموت..
وهمس أمجد الهستيري يزداد ضعفاً، تشتتاً،
وخوفاً :

-أنا أمجد!

هذه المرة قالها بصوت عالٍ، واخترقت الجملة
اذني المتشبت بخياله، يحيا عالما آخرًا، ينتفض
من نومته في عالمه شاهقا وهو يردد..

-أمجد هنا...أمجد هنا !

يكررها في عالمه، يصرخ بها فرحًا، أخيه
هنا...هنا !

وأخيه لم يتحمل، لم يتحمل كل هذا...
الألم لا يحتمل، ومنظر جسده والأسلاك
المتصلة به مخيف، مرعب حد الهمس من قبل
أمجد بجوار أذني أخيه :



-أنا لست على ما يرام !

وقد صدق فهو بالفعل ليس على ما يرام، ليس

على ما يرام أبداً..

وتحشرج أنفاس أمجد أكبر دليل..

بينما الغائب، انقبض قلبه..

وارتعب..

من منهما ليس على ما يرام، هو أم هو..

ولا يوجد فارق، اختلف الجسدان والروح

واحدة !

=====

تختلف الأسباب ونهاية الفراق واحدة؛ موتٌ

مُقبض والضحية قلبٌ أرهقته سنون الفراق !

وقلب الشقيق اشتاق عناق نصفه الثاني،

ابتسامته، وغضبه، ونبرته الحنونة حين الألم !



قالوا له يوماً أن الفراق كسكين تلم سيكون حال

السكين دون المفقود طعنة !

وتحمل هو ألم الطعنة، تحمل فراقاً لم يكن

يريده، تحمل اشتياقاً إلى نصفه الآخر!

أبتعد عنه بقوة طاغية، ولم يكن فراقه أبداً

طواعية !

حين رآه على فراش المرض تألم، التوى قلبه

على نارٍ حارقة، عيناه تدمعان دون توقف،

وخافقه يئن دون قدرة على الصراخ، جسده

بأكمله يرتعد، والألم يغزو قلبه في حربٍ غير

عادلة !

تلمس جبينه، قبل وجنته، ولثم كفه الباردة

كالصقيع بحنانٍ أب، يهمس معرفاً نفسه وكأنه



يسمعه، يطالبه بنظرة واحدة من عينيه، يطلب

عناقاً دافئاً، وهمس بضعفٍ أنه ليس بخير !

جسدان والروح واحدة !

دارت الدنيا به واسودت أمامه، تشبث بكفٍ

شقيقه وبكى، بكى كما لم يبك من قبل، يقبل كفه

بهستيرية يبغى استفاقة، يعتذر والنبرة مهتزة..

وحرب المشاعر في هاته اللحظة ملحمة !

ملحمة احترق فيها وتحول إلى رمادٍ صنّع

ليبعث منه والغاية؛ شقيقٌ ظُلم طواعية !

- أنت غاضبٌ مني أليس كذلك !

وكأنه بنبرته يقر لا يسأل، ينظر إلى ملامحه

الساكنة بهدوء أثار ألمه حتى الهياج، يضغط

كفه الباردة بضعفٍ ويعاود بكاءه المتألم

والشفاه ترتعشان بوضوح :



لم أكن أقصد أن أتركك وحدك يا قطعة من قلبي

تركتها دونما اهتمام، تركتك ورحلت ولم أكن

أعلم أنك قطعة من قلبي، أنت من دفعتني

لأتركك، وأنا وافقت بأنانية، والآن أنت على

فراش...فراش الموت !

والجملة الأخيرة خرجت بحشيرةٍ باكية

والكلمات تأبى الخروج، الدموع تهطل دون

توقف وكأنه طوفان !

طوفان دموع، مشاعر، وندم، والطوفان غايته

دمار، والدمار أتى في صورة إغماء أجبر

جسده على السقوط أرضاً، حيث العقل استسلم

وأعلن انسحابه، وجسده تحت وطأة انهيار

عصبي أصاب عكاز أخوته بالانكسار..



يطلب خروجها دون إزعاج بينما ممرضان
يعملان على نقل جسد أمجد خارج الغرفة،
رفضت، وتشبثت بمعطف الطبيب ترجو بقاءً،
والطبيب يزفر بعنفٍ وقد أصابه السخط منها،
دفعها الطبيب بشيء من العنف خارج الغرفة
وكادت تسقط والمنقذ ذراعي إياد والنبرة تحمل
رفقاً تحتاجه إلى الآن وبشدة :

-اهدئي، سيكوننا بخير لا تفعلي هذا بنفسك !
وإثر جملته الحنونة ازداد انهيارها، تشبثت
بذراعه تبغي دعمًا، وتتنظر إلى عينيه بتشتت
رق له قلبه، فابتسم لها بحنانٍ وهو يسحبها
معه لتجلس على مقعدٍ قريب، يجلس القرفصاء
أمامها، وينظر إلى وجهها الشاحب بحنانٍ أبوي



سيطر عليه، يبتسم لها بدفءٍ ويمنحها دعمًا
بكلماتٍ قليلة :

-أنا أشعر بكِ يا مروج، أشعر بألمك وخوفك
على أخويك، لكن لا تتصرفي باندفاعٍ هكذا يا
صغيرة، أعلم أن ما تريه الآن يفوق تحملك،
وما أريده منك أن تتماسكي !
وما يطلبه ربًا من الخيال؛ حيث إن الشقيق
البعيد على سندان الموت ينتظر مطرقة النهاية،
والأخ الآخر، صديقها ومن رباها لم يتحمل
رؤية شقيقه على فراش المرض؛ فسقط !
والأخ الأصغر تسمّر مكانه، يضم كتفي لجين
المرتعشة بدعمٍ هو أقصى ما يحتاجه الآن !
المشهد الآن برمته محض خيال !



والواقع هنا ليس ملموساً البتة، بل مضموساً

أمام طوفان المشاعر، وهياج وحش الماضي

بعد تحطيم أصفاد الحاضر !

المشهد لم تتحمله أعصاب أمجد؛ فسقط !

وهو، رائف الشقيق المتمرد، حار الدماء،

والمتهور يعلن ندمه على كل لحظة تهور بها،

أغضب أحبته، وأرهق روحه بها؛ حيث هنا

نحن بصدد موتٍ !

والمشاعر في هاته اللحظة مراثون والفائز

يعلن سيطرته على قلبه !

ومليكة كانت تبكي بصمتٍ، لم تبدِ أي رد فعل بل

صمتت !

تسمرت بجمودٍ لا يتناسب البتة مع طاحونة

المشاعر التي حطمت روحها في طرفة عين !



والمنطق هنا يقول :

"سيشعر بألم توأم روحه؛ فينازع ليفق!"
وللعجب كان منطقتها صحيحًا حد الدهشة!
-المريض لم يتحمل الصدمة وأصابه انهيار

عصبي !

نبرة الطبيب تفسر، وتبرر سبب الإغماء،
والواقفين أمامه في حالة جمود تام، الدموع

فقط هي ما تزين وجوههم...

ونهنه بكاء كانت صاحبها مروج وهي تحتضن

كتفها تبغي دفنًا يدحره برودة الواقع بكل

سهولة !

والشقيقة الأخرى تتشبث بقوة واهية، فما إن

نظرت إلى عيني رائف حتى شهقت باكية

فضمها بحنان، يمد ذراعه الآخر نحو مروج



المرتعبة حد الهوس في دعوة صريحة لعناق،

ووافقت !

قطعت المسافة الفاصلة بينهما واحتمت

بعضه...

ضمهما بحنان تعلمه من أمجد، يقبل رأس هذه

ويضم تلك بقوة كما كان يفعل أمجد..

يهمس بنبرة مهتزة وهو يشدد من ذراعيه

حولهما :

-لا تخافا حبيباتي، الله عليماً بنا، لن يوجعنا

بسليم بعدما اجتمعنا، وسيعود أمجد بحنانه

المعهود !

هو يتمنى بحرارة، وهما ليس أمامهما سوى

الدعاء !

=====



همسٌ حنون، وقبله دافئة داعبت كفه، بكاءً
مُنهار ونبرة مهتزة كان صاحبها شقيقه !
نبرته الخفيضة جوار أذنه أثرت به، السواد
المحيط به من كل جانب بدأ في الانقشاع ببطءٍ
شديد !

"أنا أمجد"

يُقر والهمسة مرتعشة، يضم كفه الباردة بين
كفيه الدافئتين، يقبل الجبين، ويغرق الوجنة
بدموع ألم !

يعاود همسه بانهيار وكأنما تحول الأخ العاقل
إلى طفل !

يرجوه عودة، يعتذر، ويبرر وهو في عالم موازٍ
يعيش دنيا الأحلام ويرتشف من كأس الخمود

بشراة وكأنه نبیذ معق، حیث أول رشفة

تختصر اللذة !

ولذة الابتعاد عنده أفضل !

؛ حیث الواقع مدنس بدماء الشر، وهو یكره

رائحتها حد الخوف !!

وهو الآن خائف، یبغی عناقاً دافئاً یدحر برودة

جسده، یشتاق إلى حب خالص، نظرة دافئة،

وقبله على الجبین فیها تجبیل كونه الأخ الأكبر

!

هو حرم من أخوته فی طرفة عین !

والآن هم حوله، یشعر بهما بقلب أخ، ویبکی

قلبه حزناً على بكاء نصفه الآخر !

ربما هو لا یصدق حتی هاته اللحظة أن أمجد

بجواره، تركض كلماته فی سباق شاق لیكون



مرساها أذنيه، يسمع النبرة، وتوئمه الهمسة،

وتقتله الشهقة !

سمعه يشهق كطفل يخاف الظلام، وتلو شهقته

عمّ سكون مُقبض، يشعر بكفِ أمجد تتخلى عن

كفه!

وبصرخات بعيدة تحمل اسمًا واحدًا !

"أمجد"

صوت أقدام، وطبيب يحاول إخراج أنثى تصرخ

باسم أخيه!

وفي عالمه حالك السواد انتفض وافقًا، شحب

وجهه وشفته تنفرجان ببطء قاتل :

-أخي!

يهمس والنبرة خائفة وينل الصدمة؛ حيث

الهمسة لا تتخطى حاجز شفثيه، أصفاء وهمية



تكبلهما، تخبره أنه في عالمٍ موازٍ وتلك الهمسة
لا تخصه !

بل تخص واقعه، تخص شفثفه الزرقاوفن
لتعبرهما، تخص أذنيه لتسمعهما؛ فففتح عفنيه!
وهو الآن فبغف عوؤة !

سفعن انتهاء الرحلة وفعوؤ إلى أرض الواقع !
تشبث كثرًا بعالمه الصامت والآن حانت العوؤة

!

واؤء..

اثنان..

ثلاثة..

وارتعش الجفن فعن صحوة، تحرك الكف
فبرهن عوؤة!

واتسعت العينان في لحظة لم يستوعب بها أي

شيءٍ أو ربما لا يرى أي شيءٍ....

هو عاد !

رُبما نعم..

وربما لا !

=====

هل عادت إلى منزلها ومعها شقيقها !

لا تصدق ولن تصدق؛ حيث الفتاة المتهورة

التي هربت من منزلها يوماً وببيديها شهادة تُقر

بأنها عارٌّ على أهلها، لا تستحق العودة إلى

ماضيها النقي مرة أخرى؛ وهذا التبرير يخصها

هي، هي وحدها مقتنعة به رُغم تعنيف شقيقها

لها حين همست بضعفٍ :

-أعترف أنني أخطأت حين تهورت، تصرفت

برعونة ووصمتُ نفسي بعارٍ، وأعترف في

هاته اللحظة أنني لا أستحق الحياة!

ويغضب هو رُغم تسلل شيئاً من الموافقة على

ما قالته، لكن حبه لها دحر موافقته على

هو اجسها الواقعية!

يشدد قبضته على كفها بشيءٍ من القوة كما

نبرته :

-انس الماضي يا جود، لم آتِ إليك بعد طول

بحث لأعاقبك على ما فعلته في زمنٍ مضى، أبي

أخبرني وهو على فراش الموت أنه يسامحك

وطلب مني أن أسامحك، انس الم...



وينال شهقة، رعشة، ودموع تسابقت على
وجنتيها، تهتز النبرة، وتتناثر الكلمات بشرارة
ألم على وشك إشعال الحريق ! :

-أبي!!!!!!، هل...هل مات أبي يا يونس !
ولم يمنحها ردًا تحمله نبرة متألّمة، بل طعنها
بنظرة تفي بغرض الرد، نظرة كانت في بدايتها
متألّمة وكأنه يُقر بفراق أبيهما، ومن ثم تحولت
النظرة إلى عاتبة وكأنه يخبرها أنها السبب !
والأحتمال الأخير ذبحها بسكينٍ ثلم، وأريقت
دماء روحها في طرفة عين قربانًا لأبٍ ألحقت
به العار بكل غيابٍ !

مات أبيها ولم تره، لم تقبل وجنته بخوفٍ، ولم
تحتضن كفه تمنحه دعمًا علّه يتشبث بالدنيا
لأجلها !



والواقع هنا يصف ندمها بقوة؛ حيث الأب رحل

عن الدنيا والسبب هي!

وقتها رفعت عينين حراوين له، وانفرجت

شفتيها المرتعشتين :

لم أره منذ خمس سنوات، خمس سنوات دون

عناقه الحنون، خمس سنوات لم أسمع ضحكته،

لم أسمع اسمي بنبرته الحنونة، لم أطعمه بكفي

بدلال ابنه تحب أبيها، لقد قتلته !!!!!، أنا قتلته

يا يونس !!!

وتحول همسها المتألم إلى صراخ هستيري،

تطايرت دموعها وشحب وجهها وهي تدفنه

بين كفيها..

صوت نحيبها كان يقطع نياط قلبه، ويضفي

الحامض على قلبه الملتهب بجروح لا شفاء لها



كما جروحها؛ فحضانها احتواها بذراعيه

وهمس بدعم صادق :

-أبي أخبرني أنه سامحك، أخبرني أنه كان
يحبك فلم يستطع أن يكرهك، أخبرني أنك ابنته
وما فعلته بنا ستتحملين ذنبه وحدك لكنه لن
يحملك ذنبه؛ فسامحك، وها أنا أخبرك أنني
أسامحك!

وانتهى الحوار بينهما وقتها، أخبرها أنه
سيأخذها لتعود معه وكادت ترفض؛ فأجبرها
على لملمة أشيائها في غضون ربع ساعة
ووافقت !

وحين انشغالها بجمع أشيائها وجددته يسألها
بتردد :



-أتريدين أن نأخذ تلك الفتاة التي قابلتها
بالخارج معنا!، كما فهمت من أمجد أنها وحيدة
وأنتِ بمقام شقيقتها!
لم تصدق أنه يعرض عليها عرضاً كهذا خجلت
أن تطلبه منه؛ فيرفض!
وعكس توقعها كان عرضه، وابتسمت هي
بسعادة، تومئ برأسها والسعادة تتراقص
بمقلتيها؛ فيبتسم!
يربت على كتفها بحنانٍ لا يعرف أنه يعيثر
بنفسيتها السيئة فساداً:
-حسناً صغيرتي، أخبريها لتأتي
معنا...وبخصوص أمجد سنوُجل الموضوع كما
رغبتك الآن!



ونال ابتسامة ضعيفة، وشرود قصير حيث حلق
خافقها في سماء حبيبٍ طلب يدها من أخيها بعد

لقاءٍ كان الألم هو سيده !

وحين أخبرها يونس بطلب أمجد صُدِمت

واحترقت فرشاتها الحالمة بنارِ الصدمة..

اتسعت عيناها وعقلها يعلن بأسه في قصةٍ

محكوم عليها بالإعدام منذ البداية!، فلم الآن

يمنحها أملاً بكفٍ وبالأخرى يدخر لها طعنة !

وفي هاته اللحظة كانت تترجل من سيارة يونس

البسيطة، تثبت حجابها المتطاير بفعلِ الهواء...

شيءٌ من الرهبة سيطر على مشاعرها !

رهبة أجبرتها على التراجع خطوتين إلى الخلف

فشعرت بكف تمارا -التي أتت معها بعد

رفضها- تربت على كتفها وابتسامة هادئة



تداعب شفيتها، تغض عينيها بهدوء كما

نبرتها :

-انسِ جود، انسِ وتابعي حياتك !

الصديقة تطلب نسياناً هي لا تبغيه، حيث المرأة

حين تُخطئ تتحول إلى رمادٍ هي موقنة أنه

ليس له عودة !

المرء حين يخطأ؛ يندم، يبكي، ويقر بخطأه !

وهي فعلت كل هذا بل وعاقبت نفسها، والآن

هي لا تريد سوى حاضرٍ يتسم بالهدوء،

والتخلص من حملٍ أثقل كاهلها طوال خمس

سنوات !

كل الأدلة أمامها تخبرها أن هناك نار ستُبعث

من تحت ركام الرماد !



تشتعل وتحرق ماضيها، تتمخض حياة جديدة
من رحم الغفران، وتتعالى صرخة مولود
الفرصة الثانية يخبرك ببساطة أن الله غفور
رحيم..

يخبرك ان الفرصة الثانية دائماً متاحة، عليك
فقط باختيار الطريق الصحيح !
وهي اختارته بعدما امتلأت روحها بجروح
أصابتها حين اخطأت !

تنهيدة مثقلة خرجت من بين شفيتها وهي
تخفض عينيها أرضاً، تنتظر يونس الذي ترجل
من سيارته لينقل حقائبهم بينما هي تقف عند
باب المنزل تخشى الدخول؛ حيث الذكريات في
هاته اللحظة تبغي استعماراً لعقلها المرهق !



تري شقيقتها يهبط درجات السلم بسرعة
والهاتف على أذنه، حاجباه منعقدان وهو يعاود
الاتصال ربما...

ولم تمض دقيقة حتى أتاه صوت اشتاقه كثيرًا،
صوتٌ تمتلكه امرأة كان يحلم بها كل ليلة،
يتمنى لقيها وينام على ذكرى ابتسامه
ابتسامتها له يومًا !

كاد يبتسم، يقفز بطفولية فرحًا رغم توجسه من
ردها على هاتف أمجد، واجهضت هي جنين
سعادته حين اجابت بحشجة باكية :

-السلام عليكم!

انعقاد طفيف أصاب حاجبيه، وقلق مخيف تسلل
إلى قلبه وهو يجيب سلامها بسؤالٍ يحمل لهفةً
لاحظتها جود وتمارا :



-لجين!، ماذا بك!؟-

ونال صمتًا من جهتها إلا من نهنه باكية
وشهقات صغيرة بالكاد التقطها، والعاشق
يرتعب، يسقط قلبه بقدميه وهو يسألها مرة
أخرى والقلق ينهشه :

-ماذا حدث يا لجين، لماذا تبكين!!!!، ماذا

يحدث معك؟، هل أمجد بخير؟؟؟

حين ألقى سؤاله عن أمجد تسمّرت، وتطوع

خافقها بنبضة تلو الأخرى!

قلقٌ سرطاني أصابها، وصدمةٌ غريبة اعترت

وجه يونس كما نبرته المبهوتة :

-يا الله!، كل هذا يحدث معكم!، ما هو عنوان

المشفى!

مشفى!!!



والسؤال كان عن أمجد !؟

رباه !

ماذا حدث له ؟؟؟

ألن تتعم بقليلٍ من الراحة أبداً ؟

-حسناً لجين، لن أتأخر ساكون عندكم بأقرب

وقت !

يطمئن شقيقة حبيبها بنبرة حانية، يوعدا أنه

لن يتأخر وكأنه يشعر بأنها تحتاجه!

يتحرك نحو السيارة بسرعة وهي خلفه وتمارا

تتبعهما بجهلٍ..

يفتح باب السيارة وقبل الجلوس بداخلها وجدها

تتبعه وخلفها صديقتها، نظر إليها فوجد

دموعها تهطل من جديد، فسألها بعدم فهم :

-إلى أين تظنين نفسك ذاهبة ؟؟؟



-معك !

بحسبِ قالتها، وارفقت كلمتها بجلوسها في
مقعدھا وكأنها ترفض رفضه الذي رأته في

عينيه !

يزفر بسخط وهو يتذمر داخله !

"تريد الذهاب وهي لا تعرف ماذا حدث من

الأساس !"

هو يرفض ذهابها معه لكن حسمها ودموعها

ردعت رفضه، فنظر إلى تمارا الواقفة بعيداً

بتوتر خجل، يبتسم لها ابتسامة شاحبة ويهتف

برفقٍ يناقض قلقه :

-تعال معنا تمارا!



وأومات بخنوعٍ دون أن تسأل عن وجهتهما،
استقلت السيارة وشيء من الخوف يسيطر

عليها !

حيث إنها جاءت مع جود بعدما اخبرتها الأخيرة
أنها لن تتركها وحدها وسيتولى "يونس" أمر

زوجها والانفصال الذي تريده !

لا تعلم أن للقدر سطورة !

حيث إنها ذاهبة إلى من دق له خافقها منذ

البداية.. ..

ذاهبة دون أن تعلم ولو كانت تعلم؛ لم تكن

لتذهب أبدًا..

أبدًا؛ فرغم مشاعرهما الصادقة، تحمل في زاوية

من قلبها كرهاً له و لخداعه، فلولا جرحه لها

لما كانت في جوفِ مدفعٍ تنتظر لحظة انفجار
ستخرج منه وقتها مهشمة !
وجوف المدفع هو زواجها المتهور، وزوجها
المتحرش، وماضٍ كانت هي الضحية به...وما
زالت !

=====

فرصة ثانية !

أو طوق نجاة، اختلفت المسميات والسعادة

واحدة !

وهي سعيدة !

رُغم صعوبة الموقف هي سعيدة، توقن أنها
على طريقِ الاستقرار وزوجها معها..
يخبرها أن زمن الخوف قد ولى، يبثها دعمًا
تحتاجه، يرجوها عودة إلى طبيعتها..



يتألم لأجلها متناسياً أنها السبب في كل ما

أصابه !

شهم هو...

شديد الرجولة والصعاب لا يتحملها غيره !

يدللها رغم حزنه، يحاول رسم ابتسامة حقيقة

والوان السعادة بين يديه، وهي يوماً ما كانت

تُصر على اللون الاسود، تلطخ به حياتها

وتصبغ روحها به !

وأتى هو في طرفة عين يعلمها المثابرة،

التضحية لأجل من يحبهم..

علمها الحب الصادق، وعرض لها نموذجاً عن

الإخلاص !



ورُغم مشاعرها العشوائية في سردٍ غير
مرتب، إلا إنها حزينة لأجله؛ حيث إنهما في
طريقهما إلى المشفى كي يرى سليم...
رُغم تعبهِ، إرهاقه، أراد أن يراه حتى ولو
لثانية....

وهي أصرت على مرافقته رُغم صعوبة طلبها،
وهي تعلم أنها عبءٌ يثقل كاهله في هاته
اللحظة بحالتها النفسية والجسدية، إلا إنها
أرادت أن تكون بجواره..
تربت على كتفه بدعمٍ كما الآن، تبتسم له
بهدوء فيبتسم لها !

وتهمس له بتلغثم يرق له قلبه فيعانقها بدفءٍ :
-أ... علم أن..ك تُح..به، ا.. ادع له و..وسي..كون
بخير !



وتلثت بتعبٍ فيغرمها بعناقه ابتسامته الضعيفة
تزين وجهه، بينما الهمسة تتسلل إلى قلبها قبل
أذنيها :

-أحبك !

وهذا أعرافٌ بحبٍ مُلّطخ بالصعاب، فرصة،
طوق نجاة انتشلها من أنياب البؤس..
الأمل كالنبيذ!

نبيذٌ مُغرٍ وفي عُرف العشاق ليس محرماً، وهي
ستر تشفه حتى الرمق الأخير !

=====

كانت حكاية تمخضت من عقل كاتب، حكاية
بدايتها فراق ونهايتها ليست واضحة!
كانت حكاية حاربت لتبرز نفسها وسط طاحونة
مشاعر، جبروت غضب، و عنفوان بطل !



حكاية كان أساسها الأناية !

أناية أب استباح لنفسه السرقة والنهب من

مال ليس من حقه !

لم يكن أبوهم شرير الحكاية بل هو مُفسدها !

شاب في مقتبل عمره رأى جده يصفع أبيه

صارخاً والشرر يتطاير من عينيه

"مختلس !!، انت مختلس يا ابن سالم !،

سرت مال شريكنا وتبجح !، ما هذا الجبروت

!!

الجد وقتها كان غاضباً حد الاشتعال، يصفع ابنه

بقوة ويسأله من أين لك بهذا الجبروت !

والسؤال يحتاج ضحكة ساخرة من قبل والد

أمجد؛ حيث الضارية تتعجب من غدره، تسأله

عن مصدر جبروته وهو رأس الأفعى، سالم

الأمير هو قائد المملكة وهو مجرد أحد الرعايا
غامر متبعًا نهجه والآن الذنب يعنقه على التهام
الفريسة..

"أرجوك يا سالم لا تتعامل معي وكأنك أبي
بالفعل، أنت من علمتني الخداع والغدر، أنت
ذنب علمني يومًا أن فريستك هي هدفك الأول
والأخير وأنا اغتيمت الفريسة!"
الأب يصيح هائجًا بوجه سالم وأمجد يراقب ما
يحدث من شق الباب، عيناه متسعتان بصدمة
وهو يسمع حديث والده وسالم!
يرى وجهًا آخرًا من أبيه!
وجه سارق يبرر ذنبه، يفند، ويفسر والذريعة؛
الأب فاسدٌ، ضارية في أرض لا تعرف النقاء!
والأب في هاته اللحظة كان سالم!

سالم الذي أنقض على ابنه بعصاه يضرب ما
يطوله بعنفٍ بينما الأخير لا يتحرك ولا يصدر
منه تأوّهًا؛ حيث جبروت سالم يركض كالخيل
بدمه وهو الآن لن تؤثر به ضربات سالم!
ولا حتى تدخل أمجد ابنه الشاب، يحيل بينه
وبين سالم بجسده صارخًا بحمائية وهو
يحتضن جسد أبيه

"اتركه يا جدي، لا تضربه أرجوك!"

ووالد أمجد رُغم القسوة الظاهرة بعينيه، سواد
ملامحه، وقُبِح نفسه، اشتعل غضبه حين انهال
سالم على أمجد بعصاه عقابًا له، احتضن هو
جسد أمجد بكفيه وجذبه بعيدًا عن مرمى عصا
الجد الغاضب حد القتل!

"كم مرة قلتُ لك إلا أمجد يا سالم!"



وسالم دائماً لا يستحق ألقاباً حميمية؛ حيث
الضارية لا تستحق تقديراً بل تستحق القتل !
وسالم في هاته اللحظة يستحق القتل ويتمنى
هو أن يقتل !

ابنه يصرخ بوجهه دفاعاً عن ابنه الساذج،
لظالما اعتبر أمجد ساذجاً خنوعاً بدرجة
خيالية..

ووالد أمجد يحبه أكثر من أخيه الآخر الذي
يشبه جده كثيراً !

وأمجد لم يتحمل الموقف وهو يرى جده يجذب
أبيه من ملابسه دفاعاً إياه خارج الغرفة والقصر
بأكمله، وهو خلفه يرجوه أن يتركه وسالم
يصرخ، يسب ابنه، ويلعن احفاده؛ حيث تدخلت
لجين تدافع عن أبيها ببراءة فسبّها، غضب

حفيده الطفل - رائف - فجذبه من جلبابه علّه
يترك ابيهم فدفعه بعنفٍ لا يليق بطفلٍ صغير...
ودخل الأخ الآخر من باب القصر بعدما طُرد
أبيه، ينظر إلى وجوه اخوته بعدم فهم...
"ماذا حدث يا أمجد؟"

لم يسأل عن سبب خروج أبيه بهذه الطريقة
المهينة ورُبما لا يهتم، وأمجد لم يرد عليه
الصدمة شلته وبكاء رائف يزداد حدة فيحتضنه
أمجد بحنانٍ مرتبًا على كتفه...

لم يستطع أمجد منع نفسه من الصراخ بوجه
جده في بادرة غضب لم يره منه من قبل
"أليس لديك قلب!، تضرب أبي أمامي وتطرده
خارج القصر وتتجبر على أحفادك!"



و غضب الجد، هاج وماج؛ حيث حفيده يعنفه،

ويصرخ بوجهه !

وترجم غضبه بعقابٍ قاسٍ؛ حيث أمر بحبسهم

بغرفة مظلمة عدا سليم الذي تخشب مكانه

يطالعهم بذهول حيث عقله لم يتدارك كل هذا !

رأى الخادم يجذب أمجد بقوة وأمجد يعاقرهم،

وكما حدث مع أمجد حدث مع إخوتهم الأصغر

سنًا..

وقتها استفاق سليم على نظرة أمجد..

ترجى سالم وأعتذر نيابة عنه أمجد..

ورفض الجد؛ فالقسوة في قاموس سالم نمط

حياته !

و غضب سليم معلناً عن رفضه فحُبس هو الآخر

في غرفةٍ منفصلةٍ شديدة السواد..

أبدع سالم في الظلم وتجبر بعنفوانه..

أخرج غضبه من ابنه في أحفاده؛ حيث أنهم

أبناؤه !

والأخ الساذج طلب رحيلاً دون قرشٍ واحد

بعدما انتهى تعذيبهما بحريقٍ ترك أثراً لا يمحي

على ذراع رائف وهو يدافع عن شقيقتها

الصغرى -مروج-

سخر الذئب؛ حيث أحد رعاياه العقيم من غريزة

ذئب طلب الرحيل إلى بقعةٍ أخرى سيعيش بها

دونه !

ووافق !

وافق دون تفكير؛ حيث أبناء السارق مثله

بالتأكيد !

وهو لا يريد هما..



هو يريد سليم !

سليم فقط..

وكان شرطه هو بقاء سليم ونال رفضاً قاطعاً

من أمجد..

حيث الأخ لن يتركه توأمه وقانون الغاب ينص

على النذالة !

وافق سليم وأمرهم بالرحيل..هددهم الجد بعذابٍ

قرباناً لخطأ والدهما فحاسب سليم على

المشروبات كما يقولوا هو وأخوته !

رحل أمجد يجر أخوته خلفه، سينقذهما من

هلاكٍ آتٍ لا محالة ودفن شقيقهما الآخر في

تربة فاسدة !

وكما دفن أمجد سليم !

دفن سالم كل مشاعر الحب بدمٍ بارد !



اجتث براعم نقية في طرفة عين وكان حالهما
دون عائلة؛ تشتت..

تجبرت الضارية واختارت دور الظالم طواعية!
وعقاب الظالم آتٍ وياويلكم منه!

صوت صراخ خادمه دوى في أذنيه بينما هو
يحارب كابوساً ما هو إلا جزء من ماضٍ صنعه
بنفسه!

عجز غريب سيطر على خلايا جسده بعدما ذهب
لينام وخبر مرض سليم يتردد بأذنيه!
ومرت ساعة ثم الثانية وهو هكذا يحارب
كوابيسه..

نار... دم... صفة... وبكاء سليم حين كان شباً
وهو يرى رحيل أخوته..

صراخ رائف من فرط الألم ونهته بكاء طفلتين

....

تخشب جسده وعصف به ألمًا لا يحتمل .

-اطلب الطبيب يا فخر !، السيد سالم لا يقوى

على التحرك !

السيد سالم لا يقوى على التحرك !

الذئب المخضرم أصبحت عظامه هشّة، سهلة

الكسر !

السيد سالم تطارده جريرته بعد هذه السنوات !

=====

في مقهى المشفى اجتمعت العائلة بأكملها !

لقاءً لم يطف في عقلٍ أي بطلٍ منهما !

أن يكون لقاءهم بمقهى مشفى يوجد بها البطل

الأشهر وشقيقه !

توجس مروان من عددهم حين رآهم، سأل
مليكة بعينه مستفسراً، ففسرت هي بوجه
شاحب :

-لجين ورائف اخوة سليم..وتلك التي تجلس
بالطاولة التي خلفك مروج شقيقة سليم أيضاً
والجالس بجوارها أستاذ إياد !
والتفت بدهشة تعلي محياه لينظر إلى تلك
المروج التي كانت تتناول شطيرة رُغما عنها
وعلى ما يبدو أن إياد هذا هو من أجبرها !
عاد بنظره إلى لجين ورائف وعينه متسعتين
بصدمة !

أبعد كل هذا الفراق يكون التجمع بمشفى
والمريض سليم !؟
عجباً على قدرٍ له اليدي عليا في كل شيء !



دار تعارف بينهما والقائدة مليكة..

رحب مروان بهم بحرارة والسعادة تكاد تقفز

من عينيه...

رُغم القلق الذي يحلق فوقهم، نبضات قلوبهم

الواجفة، الخوف المسيطر عليهم إلا أن الدهشة

كانت تعطي محياهم كلهم !

؛ حيث الأمر بدأ بهياج رائف حين علم بما

فعلته مروج وانتهى بلقاء يجمع كل العائلة !

اخبروه أن أمجد تأثر بحالة شقيقه فنقل إلى

غرفة أخرى منذ ساعتين أو ثلاثة تقريباً وكم

أحزنه خبراً كهذا !

-سيدة مليكة لقد استفاق السيد سليم من

الغيوبة بشكلٍ جزئي !



شهقة، ودهشة، ودموع أغرقت الوجنة وأذن
احتضنت الجملة، والنبرة من قبل مليكة كانت
صارخة بعدم تصديق :

-سليم فاق !!!، أريد أريد أن أراه !

لم تكن فرحتها أكثر من فرحة أخوته ومروان
حتى إياها !

وكما عمت الفرحة عليهم في لحظة بائسة، دحر
الطبيب -الذي أتى خصيصًا ليخبرهم-فرحتهم
بأسفٍ بغيض :

-للأسف لن يسمح بالزيارة الآن السيد سليم لم
يستعد عافيته كلها كما أننا سنقوم بإجراء عدة
فحوصات له، وكما أن تركيز المريض تقريبًا
معدوم !
ورحل !



أخبرهم أنه عاد إلى أرض الواقع بشكلٍ جزئي

ومنعهم عن زيارته !

ورغم الحزن، البؤس، تعالي الحمد وارتسمت

البسمة على شفثيهم...

رُبما لم يعد إلى أرض الواقع بشكلٍ كلي؛ لكنه

عاد وكفى !

=====

لم يكن سوى بيدق على رقعة لعبة صنعتها هي،

والآن حان وقت النهاية !

سيخالف الحكمة ويتمرد !

يركض من بين دهاليز عقل كاتب يبغي

استسلامًا هو لا يريد، وسيهرب !

حيث العاشق في هذه الدنيا لعبة !



وهو عشق حد الجنون، أحبها وأفعاله تفضحه
!

وبحبه، بعشقه، وكل جوارحه اختارت غريمة
دون الجميع ليكون جسر تزرعه في طريق
حبيبها الخائن، تعبر فوقه لتمنح نفسها القوة
ومن فوقه تصفع حبيبها النذل..

تخبره أنه خسرها وهي اختارت رجل يحبها
بجنون كي تؤلمه !

اعتذرت وقبل اعتذارها؛ فعادت تغرز سكين
الغدر بقلبه، تخبره بأن مكانته عندها صفر على
الشمال قابل للتجاهل !

حين التشتت والخوف؛ اختارت مالك...

وحين العشق والهوى؛ اختارها هي !

هي ملكة قلبه وكفى !



حبيبته تنتشي بألمه وما عاد هو بقادرٍ على

التأوه ألمًا وحرزًا على حبٍ سيبقى حبيس

ضلوعه وقلبه !

"نعم سأخذ الطائرة الذاهبة إلى إسبانيا صباح

غد، لن أتأخر !"

قالها بإصرارٍ يبلغ شقيقه الموجود بإسبانيا...

اختار النهاية بنفسه؛ حيث حال قصتهما دون

حبها هروب لا يملك غيره !

سيشتاقها!!

ستأكله وحوش اشتياقه بضراوة، ويسبه قلبه

على نهاية اختارها بنفسه بكل جبن !

سيتركها ويرحل ويكفي هذا..

ستكون بخير بين عائلتها وسيقضي هو حياته

وحيدًا ينعي حبها !



-هل..هل ستسافر؟؟؟

بهمسٍ مرتعشٍ سألت والخوف يظهر بوضوح
بمقلتيها..

يلتفت لها مجفلاً، يرمقها بنظرة لم تفهمها كما
نبرته المتألّمة :

-نعم، سأسافر ورُبما لن أعود !
وتتسع عيناها مبهوتةً، ينقبض قلبها وتتسابق
الدموع على وجنتيها!

يخبرها أنه سيتركها ويرحل ويرجع إلى الأبد !
يزكي نيران قلبها بقراره ونبرته متألّمة..
هي تفهم أنه سئم برودها، وكرامته تصيح !
تعلم أنه يحبها وهي...

-سأرحل الآن وسأتي لأطمئن عليكم ليلاً!



اختار الهروب مرة أخرى ولم ينتظر اعترافها،

لمحت بعينيه ألماً خالصاً..

وبينما هو لم يتحمل صدمتها، دموعها،

وصراخ قلبه؛ فرحل !

هرب ولن ينتظر..

بجنبِ الفريسة هربت قبل أن يلتهمها الذئب...

والمشهد برمته ميلودراما..

والبطلة كانت ستعترف أنها تحبه !

-نعم أنا أحبه !

قالتها بحشجة باكية وهي تخفي وجهها بين

كفيها والواقع يقر في هاته اللحظة أنها خسرت

!

إياد سيرحل ولن يعود !

وهي هنا صامتة لم تعترف بحب صادق !



ببساطة ودون مقدمات !

لقد عشقته !



الفصل الأخير

حين تدرك أنك تعشق؛ فلتُهنئ نفسك...

فالعشق لوثة..

معادلة صعبة الحل..

لو غاريتم مُعقد والحل تبعثر بين غياهب قدر!

والقدر يدُ خفيه، تدفعك نحو القاع..

تتخطى أنت سياج أمانك رُغمًا عنك، تصرخ،

تبتسم، تتشبث باللاشيء، ويصدمك ارتطامك

بالقاع..

تتمنى العودة إلى موقعك الطبيعي، وراء سياج

الأمان، تراقب، تبتسم بانتصارٍ لمن أحكم القاع

حول أعناقهم أصفاده..



وتصبح مثلهم، تخنقك أصفاد لا تعرف اللين،
تخبر نفسك أنك قادر على تسلق جدران بئرك..
تغرز اظافرك بها وتعافر، وتنال سقطة وبرودة
القاع تحتضن فشلك بفشلٍ أكبر..
تعاود الكرة وتقسم على الفوز في حربٍ أنت
فيها منافس نفسك الأول !
فقيرٌ، غبيٌّ، ومبادئك كانت محض كلمات
سُطرت على رمالٍ شاطئٍ، وحين هياج الموج؛
راحت أدراج الرياح!
تتشبث بقشة التوبة والعودة إلى طريقِ الرشده..
تبعد عنك تراب العُهر الذي لطح ملابس
الضحية رُغما عنها !
وهي كانت ضحية..
، وكانت الظالم !



والمظلوم !

والحاكم !

وبين سندان الألم ومطرقة الذنب، سُحِقت

روحها..

ولم تياس..

عادت، تشبثت بقوتها، وحين الحب، العشق !

تشبثت بمالك خافقها، صاحب الدقة الصادقة،

والحب الوفي !

كذبت والذريعة؛ حُب !

وفطرة البشري نقية!

يولد بمخاض ألم من رحم أمٍ والنقاء يزينه،

يكبر، يعاصر مواقف ويفكر بها مع نفسه،

تتلوث الفطرة بنقائها وتنمو النفس الأمانة

بالسوء...



تتمو بذرة التناقضات داخل رحم "بني آدم"...

تتمخض الحصييلة وتحبو نحو التجسد..

تعيث بروحنا فسادًا وتزداد ثمرة الخطيئة جمالًا

بعيننا كما آدم !

يُزدرد الريق بصعوبة، وتلتمع العين بدافع

فضولٍ، نكسر التحذير ونغض الطرف عما

أمرنا به الله..

نقضم أول قضة من ثمرة حُرمت علينا،

وتلوها طرد !!

طرد من جنان لم تطف بعلقتنا من قبل !

نتوه، ونحمل خطيئتنا فوق أكتافنا، وفي خضم

تشتت، ذروة انهيار؛ تنهار السفينة حيث الثقب

توسع....



وترتعب، تخاف، وتظن أن نهايتك سَطِرت على
ورقِ كاتب فاشل انفلتت الحبكة من بين يديه..

يريد موت !

عقاب!

ورُبما يريد نِجاة بيدِ خالقنا !

فرصة يمنحها لنا حين الخوف، الندم، والتوبة

الصادقة !

وتغتتم الفرصة بشراهة ذئب جائع..

تكفر عن ذنبك، وتطهر نفسك من إثمِ الحق بك

حتى ولو لم تفعله !

وفي طريق توبتها، رجوعها إلى الطريق

الصحيح، طعنت عاشق بسكين بارد، كذبت

وادعت البراءة وصدقها هو..



وحين الكذب؛ يُختصر الزمن ويمر في طرفة
عين حتى وقت كشف المستور !
وعلم هو بكذبتها، تألم، صرخ، وغضب العاشق
يلوح لها من بين مقلتيه..
والآن..

هي بجواره، تراقبه بعينين باردتين تخفي
تحتها جحيم من مشاعر متضاربة..
وهو يراقبها بالمثل، يرتدي ثوب الصمت
والغموض بجداره، يرمق، يحدق، وصمته
يخبرها بأن الجرح لم يندمل بعد !
ترمش بعينيها، يظهر شيء من ألم يلوث لوحة
جمودها، ترتبك للحظة بعدما غادروا أخوته
الغرفة وطلب هو أن تبقى، ورُغم استياء الأخ،



وقلق الصديقة، توجس الأخوة؛ أصر هو على

بقائها..

رضخت لطلبه، لم تغادر مقعدها، ووقفت على

حافة هاوية تنتظر دفعته، صراخه، استيائه، او

رُبما يصرح لها بخطة انتقام حبكتها منيعة،

يخط بقلمه المنغمس بدم قلبه على ورقٍ فارغ،

يخطط، يسرد أحداث، يمارس دورِ قاصِ

بئس..

سيضع بيديه كلمة النهاية، وهي هنا...

الجمهور..

الضحية..

وبظلة أحداثه !

-أخبرني "يونس" أنك طلبت منه أن تتزوجني !

بوهن، وضعف، وشيء من خجل همست..

وبسخرية طفيفة، انعقاد حاجباه، وبسمة اعتلت

شفاه شاحبة أجاب :

-والمطلوب !

والذنب ذئبٌ شرس، يُغريه ضعفك، يُطربه
صراخك، وتثير دماؤك المُهدرة غريزته...وكأنه

سرب من قروش ضارية !

-أتريد أن تنتقم مني يا أمجد ؟

والخوف كوحشٍ محنك، ينهش روحك، ويضفي

على واقعك قتامة الشعور وسواد الفكر!

وهي تخاف، تتشبث بقوة واهية وتسال عن

انتقام اتخذ من عرض الزواج وسيلة ليحققه،

تفتش بين جفنيه عن غدر، كره، أو حتى حقد

ولا تجد !



رُغم جمود الملامح، قسوة النظرة، وحركة
حلقة الصعبة تشي بغصة..

الجرح لم يندمل بعد يا مسكنية، نظرته تنزف
ألمًا، وهي على استعداد تام لارتشاف النزف
علَّها تتخلص من الدنس !

طال صمته وثقل قلبها برهبة الرد، لمع الدمع
بعينها؛ حيث الجالس أمامها يرمقها بألم
خالص !

وتأهبت للرحيل، تشبثت بحقيقة يديها،
واشاحت بوجهها تبغي رحيلاً بتره هو :
-أنا أحبك !

بهمسٍ ذليل، اعتراف مقيت في عُرف الرجل،
وابتسامة تحمل قسوة لا تتناسب البتة مع عِظم
اعترافه..

وحين الصدمة، تتجمد وكان خافك غادرته
الحياة بغتة، تتسع العينان، وتقرب بتهور غير
محسوب العواقب نحو الهاوية، تتعثر عند
حافتها، تتشبث باللاشيء، ويتخلص أدراكك من
عقال الصدمة، فرجت شفيتها والكلمات تتعثر
على شفيتها كطفلٍ يحبو، فخرجت مبعثرة،
مشتته بها شيء من ألم !

لم تقلها لي من قبل، طلبتها منك كثيرًا وكنت
تتمسك بكبرياءك كرجل، والآن تصرح بها بهذا
التعبير المتألم !، أعلم... أعلم أنني خدعتك،
سألت عن ذنب ارتكبته واخبرتك أنني لم أفعل!،
كنت أخاف أن تتركني، تشبثت بك عني
أتخلص من غبار ماضٍ مقيت، كنت أرجو

دعمك، بسمتك، حبك الصادق ليدحر غدر

تذوقته طواعية!...

وتصمت بلهاتٍ نتاج نبرة سريعة، دموع

أحرقت وجنتيها وأخاديد الألم ترسم بألونها

لوحة تراجيدية خالصة!

تفسر، تفنّد، وتجتهد لتفهمه أنها نادمة، أنها

طمعت بحبه ليخلصها من ثقل الذنب، خافت

فراقاً لن تتحمّله..

وهو يسمع، يرمق وجهها بشيءٍ من شفقه

والم لأجلها..

ألمه برمته لأجلها هي!

الجرح لم يندمل نعم، لكنه!



وتتعر الحروف بعقله بعد "لكنه" يفتش عن
تبريراً، وينهش جدران قلبه باحثاً عن غفران
لم يمنحه العقل فَمَنْ بها القلب..

، الضمير !

والأخير أخبره أنه لا يملك أي حقٍ ليحاسبها
على شيءٍ مضى، نعم كذبت، ونعم كان على
أستعداد تام للعفو حين أعتراها بالخطأ، وهي
فقدت الفرصة وتتأى عنها وقلبه أبقى أن يقطع
الحبل الواصل بينهما..

وكانه كان يوقن أنه لن يتركها، سيعفو أو ربما
يتناسى !

-جود، سأحادثك بكل صدقٍ، أنا تألمت حين
اكتشفت أنك كذبت عليّ، وتألمت أكثر في لحظة
رأيت بها رأيك بيّ، تألمت وانكسر كبرياء



الرجل بداخلي، غضبت، وتفاقم الغل والحدق
والجرح ينزف دون توقف، واجهتك وأقر
الواقع بأستحالة تلك العلاقة التي تربط بيني
وبينك، وهدأت حدة غضبي، بدأ السواد المحيط
بيّ من فرط الغضب بالانقشاع، هربت من
مشاعري، من قرارٍ أخير أردت أن يكون عقلي
هو المتحكم الأول بي، وقراري الأخير كان !
وبتر الجملة، وقطع اللحظة بتهيدة مثقلة،
ينظر إليها بين فنية وأخرى وابتسامة ضعيفة
تزين ثغره، وهي تبكي دون صوت تنتظر
تبريره، ويهفو قلبها إلى قرار العفو، تبغي حبه
وتهاب الانتقام، تنتظر الرد وهو لم يستطرد
جملته وكأنه يقوم بتسويتها على نار هادئة
حتى تمام النضج، عيناه تشع شيء من أمان

ربت على خوفها برفقٍ، وأتى قراره، منحها
صك العفو وإن ضنَّ عليها به لدقائق !
-قررت أن أعطي لقصتنا فرصة ثانية، لم يعد
بالعمر بقية لأتألم وأبكي، سأثق بك هاته المرة
وبتغييرك، بشيء من ندم وتغير منحته لنفسك
وشعر قلبي وعقلي به فمنحتك فرصة ثانية !
الفرصة الثانية طوق نجاة..

عقدٌ مبهجةٌ ألوانه، ترتديه بعنقٍ لطالما دفنته
بالتراب؛ تبغي حماية وتخفي عارًا!
الفرصة الثانية وسيلة تحاول بها رتق ثقوب
ثوب لا يناسبك غيره !
الفرصة الثانية حياة !

والقصة التي ظنتها تحولت إلى رماد تذروه
الرياح، عادت لتبعث من جديد !



بصك أمل!

وبصدق الندم!

-لكنني سأطلب منك طلبًا!

وإثر هتافه انتبهت، توجست وخافت فراشتها

الوردية استطراد مؤلم، أو طلب تعجيزي!

والخاطر الأخير أخافها، نكأ الجرح وهدد

الفرحة ببطاقةٍ تحملها نبرة!

لم ترد فقط ناظرته بشيء من وجل، أو مات

برأسها، فأضاف هو بابتسامة صادقة!

-لا تخوني ثقتي بك مرة أخرى، لا تستغلي قلة

حيلتي!

وأجابت طلبه ببسمة صغيرة، دمعة ثقيلة تنخر

وجنتيها كعظامٍ هشه، والقلب في هاته اللحظة

يرفرف في سماءٍ وردية!



أومات وأكدت بلسانها رُغم الارتباك !
-لن أخونها أبدًا، طوال ما حييت !
الحياة فرصة، اغتتمها بشراهة ذئب لا يترك
فريسته حتى تمام الاتهام !

=====

كان محاربًا جبانًا، أصابه شُح الشجاعة، وامتلأ
ثوب المحارب بثقوب لا يداويها رتق !
جُبن وهرب بثلاثة أطفال وتركه وحده !
تشبث بنجاة، تعلل بتعذيب سيناله هو وأخوته
الثلاث على يد الجد نتاج جريرة الأب !
وكما تشبث بالنجاة تشبث به بوهن، رفض
الرحيل إلا وهو بيده !



و حين احتدم الأمر، رفض الجد وطرده هو
واخوته تقريباً من القصر؛ تركه، ولى له دبره

ولم يهتم !

وكأنه لم يترك خلفه روح تشاركت معه رحم

واحد !

تركه لينجو بثلاثة أرواح وهو رابعهم !
وترك خامسهم يعاني ظلمات الوحدة، يتوه بين

غياهب الذكريات، وتهاوى جسده بهاوية

مُظلمة وهو من دفعه !

والتساؤلات تتشابك داخل عقله!

تارة يصفع قلبه عقله والسؤال يخرج صارخاً

تنقله نبضات خافقه

"لِمَ تركته ورحلت !!!، أنانيتك جعلتك تدهسه

دون أن يرف لك جفن "



ويدافع العقل بشراسه، يناطح، ويتبجح، يبرر،
ويدافع فالحاكم في هاته اللحظة قلب أرهفته

سنون الفراق !

وبمهارة محامٍ ماهر برر، فنَّد له الدوافع،
واثبت بالأدلة والبراهين أن المتهم برئ حتى
وإن تُبِت إدانته !

والتبرير هنا أنه كان موقن أن سليم سيتحمل
طباع سالم، سيعيش دونهم لأجلهم !

كان تبريرًا ضعيفًا واهنًا دحض به ألم الفراق،
مُسكن رديء أرشفه هو بشراسة يفتش بها
عن تخدير الألم !

وقد كان !

وتمر السنين وهو يشتاق لعناق، نظرة، أو
ابتسامة..



يريد أن يطمئن عليه فهو يعلم مكانه لكن سليم

لا يعلم عنهم أي شيء، ولو كان يعلم لأتى

خلفهم !

ويعود العقل ليضغط على جرح تم تقطيعه دون

تنظيف تقيحاته، تنفك القطيبات، ويبدأ النزف..

تغرق روحه في نزف الجرح، ويتقهقر القلب

مهزومًا فالدفاع سرشًا وليس سهل العريكة !

عقله يخبره، يسأله عن سنين قضاها شقيقه

وحيدًا !

ويدافع القلب بوهن، يخبره أنه سيعوضه،

سيعتذر ويقدم كل شيءٍ متاح بين يديه، وقلبه،

وعقله !

فور خروجها من الغرفة شرد، عربدت

هو اجسه داخل عقله، أخبرته الأخت الكبرى أن

شقيقهم عاد إلى أرض الواقع، وابتسم هو
بسعادة وكاد يقفز من فوق سريريه الذي لازمه
منذ إغماءه، ويمنع الأخ الأصغر تقدمه، يخبره
أن الطبيب منعهم رؤيته وأن "سليم" لم يستعد
تركيزه بشكلٍ منطقي، أخبرهم الطبيب أنه لا
يتذكر أنه قام بحادث من الأساس وبعض
التفاصيل سقطت منه، لسانه ثقل، ونظره ليس
ثابتًا وجسده يئن !

ومُنعت الزيارة عنه كي يتأكدوا من سلامة
صحته !

وتألم هو، حزن فهو يشفق لقياه..
وبعدها تشبث بقشرة صلابته التي يمتلكها حين
المصائب !
والصغيرة !



صغيرته التي ما إن رآته حتى رمت نفسها على
صدره تنتحب بطريقةٍ رق لها قلبه، هو غاضب،
حائق، بل وكاد أن يصفعها، لكن تشبثها به،
بكاؤها المُنهار، وارتجافها أعاقوا الطريق بينه
وبين غضبه، ربت على ظهرها بحنانٍ، بينما
هي تكرر همسها بنديمٍ خالص :

-آسفه ! أنا آسفه، تصرفت برعونة وطيش،

سامحني أخي !

وندمها، حزنها، وجد صداه بنبرة الأخ الأصغر،

اقتراب سريع، ونبرة تقطر ندمًا :

-أمجد...أنا...أنا !

ويبتر الجملة بحثًا عن جملة تفي بالغرض،

جملة تحمل اعتذارًا فلولا غضبه، طيشه،

تصرفه برعونة، لما كانت شقيقته لتهرب،

تعرض نفسها للخطر، وينقذها الرجل الذي
عاب برجولته وجرحه بنار لسانه السليط !
وتفهم الأخ الأكبر، أو ما متفهماً بضعفٍ، وربت
على كتفٍ مروج بحنانٍ والنظرة تمنحها عتاباً
خالصاً كما النبرة :

- أنتِ آلمتِ قلبي يا مروج، هربتِ دون أن
تفكري بي، بقلقي، وخوفي اللامحدود عليكم
!...! لكن !

وصمت لهنيئة تأمل بها وجهها الشاحب،
ارتعاش جسدها، والخوف الواضح بعينيها،
فابتسم، واستطرد حديثه برفقٍ :
- لن أعاقبك على فعلتك تلك، سأتركك لضميرك،
يفند تصرفاتك، وعقلك يوضح لك ما فعلته بنا
وبنفسك، سأتركك لنزوجك يا مروج !،



سأتركك تهذبين رعونتك وطيشك، لكن تحت
عيني..

وصمت، وتفاقم بداخل قلب الصغيرة خوف،

ألم، ندم !

-أين إياد ؟

سألها وقتها بحيرة عن إياد، فقال شهقة بكاء

مختنقة من الصغيرة، ونظرة متحسرة من

لجين، وتوضيح باهت من قبل رائف مراقبًا

بكاء مروج لأجله بشيء من غيرة :

-إياد عاد إلى منزله بعدما اطمأن عليك وعلى

سليم، سيعود إلى إسبانيا غدًا !

تهد بحيرة، كفه تربت على ظهر صغيرته

بشروود بينما هي تشهق بصوتٍ خفيضٍ فرق

قلبه لها...



أمر رائف بأخذها هي ولجين إلى البيت
فالصغيرة المتهورة لديها أمتحان غدًا وهو لن
يسمح بأي تغيب عن امتحاناتها !
ووافق رائف على مضمض..
رحل وبقي هو وجود وحدهما بعدما غادر معهم
يونس وتمارا...

صوت طرقات هادئة على باب الغرفة قطع
شروده، تنهد بتثاقل، وسمح للطارق بالدخول !
ظهر أمام عينيه شاب وسيم، ملامحه خشنة،
عيناه خضراوان وجسده به شيء من رياضية
ملحوظة..

أغلق الزائر الباب خلفه وابتسامة صغيرة
تناوش شفثيه..



وانعقد حاجبا أمجد بتوجسٍ، يراه يجلس على
نفس المقعد الذي كانت تحتله جود، يبتسم،
وعيناه تبرقان ببريقٍ غريب، طالعه بتوجس
دون السؤال عن هويته !

-أنا مروان !

لكنته بها شيء غريب، وابتسامته الصافية
رسمت فوق شفثيه ابتسامة هادئة رُغم وهنه،
ينظر إلى يدي المدعو مروان لثوانٍ لم تطل، مد
كفه وصافحه رُغم توجسه، واعتدل مروان
بمقعده، يضيف على جملة السابقة تعريفاً كافياً

:

-مروان الأمير، ابن عمكم !

ونال دهشة طفيفة، اتساع عينا أمجد، وانعقاد
حاجباه وهو يقرر خلفه بذهول :



- مروان !!!

لم كل هذه الدهشة يا ابن العم، أنا بهذه
البشاعة ؟؟؟، أخبروني أنني وسيم !!!
اللكنة دافئة، والنظرة تشع دفئاً غريباً،
ابتسامته وهو يمزح كانت مُريحة، بها شيء
مطمئن، وتأكيد أمجد كان صريحاً وهو يتدارك
دهشته :

- أنت بالفعل وسيم !، لطالما كنت وسيماً يا
مروان، أنا فقط مصدوماً بما يحدث اليوم !،
رأيت أخي وهو على شفا الموت، ولم أصدق أن
أول لقاء بيننا منذ سنوات سيكون بالمشفى،
والآن أجذك أمامي بعد فراقٍ طويل!، ألا ترى
أن كل هذه الأحداث تتطلب دهشةً بالفعل !

وكان صادقاً؛ فهو نفسه أصابته دهشة من
وجودهم، الأمر برمته غريباً لا يُصدق !
لكنه قابل لوجود السعادة كما نبرة مروان وهو
يترك مقعده ليستوي جالساً بجوار أمجد :
- أنا سعيدٌ جداً بأنني قابلتكم اليوم، وسعيد أيضاً
لأجل سليم، لقد كان حزيناً طوال السنوات
الماضية وهو يبحث عنكم !، لم يفقد الأمل أبداً
وهو يبحث في كل مكان !
وفي خضم سعادته، بهجته، والغبطة التي كانت
تسيطر عليه، نكأ جرح أمجد دون شعورٍ منه،
أعاد فتح الجرح وبدأ النزف بتدنيس ثوب
مثاليته، يجرده من ثوب المضحى ويضعه أمام
مراه تعكس تخليه عن شقيقه، أنانيته !



- أنا أعلم قصتكم كلها، وسليم أخبرني أنك
ستحمل ذنبه طوال حياتك، ستحزن لأنك لم
تتشبت به واختارت أخوتك، لكنه ليس غاضباً
منك، بل كان غاضباً من نفسه ومن سالم، كان
سعيداً أنك أنقذت أخوتكم من بين أنياب سالم!
ابن العم يبرر، يمنحه صك العفو على لسان
توأمه من جريرة ستظل تثقل كاهله، يخبره أن
أخيه يقدر، لم يغضب لأنه اختار أخوته وتركه
هو!

ابن العم خبيثاً، يعلم كل شيء، ويفهم تقلبات
وجهه، يدرك عظم الموقف، ويمحو ما يعتمل
صدره بكلمات توأمه!

- لقد علمت منذ قليل أن "رائف" يلعب
بنادي (...)، أوقفته إحدى المعجبات ونحن

بالأسفل لتأخذ صورته معه تخذل بها وسامة

الثعلب الصغير !

يمزح وكأنهم أصدقاءً منذ زمن بعيد، يبتسم،

فيبتسم هو وشيء من راحة تسلل له وهو

يراقب انفعالات وجه مروان !

-أنت من عدوي كرة القدم لذلك لم ترَ رائف

بالتلفاز أو سمعت عنه من قبل؟؟؛ فرائف

تقريباً يعرفه معظم محبي الكرة !

سؤال فضولي لم يستطع التحكم به، ألقاه على

مسامع مروان؛ فغامت عيني الأخير بشيء من

غضب أثار توجسه !

-لا أنا من عاشقي كرة القدم، كما أن الفريق

الذي يلعب به رائف هو فريقتي المفضل !



ولم يتابع التفسير، صمت لوهلة أمام عيني
أمجد المتوجستين؛ حيث نبرة ابن العم تحولت
إلى الجمود في طرفة عين !
ولمع التساؤل بعيني أمجد، انتظر استطرادته
وأتى التوضيح صادمًا !
"كنتُ في السجن !"
صفعته الصدمة على حين غرة فاتسعت عيناه
بدهشة !
"والتهمة، قضية قتل !"
والصدمة في هاته اللحظة لا تصف الموقف!
بل تبخسه حقه !
ابن العم قاتل !!!

=====



أنتَ في هذه الدنيا بيدقٍ جامد، تحركك أصابع
القدر فوق رقعة الواقع، تحارب لتحمي الملك
دون إرادة منك، تصمد، وتكون نهايتك وقوع
لأجل الوصول إلى الملك !

بيدق يحركه القدر، ويقتله الواقع !
أنتَ في عالمٍ لا يعرف النقاء، عالمٌ يبغى
ضارية، ويركل النقي خارج نطاق أرضهم !
يسبّه ويطلب تخلي، يطلب توحش، يطلب أن
تصبح ضارية وإلا!

ستكون فريسة سهلة المضغ !
وهو رجل لا تحكمه فروض !
لا يقهره واقع، ولا يترك حقه طواعية !



تلبس ثوب الضارية في طرفة عين، امتلأت
روحه بالحقد ورحل العقل غاضبًا، تحكم به
غضب قلبه، ألم روحه..

؛ حيث زوجته تُمتهن أمام عينيه، خُطفت كما
ابنتها، غضب، ثار، هاج وماج وعمى الغضب
عينيه..

عراك بموقع الجريمة بين الخاطف والزوج،
سلاحين، و نظرات غاضبة، كلمات مُهينة من
قِبل الخاطف تناثرت حول الزوج تشعل غضبه،
ناره، ويتهور !

نزاع محتدم، وسلاح يهدد الزوج بوضوح،
تبدلت الأوضاع وأصبح الزوج هو المتحكم،
وفي لحظة غضب، لحظة قهر، ضغط على
الزناد دون أن يرف له جفن !



قتل البطل شرير الحكاية و دمائه تغرق سطور

رواية كان هو المتحكم في نهايتها !

وتلو الرصاصة تشتت، صدمة، حيث البطل

المثالي، الرائع !

قتل !

-وها قد أخبرتك بكل شيء !

كانت جملته الأخيرة هي تنمة الحوار حول

ماضيه، فسر له سبب سجنه، فندّ لأمجد

الحقائق وأخبره تقريبًا بحياته كلها..

لا يعلمكم من الوقت قد مر !

ساعة..

ساعتين..

أم ثلاث..

كل ما يعلمه أمجد أن هذا الرجل بطل !



مغوار، وما مر به ليس بالسهل أبدًا !
لو كان هو مكانه، لكان انكسر، كانت قُتلت

روحه، لكن هو!

قام من عثرته يحمل راية النصر، الأمل!

يحمل بين جنباته إيمان شديد !

الفرصة الثانية!

أما تتجو متشبثًا بها، أو تغرق متخليًا عنها !

-أنا فخورٌ بك يا مروان!، أنت رجلٌ بمعنى

الكلمة !

يمدح بابتسامة صادقة، يربت على الكف،

ويمنحه نظره حنونه !

فيبتسم مروان بشيء من خجل وهو يشكره

بصوتٍ خفيض !

لقد أحب أمجد !



وكما شعر أمجد بالراحة لمروان، شعر مروان
بالدفاء يقطر من عيني أمجد !
ذاك الرجل لديه شخصية حنونة لدرجةٍ غريبة !



الحب كنصل خنجر حاد، إما أن تطعن قلبك به
أو تتخلى عنه طواعية !
وهي آلمتها الطعنة، أوجعها التخلي عنه،
واحترقت بنيران الغدر !
جرحت نفسها والذريعة؛ هروب من حب لا
يستحقه !

؛ حيث المعشوق كاذب، مخادع، وهي لا تحب
الخداع !

هي فتاة مراهقة، صغيرة، وجدت نفسها في
طرفه عين وحيدة !



تخاف الفراق حد المرض !

فتاة عاشت طوال سنين مراهقتها تفصل ثوب

الفتاة الناضجة على مقاسها، وحين الإرتداء

وجدته لا يناسبها !

ولم تتخل عنه، سارت بدروب الحياة تتعثر به،

تقع، وتقوم، تعاون نفسها، وتمنحها أماناً فقدته

في طرفة عين !

هي تحبه !

نقطة وسنبداً قصة حب أسطورية!

لكن لحظة !

هي متزوجة !

نقطة و سنمزق سيناريو قصة حبها !

تزوجت في لحظة طيش وزوجها متحرش

مُحكك بأرض القذارة !



تزوجته والسبب هو !
هربت من حبها له بزوجها من رجلٍ آخر !
والآن هي ستدفع ثمن تهورها !
رأته يبتسم لمعجبة فاتنة، بسمته منقوصة،
وعيناه معلقتان بها كما عينيها !
وحين طال لقاء المُقل قطعه هي حين اخفضت
عينيها !

هربت من لقاء عينيهِ !
ولم يتحمل هو السكوت أكثر !
اقترب منها بتؤدة، أحرق أعصابها وأصابها
بالتوتر، اقترب به باغتها، جلوسه في المقعد
المقابل لها انتزع منها تأفف صادق !
هي لا تريد أن تحادثه!
نقطة وانتهى السطر !



لكن عذراً، البطل لم ينتهي من سطره بعد !

-تزوجت !

لم يسألها عن حالها، لم يمنحها نظرة هادئة
وسؤال مهذب عن كونها بخير أم لا، ولم يعتذر

!

بل هاجم بنبرة مستعرة ونظرة غاضبه، يسأل
عن كونها تزوجت بالفعل أم لا، يخبرها أنه

غاضبٌ بكل وقاحة !

وغضبت !

بكل جوارحها غضبت!، ثار بركان لطالما كبَلته

بأصفاد قوتها لينفجر بوجهه، تضرب سطح

الطاولة بحزمٍ ورُغم ألم القلب، وجع جرح لم

يندمل، خرجت نبرتها قوية كما اعتادت أن

تكون :



-وما شأنك أنت يا كابتن "رائف" !

-ما شأني !!!، تهريين من حبك لي وتتزوجين

رجل آخر وتقولين لي ما شأنك يا تمارا !!!!

بهياج همس بها حتى لا يلفت أنظار الجالسين،

يحدجها بنظرة هائجة ويعريها من ثوب لا يليق

بها !

ولأنها تمارا لم تظهر دهشة على وجهها، لن

تعطيه دليل يدينها أمامه حتى ولو كانت تحبه !

-ما هذا الغرور يا كابتن؟؟؟، أرى غرورًا يلوح

بالأفق !، لا تعطي نفسك حجم لا تستحقه

يا...كاذب !

تذكره بكذبه، تطعنه في جرح لم يمّت، تضرب

دون أن تهتم، كما فعل قديمًا تفعل هي الآن،

تخفي دهشتها من وقاحتها تحت ركام من حجر،



تتشبث بقشرة قوة لا تمتلك غيرها، وتلقي في

وجهه كلمات جارحة !

لكنه لم يتراجع، تشبث بغضبه، وناطحها

بعنفوان رجل سُرقت حبيبته من بين يديه

طواعية !

-نعم أنا كاذب، ونعم لقد كنت شابًا قدرًا وقتها،

وأعترف أنني أخطأت بحقك، لكن لا تنكري أنتِ

أنكِ تمتلكين مشاعرًا لي !

-أمتلك مشاعر لك؟؟؟؟، أنت!!

تسخر منه !

تبتسم والسخرية تداعب شفيتها، وتتابع

الضرب بكلماتٍ قاسية دون اهتمام !

-اسمعي جيدًا يا رائف، أنا لا أريد أن أراك مره

أخرى، لقد فقدت كل احترامي لك بنظري، حتى

لو كنتُ أملك مشاعر نحوك سأقتلها في مهدها
!، أنت شابٌ غر لا يُعتمد عليه، أرعن، الطيش

بالنسبة له أسلوب حياة!

وطعنت رجولته بنجاح، أضفت الحامض على

جرحه الملتهب وفازت هي بالمعركة !

وأعلن هو الأستسلام برحيل هائج ضارباً المقعد

بقدمه !

والمنطق هنا يقول أن فوزك بمعركة لا يعني

إنهاء الحرب !

وهو..

لم تنتهي حربه معها بعد !

فهو يحبها !

سيخلق فرصة ثانية ولو من العدم، ليمنح

لحبهما قبلة النجاة !



والفائزة فور رحيله الغاضب، حرقت دمة
مقيتة وجنتها تخبرها بحزن، بجرح، وألم !
أجادت جرحه وفي طريقها جرحت قلبها !
"تمارا، هيا لنرحل..وقريبًا بإذن الله سأقابل
زوجك لتحصلي على حريتك !"
الهدف كان بصوت "يونس" الذي أتى للتو
ومعه شقيقته !

سيطلب من زوجها منحها الحرية !
ورُبما بعدها ستبدأ حياتها من جديد !
والمشاعر!

ستكون خارج الحسبان!
حيث قصتها ماتت داخل رحم قلبها قبل أن
تعاصر مُخاضها !



حين الغدر؛ يكون الألم !

و حين التشبث؛ يولد الأمل !

وهو بين حرفين جحيم مستعر يشتهي ضم

روحه !

بحركاتٍ ديناميكية كان يلملم أشياءه، حقيبة

سفره مفتوحة أمامه، يطالعها بشيء من

خوف، رهبة، ورُبما ألم !

يغمض عينيه علَّ صورتها التي تطارده تتمحي،

صورتها وهي تسأله بصدمة عن سفره !

صدمتها أَلَمته بقدرٍ تكذيب عقله لها !

قلبه في حربٍ غير عادلة مع عقله، يحارب

بضراوة والغرض تشبث بأرض الوطن، يبقى

جوارها..

ويضرب العقل دون رحمة..



يذكره بأنه كان في حياتها مجرد جسر !
ويسقط القلب بغتة جراء طعنة غادرة من العقل

!

يذكره بحبٍ لم يأتي من خلفه سوى جروح
صعبة الشفاء !

ويسقط السيف من يدي المضغة الصغيرة، يئن
بألمٍ وينسحب من أرضِ المعركة يجر أذيال
الخيبة، يقهقه عقله بتشفٍ ويخبره..

أن كل ألمٍ يتطلب بتر، وتلو البتر يأتي الكي !
وهو..

ما زال في مرحلةِ الألم؛ فالبتر صعب !
وقطع شروده اقتحام مباغت من عمه لغرفته..
توجس قليلاً وهو يراه يغلق الباب خلفه بهدوء،
يتقدم نحوه بخطواتٍ واثقة..



خطوة..

ثم الثانية..

ووقف العم يواجه ابن أخيه !

ينظر إلى عينيه وكأنه يسبر أغواره، لم يتحرك،

ولم ينطق بحرفٍ واحد بل بقي كما هو ينظر إلى

إياد وإياد يبادلله النظره بمثها..

ومن ثم قرر العم قطع الصمت بإعتذار لا ينكر

أنه أدهشه :

-أنا آسف يا إياد !

وأرتبك إياد، زاغت عيناه بعدم فهم والسؤال

عن سبب الأعتذار نطقته عيناه فلم يحتج إلى

لسانه..

-أنا أعتذر لك بخصوص ما فعلته مع غالية !



اشتعلت عينا إيراد والتفاصيل تتدفق بعقله

مشعلة نيران غضبه !

حيث العم غضب لأجل تهمة ألحقت بزواج

غالية، وهو رجل القانون لا يحب الاعوجاج

عن الصراط المستقيم، غضب، هاج وماج،

وأمر ابنة أخيه بترك زوجها؛ حيث رجل

القانون لا يترك خيطاً واحداً يربطه بمجرم حتى

لو كان مظلوماً بقضية سرقة واختلاس !

ورفضت غالية رفض قاطع ترك زوجها لأجل

رغبة عمها، واتهمها بأنها تعلم كل شيء،

ففقدت سيطرتها وصرخت بوجه عمها بغضبٍ

عاشقة، ونالت صفة، والثانية وهي تأتي

الانصياع، تدخل منذر ابنه حامياً إياها مناطحاً

أبيه بغضبٍ، فسبهم الأب، أمر بطرد ابنة أخيه



من المنزل، لن تدخل إلى هذا البيت مرة أخرى

ولتتشبت بعد ذلك بزوجها المجرم !

وحاولت ابنة الأخ العودة لتبقى بجوار أختها،

ونالت رفضًا قاطعًا، وطردها مرة أخرى من

المنزل وحتى هاته اللحظة لم تدخل البيت قط !

وهو وقتها كان في شرنقة الحزن ينعي حظه،

وشقيقه الأكبر، المتخاذل كان يعلم ولم يخبره

بأي شيء حتى لا يتهور !

وحين علم غضب، قاطع عمه وكره ابن عمه

رُغمًا عنه !

قصة قصيرة بئسة أو ربما عادية، لكن بالنسبة

له ليست بالعادية.. أبدًا !

- لا عليك عمي، سبق السيف العذل !



بابتسامة ضعيفة قالها، وعيناه تفضحان غضبٍ

طفيف أو رُبما عتاب !

كان يسخر منه بتهذيب!

-بُني، لقد فعلت كل هذا لأجلها، لم يكن بصالحها

أن تبقى مع رجل مجرم، دفعني خوفي عليها

لكل هذا..

-ولماذا لم تقتنع برأيها؟، لماذا لم تحترم

اختيارها، هذا زوجها، حبيبها، وهي تثق به،

فلم عاندتها !، طردتها من بيتها واستغلّيت

غيابي أنا وأخي، عقدة رجل القانون ظهرت مع

مشكلة "غالية" لتخرج منك أبشع ما فيك !

بصراحة فجة ودون موارد أئبه، نظرتة عاتبة،

لهجته بها شيء من سخرية تغضن لها جبين



عمه، تألم والندم يتراقص بعينيه، يربت على
كتف إياد برفقٍ حانٍ أربك الأخير :
-أنا أعلم بُني أنني أخطأت، لذا فأنا أعتذر لك
وسأعتذر لغالية أيضاً، فقط لا تسافر وتتركني !
وجملته الأخير باغتته، اتسعت عينا إياد
مبهوتاً، يرمق عمه بدهشة، و تنفرج شفثاه
لتكرر بذهول :
-لا أتركك !!!

ويهز العم رأسه بهدوء، يرتفع كفه ليربت على
وجنته ونظرته تشع حناناً لطالما منحه إياه :
-نعم لا ترحل وتتركني، لقد ابتعدت عني
لسنوات طويلة، هاجرت، وابتعدت، وصنعت
لنفسك عالم آخر ونسيتني أنا ومنذر !
صدمة!

عمه صدمه ولن ينكر، ذلك الضعف الذي يقطر
من نبرته أدهشه، عمه القوي، صاحب الرأي
القاطع والنظرة الباترة، يرجوه بقاءً لن يقوى
عليه في هاته اللحظة !

هو يحب عمه ويعترف، لكن موقفه مع شقيقته
يقف حائلاً بينهما !

رُغم اهتمامه بشقيقته "حنين" ورُغم حبه
لهم، إلا أنه لن يسامحه على أذيته لشقيقته
بغيابه !

زفر إياد بتعب، ثم سقط على الفراش خلفه،
يحدق بأرضِ الغرفة بشرود وعمه يطالعه
يتوجسّ تحول إلى ألم حين قهقهه إياد بسخرية
متألّمة :



-أطلب مني البقاء ؟؟؟، أتريدني أن أتألم أكثر
وأنا أرى الفتاة الوحيدة التي أحببتها تُهين حبي
لها لأجل آخر !، أن أراها تتزوج من رجلٍ
غيري وأنا بنفس البلد !!!، أقسم بالله أن هذا
الخاطر يكاد يذبحني، يقتلني يا عمي !!!..
ويصمت بلهاتٍ واضح، عيناه تغيمان بانكسار
شعر به عمه، يقترب وذراعه تدعوه لعناقٍ
رفضه إياد وهو ينتفض واقفًا، يلوح بذراعيه
في غضبٍ خالص، ويدور في الغرفة بتوتر
غاضب :

-ابتعدت عنها منذ البداية، صارحتها بحبي لها
واتهممتي بالخيانة، سافرت وابتعدت وقررت
محو كل أثر لها بقلب؛ وفشلت !، وأصبحت
عاشقًا بائسًا يحتجز صورة حبيبته خلف شاشة



هاتفه، يتمنى قربها، ويلعن حبها، وعودت إلى
الوطن وحبها يثقل قلبي، كنت أخاف لقاءها
فقلبي لم يعد يتحمل، وقابلتها مرة أخرى، وماذا
!

يصمت ليلتقط أنفاسه بصعوبة محاربًا غصته،
ويضيف بسخرية مريرة وهو يشير بسبابته إلى
قلبه :

-أحبها مرة أخرى، الساذج أحبها مرة أخرى،
يبتسم لأجل ابتسامتها وكأنه يراها لأول مرة،
يحزن حين حزنها، ويفرح مثلها!، قلبي يا
عمي، قلبي يؤلمني ويسحق كرامتي حتى بعدما
أهانت حبي لها، أختارت من سحق كرامتها مرة
تلو الأخرى أمام عيناى، أخذتني جسر تعبر



فوقه لتصفعه هو!، ووسط حربها معه ومع

جرحه لها، طعننتي أنا!

-هل سألتها عن مشاعرها نحوك بُني!

سؤال بسيط طرحه عمه، قابله إياد بابتسامة

ساخرة وعيناه تتضحان أَلْمًا :

-أي مشاعر تلك التي تتحدث عنها يا عمي!،

لقد اختارته حين وقعت في مشكلةٍ، سحقت

كرامتها وذهبت له، طلبت منه أن يساعدها

وهو تراجع، لم يبذل جهدًا ليقنعها أن ما تفعله

خطأ، هي الآن بين عائلتها تستمتع بالدفء،

وتسعد بحبهم لها، أما أنا...

ويبتر الجملة لأجل ابتسامة ساخرة، لمعة

إنكسار تطل من عينيه، ويمد ذراعيه بقلة حيلة

مستطرّدًا :



كُتبت عليّ الغُربة حتى في حبها !

وصمت..

انتهى الأمر والكاتب يتخلى عن خيوط القصة !
يركض خلف حبكته التائهة، ويحاول رتق ثوب

البطل!

والبطل يتألم، قلبه يحتضر، وروحه تبكي !
وقراره الأخير كان رحيلاً، رحيلاً يفتش به عن
سكينة، هدوء لن يناله حيث القلب يأبى الأبتعاد

!

"لن أبقى يا عمي، سأعود إلى إسبانيا غدًا!"

وانتهى !

نقطة وانتهت القصة !

=====



السقوط في القاع مُريب، مُخيف لقلبِ أعتاد
الصمود، القوة، والتحكم بكلِ شيءٍ..
ملكٌ على رقعة الحياة تحميه بيداق كثيرة،
يجلس مكانه بصمودٍ تاركًا مهمة حمايته لبيداقٍ
جامدة، يراقب، يفنّد، ويتشبث بغروره !
وفي طرفة عين وقع أول بيدق، وبعده آخر
حتى أضحي وحيدًا !
تمسك بمقعد الملك و عنفوانه، يبغي حمايةً
واللاعب المُحنك يهزمه في طرفة عين !
يقع، ويتدحرج بألمٍ حتى الارتطام بالقاع، يتردد
صدى ارتطامك وتسمع تهشم عظام عقلك
بأذنيك، تتألم، تنن، وتلهث بحثًا عن هواءٍ نقي،
ولا تجد !
تتعثر أنفاسك وتجحظ عيناك بصدمة!



لقد سقطت في القاع !

يدٌ خفية دفعتك وسقط أنت بسهولة، وكأنك
ورقة في فصل الخريف تتساقط بسهولة على

الأرض !

أصابتك لوثة، جُننت وأنتَ تبحث عن مخرج، لا
تقوى على الصراخ، التالم وكأنك ممثل صامت
في مسرحية ساخبة، يستاء الجمهور ويتعالى

السباب على أداء لم يرق لهم !

تتسحب، تتراجع، وتقرر البقاء خلف الساتر،

تري خبرة البطل ويمتلك أداء البطلة..

ومن خلف الساتر تتأمل، تفتش عن هروبٍ من

قاعٍ يعج بمن فيه..

وتهرب !



تتسلق جدران جُبك ببسالة، تحبس أنفاسك،
وتشجع نفسك حيث أنك بطلٌ يستحق التهليل !

تصل إلى القمة؛ فتبتسم!

وفجأة !

يُغمرك الظلام المُقبض فتخاف !

وتتقاتل التساؤلات برأسك !

أتعود إلى القاع مع الحشد المهول!؟

، أم تبقى كما أنت تحارب الظلام وتقاتل نفسك

الأمارة بالسوء !

والتشبث بالقمة نجاة !

والقاع هلاكٌ آتٍ لا محالة !!!

بتركيزٍ ضائع كان ينظر لها، يعقد حاجبيه

باستغرابٍ، فتبتسم له !



وتجد صدى ابتسامتها ضعيفاً على شفثيه التي

ارتفعتا ببطٍ دليل ابتسامه !

-الحمد لله على سلامتك يا سليم !

بصوتها الرائع، ابتسامتها الحنونة، ونظرتها

التي تكاد تصرخ من فرط الفرح، تقترب منه

بحذرٍ حيث الطبيب حذرهما من أي تهورٍ فحبيبها

يعاني من تشتت نتاج غيوبته..

يبتسم لها بتشجيعٍ واهٍ؛ فتسرع خطواتها نحوه

بابتسامه شغوفة، تميل نحو جبينه لتقبله برقةٍ

سرقت منه ابتسامه حقيقة، تبتعد لتقابل عيناه

الشتويتان بنظرةٍ انعقد لها حاجباه، يشعر بكفها

يربت على كفه المستكينة جواره ولسانها يردد

جملة واحدة :

-اشتقت لك جدا !

وتنال بريقٍ ملحوظٍ بمقلتيه، توسع ابتسامته،
توسع شفتاه مطلقاً سراح كلماتٍ مشتتةٍ نتاج
لسانه الثقيل، نبرة خفيضة استدعت اقتراباً
شديداً بأذنيها قرب شفتيه :

-وأنا أيضاً !

وتبتسم، تمنح شفتاه قبلة سريعة أثارت دهشته
أكثر، تبتعد عنه لتجلس على المقعد المجاور
لفراشه، وبتر هو محاولة ابتعادها بهمسٍ لم
تسمع منه سوى همهمات، فأقتربت منه مرة
أخرى بابتسامة لم تفارق شفتيها منذ سمح لها
الطبيب بروئيته :

-ماذا قلت؟؟

-عانقيني أريد أن أرتوي من نبع أحضانك !



بهمسٍ متلعم، ونبرة خفيضة طلب عناقًا لا
يقوى عليه؛ حيث قوته في هاته اللحظة
معدومة، وابتسمت، ابتسمت فوق ابتسامتها
ابتسامة إضافية، برقت عيناها ودموعها تخدم
وجنتيها بسخونتها، ينتفض خافقها بسيلٍ من
النبضات و...

تعانقه كما طلب !

ذراعها ملتف حول عنقه برفقٍ غير مزعج،
وجنتها مستندة إلى كتفه في أمانٍ، تغمض
عينيها براحةٍ وهي تهمس بحشركة باكية بينما
هو مغمضًا عينيه مستمتعًا بدفء عناقها
وخافقه يخفق بشدة مؤلمة :

-كدتُ أموت خوفًا عليك، لا تتصور ما شعرت
به حين أنقلنا إلى هنا بعد الحادث، رهبة



غريبة سيطرت عليّ وأنا أرى الدماء تغرق
ملابسي، دماء أخفت وجهك عني فكدت أصرخ
كالمجنونة، وبعد الصدمة أتى الخبر القاصم ليّ،
أخبروني أنك دخلت بغيوبة وحالتك غير
مستقرة وقتها !

صمتت لهنيهة، التقطت أنفاسها بتعثر،
وأغمضت عينيها أكثر وهي تردف بنبرة
متلعثمة تفضح خوفاً استشعره بينما ذراعها
يتعلق بعنقه أكثر :

- وقتها شعرت بالوحدة، خواء غريب عصف
بروحي وأصابني لوثة، كنتُ أراقبك دائماً،
أراقب أنفاسك، نبضات قلبك وأدعو بداخلي أن
يحميك الله لنا !



ولم تخبره أن قلبه قد توقف مرتين تقريبًا وإن
كانت المرة الأولى أشد صعوبة، لم تخبره أن
أخوته قاموا بزيارته، لم تخبره بوجود توأمه
في الغرفة المجاورة بسبب تعبهم ومعهم مروان؛
حيث الطبيب يخاف انتكاسة فمريضه يعاني من
عدم تركيز وتشتت واضح !

تجاهلت كل شيءٍ وبقت تبثه حبها، تتشبث
بعنقه أطول فترة ممكنة ودموعها لا تتوقف
عن الهطول، تقبل وجنته برفقٍ، تتلمس فكه،
وتنظر إلى عينيه الشتويتين باشتياقٍ صادقٍ،
نبضات خافقها تتراقص بين ضلوعها كما
خافقه، سعادتها وصلت إلى الذروة وعيناها
تبرقان بوضوح !



وهو كان سعيدًا رُغم وهنه، ضعفه، وقلة

تركيزه !

هو العائد من عالمٍ موازٍ يتأمل كل شيءٍ حوله
بشيءٍ من رهبة، غيبوبته طالت، وحالته كانت
صعبة، آثار الحادث لم تزل حتى هاته اللحظة
حتى ألم صدره..

شيءٍ من ضيقٍ يسيطر عليه حاول دحضه

بعناقها !

هو..

من منحه الله فرصة ليحيا مرة أخرى...

انتزعه من بين غياهب قصر مُظلم مُخيف، بث

الروح بجثمانٍ خامد تبرهن عدة أجهزة أنه

على قيد الحياة !



وفي خضم مشاعره المتضاربة وحرب
التساؤلات التي تصول برأسه تذكر مكالمة
أجابها وهو يقود سيارته..
رجل يخبره بأنه وجد مكان أخوته، يعطيه
العنوان وهو يكاد من فرط الفرحه يصرخ
كطفل..

وفي طرفه عين تحول المشهد إلى عبث
خالص!

انقلبت السيارة بطريقة موحشة، صراخ الزوجة
برعب، وتأوّهه بألم تلوه انفصال تام عن كل
شيء!

وما بعد ذلك محض عبث لا يتذكر به أي شيء
سوى نبرة باكية!



نبرة كان صاحبها رجل، يناديه، يناجيه، ويقبل
كفه، يهمس باسمه قرب أذنيه ويملي عليه
جملة واحدة بارتعاش واضح..

"أنا أمجد!"

تتسع عيناه بشيء من صدمة، وتتحشرج
أنفاسه في صدره وهو يحرك شفتيه بارتعاش،
تقترب هي منه لتسمع ما يريد قوله

"هل..هل أتى أمجد إلى هنا!!"

ونال دهشة اصابتة بالحيرة، اتساع عيناها،
وارتباك ملامحها بما يشي بصحة قوله..
والخاطر الأخير جعل الابتسامة تناوش شفتيه،
تبرق عيناه ويضيف هامساً وهي على نفس
قربها!



"أحقًا أتى أمجد وزارني !!!، أنا أشعر بأثني
سمعت نبرة أحدهم يهمس لي بأنه أمجد!!، هل
حدث ذلك بالفعل !!!"

كان يرجوها بعينيه أن تؤكد على حديثه، يضم
شفتيه بضعفٍ مراقبًا تقلبات وجهها بترقبٍ
وجل، ينتظر نبرة سعيدة تبخره بها أنه ولحسن
حظه قد أتى أمجد إلى هنا وعلم ما حدث له،
يتمنى ويدعو داخله أن يكون هذا صحيحًا فلو
كان محض ترهات سيبأس !!!
وبغته..

تعالى صوت طرقات على باب الغرفة، ثم ظهر
طبيب شاب على شفتيه ابتسامة هادئة، يقترب
منه بخطوات ثابتة بينما تبتعد مليكة عنه
بصعوبة وكأنها تسلخ نفسها سلخًا عنه...



عيناه كانتا ملعقتان بها بتساؤل فهمته، ولم
تستطع أن تمنحه جوابًا، وحين يأس منها وأكله
الترقب بينما الطبيب يتابع عمله وهو يسأله
بعض الاسئلة، أشار سليم إلى الطبيب ليقترّب
وسأله بصعوبة :

-أنا أشعر بأنني سمعت شقيقي أثناء غيبوبتي
يناديني ويقول ليّ، أنا أمجد!، هل هذا صحيح
أم ماذا ???

ابتسم الطبيب بتفهم وهو يرمق الزوجة بنظرة
أخبرتها أن ما فعلته صحيحًا؛ فالأخيرة رفضت
أن تؤكد له ما قاله دون إذن الطبيب الذي ربت
على ذراع سليم بهدوءٍ وأوماً مؤكدًا :

-صحيح !



واتسعت عينا سليم مبهوتًا وهو يحدق بالطبيب
وكأنه كائن غريب الأطوار، يرتفع حاجباه
بدهشة بينما خافقه يقرع كالطبول بين ضلوعه،
أصابته دهشة شديدة وشيء من عدم تصديق
يسيطر عليه، تتفرج شفتاه المرتعشتان
بصعوبة، ثم يعود ليغلقهما بارتباك وتخبط
غريب تفهمه الطبيب، فربت الطبيب على كتفه
بشيء من دعم فهو لديه خلفية عن قصتهما :
-أتريد أن تراه ؟؟؟، هو بالغرفة المجاورة لك!
-نعم !

بدون تفكير همس بها وعيناه تبرقان بدموع
تكدست عند جفنيه، يتشبث بعيني الطبيب
يرجوه أن يجلبه له، يبتسم بضعفٍ ويزدرد
ريقه بصعوبة..



أوما طبيبه له بهدوء، ثم نظر إلى مليكة نظرة
ذات مغزى فهمتها هي؛ فأومات برأسها
وخرجت من الغرفة كلها تحت عيني سليم...
أنفاسه متسارعة، فكه يختلج بوضوح، وخافقه
ينبض بعنفٍ غير محبب بحالته، يشعر بطيبه
يعدل له الأنبوب الرفيع المتصل بذراعه، يعدل
له وسادته بشيء من رفق لم يتعجب له،
ويسمعه يأمره بودٍ غريب :

لم يكن من الصحيح إخبارك بوجود شقيقك هنا
كي لا تؤذيك الصدمة أو تأثر عليك بشكلٍ
عكسي، لكن رغبتك في معرفة الحقيقة وتحسن
حالتك عن ليلة أمس جعلني أخبرك بالحقيقة،
أرجوك تصرف بهدوء كي لا تؤذي نفسك !



وقبل أن يهز سليم رأسه دون هدف، فُتِح الباب
وولجت زوجته بابتسامة صغيرة ولم تغلق
الباب فتعالت نبضات قلبه أكثر، ثانية...
ثم الأخرى..

ووجد مروان يسند جسد رجل بدعمٍ بينما الآخر
يغمض عينيه برهبة خانقة، خافقه ينبض بعنفٍ
وهاجمه دوار جديد فارتكن لابن عمه الذي
دعمه بصلاية وهو يتقدم به نحو سليم الذي
اتسعت عيناه بصدمة، تحشرجت انفاسه بصدرة
وارتعش فكه بوضوح...

لا يصدق أن شقيقه يقف أمامه الآن !
عيناه مغلقتان بشدة وحلقه يتحرك بصعوبة
وكأنه يخاف النظر إليه !



هل شعرت من قبل أن الكون بأكمله توقف من

حولك !!!

هل شعرت من قبل أن روحك التي غادرت
جسدك منذ قديم الأزل تعود لتسكن ضلوعك

بتسلل لذيذ؟

عودة الروح تطلب بسمه مرتعشة، صدمة
متوقعة، ونبضاته تتسارع في مراثون شرس..

-سليم !

هتف بها أمجد وهو يقترب منه بمساعدة
مروان، ينظر إلى ملامحه بعينين مشتاقتين
ويفعل الآخر مثله..

لم يشعر سليم بدمعته الوحيدة التي حفرت
طريقًا جديدًا على وجنته، لم يشعر بتحسرج
أنفاسه وألم صدره !



لم يشعر بأي شيء سوى الأشتياق، الشعور
بتلاحم روحه بروح شقيقه حين باغته بعناقٍ
كان جُل ما يتمناه..

شدد أمجد ذراعيه حول سليم برفقٍ، أغمض
عينيه بشدة وكنم بكاءً طفولياً أجهش به سليم
فخرج كلا من الطبيب ومليكة ومروان من
الغرفة..

وحين خلت الغرفة إلا منهما، تعالى صوت أمجد
باعتذارٍ متحشرج وهو يضم شقيقه أكثر..
"أنا آسف، آسف!"

والشقيق الآخر في حالة من الصدمة إلا من
دموعه، جسده الذي ارتعش بين ذراعي توأمه،
وخافقه الذي يهدر بعنفٍ خطير!



توأمة يحتضنه بأشتياقٍ واضح، يبكي، ويعتذر
بتحشرج باكٍ، صوت لهائه عنيفاً وخافقه يهدر
كما خافقه، عناقٌ حُرِمَ منه ستة عشر عاماً..
أعوام كثيرة تغير بها كل شيء ولم يتغير حبه
له ولو قليلاً..

لم يحمله جريرة التخلي عنه، ولم يره خائناً
تركه وفر من ساحة الحرب تاركاً إياه يحارب
كل الجهات وحده !

أيشعر الآن بالأشتياق !

، بالحنين !

، أو رُبما بالفرحة !

لا يعلم، لا يعلم سوى أنه بحضنه الآن، يرتشف
من عناقه الدفء كل دفءٍ ممكنٍ بعطشٍ شديد،
يغمض عينيه بشدة ويحاول بشتى الطرق حث



ذراعيه لعناق توأمه فلم ينجح، مال بوجهه نحو

أذن شقيقه ليهمس باختناق وصوت خفيض

”أشتقت لك أخي، أشتقت لك حد الموت،

أشتقت لعناقك الحنون يا أمجد، ستة عشر عامًا

لم أسمع بها صوتك، لم أر ابتسامتك، لم

تضمني بذراعيك، ولم انهرك أنا بسبب طبيبتك

الزائدة عن الحد، ستة عشر عامًا كنت احتضر

شوقًا لكم !!”

كان يلهث بتعبٍ واضح، جسده يرتعش

بوضوح، وأنفاسه غير منتظمة، دموعه تفرق

وجهه وقلبه ينبض بعنفٍ مؤذٍ لحالته

الجسدية...

وهو لم يكن أقل سوءًا من حالته لكن الخوف

دفعه ليبتعد عنه بغتة، يستوي جالسًا أمامه



بينما سليم ينظر إلى ملامحه باشتياقٍ واضح،
يبتسم، ويغص حلقه..

تزداد كثافة دموعه على وجهه وهو يرى أمجد
يميل نحوه ليقبل جبينه، ثم كفه المستكينة
بخنوع...

يربت عليها بحنانٍ افتقده طوال السنوات
الماضية، وتتفرج شفتاه المرتعشتان ليمازحه
بعبثٍ غريبٍ عليه :

- ما هذه الوسامة يا سليم ؟؟، عيناك كما هما،
جميلتان بدرجةٍ تثير غيرتي من وسامتك !
واختطف ابتسامة ضعيفة من سليم الذي كان
يلاحق ملامح شقيقه بجوعٍ واضح، يزدرد ريقه
بُعسٍ وشيء يوسوس له أنه يحلم !



أن أجد الذي يراه أمامه الآن محض حلم

تمخض من رحم أمنيته !

هو الآن أمام توأمه !

-سليم...أنا..أنا آسف، أعلم أنني كنتُ أنانيًا

وتركتك وحدك تحارب كل الجهات، اختارت

لجين ومروج ورائف وأختارت نفسي ورحلت،

حرمتك منهم ولم أحاول من قبل أن أتواصل

معك لكنني كنت أخاف أن يعرف سالم مكاننا !

تراهات !

ما يقوله توأمه الآن محض تراهات !

عن أي تخلٍ يتحدث أمام وجوده بجواره الآن !

هو حتى لا يحمله أي جريرة تدينه له...

هو فقط سعيد بوجوده جواره وأي شيء جوار

سعاده هباء منثور..



-أمجد!

بهمسٍ خفيضٍ قالها يبغى اقترابًا، فاقترب أمجد

وعيناه متعلقتان به، يضم كف سليم بين كفيه

بدعمٍ وابتسامته الحنونة تجبر سليم على

الابتسام رُغم ارتعاش نبرته :

لن تتركني مرة أخرى أليس كذلك !

-بالطبع، لن نفترق مرة أخرى..أبدًا!

بحسمٍ تامٍ قالها وهو يضمه مرة أخرى، فتنهد

سليم براحة، يرفع ذراعه ببطءٍ شديد، يحارب

وهنه ليضم جسد توأمه كما كان يتمنى دائمًا !

توأمه وعد وهو سيتمسك بوعدده بقوة..

سيرتشف حبه وحنانه ووجوده بجواره حتى

الرمق الأخير !



وفجأة اقتحم الغرفة ثلاثة أجساد فتاتين وشاب

وسيم..

امتألت الغرفة بصخب شديد، فابتعد أمجد عن
سليم بصعوبة، فتشبث الأخير به يرفض ابتعاده

عنه...

التوت شفتا أمجد بابتسامة حزينة؛ فرجل
الأعمال الناجح يخاف أن يتخلى عن أحضانه

فيرحل ويتركه !

ببساطة !

سليم في هاته اللحظة ليس سليم القوي،

صاحب الطبع الحاد والنظرة القاتلة !

سليم الآن طفل أفترق عن توأمه بأقسي

طريقة...

-لا تخف، سأعرفك على أخوتنا !



همس بها وهو يربت على ظهره برفقٍ، ويقبل
جبينه..

تركه يبتعد على مضض لينقل نظره إلى الثلاثة
أجساد الواقفة أمامه بابتسامة واسعة أجبرته
على الابتسام..

نظر إلى فتاة منهما يحفظ ملامحها كخطوط
يديه، تبتسم له بحنانٍ يعرفه جيدًا :

-لجين!

كان همسه خفيضًا جدًا لم يسمعه أحد سوى
أمجد، نظر أمجد إلى لجين ثم هتف لها مشجعًا
:

-هيا اقتربي يا لجين، لقد تعرف عليك!

ولم يتصور أن تندفع نحو بهذه السرعة

لتحضنه بحنانٍ أم رُغم فارق السن بينهما!



عانقته بدفءٍ فتهدٍ مغلقًا عينيه، حاوئها
بذراعٍ واحدٍ بوهنٍ، ابتعدت عنه بهدوءٍ لتقبل
جبينه باحترامٍ كبيرٍ فابتسم لها، همس بابتسامة
حنونٍ وهو ينظر إلى وجهها :
-لقد تغيرت كثيرًا يا لجين، أصبحت عروس
رائعة !

-وأنتٍ وسيمٌ كما كنت !

-ابتعدي قليلًا يا لجين ألا يوجد غيرك !

كان الهمس الحانق من الأخت الأصغر، فابتعدت
لجين تاركة لها المكان وهي تضرب كتفها
برفقٍ..

نظر سليم لها بابتسامة اتسعت أكثر حين ألقته
نفسها بين أحضانه تضم جسدها له كهريرة
مطبعة، سلبت قلبه !



ببساطة !

تلك الفتاة الصغيرة سلبت قلبه !

-لقد أخبرنا أمجد أنك تشبهه قليلاً، لكنني الآن

أشعر أن التشابه بينكما كبير جداً !

وكما فعلت لجين فعلت هي، قبلت جبينه

باحترام، ومالت نحو وجنته تهديه قبلة رقيقة

وقبل أن تبتعد سمعته يهمس بصدقٍ به لمسة

شجن :

-بسم الله ما شاء الله، جميلة جداً تشبه أُمي

رحمها الله !

-أخبرتها بهذا مراراً ولم تصدقني علَّها تصدقك

أنت الآن!

-ظالما هذا رأي سليم، فلن أعترض!



قالتها مروج ببسمة خجول وهي تقبل رأس
سليم مرة أخرى، ولم يجد أي رد سوى
الابتسامة التي لم تفارق وجهه منذ دخولهم!
دخولهم المبهج، بعث بقلبه الراحة وفجر ينابيع
الحنان بروحه فأغرقتها بعد طول جفاف!!!
- هكذا إذا، تثقين به هو الآن!

بمزاحٍ من قبل أمجد ناوش مروج التي ابتسمت
له بشقاوة رُغم شحوب وجهها وحزن عينيها...
ابتسم الجميع، ضحكوا، ولم يُبدِ رائف أي رد
فعل، لم يقترب ليعاقنه، ولم يبتسم، فقط تعلقت
عيناها بجسد شقيقه على الفراش..

لاحظ أمجد تجمده مكانه فزفر بسخط، أما
الفتاتان فقد دفعتا جسده بصعوبة والتهاف
المزاح من قبلهما خرج في صوتٍ واحد



"وهذا الكابتن رائف!، سيكون نجم الكرة بإذن

الله!"

ابتسم سليم لهما بحنانٍ، ثم عاد بنظره إلى

رائف الذي تقدم نحوه بإرتباكٍ خجول توسعت

لأجله ابتسامة سليم!

ذاك الولد ليس سهلاً وهذا أول ما لاحظته عليه!

يتقدم خطوة..

ويتراجع اثنان..

يتقدم..

يتراجع...

وحسم حيرته حين مال نحو رأس سليم ليقبلها

باحترامٍ كما نبرته:

-الحمد لله على سلامتك يا أخي، سلامتك!

-عانقتني يا رائف!

تمنى له السلامة، فطلب منه عناقاً دون انتظارٍ
ليحسم ترده...!

وباغته، لا ينكر أن سليم باغته بطلبه الصريح،
لم يستطع الرفض رُغم توتره؛ فهو وبصراحة
يريد!

وعانقه بدفء، برفقٍ، ولم يخلُ عناقه من توتر
تفهمه..

ربت على كتفه بوهنٍ، وهمس قرب أذنه بمزاحٍ
غريب وكان روحه ترفرف في سماء السعادة :
-رجلٌ، أنت الآن رجلٌ وسيمٌ، لم أكن أتوقع أن
أراكم وأنتم بهذا الجمال، هنيئاً لك يا وسيم!
السعادة مفهومٌ صعب حصره في عدة كلماتٍ
محشورة بين سطور سرد كاتب بسيط!



السعادة أن تبتسم دون سبب، ترفرف روحك
براحة، وتزفر بهدوء فمن حولك هم أهلك ومن
افترقت عنهم !

السعادة أن تشعر بعينك ترقص بحيوية !
السعادة شعورٌ حين يسيطر عليك، تكون في
ذروة راحتك النفسية !

وهو الآن حوله زوجته، ابن العم، واخوته،
وتوأمه !

هو الآن سعيد نقطة وانتهى السطر وأغلق
الماضي على ذمة السعادة !

أغلق هاتفه بتردد وهو يعدل من وضع جلسته
في الطائرة مغادرًا أرض الوطن !



لم يذهب ليراها ولن يفعل، سحق قلبه وغادر
تاركًا كل شيء خلفه، كان يبغى رؤيتها لكنه

وببساطة ارتعب !

ارتعب أن يراها فيترجع عن قراره وهو لا يريد
بقاءً في أرضٍ أريقت دماء قلبه عليها..

غادر بقلبٍ واجف يرجوه بقاءً لن يقوى عليه،
غادر وترك من أحبها خلفه...

غادر ليرمم كسر عميق بقلبه سيتطلب منه

جهدًا شديدًا !

غادر ودموع اختيه ترافقه، نظرة عمه

الحزينة، وعناق ابن العم الحزين رُغم

ابتعادهما عن بعضهما..

غادر وكفى !



الطائرة تحلق في السماء كما أفكاره التي
غادرت نحو ذكريات انتفضت من كبوتها
لتضغط على جرحه دون رحمة !
"لماذا تسير بهذه الطريقة؟؟؟، ما هذه
الميوعة، أكره الدلال والميوعة أن كانت هذه
صفات تظهر لشخصٍ غيري"
كان وقتها يحترق من فرط الغيرة والحنق...
"بالله عليك ماذا تفعلين؟؟، لماذا تتأوهين أنا لا
أعرف، كما أن مظهرك المرهق وميوعتك تلك
تجعلك فريسة سهلة في طريق غير آمن
وسيارة ضيقة ركبتاي محشورتان بظاهر
الأريكة التي نجلس خلفها..منك لله"
وتلك كانت دعابة حانقة حين جاورها بالسيارة
الجماعية كي يحميها..

ومشهد تلو مشهد والذكريات تمارس سطوتها

على قلبه المرهق..

يغمض عينيه بتعبٍ، و أرخى رأسه على المسند

بارهاقٍ واضح !

يزفر، ويتهد واليأس يسيطر عليه، قلبه يئن

وصورتها لا تغادره..

يهز رأسه بعنفٍ لا عنأ نفسه بصوتٍ مسموع :

-اخرجني من رأسي، لماذا تلاحقني حتى بعدما

غادرت وتركت لها كل شيء !

"لأنك تحبها والفراق ليس هو الحل الوحيد!"

صوت انثوي رقيق اقتحم خلوته بوقاحة لتجيبه

على سؤاله الذي سأله لنفسه، اعتدل في

جلسته وأدار رأسه بعنفٍ كما نبرته التي

افتقدت لكياسته المعروفة :



-نعم !!!-

ونال ابتسامه رقيقة، نظرة لطيفة، ونبرة بها

من الرقة ما يسيل لها لعاب أي رجل :

-أقول لك أنك تحبها؛ لذلك فهي تطاردك حتى

بعدما غادرت البلد !

ولو كانت تظن أن يخضع لرقتها فهي واهمة،

بفضاظة أجاب مانعاً أي تدخل متطفل :

-شكراً جداً لتفسير سيادتك !

واتسعت ابتسامتها الرقيقة باستفزاز حتى كاد

يحطم لها رأسها :

-لا عليك، أردتُ فقط أن انبهك لتلك النقطة علك

تصمت فرأسي تؤلمني !

وكاد يفقد كل تهذيبه معها لكنه تماسك وزفر

بسخطٍ ليعود ويغمض عينيه تحت أنظارها !



ثانية..

ثم الأخرى، ووجد نفسه يعتدل في جلسته مره
أخرى، ينظر إليها بحاجبين منعقدين بحيرة كما
نبرته :

-كيف عرفتِ أنني أحبها !، وكيف علمتِ من
الأساس أنني أتحدث عن حبيبتى !!!

تلك الابتسامة الرقيقة التي اعتلت شفثيها
اجتذبت نظرة لثوانٍ لم تطل وهي تجيبه بهزة
كتف بسيطة وحالمية بحتة :
-ابتسامتك الحزينة، تهديدتك البائسة، وجملتك
الساخطة عن انثى تطاردك صورتها حتى وأنت
تهرب !
-أهرب!!!



بدهشة خالصة قالها، وبنفس الابتسامة
وضحت، فسرت، وفنّدت له الحقيقة المجردة :
-نعم تهرب من حصار مشاعرك، أو رُبما تهرب
لأنك تخشى المواجهة !!!
مثيرة للدهشة!

تلك المرأة مثيرة للدهشة، تدخلها الغريب،
تفسرها الذي ربما يحمل بعضاً من الحقيقة،
وابتسامتها التي لا تفارق ثغرها !
-أنتِ لا تعلمين أبعاد القصة من الأساس !
-ولا أريد أن أعلم !

هتفت بها باترة، حادة، بها لمعة شرسة بعينيها
خبت وراء رقبتها الغريبة، ارتفع حاجبه
بدهشة، والتوت شفتاه بشبه ابتسامة ساخرة :
-وأنا لم أكن لأخبرك بشيء من الأساس!



هل يعاندها بطفولية أم الحوار راق له !!
-انا فقط أريد أن أخبرك بأنك تحبها يا أستاذ....

-إياد !

بترت جملتها بحثًا عن اسمه، فأجابها بجفاءٍ لم
تهتم له وهي تتابع :

-حبك لها ظاهرًا حتى في نبرتك الساخطة يا

أستاذ إياد، نصيحة مني لا تتخلى عنها،

محظوظة هي بحبك لها !

ارتفعت شفاته بابتسامة ساخرة وهو يعود

ليغمض عينيه مرة أخرى دون أن يضيف حرفًا

واحدًا...

وابتسمت هي الأخرى مضيفة بلطافة !

-اسمي ندى بالمناسبة !

ولم تتل سوى زفرة ساخطة، نظرة سريعة

ونبرة باردة :

- أهلاً بك !

وصمت !

وصمتت هي الأخرى مكثفية بهذا القدر من

تدخلها البغيض...

شردت وهي تراقب السحب من النافذة

المجاورة لها...

بينما هو فقد عادت صورتها تطارده، فيزم

شفتيه بقلة حيلة وقلبه يردد بحسرة !

"ماذا كان سيحدث لو كانت أحببتي !"

سؤال سيظل يسأله لنفسه حتى ييأس..

يحتضر قلبه بنار الشوق، وتركض روحه بين

غياهب فراق تتمنى العودة!



منزل بسيط يعج بالصخب، ابتسامة رقيقة،
وأخرى حنونة...

الأخت الصغرى شقية، تناوشة دائماً بعدما قرر
البقاء معهم بمنزلهم البسيط فور خروجه من
المشفى !

حنان الأخت الأكبر يربت على جروح سببتها
وحدثه حتى أصبح الشفاء مستحيلاً !
سعادته لا توصف وهو يجلس وسطهم، تلك
تمزح بشقاوة، والأخرى تجيب برزانة، الأخ
الأصغر متغيب عن المنزل منذ أسبوعين تقريباً
فلديه مباراة مهمة غداً سيحضروها كلهم !
زوجته تلازم غرفتها دائماً ولا يعلم السبب !

-سليم سليم...انظر إلى الهاتف؛ أريد أن التقط

صورة لنا!

إثر هاتف مروج اعتدل في جلسته بابتسامة
واسعة، يحتضن كتفها برفقٍ حانٍ، ينظر إلى
الهاتف بابتسامة سعيدة اتسعت أكثر حين مالت
نحوه لتقبّل وجنته وتلتقط صورة تلو صورة
وهو لا ييأس، لا يعلم لم تعلق بها هي بهذا
الشكل بعد ثلاثة أسابيع من وجودهم حوله،
رُبما لأنها أصغرهم وللأصغر دائماً كل الحب
والدلال...

ولجين، تلك النسمة الرقيقة، تؤثر به بغريزة
الأم التي تمتلكها، تهتم به بشكلٍ زائد عن الحد،
وأمجد يكاد يلتصق به بدافع الخوف !



يخاف أن يستيقظ في يومٍ فيجد كل هذا محض
حلم !

سعادته، فرحته، وابتسامته التي لا تفارق
وجهه ودفء العائلة، يخاف أن يكون كل هذا
محض تخيلات !

وجد زوجته تقبل عليه بعباءة بيته واسعة
ووشاح وضعته بإهمال حول رأسها، تعرج
بوضوح وذراعها ملفوفاً بضمادة بيضاء بعدما
تخلت عن جبيرتها..

جلست على مقعد مجاور تاركةً اختيه بجواره..
نظرت له بارتباك؛ فابتسم لها

-لماذا تجلسين بالغرفة دائماً يا مليكة؟؟؟
كان السؤال ودوداً من قبل لجين؛ فابتسمت لها
مليكة بودٍ وأضافت بشيء من حرج غريب :



-أحببتُ أن أترككم على راحتكم مع سليم،

فلازمت غرفتي !

-أنا ومروج أخوتك البنات يا مليكة لا يجب

عليك أن تتعزلين عنا هكذا، ابقِ معنا دائماً، لا

تختاري الأبتعاد حبيبتي، نحن عائلة واحدة الآن

لا تخجلي منا، كما أنكِ ابنة عمّتنا !

أومات مليكة بابتسامة صغيرة، ثم اطرقت

رأسها أرضاً بتشتت أثار الريبة لسليم، فأشار

لأختيه بأن يتركاه معها؛ فرحلوا وبقت هي

مطرقة الرأس !

-تعالى واجلسي بجواري يا مليكة...

جلست بجواره والتشتت يرسم خطوطه على

وجهها، نظر لها سليم بغموض، ثم احتضن

كتفها قائلاً بتساؤل وهو يداعب وجنتها برفقٍ :



-ماذا بك يا مليكة!، أشعر بأنك تريدني قول

شيء!

ازدردت ريقها بتوتر زاد من توجسه أكثر،

تنفرج شفتاها بارتباك، ثم تعاود غلقهما،

والقلق بداخله يتفاقم أكثر، قلقٌ بترته هي

بمقصلة كلماتها :

-أريد أن أذهب إلى أمي، جدي مريض وهي لا

تريد تركه وأنا لن أبقى هنا بدون أمي!!

انقلب وجهه بتعبيرٍ أسود، منحها نظرة

غاضبة، وتعالق انفاسه وهو يردد رداً باتراً لا

يقبل أي نقاش :

-لا!

-لماذا لا؟؟؟، كلما طلبت منك أن أذهب إلى

البلدة كي أكون بجوار أمي يكون ردك الرفض،



يمكنني الذهاب وحدي بالمناسبة وسأعود في
نفس اليوم!، لقد فعلتها مرارًا وأنت مريض!
فلماذا تمنعني الآن!!، أنت الآن بين أخوتك
وأنا أكاد أموت خوفًا على أمي!!، هذا حقي!
تطلب، وتغضب، وصوتها يعلو شيئًا فشيئًا
دون أن تشعر، وعيناه تزداد قتامة وهو
يحدجها بغضبٍ حاول كبته وهو يضغط على
كتفها:

-ملیكة اخفضي صوتك، وبخصوص ذهابك
وحدك إلى هناك لن يحدث، عمتي سأخصص
لها سيارة تأتي بها إلى هنا لكنها ترفض، وأنتِ
تعاندين معي وتصممين على الذهاب إلى البلدة
وحدك، قلتُ لا!



ورغم نبرته التي اشتدت في نهاية جملته،
نظرته التي بثت بقلبها الرعب، وملامح وجهه
التي انقلبت إلى النقيض، إلا أنها شعرت بحزنٍ
غريب يسيطر عليها، ولم تستطع معاندته أكثر
فهي لم تعد تلك التافهة التي تختلق المشاكل من
اللاشيء، ستصمت ولن تحدثه مرة أخرى رغم
امتلاكها لحق الطلب!

وجدها توميء بخنوعٍ ضايقه، تبعد عينيها عنه
ويتهدل كتفاها بياس تحول إلى سعادة طفيفة
حين أتى صوت توأم

من خلفه بهدوء

"سأذهب أنا معك بما أن حالة سليم الصحية لم

تتحسن بعد!"



التفت سليم له بنظرة غامضة بينما اتسعت

ابتسامة مليكة وهي تشكره بامتنان شديد :

-شكرًا لكّ جدا يا أمجد !

ابتسم أمجد لها بهدوء دون أن ينظر لها، فقد

تعلقت عيناه بعيني شقيقه بنظرة ذات مغزى،

نظرة حملت غموضًا غريبًا !

؛ حيث سليم يفهم توأمه، يفهم غرضه من

مساعدته لمليكة !

فابتسم !

أنت تظن أن ورقة الماضي مُزقت، هنيئًا لكّ

أنت واهم !

=====

حين العشق؛ تصبح الأنثى كائن خنوع، رقيق،

يبغي مشاعرًا تغرق بها !



و حين الجهر به؛ تختار طريقة ملتوية!
وهي اختارت أكثر طريقة ملتوية لتعترف له
بحبها..

رسالة صغيرة، وكلماتٍ تخبره بمشاعرها،
مشاعر صادقة نسقتها في جملة واحدة علَّ
بطلها الهارب من حبه لها يعود، فقد اشتاقت
وجوده في محيطها وبشدة!

"لا أعلم لماذا انتظرت كل هذا الوقت لأقولها،
لكنني سأقولها الآن بكل صدقٍ، إياها أنا
أحبك!... عُد أرجوك!"

ولم تتردد، ضغطت على زر الأرسال وخافقها
يهدر بعنفٍ، تغمض عينيها والتوتر يكاد
ينهشها نهشاً..

وفجأة!



شعرت بأن قلبها قد تهشم إلى أشلاء !

لقد رأى الرسالة !

رآها ولم يرد عليها !

وانتظرت، انتظرت دقيقة، وأخرى حتى أصبحت

الدقيقة ساعة..

ساعتين !

ولم يرد !

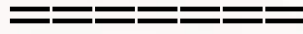
رآها ولم يرد !

ولم تستطع كبح دموعها أكثر، بكت كما لم تبكي

من قبل !



لا تعلم أهذا دلال فتايات أم خوف عاشقة!!!!



الخاتمة



قالوا لها يوماً أن جحيم المرأة قلبها؛ حين
الحب تتعثر كطفلٍ يحبو نحو طريقٍ وعر،
تبتسم، وتثيرها لذة التجربة !
تتلبس ثوب الأنثى في غمضة عين وقلبها
المسيطر الأقوى على خيوط اللعبة..
يحرك، يأمر، وحين الجرح؛ يترك سيفه
لمنافسه طواعية ويفر هارباً !
القلب نارٌ تتلظى بها الروح بسيكوباتية
خالصة، جحيمٌ تحرقك حممه حين الحب !



، العشق !

والمرأة تعشق المجازفة، مُغرمة هي باهتمام

رجل، ابتسامته التي يخصصها بها، وغيرته

عليها !

تكسر كل حاجزٍ وتتخطى القواعد لأجل بسمة !

همسة !

ونظرة عاشقة تمارس موهبتها في رتق ثقوب

قلب انفصمت حين الجرح !

تتعثر، وتعاود السير نحو مسرح الحب !

تبغي دورًا بطوليًا، وتفتش عن سيناريو حالم،

بطل وسيم، ونهاية سعيدة خطها كاتب فوق

سطورٍ قليلة يعلن نهاية أسطورة حب !

تعتلي خشبة المسرح، ترتدي ثوب البطلة،

وتؤدي دورها بحرفية تحسد عليها !



يُصفق الجمهور، ويتعالى الصياح، وتنتشي

البطلة في انتظار بطلها !

ثم ماذا ؟

لقد تخرى البطل عن ثوبه، تخرى عن سيفه

بحرب الحب وأختار فوج الأبقين !

وتتهار البطلة، تبكي، تمزق ثوب البطولة،

وتلعن كاتب أختار لها الجرح، الألم، والبكاء

على حب راح أدراج الرياح !

ويسأم الجمهور، يتأفف المتابع، ويتخرى

المخرج عن دوره..

يرحل الكل، وتبقى هي على خشبة المسرح

تنعي حظها !

تحترق بجحيم قلبها وتصرخ روحها ألمًا !



والعقل يمارس سطوته على قلبٍ مُرهق،

يخبره أن اللهات خلف الحب أشبه بالعبثِ

بقفير النحل !

والعبث بقفير النحل ما هو إلا محض سفه

يتمخض من رحمِ الحب وما بعد الجرح يعلن

رحم الحب عقمه !

يحزن، يتألم، وتتسابق الدموع على وجنتي

البطلة، بسخونتها تحترق وجنتيها وبرودها

ترتعش روحها!

صوت عالٍ صاخب، هتاف جماعي بتسجيل

هدف وصاحب الهدف أخيها الماهر، هتاف

حماسي من أخويها أو بمسمى آخر التوأمان...



ابتسامة ناعمة على شفتي شقيقتها الحنونة،
ونفس الابتسامة رُسِمَت على ثغر زوجة أخيها

!

وهي !

كائن بأس منتفخ العينين، شاحب الوجه، فاقد
للحياة...

تراقب المباراة من المدرج بنصفِ ذهن وإن
كان ذهنها برمته تائه بين غياهب روحها !
مرّ يوم منذ أعترفت بحبها ولم يجيبها !
رأى رسالتها في نفس اللحظة ولم يجب !
تجاهل، سحق قلبها، وضرب بأعترافها عرض
الحائط غير أبها !

حطم قلبها إلى شظايا وتابع طريقه فوق
شظاياها !



بجوارها كائن لزوج، يُدعى.....!!!

يُدعى ماذا ؟

يا الله !

أنها حتى لا تتذكر اسم صديق أخيها الذي

وعلى ما يبدو مُعجب بها !

يمازحها بأدبٍ، يهتم بها، ويسألها إن كانت

تشعر بالراحة بجلستها أم لا !

كائن فضولي، به لمحة فظاظة، ولمعة بغیضة

بعينيه، رُبما ما يمنعها عن كي نظرتة بلسانها

هو سليم وأمجد فالاثنان يكادان أن يخنقاه !

-مرووووج !

هتاف مُستفز، وهي لا تطيق حتى أنفها، نظرة

لا تخلو عن إعجابٍ بها، ونبرة عالية كي

تسمعه؛ فصخب التشجيع حولها مرتفع !



-خير !

-أين شردتِ ؟

ردت هي بمللٍ وسأل هو بوقاحة عن سبب

شرودها، ولم تتحمل أكثر، ذاك الرجل

يستفزها، وهي تبحث عن تفرغ به غيظها

والمها بهتافٍ حاد، لم يخلُ من أسلوب فظ

عديم الذوق وأحياناً قليل الأدب !

-وما شأنك أنت ؟ ها! ما شأنك منذ جلست

بالمدرج المخصص لنا وأنت لا تتوقف عن

الثرثرة!، ارحمني !

هي وقحة، لسانها يسبق تفكيرها، أنثى ذاقت

نزف قلبها طواعية، تتألم دون أن تمتلك قوة

على الصراخ، وتغضب فيكون الضحية ذاك



السمح الذي لم يتأثر قيد أنملة وهو يبتسم لها

بسماجة ويجب !

-جميلة جدًا وأنتِ غاضبة!

"وحياة والدتك الغالية!"

تحقق به بغضبٍ وتسبّه بكلماتها، تتسع عيناه

أمام عينيها وهي تجيب غزله بوقاحة استرقت

منه نظرة مبهوتة وهتاف مندهش بينما سليم

يتابع الحوار متأهبا لسحق فك ذاك السمج !

-نعم !

يمثل دور "المتخلف" في مسرحية مبتذلة أو

رُبما يستنكر ما قالته، يتعجب؛ فتجيبه هي

بتأكيدٍ بينما عيناها تبرقان بشراسةٍ :

-كما سمعت بالضبط؛ فبعد إذن سيادتك أحترم

نفسك !



ولم تمنحه فرصة إضافية ليعتذر أو يتابع
موهبتة الثقيلة في الغزل، قامت من مكانها
والشرر يتطاير من عينيها وأخوتها تأهبوا
لمغادرة المدرج؛ حيث المباراة أنتهت بفوز
فريق رائف..

تحرك أمجد ومعه أختيه وزوجة أخيه بينما
تبقى سليم ليميل نحو ذاك السمج، يربت على
وجنته، ويهتف أمام عينيه بفضافة ترافقها
نظرة مُرعبة :

-أتعلم..لولا ردودها على قلة تهديبك؛ لكنت
الآن بالمشفى تعالج عظام جسدك !
وتتمة تهديده الفظ، ابتسامة باردة، نظرة
جامدة، ورحل تاركًا خلفه الرجل الذي نظر إلى
أثرهم مغمغماً بذهول



"ما هذه العائلة المجنونة!، حتى رائف

صديقي يعاني من نفس الجنون!"

وعلى الجهة الأخرى كانت مروج تحتج بتذمرٍ

:

-أنا أريد العودة إلى المنزل، أي مطعمٍ هذا الذي

سنجلس به الآن !!!

وتتال بسمه غامضة من قبل أمجد ولجين،

وامتعاض واضح من سليم وهو يدفعها برفقٍ

يناقض كلماته :

-تحركي وأنتِ صامتة يا بنت، سنذهب إلى

هناك لأجل زيادة نسبة السكان بالبلد !

ولم تفهم مكنون جملة، استاءت، تدمرت،

وكانت تنوي العودة وحدها إلى المنزل؛ فهي

ليست في مزاجٍ رائعٍ في هاته اللحظة، وأمام

إصرار أخوتها رضخت واليأس يسيطر على
ملاحها بوضوح !

=====

لعبة بسيطة، قواعدها خُصصت لتناسب كل
بشري على وجه الأرض..

قوانينها حياة، وعقابها موت !
حماسٌ من نوعٍ آخر يسيطر على روحك؛
فتنتشي !

تفتش عن متعة، صدق، أو حتى حياة !
لعبة إن لم تخوضها طواعية؛ فستقع في
غرامها رُغم أنفك !

لعبة الحب !
بسيطة، تفتقد للتعقيد، وتضم بين ضلوعها
مشاعر متشابكة، قصة حب اسطورية،



وسيناريو مبتذل حيث البطل تزوج من البطلة

ومنها قبلة النهاية !

قصة مبتذلة، تكررت، وتمنى هو أن يكون في

نطاق ذاك التكرار !

خاض اللعبة دون أن يشعر، تائه هو بين

غياهب قلب يناجي الديار الزائلة !

يتألم، يبكي، ويبني أوثان الخوف في معبد

روحه !

يفكر، ويفنّد ويستاء !

لم لم تحبه !

ماذا ينقصه ??

والسؤال الأخير خالٍ يا سيدي من أي غرورٍ

ذكوري، بل هو ملطخًا بشيء من ألم لا يُحتمل

!

يفتش في قصته عن حبة وردية، نهاية
سعيدة، وأعتراف سيرم صدع غائر بقلب

متألم !

وغاص في بحر أفكاره مناطحًا موجاته، يعافر،
يتشبث، وبقشة الأمل تشبث...

الشوق يقتله، يتلذذ بألم قلبه بسيكوباتية

خالصة..

يغمض عيناه بتعبٍ، يتنهد، يزفر، ويميل برأسه
إلى الأمام والملل يقتله..

دقيقة ثم الأخرى، ووصلت له رسالتها !
ارتبك، اعترته دهشة رهيبة، خافقه يدوي بين
ضلوعه بشكلٍ مرعب، ابتسم للحظة، وعاود
عبوسه مرة أخرى !

أصابته لوثة، جُنَّ وكان على وشك الصراخ

فرحًا

!

وفجأة وجد نفسه يغلق هاتفه، يتجاهل

الرسالة، ويتجاهل خافقه المجنون، وقرر !

قرر رُغم الحرب التي تدور رحاها بين جنباته

!

حين العشق؛ يفقد العاشق عقله، تصيبه لوثة،

يضرب بالمنطق عُرض الحائط وقرر العودة !

تدفعه قوة الحب، يشجعه نبض خافقه، وعقله

في هاته اللحظة خارج المعادلة !

وها قد عاد !

يراقبها من زاوية خفية عنها، تبتسم لشقيقتها،

تداعب توأمه، وتبتسم لشقيقتها، وفي لحظة

يغفل عنها الكل تبتئس، يعترني ملامحها حزن

سافر...

خطوة..

ثم الأخرى..

ووجد نفسه يقف خلفها مباشرة، نظرت له
لجين بصدمة مصطنعة، يبتسم له أمجد بخبث،

ويحدجه سليم بامتعاض طفولي...

-لماذا هذا الصمت المفاجئ!

سؤال متعجب، نظرة متوجسة، وشعور غريب

يداعبها، ينعقد حاجباها بتوجسٍ وجل من

صمتهم المرعب، تنظر إلى أمجد بتساؤل؛

فيتجاهل !

"ألن ترحبي بيّ يا مس مروج!"



همسٌ مسموعٌ داعبٌ اذنيها، شهقةٌ خافتةٌ
انفلتت من بين شفثيها وهي تلتفت خلفها حيث
صوت إياد الذي ابتسم لها بمشاغبة بينما هي
تنظر إليه بذهولٍ :

-إياد !!!-

-نعم هذا أنا !

يمزح بعبثٍ لم تفهمه، ابتسامته تزين ثغره،
نظرته تخبرها سرًا عن شوقٍ يقتله..
نبضات خافقها تتراقص بجنونٍ، عيناها تبرقان
بوضوح، وشيء من ارتباك خجول سيطر
عليها وهي تبعد شعرها عن وجهها والهمس
خرج متعثرًا بثوب الخجل :
-لِمَ أتيت؟؟؟.. أقصد كيف أتيت !



وتتال بسمه صغيرة، نظرة حنونة، وهتاف
مازح ربت على قلبها وركل حزنها خارج كادر
المشهد :

- ما هذه الاسئلة الغريبة !، أتشعرين بعدم راحة
لوجودي هنا !!!

لو يعلم بما تشعر به الآن لما كان ليقول ما
قاله، تعلقت عيناها بعينيه، ابتسمت الشفاه،
وتولى الخافق مهمة الفرحة، الدهشة، وعدم
التصديق !

شيء من تسمّر أصابها، تشتت، أو ربما
وجوده باغتها !

رغم السعادة، جنون خافقها، ارتباكها
الخبول..
صمتت !

تفتش عن حروفٍ، عن جملة..

عن كلمة !

ولم تجد !

وهو لم يرحمها، راقبها والابتسامة تزين

شفتيه، ينتظر كلماتها، نبرتها، وابتسامتها..

يتشبث بشيءٍ من برود لذيذ..

مستمعٌ بخجلها وكأنه مذاق رائع كما اعترافها

الذي احتجزته شفتاها فقررت اختيار طريقة

ملتوية..

وهو تجاهل، وقرر الهجوم المباغت..

فقائدة المعركة لا تلعب بشرفٍ، والفوز سيكون

له !

"ألن تنتهي فقرة الحب هذه ؟؟؟، تحشمي يا

بنت !"



هتاف ممتعض من قبل سليم قطع لقاء المُقل،
التحامها، وبتر ابتسامة مروج، تنتفض بفرع،
تجلس مكانها والخجل يسيطر عليها حد
الاختناق، تطرق برأسها أرضاً وقررت تمثيل
دور الغباء في موقفٍ يتطلب هروباً من ذاك
المحيط المُربك !

ويبتسم الأخ بسخرية لاذعة، يرتفع حاجبه
باستفزاز، والنبرة تحمل شيئاً من غيرة أخوية
:

-خير يا أستاذ !، ألا يوجد أي احترامٍ لنا !!!
-سليم !

هتاف موبخ من أمجد ردع الغاضب بطفولية،
بينما المتهم بعدم الاحترام ابتسم، احتل المقعد
المجاور لمروج الغارقة بين موجات الخجل..



تزدرد ريقها بصعوبة، تسحب نفسًا عميقًا
وترجو ثباتًا لقلبٍ لم يتوقف عن الصياح فرحًا،
سعيدًا، وفراشاتها الحالمة تحلق في سمائها
الوردية !

-حسنًا سيد سليم، دون أي ديباجات فارغة، أنا
أريد ردكما على طلب زواجي من مروج !
من قال أن التريث هو الوسيلة الأفضل
للوصول إلى حلٍ مرضٍ !

واهمُّ من قال أن التريث هو سمة المحارب !
محارب مثله، يهاجم بغتة، يقتنص الفرصة من
فم الحياة، ويغتصب السعادة رُغم أنفها !
محاربٌ مثله لم يتخلَّ عن سيفه حتى لو قُطعت
يده!



حرب الحب شرسة، تطلب عزيمة، قلبٌ جاحدٌ

لا يأبه بأي شيءٍ سوى نيل ما يريده !

وهو نال وسيرتشف حبها حتى الرمق الأخير !

-الرد ليس متوقفًا عليّ أو على سليم، الرد

ستحدده مروج !

توجهت الأنظار كلها نحو مروج التي كادت أن

تغوص بمقعدها، مرتبكة، خجلة، تتعثر حروفها

على شفثيها؛ فتحتجزها خلفهما دون رغبةٍ في

الحديث !

، التفوه !

، أو حتى إلقاء كلمة "موافقة" على مسامعهم

!



المرأة حين الارتباك؛ تفقد لسانها قرباناً
للخجل، تتخلى عن قلبها بجبنٍ وتفتش عن
تعنيفِ العقل، تشجيعه، أو ربما دعمه !

-مروج !!-

والهتاف كان صاحبه إياد، أربكتها النبرة،
آلمها تردهه وكأنه يخشى رفضها رُغم
اعترافها له بأنها تحبه !

-موافقة !-

همست بها بتلعثم، ارتباك، عيناها مغمضتان
بقوةٍ والخجل يحرق وجنتيها، خافقها يبعثر
نبضاته لينير عتمة روحها..

يربت على خوفها، قلقها، ويمنحها صك

السعادة !



وابتسم إِياد، برقت عيناها، وخافقه ينبض بعنفٍ

مؤلم؛ حيث القلب الذي غادر وطنه والرماد

يغرق روحه، عاد ليُبعث من جديد !

نار الحب لذيدة، تنعش القلب، تطربه، وتربت

على جروحٍ عميقة؛ فتُشفى في طرفة عين !

وبين لحظة ألم ولحظة سعادة !

يُقتل القلب وتغرق دماؤه روحك، تتألم، تبكي،

وتتعي حباً ترك خلفه ندبة لن تُحْمى !

والأمل حياة، روح غادرت خافك لحظة ألم

وعادت لحظة سعادة !

الابتسامة أعتلت الثغر، بريق المُقل ينقل سعادة

خالصة !

والمنطق يبرهن أن السعادة ترياق ألمٍ تخلل

مسامك في طرفة عين !

-مبارك يا مروج، ألف مبارك يا إِياد !
حلمُ ظنه يوما عين المُحال، والآن أصبح طوع
يمينه !

والفرصة في هاته اللحظة تستحق اغتنام
بأنيابِ ذئبٍ مُطيع !
الحياة حربٌ بدايتها هزيمة، ونهايتها تتوقف
عليك أنتَ !

أما فوز أو هزيمة !
وبينهما أنتَ تحت وطأة فرصة !

=====

الأنثى حين العشق؛ تتحول إلى كائنٍ وديع،
مُطيع، مُحب إلى أبعد حد !
الأنثى حين العطاء؛ تعطي دون أن تنتظر
النتيجة !



وحين يصيبها شُح العطاء تذبذب، تتساقط
أوراقها وسط معمعة الربيع !
تتهالك، تموت روحها بين يدي الغدر !
وفي لحظة حب، نظرة عشق، وهمسة مهمة،
تُزهر مرة أخرى !
وفي دنيا العشق هي درعٌ صلب،
يحتمي خلفه خافقها، تحميه من سقطة لن
يكون بعدها عودة !
وعلى هاوية الجرف، تحارب السقوط إلى
القاع؛ وتقع !
تقع ويرتطم خافقها بأرض القاع، تتألم،
تشهق، وتفتش عن طريقٍ مُختصر ينتشلها من
ظلمات العشق !



وميزة الوقوع في القاع تتراقص أمامها على
خط من نار، تخبرها أن الخروج من القاع ليس
له سوى إتجاه واحد !

التسلق لأعلى حتى الخلاص، والأنثى في الحب
كائن ضعيف، مغلوب على أمره، غارق في
الحب حتى الثمالة !

مدمنٌ مخضرم للذة الحب، والشفاء من الإدمان
درب من الخيال !

وقاع الحب نجاة، فرصة، ولذة مُنعشة تجذبك
لترتشفها حتى الرmq الأخير!

تنتعش، تُدمن، وتصبح خبيرًا في دنيا العشق !
تتعثر، تقف، تقع، وتقف وديجافو مُمل هو نمط
حياتك !



حين تقع في الحب؛ ودع عقلك، صبر قلبك،

وربت على روحك !

وهي وقعت، وقعت وسقطتها مُحبية، بها لمسة

سعادة؛ حيث القاع هو قاع الحب !

وهي أنثى ذاقت القهر حتى التخمة، وحين

الحب؛ رحبت بسقوطها في قاعه !

تعرت من ثوب القهر، تخلت عن تقنيات

الماضي، وصنعت لنفسها ثوبًا يليق بها، ثوب

الحُب بألوانه الزاهية، مقاسه الرائع، وجماله

حين ترتديه الأنثى خلاب !

وقلبك حين العشق؛ ستقدمه إلى مقصلة التخلي

قربانًا إلى حبك، تتخلي عن عقالك وتتشبث

بثوب الحُب بقوةٍ وكأنك تريده التحامه بجسدك

!

ابتسامة صغيرة داعبت الثغر، نظرة تشع
بالأمل تصبغ مقلتيها بلونٍ رائع، نغماتٌ هادئةٌ
تتأثرت حولها لتصنع جواً هادئاً؛ حيث
الصخب في هاته اللحظة مُحرم !
قميصٌ طويلٌ التف حول قدها بنعومةٍ مُحبيةٍ،
خصلاتٌ استطالت عن سابق عهدا تتراقص
خلفها، أحمر شفاه بلونِ دم الغزال يصبغ
شفتيها..

نهر العسل بعينيها يتدفق من ينابيع لطالما
كانت تعاني من الجفافِ !
رائحة عطرها تدفي على هالتها شيء من
سكينة..

تجلس على مقعدٍ وثير بغرفتها وبين يديها
كتاب تقرأ به دون ملل..



تنتظر عودته من عمله أما الصغيرة فقد ذهبت

في سُبَاتٍ عميقٍ في غرفتها !

الابتسامة لا تفارق ثغرها، ابتسامة راحة،

بريقِ أملٍ لن تتخلى عنه..

واستقرارٍ كادت تتخلى عنه في لحظةٍ جُنَّ فيها

عقلها !

صوت مقبض الباب اختطف منها نظرة لذاك

الذي أقتحم الغرفة وعيناه تداعبان تفاصيلها

بنهم !

ابتسامته حياة، بريقٍ عينيه مُنعش، وهمسه

الخافت يضيفي حُمرَةً خجلٍ على وجنتيها وكأنها

مراهقةٌ صغيرة

"أهذا احتفال أم ماذا؟؟؟، ما هذا الجمال !"



وكفاه تحتضنان خصرها بنعومة، يميل بوجهه
لينظر إلى عينيها منتظرًا إجابتها، ترتفع على
أطراف أصابعها، تقبل زاوية شفثيه بارتباكٍ
خجول، وقبل الإبتعاد احتكر شفثيها في عناقٍ
هادئ، يضم جسدها نحوه برفقٍ حانٍ و عناقٍ
الشفاه في هاته اللحظة حياة !

-ألا يحق ليّ الدلال ولو قليلاً !، لقد أعجبت
بهذا القميص حين كنت أتسوق أنا وخالتي
رقية؛ فاشتريته !

قالتها بصوتٍ خفيضٍ والخجل يرسم خطوطه
على وجهها الرائق، يبتسم، ويداعب وجنتها
بظاهر كفه، ويعلق بمزاحٍ خبيثٍ دون أن يترك
خصرها :



-أرى أنكِ بَتِ تخرجين كثيرًا مع أُمي وتعلقتِ
بها أيضًا!، عليّ أن أخاف منكما الآن، رُبما
تدبرون ليّ أي شيءٍ من أشيائكم تلك!
وينال ضحكة خافتة، زمة شفاه بلونهما الجاذب
وحاجب مرفوع باستنكار كما النبرة :
-وهل تحسن علاقتي بوالدتك يتطلب خوفًا يا
مروان !!

تتسع عيناه بدهشةٍ مصطنعة، يضم خصرها
أكثر، ويدنو نحوها ليداعب أذنيها بانفاسه
والحروف تتسابق لتثير خافقها :
-بالطبع لا، أنا فقط أمزح معك يا قمر!
ورُغمًا عنها انفلتت منها ضحكة مرتفعة، دفعة
ضعيفة، وتبرم لذيذ كما تهكمها اللطيف :
-قمر!!!، غزلك "قديم" يا مستر!...



وابتسم، والخطوة التي أبتعدتها محاها هو
بقربٍ لا حدود له، همساً داعب قلبها بطريقةٍ
مُحبية، وكلماته تطير حولها كفراشات وردية

!

-أشهد ألا امرأة-

تجتاحني في لحظات العشق كالزّلال

تحرقتني..

تغرقني..

تشعلني..

تطفئني..

تكسرني نصفين كالهلال

أشهد ألا امرأة تحتلّ نفسي أطول احتلال

وأسعد احتلال...



كلماتُ نزار قباني تداعبها، تسترق منها
ابتسامة واسعة، نظرة دافئة، تتراقص الكلمات
بينهما فتسعد الأفئدة، تربت على جروح لن
تُحى إلا بالحب، بالغفران..

"أحبك!"

"أحبك!"

خرجت الكلمة منها، خرجت منه، وبين اختلاف
صيغة التشكيل، تجددت قصة كانت بدايتها
غرق بين موجات بحر، ونهايتها على بر
الأمان !

وجدته يبتعد عنها ببطء، يضم كفها بكفه،
وكفه الآخر يحتضن خصرها، يغمز لها بعث
كما نبرته :

-أسمحين لي بهذه الرقصة !



تبتسم بقبولٍ، يتحرك برفقٍ؛ فتتحرك هي كما
تحركه، يقبل الجبين، فيبتسم الثغر، يقفز القلب
بين الضلوع بفرحةٍ خالصة !

أسند جبينه إلى جبينها، تعلقت عيناها بعينيه،
وتحركت الشفاه لتتنقل هامسًا شغوفًا رُغم
تشتته لوهلة

"كلما سكنتِ ضلوعي، زكمت رائحة عطرك
أنفي، أشعر بأنني في حلم سينتهي بكابوسٍ
لأستفيق منه على أرض السجن الذي بقيت به
لأسابيع، هذا الهاجس يُرعيني، يُخيفني !"
تشتته ألمها، ضغط على جرحها فأغرق
روحها، وترغم نفسها بأرتشاف نرفها حتى
الرمق الأخير؛ حيث الماضي في هاته اللحظة
طي النسيان !



والموقف برمته يتطلب تضحية، تخلي عن
خجلٍ يسيطر عليها في حربٍ ستكون هي الفائز
الوحيد !

على أطراف أصابعها وقفت، تعلقت بعنقه بغنجٍ
خجول، وبتردد حسمته حين عانقت شفيتها
شفتيه وجرأتها سمّرتة، أصابته بالدهشة
لهنية، ثم لم يلبث أن جاوبها بشغفٍ ركل حزنه
بعنفٍ؛ حيث المشهد لا يتحمل أي مشاعرٍ
أخرى سوى الشغف !

عناق الأرواح أسر، مُربك للقلوب، ومُنعش
حين الشعور بالأكتمال، الالتحام، ولذة النهاية
رائعة، كنبيدٌ معتق وقع في غرامه؛ فأدمنه !



وتحول عناق الشفاه إلى التحام، قرب لا
محدود، وسباق في بحر العشق دون خوفٍ من

الغرقِ !

حين تفقد الأمل في غدٍ مُشرق؛ تذكر رحمة

خالقنا، حنانه، عطفه علينا !

وهذه حكاية بدأت بين موجات بحرٍ هائج

والنية؛ إنتحار !

والنهاية على شاطئ الأمان والنية؛ التحام

بروحٍ منحتك صك الحياة، وفرصة للعيش !

هنا قصة شعارها ألم، وفي لحظة عشق،

سعادة، ابتسامة صادقة، ذهب الألم أدراج

الرياح !

=====



لقاءً غير متوقع، سؤالٌ غريبٌ أصابها
بالارتباك، عيناها تطردان عينيها، ينتظر، يطلب
تفسيرًا وردًا حاسمًا !

"آنسة لجين، أنا أريد الزواج منك بعيدًا عن
أي موقفٍ وُضِعنا به"

والأنثى حين الحصار، ترتبك، يصيبها شيء
من لوثة، تغمض العينين، تضم الشفتين،
والعقل تم حبسه في قضية كان القلب هو
المجني عليه بها !

الأنثى كائن غير مفهوم، أحجيه مُعقدة، قلبها
رقيق، يتعلق بقشة ألم، وحين التخلي؛ يتهشم،
تنكسر روحها..



وهي في هاته اللحظة تخشى التثبيت، تهاب
التخلي، رُغم الحب، الراحة، ولسانها الذي
يصفع شفيتها لتتنقل موافقة أو تلميحًا يريحه..

صمتت، وصمتها طال، ارتباكها واضح
كالشمس على وجهها، ووجوده أمام المشفى
التي تعمل بها غير مُحبب ويعلم؛ لذا فهتافها
الحاد نوعًا كان متوقعًا !

-أستاذ يونس، هذا ليس مكانًا مناسبًا إلى
حديثٍ كهذا !، كما أن طلبك ليس عندي،
فلتتوجه إلى أخوتي لا أنا !

تخرجه بتهذيبها، تخبره بأن الدخول من
"الباب" أفضل !

لكن شيء من خوفٍ غريبٍ دفعه ليأتي إليها !

رُغم تحسن حالته بعدما سافر إلى دولة أخرى،
عمل، أجتهد، وكون نفسه بمساعدة رجل طيب
ترك له فرع من فروع مطعمه هنا بالبلد
ليديره، أصبح الحال جيدًا، والقلب لا يريد
سواها؛ لكن موقفها الأخير حين مشكلتهم
بالحي يربكه، ينغص عليه حلمه بنيها !
قصتهما من البداية صامته، مسرحية كل
أبطالها يفتقدون إلى عنصر الشجاعة !
والخوف آفة البشر، يسيطر، يهemin، ويمارس
سطوته على قلبٍ وروحٍ ضعيفة، لا تريد سوى
أستقرارٍ ونيل الراحة !
- أنسة لجين، سأكون صريح معك، آخر موقف
كنا به كان مُخزيًا جدًا؛ وأنا وبصراحة منذ



رفضك ليّ وأنا أشعر بتردد دائم نحوك، خوفاً

من رفضٍ سيحزنني بالتأكيد !

-يا أستاذ يونس، هناك اختلاف كبير بين

موقفي قديماً وموقفي الآن !، لا يوجد وجهة

مقارنة بين عرض الزواج سابقاً وعرضك الآن

!

وابتسمت بتحفظٍ لم يزعجه، بثته شيء من

راحة كان يفتش عنها بين حروفها، وجدها

تأهب للرحيل؛ فابتعد عن طريقها..

لم يكن يريد سوى راحة، طمأنينة، وطيف

القبول بمقلتيها يمنحه صك السماح !

والحازمة بخجلٍ، فور ابتعادها ابتسمت، تألقت

عيناها، وردد قلبها موافقة على عرضٍ لم

تستطع النطق بها، فالأمر ليس في سياقٍ

رسمي !

ورُغم كل شيءٍ، هي سعيدة !

الفرصة الثانية مذاقها رائع، الشعور بها مُمتع،

وحين النيل بها، تذهب كل ذكرى مؤلمة أدراج

الرياح !

=====

الندم...

الخوف..

الرعب من نهاية آتية لا محالة !

نفقٌ مظلم قررت السير فيه طواعية، تعشق

الظلام، تُطربك دُجنة طريقك، ويُغذيك الصمت

المرعب، وهو طاغية صمتها صخب، هدوءها

مُخيف، وغيابها حياة !



ضارية في أرضٍ أغرقتها الدماء، ودماء
الضحية تسعده، تجذبه وكأنه حوتٌ شرسٌ
يعشق الدماء حد الجنون !
تتجبر، تتعامى عن ألم ضحيتك، تنن ضحيتك؛
فتغضب، تجتث ألمه بين أنيابك، تمضغ قلبه
كما العلقة، تهضمه، وتطلق تنهيدة الراحة،
وقليلٌ من الأحتفالِ بسقوط ضحيتك في بئرِك
السحيق، وتلو الأحتفال تفتش عن ضحية
أخرى، تتجبر، وتتناسى، وتسير فوق رُكامٍ من
قلوبٍ دمرتها في طرفة عين !
لا تتحسس جدران نفقك المظلم، تلهث خلف
ضحية جديدة، وتتضور جوعًا لتذوق جرعتك،
تصطاد الفريسة، تسرق روحها، وتطحن قلبها
بين أسنانك !



وفي نهاية النفق؛ نقطة مضيئة، لوحة عريضة
تخبرك أنك على شفا الموت، تقتل تجبرك بغتة،
وتجتث عنقك؛ فتسقط، تتألم، تتلوى، وصراخك
محتجز خلف قضبان شفاه لم تحكم سوى
بالظلم !

تقع فريسة لأنيابِ القدر، تتلوى كما حيوان
يحتضر، وتطلب سماح، عفو !
ولا تدرك أن الوقت قد فات !

أنت بين سندان النهاية ومطرقة العقاب هالك
لا محالة !

وبداية العقاب، انتفاض فريستك من ماضٍ
بعيد، تبعد الغبار عنها، تتقدم نحوك، تجثم على
صدرك؛ فتختنق !

يراه يتحرك أمامه ببطءٍ وكأنه فيلمٌ مبرمجٌ على
وضعِ البطءِ، يقف، ينظر إليه والابتسامة لا
تفارق شفثيه، عيناه ترمقان جسده المسجى
على فراشه وقدرته على تحريك أصبعه هي
عين المُحال، يقترب نحوه، يجلس بجواره على
الفراش، يربت على كفه المجعدة والسخرية
تزين ملامحه، يبتسم، يعبس، يخلع ثوب
المثالية ويرتدي ثوب المُنتقم :

- ما رأيك؟؟، لقد تغير شكلي بالتأكيد، أصبحت
رجلٌ بمثابة أب، رببت أخوتي، أعتيت بهم
بعيدًا عن شرك، وأختارت فراق توأمي كي
أنقذهم من بطشك!، تجبرت علينا، ظلمتنا،
وكنت السبب في فراقني عن توأمي...والآن
ماذا!

يقطع الجملة، تتوحش النظرة، وتتدفق
الذكريات السوداء بعقلٍ تحول في هاته اللحظة
إلى وحشٍ يشتهي التهام جسد ذئب مخضرم
مع وقف التنفيذ، والذئب العاجز ينظر إليه دون
أن يرمش، ينتظر تامة الجملة، يمارس على
نفسه نوعًا من جلد الذات، يتطلع إلى جرح
شوه به روح فريسته عن قرب، والمثالي
بثوبِ المُنتقم يتعثر بثوبه، يفتش عن سادية
مدفونة تحت ركام المبادئ !

-الآن أصبحت عاجزًا، تحتاج من يناولك كوب
المياه، يساعدك على الجلوس، يبدل لك
ملابسك ولولا أموالك لكنت الآن مُلقياً بطرقاتٍ
عَفنة مثل قلبك !

سالم الامير !



شرير الحكاية، الطاغية، الحاكم بخبرة ذئب لا
يقوى على الصراخ بوجه حفيده المثالي، أمجد
العاطفي، لين القلب والطباع، لا يقوى على
تحريك أصبعه لينهره، يطرده، مجبراً على
سماع سرد قصة كان هو المتحكم بحبكتها على
لسان البطل، يخبره أن الحكمة خرجت عن
سيطرته، والنهاية التي ظنها بين يديه، يخطها
بيده على ورق قصته والانتصار يغذي جوعه،
وجاء القدر ليسرق منه قلمه، يمزق نهايته
أمام عينيه، ويمنحه الضربة القاصمة..
شلل جعله طريح الفراش، نبرته القوية لن
يسمعها مرة أخرى، قوته أصبحت محض رماد
ستذروه الرياح مع أول عاصفة !



شريط ظلمه يتحرك أمامه ببطءٍ مُميت، يضغط
على الجرح، فيغرفه النزف، تزكم رائحة الدماء
أنفه؛ ف يرتعب!

يختل توازنه، ينكسر سياج الأمان، يطير في
فراغ جُبه، يرتطم جسده بقاع يعج بمن ظن
نفسه خارج نطاق العقاب !

-أتعلم !، لقد أكتشفت أنني غيبي، هربت
بأخوتي خوفاً منك، لم آتِ إلى البلدة لأطمئن
على أخي، لم أخبره سرّاً عن مكاني، كنت
أخاف منك يا جدي !، الشاب الذي تلطم بين
طرقات التشرد وعلى أكتافه ثلاثة أرواح، قتله
الجوع لأيامٍ لأجل شبع أخوته، من حرم على
نفسه البسمة حين حزنهم، الشرس أمام أي
ضررٍ يهددهم؛ يهابك ! يخاف تعذيباً لأجل



جريرة لم أكن السبب بها!، تركت أخي لك

لتحوّله إلى مسخٍ، يعاني الوحدة، ويبدل

قصارى جهده في البحثِ عنا !

نبرة المظلومِ متألّمه، نظرته مذبوحة، قلبه بين

ضلوعه ينتفض، يتألم، والروح تنازع، تسبّه

فالحديث الآن لن يجدي نفعًا؛ فيصرخ العقل

بهباجٍ، بشراسة، وبسيكوباتية خالصة يدفعه

لمتابعة كلامه، يشجعه، ويهمل تشجيعًا، ويندفع

اللسان، تنفرج الشفاه، وتخرج الحروف لتعبر

عما بداخله !

-لقد أكتشفت أن الهروب ليس هو الحل

الصحيح، مجرد درع يمنحك الأمان، يحميك من

ضربات التفكير، وأنا هربت، أخفيت نفسي كي



لا تصل إلينا، وكان الضحية بين كل هذا هو

سليم !

حين يهتك الذنب صمام المثلية؛ تعترف، وتقر،

وتصرخ بأعلى صوت أن المظلوم في حبكة

كاتب، ظالم في حبكته !

والمتجبر، صاحب الطباع الحادة، توأمه؛ كان

محض شاب ارتشف الوحدة وألم الفراق حتى

الرمق الأخير !

وتتمة الحديث ابتسامة غريبة، نبرة تحمل من

الحقد الكثير، ونظرة أرتجف لها قلب سالم !

-لقد أصريتُ أن آتِ اليوم لأرى ضعفك، وهناك،

ليست شماتة بل شجاعة، أردتُ أن أقول لك

أنك الآن وحيداً، على شفا موت، قوتك،

تجبرك، راحوا أدراج الرياح سيدي !



وينتقض واقفًا، يمنحه ابتسامة فاترة، نظرة

باردة، وغادر !

ترك له الغرفة وغادر !

تعلقت عينا سالم به، يحدق بظهره، يرتعش

الجفن، يختلج الفك، ويرتعد القلب بين ضلوع

كادت تفر بموت ساكنه !

تغير حفيده، ملامحه خشنة، نظرتة بها شيء

من حقد، نبرته اتشحت بالسواد، وجرح الفراق

والظلم قتل مثاليته في لحظة وألبسه ثوب

المنتقم !

أنت مذنب يا سالم !

تجبرت..

ظلمت!

وارتشفت دماء فريستك حتى آخر نقطة !



وفي لحظة تيه، سقوط؛ تهشمت الأسطورة
ومات شرير الحكاية في النهاية !
وهو وقع، وسكاكين القدر تشتفي حذ عنقه !
حين الوقوع؛ تتهشم القوة، تضع الهيبة،
ويذهب تجبرك أدراج الرياح !
سالم الامير..

المُدنس بدماء ضحاياه؛ سقط تحت وطأة عجز
!

وهذه هي النهاية سيدي القارئ، لكل ظالم
نهاية !

=====

هو..

حطم خوفه ومر فوقه دون اهتمام، دهس
أشلائه، تشبث بثوب المُنتقم حتى آخر نفس،



وحين الهروب من أمام مُفترسك؛ يسقط قناع
القوة، تمزق رداء ارتديته عنوة، ويلوذ لك
هروبًا هو سمتك !

ألقى ما بداخله في وجه جده، تشجع، ركل
خوفه من قوة لم تعد بين يدي جده الآن !
جبان حتى في شجاعته، اختار المواجهة حين
أيقن ضعف الضارية، وغرقت قوتها في
طوفانِ القدر !

تقدم نحو زوجة أخيه الجالسة بجوار والدتها
بخطواتٍ مترددة، يعلم أن عمته حاربت ظلم
أبيها، تزوجت من والد مليكة رُغم أنف أبيها،
ونالت غضبًا، هياجًا، وكرهاً خالصًا، ورُغم ما
رأته من أبيها؛ لم تتخل عنه حين مرضه،



تتراجها أبنتها لتأتي معهم؛ فترفض داليا

بصرامة :

-قُلْتُ لا، لن أترك أبي وآتِ معكم، أبي يحتاج

ليّ يا مليكة !

وتعرض الأبنة، تتشبث بثيابها، تتساقط

دموعها وترتعش نبرتها :

-أرجوكِ يا أمي، تعالي معنا، لن أقوى على

تركك وحدك، وسليم لا يريد العودة إلى هنا،

أرجوكِ !

وتبتسم الأم بحنانٍ، تبرت على وجنتها، تطيب

خاطرها، وتتشبث برغبتها :

-ابقِ مع زوجك يا مليكة، لا تتركيه حبيبتي،

أما أنا فسأبقى مع والدي، وسأتي إليكم في

نهاية كل شهر، أعذريني يا حبيبة قلبي هذا

أبي!

وتحزن الأبنه، تتشبت بأمها، وتتألم فهي لا

تريد أن تتركها !

هي أمها من ربتهأ، عوضتهأ عن موت الأب،

حنان الأخ، ودفء العائلة !

هي بين ذراعيهأ تتحول إلى طفلة صغيرة،

تختبأ في صدرها خوفأ ورعبأ، تتشبت بثيابها

كما طفل يحبو، ولا تتخيل الحياه بدونها !

أمها، حبيبهأ، وصديقهأ، وشقيقتهأ، وبئر

اسرارها !

أتقوى على تركها !

والفكرة مؤلمة، تثير دموعها، يتألم خافقها،

وتتفرج الشفاه تبغي التشبت برغبتهأ؛



فيقاطعها أمجد بهتافه المتعاطف، قربه ليجلس
بجوار عمته، ونظرته المشفقة تحاوط زوجة
أخيه :

-يا عمتي لِمَ المكابرة، فلتأتي معنا، مليكة لن
تقوى على تركك !

وتلتفت العمة بابتسامة حنونة، نظرة دافئة،
وذراعين فتحتهما في دعوة صريحة لعناق
حنون :

-تعال يا أمجد، أريد أن أعانقك قبل أن ترحل
أنت ومليكة !

والجملة كانت قرارًا واضحًا؛ هي لن تعود
معهم، نقطة و انتهى السطر !
اقترب نحوها بتردد، شيء من خجل أصابه،
رُغم اشتياقه لعناقها الأمومي، حنانها الرائع،



وقلبها الحنون، إلا أن الخجل والتردد حجب كل
هذا..

ولم تتراجع، ذراعاها مفتوحان لأستقبال
جسده، شجعته بنظرتها، ببسمتها، ولم يتردد،
القي بجسده بين ذراعيها، يشعر بكفها الحنون
يربت على كتفه، هتافها الحاني استرق منه
بسمة صغيرة !

- لا تتصور سعادتي برويتك يا حبيب عمك،
اشتقت لابتسامتك الطيبة، وحنانك، أنا أثق بك،
أثق بأنك ستهتم بأخوتك وأبنتي، أنت يا بني
تمتلك صفة يحسدك عليها كثيرون!؛ حكمتك !،
حكمتك يا ولدي نعمة أعلم أنك ستحافظ عليها
!



وقبلت جبينه بحنانٍ، أبتسم لها بضعفٍ، ربت
على كفها، وترجاها أن تعود؛ ورفضت !
عانقت أبنيتها، ربتت على كتفها، وأجبرتها على
الرحيل مع أمجد !
بكت الابنة، تشبثت بأمها، ابتعدت عن أحضانها
بصعوبة وكأنها تنتزع روحها، وتزجرها الأم،
تأمرها بحزمٍ والنبرة باكية !
-مكانك حيث زوجك يا مليكة، أنا سأبقى مع
أبي وسأزورك دائمًا، أعتني بنفسك وبزوجك !
نقطة وانتهت القصة !
قلبُ المُحبِ ورقة بيضاء، تُدنسها الدماء،
ويمحو دنسها النسيان !
وعلى هاوية الجرف، أنتَ تحارب السقوط؛
ولن تسقط !



طيبة القلب أحيانًا ليست سيئة، والأحيان
الأخرى هي سمٌّ زعاف إن تخلل مسامك؛ فأنت
هالك لا محالة !

=====

"أنتِ طالق"

جملة صغيرة، مضمونها مُختصر، مفعولها
جبار، قاصمة للقلوب إلا قلبها !
قلبها استثناء، لم يتألم لأجلِ طلاق بل صرخ
فرحًا!

الحصول على الحرية حياة !
حياة ستبدأها من جديد دون أي تدخلٍ بغيض
من مشاعر تافهة، ستمحي مشاعرها من
قائماتها، ستقيم مدينتها بقوة العقل، ونزف
الجرح !



لن تتظف جرحها بل ستقوم بتقطيبه، ستغلق
جرحها والتقيحات تغرقه، ستتابع وقلبها خارج

نطاق حسبتها !

هي امرأة كُتِبَ عليها الألم، الجرح، والبكاء

الصامت !

أنثى ضعيفة، ارتدت ثوبًا لا يليق بها، تعثرت

به، وقعت، قامت، وعاودت الوقوع وكُسِر

قلبها؛ وأصرت على المتابعة، هذبت ثوبها،

قامت بتفصيله على مقاسها، وركضت في نفقٍ

ليس له نهاية !

طلقها زوجها "محمود" بعد ما تصدى له شقيق

صديقتها، أجبره على الطلاق، وهو لم يكذب

خيرًا، وافق وكأنه كان ينتظر إنسحابها، ألقى

الجملة بوجهها ورحل !



منحك صك حريتك يا تمارا؛ فلا تتخلي عنها !
جملة نابغة من عقلها، تعارض ما يريده قلبها،
وتكتم أنفاس روحها !

-مبارك حصولك على حريتك يا تمارا !
الصوت صوت شقيق جود، ابتسامته صغيرة،
الحنان في عينيه اخوي بحت، يبثها دعماً لا
تحتاج سواه..

أما الصديقة، فتجنب النظر إليها وكأنها تشعر
بالذنب لأنها السبب في طلاقها !
تقترب "تمارا" منها بابتسامة صغيرة، تجلس
بجوارها، تربت على ذراعها، والنبرة تخرج
قوية، كما النظرة والعزيمة :



-جود!، أريدك أن تعلمي أن لا دخل لكِ بكل
هذا، أنتِ وضحتِ لي حقيقته، وأنا قررت
الانفصال، لا تحملي نفسك ذنبًا لم ترتكبه!
-أنا حزينة لأجلك يا تمارا!، لا أعلم كيف
سأتركك وحدك بعد زواجي من أمجد، أنتِ
صديقتي الوحيدة، وأنتِ لا تمتلكين سواي!
هتاف حزين، نظرة حنونة، وتربيته على
الوجنة بنفس الحنان، تخبرها أنها تحمل همها،
تخاف تركها؛ فتبتسم تمارا، تمزح والقلب بعيد
كل البعد عن السعادة!
-يا أنستي أنا سأسكن بالمنزل المقابل لمنزلك
الجديد!، لم كل هذا الحزن!، تعشقن النكد حد
الجنون!، يا مجنونة غداً عقد قرانك!



وتبتسم الصديقة بحزنٍ، تحتضن صديقتها
بقوة، وتربت على كتفها بدعمٍ أمومي بحت كما
نبرتها !

- أعلم أنك قوية يا حبيبة أختك، لكن المرء يحق
له البكاء فهذا لا يقلل من قوته يا صغيرة !،
ابكي يا تمارا ليس لأجله بل لأجل نفسك !
وبحق الألم، مرارة التخلي، الضربة التي لم
تصيبها فتركت خلفها شرخاً غير قابل للترميم
في قلبٍ تجرع مرارة الفراق منذ كانت طفلة؛
بكت !

بكت كما لم تبك من قبل، بكت على قلبٍ مشوه
!

روح جريحة تطوف في طرقات القدر والنزف
يغرقها!



كانت طفلة واجهت الفراق، والآن هي امرأة

تتشبث بقوتها بوهن !

أنت لستُ تمثالاً ستصمد أمام ضعفك، أنت بشرٌ

حين السقوط؛ تتوجع !

"تمارا نادر" أسطورة ستبدأ لتوها !

=====

هذه هي الحياة، تسرق منك ما تريده في

لحظة، وتمنحك إياها في لحظة أخرى !

تجرحك، وتعود لتنظف جرحك، تربت على

قلبك، وتعتذر لك، تمنحك أملاً بيدٍ وتنتزعه

بالأخرى !

والميزة الرائعة التي نمتلكها؛ هي أننا ننسى !

جرح القلب صعب حين الغدر؛ حيث الحب داء

عضال !



غير قابل للتخلي أو حتى النسيان !

القلب الذي يعشق؛ يموت !

يموت عشقًا !

حبًا !

أو حتى ألمًا !

والحب حربٌ كما الحياة !

بدايتها صراخ، دماء تغرف أرض المعركة،
نحارب السقوط في فخاخ الحب، ننازع؛ وفي
النهاية تنطبق علينا، تحاصرنا، تكبلنا بأغلالٍ
من حرير، وتأسرنا فنصبح عبيدًا لسطوة

الحب!

وفي نهاية المعركة؛ يكون الاستسلام !



نظير فوق حصان الأحلام، ترافقتا صهوته،
نبتسم، نحزن، ونرتشف لحظات السعادة بنهم

!

ببساطة؛ الحياة فرصة !

وهو نال ما يريده، تزوجها، عُقد عقد القران
منذ ساعة تقريبًا..

"مروج أصبحت زوجة إياد !"

وكما كانت نهاية صراعه زواجه منها، كان
نهاية صراع أمجد زواجه من حبيبته بنفس
الليلة !

انفرد بها، بغرفةٍ من غرفات منزلها، تجلس
بجواره، تتحاشى النظر إليه، تعض شفثيها
بخجلٍ، تعتصر قماش فستانها الرقيق بلونه
الأزرق، طويل حتى كاحلها، زينة وجهها



الطفيفة، وشعرها الذي زينه وشاح رقيق من

نفس لون الفستان !

لا يعلم لِمَ هي صامته منذ دخولهما إلى الغرفة،

خَجَلَةٌ أو رُبما الحرج ينهشها !

ليس مهمًّا البحث عن سبب صمتها، هو سينال

ما يريدُه رُغْمًا عن أنفِ خجلها !

وبعبثٍ خالص، حِصار لن تقوى على الهرب

منه بين ذراعيه، وهتاف عابث صدمها !

-حسناً يا زوجتي المصون، لقد قمت بتأجيل

عقابك حتى هاته اللحظة كي تتذوقيه بتأنٍ !

وينال اتساع مقلتان، انفراج شففتان لتخرج

الحروف بعُسرٍ، بارتباكٍ وخجلٍ خالص :

- عن أي عقابٍ تتحدثُ !!!

يبتسم؛ فترتّبك، يعتقل الخصر برفق؛ فترتعش،

يمس ثغرها بحرارة ويهمس بحزم عابث !

-عقابٌ على رسالتك التي قمتِ بإرسالها

تعترفين ليّ بحبك!، لقد كنتُ أمامك يا زوجتي

المصون ولم تقوليها ليّ، أختارتِ طريقةً

ملتوية لم تعجبي؛ لذا !

ويبتر الكلمة، يقترب أكثر؛ فترتّبك، قلبها يقفز

بين ضلوعها بسعادة وخجل !

وهو!

يشعر وكأنه يطير كما عصفور حصل على

حريته !

؛ حيث الحصول عليها، حبها، أجمل حرية !

سعادته لا تُختذل في عدة كلمات !

ابتسامته تكفي !

لمعة عينيه تبرهن !

وعِناق الشفاه حطم كلماتًا نسقتها لتعبر عن

مشاعرها !

قبلتها حياة!

عودة روح إلى قلبٍ سحقه الحب في لحظة،

وعاد ليرممه في لحظة أخرى !

قبلتها كانت تريق!

ميناء رست سفينته الشاردة عليه !

؛ حيث روحه عانقت روحها!

وجسده ضم جسدها في عناق تلى لقاء

شفتيهما!

يلهث وتلهث هي بخجلٍ يكاد يقتلها، تخفي

وجهها في كتفه؛ فيبتسم بثمالة!



يُكمل جملته، ويضم جسدها أكثر بابتسامة

واسعة !

-قوليها !

وبتعثر، نبرة خفيضة، وخجل شديد استفسرت

!

-لا أفهم !

-أخبريني عن مشاعرك نحوي !

وتتذمر بخجلٍ، تدفعه بشيءٍ من غلظة رُغم

الابتسامة التي تناوش شفثيها، شفثان ذاقهما

منذ دقائق وفي لحظة !

وقع أسيرًا لهما !

-لقد أخبرتك بها حين أرسلت لك رسالتي !

-وأنا أريد أسمعها بأذني يا مروج !



بحزمٍ طلبها، والخطوة التي ابتعدتها، محاها
هو بعنقه مرة أخرى، يدفن وجهه بعنقها،
وقلبه يقفز، يضرب ضلوعه، ويقسم أن لا
فرحة تضاهي فرحته الآن !

وهي خجلت !

ارتبكت !

قلبا يدفعها دفعا لتتطقها، وخجلها يعرقها

فتصمت !

وفي لحظة سعادة !

فرحة !

ردعت خجلها، تشبثت به، وقالتها، قالتها

بصدقٍ، والنبرة تحمل سعادةً خالصة !

"أحبك!"

"وأنا أحبك!"

وهي لن تصل إلى عمق مشاعره، قوتها،

وتعترف !

وعقب الأعراف المتبادل، ابتسامته السعيدة؛

أبعدها، اقترب، ضم الجسد أكثر، وعانق الشفاه

مرة أخرى وإن كانت بحرارة أقوى !

السعادة!

هي أن تشعر بأنك تحلق دون أجنحة !

تبتسم، يرقص قلبك بقوة، وتطلق تنهيدة

راحة؛ حيث حرك الشرسية أنتهت !

فوزت بالسعادة والحب !

هنئاً لك!

ابتسم !

=====



حبه كان بئسًا، وقصته معها كانت محكومًا

عليها بالفشل !

وخاب ظنه، كُسر البؤس، نجحت القصة، وهي

الآن زوجته !

حربه مع حبها تركت ندوبًا لن تزول، لكن حبه

كان أقوى !

سامحها!

قرر أن يمنح لقصتهما فرصة ثانية !

ونجح !

ابتسامه رزينة كما ابتسامتها !

وابتسامتهما تخفي تحتها طوفان من سعادة لو

ظهر؛ سيفرقهما حتمًا !



كفه يعانق كفها، عيناه تعانق عينيها،

وشرارات من سعادة تطير حولهما وسط

صخب العائلة !

يميل نحوها بغتة، يهمس بجوار أذنيها مستغلاً

شرودها :

-مبارك يا جود !

وتنتفض مُجفلة، تتخضب وجنتاها خجلاً،

وتعض على شفثيها لثانية؛ فتتعلق عيناه بهما،

تنظر له نظرة سريعة، وتجيب مباركته بمثلها

وخافقها يقرع طبوله بين ضلوعها، بفرحة،

سعادة، وعشقٌ كالتتار أحتل قلبها دون مقاومة

تُذكر !

-يونس ولجين سعداء، البسمة لا تفارق

وجههما !



تتهرب، تشير إلى أخته وأخيها؛ حيث تمت

خطبتهما منذ أسبوع !

تخجل !

نعم !

وهو سيحترم خجلها أمام حضور العائلة
وغياب زوج أخته الثعلب بغرفة منعزلة مع

مروج !

لكن، قليلاً من العبث بدفعةٍ من السعادة لا تضر

!

وقرب أذنها همس، عبث، ولعب بوتر خجلها

بحرفية شديدة !

-أتعلمين !، لولا ماكنتي، والحكمة التي يجب

عليّ التمسك بها أمام العائلة، لكنت احتجرتك

في غرفةٍ وقبلتك !



ونال شهقة عالية، خجلة، وعينين متسعيتين
محدقتين به بصدمة، بدهشة بينما تعلقت بهما
أعين الحضور !

وجز أمجد على أسنانه بغيظ، لكزها بكوعه
دون أن يراه أحد وهمس من بين أسنانه بغيظ
بينما هي متسمة في التحديق به بصدمة
ووجنتين مشتعلتين بحمرة خجل :

-أقول لك مكاتي تمنعني من خطفك لأقبلك،
فتقومين بفضحي أمام الجميع بشهقتك تلك !،
فضحتينا !

وابتسمت، انفلتت منها ابتسامة صادقة، لمعة
بعينيها، وفرحة خالصة !

لقد نالت السكينة، حُبها، ورجلٌ رائع !



السعادة حين تُسيطر على القلب؛ تُشفى
الجروح في طرفة عين وكنا نظن أن الشفاء

هو عين المُحال !

أنت سعيد !

حسنًا، مبارك عليك السكينة، الحب، وعشق

كالأساطير !

قالوا للحبِ علامات، سعادة، همسة شغوفة،

وسعادة تمارس سطوتها على القلوب !

لا تنظر إلى الخلف، ألقِ ماضيك خلف ظهرك،

مزق ورقة سردت بها مخاوفك، وابدأ من جديد

!!!

=====

-مليكة كفى بكاءً، لقد ملتُ هرموناتك !، ماذا

بك !



بحنقٍ قالها، يتأفف بضجر، ويحدقها بحنقٍ
واضح، بينما هي تبكي دون توقف في ركنٍ
بعيد عن الأعين..

وجملته فجرت تماسكها، تشبثت بياقة قميصه
بقوة، جذبته نحوها بغتة، وهدرت بوجهه
همساً بينما هو مُتسع العينان، والدهشة
تسيطر عليه !

-لمَ تعاملني بهذه الطريقة !!!، ألا يكفي
المُصيبة التي فعلتها اليوم !!!
وبدهشة صادقة، حاجبان انعقدا بتوجسٍ،
وكلمات أوقعته في براثن أنثى تُعاني هرمونات
"النكد!" :

-وهل قمتُ بمصيبة أخرى غير الزواج منك
والوقوع في حبك يا روعي؟!!



-يا مجنونة ماذا تقولين؟، لماذا تتعاملين مع
الأمر وكأنه جريمة!، أنتِ زوجتي يا ذات
الرأس القذرة!، أيعجبك نظارتهم المصدومة من
جملتك المتخلفة!

ونظراتهم حقًا كانت مصدومة، تحرق بمليكة
بغباء، بينما الأخيرة فكادت تحترق من فرط
الخبيل!

نظرت له باعتذارٍ صامت؛ حيث كفه تكلم فمها
كي لا تلقي على مسامعهم الكثير من الحماقات
!

ودموعها التي ازدادت كثافة رقت لها قلبه، أبعد
كفه عن فمها، وجلس القرفصاء أمامها..
احتضن كفيها، وابتسم بسعادة خالصة، والنبرة
تحمل شيئاً من الأنبهار!



- هل أنتِ حاملٍ بالفعل !

ابتسمت لسعادته، توقفت دموعها، وتسارع

نبضها في مراثون لذيذ !

- نعم !

وتتسع الابتسامة، تبرق عيناه بفرحةٍ، ودون

سابق إنذار عانقها، بدفءٍ، بسعادة، باحتواء !

ورضخت لسعادته، كتمت هرمونات "نكدها"

وتركت السعادة تسيطر عليها !

فرحة النصر حياة !

فماذا عن نصرٍ ناله بشقِ الأنفس !

تألم، توجع، واحتضر بألم !

ومن رحمِ النصر والحب..

؛ تمخضت سعادة !

أنتِ سعيدة !



نعم !

مبارك عليك، لن تفارق البسمة وجهك !
لذة السعادة كنييدُ معتق، ترتشف كل قطرة به
حتى الرmq الأخير !

=====

-أتعلم لقد بدأتُ أن أشعر بالغيرة من جميلة !
وهذه امرأة، كانت ذابلة حين رآها، وأزهرت
بين يديه في فصلٍ لا يخصها !
ابتسامتها حياة، غسل عيناها رائق، ووجهها
خالٍ من الشحوب، تجلس بجواره في بيتِ ابناء
عمه،
تراه يطعم أبنتها بحنانٍ أبوي، يقبلها، يدلها
وهي سعيدة !



بحبه هي سعيدة، بحنانه متخمة، ودفء نظرته

يبعث بقلبها راحة !

تمزح معه بغيرة غير موجودة من أبنيتها،

ويجاري هو مزاحها، يربت على وجنتها

برفقٍ، ويقبل وجنة الصغيرة بمشاكسة كما

نبرته :

-يتوجب عليك الغيرة من حبيبة أبيها، يا قمر !

يغيظها بغزله، يسرق منها بسمة، ويجبرها

على الهمس بدلالٍ تحبو نحوه كطفل صغير :

-بالطبع لن أغار من ابنتي، أنا أثق بمكانتي

بقلبك !

-يا واثق !



والجملة خرجت عابثة، بغمزةٍ بها شيء من
وقاحة، ابتسمت لثانية بخجلٍ ثم لم تلبث أن
زجرته بتوبيخٍ وهي تبعد وجهه عنها :
-أحترم نفسك يا مروان، قليل الأدب !
-وما بها قلة أدبي !! لذيدة، أستاذ اللغة العربية

يعشق المرأة العربية !

ترفع حاجبًا تولى التعبير عن استغرابها،
والنبرة محتارة بينما هو يراقب تفاصيلها
بشغفٍ لن يقل :

-وما دخل هذا بذاك !

-بنت أصمت، أنا أحبك !

الابتسامة في عُرف العشق حياة، والعاشق
يذوب في ابتسامة حبيبته، يموت ويحيا لأجل
ابتسامة..



وهو عاشقٌ لم ترهبه حرب حبها الشرسة،
صمد، وقف، وتشبث بسيفه يأبى الاستسلام !

ونال فوزًا مستحقًا !

، سعادة خالصة والتتمة عناق دافئ يضم

ثلاثتهما، هو وهي وأبنتهما !

السعادة بعد طوفان الحزن، الألم؛ نجاة !

=====

هي امرأة أقرت بأن المشاعر مجرد كاموفلاج

!

إطارٌ ضيق لن يتسع سوى لها فقط !

قوية، تتشبث بقشرة صلابة، وتتجاهل

مشاعرها بقوة تُحسد عليها !



في ركنٍ بعيدٍ نوعاً عن التجمع جلست، تراقب
الحضور، لصقت على شفثيها ابتسامة طبيعية
بجدارة..

خارجها فرحة، وداخلها خواء !
عيناه لم تتركها منذ بداية الجلسة، يلاحقها،
يراقبها، ويبغي اقتراباً هي ترفضه !
وكانت تعلم أنه سيقرب، لم يتنازل، واقترب!
وبجوارها جلس، ولم تهتم، تجاهلت او هكذا
ظنت !

-ألن تمنحيني فرصة ثانية يا تمارا !
صوته رخيم، نظرتة تحاوطها برجاءٍ اربكها،
رمشت بعينيها والارتباك على وجهها يخط
خطوطه بوضوح، قلبها يوزع نبضاته بسخاءٍ،



وهو يتابع رجاءه والصدق في نبرته لا يحتمل

تكذيبًا !

-تمارا، أنا اعترفت لكِ بأنني أخطأت؛ فلم لا

تمنحيني فرصة ثانية !، لن أخذك، أقسم بالله

لن أخذك!

القلب حين يعشق؛ يشفع !

وهي رُغم بداية تريد عقلها هو المتحكم الأول،

وخروج القلب من الكادر هو عين العقل !

إلا أن قلبها تمرد، صدقه شجع روحها على

التمرد، أسعدها لكن هي أخفت سعادتها

بمهارة!

وأمام نظرته المترجية، الخوف من رفضٍ لن

يتقبله، أعطته طرف الحبل وعليه هو باقي

المهمة :

-ليس لدي أي مانعٍ، سأمنحك فرصة ثانية؛

لكن قبلاً أريد أن أستعيد توازني !

ووافق !

حيث الرفض في هاته اللحظة هو محض جنون

!

تشبث بالأمل وإن كانت البداية غير مُبشرة !

على أعتاب قلب عاشق !

ستسقط في دوامته طواعية !

=====

أخبرونا أن الحب سقطة ألمها حياة !

وفي حبها سقط، وسقطته رائعة !

حصل عليها بعد سنين من حبٍ صامت!

أصبحت خطيبته، تبتسم له بخجلٍ وترفض

الاحتكاك به !



جالسة بجواره والصمت يزينها، يناغشها؛
فتبتسم بخجلها الرائع..

سعيد..

وهي سعيدة..

وهذا هو ما يريده..

أخبرها بطريقةٍ غير مباشرة عن حبِّ سكن
قلبه، ولم يجهر به بشكلٍ مباشر، فلجين لا
تتعدى خطوط المسموح به معه وهو يحترم
ذلك !

وجدها تجمع الحضور ليجلسون أرضاً !
كل فردٍ بجواره شريكة، الابتسامة لا تفارق
الثغر، والسعادة في هاته اللحظة وصلت إلى
ذروتها..

وفكرة مجنونة عرضتها لجين أثارت إعجابه



"سأعطي لكل فردين مرتبطين ورقة، سيكتبان

هما الأثنان جملة واحدة تعبر عن قصتهما،

وبالتأكيد سيهتفان بها معًا!"

ولأقت الفكرة استحسانًا من الجميع!

بدأت بإعطاء كل اثنين ورقة..

وبعد الانتهاء من كتابة الجملة..

اختارت "لجين" سليم ومليكة أولًا!

وبقلب واحد، عشق خالص، وصوت واحد!

"الحب في قصتنا مثل التتار، أحتل قلبنا دون

مقاومة"

الحب محتلٌ لذيذ، يهيمن، يسيطر، ويتمكن دون

مقاومة تذكر!



والجملة التالية خرجت بصوت إياد ومروج

كترنيمة صاخبة كما حبهما

"الحب في قصتنا أشبه بحربٍ شرسة، نزاع

بين القلوب، كلُّ منا كان محاربًا مغورًا،

وهزمتنا الحب بسطوته!"

سطوة الحب سلاح قوي، سيف يخترق القلب

في طرفة عين !

والجملة الثالثة بصوت مروان وصبا !

"بين موجات بحر عاتية بدأت قصتنا، وعلى

شاطئ الأمان انتهت "

سفينة قصتهما الشاردة من بين طوفان هائج؛

نجت !

والجملة الرابعة بصوتِ أمجد وجود !

"قصتنا كانت درب من الخيال، محكوم عليها

بالفشل، وفي لحظة غفران نجحت !"

لا تنظر خلفد، الماضي محض أحداث وانتهت،

ابدأ صفحة جديد بنية النجاة !

والجملة الخامسة بصوتِ يونس ولجين !

"قصتنا صامته، مشاعرنا مكبله، وحبنا صادق

!"

أهذا اعتراف بالحب ؟؟

رُبما نعم!

والجملة السادسة لم تُكتب؛ حيث القصة لم تبدأ

بعد !



لكلٍ منهم حكاية من بين سطورِ الألم تمخضت
من رحمِ اليأس لتخرج إلى دنيا الأحلام، الأمل،
والبحت عن غدٍ أفضل !

أنتَ لستَ ماريونت تحركك خيوط سخيصة !
أنتَ قويٌّ، أنتزع فرصتك حتى ولو من فمِ
الذئب !

طوفان الألم شرس، عنيف، وسفينة الغفران،
الفرصة الثانية، والحب الصادق؛ قائدها مغوار

!

=====



"تمت بحمد الله!!"

2021/6/2

=====

وشكر خاص وأخير..

إلى

كل شخصٍ وصل إلى نهاية أول عمل ليّ بسلام!

ألف شكر!

